

الجزء الاول من المجلد السادس عشر بعد المئة

١ يناير سنة ١٩٥٠ ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٦٩

القضاء والقدر

مسكين هذا القضاء والقدر . تحدث الجريمة والمجرم مجهول أو غير ظاهر فتلقى المسؤولية على « القضاء والقدر » . مثال ذلك : سقط بيت قديم أو جديد على ساكنيه . فقتلهم . فيقال : أن القتل حدث قضاءً وقدراً . ومن يعاقب القضاء والقدر ؟

وهو معلوم إنه لا معلول بلا علة . وما من حادث إلاّ لهُ سببٌ أو سلسلة أسباب . فإذا جهلنا الأسباب أبهمنا « القضاء والقدر » . إذا بحثنا عن سبب سقوط البيت حصرنا السبب في مصلحة التنظيم التي من واجباتها مراقبة البناء حين يبنى وحين يشرف على الهبوط . فأولاً : على هذه المصلحة أن تقف على البناء حين يبنى لكي ترى أنه يبنى حسب الأصول الفنية . وثانياً : أن تفحص الأبنية المشتبه فيها إن كانت آئلة الى السقوط . وثالثاً : إذا رأت أن المنزل متداعٍ فتنبه على السكان أن يرحلوا ، وعلى صاحب المنزل أن يهدم منزله ، تفعل مصلحة التنظيم هذا ثم توكل « القضاء والقدر » بالأمر . والقضاء والقدر لا يحمي السكان ولا صاحب المنزل ولا مصلحة التنظيم لأنه غير مسؤول . إذاً من المسؤول ؟

قس على هذه حادثي الاصطدام في السكك الحديدية وما أدرانا أن تلقى التبعة على القضاء والقدر ألا يجب أن تقع المسؤولية كلها على المصلحة ؟ من القاتل ؟ ومن يدفع الدية ؟ القضاء والقدر ؟ . وما شأن التنظيم ومهندس التنظيم وصاحب المنزل الذي أُنذر ولم يهدم إلاّ كشأن سائق السيارة الذي يدوس عابر السبيل ثم يزمّر وأخيراً في التحقيق يقال حدث الحادث قضاءً وقدراً ، لأن المسحوق تحت العجلات لم يتنبّه مع ان السوّاق زمّر .

كثيرٌ ما يحدث من الحوادث التي تكون أسبابها غامضة فتحال على القضاء والقدر : ولكن ما من حادث إلاّ وله سبب . فلنبحث عن الأسباب .

تضخم الكون الأعظم

منشؤه ومصيره

المتناهي واللامتناهي

قبل ظهور نسبية اينشطين كان الفلاسفة إذا ساقهم التفكير إلى سعة الكون فلا يرون بدًّا من الاستسلام إلى نظرية اللانهاية. فيقولون الكون مادةٌ ومساحةٌ (مكاناً) غير متناهٍ. أي هو مكان لا نهاية له وأجرام لا نهاية لعددها سابحة فيه. وإذا خطر لواحد أن يذهب إلى أن لهيولى (مادة) الكون قدراً معيناً قامت الاعتراضات في سبيل خاطره. وإذا سئل صاحب هذه النظرية (نظرية مقدار المادة المتناهي في المكان غير المتناهي) أين هو موقع المادة المعينة القدر في فسحة الكون غير المتناهي، فلا يحير جواباً. لأنه لا يقدر أن يعين موضعاً في رحبة الكون التي لا نهاية لها، ما دامت خالية من أي شيء آخر يعتبر كعلامة تقاس من عندها الأبعاد. وبناءً على هذا العجز عن الجواب حكم الفيلسوف «كنت» بأنه لا يمكن أن توجد مادة معينة المقدار في رحبة الوجود غير المتناهية. وإذاً فالهيولى غير متناهية في رحبة الوجود غير المتناهية أيضاً.

ولكن العقل البشري يحار في اللامتناهي، كما أنه لا يستطيع أن يتصوَّر حدوداً للمتناهي ليس وراءها شيء. فهو بين المتناهي واللامتناهي حيران ما دام يعتمد على التصوُّر فقط. وإنما إذا لجأ إلى العلم فقد يجد ما ينقذهُ من الحيرة، ولاسيما إذا صرف ذهنه عن التصوُّر واعتمد على منطق العلم فقط.

بقيت مسألة اللانهاية لغز الوجود إلى أن انجلت للعقل البشري «سنة الجاذبية» ودعمها «ناموس النسبية»، فاتضح للعقل النيِّر أن الكون، وإن كان غير متناهي المكان، فلا يمكن أن يكون غير متناهي المادة، بل لا بدَّ أن تكون المادة فيه قدراً معيناً يشغل فسحة معينة من المكان، وبعد هذه الفسحة خلاء غير محدود، يصح أن يكون ما يسمونه «العدم».

وفحوى برهان اينشطين صاحب نظرية النسبية على هذا القول هو أن الكون إذا كان مكاناً غير متناهٍ، تشغله سُدُم وأجرام وشموس وسيارات لا عدد لها، وجب بمقتضى ناموس

الجاذبية الذي لا مناص من فعله فيها جميعاً أن تتحرك هذه الأجرام في المكان اللامتناهي بسرعات أعظم جداً من سرعاتها التي نعرفها ، بل بسرعات تفوق حدّ التصوّر : تتجاوز سرعة النور . وهو أمرٌ مستحيل بحسب ناموس النسبية الذي كشف عن ان سرعة النور هي منتهى السرعة في الوجود ، ولا يمكن أن تفوقها سرعة أخرى .

بحسب برهان أينشطين هذا (وقد شرحته في كتابي النسبية) يستحيل أن تكون اجرام المادة غير متناهية العدد ، بل هي قدر معين في رحبة معينة من رحاب المكان غير المتناهي. فالحيز الذي تشغله هذه الأجرام هو ما يسميه علماء اليوم « المكان » Space وما وراءه خلاء يسمى « العدم ».

حيز الكون الهيولي

وهنا يبدر الى ذهن القارىء أن يسأل : أي شكل هندسي يتخذ هذا الحيز المادي ؟ هل هو مكعب أم كرة أم لوح مستطيل مستقيم ذو طول وعرض وسماكة ؟

والجواب بحسب برهان اينشطين أنه ليس شيئاً من ذلك ، وإنما هو لوح ذو طول وعرض وسماكة. ولكنه غير مستقيم بل هو منحنٍ من جميع جهاته بحيث تلتحم حواشيه بعضها ببعض، فيصبح بشكل كرة فارغة تامة الاستدارة أو بيضية الشكل.

واينشطين يرجح الشكل البيضي لاعتبارات ليس هنا محل شرحها. وإنما لتسهيل التصوّر على القارىء فيما يلي من بحثنا، نفرض هذا الحيز المادي كرة فارغة الجوف، أي أن جوفها خلاء (عدم) كالخلاء الذي حولها . واجرام المادة سابحة في جلدة هذه الكرة سُدُماً أو مجرات كمجرّتنا ، كلها سائرة متساوقة في اتجاهٍ واحد ، في سماكة جلدة الكرّة التي نحن بصددها، بقوّة الجاذبية المتبادلة بينها .

ومن مقدار انحناء جزء من هذه الجلدة كما قيس بالأرصاد المختلفة أمكن قياس نصف قطر هذه الكرة الكونية، فوجد أنه بطول ٥٣٤٠ مليون سنة نور، أي أن النور (الذي يسير بسرعة ٣٠٠ ألف كيلومتر بالثانية) يقضي ٥٣٤٠ مليون سنة حتى يعبر مسافة تساوي نصف قطر الحيز الكوني . ومن مقدار توزع تلك المجرّات أو السُّدُم في جزء معين من جلدة الكرة الكونية أمكن حساب مجرّات الكون كله، فإذا هي نحو مليوني مجرّة . ولما أعلن إينشطين هذه النتائج من بحثه عن حجم الحيز المادي قال إن هذا الحجم بما فيه من هيولى منذ الأزل وإلى الأبد لا يزيد ولاينقص . أي أنه وعاء (بالشكل الذي تقدم وصفه) تتوزع فيه اجرام المادة، وتتحرك فيه دائرة على محاورها، وهي تتدحرج فيه باتجاه واحد .

وقد حسب الحاسبون عدد ما فيه من كهارب وما يقابلها من بروتونات فإذا هي ١٠^٧٩ أي واحد الى يمينه ٧٩ صفراً .

ولكن ما ظهر بحث اينشطين هذا حتى ظهر من أرصاد هوبل المشتغل في مرصد ويلسن في كاليفورنيا (أميركا) ان المجرّات والسُّدُم تتباعد باستمرار كأنها تتشتت في الفضاء الخالي . ودرس « دي ستر » أرصاد هوبل درساً دقيقاً ، وبرهن أن حجم الكون الذي وصفه اينشطين بكونه ثابت المقدار ، أي لا يتسع ولا يضيق ، إنما هو آخذ بالاتساع ، وإنه غير ثابت في سعةٍ واحدة . وإن كانت المادة التي تشغله لا تزيد ولا تنقص . أي أن المادة التي فيه تخرج عن حدوده التي قررها اينشطين . وذلك بتضخم حجم الكون كل هنيهة من الزمان

لم يعين دي ستر متى ابتدأ حجم الكون الأعظم يتضخم — لم يقل كم كان نصف قطره حين ابتدأ يتضخم . وإنما اقتصر على القول إنه آخذ بالتضخم . ولكن الأب لامتر العلامة نشر رسالة بهذا البحث برهن فيها أن الكون شرع ينتفخ منذ نشأ . وهذا يستلزم أنه لم ينشأ كرة فارغة كما وصفه اينشطين (على حاله الحاضرة) ، بل كان كرة صغيرة جداً كثيفة ، ثمّ جعلت تنتفخ تدريجاً كأن قوّة في مركزها كانت تدفع أجزاءها إلى الخارج . ففرغت من الداخل لتجمع أجزائها في محيطاتها ، وأصبحت كجلدة كرة مطاط ، وكما هي الآن . ولا تزال تنتفخ كما قال دي ستر

فالكون ابتدأ كما برهن الأب لامتر
وهو الآن كما برهن اينشطين
ومستقبلهُ كما وصف دي ستر

ولما علم اينشطين بأرصاد هوبل التي أثارت تفكير دي ستر ولامتر ، برح الى أميركا خاصة لكي يقف على تلك الأرصاد بنفسه ويتأكد صحتها . فلما شاهد ما شاهده هوبل ودرس ما درسه هناك عاد مقتنعاً . وجعل يدرس انتفاخ الكون هذا ويبحث عن قاعدة رياضية له ، وان كان قد عزّ عليه أو على سواه أن يفهم السبب . وانما فرض لناموس الجاذبية سجية أخرى وهي ان قوة الدفع عن المركز Centrifugal force أقوى من قوة الجذب الى المركز Centripetal force . فسمى الزائد في قوة الدفع : « الدفع الكوني » Cosmeic Repultion وحسب مقداره فاذا هو قدر ثابت Constant بالنسبة الى نصف قطر الكون مهما تمدد . وبناءً على ذلك عدل قانون جاذبية نيوتن هكذا : — $(G_{\mu\nu} = \lambda g_{\mu\nu})$

والراسخون في العلم يفهمون هذه المعادلة . ومحرر هذا المقال ليس منهم .

سرعة تشتت المجرات

كان هوبل في مرصد جبل ويلسون في كاليفورنيا أول من اكتشف سنة ١٩٢٩ أن المجرات تبعد عنا بسرعات مختلفة، وان أبعدها أسرعها (لسبب ستعلمه فيما بعد). وحتى سنة ١٩٣١ كان قد اكتشف سرعة ٩٠ مجرة منها ٨٥ تتباعد عنا و ٥ تقترب الينا، واقتراب هذه الخمسة يناقض بالظاهر نظرية انتفاخ حجم الكون، التي تستوجب أن جميع المجرات تتباعد بعضها عن بعض. ولكن اقترابها يمكن تعليله بأمرين معاً. الاول أن هذه المجرّات أقرب المجرّات التسعين الينا ونحن نرصدها من نظامنا الشمسي ونراعي خط النور اليها من أرضنا، لا من مجموع مجرتنا جملة. فاذا راعينا سرعة نظامنا الشمسي من ٢٠٠ الى ٣٠٠ كيلو متر في الثانية في قرص المجرة، كنا نحن نقرب الى تلك المجرات أكثر مما هي تبعد عنا. ولكن لو راعينا خط الرصد من مجرتنا عموماً لا من نظامنا الشمسي خصوصاً رأينا أنها تبعد عنا. والثاني أن منطقة مجرتنا واقعة بين منطقة هذه المجرات ومركز الكون، وبحسب ناموس التسارع هي أسرع منها في مجرى الكون. فاذا كانت المجرات الخمس الدانية الينا تجري أمام مجرّتنا، فمجرّتنا تجري وراءها أسرع منها، ولذلك يبان لنا انها مقتربة الينا. والحقيقة أن مجرتنا مسرعة اليها. إذن اقتراب المجرات الخمس من التسعين لا ينقض نظرية ان جميع المجرات تتباعد متشتتة التي سنشرحها جليّاً فيما بعد.

وكان سليفر من ناحية ثانية يرصد المجرّات أيضاً ويستخرج سرعاتها. فاستخرج سرعة ٤٠ منها، بينها ١٢ مجرة تتباعد بسرعة ٨٠٠ – ١٨٠٠ كيلو متر بالثانية. وهومسون في مرصد ويلسون اكتشف سرعات هائلة، منها سرعة مجرّة في خط الكوكبة جميني Gemini تتراجع بسرعة ٢٥ ألف كيلو متر بالثانية، وهي تبعد عنا ١٥ مليون سنة نور. ولا ريب أن هناك مجرات أقصى من هذه وسرعتها أعظم.

وإذا جعلنا مجرتنا مركزاً ورسمنا حولها غلافاً كرويّاً نصف قطره مليون سنة نورية كان ما اكتشفته الأرصاد وراء هذه الكرة ٨٠ مجرةً تتباعد تاركة خلاءً وراءها لا تحتله مجرات أخرى غيرها بعدها. وقد استخرج هوبل من مجموعة ارصاده للمجرات قانوناً لسرعتها. وهو ان معدل السرعة ٥٥٠ كيلومتراً لكل مليون فرسخ والفرسخ ٣،٢٦ سنة نور. إذن المجرة التي على بعد ٣،٢٦٠،٠٠٠ سنة نور تتباعد بسرعة ٥٥٠ كيلومتراً. هذا قانون تقريبي وقد يكون فيه خطأ نحو ٢٠ بالمئة. وآخرون يزعمون أن معدل السرعة لكل مليون فرسخ يتراوح بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ كيلومتراً بالثانية.

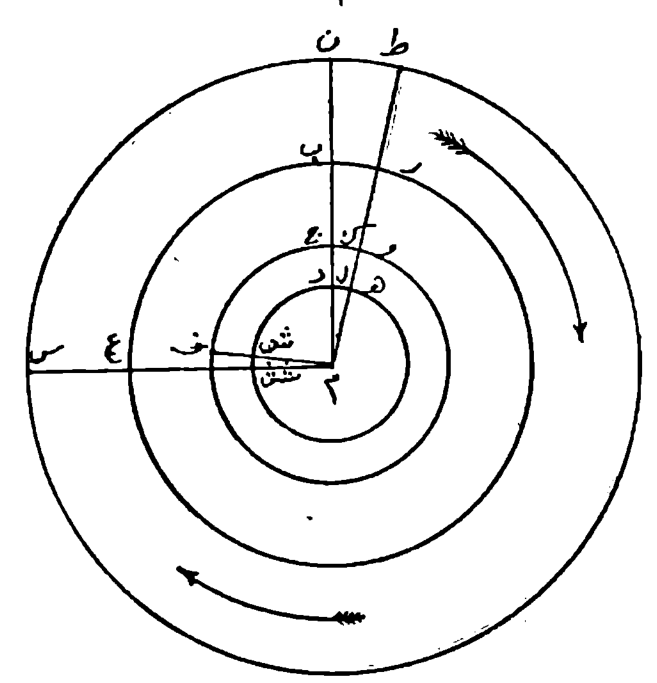
ثم حُسِب أن تباعد المجرّات باستمرار على هذا النحو يجعل أبعادها تتضاعف كل ١٣٠٠ مليون سنة.

ولعلَّ قارئاً يسأل كيف أمكن اكتشاف تباعد هذه الأجرام العظمى وسرعاتها ، وهي على أبعاد سحيقة ؟ فهل تستطيع المراصد أن تُري سرعتها وانتقالها في مدات قصيرة ؟

والجواب أن المراصد العينية لا يمكن أن تكشف للعين أبعاد هذه المجرات وسرعاتها وتنقلاتها . ولكن العلم الفلكي يعتمد على ثلاث وسائل لاكتشاف الأبعاد والسرعات بمساعدة المرصد العيني طبعاً . الأولى التصوير الفوتوغرافي ، فإن اللوحات الفوتوغرافية أو الأفلام تظهر ما خفي على العين . والثانية وهو الأهم ، المطياف (السبكتروسكوب) فإن انحراف الطيف فيه عن موضعه الأصلي يدل على بعد الجرم وسرعة ابتعاده أو اقترابه . والثالثة المقايسة بمقدار لمعان الضوء . ولكل من هذه الوسائل دروس قائمة بذاتها تقتضي التخصص .

كيف ينتفخ حجم الكون

والآن نشرح كيفية انتفاخ الكون بسبب تشتت المجرات وتباعدها بعضها عن بعض . وتسهيلاً للايضاح نلفت نظر القارىء الى الرسم . نتصوّر الكون كرة فارغة . ولنفرض أننا



قطعنا الكرة نصفين . والرسم يمثل سطح أحدهما عند القطع (السطح فقط) . فلنرَ الآن كيف يكون هذا القطع حيناً بعد آخر في أثناء تباعد المجرات . ولا يخفى أن الحيز محدّد بما فيه من أجرام . فكلما تباعدت الأجرام امطّ هذا الحيز . وإذا قلنا الحيز امطّ عنينا أن

الأجرام التي فيه مطّته بتباعدها . فلنعبّر عن تباعد الأجرام بانمطاط حيزها .

لنفرض أن المنطقة (في الرسم) التي بين هـ د ج و . على تمام الدائرة حول المركز م تمثل « قطع » الكرة الكونية في زمن من الازمان . والمجرات في هذه المنطقة دائرة في اتجاه السهام ، والمنطقة التي ضمنها حول م فارغة (عدم)، كما ان ما حول المنطقة فراغ (عدم) أيضاً

ثم لنفرض أن في جلدة الكرة أو قشرتها التي تسبح فيها المجرات . قوة دافعة ملازمة لها تمطها الى الخارج . فبالطبع تبقى تلك المجرات فيها ملازمة لها . فماذا نرى بعد انمطاطها

لتسهيل التصور تصوّر بالوناً أبيض من المادة المطاطة كالبالون الذي يلعب به الأحداث ، وقد رقط بنقط سود على أبعاد متساوية فيما بينها . ثم تصوّر إنك نفخت هذا البالون الى أن زاد قطره نحو ربعه أو ثلثه مثلاً . فماذا ترى ؟ ترى أن النقط السود قد تباعدت بعضها عن بعض نحو ثلث المسافة بينها أيضاً . وإنما تبقى نسبة التباعد بينها واحدة أي متساوية كما كانت قبلاً .

على هذا النحو تصوّر الكرة الكونية انتفخت في مدة معينة ، بحيث أن نصفها الداخلي اتسع فانتقل من هـ د الى و ج (على اتساع الدائرة) . وبالطبع ينتقل سطحها الخارجي و ج الى ر ب . وتصبح المنطقة الفارغة هي بين الدائرتين الداخليتين . فماذا تصبح نسبة المجرات بعضها الى بعض .

(تصوّر ان في منطقة القشرة بين دائرتين مليوني مجرّة منفرقة فيها).

المجرّة د تنتقل الى ج — والمجرّة ل تنتقل الى ك — والمجرّة هـ الى و . وهكذا الخ . وحينئذٍ لاحظ ان المسافة من د الى ل صارت المسافة من ج الى ك أي طالت . وكذلك المسافة د هـ صارت ج و . وهذه أطول .

ومعنى ذلك إنه في مدة الانتقال كانت ل تبعد عن د قل ٥٠٠ كيلومتر كل ثانية مثلاً . ولكن هـ كانت تبعد عن د ١٠٠٠ كيلومتر كل ثانية، لأنها بعيدة عنها مضاعف مسافة ل د اذا صارت د بعد ١٣٠٠ سنة نور عند ن وصارت ل عند ط تصبح المسافة بينهما مضاعف د ل

بعد هذا الشرح تفهم كيف أن المجرات كلما كانت بعيدة عنا تراءت لنا أسرع، مع انها جميعاً تبتعد عن المركز م بسرعة واحدة . وإنما في أية مجرة من مجرات الكون الأعظم كنا نرى هذه الظاهرة بعينها ، أي أن المجرة القصوى أسرع ابتعاداً بالنسبة الينا . ولكن ليست كذلك بالنسبة الى مركز الكون الأعظم

هذا المط أو الانتفاخ لا يقتصر على حجم الكرة فقط بل يلحق جلدتها أي سماكة محيطها أيضاً . أي أنها فيما هي تنتفخ جلدتها نفسها تسمك أيضاً .

لما انتقلت الجلدة من ف ع إلى ع س صارت أسمك . وإنما نسبة نصف القطر الفراغي م ف الى نصف القطر الشامل للجلدة م ع تبقى واحدة هكذا : — $\frac{م ف}{م ع} = \frac{م ع}{م س}$ دائماً وهذا ما اكتشفه اينشطين كما اقتضته نسبيته . ومنه استخرج ثابت الدفع الكوني Cosmic Repultion = λ وأضاف هذا الثابت الى معادلة الجاذبية النيوتونية

فاذا رمزنا عن الشعاع (الراديوس) أي نصف القطر الفراغي م ف بالحرف ش ، وعن الشعاع الشامل الجلدة م ع بالحرف شش ، كانت النسبة بينهما بحساب اينشطين وآخرين هكذا

$$شش = ش \times \sqrt{٣}$$

أو ٣ ش^٢ = شش^٢ . وقد حسب اينشطين « الدافع الكوني الثابت هكذا س = $\frac{٣}{شش}$ باعتبار أن س رمز لهذا الثابت λ

وقد حسبوا الشعاع المتوسط قبل ابتداء الانتفاخ فوجدوا أنه كان ١٠٦٨ مليون سنة نورية . ويقال إنه امتدَّ حتى الآن خمسة أضعافه فأصبح ٥٣٤٠ مليون سنة نور ، فيكون محيط الكون الأعظم نحو ٣٢٠٠٠ مليون سنة نورية

صلة الشعاع بمحيط الكون

ولكن أحقيقي أن شعاعة نور تصدر من أي جرم تطوف الكون أم أنها تعبر الفراغ الداخلي من جنب الى جنب متخذة أقرب مسافة ؟

والجواب أنها لا تستطيع أن تعبر ذلك الفراغ لأن الجو الجاذبي في جلد الكرة الكونية التي نحن بصددها أقوى جداً منه في الفراغ الداخلي ، فلا تدعها تخرج الى الفراغ بل تضطرها أن تسير في الحيز الكوني (الجلدة) متخذة خطاً منحنياً كانحنائه . وقد برهن اينشطين انحناء خط النور في الجو الجاذبي وأيدت الأرصاد برهانه .

وهنا قد تخطر في بال القارىء هذه الفكرة . وهي : ان أشعة النور التي تصدر من أي مكان تطوف حول الكون وتعود بعد ٣٢ ألف مليون سنة الى حيث صدرت . فلو استطاع انسان أن يخترع مرصداً قوياً جداً بحيث يمكنه أن يتبين به الأشباح عن هذا البعد السحيق — لأمكنه أن يرى بمرصده هذا بعد ٣٢ الف مليون سنة (عمر طويل) طيف ظهره . أحقيق هذا ؟

نعم انه حقيق إذا كان حجم الكون ثابتاً لا يتسع ولا يضيق كما حسبه اينشطين أولاً ، ولكن إذا كان حجم كرة الكون الأعظم ينتفخ كما قال ديستر ولامتر ، فالشعاعة لا تعود الى حيث صدرت لأن مصدرها انتقل من مكانه وابتعد كثيراً .

هذا ما يجيب به العلاّمة السير ادينغتون على هذا الخاطر. ولكن لهذا العاجز ملاحظة وضيعة على هذا الجواب (مع الاحترام الكلي المرحوم ادينغتون) تؤيد الخاطر الأول لنفس السبب الذي يستعين به ادينغتون وهو : —

نعم ان الكون منتفخ ومصدر الشعاعة انتقل من مكانه في الفضاء. ولكنه لم ينتقل من مكانه في الحيز الكوني المنتفخ. نعم أن الطريق الدائري الذي سلك فيه النور استطال وابتعد عن مركز الكون. ولكن النور ما زال ملازماً هذا الطريق (بحكم الجو الجاذبي كما تقدم القول) وسيّان عنده انتفخت دائرة هذا الطريق أو تقلصت فهو سائر فيها ملازماً لها في حالة تمددها.

وانما يبقى علينا أن نحسب حساب مسير المجرة (التي صدرت منها الشعاعة) في مجرى السدم الكوني المتتابع. فهذا السير لا يغير اتجاه مصدر الشعاعة وانما يبعده عن اقبال الشعاعة اذا أقبلت من ورائه، أو يقرّبه اليها إذا اقبلت عليه من أمامه.

كيف بدأ تمدد الكون وكيف ينتهي

نعود الآن إلى كيفية ابتداء تمدد الكون حسب نظرية لاميتر. المفهوم من نظرية لاميتر التي أيدها بالمعادلات الرياضية المسندة الى المعلومات عن ظاهرات الطبيعة وإلى الأرصاد الفلكية — أن الحيز الكوني ابتدأ تجمعاً كثيفاً جدّاً حين تكوّنت الهيولى فيه كهارب وبروتونات. وهي تدور دورات محورية ودورات مركزية. أي أن أفرادها كانت تدور على محاورها، وجماعات منها تدور عن محاور مجموعاتها. ثم لما صارت تتباعد عن المركز بقوّة الدافع الكوني Cosmic Repultion (وما هو إلاّ قوّة الابتعاد عن المركز Centrefugal) شرعت الجماعات تدور حول مراكزها وكلها حول المركز الأصلي

وما زالت تتباعد حتى أصبح ما حول المركز فراغاً، وما زال الفراغ يتسع وقشرته الهيولية تنمط إلى أن انفجر فتمزقت قشرته الى مجرّات كما تنفجر فقاعة الصابون إذا تمادت في نفخها، واستقلت كل منها عن الأخرى واتسعت الرحاب بينها لتباعدها هي. وإنما بقيت قوة الجاذبية بينها كافيــة لحفظها في غلاف الحيز الكوني. ولا يزال هذا الحيز الكوني ينتفخ على هــذا النحو برأي لاميتر ودي ستر وفريدمان أيضاً، وسينفجر انفجاراً ثانياً يتضعضع فيه توازنه الحالي، وتتشتت المجرات تشتتاً فوضويّـاً، وتشرد في الفضاء اللامتناهي

في هــذه الحالة يصبح التباعد بينها أسرع فأسرع الى أن يتجاوز سرعة النور. فلا تعود المجرّة الواحدة ترى طيف المجرّة الأخرى لأن نور هذه لا يدركها.

وثمّ ماذا ؟

في رأي بعضهم ومنهم السير جايمس جينز : حينئــذٍ تكون أجرام الكون قد ذابت

أو قاربت الذوبان بفعل التشعع الذي تنطلق به القوة وتتلاشى الذرات في فوتونات . وحينئذٍ قد تعود ذريرات الهيولى إلى تجمع آخر كتجمعها القديم لكي تعيد عملية تكوين الكون : إما طبق الأصل ، أو على نمط آخر ، الله أعلم كيف يكون .

هل التمدد عام ؟

بقيت نقطة جوهرية قد تلوح في خاطر القارىء المفكر وهي : إذا كان الدفع الكوني Cosomical Repultion سنة الوجود كسنة الجاذبية ، أفلا يعمل عمله في المجرات نفسها، ثمّ في الكوكبات العنقودية ، ثم في النظم الشمسية (إن كان ثمت نظم أخرى غير نظامنا الشمسي) وإذا كان يعمل عمله فيها فلا بدّ إذاً أن تنتفخ أحجام المجرات بنوبتها فتنتفخ أحجام الكوكبات وينتفخ حيز النظام الشمسي بنوبته أيضاً . وبالاجمال يكون هذا الانتفاخ عامّا على نسبة واحدة، تنتفخ كل جماعة مادية، كل على حسب قدرها

أجل إن هذه الملاحظة وجيهة جدًّا . ولكن الواقع يناقضها . قد تقول أرني كيف يناقضها فأقول : إن هذه النظرية قاتلة نفسها بنفسها لأنه لو كان الإنتفاخ أو التمدد عامّا بنسبة واحدة لكل سديم وكل جرم في كل جماعة ماديّة على قدرها ما كنا ندركه بتاتاً، ولا نحس به ولا نميزه، لأنه حينئذٍ يتمدّد المتر الذي نقيس به، والذراع والباع والكيلو متر والجزيء والذرة والكهرب والبروتون حتى الفوتون الخ . . والكرة الأرضية والسيارات والشمس الخ . وبالتالي أجسامنا نفسها تتمدّد وعيوننا تتمدّد ونظرنا يتمدّد الخ . فكيف نستطيع أن نميز هذا التمدد إذا لم يبق شيء في الوجود لم يصبه هذا التمدّد على نسبة واحدة ؟

فكون أرصادنا تدلنا على أن الأجرام تتباعد بعضها عن بعض لهو دليل واضح على أن الأجرام نفسها لم تتمدّد بنسبة تمدّد الحيز الذي تتحرك فيه .

فالمجرّات تتمدّد أقل من تمدّد الحيز الكوني . وكوكباتها Constelation تتمدّد أقل منها ، والأنظمة الأخرى أقل فأقل كلما تجاوز الى الأحجام الصغيرة حتى إنك تجد بعضها لا تزال في دور التقلص .

حاشية — نلفت نظر القارىء إلى أن هذا البحث وأمثاله من البحوث التي يطمح فيها العقل البشري الى استكناه أسرار الوجود لا تعتبر في حكم المؤكد ، حتى ولا حكم الراجح، لأن المعلومات العلمية والأرصاد والاستكشافات التي بنيت عليها ليست حقائق راهنة، بل هي تقريبية. وربما تيسر لأهل العلم أن يزيدوها تأييداً، أو يعدّلوها، أو ينقحوها، أو ينفوها بتاتاً بما يستجد عندهم من معلومات أصح وأقرب الى الحقيقة . والله فوق كل ذي علم.

نقولا الحداد

لو نضب البترول

استخرجناه من الماء والهواء والصخور

يقول معظم العلماء الجيولوجيين أن البترول الأميركي ينفد في نحو ٣٠ سنة ، وبترول سائر العالم ينضب في أقل من قرن . ثم يتساءلون : ماذا نفعل حين نكون قد استهلكنا جميع موارد البترول في العالم .

ويظن بعضهم أن استخراج البترول من الفحم وغيره يتيح للعالم أن يستعيض بالبترول الصناعي الكيماوي عن البترول الطبيعي . ولكن الفحم نفسه مقبل على النفاد أيضاً واستقطار البترول منهُ كثير النفقة . فلا ملاذ باستخراج البترول الصناعي لأننا نكون كالمستجير من الرمضاء بالنار .

والحق يقال إن هذه المسألة حيوية جداً للجنس البشري لأنه يعتمد الآن على البترول في استخراج الطاقة واستعمالها أكثر من أية مادة أخرى ، وكأن « اللحاف » الذي كانت الدول تتنازع أطرافه في هذه الحرب الأخيرة هو البترول . فلك أن تقول إنه لولا بترول رومانيا والقوقاس وأوكرانيا وايران والعراق وبلاد العرب وغيرها لربما لم تشب الحرب

تقاتلت الدول على البترول ، وفي قتالها استهلكت البترول . وقبل ذلك كانت تتقاتل على الفحم ، والفحم استهلكت في قتالها . والانسان نفسه الذي يخاف من نضوب البترول يستهلك البترول باسراف لا حدَّ له . فلا بدع أن يتخوَّف من نضوبه

فما العمل متى نفد البترول والفحم وهما المعوَّل عليهما في الوقيد لاستخراج الطاقة للسيارات والطائرات الخ ؟ إن الذين قالوا بنضوب ينابيع البترول قالوه لاعتقادهم أن البترول مخزون في بطن الأرض بقدر محدود . ولا بد أن يفرغ . من قال لهم هذا ؟ وكيف استنبطوه ؟

يسمون مصادر البترول ينابيع . والينبوع يشح أحياناً ثم يفيض ، ولكنه لا ينضب بتاتاً ، لأن الوارد إلى مصدره من باطن الأرض لا ينقطع ، فهو كينبوع الماء ما دام الثلج والمطر يقومان على الجبال ويتغلغلان في شقوقها فالنبع لا ينقطع .

البترول كذلك . الطبيعة التي صنعت البترول الذي نستنفده باسراف لا تزال تصنعه ولن تزال . فما هو من صنع زمن محدود من الأزمنة ثم توقف صنعه ، حتى نقول إنه

يفرغ . الطبيعة تعمل اليوم كما كانت تعمل منذ مليون سنة . ومواد البترول مقتصرة على ثلاثة عناصر : الأكسجين والكربون والهدروجين . وهي عناصر موجودة في الطبيعة بغزارة لا حد لها . بل لك أن تقول : إن معظم مادة الأرض مؤلف من هذه العناصر الأكسجين هو العنصر الأوفر في ماء البحار والأنهار والينابيع وفي المواد الترابية أيضاً وفي الهواء . والهدروجين موجود أيضاً في الماء والمركبات الترابية . والكربون هو العنصر المهم في الحجر والتراب « هو كربونات الكلس » . إذن فالطبيعة غنية غنىً فائقاً بالعناصر التي يتألف منها البترول . والطبيعة أمهر كيماوي ، وصدرها أعظم معمل كيماوي . فتصنع البترول على التوالي بالطريقة التي لا نزال نجهلها ، وقد نعلمها في المستقبل .

هذا رأي معظم العلماء في أصل البترول . وهناك فريق يظنون أنه من تصفيات المواد العضوية المخزونة في قلب الأرض كالفحم الحجري منذ ملايين من السنين . وقبل التقلبات الجيولوجية التي طمرتها كانت نباتات على سطح الأرض . ولكن هذا الرأي من حيث البترول لا من حيث الفحم أضعف من الرأي السابق لاعتبارات لا محل لشرحها هنا .

يمكن أن يشح مورد البترول ولكنه لا ينضب نضوباً تامًّا لا في قرن ولا في قرون، ما دامت الطبيعة تعمل أعمالها من غير أن تستشير الإنسان .

ثم يسأل سائلٌ أين يذهب البترول والفحم متى احترقا ؟ هل يفنيان بتاتاً ؟

من سنن الطبيعة التي لا تتغير أن الطاقة « أي القوة » كالمادة لا تفنى ، بل تتحوَّل من حال إلى حال . وهكذا البترول والفحم متى احترقا تحوَّلا إلى غاز (بخار) الحامض الكربوني وبخار الماء ، ثم يذهبان في الهواء . فيتغذى بهما النبات ، والنبات بعضه طعام الإنسان والحيوان البري والبحري . وبعضه يُستَحطب ويصنع منه فحم صناعي للإحراق أيضاً . والحيوانات بنوبتها كالنباتات : غذاء بعضها لبعض . وغذاء الإنسان أيضاً . ومتى ماتت الحيوانات والنباتات وبليت تحوَّلت بنوبتها الى غاز الحامض الكربوني وبخار الماء . وهكذا تدور الدائرة الى الأبد .

فإذا كان الفحم والبترول المحترقان يُعدَّان غذاء للنباتات فالحيوانات ، فإذن لابدَّ أن تكون النباتات قد زادت على سطح الأرض عما كانت عليه منذ بدء استعمال الفحم والبترول والإنسان ينتفع بهما بعد احراقهما على كل حال ، والأحياء زادت على سطح الأرض وفي البحر . فما ذهبت المادتان سدىً كما يظن .

وإذا كان العلماء يستطيعون أن يستنبطوا البترول من الفحم فلا يعجزون عن استخراجه من الصلصال والماء ، لأنهما يحتويان على مواده أو عناصره الثلاثة التي ذكرناها آنفاً ، كما

استطاعوا أن يستخرجوا الكوتشوك من اللبن ومن مواد أخرى ، وكما أنهم حولوا الخشب إلى خيوط للنسيج وإلى كحول (سبيرتو) وإلى سكر ونشاء ، وكما جعلوا من الزجاج خيوطاً وأنسجة ، وكما استطاعوا أن يعملوا أشياء كثيرة كأنها عجائب هذا الزمن .

لا تخف على الانسان من نضوب البترول . ففي الطبيعة قوات أعظم جداً من البترول . فيمكن الإنسان أن يعتقلها ويستخدمها . ما أغنى عالمنا بحرارة الشمس وما أغناه بقوة الجاذبية ، وكلاهما طاقة عظمى . حرارة الشمس ترفع الماء بخاراً ، والجاذبية تسقطه أمطاراً ، والأمطار تجري أنهاراً . والانسان يستخرج من مساقط الماء قوات لا حدّ لها . الحرارة ترفع والجاذبية تحط . وبين الارتفاع والنزول طاقة لا قياس لها ، وقوات لا تنفد . فلينضب البترول وليفرغ الفحم . البركة بالجاذبية وحرارة الشمس ، فهما يغنيان الإنسان عن كل قوة مهما بدّد وأسرف . ولا نغفل عن قوة الرياح ، وقد استعملها الانسان منذ القديم في مطاحن الهواء ، ويمكنه أن يستعملها بقدر عظيم في استنباط الطاقة .

وهذه الرياح هي أيضاً طاقة وليدة حرارة الشمس وقوة الجاذبية . هبوط الحرارة عند القطبين يجعل الهواء هناك بارداً ثقيلاً ، وارتفاعها عند خط الاستواء يجعله سخناً وخفيفاً « متمدداً » والثقيل يهجم على الخفيف على سطح الأرض . والخفيف يرتفع ويجري فوق الثقيل الى الوراء لكي يحل محله . وهكذا الحرارة والبرودة يأخذان الهواء ويردانه . بين القطبين وخط الاستواء ويحدث من جراء ذلك تياران رئيسيان من الرياح ، الواحد من القطب إلى خط الاستواء ، والآخر عكسه من فوقه . ومن هذين التيارين تتفرع الرياح الأخرى المختلفة ، فللانسان من تيارات الرياح حركة عظيمة يستطيع أن يستخدمها .

وهذه الرياح تهيج البحار وتحدث الأمواج . وهذه حركة أخرى عظيمة يستطيع الإنسان أن يعتقلها ويستخدمها .

وهناك حركة الأمواج بسبب المدّ والجزر ، وهي حركة عظيمة أيضاً . وقد استخدمها الانسان في بعض الأحوال ويمكنه أن يستخدمها في محلات كثيرة ملائمة .

لم نغفل عن الطاقة الذرية ، فقد أصبحت في قبضة الإنسان ، وبعد بضع سنين تكون في خدمته ان شاء الله . ولكن فيما تقدم كفاية من الدلالة على أن في قوات الطبيعة غنى للإنسان عن الطاقة الذرية سواء قبض عليها أو لم يقبض .

لا يفتقر الانسان الى الطاقة — لا إلى طاقة البترول ولا الى طاقة الفحم . فقوات الطبيعة موفورة له . وهي تحت تصرّفه . الإنسان لا يحتاج إلى شيء من بركات الطبيعة . وإنما يحتاج الى شيء واحد من بركات الله — وهو الضمير .

الحرية والعبودية

التقت ذات يوم العبودية الشيخة بالحرية الطفلة . فابتسمت العبودية تحت جبهة كالحة وعينين مزمهرتين ، وقطبت الحرية على محيا وضاح . وأمسكت تلك بيمين هذه فنفرت الحرية قائلة : — دعيني ما شأنك بي ؟

فقالت العبودية : إني أحرسك من أي شر

فقالت الحرية :— زه . زه . أحارستي أنت أم آسرتي ؟ إني أريد القمر وأنت تمنعينني عنه أو تمنعينه عني

فقهقهت العبودية وقالت..ويحك أأنا أمنعه عنك أم عجزك يمنعه؟ أريدي ما تستطيعينه إن كان يفيدك

— أريد أن أداعب هذا الحمل في الزرع

— لا أسمح لك ، لأن في المزارع ثعباناً يلدغك فتموتين

— أو لا يلدغ الثعبان الحمل

— الحمل يعرف الثعبان فيهرب منه . وأما أنت فلا تعرفينه . وقد تحسبينه ألعوبة وتقبضين عليه ليرتد عليك ويلدغك

وقحمت الحرية الطفلة الى المرجة بين الزرع فما لبثت أن خمشتها الأشواك . فارتدت والدم ينزف من ساقها . وأخذت إلى البيت . وضمدت وعصبت ساقها.

ثم انتابتها حمى . وأمر الطبيب أن تعطى دواء . فأبته وولولت ونفرت . فانبرت العبودية تنصح لها أن لابد عن أن تجرع الدواء وإلا ، فتموت . فنفرت ولعنت العبودية والطبيب والناس كلهم لأنهم يضيقون عليها الخناق . وأخيراً قبضت العبودية عليها وجرعتها الدواء رغم أنفها . فسخطت وقالت : لعنة الله عليك . ما الذي جاء بك لكي تقيديني هكذا ، ثم تقولين إنك حارسة لي ؟. ما إسمك ؟

— إسمي « رمز الاستعباد » — تباً لهذا الإسم الشنيع ولعنة الله على هذا الجسم الفظيع . من أين جئت أيها الرمز المريع

— جئت معك من حيث جئت أيها الحر يا رمز الحرية

— تبًّا لك . لم أردك ، ولم أصطحبك

— لا تستغني عني . إني الى جنبك أينما كنت

— استغني عنك، إني حرّ

— لستَ حرًّا . لقد جئت الى الوجود رغم أنفك . لو خُيِّرت هل كنت تأتي ؟

— بالطبع آتي . ولِمَ لا ؟

— وبالطبع أنا آتي معك . إني موجود قبل أن توجد أنت . نحن توأمان

— ولكني لا أرى لي حاجة بك . ولا وظيفة لك معي

— لي وظيفة أهم من وظيفتك . أنت تخطىء وأنا أصحح خطاءك . أنت تتهوّر وأنا أتفادى تهوّرك. وأنت تشرد وأنا أعدل طريقك. أنت تضل وأنا أردك إلى الصراط المستقيم

* * *

وأرسل رمز الحرية إلى المدرسة ، فكان تارةً يتمنع ورمز الاستعباد يرغمه، وأخيراً قال إني أكره المعلم لأنه يلزمني أن أحفظ تاريخ فرنسا وجغرافية فرنسا . فمالي أنا وفرنسا . لو كان تاريخ مصر وبابل لربما احتملته

وكان رمز الحرية يذاكر في البيت وإذا راديو الجيران يصخب في أذنيه وأبواق السيارات وعجلاتها تدوّي في دماغه . فخرج إلى الشرفة ونادى : « ياهو، ياجيران » فخرج إليه جارٌ من شرفته : ما الخبر

فأجابه رمز الحرية : ألا أقفلوا الراديو حالاً، لأني أذاكر والصوت يصمّ تفكيري

فأجاب الجار : لا نقفله . نحن أحرار في بيتنا

فما كان من صاحبنا رمز الحرية إلاّ أن دخل الى مطبخه ، وأتى بصفيحة بترول فارغة ومدقّة الهاون وعاد الى الشرفة ، وجعل يقرع الصفيحة قرعاً عنيفاً . ودوّى القرع في الشارع حتى ملأ بيوت الجيران . فخرج السكان يتساءلون ما الخبر . ولما رأوه جعلوا يتغضبون ويسخطون وينتهرونه لكي يكف عن القرع فقال : إني حرّ في بيتي .

ثمّ جاءه رمز الاستعباد وجرّه إلى غرفته قائلاً : ما هذا الفعل الجنوني الشنيع ؟ قال أما أنا حرٌ في منزلي كما هم أحرار في منازلهم . هذه صفيحتي تضج كما أن الراديو عندهم يصخب

ثمّ ملأ الصفيحة ماء وجعل يرش الماء على العربات المارّة في الشارع . فصعد إليه بعض الحوذية . فأوصد بابه دونهم. فمضوا ثمّ عادوا إليه ومعهم بعض الشرطة ليأخذوه الى دار الشحنة . فتمنع . ولكن قوّته دون قوة الحكومة . وساقوه الى أمام المأمور

أو بالأحرى الآمر . واستجوبه هذا . فكانت أجوبته أنه فعل فعلته لكي يحرّم المركبات أن تمرّ من تحت داره . لأنه لا يطيق دويها المزعج وزميرها المفزع . فقال له المأمور . « الشارع ملك الجمهور . والناس أحرار أن يمروا فيه كما يشاؤون . فإن كان دويّ المركبات يزعجك فانقل دارك الى حيث لا مركبات »

ثم استدعاه القضاء الى محكمة المخالفات . وهناك لم ينكر أنه كان يرش الماء من شرفته على المركبات . وذكر السبب . فلم يبالِ القاضي بأسبابه وحكم عليه بغرامة ٢٥ قرشاً ، فاعترض وماحك . فضاعف القاضي الغرامة . وندّد بالمحكمة فزاد القاضي الغرامة أضعافاً

وأخيراً جرّه رمز الاستعباد إلى خارج المحكمة قائلاً له: صمتاً وإلاّ حكمت المحكمة بالسجن .

فقال رمز الحرية : هذا ظلم يا ناس . أما أنا حرّ في بيتي وأن أزجر من يزعجني ؟

فقال رمز الاستعباد : لا . القانون يقيد حريتك

— تبّاً لهذا القانون الذي يقيد الحريات ويسمح لأناس أن يزعجوا آخرين

— القانون لكل إنسان ولكي يحمي كل إنسان . والشارع لكل الناس . فليس لك أن تمنع أحداً من المرور فيه .

— ولكن ليس لمن يمرّ في الشارع أن يزعج السكان .

— ارفع ظلامتك الى الحكومة .

— الحكومة عالمة بازعاج المركبات لسكان الشارع . فلماذا لا تمنع هذا الازعاج ؟

— الحكومة لا يمكنها أن تفعل غير ما هي فاعلة . فإذا كنت لا تطيق ضوضاء الشارع فانقل دارك الى الصحراء حيث لا ضوضاء . هذه سنة الاجتماع . لا حرية إلاّ بإزائها عبودية . فان لم تعجبك هذه السنة فاخرج من هذا المجتمع .

وبئس هذا المجتمع الذي يزعج أهلهُ أليست لك حيلة فيه ؟ أين سلطانك يأمر الناس أن يكفوا عن الضجيج والقرقعة . ألا تتأمّر إلاّ عليّ وأنا الساكن الهادىء . لماذا أيها المستعبدون لا تستنبطون اجتماعاً بلا ازعاج

— لا وسيلة لاجتماع بلا ازعاج إلاّ إذا كان أهله حجارة صمّ لا تتحرك . ما دام في الوجود أجسام تتحرك فلا محيص من الاصطدام . امنع المركبات ان تمرّ في الشارع وامنع السابلة أن تسير في الطريق تقف الحركة ويصبح المجتمع جاداً وأنت تصبح فيه حصاة . هناك طريقة واحدة لتخفيف الضوضاء عن دماغك وهي أن تفرش مصلحة التنظيم بطن الشارع ببساط من الكوتشوك ، أو ان تحدّد مواعيد معينة لاستعمال الراديو ومرور المركبات في حين لا تكون أنت مذاكراً ولا نائماً . واذا رأيت ان لا بدّ من ترتيب الأوقات

للاعمال ولكل حركة في المجتمع أصبح الناس كالآلات لا يعملون الا حيث يسمح لهم نظامك أن يعملوا ، ويلهون حيث يسمح لهم أن يلهوا ، وينامون حين يسمح لهم أن يناموا ، فكأنهم عبيد لإرادتك .. والحقيقة أن الناس في هذا العصر مقيدون بأنظمة تجعلهم بلا حرية كالجنود . المجتمع حركة صاخبة يجب أن تسير معه في صخبه وضوضائه وان تقنع بالنعيم القليل الذي لك فيه وبزهيد مسراته ويسير الراحة فيه .

***

ثم جاء شرطي يدعوه الى دار التجنيد (القرعة) فقال له رمز الاستعباد : أجل يجب أن تجند لكي تدافع عن الدولة إذا وقعت تحت خطر حرب مع دولة أخرى غازية بلادك

— زه . زه . لا أريد أن أحارب . لا أريد أن أقتل أحداً لأني لا أريد أن يقتلني أحد. لقد سبكت الآية الذهبية في دماغي : « لا تفعل بالناس ما لا تريد أن يفعلوه بك » هذه آية الحق والعدالة والصواب . وبالحرص على هذه الآية يستتب السلام على الأرض .

— إذا لم تحارب وتقتل خصمك يحاربك خصمك ويقتلك . يجب أن تقتل قبل أن تقتل

— تباً لك من ناصح شرير . ليس لي خصم أخاف أن يقتلني . انما أنت تخلق لي خصماً الآن .

— ليس لك خصم . ولكن لأمتك خصوم وأعداء . والأمة لا يمكنها أن تتقي شر الاعداء الا بالاستعداد لمحاربتهم . ولذلك تجند الحكومة جنوداً وتسلحهم . وأنت واحد من الأمة فلا بد أن تتجند لكي تحارب إذا شبت الحرب .

— لا أتجند ولا أعرض نفسي للقتل

— إذا تجنبت أن يقتلك العدو قتلتك حكومة أمتك لأنها تحسب تخاذلك أو فرارك من الجندية خيانة عظمى تستوجب الموت

— تباً لها من أمة شريرة قاتلة . لماذا تريد أمتي أن تقاتل ؟

— لأن لها عدواً يريد أن يغزوها ويستعبدها ، فتجند شبابها لكي يدافعوا عنها

— ولكن لماذا هذا العدو يريد أن يغزو بلادي لكي يستعبدها . ألا يؤمن بالآية الذهبية

— يؤمن بها . ولكنه يظن أن أمتنا عاجزة عن أن تدفعه عنها فيحاول أن يغزو بلادنا ويملكها وثم يستعبدنا . فإذا لم نستعد لمقابلته بقوة أقوى من قوته كان هو الرابح ونحن الخاسرون . لذلك نحن المؤمنون بالآية الذهبية يجب أن نفعل بغيرنا ما يريد غيرنا أن يفعله بنا . فآيتك الذهبية ماشية على الجنبين في كلا الحالين . حاربت أو لم تحارب .

— ولكن لماذا هذا العدو معادينا ويريد أن يملك بلادنا ويستعبدنا ؟ ألا يعرف الآية الذهبية

— يعرفها جيداً . ولكن إذا كان يعتقد أننا لا نقدر أن نفعل به ما يريد أن يفعله بنا فلا يبالي بالآية الذهبية ، لذلك يجب أن نضرب بالآية الذهبية عرض الحائط ، قم تجند ..

— عجباً . ألا يفهم هذا العدو العدل والحق ؟

— يفهمهما جيداً . ولكنه يؤثر الغنيمة على الحق والعدل . فيذبح العدل والحق لكي يأكل لحمهما وينتعل جلديهما ويكتسي صوفهما

— عجباً . عجباً كيف يفعل هذا ؟ أما هو انسان ؟

— هذا هو الانسان يا عزيزي . إنسانٌ ضارٍ . لا يزال حيواناً في طبعه . وما كان تفوقه على ابن عمه الحيوان بالذكاء إلا ليزيده الذكاء ضراوة

— عجباً . لماذا لا يزال حيواناً بطبعه الضاري وقد ارتقى جداً عن الحيوان ؟

— لأنه لا يزال ينازع أخاه الإنسان الرزق والبقاء

— الرزق ؟ الرزق في هذا الجرم الأرضي وفرٌ جداً . يكفي عشرة أضعاف سكانه . إن الكرة الأرضية تسع عشرة أضعاف سكانها الحاليين . فيها الآن ٢٥٠٠ الف مليون نسمة وهي تسع ٢٥٠٠٠ الف مليون . وفيها رزق لهذا العدد ولا أكثر منه . ألقِ نظرة على الخارطة تجد أفريقيا لا يزال سكانها لا يزيدون على مئة مليون أو ١٥٠ مليوناً وأراضيها يمكن أن تمون عشرة أضعاف هذا العدد اذا استعمرت . تجد في أوستراليا سبعة ملايين وهي تسع وتغذي سبع مئة مليون ، وفي نيوزيلاندا مليون ونصف وهي تسع وتغذي ١٥٠ مليوناً . قس على هذه أميركا الجنوبية والشمالية . وسيبيريا . وإذا شئت فالاسكا والقطبين وبلاد الاسكيمو وغيرها . كلها تصلح للعمران بفضل العلم الحديث الذي يوفر الدفء في بلاد الزمهرير والبرودة في بلاد الهجير . وحيث لا حيوان فهناك حيتان وكلها تنفع الانسان. العلم الذي يستغلّ البرّ ويزرع الصخر ويجني الرزق من الهواء يزرع البحر أيضاً ويحصده . والرزق من خضرة وفاكهة وحَبٍّ وغلة ولحم وطير وسمك لا يحتاج من عناصر الطبيعة إلا إلى أربعة : أوكسيجن وهيدروجن وكربون ونيتروجن وهي موجودة في الهواء والماء. وبعض الأملاح موجودة في التراب ، والعلم يستطيع أن يصنع من هذه المواد الإنسان والحيوان والنبات . العلم يستطيع أن يخلق بشراً من جبل المقطم أو من جبل لبنان . يمكن أن يحوّل القارات الخمس كلها إلى بشر . إذا كان هذا الإنسان الضاري يثوب إلى رشده ويستخدم قواه الجسدية والعقلية لتحصيل الرزق . يحصل رزقه وافراً بلا عناء ولا شقاء . فلماذا هذا الإقتتال الذي يفتك بالأجيال ويعذب الرجال والنساء والأطفال .

فقال رمز الاستعباد : — هذا هو الإنسان الأناني يا عزيزي . يريد الهناء بلا عناء

والبقاء بلا شقاء، يختطف رغيفه من فم غيره. والرغيف لا يأتي الى الوجود إلاّ إذا تعب الواحد بتحصيله مهما كان التعب قليلاً. ولكن في الناس من يريد أن يأكل رغيفاً من غير أن يتعب، فيختلس رغيف غيره. والناس ناهب ينعم ومنهوب يشقى. وكذلك الأمم: أمة تكدح، وأخرى تتمتع على حساب كدح غيرها. وهكذا أصبح العالم أمماً مستعمرة وأمماً تشقى في اتباع شهوات غيرها — هذا النزاع هو الحرب التي تريد أن تفر منها

فقال رمز الحرية: لو اقتصر الأمر على ما تقول ياسيدي المستعبد لقلنا إن سبب الحرب والقتال هو تنازع البقاء فقط، والحقيقة انه أمة طماعة تريد أن تتمتع على حساب شقاء أمة أخرى. وربما كان لهذا التنازع مبرر في شرع الأنانية وحب الذات. ولكني لا أرى هذا التنازع بين الأمم إلاّ حماقة وغباوة وجنوناً مطبقاً لأن الرزق وفر في الدنيا يكفي الطامع والقانع ولا يحتاج إلاّ لقليل عناء لكي يحصلاه. ويلوح لي أن هذا الإنسان قد جن ويحاول أن ينتحر. وعلى الرغم من وفرة الرزق في الدنيا فلا يزال فريق من الناس يشكون الجوع والفاقة. لا يشحذون القرش فقط بل يشحذون العمل أيضاً. والحاجة إلى العمل أصبحت شديدة ومع ذلك فملايين من العمال عاطلون. فلماذا ؟؟؟ أليس لأن هذا الإنسان قد اشتدّ به الطمع الى أن حرم أخاه الإنسان حق العمل لأنّ ما يطمع به من الكسب لم يعد يأتيه من عمل العامل فأوصد العمل في وجه العامل. والذي أراه أن سبب هذا العسف هو أن النظام الإقتصادي المالي أرعن أهوج لم يعد صالحاً للحياة الاجتماعية الحالية البتة. فالعملات صارت صعبة أي تتعذر مقايضتها بين أمة وأمة. وسُبُل السلع والمنتجات مقفلة هنا وهناك. والحركة التجارية بالإجمال مشلولة، بالتالي انشلت الصناعة معها لما بين الحركتين من قرابة. والعالم الذي صار في عصر العلم والاختراع جديراً بالراحة والهناء أصبح يعاني فاقةً وشقاءً. أليس عجيباً أن يكون في هذا العصر أناس يجوعون ويشقون والدنيا بألف خير. فأنا لا أرى هذا الانسان الذي يعدونه فوق الحيوان الأعجم عقلاً وذكاءً إلاّ حيواناً مجنوناً. ينتحر بلا سبب يوجب الانتحار فأنا لا أريد أن أنتحر. لا أريد أن أحارب. لا أريد أن أتجند. عني يا هذا

فقهقه رمز الاستعباد وقال: أجل كل كلامك حق وصواب. ولكنك أنت الآن في عالم كل أناسه مجانين. فإن لم تجن معهم قتلوك.

– لا بأس. الحياة في عالم كهذا شرٌّ من الهلاك. والموت فيه خيرٌ من حياة الجنون. الى الملتقى.

نقولا الحداد

قصة

ضريح

شهيدة الأمانة

كانت الساعة الواحدة بعد الظهر حين استظلّ الصياد وحماره القبرصي الصغير المسمى صفداً وكلبه مرجان وكلبته زمردة بجماعة من الشجر والأجم على مقربة من البحيرة . وألقى عند جزع الشجرة اثنتي عشر بطة وهي ما اصطاده منذ الصباح . ثم قدم العلف لحماره وكلبيه ثم لنفسه .

وبعد قيلولته قال للكلبة . احرسي الصيد يا زمردة وحاذري أن يقترب منه أحد . ولا تدعي الحمار صفداً يبتعد كثيراً في المرعى أو الهشيم . أنا ومرجان عائدان الى الصيد في جولة ثانية . هل فهمت ؟

فبصبصت زمردة بذيلها ولوت عنقها ونبحت نبحاً لطيفاً فعلم الصياد انها فهمت أمره وهي والكلب مرجان من نوع كلاب الصيد الضخمة الفخمة النشيطة . وهما يكادان يصارعان الأسد قوة وضراوة حين يغضبان في موضع الغضب. وينافسان الحَمَل وداعة في حال الرضى

وربضت زمردة الى جنب البطات تهضم طعامها وتنظر الى الحمار يقضم علفه .

وبعد حين لفت نظرها صوت ، فرأت ابن آوى على مسافة عشرين ذراعاً يقول لها : يا ابنة العم اني جائع منذ أمس الأمس وعندك كثير من الصيد، فجودي عليّ ببطة .

فصاحت به : أقلع عينيك وأفقع عقدة حنجرتك إذا دنوت مني .

فقال : هل البطات معدودات عليك فتخافين أن يكتشف سيدك واحدة ناقصة .

فقالت : صمتاً يا لص . معدودات أو غير معدودات ، أفلا أعلم أنا انها نقصت واحدة إذا أعطيتكها ؟

— إذا كان صاحبك لا يعلم فمن يعاقبك ؟

— اخرس . لا يعاقبني أحد غير ضميري . صاحبي أمّنني على صيده لأنه يعلم أني أمينة. والأمانة خلقة فيّ . فلا أستطيع أن أخون .

قال : لو جعت ألا تأكلين بطة من هذه البطات ؟

قالت : لن آكل ولو مت جوعاً . آكل متى أطعمني صاحبي . قال حقاً إنك مغفلة . إذا وقع تحت يد صاحبك وزنات من الذهب بعدد هذه البطات أفلا يختلسها ؟

قالت : لا أعتقد أنه يفعل . لأنه تعلم الأمانة مني .

قال : ولكن هناك ألوفاً من البشر خونة يأكلون بعضهم بعضاً ولا يعفون عن الاختلاس والخيانة إلا لسبب .

قالت — لأنهم لم يتعلموا الأمانة من الكلاب ولا ارتقوا بعد الى درجة الكلاب في الأخلاق . ما زالوا بشراً منحطين أخلاقاً في درجة الثعالب وبنات آوى .

— حقاً ويقيناً أنك غبية جداً . أيكون منحطاً هذا الانسان الذي استطاع بعلمه وذكائه أن يصطاد هذه البطات عن بعد عدة أذرع بقذائف ومفرقعات ؟ أيكون منحطاً هذا الانسان الذي غاص البحار ومخر الصحاري والقفار وركب الهواء وسبح في الفضاء واعتقل الأصوات والأضواء و ...

كفى كفى يا خداع . أجل فعل كل هذه ، ولكنه لا يزال منحط الضمير حقير النفس ولا بد من مرور عشرة آلاف سنة عليه حتى يصير أميناً مثلي . وقد مر عليه ألف ألف سنة منذ كان خبيثاً مثلك .

— ومنذ كم سنة كان انسانك مثل هذا الحمار ؟

— الى الآن لم يصر مثل هذا الحمار في الوداعة والمسالمة والصبر .

— إذاً أنت يا جاهلة عبدة لانسان أحط من الكلاب اخلاقاً ألوف السنين ودون الحمار وداعة . كان يجب أن تكوني أنت السيدة لأنك أشرف خلقاً وهو العبد لأنه أحط طبعاً

— لست عبدةً للانسان بل أنا صديقة له وصاحبته . وكلانا نتبادل الخدم . أنا صاحبة البيت وهو ضيفي . وإذا لم يكن مخلصاً وأميناً لأخيه الانسان فهو لي أخلص الخلصاء لقد تعلم الاخلاص مني . نحن معشر الكلاب أساتذة البشر في الأمانة والاخلاص والصدق.

فقال : أليس عجيباً أن هذا الانسان الذي « شطح » عقله هذه « الشطحة » العجيبة حتى انه تبوأ عرش الطبيعة وتسلط على عناصرها وقبض على نواميسها واعتقل قواها يبلغ القمة ذكاء وينحط إلى الدرك أخلاقاً . أليس هذا سراً غامضاً ؟

فقالت زمردة : حقاً إنه لسر غامض . ولكن يلوح لي أن الانسان كلما ارتقى عقلاً وذكاء نبغ في المكر والدهاء والدس . وهذه أدوات الشر والفساد ، فما أنت والثعلب أمكر الماكرين وبالتالي شر الشريرين .

وإذا بالثعلب مطل من وراء جذع شجرة فقال له ابن آوى : تعال اسمع هذيان هذه المغفلة

قال الثعلب سمعت الحديث من أوله . فهي غبية مخدوعة بهذا الانسان الذي يأكل لحم البطات ويرمي لها العظام . ونحن نستطيع أن نفعل مثله نأكل اللحم ونرمي لها العظم .

فنشطت زمردة ونزقت وسخطت قائلةً : والله أقطُ عنقيكما بمثل لمح البرق كما تقط السكين القلم . وهجمت عليهما . فجزعا وهرعا وهي تسمع الثعلب يقول ، سنبيّت لها مكيدةً تدق عنقها ونظفر بالبطات . وعادت بعد أن تواريا .

وبعد برهة عاد ابن آوى والثعلب وخاطباها من بعيد . فقال الثعلب : سمعاً يا هذه . نصيحة لوجه الله . عجلي بالرحيل الى شاطىء البحيرة لأن النار لعبت بطرف هذه الغابة ، والريح تهب الى هذه الناحية وستشتعل الغابة كلها ويلتهب هذا الهشيم الذي حولك . فارحلي عاجلاً ونحن نعاونك لنقل البطات .

فصاحت : لا تتقدّما وإلاَّ قضمت أوتار عنقيكما .

فقال الثعلب : أهذا جزاء نصيحتنا يا قبيحة . النار تضرب بأوراق الشجر والريح تسفيها الى هذه الجهة .

— نصيحتكما يا خادعين يا خائنين ؟ أهذه هي المكيدة التي بيّتماها لي يا منافقين ؟ أتظنان أني اصدقكما ؟ حتى الصدق منكما لا أصدقه .

— إذن فابقي هنا إلى أن يكذب صدقنا أو يصدق كذبنا . وثمّ تندمين على تكذيبنا حين تلعب النار بجلدك ثم بلحمك . كن شاهداً أيها الحمار على كذبنا وصدقها . وان كنت أعقل منها تقبل النصيحة لنفسك .

قال الحمار : لا أقبل النصيحة إلاَّ بالبرهان حين أشاهد النيران مشاهدة العيان .

— إذن فابقَ مثلها في ريبتك إلى أن لا تعود تنفعك توبتك . فما أنت أقل غباوة منها . أفما أنت حمار ؟ وهل يمكن وصفك بغير حمار ؟ وهل من حيوان «أحمر» من الحمار؟

وما مضت بضع دقائق بعد ان مضى ابن آوى والثعلب حتى سمعت الكلبة لعلعة اللهيب وراع الحمار قرقعة النار . فدهشا وشدها ، وجعلت زمردة تثب حول البطات هنا وهناك والحمار يتمنفص وهو يصرخ لها : بربك اقضمي رسني أو حلي رباطه عن ساق الشجرة أو عن رقبتي . إني أفزع من لعلعة اللهيب .

فقالت : ما هذه النار إلاَّ فعلة ذينك الشريرين ابن آوى والثعلب . لعنة الله عليهما .

وما عتمت ان شدّت طرف الرسن فانحلت عقدته وصار الحمار حرّاً فقال لها : هلمي بنا . اللهيب سترسل الى هنا .

أما هي فصارت تحوم حول البطات وتثب هنا وهناك . وكانت ريح صرصر عاتية

تسفي اللهيب الى ناحيتها . واشتدت الريح وصار اللهيب يندلع من فنن الى فنن ، كأنه البرق الخاطف . كان وراءها فإذا هو يلعلع قدامها .

أما الحمار فأسرع خارجاً من الغابة الى الغيط والتفت عسى أن يرى زمردة خارجة وراءه ظافرة بسلامتها . ولكنه لم يرها ولا سمع لها نباحاً فظنها تخرج من ناحية أخرى من الغابة . ولكنه لم يرَ إلاّ ابن آوى يثب هنا وهناك في الغيط أمام الغابة يعوي . فلما تقابلا قال ابن آوى ، أما رأيت ابن عمي الثعلب ؟

— لا . لعله بقي في الغابة فأكلته النيران .

— لا تخف على هذا اللئيم فقد كان أسرع من الريح في الخروج . ولكني أظنه وقد انطفأت النار وخمدت حرارتها عاد الى البطات ليأكلها مطبوخة . أين زمردتك ؟

— والله لا أدري لعلها خرجت من الغابة الى ناحية أخرى ثم رجعت بعد انطفاء الحريق لكي تحمي البطات من شركما .

— انها مفتونة بالأمانة والولاء فلابدّ انها راحت ضحيتهما . فماذا صارت قيمة ولائها ووفائها ؟ . مسكينة بنت العم . كم قاست وهي تحترق .

فقال الحمار — لا أظنها تألمت . أظنها ماتت اختناقاً قبل أن تحترق لأن اللهيب استنفد كل اوكسجين الهواء فلم تعد تستطيع التنفس أو تتنفس هواء بلا اوكسجين .

— لله درك من حمار فيلسوف كيماوي .

فقال الحمار : بالله تقول لي أليست هذه الحريقة فعلتكما انتقاماً من زمردة ؟

— حقاً انك لحمار تارةً وفيلسوفاً تارةً أخرى . أنى لنا النار حتى نضرم الهشيم والأشجار

— إذن كيف التهبت هذه الغابة ؟

— كان صياد يشوي صيده في طرف الغابة الآخر . فلما شوى وأكل ومضى سفت الريح بقية الجمر الذي تركه . فوقع الجمر على العشب اليابس فالتهمه . وثمت اندلع اللهيب في الغابة . وكنا نحن نراقبه عسى أن يكون لنا نصيب من صيده . فخاب مؤملنا ولم يبق لنا عشم الاّ بصيدكم . اني متريث الى أن تبرد حرارة الحريقة فأقصد الى حيث كنتم لعلي أصيب وليمة طيبة .

— وإذا كانت زمردة قد رجعت الى هناك تنشب أنيابها في « زورك » يلغي

— إن زمردة أصبحت فحمة . فقد قدمها القضاء والقدر محرقة على مذبح أمانتها . والأمانة لم تنتفع شيئاً من هذه الضحية . هل أنت شريكها في عقيدة هذه الأمانة .

— طبعاً . اني أميل لخادمي الانسان لأني صاحبه ونحن نتبادل المنفعة

• لما رأى صيادنا من بعيد دخان الحريقة يغمر تلك الناحية جزع إشفاقاً على زمردة

والحمار . فقال لـكلبه : هلمَّ يا مرجان . العودة إلى حيث تركنا زوجتك الصالحة .

وكأنَّ مرجان قد أدرك أن رزءًا ينتظره . فأسرع أمام الصياد وهو ينبح ويقفز بين الجمر والصياد وراءه ، الى أن بلغا إلى البقعة التى كانت مستودعاً لحبيبتهما . فاذا رأيا؟ وثب مرجان على زمردة فاذا هي جيفة «مفحـمة» ملقاة على البطات. وجعل يبكي كالطفل أما الصياد فوقف ذاهلاً ودموعه تتساقط كالمطر . ولم يسعه إلاَّ أن يشترك مع مرجان بالعويل .

ثمَّ جثا وألقى كفيه على جذع الشجرة ورأسه بين يديه . ثمَّ صلّى . وفعل مرجان مثله « سبحانك اللهمَّ جعلت من الحيوان الأعجم قدوة لنا في الأمانة والوفاء . ولكننا لا نتعلم هذه الفضائل ما لم تمنحنا أنت من لدنك روح الفضيلة ، حقّا يا ألله لا يزال البشر حيوانات منحطة في الأخلاق فرقـهم إلى أخلاق الـكلاب . فعسى أن تقل شرورهم وتكثر فضائلهم . أنت السميع المجيب

ثمَّ وقف وارتدَّ قليلاً : فارتدَّ مرجان وهو ينظر إليه ليرى ماذا عساه أن يفعل . فجعل يضع صيده القديم مع صيده الجديد في كيسه . فما كان من مرجان إلاّ أن وثب عليه وجعل يخطف البطات المحترقة . ويقذفها بعيـداً . ففهم الصياد أن مرجان لم يعد يطيق رؤية البطات التي كانت زمردة شهيدة في سبيل حمايتها

فرماها الصياد . ثمَّ حفر حفرة ووضع جثة زمردة فيها لـكي يدفنها . ولـكن مرجان انتشلها من الحفرة ونبح نباحاً شديداً كأنه يستنكر أن يتركها دفينة هناك

— أين الحمار يا مرجان . الحمار الحمار

فأسرع مرجان الى خارج الغابة وهو ينبح وبعد قليل عاد يسوق الحمار أمامه . فوضع الصياد جيفة زمردة على ظهر الحمار . ومضى الى داره

وفي حديقـة الدار حفر قبراً لزمردة ودفنها فيه ووضع عليه زهوراً . وأما مرجان فـكث أمام القبر ليلاً ونهاراً . وكان أحياناً يقطف الزهور من الحديقة ويضعها على القبر ولم يكن مرجان ليقبل طعاماً . فـكان الصياد يضع له الطعام على القبر فيفسد ولا يمسه .

مضى عشرون يوماً على مرجان صائماً ملازماً قبر زمردة إلى أن مات

فدفنه الصياد إلى جنب زوجته وكتب على ضريحه في لوح من المرمر

« هنا ضريح شهيدي الأمانة والوفاء » .

فأصبح الضريح مزاراً لأصدقاء الصياد الذين قرأوا هـذه القصة . فهل اعتبروا بهذه العبرة .

العزلة في رأس الجبل

محكمة العالم

مستعمرة المعتزل

قال الراوي : —

وكنت ممتطياً بغلاً من بغال الدير . وبغال الأديرة سمينة شديدة قوية اعتادت سلوك الوعور الجبليـة . وكان الطريق المطروق ما مهّـدته حوافر الدواب فقط ، ولا يسع بغلين يسيران معاً فيه . وكأنه سُلّـمٌ مختلفة الدرجات ارتفاعاً واتساعاً وانحداراً إلى جانب فالى آخر، أو كأنّـهُ خطٌ لولبي متعرج لا ترى بدايتهُ بعد ان تبتعد عنها ولا نهايته قبل أن تصل اليها . وفي بعض الأحيان كنت أرى في ذلك المنحدر الجبلي بعض مسالك طبيعيـة كأنها فروع للطريق حتى كنت أخاف الضلال فيها . على أني تركت للبغل حق الارشاد فيها لأنه أَلِف المسير في ذلك الطريق الوعر ، فأطلقت له الحبل على الغارب . وقلت « إني في قيادتك يا مرشدي » . وكنت في أول المرحلة أخاف أن تزلَّ أقدام البغل ، فيتهوَّر بي متدحرجين في تلك المنحـدرات إلى بطن الوادي العميق . ولـكني ما لبثت أن اطمأننت إذ رأيت البغل لا ينقل حافراً إلاَّ وقد أقرَّ الحافر الآخر في موطن أمين . ووالله لو كنت أسير ماشياً في ذلك الوعر المتغيِّر المصاعد لزلّـت قدماي كل خطوةٍ بعد أخرى، وما أمنت الوقوع إلى أسفل والترضض ، وربما فُتتات ، وقد لا يدري بجيفتي أحد سوى الضواري والـكواسر . ولـكن ذلك البغل كان يعرف كيف يضع قدمه فلا يزلّ .

وكنت أنظر الى المقام الذي أقصد إليه فأراه تارةً على مقربة ، وافتقده تارةً أخرى فاذا هو غائب عن بصري . وأحياناً كنت أظنني قد قاربت الوصول اليه فإذا بي أعد الدقائق بالعشرات وما زلت غير مدركه .

وكان رئيس الدير قد أنبأني أن مكاري الدير عائد من معتَـزَل المتنسك ، فإذا التقيت به ورغبتُ اليه أن يصطحبني . فما عليَّ إلا أن أبلغه أمرهُ بذلك فيترك بغله ويعود البغل وحده ، وهو يسايرني الى المعتزَل.

بعد نحو ساعة ونصف سمعتُ نباح كلاب يشعرني بأنها خطرة . فعلمت أني قربت الى

مستعمرة المتنسك، ولكني لما أرَ له شكلاً بعد. وكنت كلما تصاعدت اشتدَّ النباح حتى خفت أن تنقض عليَّ تلك الكلاب الضارية فتمزقني شرَّ ممزَّق. وأخيراً: —

وأخيراً أقبلت على جدار طويل مرتفع غير مستقيم ورأيت ثلاثة كلاب تطل كأنها أسود وقد هاجها منظري، واشتدَّ نباحها. وكادت تثب من الجدار عن علو قامتين أو أكثر. وإذ بشخص جبَّار المظهر مشمّر الردنين قد أطلَّ وهو ينتهر الكلاب. فما عتَّمتْ ان صمتتْ إلاَّ بعض نبحات متقطعة. ثم رأيت بوابةً في طرف الجدار الجنوبي قد انفتحت وخرج منها المكاري الذي ظننت أن رئيس الدير قد ذكره لي. ثم أوصِدت على الأثر. وكان الطريق قد عرض، فتجاوز بغلهُ بغلي. وصلتُ الى البوَّابة. وهي عريضة شامخة مصنوعة من قضبان من حديد متشابكةٍ عموديًّا وأفقيًّا. ثم ظهر من ورائها الرجل العملاق. وكنت أتوقع أن يعبس بي لما سمعت عن نفوره من الناس، فإذا ببشاشته الطبيعية تبشرني بحسن القبول. وتفرَّس بي وقال: —

أظنك تجهل قانون المملكة الذي لا يُنتقض.

فقلت: لا. بل علمت من سيِّد الدير: وهو أنه لايدخل الى هذا الملكوت العلوي بشر. وإنما زوَّدني السيد بتوصية قد يمكن أن تعطِّل القانون برهة.

ودفعتُ اليه وصية السيدْ من بين قضبان الحديد. وكان الرئيس قد قرأها عليَّ قبلاً، وهي: « زائر كريم أرجو أن تستضيفوهُ برهةً ».

قرأها ثم نظر فيَّ متفرِّساً وقال: ما هو الزائر الكريم؟

فقلت بنفسي: « أي الحيوانات أنا حتى يسألني عن نفسي بحرف « ما » لا بحرف « مَن » . وأجبتُ: إني من الانس لا من الجنِّ كما ترى.

قال: لم أعرف من بني آدم إنساناً سوى بضعة أفراد عبروا في فضاء التاريخ.

فقلت: ماذا بنو آدم إذن.

قال: هم من أهل الجحيم.

قلت على الفور، لقد شذذت أنا عن بني آدم.

— إذن من أي سلالة أنت.

لحضرني المنطق السديد في الحال وقلت: إني من سلالة الكلاب لا من سلالة الثعالب

فقال: استدعي أحد كلابي لكي أرى هل يتعرَّفك.

فوجف قلبي فيَّ وقلت لنفسي: إن هذا الناسك المجنون سينتقم مني بكلابه. وأجبت: اذا كانت لا تتعرفني فتكون من بنات آوى لا من أسرة الكلاب الصادقة

ثم نادى : أبجر . أبجر . أبجر . وفي الحال كان الكلب أبجر بين يديه هائجاً يزمجر كالأسد، فربت على كتفيه قائلاً له : هل ترى بين هذا الحيوان و بينك صلة القربى. فسكت الكلب وجعل يوصوص بذيله ويلحس سلام صاحبه . وقال لي ، مدّ يدك إليه. لا تخف ان كانت بينكما قرابة

فجزعت وقلت بنفسي : « ان سحق أبجر اليسرى تبقَ اليمنى . فلا أكن جباناً »

وأجبته : لا أخاف إذا لم تكن أنت من الآدميين يا أبجر . ومددت اليسرى وهو لا يزال يربت على كتف أبجر . فجعل أبجر يلحسها . فرُدَّت لي روحي التي كنت أظنها ضائعة في عالم الفناء فقال لا أظن أبجر يخطىء في تعرّف بني نوعه الأمناء . تفضل ادخل ، مرحباً بك .

وردّ مزلاج البوابة وفتحها قائلاً : لا تترجل عن هذا المخلوق المخدوم . دعه يدخل معك . فان له عندي كرامة الضيف

فدخلتُ ببغلي . ثمّ أوصد البوابة ومشى أمامي إلى أمام الاصطبل حيث ترجلت وأدخل البغل إليه . ثمّ أمسك بيدي يقودني ويقول : إن هذه البوابة لايدخل منها إلاّ الحيوانات الطاهرة القلب . وأنت أول حيوان أجنبي دخل إليها منذ نشأة هذا الملكوت، بشفاعة سيد الدير الذي له كرامة عندي ، لأن هذه البقعة من الجبل ملك الدير . وقد تفضّل الكاهن الورع بأن سمح لي أن أستعمرها إلى أن أفارق جحيم الأرض، فتبقى للدير معمورة جزيلة الغلة

فقلت : نعمّا ذلك السيد التقي الكريم . ونعمّا هذا المستعمر الفضيل .

وتمشيت على مهل أجيل نظري في تلك المستعمرة الفسيحة الوارفة الظلال وقد سحرتني مناظرها فلم أعد أنطق ببنت شفة ، وهو بقي صامتاً لا ينبس بكلمة كأنهُ حيوان ناطق قليل الكلام . لا يتكلم إلاّ مجيباً على سؤال أو خطاب . كذا ظننت . وكان يسايرني حيثما اتجهت من غير أن يوجّه وجهتي إلى ناحية

بقعة ، تحت قمة الجبل المرتفعة كبرج عظيم ، يكاد يتعذر الارتقاء إليها لشدة انحدارها، والبقعة تنحدر انحداراً في زاوية مع الأفق لا تقل عن ثلاثين درجة كما أظن . وقد مُهّدت بشكل مدرّج تتراوح سعة الدرجة فيه بين خمسة وسبعة أمتار وتتعالى بعضها عن بعض نحو متر ، وتكاد تكون مستقيمة الطول إلاّ حيث ناقضت طبيعة الأرض استقامتها . وأما الدرجة السفلى التي تعتبر كأنها صحن الدار فرحيبة، يتراوح عرضها بين ١٥ و ٢٠ متراً وطولها لا يقل عن خمسين متراً . وقد انتهى الجانب الشمالي منها بأبنية من حجارة ضخمة غير منحوتة ولا « مقصّبة » كأنها من أبنية ما قبل التاريخ . وغربيّها ذلك الجدار العالي الذي أشرت إليه آنفاً . وقد ارتفع عن صحن الدار نحو نصف متر للوقاية من الوقوع : وأما

شرقيها لجدار عالٍ ارتفع عليه سور من حديد وأسلاك شائكة وكذلك جنوبيها .

وقد بسقت في هذه الدار أشجار السرو والنسرين والسنديان وغيرها كأنها تظللها بعض التظليل . ورأيت فيها قناة يجري فيها الماء الغزير من منحدرات من ذلك المدرَّج

وارتقيت بسلالم من « جلّ الى جلّ » (والجل هو درجة عريضة من الدرج) وطفت في المدرَّجات من الواحد الى الآخر . وكان الفصل آخر الربيع أو أول الصيف . رأيت الى الجنوب مروجاً خضر وقد بسقت فيها سنابل القمح والشعير في أوائل عهدها . وهناك مرجة للحمص وأخرى للفول . ثم مرجة للبقول على اختلاف أنواعها . ثم الى الشمال بساتين مختلفة الثمار من موز وتفاح وكمثرى وتين الخ . ثم في الجلَّين الاعليين كرمة من الدوالي نخمن غلتها بالقناطير .

هذا مجمل مختصر لوصف هذه المستعمرة الأنيقة المنظمة تنظيماً ساحراً : « شغل المعلم لنفسه » . ثم انحدرت من أعلى الدرجات في سلالم أخرى وحينئذٍ كان لساني منعقداً من تأثير ذلك العمل العجيب في نفسي . فلما انتهيت من الطواف انحلت عقدة لساني .

قلت له إنه لعمل عظيم جدًّا أن يتحول هذا الوعر الموحش الى جنَّة تجري من تحتها الأنهار . . . انه لعمل شاقٌّ جدًّا . كم استغرق من السنين يا ترى وكم استنفد من جهد ؟

فقال : الى الآن مضت عليه تسع من السنين واستنفد جهد بضعة فعلة مدة سنتين كانوا أعواني في التمهيد وبعض الغرس وبعض البناء . وبعد ذلك كان جهدي وحده في السنين السبع الأخرى الاَّ ما ندر إذ كنت استدعي عاملاً أو عاملين لعمل ما لا أستطيعه وحدي .

قلتُ ، هذا عمل جبابرة . فعجيب أن يكون عمل جبار واحد .

قال : إذا ضربت القوة بالوقت كان الحاصل ....

فأتممت العبارة : كان الحاصل ٣ آلاف جبَّار .

والتفتُّ اليه فاذا هو يبتسم وقال : بل ألف جبَّار في عام . ولا تنسَ الجلد والصبر أيضاً

ثم تمشينا نحو الأبنية فرأيت كرسياً من الخشب . ونظرت هنا وهناك . فأدرك أني أبحث عن كرسيٍّ آخر . وأسرع الى المنزل الذي هو أحد الأبنية وعاد وبيده كرسيٌّ آخر أحسن صنعاً قليلاً وقال : لا بدَّ أنك تعبت . فتفضل اجلس . ثم جلس على الكرسي الأول وبقي لا يتكلَّم . وكنت انتظر أن يسألني من أنا أوعن اسمي ، وماذا أقصد من زيارته . وبقينا نحو دقيقتين ساكتين . فاضطررت أن استأنف الحديث وقلت :

أتقيم وحدك هنا ؟

فقال : لا . بل معي رفقاء أوداء

فقلت . لا أرى أحداً يطل .

فقال : كيف لا . لقد استقبلك ثلاثة منهم منذ قربت . ثم استدعيت أنجر فاستقبلك لدى البوابة وتعرفك .

فضحكت وقلت : أين الآخران ؟

فنادى : ضرغام ضرغام .

فاذا الكلب الثاني ينقض من « جل » فوق الابنية .

ثم نادى : لبؤة لبؤة . فاذا كلبة سمينة مقبلة من ناحية أخرى كالبرق الخاطف . واقتربا الي ينبحان نبحاً لطيفاً . وقال : « هلموا حيوا الضيف » وأشار بيده اشارات فهمتها الكلاب . فتقدموا الي يلحسون يدي . ثم أمرهم أن يجثموا بعيداً . ففعلوا (استعملت ضمير العاقلين هنا لأنه هو اعتبرهم عقلاء) .

فقلت : نعم الرفقاء الثلاثة . فأين هم البقية ؟

فقال : سأعرفهم بك بعد أن ترتاح . انهم في المراح الآن يعتلفون .

قلت : هل قضيت السنين التسع معهم ؟

— معهم وحدهم . فهم خير الاصدقاء الذين عرفت

— ألم تمل هذا المعشر الأبكم ؟

— إنه خير من المعشر الناطق . ألم تمل أنت معشرك الثرثار ؟

— بعد كم سنة تمل المعشر الواحد ؟

— أمل معشراً فأجد آخر

— بعد أيام أو أسابيع أو أشهر . وفي التغيير تفريج للكروب

قال : ومما ذا الكروب ؟

قلت : من تغيير الأصدقاء

فقال : كيف يتغيرون

قلت : أرى الصديق اليوم صادقاً فلا ألبث أن أكتشف أنه كاذب . أرى الصديق اليوم مخلصاً فلا ألبث أن أراه خائناً ...

قال : كفى . خبرت كل هذا . أما أصدقائي هنا فكنت أظنهم كاذبين فإذا بهم يصدقون في ركضهم ونباحهم . وكنت أخاف أن يكونوا خونة . فإذا بهم أمناء في زمجرتهم . لهذا لا أمل عشرتهم .

قلت : أغبطك وأحسدك على هذه الجنة الفيحاء التي لا يتطرّق إليها الكذب والخداع والخيانة . ليتك تقبلني عشيراً لك هنا فكنت ترى ...

فقاطعني قائلاً : لو كنت من فصيلة أصدقائي هؤلاء لرحبت بصداقتك ..

قلت : لعلك لو خبرتني ...

فقال مقاطعاً : خبرت ألوفاً غيرك من ضواري الآدميين فحسبي ما خبرت ومن جرّبت.

قلت : إذن أنت تعتزل هنا محايداً للأعداء .

فقال : لم أكن عدوّ الأحد وإنما كان الناس أعداء لصدقي وأمانتي. على أني مت في ملكوتكم القذر : ثم ولدت ثانية في ملكوت السلام والخير . لم أشأ أن أقضي الحياة كلها في جحيم ولا أدري بعدها ماذا يكون من نعيم . فرغبت أن أنشىء نعيمي هنا وأكمل بقية الحياة فيه

فقلت : إذاً ، أنت هارب من ملكوت الإنسان

قال : بل إن ملكوت الإنسان نبذني، لأنه لا يطيق وجود غريب عنه فيه. تطهّر مني. صفا من كدر شذوذي .

ورفع نظره الى السماء ثم قال : أظن الساعة الحادية عشرة والنصف الآن فكشفت ساعتي . فإذا هي كما قال تقريباً. فقلت . عجيب أن يصدق ظنك في الميقات إذ لم أرك تكشف ساعة

فقال : عندي ساعة الطبيعة . أزاول استفتاءها كل برهة بعد أخرى . فتصدقني الخبر لأنها ليست كساعتك التي فيما أنت تعتمد عليها تتعطل أحياناً فتكذب عليك . الشمس والقمر والنجوم لا تكذب ولا تتعطل . أظنك بعد قليل تشعر بجوع . فاسمح لي أن أعدّ طعامنا البسيط .

ونهض الى المنزل وتجنب أن أتبعه لكي لا أرى ماذا يعد من الطعام وكيف يعدّه . ولكني خشيت أن يحسب هذا فضولاً فقمت أتمشى لكي أرى مناظر الطبيعة من هذا الملكوت الأعزل

تمشيت لدى السور الحجري القائم فوق الجدار العالي فإذا بي أرى الوعر منحدراً أي انحدار . وحاولت أن أتبين الطريق الذي جئت فيه فلم أرَ له إلاّ آثاراً قليلة بين أشجار السنديان وغيرها . لم أرَ في ذلك الوعر قرية ولا مزرعة سوى الدير الذي رأيته في بقعة أخرى وتحته بعض القرى . فقلت في نفسي : كيف يعيش هذا الرجل في هذه العزلة وحده ؟ لا ريب أنه شاذ عن البشر . رأيت في سفح الجبل تحت مروجاً خضراً وقرى كبيرة وصغيرة نماذج للعمران الذي اصطنعه الإنسان اصطناعاً . لو كنت شاعراً لأوحت لي تلك المناظر البديعة قصيدة تزري بشعر المتأخرين والمتقدمين

(في العدد القادم نقاش في هذيان الافلام . والنفاق للمدنّق)

معول الهدم

في طريق بحي من أحياء القاهرة وقع بصري على معاول الهدم تقوض منزلاً كنا نقطنه والشمل مؤتلف ، فجاشت بنفسي هذه الابيات :

يا هادمَ البُنيان تضرب صخره | أوَما شهدتَ طيوفه بالمَدرج[1] ؟ !
تُهوى بمعولك الجدارَ محطماً | والمعولُ الهدّام أورى للشجي
برزت له صورُ المكان وأهلِه | تدنو بعهدٍ في الضمير مُوَشَّج
وتفرّقوا بَدَداً ، وغابت أنفسٌ | كانت تعيش بظلّه المتبرّج
هيَّجتَ من ذِكرِ السوالف، فالتقت | تنساقُ بين مذكِّر ومهيِّج
هلاَّ وقفتَ بنا نودّع برهةً | آثارهم، وشذا الزمان الأبلج[2]
أبداً يلوذُ المرء في تحنانه | بالذكريات ، وخفض عيشٍ سجسج
ومجالس الأحباب في أسمارهم | أن تنأ عنهم بالترحّل ، تأرج
وصُبابةُ الأيام غِبَّ فواتها | في غابرٍ يمضي ، وشوقٍ مُلهج
نأوي إلى كنف الديار رحيبةً | ونحلُّ عنها بالفراق المزعج
ونحوم حولَ طلولها ورسومها | في لهفة المتحسِّر المتهدّج
نبكي بعادَ الراحلين ، وأنه | ليثيرُ كامنَ ضارمٍ متأجّج

(١) المدرج — الطريق المسلك

(٢) الابلج — الوضاح طلق الوجه

ونرى بأعيننا المدائن والقرى تعفو لغادٍ بعدها ومُعرِّج

واحسرة الأحياء، يورث بعضهم بعضاً، ومايبقى شوًى للأحوج[1]!!

ومطامعُ الدنيا تغرُّ، ومن يعش يلقَ الخراب موكَّلاً بالمُنتج

والناس في غدواتهم ورواحهم نهبَ الحظوظ تميلُ ميلَ الأهوج

تلك المنازلُ ، ما تقوَّضَ منزلٌ إلاَّ بقصةِ طارقٍ أو مُدلج

ولها طوالعُ كالنجوم ، فطالعٌ يُزجي السعود، وطالعٌ لا يزدجي

يادار فيكِ شببتُ أهزُجُ حالماً وغربْتِ بالماضي كأن لم أهزج

نبني العمائرُ مُبدِعينَ طلاءها ونبينها بالنقش فتنة بهرج

نبني ، ومن يدري لعلَّ فتيتها أشلاء ثاوٍ في الرَّغام مضرَّج

تتحلَّل الأشياء من أجرامها وتغيبُ في ذرِّ الهباء المُرهج[2]

فتى أصابت بالتزاوج مورداً آلت لجسم في الخليقة مُدمج

والدورُ مثل القاطنين ، مصيرها ليدِ الفناء، ومن يعمَّرْ يُنهج[3]

وإذا تأملت الحياة مفكراً ضلَّت بفكرك عند باب مُرتج!!

القاهرة عبد السلام رستم

(١) شوى اليسير — الهين
(٢) المرهج — المتطاير . وأصل الرهج أثارة الغبار
(٣) أنهج . ينهج — يبلى

نظرات في النفس والحياة
١٩
تتمة نظرات جوتا

نشرنا في العدد السابق جملة من هذه النظرات العميقة . بقيت نظرات حارّة في غرور الإنسان وارتكابه الأغلاط بسبب هذا الغرور :

(١٣) من أشد أغلاط الشبان حمقاً ظنهم أنهم يفقدون إصالة الرأي وميزة الابتكار إذا اعترفوا بحقيقة اعترف بها الناس قبلهم فيحاولون ابتكار شيء جديد حتى ولو كان مناقضاً للحقيقة ومخالفاً لها .

(١٤) الكفر بالنعمة وإنكار المعروف والجميل المصنوع نوع من العجز والضعف . وما رأيت قط رجلاً قادراً يكفر بالنعمة وينكر الجميل إلاّ إذا كان في نفسه جانب ضعف خفي .

(١٥) ليست التقوى غاية وإنما هي وسيلة الى الثقافة النفسية . والذين يتخذونها غاية لا وسيلة ينتهون إما إلى مخادعة أنفسهم وإما إلى مخادعة الناس . ولعله يعنى بالتقوى التي هي غاية مظاهر التقوى التي تخلو من الصفاء الروحي وطيب السجايا .

(١٦) ليس أساس الصداقة الحب بل أساسها الاتفاق في المقاصد والأغراض مهما كان اختلاف الوسائل وحالات الحياة . قال جوتا ذلك في الصداقة بينه وبين شيلر وكانا ينشدان الحق والجمال على اختلاف وسائلهما .

(١٧) كما ينبغي للمرء أن يحذر كل الحذر من العناد والإصرار على الأخذ برأي نفسه ونظره الى الأمور . كذلك ينبغي أن يحذر من عجزه إذا حاول التخلص من هذه الحالة والأخذ برأي غيره .

(١٨) كل أمر يحدث يحاول أن يشغل مكاناً لنفسه، ومن أجل ذلك يدفع أمراً آخر عن مكانه ويقلل مدّة بقائه، فالأمور بينها تنازع كتنازع الناس البقاء ! !

(١٩) الرجال والشيوخ أميل إلى استنتاج القاعدة العامة وإلى تفضيلها . أما النساء فهم مثل الشبان أميل الى الشواهد الشاذة عن القاعدة — على أن كل إنسان يميل أحياناً الى

تطبيق القاعدة من غير نظر الى الأحوال الخاصة الاستثنائية ، كما قيل أحياناً الى خلق حالة استثنائية لا وجود لها .

(٢٠) لما كان الخطأ يعاد في العمل ويتردَّد كان من الواجب أن نعيد ذكر الصواب والحق مهما كانا معروفين . ومن الخطأ أن نهمل ذكرها اعتماداً على أنهما معروفان مألوفان. وهذا يصدق في التعليم كما يصدق في الحياة الخاصة أو العامة .

(٢١) ربما استطاع المرء مقاومة مضايقة الحوادث اليومية بذكر حوادث تاريخ الجماعات الانسانية في العصور العالمية وما كان بها من كوارث يتأسَّى بها .

(٢٢) ان أدب اللغة المكتوب المتوارث هو جزء ضئيل مما قيل وما صنع في حياة الناس . ومع ذلك نرى في كتب الأدب أموراً وقصصاً وأقوالاً وأحوالاً وآراء وأعمالاً وأحاسيس معادة مكرَّرة . وهذا يدل على أن عقل الإنسان ومآله محدودان .

(٢٣) أحسن الحكومات هي التي تعلم المحكومين حكم أنفسهم بأنفسهم .

(٢٤) قد يكون خلوُّ المرء من الخطأ سببه أنه لا يعتزم عمل أي أمر معقول ، فهذا الخلوُّ من الخطأ ليس فضلاً له بل هو قصور

(٢٥) أحسن الجماعات هي التي يكون حديثها تعليماً وسكوتها تهذيباً .

(٢٦) إذا استأنف إنسان حكم أهل عصره ولجأ الى ما يتوقع من حكم الأجيال القادمة دلَّ ذلك على شعور واضح منه بأن في حياة الانسان حقاً خالداً اذا لم يظهر لأول وهلة فانه سيظهر في المقبل من الدهر ، ويحوّل القِلَّة الى كثرة -- وقول جوتا هذا صحيح ، ولكن هذا الشعور قد يكون مؤسساً على غرور الثقة بنفسه أو غرور الثقة بالناس .

(٢٧) عند المحاجَّة ينبغي الحذر من أن تنقلب الى كره ومقت كما يصنع بعض العلماء عند تفنيد كل منهم رأي مناظره . فإن شعورهم بكره رأي المناظر يتحوَّل الى شعور بكره صاحب الرأي حتى كأنه عدوٌّ لدود . وقد يكون قول جوتا هذا صحيحاً ، إلاَّ أن هذا التحول أكثر ما يكون بسبب الأثرة وحب الاستعلاء والغرور وطلب الظهور وهي صفات كثيراً ما تكون في نفوس العلماء وتظهر عند البحث النظري ، والشعور بكره الرأي إنما كان لأنه يخالف رأي كارهه ، فقد ذكر جوتا في مقال سابق ان الإنسان قلما يهمه انتصار الحق إلاَّ إذا كان انتصاره يزكي ويعزز رأيه

(٢٨) كما أن روما القديمة كان بها عدا سكانها من الأحياء سكان من التماثيل المنصوبة

في كل مكان، كذلك هذه الدنيا بها فضلاً عن الحقائق دنيا من الأوهام أشد أثراً في النفوس، وأكثر الناس إنما يعيشون في دنيا الأوهام التي في الدنيا وهم يحسبون انهم يعيشون بنفوسهم وقلوبهم وعقولهم في عالم الحقائق .

(٢٩) لقد شُبِّه ثوار الثورة الفرنسية بالمجانين ولكن أفواه المجانين قد تنطق بالحق حين يخشى المستذلون النطق به . وبالرغم من ذلك فقد حذَّر جوتا الألمان من الاقتداء بالثورة الفرنسية كما نصح الأمراء بالاصلاح .

(٣٠) يكثر شكُّ المرء كلما اتسع نطاق ما يطلب من المعرفة . فلا يصح أن يقال عن رجل انه يعرف شيئاً إلاَّ إذا كان ما يعرفهُ أمراً محدوداً معيناً . فإذا انتفى التعيين والتحديد انتفى العرفان .

(٣١) قد ظللت أشغل نفسي وأُعَنّيها بالنظريات العامَّة حتى فطنت إلى النجاح العظيم الذي يستطيعه أهل الفضل إذا عملوا في اتجاه واحد محدود بدل توزيع جهودهم على مطالب متعددة .

(٣٢) كنت من عهد الصغر أشجع بشغفٍ وعبث الملكات المشكوك فيها وهذا خطأ لم أستطع التخلص منه الى الآن . والظاهر إنه يقصد ملكات غيره ولكنه ربما يصدق في نفسه أيضاً لاتساع مطالب ثقافته وتنوعها تنوعاً باهظاً فادحاً .

(٣٣) لقد عاش الناس في عهود التاريخ حتى في بحثهم عن الجمال والحق تحت ظلال الحروب المتكررة . وذلك لأن الانسان يأبى أن يحكم نفسه وهو مع ذلك يريد أن يحكم غيره . ولا نجاة للناس والأمم إلاَّ بأن يتعلم الانسان ضبط النفس وحكمها بدل أن يحاول حكم غيره والسيطرة عليه .

وهذه الحكمة هي خلاصة قصة فوست وهي إنه ما دام شَرَهُ التحكم والتملك دافعاً للنفس فلا نجاة ولا أمان في العالم ، بل تعتدي الأمة على الأمة ويعتدي الانسان على الانسان

(٣٤) ان الشغف بالحق يتطلب منا أن نعرف حدود فكرنا ، فإذا انتفى هذا الشغف حلَّ الخطأ ، وهو يتملقنا ويفهمنا أن فكرنا غير محدود بحدود . ومن أجل ذلك كان الخطأ أقرب الى طبيعة الانسان من الحق لأن الانسان يميل الى التخلص من الحدود .

(٣٥) ومن أجل ان آراءنا محدودة نعتقد أننا دائماً على صواب فيما نرى . وقد نرى

رجلاً كبير العقل يخطىء ويجد مسرَّةً فيما يخطىء فيه . وقد يستخدم ملكات عقله العظيمة في الدفاع عن الخطأ .

(٣٦) المقاصد السامية أجدى على طالبها من المقاصد الأقل سمواً وسموقاً حتى ولو تحققت الثانية ولم تتحقق الأولى .

(٣٧) ينبغي الحذر من أنصاف الحمقى وانصاف العقلاء أكثر من الحذر من البُلْه ومن الذين كمل عقلهم ، لأن الأصناف الأولى أكثر خطراً . إذ أن البُلْه لبلاهتهم لا يتقنون تدبير الشر ، والذين كمل عقلهم يرون في مطالب عقلهم وثقافتهم ما قد يترفع بهم عن تدبير الشر . ولا يراد بالبله طبعاً المجانين الذين يدفعهم دافع اجرامي .

(٣٨) حالنا في قراءة الكتب مثل حالنا مع الأصدقاء الجُدُد . ففي أول الأمر إذا عرفنا إنساناً يسرُّنا أن تكون هناك مشابهة وملاءمة عامة ، وان يكون هناك تأثير من الناحيتين في أي جانب من جوانب الحياة . فاذا نضجت المعرفة واتصلت المخالطة ظهرت أوجه الاختلاف بين الصديقين . والمسلك المعقول لا يكون بأن نسلك مسلك الأطفال في إحجامهم ونفورهم وخصامهم ، بل يكون بالاستمساك بما نتفق عليه . ثم نفهم أسباب الاختلاف من غير إحجام ومن غير رغبة في الموافقة من غير فهم واقتناع .

(٣٩) إننا لا نستطيع معرفة الصفات الغالبة على إنسان بالنظر اليه في البيئات التي يتكلف فيها العادات والأخلاق ، كما يكون في زياراته وفي الحفلات ، وإنما نستطيع ذلك بدراسته في بيئته الخاصة التي يرفع فيها التكلف والاحتجاز .

(٤٠) ليس التسامح هو غاية ما يراد من جميل الأخلاق والطباع ، فالتسامح خطوة أولية ينبغي أن تسوق المتسامح الى فهم ما يتسامح فيه والى العطف عليه بالفهم .

(٤١) إننا كلنا نعيش في الماضي بأفكارنا واحساساتنا ، وهذا العيش في الماضي اذا استشرى يؤدي الى الهلاك . لأننا بهذا الاستشراء نصير عالة على الماضي فنعيش عليه .

(للبحث بقية .) ع . ش

ريفيات فرجيل

الريفية الأولى

المقدمة

لمّا استتبّ الأمر لأوغسطس واستوى على عرش الامبراطورية الرومانية كافأ جنوده القدماء المحنكين على خدماتهم السابقة بأن وزع بينهم كل الأراضي الواقعة حول كريمونا ومانتوا بعد أن طرد منها مالكيها الشرعيين . وكان فرجيل أحد أولئك الذين وقع عليهم الغبن . ثمّ قُدّر له فيما بعد أن يستعيد أرضه بعد أن توسط ماكينا له عند أوغسطس . فألف هذه الريفية اعترافاً بجميل ماكينا مثّل فيها حسن حظه بشخص تيتيروس وسوء مصير جيرانه من أهل مانتوا بشخص ميليبوس .

م : في الظلال التي تلقيها أغصان أشجار الزان تجلس يا تيتيروس تداعب إلهة الفنون ساكنة الغابات .

نحن نضرب في الآفاق في العالم الواسع غرباء . أُخرجنا من حقولنا المرعة وديارنا بينما أنت تغنيني أغنيات الحب السعيدة . تتمطى في راحة . وأماريليس يملأ الخمائل الظليلة

ت : هذه النعماء يا صديقي فيض معبود . فما يمكن أن أتصور أبداً أن يكون المنعم بها إلا إلهاً . وإن أول نتاج لأبقاري سأسيل دماءها دائماً قرباناً على مذبحه المقدس .

أعاد عليّ أبقاري لترعى السهول المزهرة . وجدّد لمزماري أنغامه الريفية .

م : لا أحقد عليك حسن حظك ، ولكني أعجب من أنه بينما السيف الثائر والنار المهلكة ترعى جيرانك التعساء حولك من كل جانب لا تقرب السيوف المعادية أرضك المجدودة .

أما ما لقيته أنا فعلى النقيض مما لقيت . بعد أن وضعت ماعزاتي العجاف صغارهن على الصخور . تلك الصغار التي كانت الأمل المرجو والنتاج المؤمل من القطيع المهزول . اضطررت إلى أن أسوق تلك الماعزات من حظائرها المهجورة يهدها الألم فتركت صغارها حيث وضعتها .

لقد دلتني الآلهة على قرب وقوع كوارثي الكبرى ، واطلعتني على أني سأمنى بالخسارة ولكني كنت أعمى فلم أرَ تلك البلوطة القريبة عروس الغابة إذ انشقت ، والغراب حين وقع على

الغصن الملمون ونعق . وكان نعيقه في الناحية اليسرى . كانت هذه هي النذر ولكن قل لي يا تيتيروس أية قوة في السماء حفظت عليك حالك وأبقت عليك مالك في تلك الساعة الخطيرة ؟

ت : كنت من الحمق بحيث ظننت أن روما الامبراطورية كانتوا إذ نحضر فيها أيام الأسواق وقد سقنا أمامنا حملاننا الوديعة من بيوتنا .

وكانت الماعزات عنوان سادتها وربابتها وموضع مقارنة بين مالكيها .

ولكن مدن الريف إذا قورنت بها بدت كصغار العشب حين تكون الغابات قريبة .

م : وأية مناسبة كبرى إذن ساقتك من هنا إلى روما .

ت : الحرية التي جاءت أخيراً وإن كانت قد جاءت على مهل .

ولم يبدأ بحثي عن الحرية إلاَّ بعد أن تبدل لون لحيتي . ولا جاد آماريليس بنظرة حتى خرقت أوهن روابط جالاتيا .

وحتى ذلك الحين كنت طريداً ريفيًّا لا أمل له ولا معين . لا ينشد الحرية ولا يأمل في كسبها، فرغم إني بعت الكثير من مواشي، ومن أني حملت إلى الأسواق كثيراً من الجبن إلاَّ أن القليل الذي تيسر لي كسبه ضاع . وعدت أفرغ مما ذهبت .

م : أدهشنا أن نرى زوجك ترتدي السوادا غير عالمين أنها والهة حتى تعود .

وتساءلنا في عجب . لِمَ أبقت فاكهتها طول ذلك الأمد ؟ ولمن بقى التقاح على أغصانه دون جني حتى فات أوانه ؟

ولكن الآن يذهب العجب فهي أبقت كل ذلك لك يا تيتيروس .

من أجلك بدت الينابيع الدفاقة حزينة وأقسمت الأشجار المتهامسة أنك ستعود .

ت : وماذا كنت أفعل ؟ هنا كنت مقيداً ولم يعد هناك أثر من حرية سماوية .

وما كنت لأفكر في مكان آخر سوى هناك أجد فيه إلهاً مميماً لصلاتي .

فرأيت أول من رأيت ذلك الشاب سليل الآلهة الذي تذهب اليه فديتنا شهراً بعد شهر وسمع شكاتي وأعلن في أريحية أمره بأن تحفظ عليَّ أرضي وقطعاني التي كانت لي أولاً لترعاها .

م : أيها الرجل المجدود ! الذي بقيت له مزارعه — تكفيك — وتزيل عنك آلاماً رغم أنها تمتد في السهول، ورغم أن الأرض الحافلة بالمستنقعات تقترب من حقولك وهي لا تنتج إلاَّ الحصى فلا عجب في أن تترك نعاجك الولود المراعي دون أن تخشى مضايقة من شركاء مفسدين .

أنظر ! هذه الأشجار الصفراء التي تجد أرضك قد أزهرت وغشيت أزهارها النحل،

النحل الشغالة ذات الطنين العذب الدائم الذي يبعث الشبان العاملين على النوم الهادىء .

بينما يأتي صوت مشذب الأشجار من الصخور المجاورة وهو يغني أغنيات ريفية فيطيل الأحلام الجميلة . وبينما تشكو الحمائم آلام الحب وتبث أشجار الغابة أشجان ذلك الحب .

ت : سيتبادل سكان البحر وسكان الهواء كل مكان الآخرين ، وسيستقر السمك على البر وستطير الغزلان في الهواء . وسيقيم الفرسان المنفيون على حدود آرار وسيشرب الألماني الأزرق التيجريس .

وهاءنذا قبل أن أنسى الاعتراف بالجميل والحقيقة نسيت صورة ذلك الشاب الالهي .

م : أما نحن فسنسعى الى خبزنا في أجواء مجهولة . في الأقاليم الملتهبة أو في الأقطار المتجمدة . وسيباع بعضنا في الواحات المنعزلة أو يشقى بحرارة ليبيا أو صقيع سيبيريا . والباقون سينفون بين البريطانيين منبوذين من جميع العالم .

لعمري ! هل قدر على المنفيين التعساء أن يظلوا في حزنهم سادرين . أم قدر لهم أن يعودوا بعد كرّ السنين ؟

هل حكم علينا القضاء حكمه الجائر بألاّ نعود فنرى بيوتنا ولا أوطاننا ؟ . أم قدّر لنا أن نتبوأ عرش ريفنا مرة أخرى ونسيطر على دولة الريف التي كانت لنا يوماً ما ؟

هل كنا لهؤلاء البرابرة نزرع ونبذر البذور ؟

وهل قدر على حقولنا أن تقصر خيراتها على هؤلاء وهؤلاء وحدهم ؟

يا للسماء ! أية مصيبة تتكشف عنها هذه الفوضى المدنية !

والآن دعني أقطف كمثراي وأقلم الكرم . فالثمار لهم وليس لي من نصيب سوى العمل وداعاً يا ريفي . يا كنز آبائي ويا حقولي المثمرة ويا قطعاني الأكثر انتاجاً !

لن أراك ثانية يا ماعزاتي وانتن تتسلقنَ المرتفعات الوعرة . أو ترعينَ الأعشاب المزهرة، ولن أراكنّ منتشرات في سفح الجبل ترعينَ الأعشاب الجبلية أزهارها فأعوادها المجردة . ولا وأنتنّ تهبطنَ المنحدرات الشديدة حتى لكأنكنّ معلقات في الفضاء !

لن ترشف غنمي ندى الصباح ولن تكون لي أغان تبهج أهل الريف .

وداعاً يا مزماري الزاخر بالأنغام . ووداعاً أيتها الدنيا وداعاً !

ت : في هذه الليلة على الأقل انس همومك معي . فالقسطل واللبن والقشدة ستكون غذاءك . وسيكون بساط الأرض مغطى بورق الشجر . وستنسج الأغصان غطاء لرأسك فأنت ترى أن ظل التلال يمتد . وان الدخان يتصاعد من الأكواخ .

عبد المنعم صادق

أدب الجرائد

يظهر أن أحد المتطفلين يود أن يكسر ميزاب العين كما فعل جحى لكي يتحدث عنه النـاس فصار يكتب أفاد بمعنى استفاد . فحذا حذوه بعض حملة الأقلام . وقد ورد في جميع المعجمات : أفاده علماً أو مالاً أعطاه اياه . أو أخذه منه ، ضدّ . وفي المصباح قيل « كرهوا أن يقال أفاد الرجل مالاً افادةً بمعنى استفاده » .

ما دام عندنا فعل استفاد وهو يؤدي المعنى تماماً وليس فيه ضد ، ولا يخشى من لَبْـس في استعماله فضلاً عن أنه مألوف ، ومستعمل منذ نشأت اللغة ، فلماذا نستعمل أفاد بمعناه وفيه علة الالتباس المذكورة والهجنة التي أشار اليها المصباح ؟ — فكيف تكون الفصاحة في المستهجن ؟

ولكن ما قولك في أن بعض المتحذلقين يأبون أن يمشوا على طبيعة الأشياء بل يتعمدون أن يحيدوا عنها لكي يقال أنهم فصحاء .

وأروج من استعمال أفاد استعمال « أن أحداً » لم يفعل هكذا . وأحد أنكر النكرات . واللغة تحرم الابتداء بالنكرة إلاّ بشروط ليس في هذه الجملة واحد منها . فلماذا لا يقال « لم يفعل أحدٌ هكذا » ؟

أغرب التعابير في أدب الجرائد أن يستعمل المضارع مكان الماضي ، كقولك : « يشرّف أمس جلالة الملك الحفلة الفـلانية » ومثل هذا التعبير في الجرائد كثير ، أمس زمن ماضٍ ويشرّف فعل مضارع أو مستقبل . ففي أيّة لغة في العالم يقال هكذا ؟ . والمؤسف أن كبرى جرائدنا ترتكب هذا الخطأ الذي تطبعه في أذهان عشرات ألوف القراء ويحسبونه صواباً . ومن ذلك قولهم

اللجنة السياسية تبدأ اجتماعاتها أمس . وروسيا تجري أول تجربة على القنبلة الذرية في يوليو الماضي .

ومن فظائع المتضايفات قول أحد الكتاب في جريدة كبرى « وألح بعض أعضاء اللجنة السياسية على وجوب بحث موضوع ارسال مشروع المعاهدة... »

وقد أجاز اللغويون ٣ متضايفات وحسبوا المتضايفات الأربعة نافرة فما قولك بست ؟

ومن الركاكات المتناهية بالركاكة قول بعضهم « شاهدتها تقطع الفناء الملحق بالبناء المقيمة به ذهاباً وإياباً » وهو يعني « البناء الذي كانت تقيم فيه ». وقد جعل إسم الفاعل كأنه فعل وفيه ضمير مستتر رده الى التي شاهدها

من فظائع الأغلاط أيضاً قولهم « وبل » او « بل و » — وكلا الحرفين للعطف — فأما الواحدة أو الأخرى . وكذلك قولهم « أهل » وكلا الحرفين للاستفهام . ولكل من هذين و ذينك مقام .

الزوج مذكر ومؤنثة . وكتابنا يسرفون في استعمالها في مقام الزوجة . فما الداعي لاستعمالها هكذا وعندنا الزوجة مؤنثة ، فلا يحدث التباس في استعمالها بالتاء المربوطة . وماذا تعني بقولك « وقام بتكريم الضيوف الزوج »؟ أهي أم هو .

ويكثر استعمال تأرجح من أرجوحة بمعنى ترجّح وليس في تفاعيل اللغة تأفعل . فاذا جاز تأرجح جاز أيضاً تأرجز من أرجوزة وتأقصص من أقصوصة وتأمبل من أمبولة . الخ . . . لا بأس بأن يجيزها المجمع اللغوي لكي تتسع أساليب التعبير .

« السيدة المصونة » على ظن أن الصفة من وزن فعول الذي يستوي فيه المذكر والمؤنث . وإنما هو إسم مفعول من صان . وليست الصفة من مصن

رعاية الطفولة

قبل الوضع وبعده

مساعدة الأم والطفل

١ — ﴿ تمهيد ﴾ — حياة الجنين الرحمية تتطلب سلامة جسم الأم وقدرتها على حمل طفلها وأن يكون غذاؤها حاوياً لكل المواد الضرورية لتكوين الطفل ونموه وأن يكون شخصها خاضعاً للرعاية والاشراف الصحيين مدة الحمل .

ولا يتطلب الحمل في مصر تبليغاً إجبارياً . ولا يبعد أن يصبح ذلك حقيقة في القريب العاجل. وفي مدة الحرب الأخيرة وبعدها كانت وزارة التموين تسمح للأمهات اللواتي يقدمنَ شهادة بحملهنَّ من مركز رعاية أمومة وطفولة تعييناً إضافياً من الأقمشة لأطفالهنَّ بعد الوضع . وكانت مراكز رعاية الأمومة والطفولة تصرف لهنَّ الفيتامينات اللازمة بالمجان .

وفي المناطق التي توجد بها مراكز رعاية أمومة وطفولة حكومية تكون الرعاية شاملة للأم والجنين قبل الوضع وبعده . وأغلب الولادات التي تقوم بها تلك المراكز هي في الطبقة الفقيرة التي لا تستطيع أن تقوم بالنفقات اللازمة للولادة الطبيعية . وعلى ذلك فالولادات في القطر المصري تحصل باحدى الوسائل الأربعة التالية : —

١ - بواسطة مولدة من أقرب مركز رعاية أمومة وطفولة ٢ — من مولدة أو داية خصوصية . ٣ — داخل مركز رعاية أمومة وطفولة . ٤ - بواسطة طبيب خاص .

وتتلخص أعمال مركز رعاية الأمومة والطفولة في (١) رعاية الأم والطفل قبل الوضع في المركز وفي المنزل (٢) علاج الأمهات والأطفال من الأمراض التناسلية (٣) ادخال الحالات الخاصة في «عنبر» بالمركز أو تحويلها الى أقرب مستشفى أميري.

٢ — ﴿ نظام العمل في مراكز رعاية الأمومة والطفولة ﴾. في كل من هذه المراكز الحكومية يستفهم عن تاريخ كل حالة طبيًّا وعلى الأخص عن ناحية الحمل والولادة ويدوَّن ذلك . وتفحص الحامل طبيًّا فحصاً دقيقاً فيحلل البول ويقاس ضغط الدم كما تقاس ابعاد الحوض، وتفحص الرئتان والاحشاء الباطنية والحوض ومحتوياته، ثمَّ تؤخذ عينة دم لفحصها

لخبرة الوسرمان . وقد أصبحت الآن عامة لكل حامل .

ويقضي النظام الحكومي بالكشف الطبي للحامل في أيام مخصوصة من الأسبوع ابتداء من الأسبوع الرابع والعشرين من الحمل . ويستمر هذا الاشراف الطبي لحين الوضع. وهناك نواحٍ هامة يعتنى بها في هذا الإشراف مثل حجم الرحم وحجم رأس الجنين وأصوات قلب الجنين وحالة الأم العامة . والأمراض المتوطنة كالانكلستوما والبلهارسيا تحوّل على مستشفيات هذه الأمراض القريبة . وفي قطرٍ كهذا بالنسبة لكثرة الإصابات بالبلهارسيا فيطلب دائماً فحص بول الحوامل بالمجهر إذا كان حاوياً للزلال . وطبيعي أن العناية بأسنان الحوامل ناحية جديرة بالاعتبار. ولكن تعداد أطباء الأسنان قليل للأسف. وحالات فقر الدم وتمدد الأوردة وأوزيما القدمين والساقين تعطى دائماً العلاج اللازم. وفيما يلي نظام العمل في مراكز رعاية الطفل . —

﴿ السبت ﴾ — مخصص للأطفال لغاية الشهر السادس وتعمل فيه الإجراءات التالية :

١ — تقاس حرارة جميع الأطفال . ويعزل من كانت حرارته مرتفعة أو مصاباً برمد أو مرض معدٍ . وهؤلاء يفحصون ويعطون العلاج ويسمح لهم بالانصراف بدون تأخير .

٢ — الأطفال الباقون يوزنون ويقيد وزن كل منهم في ورقة مشاهدته .

٣ — تلقى محاضرة للأمهات عن رعاية الطفل .

٤ — يفحص المرضى من الأمهات والأطفال ويوصف الدواء ويصرف لكلٍّ .

٥ — تعالج حالات الرمد الصديدي والحبيبي .

٦ — يوزع على الأمهات والأطفال الضعفاء لبن حليب مغلي طازج .

﴿ الأحد ﴾ — مخصص للحوامل الجديدات وعلاج الأمراض التناسلية ويعمل فيه :

١ — قيد كل المعلومات اللازمة عن الحمل الحاضر والماضي في ورقة مشاهدة خاصة .

٢ — تؤخذ عينات دم لفحصها لخبرة الوسرمان .

٣ — فحص افراز الرحم أو المهبل للسيلان .

٤ — فحص البول للزلال والسكر وقياس الثقل النوعي . ويفحص البول بالمجهر في كل حالة زلال بولي

٥ — تفحص الأعضاء الداخلية (الرئتان والقلب والدورة الهضمية)

٦ — يحدد تاريخ الحمل وتاريخ الوضع المنتظر . كما يحدد وضع الجنين في الرحم . وتقاس أبعاد الحوض ويدوّن كل ذلك على ورقة المشاهدة .

٧ — يقاس الضغط الدموي .

٨ — تلقى محاضرة عن العناية بالحمل وأسباب الإجهاض وعلاج الامساك والعناية بالثديين والجسم عموماً . وتعطى ارشادات عن الملابس المناسبة للحمل وعن حجرة الولادة .

٩ — يفحص المرضى ويوصف لهنَّ العلاج ويصرف لهنَّ الدواء مجاناً . كما توصف الأدوية المقوية .

١٠ — تعالج حالات الأمراض التناسلية عند الامهات والاطفال . ويخصص لذلك دفتر قائم بذاته

﴿ الاثنين ﴾ — مخصص للأطفال من بين ٦ — ١٢ شهراً :

١ — يعامل الأطفال معاملة اخوانهم المترددين أيام السبت على النحو المذكور أعلاه .

٢ — اجراء عملية التحصين ضد الدفتريا بواسطة حقن الأناتوكسين . ويخصص لذلك سجل .

﴿ الثلاثاء ﴾ — مخصص هذا اليوم للحوامل القديمات وعمليات الختان .

١ — تفحص الحوامل القديمات فحصاً طبياً شاملاً . ويحلل بولهنَّ للزلال والسكر ويقاس ثقله النوعي ويفحص بالمجهر . ويعمل ذلك مرة شهرياً في الستة الأشهر الأولى ، ثمَّ مرة كل خمسة عشر يوماً في الشهرين السابع والثامن ، ثم مرة أسبوعياً في الشهر التاسع . والحالات المصابة بزلال بولي يحلل بولها أسبوعياً مهما كان شهر حملها .

٢ — تفحص الأعضاء التناسلية الداخلية ويلاحظ وضع الجنين وكيفية مجيئه .

٣ — قياس ضغط الدم .

٤ — محاضرات صحية .

٥ — فحص المرضى وصرف الدواء لهنَّ مجاناً .

٦ — اجراء عمليات الختان .

﴿ الأربعاء ﴾ — مخصص للأطفال من ١ — ٥ سنوات

هؤلاء يعاملون معاملة زملائهم في أيام السبت والاثنين السابق ذكرها أعلاه .

﴿ الخميس ﴾ — مخصص للأطفال الذين يعودون المركز لأول مرة بعد الوضع . وعلاج الأمراض التناسلية .

١ — يعامل هؤلاء معاملة الاطفال المترددين أيام السبت .

٢ — يطعم الأطفال ضد الجدري .

٣ — تعالج الأمهات وأطفالهنَّ من الأمراض التناسلية .

٣ – ﴿التحصين ضد الأمراض﴾ :

(ا) ضد الدفتريا: يعمل الأناتوكسين في معامل الصحة بمصر . ويعطى على ثلاث دفعات. أما إذا كان الاناتوكسين مرسب بالشب فيعطى على دفعتين . والكمية المعتادة هي بين ٥ر٠ سم^٣ — ٠ر١ سم^٣ . والفترة بين الحقنتين هي ٢١ — ٢٨ يوماً . والتحصين ضد الدفتريا اجباري بالقانون في المدن . ويعمل حول نهاية السنة الأولى .

(ب) ضد الجدري : وهذا أيضاً اجباري بحكم القانون في جميع القطر . ويحضر الطعم موضعيًّا بمعامل الصحة بالقاهرة .

(ج) ضد عدة أمراض دفعة واحدة — وهذا يتلخص في استعمال (١) توكسيد الدفتريا مع طعم السعال الديكي (٢) توكسيد الدفتريا مع طعم السعال الديكي مرسباً بالشب . (٣) توكسيد الدفتريا والتيتنوس . (٤) توكسيد الدفتريا مع التيتنوس مرسباً بالشب . (٥) توكسيد الدفتريا والتيتنوس مع طعم السعال الديكي . (٦) توكسيد الدفتريا والتيتنوس مع طعم السعال الديكي مرسباً بالشب .

(د) ضد الحصبة : يمكن تلطيف الاصابة بحقن مصل أشخاص ناقهين من الحصبة أو بحقن مستحضر (Immune Globuline) أي الجلوبيولين الحصين .

(هـ) ضد التيفودية : يعمل ذلك عادةً بمعرفة مصلحة الصحة المدرسية لطلبة المدارس كما يعمل أيضاً في مراكز رعاية الأمومة والطفولة كلما تطلبت الحالة الصحية ذلك .

(و) ضد التيفوس وضد الكوليرا : يعمل هذا أيضاً بمراكز رعاية الأمومة والطفولة أثناء أوبئة هذين المرضين .

٤ — ﴿الكساح﴾ هذا المرض قديم بوادي النيل . وجد مرسوماً على مقابر يرجع تاريخها الى ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد . كما وجد في تماثيل قدماء المصريين وهو موجود بكثرة حالياً بالقطر المصري . وتتردد على مراكز رعاية الأمومة والطفولة حالات عديدة منه يوميًّا ، أما طرق الوقاية والعلاج من هذا المرض فتتلخص في اعطاء كمية كافية من الجير ومن فيتامين (د) ويعطى بعده زيت كبد الحوت وزيوت بعض أسماك أخرى ومستحضرات طبية مركزة حاوية لهذا الفيتامين . وأيضاً اللبن المشمع وبعض أغذية مشمعة كما يولد الفيتامين (د) بالجلد بتعريضه للأشعة الفوق بنفسجية .

أما من الناحية الوقائية فمجرد تعاطي زيت كبد الحوت يكفي للغرض . ويعطى بمقدار ١٠ نقط يوميًّا عند بلوغ الأسبوعين الأولين ثم ٣٠ نقطة يوميًّا عند بلوغ الأربعة أسابيع . ثم ٦٠ نقطة يوميًّا عند بلوغ الستة أسابيع . ثم تزاد الكمية تدريجيًّا الى ٨

جرام عند بلوغ الثلاثة أشهر . ولو أن الأطفال المصابين بالكساح يمكن علاجهم بزيت كبد الحوت وحده الا أنه من المستحسن أيضاً اعطاؤهم كمية من فيتامين (د) المركز .

ويوجد بالسوق عدة مستحضرات لفيتامين (د) المركز. وكلها محضرة من الكالسفرول (فيتامين (د) مبلور) . ومن الممكن اعطاء كميات كبيرة من فيتامين (د) بحجم صغير . وهناك مستحضرات تعرف باسم (راديو ستول)، (أستولين) تحوي فيتامين (د) مركزاً. ومن هذا يعطى الطفل بقصد التحصين ضد الكساح ٦ — ١٥ نقطة يومياً و بقصد العلاج ١٥ - ٦٠ نقطة يومياً .

﴿ العلاج بأشعة الشمس ﴾ — وادي النيل فقير بالأشعة الفوق بنفسجية . ذلك لأن الوادي تحفه الصحاري على الجانبين لمسافات بعيدة . وهذا مما يسبب تعلق الأتربة الصغيرة في الهواء حاجبة الأشعة الفوق بنفسجية عن الوادي . وعليه فان مراكز رعاية الأمومة والطفولة تجتهد في سد هذ النقص باستحضار الآلات الكهربائية المولدة لهذا النوع من الأشعة . وطبيعي أن تأثير هذه الأشعة هو توليد فيتامين (د) في الطبقة الغائرة من الجلد نتيجة لتأثير الأشعة المذكورة على مادة (ارجوسترول) الموجودة هناك .

﴿ المباني والمستخدمون ﴾ — كثير من مراكز رعاية الأمومة والطفولة بالقطر المصري يعمل في أماكن بالأجرة . وهذه تحوي عادة حجرة انتظار واسعة تصلح أيضاً لاعطاء المحاضرات ، وحجرة كشف ، وحجرة فحص البول ، وحجرة جهاز الأشعة الفوق بنفسجية ، وصيدلية ، وحجرة صغيرة بها عدد صغير من الأسرة للولادات المضاعفة با كلامسيا أو التهاب كلوي أو مرض قلبي الخ.. ويخصص من المبنى جزء لسكن المولدات .

وقد أخذت الصحة أخيراً بمبدأ بناء أماكن خاصة لهذا الغرض تحوي كل الحجرات اللازمة مرتبة هندسياً بطريقة تكفل سهولة العمل وسرعته مع راحة الموظفات والمترددات ولذلك روعي في مبنى كل مركز من مراكز رعاية الطفل أن يحوي حجرة انتظار وحجرة كشف، وحجرات صغيرة لخلع الملابس وحجرة لفحص البول وصيدلية (لصرف الأدوية والألبان المجففة) وحجرة أرشيف وحجرة قيد (حيث تعطى كل والدة تذكرة للتردد وحيث تشاهد هذه التذكرة عند كل تردد وتستخرج بمقتضاها تذكرة المشاهدة) ، وحجرة عزل المرضى المحمومين الخ .... ، وحجرة لجهاز الأشعة الفوق بنفسجية ، وعنبر يسع من ٦ الى ٣٠ سريراً للولادات الداخلية ومطبخ وحجرة محاضرات ومكان لسيارات الاسعاف ومطبخ وحجرة للبواب . وهناك خلاف ذلك المبنى الخاص لسكن الموظفات

ومدرسة مساعدات المولدات . وبما أن مراكز رعاية الأمومة والطفولة هي وحدات تشخيصية فهي تحوي الأجهزة الخاصة لذلك مثل أدوات لفحص الأنف والأذن والحلق والعين وغير ذلك . والأمراض المتوطنة كالبلهارسيا والانكلستوما والديدان المعوية والرمد الحبيبي والصديدي يبحث عنها دائماً بين المترددات وتعالج الحالات إما بالمراكز أو بالمستشفيات الخاصة بذلك .

ويوزع اللبن الطازج المعقم والمحلل تحليلاً كيميائياً على الأمهات والأطفال المحتاجين مجاناً . وأما الموظفات فمتعلمات جيداً ومتمرنات على أعمالهن بدرجة تدعو الى الاطمئنان . وهناك فوق ذلك طبيب اختصاصي في فن الولدة وأمراض النساء يشرف على كل مركز يعاونه طبيب اختصاصي في أمراض الأطفال كلما سمحت الظروف . والموظفات هن رئيسة ، ومولدات مساعدات . وهناك فوق ذلك صيدلي . هذا الى ان كل مركز مزود بالخدم الاناث والذكور الكافيين لنظافته وخدمته . ويلحق بكل مركز كبير مدرسة لتعليم فن رعاية الأمومة والطفولة والزائرة الصحية وذلك لمدة سنة بعدها تمتحن الطالبات وتعطين بعد النجاح شهادة رسمية بذلك .

ودلتنا التجارب على أنه من الممكن الجمع بين رعاية الأمومة ورعاية الطفولة في مبنى واحد. ولذلك فإن هاتين العمليتين مجتمعتان معاً في القطر المصري . وفي ذلك وفر في المصاريف وتوحيد في الأدارة واكثار في الانتاج وتسهيل في التعليم وراحة للجمهور . فحجرة الانتظار كانت تستعمل للغرضين وهي مستوفاة المقاعد والضوء والتهوية والتدفئة، وبجوار هذه الحجرة حجرة أخرى لفحص الحوامل الجديدات وتسجيل الحوامل القديمات . وتحوي حجرة المحاضرات نماذج الملابس الصحية للحامل والطفل صيفاً وشتاء، ونماذج مجسمة لأنواع الأغذية الصحية نباتية وحيوانية، ونماذج أخرى تمثل الحالات المرضية ذات العلاقة بالحمل والطفولة، وصور رمزية، وخرائط ورسوم وزجاجات رضاعة وحلمات صناعية وألعاب صحية وغير ذلك . وتحوي حجرة المحاضرات فوق ذلك ساعة حائط و «سبورة» لشرح المواضيع المختلفة . وهناك حجرة تحوي ميزان الأطفال والرضع . وتحوي حجرة الفحص عدة التعقيم ، وقفازات من المطاط ، وأدوات تحليل البول ، ومقياس ضغط الدم، ومقياس أبعاد الحوض ، وقساطر ومناظر مهبلية وأدوات أخرى جراحية ، وثريات كهربائية، واسطوانات داخلها أنواع الغيار المعقم وأجهزة لأخذ العينات المختلفة للفحص الطبي . وتعطى المحاضرات الصحية بشكل حديث للأمهات بالاستعانة بالنماذج والصور وغير ذلك . وبكل مركز جهاز مسرة (تليفون) وسيارات اسعاف وغير ذلك .

٦ - ﴿ تعليم الجمهور أصول الصحة ﴾ قدرت وزارة الصحة في مصر منذ مدة طويلة أهمية هـذه الناحية وخصوصاً فيما يتعلق برعاية الأمومة والطفولة . ولذلك فإن الوزارة أصـدرت الـكثير من الصور الرمزية والـكتيبات الصحية والـكتب الطبية ومقالات الجرائد السـيارة وأحاديث المذياع والروايات التمثيليـة والأفلام السينمائية والمعـارض والإرشادات المدرسية . ثمّ غزت دعوتها الصحية الجمعيات النسائية على اختلاف أنواعها ومراكز فحص الراغبين في الزواج والـكليات الجامعية وغير ذلك .

ويمكن تلخيص برنامج تعليم الجمهور أصول الصحة بمراكز رعاية الأمومة والطفولة فيما يلي .

﴿ الشهر الأول ﴾ — (١) أهمية نظام تغذية الطفل ورعايتـه . (٢) قيمة رضاعة الثدي . (٣) قيمة وزن الطفل وأهمية تسجيله . (٤) حمام الطفل والأم . (٥) أهمية التردد على مراكز رعاية الأمومة والطفولة .

﴿ الشهر الثاني ﴾ — (١) حديث عن تغذية الطفل . (٢) حركات الأمعاء (كمية البراز . نوعه . وانتظامه) . (٣) أهمية فحص الأم بعد الوضع . (٤) النظافة .

﴿ الشهر الثالث ﴾ — (١) الاسهال الصيفي (أسبابه . الوقاية منه . علاجه) . (٢) سرير الطفل . (٣) ملابس الطفل والأم . (٤) أهمية مراقبـة نشاط الطفل وراحته . (٥) حمام الشمس . (٦) التحصين ضد الأمراض .

﴿ الشهر الرابع ﴾ — (١) حديث عن العادات الخاصة بالأكل والنوم والأخلاق . (٢) أهمية الارشاد الصحي . (٣) الرمد الصديدي والحبيبي (أسبابهما . طرق الوقاية منهما وعلاجهما) . (٤) فائدة عصير البرتقال . (٥) زيت كبد الحوت .

﴿ الشهر الخامس ﴾ — (١) تحذير من الأغذية الجاهزة المستحدثة . (٢) العنـاية بالعينين (٣) حديث عن التسنين والعناية بالأسـنان . (٤) ارادة التبول (٥) أثر المجتمع على الطفل .

﴿ الشهر السادس ﴾ — (١) الأغذية الاضافية . (٢) الزكام . (٣) السعال الديكي . (٤) التهاب الحلق الغشائي (القلاع) . (٥) النزلات الشعبية . (٦) اضطراد النمو وزيادة الوزن . (٧) التطعيم ضد الدرن بطعم B.C.G. . (٨) لعب الأطفال أنواع الألعـاب . أماكن اللعب .

﴿ الشهر السابع ﴾ — (١) الـكلام على البلهارسيا . (٢) الـكلام على الانكلستوما .

(٣) الكلام على ثعبان البطن (أسكاريس). (٤) الكلام على الديدان الخيطية . (٥) زيادة العناية بالطعام . (٦) التحصين ضد الأمراض المعدية .

﴿ الشهر الثامن ﴾ — (١) أمراض قلة التغذية مثل الكساح .(٢) التسنين .(٣) الجرب . (٤) التهاب الغدة النكفية .(٥) الانفلوانزا . (٦) الملاريا . (٧) أهمية علاج الأمراض التناسلية

﴿ الشهر التاسع ﴾ — (١) زيادة نشاط الطفل . (٢) حمام الشمس . حمام الهواء . (٣) الدنجة . (٤) أهمية مياه الشرب النقية . (٥) أخطار الذباب وطرق ابادة الذباب .

﴿ الشهر العاشر ﴾ — (١) القراع .(٢) النظافة. (٣) نصائح عن الجيران . (٤) الأحذية

﴿ الشهر الحادي عشر ﴾ — (١) صيانة الطفل من أغذية البالغين . (٢) هيئة قعود الطفل . (٣) أخطار البعوض . طرق ابادة البعوض . (٤) دورة حياة القمل . أخطار القمل . طرق ابادة القمل .

﴿ الشهر الثاني عشر ﴾ — (١) ملاحظة حالة نمو الطفل من حيث وزنه وطوله . وحالة عينيه وجلده .(٢) عادات الطفل . نشاطه . (٣) غذاء الطفل . (٤) الخرافات

٧ — ﴿ اللبن ﴾ تعطى الأمهات وأطفالهن اللبن الحليب النقي حسب الأولية التالية : (١) الأطفال العسير ارضاعهم أو المحتاجون لأغذية اضافية .(٢) الأطفال في سن ٣ــ٥ سنوات. (٣) الأمهات الحوامل أو اللواتي يرضعن . وتعطى الأولية للبن المجفف الى الرضع أولاً . والشرق الاوسط في أشد الحاجة الى وسائل تجفيف اللبن وبسطرته أي تعقيمه . وإذا تعذر هذان الاجراءان أو أحدهما وجب ارشاد الأمهات الى ضرورة غلي اللبن قبل تناوله وبالأخص لدى الرضع والأطفال .

ويتحتم على أمم الشرق الأوسط العناية بأسنان الأطفال وبالأطفال المعوزين وذلك عن طريق تحسين صحتهم العامة

٨ — ﴿ حقوق الطفل ﴾ لما عرضت حقوق الطفل بواسطة هيئة الأمم المتحدة على مصر قوبلت بالموافقة الاجماعية .

وفيما يلي نص هذه الحقوق بعد التعديل (سبتمبر ١٩٤٨) .

إن « حقوق الطفل » المعروفة « ببيان جنيف » تقرر بأن رجال ونساء جميع الأمم يعترفون بما للطفل من حقوق على الانسانية وذلك باعطاء الطفل أحسن ما يمكن اعطاؤه ويقرون بأن من واجبهم القيام بهذه المسؤولية على الوجهة التالية :

(١) — يجب حماية الطفل بصرف النظر عن اعتراض كل اعتبار آخر بالنسبة للعنصر أو

الوطن أو العقيدة . (٢) — يجب أن تتوفر للطفل الوسائل اللازمة لنموه الطبيعي المادي والخلقي والروحي . (٣) ـ تجب رعاية الطفل خصوصاً من الناحية العائلية . (٤) ـ يجب اطعام الطفل الجائع وعلاج الطفل المريض ومساعدة الطفل المتأخر وتقويم الحدث المجرم وايواء اليتيم والمشرد ورعايتها. وان يكون للطفل الأولية في الاسعاف وقت المحن . (٥) اعتبار حماية الطفل جزءاً لا يتجزأ من نظام الرعاية الاجتماعية والتأمين الاجتماعي. ويجب تهيئة الظروف التي تعاون الطفل على كسب عيشه كما يجب حمايته من الاستغلال بكافة صوره . (٦) ـ يجب تنشئة الطفل تنشئة ذهنية توجه فيها مواهبه لخدمة أقرانه.

(٩) ـ ﴿ الطب الاجتماعي ﴾ ـ لا شك من أن الأمراض المتوطنة كالبلهارسيا والانكلستوما والديدان المعوية وغيرها ، وكذلك الأمراض التناسلية والدرن والملاريا وغيرها من الأمراض المنقولة بواسطة الحشرات ، كل هذه تؤثر تأثيراً شديداً في حياة الطفل وأمه. برفع نسبة الوفيات في هاتين الطائفتين. وربما كانت الذبابة أبرز شخصية في هذا الائتلاف الاجتماعي . وقد عمل اتفاق مع مؤسسة الصحة العالمية W.H.O. ومؤسسة صحة الطفولة للامم المتحدة (UNESEF) للبدء في الحملة ضد الدرن بتعميم الطعم المعروف باسم (BCC) بالقطر المصري . وينتظر أن تكون هذه الخطوة كفيلة لمنع انتشار هذا المرض بين الرضع الأطفال المصريين .

وكانت للحملة التي قامت بها وزارة الصحة بعلاج الأمراض التناسلية في مراكز رعاية الأمومة والطفولة أثرها الملحوظ. ومع ذلك فإن هذه الأمراض تعالج أيضاً في كل جهات القطر في عيادات الأمراض التناسلية بنشاطها الخاص . وقد أنشأت وزارة الصحة قسماً خاصاً لهذه الأمراض ألحقته بمصلحة الصحة الاجتماعية .

ولا بدّ من وضع الخطط لدراسة شؤون الأمومة والطفولة طبيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا في هذا القطر والأقطار الشقيقة . كما يجب استقصاء أسباب وطرق منع ولادة الجنين ميتاً، وأيضاً أسباب زيادة الأمراض والوفيات بين الأطفال في الشهر الأول من الولادة.

وارسال الفرق التعليمية والمستشارين الفنيين إلى الشرق الأوسط يوطد دعائم رعاية الأمومة والطفولة أيما توطيد .

﴿ ١٠ — مواضيع هامة تتطلب الفحص . ﴾ (أ) — العلاقة بين أمراض الأمهات ووفياتهنّ من جهة وبين أمراض الأطفال الذين تقل سنهم عن شهر ووفياتهم. (ب) — أسباب الاجهاض والوقاية منه . (ج) — بحث انتشار الكساح وأمراض قلة التغذية . (د) — أثر

التواتر والخرافات والعادات والوسط الاجتماعي على حياة الطفل ونموه .

* ١١ — المركز الحالي لرعاية الأمومة والطفولة في مصر . * (ا) — أقامت وزارة الصحة في الريف المصري مراكز صغيرة لرعاية الأمومة والطفولة ضمن مجموعات صحية . ويوجد من هذه الآن ١١٢ مركزاً . هذا خلاف ٧١ مركزاً كبيراً موزعاً على المدن . (ب) — ان تفشي الأمراض وزيادة الوفيات بين الاطفال خسارة اقتصادية ما في ذلك شك . ولا يقتصر الضرر على ذلك فقط ، بل يتعداه الى جيل المستقبل فيسبب انحطاط المستوى الصحي وضعف قوة الانتاج . وطبيعي ان نجاح علاج هذه الحالة رهين بانشاء ادارة صحية أهلية متوفرة على هذا العمل . (ج) — ونمو حالة الطفل النفسية وارتباطها بخلق الأم ناحية أخرى هامة في رعاية الطفولة تستحق الفحص الدقيق . (د) — المولدة : — ينص قانون التوليد (عام ١٩٤٩) على كل من يزاول مهنة التوليد ان يكون حائزاً على تصريح رسمي بذلك . ولهذا القانون أمثاله في البلدان الأخرى . والتصريح لا يعطى إلا لمن قد أتمت مدة دراسة علم الولادة بإحدى المعاهد الرسمية . وقد اقتصرت هذه الدراسة بادىء ذي بدء على سنة واحدة بالنسبة لشدة الحاجة الى هذه الطائفة ، وتعلم عادة الولادة مع رعاية الطفولة بمدارس ملحقة بمراكز رعاية الأمومة والطفولة الكبيرة في القاهرة والريف . ولم يحصر بالضبط تعداد الولادات السنوية التي تشرف عليها مولدات في القطر المصري . ولكن تجاربنا تجعلنا نقدر ذلك بحوالي ٤٠٪ من الولادات ، وتكون بذلك أقل من الواقع . (هـ) — زيادة وفيات الأطفال . يبلغ تعداد المواليد في القطر المصري سنوياً حوالي ٦٥٠٠٠٠ ووفياته ٤٣٠٠٠٠ ومن هذا العدد الأخير ٢٤٠٠٠٠ طفلاً أقل من خمس سنوات . ومن هذا العدد ١١٠٠٠٠ رضيعاً ، ١٣٠٠٠٠ طفلاً بين السنتين والخمس سنوات . وفيما يلي بيان بالنسبة الألفية لوفيات الأطفال بالقطر المصري في الفترة ١٩٣٧ — ١٩٤٥ أوردناها من قبيل المثال :

السنة	النسبة الألفية لوفيات الأطفال	السنة	النسبة الألفية لوفيات الأطفال
١٩٣٧	٢٢٢	١٩٤٢	٢٤٧ أثر حالة الحرب
١٩٣٨	٢٠٤	١٩٤٣	٣٣٧
١٩٣٩	١٩٠	١٩٤٤	٢١٥
١٩٤٠	١٩٧	١٩٤٥	٢٠٧
١٩٤١	١٩٨		

ومنه يتضح أن التحسن بطيء ولكنه مطرد . والواقع ان هذا التحسن ظاهري أكثر منه

حقيقي . ففي الوقت الذي كان فيه القطر يقاوم زيادة وفيات أطفاله كان في الوقت نفسه يقاوم عادة الدفن السري في الريف . وعلى كل حال فان تقسيم الأعمار بالقطر الى فئات ومعرفة نسبة كل فئة الى ما عداها خير دليل على تحسن المستوى الصحي الناجم من رعاية الأمومة والطفولة . فالفئة الواقع سنها بين ٤٠ و ٥٩ سنة كانت نسبتها الى جملة السكان ٨ر١٤ ٪ سنة ١٩١٧ زادت الى ٠ر١٦ ٪ عام ١٩٤٥ . ولا غرابة في ذلك فالطفل السليم أقوى على بلوغ العمر (٤٠ — ٥٩ سنة) من الطفل الذي أضناه المرض .

(و) — فيما يلي بيان بنشاط الـ ٧١ مركزاً لرعاية الأمومة والطفولة التي تعمل في المدن والحضر وذلك عام ١٩٤٨ . —

البيان	العدد
تعداد الولادات	١٠٨٦٢٦
» الأطفال المترددين	١٧٧٥٠٨٥
» الحوامل الجديدات	١٢٤٢٥٦
» » القديمات	٥٥٩١٢٢
» من تطعم ضد الجدري	٥٢٣٧٠
» من تطعم ضد الدفتريا	٢٧٧٢٢
» الزيارات المنزلية للأمهات الحوامل في الشهر التاسع	١٦٩٩٥
تعداد الزيارات المنزلية للأمهات النفساوات	١٧٧١٢٢

البيان	العدد
تعداد الزيارات المنزلية للاطفال	٧١٢٣٥
لبن طازج مجاناً بالكيلو للاطفال	
« والأمهات	٢١٩٣٤٠
تعداد من تعالج للزهري من الأمهات	٨٨٧
تعداد من تعالج للزهري من الأطفال	٤٦٦
تعداد ما وزع من الملابس الجاهزة مجاناً	٣٤٠٨
تعداد ماوزع من الأقمشة بالمتر مجاناً	٦٠٩٣

(ز) — وفيما يلي بيان بنشاط الـ ١١٢ مركزاً لرعاية الأمومة والطفولة بالريف وذلك في عام ١٩٤٨

تعداد الولادات ٣٠٠٥٧ ، وتعداد الأطفال المترددين ٢٦٤٧٣٤ ، وتعداد الزيارات المنزلية ٢٧٨٤٦٨

١٢ — ويمكن تلخيص سياسة رعاية الأمومة والطفولة في مصر فيما يلي : —

(ا) — تخفيض وفيات الأطفال.

(ب) — تحسين المستوى الاجتماعي والصحي . (ج) — زيادة تعداد مراكز رعاية الأمومة والطفولة . (د) — زيادة وظائف الأطباء الاختصاصيين في أمراض الأطفال والولادة . (هـ)— إنشاء عنبر للولادات الداخلية بكل مراكز رعاية الأمومة والطفولة.(و)— الاستعانة الطبية بالمستشفيات القريبة فيما يتعلق بـ (١) الرأي الفني (٢) الوضع (٣) فحص الأشعة

السينية . (ز) - توزيع الأغذية بالمجان على الأمهات الفقيرات. (ح) — منح إجازات مرضية كافية لكل عاملة للوضع والنفاس . (ط)—توزيع اللبن المجفف بالمجان على الأطفال الضعاف (ي) — الاكثار من مراكز الكشف على الراغبين في الزواج . (ك) — الاكثار من مراكز مدارس الأطفال الشواذ. (ل)— الاكثار من متنزهات الأمهات والاطفال . (م)— الاكثار من مراكز دور الكفالة ودور الصناعة .(س)— الاكثار من مراكز سن تشريع لرعاية الطفل .

﴿ ملحق ﴾ — تمكننا من معرفة مدى انتشار الزهري الكمين في مصر من فحص دماء الأمهات المترددات على مراكز رعاية الأمومة والطفولة . ففي الفترة من ١٩٤٠ — ١٩٤٧ فحصت ٤٦٩٨١٢ عينة لخبرة الوسرمان فكانت النتيجة إيجابية في ٥٧٤٧٤ عينة أي أن النسبة الإيجابية هي حوالي ٨ ٪.

ويدرس قيم الأمراض التناسلية بوزارة الصحة مقال الاستاذ إيفان توماس الذي نشرته الهيئة الصحية العالمية (W. H. O.) بجنيف في مارس سنة ١٩٤٩ . وفيما يلي تعريب فقرة هامة وردت بالمقال المذكور خاصة بطريقة علاج الزهري أثناء الحمل (ص ٩) .

« لما استعمل البنسلين المذاب في الزيت وشمع النحل في علاج الزهري أثناء الحمل كان المتبع في الولايات المتحدة اعطاء ٤٥٠٫٠٠٠ وحدة يوميًا لمدة عشرة أيام و ٣٠٠٫٠٠٠ وحدة يوميًا لمدة ١٢ يوماً » .

ولما أمكن الحصول على بروكاين البنسلين (ج) المذاب في الزيت واليومنيوم موناستيرات وهو المعروف طبيًا بإسم Procaine penicilin G in oil alluminium monasterate أصبح الحقن اليومي غير ضروري. ولو ان الاحصاء لم يعمل للآن عن نتيجة علاج المصابات بالزهري بهذا المستحضر إلا أن الدلائل كلها تشير الى أن حقن ٦٠٠٫٠٠٠ وحدة ثلاث مرات أسبوعيًا لمدة أسبوعين تعادل في تأثيرها حقن ٣٠٠٫٠٠٠ وحدة من نفس المستحضر يوميًا لمدة ١٢ يوماً . وليلاحظ أن اعطاء ٦٠٠٫٠٠٠ وحدة من Procaine Penicilin G in oil Alluminium monstearate ثلاث مرات أسبوعيًا لمدة أسبوعين يعني أن مدة العلاج تبلغ ١٨ يوماً واذا تعذر العلاج بالحقن ثلاث مرات أسبوعيًا فإني واثق من أن اعطاء ٦٠٠٫٠٠٠ وحدة مرتين اسبوعيًا لمدة ثلاث أسابيع يكفي لحماية الطفل من الزهري في أغلب الاحوال. وعلى العموم فان الموضوع بأكمله لايزال تحت البحث

الدكتور حسن كمال بك

مدير عام مصلحة الصحة الاجتماعية



مكتبة المقتطف

١ — الموسيقى الشرقية بين القديم والجديد

تأليف الاستاذ احمد أبي الخضر منسي — صفحاته ٦٠ صفحة من الحجم المتوسط
طبع بمطبعة دار الطباعة المصرية الحديثة بمصر

الأستاذ أحمد أبو الخضر منسي كاتب معروف قدير، جم النشاط، وافر الانتاج، له عدة مصنفات في العربية والفرنسية. ومع أنه صحفي قديم، فقد اشتغل بالتربية والتعليم.

وكان آخر ما أخرجه من مؤلفاته، كتابه اليوم عن الموسيقى الشرقية بين القديم والجديد. وهو كتاب على صغر حجمه، أفاد وأوفى، بأسلوب رشيق بليغ، وبحث طريف ودفاع مبين عن قضية الموسيقى الشرقية، يريك فيه البون كبيراً بين قديمها الفحل المطرب، وهذا الجديد الذي حشي بالأنغام الافرنجية، فجاء غريباً نافراً، لا يرضي الأذن والنفس الشرقية، ولا الأذن والنفس الغربية. إذ لكل منهما طبائع وأذواق تختلف كل الاختلاف، كما حوى كتابه عدة نوادر طريفة خاصة عن المغنين القدامى.

ويرى المؤلف ولا يفوتنا هنا أن نذكر أنه موسيقي قدير، عالم بفنون النغم وضروب المغاني الشرقية ان من لا قديم له، فليس له جديد. وهو لا يقول بنبي الجديد، ولكنه يريده ان يكون متصلاً بالقديم، من نبعه ومن طينته، لا أن يكون جديداً مقلوباً غريباً على حد ما استشهد بقول أستاذنا الكبير خليل بك ثابت، في كلام له عن هذا التجديد فنعته « بالالحاد الفني »

وهو يرى أن التقليد مزر بالقومية والكرامة، دال على الضعف والمهانة. مستشهداً على ذلك بكلمة قيّمة لمدام دوستال الكاتبة الفرنسية المشهورة، وهي « القوة الحقيقية لشعب ما كامنة في فطرته التي فطره الله عليها، وتقليد الأجنبي أيّاً كان وكيفما كان مفسدة لوطنيته مضيعة لكرامته »

فنهنئ الأستاذ المؤلف بكتابه ونرجو له اطراد التوفيق والنجاح في خدمة الأدب والفن.

٢ — أعلام من الشرق والغرب

تأليف الاستاذ محمد عبد الغني حسن — صفحاته ٢٠٣ من القطع المتوسط — صدر عن دار الفكر العربي بمصر

أولعت منذ حداثتي بتراجم العظماء فقرأت أول ما قرأت كتب أعلام المقتطف، ورجال المال والأعمال والروّاد وغيرها من كتب التراجم، ثم كنت أتصفح من آن الى آخر مجلدات المقتطف وغيرها من المجلات فأطالع التراجم التي انطوت عليها صفحاتها، وقد تركت في نفسي مطالعة هذه التراجم عقيدة ثابتة بأن خير الوسائل لعرض المعارف على الشبان والشابات وتشويقهم الى الاستزادة منها تقوم على ادماج الحقائق العلمية والتاريخية والأدبية المختلفة في صلب تراجم العظماء فيطالعها الشبان وكأنهم يطالعون قصة محببة وعندئذٍ تثبت في أذهانهم .

ولما صدر كتاب أعلام من الشرق والغرب للصديق الشاعر الأستاذ محمد عبد الغني حسن اغتبطت به كل الغبطة وأقبلت عليه بشغف كبير وأمضيت في مطالعة فصوله الشيقة بعض ساعات ممتعة .

والأستاذ الشاعر محمد عبد الغني حسن معروف لدى قراء المقتطف ببحوثه الأدبية التي كان ينشرها فيه من وقت الى آخر، فاذا كتب فصول هذه التراجم كتبها بأسلوبه الأدبي الرشيق وباتزانه المعروف

والكتاب يضم بين دفتيه سيرة ثلاثة عشر علماً من ذوي الأثر في النهضة الحديثة لم تترجم لهم كتب التراجم المتداولة بين أيدينا وانما كنا نجد سيرة أكثرهم متفرقة مبعثرة في أسطر قليلة في شتى الكتب والمجلات، وكنا إذا شئنا أن ننقب عن هؤلاء الأعلام نتعب كثيراً وننفق وقتاً طويلاً في استقصاء أخبارهم وتتبع رواياتهم، فحمل عنا الأستاذ المؤلف هذا العبء الثقيل، وعكف على دراسة تراجمهم، استقاها من بطون الكتب وقطفها من ثمرات أفكارهم في آثارهم، وحللها تحليلاً دقيقاً وقدّمها لنا باقة جميلة في كتابه .

وضمّ الأستاذ إلى هذه المجموعة من أعلام الشرق ثلاثة من أعلام الغرب رآهم عندنا شبه مغمورين وهم «هنري دافيد ثورو» كاتب الطبيعة، و «جيمس رسل لويل» في طليعة النهضة الأدبية في نيوانجلاند و «ادجار والاس» القصصي المعروف .

فنهنىء الأستاذ الشاعر محمد عبد الغني حسن بكتابه النفيس ونرجو له اطراد التوفيق في خدمة الادب الرفيع كما نقدر له جهوده الطيبة ووفاءه العظيم نحو جمهرة من أعلامنا الشرقيين وبعض أعلام الغرب كانت تراجمهم مبعثرة مغمورة .

اسبيرو جسري

باب الأخبار العلمية

الطائرات ذوات المراوح الأفقية
« الهليكوبتر في خدمة الصحافة »

جاء في أحدث الأنباء من أمريكا ، أن إحدى صحف بورتلند « وهي كبرى مدائن اقليم أوريجون ، في ولايات جمهورية أمريكا الكبرى واشتهرت بمصانع الورق وتجارة القمح ومطاحنه ، وبصنع الأثاثات الخشبية وغيرها » قد سبقت زميلاتها في استخدام الطائرات في أعمالها . فغدت تتلقى أخبارها من الجو ، حيث تهبط على دار جريدة أوريجون ، طائرة من طراز هليكوبتر « تسمى دراجون فلاي Dragonfly فتجثم على مبنى سقف ادارة الجريدة في أثناء خلو عمالها من أعمالهم الصحفية . وتبعد هذه الدار عن مكتب رئيس تحرير الجريدة هناك بمسافة تقطع في عشر ثوان .

وتعد هذه الطائرة الصحفية ، الأولى من نوعها، التي تستخدمها الجريدة استخداماً متواصلاً . ويقودها قائد ، هو نفسه مخبر الجريدة . وتقل فوجاً من المصورين الفوتوغرافيين . وهذا من شأنه إدخال عنصر جديد أصلي من عناصر معالجة شتى واجبات الصحافة التي يؤديها مخبروها ، وهي نقل أخبار الحرائق ، والقتل ، وتعقب الأشرار ، ونشر حوادث الألعاب الرياضية والحفلات العامة والمآدب وأمثالها .

ولا غرو فهذه الطائرة الجديدة ، لا تكترث لبعد الشقة اكتراثاً يذكر . إذ يتاح لها قطع مرحلة تبلغ مائة ميل في الساعة . وهذا فضلاً عن استقرارها ، عقب قيامها بأشغال جمة ، وذلك في مهبط منزلي تبلغ مساحته مائة قدم مربعة ، فوق مبنى مؤلف من ثلاث طبقات محتوية على معدات تنتج أحدث جرائد العالم .

وفي المنطقة الأمريكية الواقعة في شمال نهر الأوهيو ، (وهي المؤلفة لولايات : أوهيو ، وأنديانا ، ومتشيغان ، وإيلينويز وويسكونسن ، التي تعد من أجمل المناطق مناظر في بلاد الولايات المتحدة الأمريكية) استطاعت الهليكوبتر المشار إليها نقل مخبري الجرائد ومصوري الحوادث فوتوغرافياً إلى بيئات بدائية ، وأوساط نائية ، ما زالت باقية على أحوالها الفطرية التي شاهدها فيها الهنود أولاً .

وأتيح ذات مرة لتلك الطائرة ، الهبوط في بقعة صغيرة من أرض غابة بدائية ، كانت قد استؤصلت أشجارها العتيقة تمهيداً لزرعها بالغلال . وهي المساحة الممتدة على

الشاطئين الوعرين لنهر روج ، الغاصين بالأشجار . وهو ذلك النهر الذي تتلاطم أمواجه تلاطماً عنيفاً جداً في المضايق التي تكتنف جبال سسكئيو في جنوب ولاية أوريجون . وذلك قصد إرسال برقيتين ، سلكية ولاسلكية تصفان بهما شخصية سفاح رهيب مخبول ، أتهم بإرهاب خمسة أشخاص . فتيسر بهذه الوسيلة إعادة صور فوتوغرافية مهمة ، وذلك بالطائرة الى بورتلند. فأفضت إلى القبض عليه. وبورتلند مينا على مصب نهر ويلياميت في ولاية أوريجون مشهورة بتصدير الخشب »

ومن واجبات الهليكوبتر ، التي تعد أقل خطراً وأكثر بهجة ، إذاعة صور الحفلات الكبرى للعب كرة القدم . فقد أتيح لتلك الطائرة ، إذاعة وصف الألعاب عند وقوعها في اليوم نفسه ، في موضعين هما ملعب جامعة أوريجون في مدينة أوجين على بعد يزيد على مائة ميل من بورتلند وملعب كلية أوريجون في مدينة كورڤاليس ، كما تيسر اجتناب مجاوزة الحد الممنوع تعديه في اللعب . وذلك بصور التقطت في أثناء اللعب لتعرض على المشاهدين من الجانبين .

وحازت الدراجون فلاي الاستحسان الفائق في الأعمال التي تقتضي السرعة دائماً. ومثال ذلك أن الصور التي التقطتها من الجو للمهرجان العالمي المشهور ، الذي أقيم للورد في مدينة بورتلند ، أعيد إرسالها جوياً الى السرب المحلق في أعلى مكان الاحتفال وذلك في ٧٥ ثانية عقب التقاط صورة آخر منظر لذلك المعرض . على حين أن أبرع حرس من رجال البوليس وأسرع سياراتهم ، كانوا يؤدون العمل نفسه في ١٧ دقيقة . وبهذه الوسيلة استطاعت ادارة الجريدة نشر الخبر في نسخها مشفوعاً بصور العربات المزينة التي فازت بالجوائز يومئذٍ . وبيعت تلك الصحف للمشاهدين الذين كانوا على مقربة من آخر طريق لمرور موكب الاحتفال . وذلك قبل مشاهدتهم للقسم الأخير من الموكب عينه .

وتتيح الهليكوبتر الصحفية للمصورين الفوتوغرافيين الصحفيين أيضاً ، فرصة للتصوير السينمائي من مواضع وعرة. فقد أتاحت لكثيرين من أهالي بورتلند التقاط مناظر ، عن قرب ، التقاطاً يوضح مميزاتها جميعاً على نطاق واسع ، لأول مرة في التاريخ. وذلك لقنن كثير من الآثار التاريخية القديمة الباذخة والمعالم الشاهقة ، التي كانت تبدو للناظر من بعيد ، بقعاً نائية فحسب . كما كان تصوير السفن الجارية في عرض البحر يقتضي المصور الفوتوغرافي ، جهداً شاقاً فأصبح أمراً ميسوراً تجاه عدسة طيار الهليكوبتر ، وذلك بعلاج جديد . إذ المعروف أن التصوير الفوتوغرافي الجوي للسفن السابحة في البحار والمحيطات ، أصعب منه عند تصويرها حين رؤيتها من الأرض.

ومع ذلك فان قدرة الهليكوبتر على البقاء في الجو ثابتة في ارتفاع منخفض ، تعد ميزة رائعة . ذلك لأن أي اهتزاز قوي يحدث في مقعد طيار الهليكوبتر رغمه على فتح غطاء العدسة واغلاقه ، لادخال الضوء الى الفلم أو اللوح الحساس ، ومنعه عنه بسرعة تتفاوت بين ١/١٠٠ و ١/٢٠٠ من الثانية قصد الحصول على الصور السلبية الجيدة الوضوح . على حين تيسر لبعض المصورين الفوتوغرافيين الذين يركبون الهليكوبتر ، تعريض الفيلم أو اللوح الحساس لتأثير أشعة الضوء تعريضاً بطيئاً لا يزيد على ١/٥ من الثانية وذلك في الحوادث الفجائية ، عند ما يكون الضوء ضئيلاً ، فحصلوا على صور مقبولة . وانما يتسنى هذا في حالة واحدة تتهيأ عند تكاتف الطيار مع المصور الفوتوغرافي تكاتفاً تامًّا في تطيير الهليكوبتر تطييراً يحول دون اهتزازها ويمنع تحركها حركة رحوية، أضعف ما تكون ، وبتصويب آلة التصوير الفوتوغرافي في اللحظة الملائمة لالتقاط الصورة أقصى الملاءمة .

ونهج المصورون الفوتوغرافيون الذين يخدمون الصحافة في تلك الهليكوبتر « الدراجون فلاي » طريقة فنية في أعمالهم هي اجتناب ملامسة آلاتهم المصورة لجوانب مقعد الطيار . وذلك عند تعريض الفيلم أو اللوح الحساس للضياء . وبهذه الوسيلة تستغرق أجسامهم كثيراً من الاهتزاز الذي يحدثه محرك الطائرة . وهم يلتقطون أغلب الصور عن طريق النوافذ الجانبية لمقعد الطيارة في الهليكوبتر . ومع ذلك فقد استطاعوا الظفر بنتائج طيبة ، بالتقاط الصور بالآلات السينمائية المصورة التي تثبت في جؤجؤ الطائرة المصنوع من العجائن الكيميائية .

وأضحت الهليكوبتر وسيلة من أعظم الوسائل لالتقاط صور كثير من الحوادث وذلك من الارض ، التقاطاً كان مستحيلاً فيما سلف من الزمن . لأن قدرتها على الهبوط في رقعة ضيقة من الارض ، تقل مساحتها عن خمسين قدماً مربعة ، قد هيأ لناقلي الصور الفوتوغرافية للصحف مواقف كانت غير ميسورة لهم قبلاً . قصد التقاط صور الوقائع التي لم يتح نشرها لغيرهم . ومثال ذلك : أنه عند وقوع الفيضان في مدينة فانبورت الامريكية ، أنزلت الهليكوبتر مصوراً فوتوغرافيًّا على سد من السدود التي غمرتها حينئذ مياه الفيضان قصد التقاط صور فاستطاع عاجلة المصور التقاط صور لجانب من ذلك السد ، قبيل طغيان المياه عليه، بثانية واحدة من الزمان. ثم تسنى لها الفرار آمنةً مطمئنة. على حين كان الناس الذين في وسعهم للتوسل بأية وسيلة من وسائل النقل والانتقال لا بد أن تثبط عزائمهم حيال ذلك الحادث المروع .

وقد يلجأ أصحاب الجريدة نفسها الى

ربط طائرة من طائراتهم العادية ذوات السرعة التي تفوقها في الهليكوبتر ٦ الى الهليكوبتر نفسها بغية تعجيل نقل الأخبار الصحفية . وعندما تكون المسافات بعيدة ، ينتفع أرباب الجريدة ببراعة الهليكوبتر في الحصول على الصور المبتغاة من أماكن وقوعها . ثم يستفيدون من الطائرة العادية ، في ترحيل الصور الفوتوغرافيـة الى مقر الجريدة في بورتلند بسرعة تزيد كثيراً على قدرة الهليكوبتر .

وهذه الهليكوبتر من أرقى الطرز التي صنعتهـا مصـانع بل Bell للطـائرات . وسرعتها في الساعة تتفاوت من ميل واحد الى مائة ميل ، في ارتفاع عشرة آلاف قدم أو قدم واحدة . وفي وسعها الطيران خلفيـًا أو أماميـًا أو جانبيـًا أو التحليق تحليقاً ثابتاً في الجو . ثم إن عجلتيها الأماميتين لها محاور تتحرك حركة تامة ، تسهل لها كل التسهيل ، الهبوط الى الأرض في الأماكن الضيقة .

وتستمد الاسطوانة المستقيمة الدوارة الثنائية الريـش ، التي تقوم مقام الصاري والشراع في الهليكوبتر ، قوتهـا من آلة محركة من طراز فرانكلين ، يبردها الهواء . أما الاسطوانة الصغيرة الدوارة التي في ذنب الهليكوبتر فهي كمفتـاح توجيهي يبطل الحـركة الرحـوية . وتزوّد هذه الهليكوبتر الصحفية بالبنزين من محطات الوقود المنتشرة في قوادع الطرق .

والشطر العلوي من هذه الهليكوبتر مدهون بدهان أبيض . وشطرها السفلي مدهون بدهان أخضر ، ويتوسطهما خط برتقالي اللون ، مما يجعل الهليكوبتر شبيهة بالسيارات التي تنقل الصحف إلى أماكن تسليمها . ولـكنها تتميز عليهـا باحتوائها على جهاز تليفون لاسلكي يسهـّل لراكب الطائرة عادةً الاتصال بالمحطات الأرضية وتلقي أخبارها في حينها .

وفي بدء الأمر تعـذر على أصحـاب الهليكوبتر المشار اليها الحصول على رخصة من أولياء الأمور في مدينتهم ، تبيح لهم تطييرها من فوق جريدتهم ، إلى أرجاء البلاد التي تجاورهم . بيد أنهم ما لبثوا أن ظفروا بهـذه الأمنية ، حالمـا اقتنعت حكومتهم بأن الآلة الهادئة المحركة للهليكوبتر نفسها لا تقتل أحداً ولا تحدث تلفاً في وسط حاضرتهم التي تعج بمتاجرها . ذلك لأنه إذا فرض فانفصلت تلك الآلة المحركة للهليكوبتر عنهـا استطاعت الهبوط على الأرض سالمة هبوطاً انزلاقيـًا مضبوطاً بواسطة اقتحام الهواء لاسطواناتها الضخمة الدوّارة التي تعلوها ، ممـا يجعلها تواصل دورانهـا . ومن ثمة يتاح جعل ميـادين الألعاب الرياضيـة والمتنزهات والشوارع الطفيفة الحركة التجارية ، التي توجد في كبريات المدائن ، مهابط للهليكوبتر عند

الضرورة القصوى . وقد حازت الدراجون فلاي الصحفية إعجاب الذين استخدموها على بكرة أبيهم ، كما استحقت أكاليل الفخر ، ونالت رضى مؤلفي الروايات التمثيلية.

ولا شك أن الجريدة التي تملك هليكو بترا صحفية ، ومعدات فاخرة للآلات الضرورية لصناعتها ، تمثل أحسن تمثيل ، الظفر الرائع الذي نالته آلات تلك الجريدة . ويبدأ هذا الفوز بوصول البلاغات التي يحررها مخبر الجريدة إلى آلات اللينوتيب الشديدة التعقيد ، العظيمة السرعة . فتقوم تلك الآلات بصف حروفها ثم تحولها الى قسم الاستريوتيب حيث تحول الأخبار والصور المشفوعة بها ، الى اسطوانة معدنية تنقلها أجهزة خاصة الى مطابع ضخمة ، هي آيات خطيرة من آيات الهندسة الميكانيكية العصرية .

ولا غرو ففي وسع المطبعة التي تطبع هذه الجريدة انتاج ١٣٥٠٠٠ نسخة في الساعة . كل منها مؤلفة من ٤٠ صفحة .

مكتشفات ومخترعات عصرية خاصة بالطيران

« مناظير جوية « بريسكوبات » للطائرات عابرات الأجواء »

البريسكوب منظار مؤلف من منشور زجاجي يتحرك حركة رحوية فيعكس أشعة الضياء التي تقع على سطحه ، البارز على الماء إلى جوف الغواصة . وذلك بأنبوب عمودي حيث يشاهدها الرقيب في الغواصة فيستدل بها على موقعه من سفن أعدائه . وقد اخترعت في بلاد الولايات المتحدة الأمريكية مناظير للطائرات عابرات الأجواء شبيهة بمناظير الغواصات ، تتيح لقائد الطائرة تحديد موقعه في الجو . وذلك بالبيانات التي يوضحها هذا الجهاز ، من دون الاستعانة بالقبة المألوفة للرصد التي تكون عادة بارزة فوق سطح الطائرة . وقد أسفر استعمال هذا المنظار الجوي الذي سمي « البريسكوب المزولي » الذي ركب في الطائرات السريعة التي من طراز كليبر وخاصة الطائرة « بول جونز » التي تطير الآن بين مدينتي نيويورك وكلكتا عن نجاح باهر . وذلك في اثنتي عشرة رحلة عبر الاطلنطي . وقد أذاعت « شركة بان أمريكان ورلد ايرويز » هذه النتيجة السارة فشجعت شركات الطيران الاخرى على الاقتداء بها في استعمال هذا الجهاز في كل طائرة من طائراتها .

وهو يجمع بين البريسكوب وقبة الرصد الجويين . ويثبت في مقصورة الطيران فيتيسر لقائد الطائرة التفرس في الأجواء من دون التوسل الى ذلك الغرض بتسلق قبة الرصد ، حيث يرصد الكواكب بأنبوب صغير يبرز فوق تجويف معين

في غلاف الطائرة المعدني بروزاً يبلغ طوله بضعة قراريط . وهو يعدّ اعداداً فنيّاً يجعله يدور دوراناً رحويّاً يبين أحوال الأجواء لراصدها الطيار .

باراشوت للآلات الصاروخية

البراشوت أي المهبط — آلة على شكل المظلة تنبسط انبساطاً كبيراً يعوق سرعة هبوط أي جسم كان من الجو ولا سيما من الطائرات . وجاء في أحدث الاخبار أن شركة الكهربا الأمريكية العامة في الولايات المتحدة ، أعلنت اختراعها لجهاز رحوي الحركة يشبه رمحاً ضخماً يهبط على الأرض سالماً مصحوباً بالآلات الدقيقة التي يتناولها من صاروخ سريع . ويسمى هذا الجهاز باسم (الباراشوت الاسرع من الصوت) أو البراشوت الرحوي الحركة rotochute « روتوشوت » وهو ينافي البراشوت المعتاد إذ هو ذو جسم على شكل قنبلة مجوفة تستوعب ما يوضع فيها من الآلات . وتحتوي على ريشتين دوّارتين ، ومقدمها مستدق الرأس ، ولها ذنب ذو زعانف ، طوله زهاء أربع أقدام وعرضه ثمانية قراريط . وهاتان الريشتان عند ما تفتحان يبلغ امتدادها ثماني أقدام . ويستطيع هذا الجهاز أن ينقل حملاً من الآلات يتفاوت ثقله بين ٢٠ رطلا و ٣٠ رطلاً انكليزياً . وينقله هو وحمله من الآلات الى الطبقات الجوية العليا صاروخٌ يدخل الحمل في جوفه فيطير به حتى يبلغ ذروة طيرانه ، فيطلق عقاله ، وعندما يهبط الجهاز من ذلك الارتفاع العظيم ويصل الى طبقة جوية أكثف هواء مما فوقها ، تأخذ ريشتاه في دورانهما دوراناً تدريجيّاً من شأنه اتخاذها موقفاً أفقيّاً . وهذا يقوم مقام عوافة « فرملة » لحركته تخفض من سرعته الهائلة التي هي أصلاً أعظم منها في الصوت ، إذ تنخفض الى ٢٧ ميلاً في الساعة

طائرات قاطرة

كثيراً ما نرى السيارات الضخمة تجر خلفها عربات أخرى موسوقة بمنقولات شتى . وقد اخترعت طائرات قاطرة على هذا الغرار ، إذ تقوم كل منها بجر جسم ضخم ، على شكل هيكلها لنقل البضائع ، صالح للانفصال عنها ، تلتقطه الطائرة النقالة من الأرض الى الجو ، حيث تنقله الى الجهة المقصودة . فتستطيع الطيران به بسهولة ، كما تقدر على الرحيل من دونه . فهو إذن لا يؤثر في حركتها الدائمة أدنى تأثير .

وقد قامت شركة فيرتشيلد الامريكية للطيران ، باختراع هذا النموذج من الطائرات ، بناء على اتفاق عقدته مع السلاح الجوي الامريكي . ويربط صندوق البضائع هذا ببطن طائرته النقالة ، وعند بلوغها المينا الجوي المقصود ينفصل منها عاجلاً ويحل غيره محله وذلك في وقت راحة الطائرة النقالة .

اجهزة الرائد اللاسلكي
في ميادين الحروب العصرية

توسل البريطانيون بالرائد اللاسلكي لتحطيم منطقة مرفأ فيلهلمز هافن ، وذلك في يوم غائم . وكان هذا الهجوم عقب فشلهم ثماني مرات في مهاجمتها في ريع النهار ولكن رجال الجيش الثامن الاميركي أدركوا في بدء الأمر أنهم لا يستطيعون الوثوق بجهاز الرادار ، وثوقاً تامًّا بغير تبصر . وبلغ من اتقان الصورة التي كان الرادار يلتقطها حينئذٍ ، أن بعض الملاحين جعل يقلل من استعمال التقديرات العتيقة التي ألفوها من قبل ، وذلك اكتفاء بما كان يتجلى لهم في مجال نظر الرائد اللاسلكي إذ تبين لهم مراراً أن موضعين مختلفين كانا يكادان يتكشفان لهم كأنهما مدن وأنهار وجبال وأراضٍ متناسقة ، بعضها مع بعض، تناسقاً صحيحاً، فنجم عن ذلك مرة خطا من هذا القبيل ، أفضى الى اطلاق قنابل القاذفات الأميركية على بلاد جمهورية سويسرا . وتلافياً لهذا النقص، واستكمالاً لتمكين رجال الفيلق الثامن، من استطلاع الحالة الجوية بأسرها ، استولوا على مثال بدوي لرادار بري ذي موجة صغيرة جداً خيل لمخترعه أنه صالح كمحذر جوي للدفاع ضد القاذفات المعادية . فما إن ظفروا به حتى ركبوه على الساحل الشرقي لبلاد انكلترا حيث كان أقرب ما أمكن الى الاهداف الألمانية العظيمة الشأن.

عوض جندي

توبيخ

فيما كان كسرى يشهد اعدام وزيره الحكيم بزرجمهر رأى بين الجمهور الشاهد امرأة بلا قناع وهو أمر منكر عند الفرس ، فبعث يسأل ما خبرها : قال الشاعر الراحل خليل مطران في ختام هذه القصيدة

فأشار كسرى أن يرى في أمرها ... فمضى الرسول الى الفتاة وقالا
مولاي يعجب كيف لم تتقنعي ... قالت له أتعجباً وسؤالا ؟
أنظر وقد قتل الحكيم فهل ترى ... إلاّ رسوماً حوله وظلالا
فارجع الى الملك العظيم وقل له ... مات النصيح وعشت أنعم بالا
وبقيت وحدك بعده رجلاً فسد ... وارع النساء ودبر الأطفالا
ما كانت الحسناء ترفع سترها ... لو أن في هذي الجموع رجالا

وكانت الفتاة بنت بزرجمهر

بين عام وعام

ألا ينثني العام الجديدُ مروّعا ويشهد للعام المودِّع مصرعا
رأى الشمس تمشي في السماء كئيبةً لدنْ شاهدت قلبَ الورى متوجِّعا
رأى ناظر المرّيخ يحمر حانقاً فحاذرتِ الأفلاك منه تزعزعا
وقد وجفت زهر الكواكب مذرأت بها قبة الأفلاك مادت تصدُّعا
وغاصت نجوم الليل في حلك الدجى وغابت عن الأبصار تطلب مفزعا
أجل ينثني العام الجديد مهرولاً ليشكو لرب الدهر ويلاً مروِّعا
رأى ملكوت الناس دار جهنم تعالى لهيب الشر منها ملعلعا
تردَّد ثم ارتدَّ يجرع هالعاً وعاد القضا المقدور نمّت وأهلعا
على أن دهر الداهرين الذي طوى السنين الخوالي لم يقف متورعا
فما زال يطوي ثم ينشر قاذفاً بأعوامه في النار يُصهرنَ أضلعا
فحتى مَ يا دهر الدهور تغضباً وحتى مَ يا أرض الذكاء تفجعا

* * *

خف الله وارجع أيها العام تائباً إذا لم تكن يا عام للسلم مرتعا
كفى الأرض ما غبَّته من دم أهلها أما شبعت منها ؟ فلن تتشبَّعا
لقد ملك الأرضين ابليس فازياً فصار له غزو الملائك مطمعا
أتتنا حضارات وتحت ذيولها عوامل منها مزّقتها « تفرقعا »
كما باد « مكروبٌ » بسمٍّ نتاجه تبيد بأهليها وآلاتها معا
فاطبق سجلّك أيها الدهر ما احتوى سوى لعنات هزّت الكون أجمعا
وقف حركات الكون إذ هي ثورةٌ أصارت نظام العالمين مضعضعا
وربيَ ليس الدهر يدري بما جرى ولا الكون يدري بالوبال الذي وعى
ولكن هو الانسان شيطان دهره وقد جعل الدنيا جحيماً فأبدعا

نقولا الحداد

فهرس الجزء الاول

من المجلد السادس عشر بعد المئة

بعض ما ينشر في العدد القادم

من المقتطف

مصر مهد الانسان الاول والامة الاولى

ما يعرف وما لا يعرف

ملحمة العصر : ميراث الشباب للمشيب « قصيدة »

العزلة في رأس الجبل : هذيان الاقلام . والنفاق المصدَّق

مشاجرة : بين أحياء وأموات وتدخل ملاك بينهم

بقية ملحق : فلسفة الوجود

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد السادس عشر بعد المئة

١ فبراير سنة ١٩٥٠ — ١٤ ربيع الثاني سنة ١٣٦٩

السير ارثر كيث

فتح دارون بدراسته العلمية العملية « تسلسل الأحياء » وتنوعها باباً واسعاً في العلم الحديث لأن نظريته أقنعت جميع أهل الفكر الحر ، كما أنها هاجت خواطر ذوي التقاليد القديمة المتحجرة . فقام على أثره بعض كبار المفكرين يبحثون في نظريته ، ويقلبونها على جميع صور الحياة ، ومن جملتهم هكسلي ، ثم لجنر الذي شرح النظرية ، ولخص شرحه لنا الدكتور شبلي شميل . ثم جعل الفيلسوف سبنسر يشتغل في الفلسفة على أساس نظرية دارون، وأجملها في تفسير التطور في كتابه « المبادىء الأولى ». وأخيراً قام برغسن الفيلسوف الذي بنى فلسفته على « نظرية التطور » .

وأخيراً قام السير ارثر كيث الطبيب الجراح الأنثروبولوجي فكتب كتاب « قدمية الإنسان » . وهو يبرهن فيه كيف تطوّرت أعضاء الإنسان بحسب سنة التطور . وفي العام الماضي أصدر كتابه الأخير « نظريات جديدة في التطوُّر البشري » قضى في تأليفه بضعاً وعشرين سنة أتى فيه على نحو ٣٠ نظرية في التطورات التي طرأت على الإنسان منذ بزوغه من أشباه الإنسان . وفيما يلي نظريته في أن مصر هي «مهد الإنسان الأول والأمة الأولى» منذ أكثر من عشرة آلاف سنة . وسننشر في الأعداد القادمة نظريته عن اليهود والصهيونية . ونوالي نقل المهم من نظرياته في المواضع الأخرى .

السير ارثر كيث رئيس الجمعية الأنثروبولوجية في انكلترا وعضو زميلتها في باريس . وأستاذ كلية الجراحة في لندن الخ — هو عالم عظيم .

مصر مهد الامة الاولى والحضارة الاولى

للسير ارثر كيث

في أواسط الألف الرابعة قبل الميلاد المسيحي ابتدأت قبائل مصر السفلى تندمج بعضها ببعض على الرغم من أن كلاًّ منها كانت ملازمة منطقتها — اندمجت تحت زعامة واحدة موفقة في إنشاء مملكة واحدة. وفي الوقت نفسه حدث مضارع لها في مصر العليا . فإن بعض عشرات من القبائل كانت منتظمة كالخرزات في سلك على ضفّات النيل، من أصوان فما دون على مسافة ما ينوف عن ٣٠٠ ميل — اندمجت كلها في حكومة واحدة تحت سيطرة زعيم العشيرة الذي صار أخيراً ملك مصر العليا . وكان مقرُّهُ في الضفّة الشرقية على بُعد ٤٠ ميلاً تحت المكان الذي تحتله اصوان الآن .

ومنذ القرن الأخير من الألف الرابعة قبل الميلاد (والمصطلح عليه عند المؤرخين ٣٣٠٠ قبل الميلاد) شبَّت حرب بين الملكين انتصر فيها ملك مصر العليا . ويُقال انه قتل فيها ٦ آلاف من الجيش المكسور ، وأخذ منه ١٢ ألف أسير. وهكذا جاءت الى الوجود الأمة الأولى (بالمعنى الذي نفهمه من كلمة أمة اليوم) التي علمنا خبرها . الأمة الأولى جاءت الى الوجود بحرب . فبرهنت الحرب على أنها « داية » الأمة أو قابلتها أي مولدتها .

ما ذا أعني بالأمة في المعنى الحديث ؟

دعني أمثل على تعريفي للأمة بمصر القديمة — ١ — أنشئت لها حكومة مركزية واحدة — ٢ — الشعب الذي كان محكوماً كان يمثل قطراً واسعاً يمتد من البحر المتوسط الى الشلال الاول مسافة ٥٥٠ ميلاً للطائر — ٣ — القبائل تناست رويداً فروقها المحلية وأصبحت تشعر كأنها أعضاء وحدة أهلية كبرى . وبعبارة أخرى حوَّل الأهالي الى مركز الزعيم ، « فرعون » بعض ولائهم أو كلهُ الذي كانوا يوجهونه الى رؤساء قبائلهم — ٤ — ان حب المصري لوطنه شمل جميع البلاد التي كان يقطنها ناسه — ٥ — أصبح المصريون يشعرون إنهم أو، أمتهم يفترقون، عن سائر الأمم والشعوب — ٦ — ثم أصبحوا يتكلمون لساناً واحداً . ويشعرون أنهم يرثون نفس العادات ونفس التقاليد ، وإنهم خاضعون لشريعة واحدة ، وإنهم يؤمنون بنفس الآلهة . فجميع هذه الصفات كانت روابط الأمة — ٧ — أصبحوا فاهمين ان سلامتهم الشخصية وضمانتها مرتبطة ببلادهم. وعلموا أن أمنهم القومي لا يشرى إلاّ بثمن الشخصية .

لجعل هذه الاحساسات متقدة في قلوبهم باستمرار لا بدَّ من مرور عدَّة أجيال .

والقَدَر ابتسم لدول مصر الأولى .ففي مدة الدول الست الأولى التي استغرقت ٨٠٠ سنة كانت الأمة متحدة والحكومة قوية . وفي تلك المدة توالى أكثر من ٣٠ جيلاً . ولذلك يظن المطلع على هذا الكلام إن مرور هذا الزمن المديد على هذه الوحدة يجعلها عنصراً ثابتاً في تقاليد الأمة وأكثر التحاماً . ولكن الواقع برهن على أن الأمر ليس كذلك . فلما ضعفت الحكومة المركزية نهض شيوخ القبائل الى استلام القوة .

كيف حدث ان جماعات بابل القروية نمت الى ممالك مستقلة ، في حين أن هذه الجماعات في مصر اندمجت في وحدة شعبية واحدة ؟ — لذلك عدة أسباب أهمها تشتت البلاد الزراعية المقفرة في مصر (البور) — الصحراء قاحمة جداً الى شاطىء النيل، بحيث لا يبقى إلا بقاع مخضلَّة للسكان . فليس للأقليات الثائرة جبال تلجأ اليها وتحتمي فيها . كانت جميع أسباب الرزق مكشوفة على ضفّات النيل . فالحكومة المركزية تجعل النيل الطريق السلطاني لنقل قوة عسكرية كافية لقمع فتنة القبيلة الثائرة . وأظن هذا هو العامل الأول لجعل القبائل المصرية أمة واحدة . والعامل الآخر هو شعور الفلاح المصري نحو أرضه وانعطافه اليها . والقوم لكي يستقرّوا يجب أن يلازموا أرضهم . وأما في بابل فالفلاح يترك أرضه وقريته لكي يعيش في المدينة ويشارك أهلها في الصناعة والتجارة . أضف الى هذه الأسباب سبباً آخر: هو عقلية المصريين القدماء . فقد كانوا أميل الى الطاعة والخضوع منهم الى الانقياد ، أو الى الائتمار منهم الى الآمر . وكانت قوة الابتكار والاختراع فيهم ضعيفة . ولكنهم كانوا أذكياء في النسخ والاقتباس والتكييف . ولم تكن في عقليتهم روح المنافسة والمحاسدة . ففيما كان المصريون ضعفاء في هذه المواهب كان البابليون أقوياء فيها . وقليل من الخمير البابلي مع العجين المصري ينتج نتائج سعيدة . حدث في فجر المدنية شيء مثل هذا فعلا

يفيدنا أن ننظر الى المصريين القدماء بعين صديقي وزميلي في فن التشريح الدكتور جرافتن اليوت سمث . ولد في استراليا وتخرّج في كليتي الطب في سدني وفي كمبردج . وانتدب لاحتلال كرسي التشريح في كلية الطب في القاهرة سنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٩ . وفي مدة اقامته في مصر توالت الاكتشافات الأثرية التي القت نوراً على تاريخ مصر القديم . وليس على تاريخ الدولة الأولى بين ٣٣٠٠ و ٣٢٠٠ فقط، بل على ما سبقها من قبل التاريخ حتى أواسط الألف الخامسة قبل الميلاد . وبعد دراسة عميقة لسكان مصر قبل التاريخ صار الدكتور اليوت سمث متأثراً جداً من أهمية مدنيتهم وثقافتهم . وهكذا حفظت مصر في آثارها كل دور من أدوار تطورها ، حتى انه اقتنع بأن المدنية ولدت في شاطىء النيل ، وكان مهدها الأول هناك وليس في مكان آخر . وكانت له شجاعة وثقة

بنفسه حتى انه لم يستطع الصبر والسكوت عن أن يحول تفكير العالم الى نظريته [1] فاذا صح هذا كان كل ما صادفناه من الثقافة والرقي في ايران وبابل يرجع مصدره الى مصر .

بين الحربين العالميتين الأخيرتين تقدمت معارفنا عن ثقافة آسيا الغربية الجنوبية تقدماً مدهشاً — كان الوادي الهندي الطرف الأقصى من الثقافة والحضارة ومصر الطرف الآخر. إن موقع النجد الايراني الأوسط والحضارات الباكرة التي اكتشفت آثارها هناك ترجح لنا أن سكان هذا القسم من آسيا، هم الذين انشأوا الحركة الحضارية والثقافية التي طوّرت الجنس البشري وجملته جماعات . والمصريون والهنود كانوا مقتبسين أكثر منهم مبتكرين. أما مصر ففيها أدلة على أنها كانت تتلقى مهاجرين من جهات مختلفة منذ القديم . في سنة ١٨٩٥ فتح مسيو مورجان الأثري الفرنساوي خمس مدافن غربي النيل قرب أبيدوس Abydos (هل عبيدية ؟) وهذه القبور القديمة يرجع تاريخها الى نصف الألف الخامسة قبل الميلاد . ويظن انه في ذلك الحين نقل السومريون Sumerions ubandian التمدن العبيدي الى بابل . وقد وصف الدكتور فوكه الأشخاص الذين دفنوا في تلك القبور . وبحسب وصفه يختلفون اختلافاً بيناً عن المصريين الذين عاشوا قبل التاريخ ، وكانوا من النمط الذي وجده السير ليونرد وُلي Leinard wooley في أور « الكلدانيين » (العراق) .كانت لهم رؤوس ضخمة وأدمغة ذات حجم يضارع أدمغة الأوربيين اليوم ، في حين أن أدمغة المصريين قبل التاريخ أقل مئة سنتيمتر مكعب عن أدمغة الأوربيين الحاليين . وهناك ثقافة أو حضارة أقدم هي حضارة Tasian التاسيان التي اكتشفها الأستاذ جاي برنتون Guy Bronton سنة ١٩٢٧ — ٢٩ في مصر الوسطى على الشاطىء الشرقي للنيل.وهي تنسب عادةً للقسم الأول من الألف الخامسة قبل الميلاد.فتكون معاصرة للمدنية (الهلافية Halafian) فيما بين النهرين . وقد يمكن أن تكون في الألف السادسة قبل الميلاد . وكان التاسيون زراعيين، وأوصافهم الدماغية تدل على انهم من أصل أسيوي لا مصري . وأما أن آثار الفن الزراعي في مصر أقدم مما وجد منها في آسيا فمسألة فيها نظر . وحين أبحث جميع الأدلة في هذا الموضوع أجد أن لآسيا حق الأولوية .

وأعتقد أو افترض ان سكان مصر في الألف السابقة قبل الميلاد كانوا ضمن قاع [2] (أو وادٍ) ضيق طوله نحو (٥٥٠) ميلاً ، وجميع حواشيه تؤذن بالاستثمار وارتزاق السكان منها. ماذا كان عدد السكان حينئذٍ ؟ وكيف كانوا منظمين ؟ كان الفرد يحتاج ميلاً مربعاً من الأرض

(١) له كتاب بهذا الموضوع بعنوان « المصريون القدماء»

(٢) أظن ان أفضل تعبير عن وادي النيل هو لفظ قاع لان القاع هو السهل الواقع بين جبلين . والوادي منفرج بين جبال او تلال أو آكام ويكون منفذاً للسيل

الخصبة لأجل معيشته البدائية . أرض مصر الخصبة اليوم ١٢ ألف ميل مربع . فإذا أخذنا هذا القدر مقياساً للبر الصالح للإرتزاق بجمع الغذاء (من غير زراعة) كان سكان مصر البدائيون حينذاك ١٢٠٠٠ نسمة ، وهو رقم أكثر من نصف الأرض الزراعية من مساحة الوادي المسمى الدلتا [1] وهي أقل من نصف ٥٥٠ طول الوادي . ولما كان الوادي أفضل مجال للصيد فنعين نصف السكان للوادي ونصفهم للدلتا. ستة آلاف ينتشرون جماعات على طول ٥٥٠ ميلاً ، فيصيب كل نسمة منهم ميل من النهر. ويحتمل أن الجماعة المحلية كانت تشغل تسعة أميال على طول الوادي ، وتكون حينئذٍ مؤلفة من ٩٠ نفساً من ذكور وإناث.

إذاً فكان سكان الوادي منقسمين الى نحو ٥٥٠ جماعة محلية مساوية في الحجم الى جماعات الوادي . وجميع هذه الجماعات تزيد على مئة وحدة تطورية مستقلة في مصر البدائية . وكان كلما ارتقت الزراعة تضخمت الجماعات المحلية حجماً . وكذلك كانت هذه الجماعات تقل عدداً بسبب اندماج معظمها بعضها ببعض ، الجارة بالجارة . وفي اثناء ما قبل العصر الدولي صارت هذه الجماعات المحلية تعرف باسم القبيلة أو العشيرة أو نحو ذلك .

أصبحنا الآن في موقف أن نفهم ما هو معنى التاجين (المملكتين العليا والسفلى) لدارس التطور الإنساني . إن سكان مصر الذين كانوا في العصر البدائي موزعين في عدد من الجماعات الصغيرة المستقلة ، اندمجوا في العصر الدولي في وحدة ضخمة واحدة . وبهذا الاتحاد قلّ التنازع بين الجماعات المحلية . ولكن أخطار التنازع بين البلاد وما وراء حدودها زادت واشتدت : ومن حسن حظ مصر أن موقعها ضد الأعداء الخارجيين كان منيعاً . فهي كانت محميّة من كل ناحية بصحراء ، ما عدا حدها الجنوبي حيث كان يهدّدها قبائل نوبيا . ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط ، حيث هناك جسر أو برزخ برّي يجعل مستنقعات الدلتا مفتوحة لآسيا . فمن قبل العصر الدولي وما بعده كان هذا الممر الأسيوي طريق الغزاة لمصر والمهاجرين إليها .

بفضل طرق الري والفلاحة صار سكان مصر الذين قدّرناهم بنحو ١٢٠٠٠ نفس في العصر البدائي ، صاروا سبعة ملايين في عصر الحضارة . والميل المربع الذي كان يغذي فرداً واحداً أصبح يغذي ٥٨٠ نفساً . وفي يومنا الحاضر (١٩٤٦) يقدر سكان مصر بنحو ١٧ مليوناً (والصواب ٢٠ مليوناً) أي صار كل ميل يحتوي ١٤٠٠ نفس وهو مضاعف العدد في أكثر بلاد أوروبا ازدحاماً . وحين ننظر الى هذه التغيرات التطورية نرانا مضطرين أن نسلم بأن المعول والمعزقة قد قلبا التطور البشري رأساً على عقب .[يتبع]

(١) الدلتا حرف يوناني يشبه المثلث ويقابل الدال العربية . وهي إذا وصل طرفاها بخط صارت مثلثاً

العقل حركة

في خليات الدماغ

إذا بحثنا في سرّ نشوء هـذا العقل انكشف لنا صغره لدى عظم هذا الوجود، وضعفه تجاه القوّة التي يتحرك بها هذا الـكون .

أما ان العـقل نشأ نشوءاً وتطوّر وترقـى بحسب ناموس التطوّر الذي تجري عليه جميع الـكائنات بلا استثناء ، فلا ريب في ذلك ، لأن ظواهر تطوّرهِ واضحة في جميع الأحياء من أحقرها الى أعلاها ، الإنسان . فهو لم يدخل الى الدماغ أو الجهاز العصبي من الخارج ، بل هو نشأ مع الحياة وتطور معها . أي ليست له ذاتية قائمة بذاتها ، بل هو ظاهرة من ظواهر المادة . هو عمل من أعمال المادة . هو والحياة من نتاج التفاعلات الـكيماوية بين ذرات المادة وكهاربها . فـكيف نشأ ؟

نشأ بفعل التصادمات بين عوامل الطبيعة وبين الجسم العضوي الحي . فـكما نشأ الجهاز العصبي البصري بصدمات الأمواج النورية على الجسم ، كذلك نشأ المركز الدماغي للرؤية ، وكذلك نشأت الحركة التصورية في ذلك المركز التي نسميها العقل المدرك للمحسوسات البصرية ، أي المبُصَرَات .

فحركات المراكز الدماغية التي تحدثها صدمات العوامل الخارجية من أمواج نورانية ، أو أمواج صوتية الخ هي ما نسميه عقلاً . أي أن العقل ليس ذاتية قائمة بذاتها ، بل هو أعمال مراكز دماغية تصدرها خليات هذه المراكز . تـصدرها هذه الخليات بتفاعلات كيماوية متتابعة بين عناصرها ، فضلاً عن تبدُّلات كهربية (نسبة الى كهرب) فيما بينها .

العقل هو وظيفة الدماغ

فالتصورات والذكريات والمقارنات بينها ، والإستدلالات والتعليلات والإستنتاجات والتخيلات والتفلسفات الى غير ذلك مما نسميه قوى عقلية ، أو أفعالاً عقلية ، إنما هي من نتاج حركات الخليات الدماغية . وهـذه الحركات من نتاج تفاعلات العناصر الكيمية والتبدلات الكهربية .

أجل يصعب عليك تصديق هذه النظرية لأنك تشعر أن تصوراتك وتخيلاتك وذكرياتك واستدلالاتك الخ . مما يقترن بها من حرية ارادتك ، إنما هي أعمال عظيمة جداً ، تستعظم أن يكون مصدرها خلية في الدماغ مؤلفة من بضعة عناصر كيماوية بسيطة .

أجل ان تلك الأفعال العقلية أمور عظيمة جداً عجيبة مدهشة . فتستغرب صدورها من خلية لحم ودم . لماذا ؟ — لأنك لم تتعود أن تلاحظ لهذا اللحم والدم أفعالاً عجيبة . لم تتعود أن ترى لها إلاّ ظاهرات بسيطة . ولكن فكّر قليلاً بما يفعله الجهاز العصبي كله من دماغك ، الى عمودك الشوكي ، الى خيوط أعصابك ، الى أطرافها في جلدك ، وبما يفعله جهاز الدورة الدموية ، وبما يفعله الجهاز الهضمي ، وبسائر أجهزة الجسم — فكر فترى العجب العجاب . وما فعل الخليات الدماغية العقلية بأكثر عجباً من هذا .

وهنا لا بدّ أن تقف وتسائل كيف تحدث الخليات هذه الأفعال العقلية المختلفة المتوافقة ، أو كيف تتحرك تلك الخليات لكي تحدث تلك الأفعال العقلية . نعم هذه هي عقدة العقد ، وهذه الأفعال العقلية العجيبة المدهشة هي المجهول الذي لا يزال الانسان يتحير فيه . ولكنه ليس المجهول الذي يستحيل كشف سره . فقد يمكن أن يكشفه الانسان كما كشف كثيراً من الحقائق الفسيولوجية .

ولا ريب ان البحث في سرّ هذا المجهول هو أصعب الأبحاث التي يحاولها الانسان . ولا غرابة في هذه الصعوبة لأن العقل نفسه يبحث عن سرّ نفسه .

الادلة على أن العقل حركة في الخليات

١ — تحقق العلماء (الفزيولوجيون) ان لكل ظاهرة من الظاهرات العقلية مركزاً خاصاً في الدماغ . فللتصوُّر مركز ، وللتذكر مركز ، وللتخيل مركز ، وللكلام مركز ، وللغناء مركز ، الخ حتى اذا انعطب المركز بطل عمله . فاذا نزع مركز التفكير الحسابي مثلاً لم يعد الشخص يستطيع ذكر الأرقام ، أو إذا نزع مركز التذكر نسي كل شيء . وإذا نزع المركز البصري بطل أن يرى شيئاً . وهكذا دواليك . أفليس في هذه الامتحانات العملية برهان على ان تلك الأفعال العقلية إنما هي من عمل خليات المراكز الدماغية ؟

٢ — في بعض الحميات الشديدة تتسمم بعض المراكز الدماغية أو كلها بسموم جراثيم الحميات فتضطرب تلك المراكز ، وتضطرب أعمالها ، ويختل التوافق بينها ، فتصدر منها أفعال عقلية مشوشة مختلطة مضطربة . فيفسد التعقل ، وتتراءى للمرء صور خيالية غريبة لا يستطيع وصفها بعد أن يصحو من هواجسه . فإذا كان العقل ذاتية قائمة بذاتها ، فلماذا يختل تعقله اذا كان الجسم ، وبالتالي الدماغ ، مريضاً . فلا ريب إذاً في أن الأفعال العقلية

نتيجة حركات الخليات الدماغية . حتى اذا اضطربت تلك الخليات بتأثير الأمراض اضطرب نظام حركاتها ، وبالتالي اضطربت الافعال العقلية .

٣ — فعل بعض العقاقير في الدماغ والجهاز العصبي معلوم لكل واحد . فمن تلك العقاقير مايؤثر في بعض المراكز الدماغية دون بعض . مثال ذلك : الحشيش (القنب الهندي) يثير مركز الضحك فيتمادى الحشاش في ضحكه . فضلاً عن انه يثير مراكز تصوراته وذكرياته . فتتراءى له أمور غريبة . وبعض المخدرات كالمورفين تسكن العصب الحساس ، وتخدّر العصب المحرك أيضاً ، بحيث لا يعود الشخص يحس أو يتحرك فينام .

وبعضها تخدر العصب الحساس ، وقلما تؤثر في العصب المحرك ، كالكوكايين ، والكلوروفورم . وهذا يخدر معظم المراكز العصبية دون مركز الكلام . فلا يحس المريض تحت العملية الجراحية بشيء من أعمال الجرّاح ، ولكنه يتكلم كثيراً كلاماً قلما تجد فيه ارتباطاً منطقياً ، ومتى زال فعل المخدر لا يتذكر المريض شيئاً البتة .

كل ذلك يدلنا على أن الأفعال العقلية إنما هي حركات صادرة من خليات دماغية ، حتى إذا تأثرت تلك الخليات من العقاقير اضطربت حركاتها أو خمدت . ولذلك نرى الأفعال العقلية مضطربة أيضاً .

٤ — في حالة النوم العميق تقف حركات الخليات الدماغية فيبطل كل فعل عقلي . فأين يكون العقل حينئذٍ إذا كان هو ذاتية قائمة بذاتها مستقلة عن الدماغ ؟

في النوم غير العميق تعمل خليات بعض المراكز أعمالها ولاسيما مراكز التصور والتذكر ، وانما خيوط الأعصاب الاحساسية كالأعصاب البصرية والسمعية الخ تبقى مرتاحة نائمة . ولذلك تمر في مخيلة النائم تصورات أو صور وذكريات مختلفة ، وكثيراً ما تكون غير منتظمة لسكون مركز التعقل . فيظن المرء أن ما يمر في مخيلته إنما هو حقائق واقعية فعلاً ، لأن حواسه النائمة لا تكذب ظنه ، ولا يدري ان ما تراءى له لم يكن سوى حلم الا بعد أن يصحو من حلمه ، وتقول له حواسه أن ما كنت تراه في منامك لم يكن حقيقة ، بل كان وهماً — هذا هو الحلم . فاذا كان العقل ذاتية مستقلة عن الجسد أو عن الدماغ فلا تؤثر فيه راحة الدماغ أو نومه أو نشاطه .

إذا اقتنعنا بأن الأفعال العقلية ليست الا حركات خليات دماغية أمكننا أن نحل بعض القضايا الفلسفية ، وأهمها قضية «التصورية» Idealism وهي موضوع بحث آخر .

العزلة في رأس الجبل

مناقشة بين صحفي وناسك

٢ — صلة ما انقطع

هذيان الأقلام

ما هو إلاّ نصف ساعة حتى برز الناسك من وكره وأقبل اليَّ يقول : تفضل الى الغداء .

وحمل الكرسيين ومشى الى جانبي ودخلنا الى غرفة قُدر طولها بستة أمتار وعرضها بأربعة . ووضع الكرسيين متقابلين لدى مائدة بسيطة الصنع جداً مصنوعة من خشب السنديان كما أظن . وجلسنا لديها وأدرت نظري . فاذا في زاويتها سرير من الخشب وعليه فراش سميك، أظنه محشواً بالقش، وعليه ملاءة بيضاء نظيفة، ولحاف قد طوي ووضع فوقها. ثم رأيت في الزاوية الأخرى خزانة كتب ، لاحظت أن أسفلها يحتوي على موسوعة (دائرة معارف) بلغة أجنبية كما تدل الكتابة المذهبة التي عليها . وعلى الرفوف الأخرى فوقها كتب معظمها بلغة أجنبية . فقلت في نفسي : ان هذا الناسك ليس بالرجل العادي . ولا بدَّ ان له قصة . فلنرَ .

فقلت له : إنك تقرأ هنا . لم تنقطع عن العالم بتاتاً .

قال : هذه الكتب هي الرفيق الناطق . فإذا فرغت من عشرة اخواني الذين علمت ، لجأت الى هـذه فأقضي الوقت بمطالعة ما شذَّ فيها من الحقائق . قلت : هل ترى في هذه الكتب ما يطابق أفكارك ؟ قال : في معظم الموسوعة أقرأ الصدق الذي كان القلم يكتبه رغم أنف صاحبه . وفي الكتب الأخرى اقرأ بعض الصدق اذا كان القلم فيها عبداً لجهل سيده. والحقيقة مضطهدة في دولة النفاق ، ومطمورة في ركام الترهات وفي ظلمات الخرافات . حتى اذا لحت ضيائها فلا تدري أنورٌ حقيقة هو أم لهيب ضلالة تحرق .

ونهضت لكي أرى ما هي هذه الكتب الكاذبة في رأيه ، ومررت فيها بنظري فإذا معظمها كتب علمية باللغة الانكليزية ، وقليل من الكتب العربية الأدبية والاجتماعية . فأشرت اليها قائلاً : في أي هذي نجد الحقيقة ؟

فقال: كلها أكاذيب وضلالات.

قلت: عجباً.

قال: هذا كتاب أخلاقي كله نفاق، لأن كاتبه وقارئيه لا أخلاق لهم. وهذا كتاب اجتماعي كله مروق عن الحقيقة لأن كاتبه يتفلسف بالمبادىء الاجتماعية. وهي مبادىء متقلبة مضطربة على لجج من الاهواء، مستمدة من مراوغة الانسان. فلا ترتفع موجة مبدإٍ اجتماعي حتى تسفل موجة مبدإٍ آخر ينقضهُ. واذا اخترع الساسة والحكام سنة اجتماعية، فلا يلبث خلفاؤهم أن ينقضوها بسنة أخرى. فسنة الاقطاع والرقيق كانت تترنح متداعية الى أن استفحلت سنة الملكية المتألهة فسحقتها. ثم لاحت سنة الديموقراطية المبهرجة، وهي ترقص تيهاً ودلالاً فركلت تلك. ثم نهض جبروت الدكتاتورية فمحق هذه. ثم نبتت سنة الإشتراكية وهي تزعزع تلك الأنظمة جميعاً. وأنت تعلم ذلك كما أعلمه. ففلاسفة الاجتماع مضطربو الدماغ، مقلقلو النخاع بين هذه الاضطرابات الملتجة، فلا يستطيعون أن يقرّروا مبدءاً أو نظاماً ثابتاً لأنهم يستخرجون مبادئهم من مجرى الحوادث البشرية التي يسيرها قادتهم. وثعالب البشر يناهضون بعضهم بعضاً فيما هم مخدوعون بأنظمتهم، زاعمين أن في شرائعهم الإجتماعية قسطاس العدل بينهم، فيجب الخضوع لها ولكنهم يتمردون عليها. بل هم يحتالون لمخالفتها فيما هم يهددون بعضهم بعضاً بالعقاب لمعصيتها. ضعيفهم يرهبها خوفاً، وقويهم يخالفها وهو يزعم أنه منفذها. وسواد الناس كالكلاب الأمينة التي أصبحت الطاعة العمياء غريزة فيها. كلهم منافقون أفاكون. وهذه الكتب الإجتماعية والسياسية والاقتصادية إنما هي مجموعات ترّهات وخزعبلات وضلالات وخرافات.

فشكرت الله سرّاً لانطلاق لسانه بالكلام الحرّ وقلت: ما رأيك بهذه الكتب الأدبية وأعني بها الأدب الكتابي.

قال: ان كاتبيها كالقطط الجائعة التي تلتهم القيء. فهم يلوكون الأدب القديم الذي تقيأه أسلافهم ثم يتفلونه أدباً جديداً زنخاً فتقز نفسك منه. تعال نتغدَّ الآن قبل أن تغثى نفسك من نتانة هذا الأدب.

***

جلسنا ثانية لدى المائدة الساذجة. فرأيت عليها صحفة كبيرة مملوءة من البيض المقلو باللحمة. وصحفة أخرى مملوءة لبناً خاثراً وخياراً مؤرَّباً [1] مغموساً فيه. وخبزاً أخر

---

(١) مفروماً

من خبز السوق بجدّته ولونه وليونته . فقال عمي ألاّ تصدّ نفسك بساطة هذا الطعام وتفاهته .

فقلت أن بساطته هذه المزعومة تثير شهوة معدتي ضعفين، لأن معدتي ملّت تلوّن الطعام الذي يعزى اليه في هذا العصر كل سقام

فقال : وهذه لحمة « مقدّدة » وهي ما يسميه الأتراك «قاورمة» اعتمد عليها في طبخ طعامي ، لأنه لا يتسنى لي أن آكل لحماً طازجاً كلما رغبت . فأذبح أسمن خروف عندي وأصطنعه «قاورمة» فيكفيني بضعة أشهر . وأذبح خروفاً آخر وأصنعه وأرسله الى الدير . أما هذا اللبن الخاثر فهو طازج دائماً بفضل البقرة «بلقاء» الثمينة . والخيار الذي فيه هو باكورة خياري في هذا العام . وقد أرسلت قدراً وافراً منه للدير مع الغلام الذي رأيتَ

استطبت ذلك الغداء جداً لدسامته ورائحته الزكية . ولما كفت معدتي عن قبول المزيد نهض وأتى بصفحة من شهد العسل تشق رائحته العطرية الطريق الى زوايا المعدة. وقال : هذا من النحل الذي أعنى برعايته .

بعد أن أكلنا هنيئاً وشربنا ماء زلالاً بارداً مريئاً قلت ، لقد أكثرنا من طعام الغداء ونحن لم نأكل ربعه

قال . الباقي لأنجر وضيغم ولبؤة . نحن أسرة واحدة يجب أن نتقاسم الطعام .

قلت : أجل يستحقونه . فهنيئاً لهم، يحسدهم ملايين من مساكين البشر الذين يندر أن يتمتعوا بشبه هذا الطعام الشهي .

قال : كان في امكان جميع ذئاب البشر الآدميين أن يتمتعوا بأفضل منه لو شاؤوا . لأن سطح الأرض الذي يكدحون فيه مملوء من الخير الذي يقتتلون لأجله، وهو يكفي أضعاف أضعافهم . ولكنهم ذئاب ونعاج يأكلون بعضهم بعضاً . هلمّ أعرفك بسائر أسرتي .

دخلنا الى اسطبل طويل عريض مبني من الحجارة الضخمة ويُقسم الى حظائر مختلفة. فاستقبلنا جوادان بصهيل موسيقي . فقال إنهما يرحبان بك . وتقدما اليه . فجعل يربت على كتفيهما. ثم جاءت أربعة أبقار فتقدمنا اليها. وكانت قد انثنت عن المزود . وربت على رقابها. ثم تقدمنا الى مراتع الأغنام والمعاز . فنهضت من مراقدها وتقدمت الينا . فجعل يحاسنها ويقول . اقمدي واجترّي .

ثم تجاوزناها الى كن للدجاج واسع لمئة منها، مفصولة بفاصل من قدد الخشب المتقاطعة. فقلت ألا تخشى من هجوم الذئاب على هذه الدجاج .

فقال : وأين أنجر وضرغام ولبؤة ، حماة الدار ؟

فقلت ألا يخشى من قطيع الذئاب والضباع في قر الشتاء ، وقد جرأها الجوع على غزو الدار
قال حدث مثل هذا في بعض الأحيان في غلس الليل. فكان الحماة ينبهونني بنباح نذير؟ فأخرج ببندقيتي وأقتل ذئبين . مع ذلك قلما يستطيع الضواري الوصول الى هنا، لأن الجدار الغربي مرتفع عشرة أمتار والشرقي مرتفع ومنته بأسلاك شائكة .

قلت : إن الأبقار والأغنام والماعز والدجاج لك حاجة بها . وأما الخيل فلماذا ؟

قال : أركبها أحياناً للرياضة في هذا الجبل إذا رغبت في الصيد . وإذا ولدت الفرس أرسل المهر الى الدير .

ثم عدنا الى صحن الدار وجلسنا على الكرسيين للحديث .

النفاق المصدّق

بعد صمت برهة فهمت أنه لا يريد ان يبتدئ استئناف الحديث . فقلت يلوح لي أنك ناقم على عالم البشر .

قال : ما أنا الا صفر في بحر العالم . وباعتزالي هنا أصبح الصفر المرقوم نفسه عدماً . ولماذا أنقم على عالمكم وقد رحلتُ عنه ، ولم يبقَ لوجودي فيه خبر ، فكيف يكون لنقمتي أثر ؟

قلت : ماذا تقول ؟ ان أخبار عزلتك في رأس هذا الجبل أصبحت المواضيع الشائقة في الجرائد ، والصحفيون يجدون فيها الغذاء الدسم لأقلامهم .

فنظر فيَّ مبتسماً وقال : ألعلك من زمرة الصحفيين المنافقين المصدّقين ؟

فأجفلت مستهجناً مجاملته الوقحة الفظة ، وقلت متغاضياً عنها : إذن يصدق المنافقون .

قال : معاذ الله . ما الصحفيون إلا « سُرُجُ الليل » (الحُباحب) التي يظنها الناس مصابيح الطبيعة، فلا يلبثون أن يجدوها حشرات خداعة . ولكن سواد الناس الذين من طينتهم ينخدعون بذلك الضوء الضئيل المتألق ، ويصدقون انه نور هداية . ثق ان نفاق الصحافة المصدق هو أفدح نكبة نكب بها الناس، بعد سقوط آدم بسبب شهوته للتفاحة في جنة عدن .

ولعله لمح على وجهي اكفهراراً من هذه النفحة اللافحة فقال : أجلك عن الاستياء من صراحتي التي كانت من أسباب عداوة الناس لي .

فقلت مستدركاً : لا بل تسرني صراحتك جداً إذ تكشف لي سريرتك التي هي ما أتوخاه من زيارتك .

فقال ان سريرتي في أسارير وجهي ، قد تحتاج أنت الى مجهر لكي تكتشف أعماق أسرار البشر . ولكن أسراري يراها الأعشى عن بعد . وقد تحتاج الى منظار لكي تستقرب أبعاد مطامع الناس المكنونة في رئاتهم ، ولكن أقصى ما في نفسي من الطامع تراه في هذه المملكة الحيوانية الطاهرة التي أرعاها . هذه سريرتي فلك أن تلونها لقرائك بما تشاء من الألوان البراقة ، وان تموهها بما تشاء من الطلاء المصطنع لكي تستهوي القراء .

قلت : معاذ الله أن أشوه حقيقتها . سأكون أميناً في تصويرها كما أراها

قال : إذن لست صحافيًّا فنيًّا ، لأنك إن لم تتفنن في النفاق يُعرِض عن صحيفتك القراء ، وينبذك صاحبها من بين محرريها ، لأنك تكون غبيًّا لا تحسن التحرير المشوّق للقراء ، إذا لم يكذب قلمك لا يصدقك قراؤك . ماذا تقول عني وعن سرائري ؟ أتقول : تغديت عنده بيضاً مقلوًّا بالقاورمة ؟ هذا خبر تافه كقول الشاعر : « كأننا والماء من حولنا » لقد كتب غيرك قبلك إني « أبغض النساء ، حتى إذا رأيت امرأة طالعة في الجبل نحو هذه المستعمرة رميتها بالحجارة » فاذا لم تكتب أنت ما يعارضه كقولك : إني أركب جوادي وأطوف بين القرى لكي أتصيد النساء واختزنهن في مستعمرتي بحماية أبجر وأخويه فلا يقرأك الناس . وحينئذٍ يضطر من تنافسه في الاختلاق أن يختلق أكذوبة أخرى أكذب من أكذوبتك وأكذوبته الأولى لكي يغنم اعجاب قرائه .

قلت : في قولك كثير من الحقيقة . وإنما أود أن أعلم كيف تعلل أن القراء لا يصدقون إلا أكاذيب الصحف .

قال : أجل . إن قراءك لا يصدقون أخبارك الصادقة لأن الصدق شيء طبيعي ، لا ينبه الذهن ولا يسترعي الفكر . فهو كضوء الشمس الغامر العالم ، ليس شيئاً رائعاً كما يروعك لمع البرق في الليل بين السحب إذ تتراءى لك لهباً في السماء ، وما هي إلا شرر يقدحه زناد الغيوم المحتكة . نور الشمس لا يلفتك ، ولكن ومض البرق يخطف بصرك . وصدق القلم لا يفتق أذهان الناس ، وأما أكاذيبه فتستهويهم بغرابتها ، وتعجبهم بهجنتها ، وتطربهم بضربها على أوتار أمانيّهم ، وتلذ لهم بتحريض شهواتهم . لذلك يقرأ الناس الجرائد كأنهم يقرأون أنباء أنبياء . وإذا شاء شخص أن يفحم شخصاً آخر قال له : « ويك ! هذا مكتوب في الجريدة ، يا صاح » ولا ينقصه إلا أن يقول « الجريدة المقدسة » . ولذلك ترى أن أروج الجرائد أبرعها في فن النفاق وعلم الاختلاق .

قلت : إذن للصحف محمدة عظيمة ، وهي أنها تمنح الناس لذات كثيرة ضرورية للحياة بثمن زهيد جدًّا . فهي كالهواء الذي نتنفسه مجاناً ، أو كأشعة الشمس التي نحيا بها بغير بذل .

قال : وللناس منها أيضاً ضلالات تتدفق منها على الأرض ويلات ، كأنها حمم تقذفها براكين الجحيم . ما قاسي العالم الإنساني في تاريخ حضارته عشر معشار ما يقاسيه الآن في عهد الصحافة . وجميع طرق النشر والدعاية هذه هي ولا شك من مخترعات الأبالسة ، بل هي حملة من دولة بعلزبوب الجهنمي على ملكوت الإنسان الأرضي .

فقلت ضاحكاً : وي . وي . إذا كان هذا حكمك على الصحافة فهي حرية بأن يقضى عليها كالقضاء على الزانية في شريعة موسى .

قال : أجل . من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر . فأنتم غشاشون كصحافتكم .

قلت : قد يكون في بلايين الأنام عشرات غير حريين بأن يرموها بالحجارة . فكيف تتصور العالم الإنساني وقد قتلت صحافته .

قال : لا لزوم لتصور ما لا يكون . بل انظر انت إلى ما هو كائن حولك . هذا مالي ثري يستأجر قلمك ببعض دنانير كان ينفق أضعافها في المواخير، فتكتب أنت الأراجيف التي هو أوحاها إليك، فتهبط أسعار القراطيس المالية فيشتري . ثم يستأجر قلماً آخر فينشر مقالاً برفع الأسعار فيبيع . وبين الشراء والبيع تمطر سحب المضاربات عليه سيولاً من الثروات التي يجرّها مقالتاكما من جيوب الخاسرين . فذاك يتمادى في البطر والرفاء، وهؤلاء في البؤس والشقاء . وهناك حاكم يحكم بأمره عاتياً مستبداً . فتحوم أقلامكم من حوله مسترسلة في الأطناب بعدله وبجهاده في سبيل الله ومصلحة الأمة . وهو يبتز مال الأمة ويغدق عليكم من هذا المال . وهنالك أغرب من ذلك ، ثري جمع ثروته من متبلور عرق العاملين، فتسابقتم في تمجيده وتبجيله، كأن ثروته نعمة للأمة وسعادة للشعب ، وأثنيتم على مهارته في استنزاف ذلك العرق، وجعلتموه نموذجاً للمقدرة في فن الكسب، ودعوتم الشبيبة للإقتداء به . وأخيراً تحتفلون بيوبيله . وكل فضله أنه تصدّق على أقلامكم ببعض الفتات المتساقط عن مائدة زوانيه . هذا نزر يسير من خدم الصحافة للمجتمع .

قلت : هذه أحكام لا تصدُق على جميع الكتّاب ولا على جميع الصحف . وللصحف كثير من الخدم للجمهور تربو على هذه المساوىء المحصورة في دائرة ضيقة قد لا تضر بالجمهور .

فقال : مهلاً مهلاً . في يوم من الأيام تقدّمتُ وبضعة من الرفاق إلى صاحب جريدة لكي ينشر نبذة صغيرة، نُلفت فيها نظر الحكومة الى بعض الإعلانات التي تنشر في الجرائد وفيها تضليل للجمهور ضارّ به جداً ، كالإعلانات المصطنعة عن الأدوية الأفاكة مثلاً . فتناول الصحفي نسخة من الجريدة وبسط صفحةً كلها اعلان واحد من هذا القبيل

وقال : كم تظنون أجرة هذا الاعلان ؟ ـ بمثل هذا الإعلان تنتشر الجريدة وتعيش . ولولا هذه الإعلانات لما قرأتم جريدة قط . فإذا نشرنا نبذتكم هذه حُرمنا كل اعلان كهذا الإعلان. وتوقفت الجريدة عن الصدور وحصلت لكم مجاعة أخبار . هذا كان جواب الصحفي . وفحواه الحقيقي أن الصحيفة لا تعيش إذا لم تقدم للجمهور الكذب في دسم الكلام المبهرج . أفما كان حرياً بكم أن تعيشوا كما كان يعيش رعايا نبوخذنصر واسكندر وهرقل وشارلمان الخ بلا صحافة ولا دعاية . فتململت وقلت : ومع ذلك لا تزال للصحافة محامد وفوائد . ولا غنى للناس عنها على الرغم من هذه المساوىء ...

فقاطعني على الفور قبل أن أذكر له شيئاً من محامدها قائلاً : أجل للمورفين محمدة عظمى للمدمن. فلا يستطيع المدمن أن يمضي حصة من اليوم إلاّ إذا أخذ مورفين لكي يسكن ثورة أعصابه بعد أن ينتهي فعل الجرعة السابقة. يتهالك في تعاطيه ولو اقتنع بسوء مصيره. فلا تُمعنت منطقك في استخراج محامد الصحافة . أتريد أن تقول انها تنشر أخبار حركات التقدم الاجتماعي في العالم ؟ — نعم . إنها تذيع أخبار التطوُّر الاجتماعي على حساب الدعايات المضللة . مثال ذلك أذاعت جرائد أوروبا أخباراً عن استعدادات البلقان الحربية .

فاضطربت تركيا وجعلت تستعد هي أيضاً ؟ وجعل معمل كروب يموّن الفريقين بالأسلحة الى أن شبت حرب البلقان . وأخيراً ظهر ان معمل كروب كان يرشو الجرائد الأوربية بجزيل الأموال، لكي تختلق الأخبار الكاذبة المهيجة لحكومات البلقان وتركيا ، ولكي تشتري هذه منه أسلحتها . وظهر انه باع لتركيا الرديء ولغيرها الجيد من الأسلحة ، فانكسرت تلك . ولعلَّ ذلك كان ما شاءته المانيا حينئذٍ . أتريد أن أبسط لك زيادة من حوادث العالم في عهد الصحافة ولاسيما العهد الأخير ، لكي ترى أن معظم الحروب وأشرَّها شبَّت بسبب الصحافة . هذه هي الصحافة يا سيدي الكاتب القدير . وهذه هي أكاذيبها المصدَّقة . فهل تريد أن تقول «بارك الله بالصحافة» قل .

وسكتنا برهة ثم قلت : الحروب قديمة كقدم الانسان كما تعلم . فلا يجوز أن نتهم الصحافة باثارتها . فهي حادثة على كل حال .

قال : أجل الحرب قديمة كقدم الانسان ، ولكن التطوُّر الاجتماعي متقدم بالانسان الى الأمام، ومن مقتضاه أن تقل الحروب ويزداد التضامن والتعاون بين البشر ، ونحن نرى الأمر بالعكس . يتقدم الانسان فتكثر الحروب .

قلت : نقاشك وجيه . فهل تشور بأن تلغى الصحافة بتاتاً لكي يزهق الباطل .

قال لا: إن هذه الصحافة الأفاكة لازمة لناسها الغشاشين . فهي من طينتهم . فاذا أمكن

تطهير الناس من الغش والنفاق طهرت الصحافة من الكذب. وكانت لهم بركة وخدمت سعادتهم
— إذن . لا نيأس من اصلاح الصحافه .... فعقب على قولي قائلا : إلا إذا يئسنا من اصلاح حال المجتمع . فهل ترى أن المجتمع مقبل على اصلاح . دع هذا البحث الى جلسة أخرى وهلم بنا نتنزه على صهوتي الجوادين في هذا الوعر . هل تسر بنزهة كهذه على متون الخيل ؟
قلت : لم أمارسها قط . ولكن لا بأس أن أعمل باقتراحك، لعلي أكتشف تمتعاً جديداً
قال : هذه النزهة لأمرٌ ممتعة لي . وأظنك ستستلذها .
قلت : أخاف أن يأزف وقت العودة . قال : هل أنت مضطرٌ للعودة اليوم ؟
قلت : لا . بيد أني أخشى التثقيل عليك في عزلتك .
قال : بل يسرني أن تكون في ضيافتي ما تشاء من الزمن . فلا تحسب حساباً لتثقيل ما دامت صراحتي لا تلوّح لك بتثقيل .
فسررت جداً من اقتراحه باستمرار ضيافته برهةً لأن هذا ما كنت أتوخاه، وأتحيّنها فرصة لعجم عوده بشأن عزلته . ولأني لم أستوفِ بعدُ حاجتي من مباحثته ولا سيما لأني وجدت فيه كنزاً من الفلسفة الاجتماعية . فقلت : الف شكر . ولكن البغل ؟
قال : يبقى ضيف أسرتي . قلت : لعلّ سيد الدير يقلق .
قال : لا . لا بدّ أن يعتقد أنك ما زلت في ضيافتي . وان شئت فنلقي للبغل حبله على غاربه فيذهب من تلقاء نفسه الى الدير بكل أمان، أو فنرسله غداً مع المكاري لأنه سيأتيني بالبريد وببعض حاجات طلبتها من سيد الدير أن يشتريها لي .
قلت : إذاً تكاتب بعض الناس . قال : لا . بل أنتظر بعض الصحف والكتب .
قلت : إذن لا غنى لك عن أكاذيب الصحف والكتب .
قال : ضاحكاً . طبعاً لا . لأني أتفكه بفن الأكاذيب . والفرق بيني وبينكم أني أعلم أنها أكاذيب . وأما قرّاؤكم فيصدقونها .
ثم امتطينا صهوتي الجوادين وخرجنا الى الوعر وكان سروري عظيماً بجمال المناظر التي كانت تتعاقب أمام ناظري . وكان هو كل هنيهة وأخرى يدلني على قرية أو ناحية في سفح الجبل، ويذكر لي أسماء الأشجار والنباتات والطيور التي نصادفها .
ثم عدنا قبل غروب الشمس . وتعشينا مما حضر من الجبنة واللبنة والزيتون والدبس والتين المجفف مع اللوز . وسهرنا سهرة قصيرة لم نتحدث فيها إلا عن مطالع النجوم وبعض ظاهرات الطبيعة مما لا طائل تحته .
ثم ألحّ عليّ أن أضطجع في سريره وهو افترش فراشاً خارج الغرفة ونام في الهواء الطلق

ملحمة العصر

ميراث الشباب للمشيب [1]

قدم المشيب فرحباً بقدومه ... ومضى الشباب بجنّة الأحلام
وهب الشباب حفيده [2] ميراثه ... ذكرى الليالي البيض والأيام
ما زلتُ بالذكرى أحسّ شبيبتي ... متمتعاً بصبابتي وغرامي
أمضي بمعكوس الزمان مضارعي ... خلفي وماضي صبوتي قدامي
وأرى بهاء الشيب جمّل لمتي ... فعلا به عند الصحاب مقامي
إن كان ذا بُطلاً فعذري أنهم ... وضعوا الشيوخ مواضع الاكرام
أختار من نعم الزمان وعطفه ... شفقَ الكهولة لا صباح غلام
فضحى الحياة مهدِّدٌ بكفاحها ... وأصيلها بشرى بعهد سلام
عاهدته عهداً فلم يك صدقه ... إلاّ أكاذيباً من الأوهام
وخبرت ذا الدهرَ الخؤونَ فلم أجد ... إلاّ الخيانة في شرور طغام
الدهر يبرأ من ذنوب لم تكن ... إلاّ ذنوب الناس والأقوام
الدهرُ يومٌ في الزمان يسير في ... رأي الطبيعة لا برأي أنام
ذهب الشباب ولم يكن حدثانه ... إلاّ تجاريب الفتى المقدام
ولكم رشفتُ من الغرور كؤوسه ... والآن من حِكَم الحكيم مدامي

* * *

إنعكاس النظام

زمن التمدن بات منقلباً كما ... انقلب المشيب إلى الشباب الطامي

---

(١) نظمت في مدة الحرب (٢) الكهولة بنت الشباب ، والشيخوخة بنت الكهولة

الخاملون على النوابغ عالةٌ مثل الطفيليات في الأجسام
كالنحل يصنع شهده والمرء يجنيه بلا تعبٍ ولا استحرام
والمجرمون على البريء ترفعوا، عزُّ اللئام مذلةٌ لكرام
يتغطرس الصعلوك إن يك آمراً ويذلُّ مأمورٌ مع استسلام
كالبدر يُزهى نازحاً عن شمسهِ فإذا دنا منها اختبأ بظلام
وغدا عباقرة الجهالة سادةً بثرائهم في كنف شرِّ نظام
يتبجحون على عباقرة النُّهى فكأنهم هم نخبة الأعلام
لهم الكلام ولو سخيفاً فاهياً وعلى العليم سماع لغو كلام
لهم الصدارة في المقام كأنما وزن الفلوس غدا عيار مقام
فقوامهم دينارهم والنفس لا ثقلٌ لها، ليست بذات قوام
يرقى الغبار الى تلال ركامهِ ونفائس الألماس تحت ركام
وإذا الجهول أصاب معرفةً فيو همهُ الغرورُ برتبة العلاّم
يبدي المرائي في لقائك بسمةً ومن الوراء لواسع النّمام
ويرى فضائلك الحسودُ معائباً ويرى معائبَه المثال السامي
فتقلّبت أوضاعنا رأساً على عقبٍ كمحراثٍ مضى برغام
هذي الحضارة أعضلت أدواؤها سُلُّ الضمير وضعف قلب ذمام
واستحكم السرطان في الأخلاق والآداب صارخة من الآلام

* * *

شباب التمدن

بين الشبيبة والمشيب لقيت ما لم يلقه جدّي ولا أعمامي
نورٌ بلا نار وترتيل بلا حلق وأحلام بغير منام
صنع بلا أيدٍ وأنباء بلا لِسن وتقتيل بغير حسام
طيرٌ بلا جنح وتقريبٌ على بُعدٍ وإبصارٌ برغم غمام

أضحت أقاصي الأرض مثل خريطة صغرى مقلصة الرحاب أمامي
فتجمع الشرقان والغربان في دار تؤاويهم بغير زحام
هي للورى وطن رحيب واحد شبكت به أرزاق حام بسام
وقضى اشتباكهم بحسن تعاون لكن نهمهم قضى بصدام
لو يقنعون برغدهم لتمتع الأقوام كلهم بغير خصام
لكن شيطان المطامع قد غزا الملكوت بغية هدم كل نظام
واستحكم استعمارهم بالآمنين على غرار الذئب بالأغنام
ملأت مصارفهم ملايين من العرق المبلور من جباه أنام
يفنون والأموال باقية . لمن ؟ المال لا يحيي رفات عظام
المال مخزون ومن تعبوا به يتحسرون على ضئيل إدام
بنوا[1] القصور وما أجيز جلوسهم فيها ولو لتحية وسلام
يا ناس ما هذا التكالب والدنى مكتظة بالخير والأنعام
والأرض واسعة لأضعاف الملا كل له فيها رحيب مقام
يتزلفون الى الثري عسى يجود لهم رضاه بنعمة المنعام
يتضرعون الى إله مصانع فعسى يمن لهم بالاستخدام
عجباً أيستجدون من مجهودهم أرزاقهم ؟ هي نعمة المكرام

* * *

احتضار المدنية

وتهافت المتحاربون الى الفنا فكأن عزة نصرهم بزؤام
ومحبة الأوطان كارثة بها يمضي السلام الى جحيم خصام
يفدونه وطناً . فما الوطن الذي يبقى اذا ما باد كل همام

---

(١) الضمير يعود الى الذين تعبوا

هم يبتغون بقاءهم بفنائهم يا للبلاهة في سخيف كلام
ساق الشبيبة سوط دكتاتورهم لمجازر الهيجاء كالأنعام
سكروا بخمر محبة الأوطان وافتخروا بمدفعهم وبالصمصام
ومضوا يغنون النشيد وما دروا ان التغنّي في احتفال حِمام
لو كان هتلر مخلصاً لبلاده ورأى مصير بلاده لركام
وجهادها عبثاً وقد باتت أوامره بها شرًّا من الإجرام
وغدا دمار بلاده برضا كرملين وجون بول وأنكل سام
لقضى انتحاراً صارخاً بجيوشه أضحت سلامتكم بالاستسلام
ومضى مجيد الذكر موفور الثنا لكن تخيَّر موتة الظلاَّم

* * *

ملكوت الشيطان

يا هول مارجٌ الحضيض فماد من شهب مطرنّ من الفضاء ضخام
وتجاوبت في الخافقين صواعق قصفت ودكت راقي الآكام
أترى الطبيعة وهي هائجة ومن أحشائها لفظت جحيم ضرام
حتى اذا سخطت على انسانها خرّت شوامخه الى الاقدام
فتقوضت فيها هياكل بذخه وحمى ثراه ومقدس الحكام
وعلى تمدنه طغت وحشية جزعت لها وحشية الضرغام
وفظائعٌ وجفت لها الغبراء واقتمّت بها الزرقاء أي قتام
أفلا تراع بها ملائكة السلا م وتستطيل حوالك الأيام
فني التقى والخير في الدنيا ولم يثبت سوى الأرجاس والآثام

* * *

رحماك يارباه يارحمان هل أطلقت للشيطان كل زمام
وجعلت سكان البرية من أبا لسة الجحيم دعاة كل حرام

أترى الدموقراطية انهزمت وبعلسزبول أمسى سيد الأحكام
حتى إذا وهت القوى طلب العدالة مكرهم بتآمر الأخصام
لا السيف يقضي بينهم كلاً ولا أفك السياسة في جدال خصام
المشكلات تعقدت فتواثبت أطماعهم في دار الاستغنام
هم كفنوا روح العدالة حية من مكرهم بزخرف الأعلام
حتى إذا صرخت بهم مصروعة زجوا الصريعة في ضريح رخام
يتحفزون الى القتال كأنهم يستكثرون عليه هدنة عام
فني الشباب لو استطاعوا جندوا بعد الشباب أجنة الارحام

* * *

فجور المدنية

أتباع عيسى ويحهم قد جرحوه كل يوم ألف جرح دام
سكوا سلاح الحرب من صلبانه واستبدلوا تحنانه بسهام
باعوا محبته بمحض عدائهم واستقبلوا الغفران بالآثام
جعلوا كنائسه مرابط خيلهم وانداست الأقداس بالأقدام
تالله ما نكل اليهود به كما نكل الطغاة بأبريا الأخصام

* * *

مدنية نخرت بباذخ علمها والعلم بات جريمة العلام
لم يجرم العلم البريء وانما شر السياسة علة الاجرام
يستخدمون العلم للتدمير سل أهو المدمر أم أولو استخدام
العلم للبنيان لكن السياسة صيرته آلة الهدام
وإذا بالاستعمار حكّم أمة في أمة بفنون الاستحكام
رق الشعوب بديل رق عبيدها كتبدل الأنقاط بالأورام

قتل الضمير فرحمةٌ ، والخلق لا يحيي الضمير إذا مني بسقام
وإذا الضمائر والخلائق أفنيت فالحق راح ضحية الغلام

* * *

غرور المدنية

فتن الورى مدنيةٌ فتسنمت من عزها البرّاق كل سنام
رقيت الى العلياء حتى جاوزت قنن السماء ومسبح الأجرام
واستقربت أقصى الوجود ونقبت عن سره المكنون خلف ظلام
غاصت الى قلب الهيولي واجتلت ذراتها ومدارها المترامي
واستحكمت بقوى الطبيعة عنوةً من كهرب وضيا وموجٍ طام
واستخدمتها لانتفاع أناسها في كل ناحية وكل مرام
وكذا تسنى للورى أن ينعموا لكنهم صدفوا عن الانعام
واسترسلوا بفسادهم وفجورهم ثملين من شهواتهم بمدام

* * *

يا ويحها مدنية قاست بمحشر جة المهات شدائد الآلام
شاخت ولمّا تستتم شبابها كلاّ ولا اقترب الصبا لتمام
الدهر عامٌ في الزمان وعمرها من دهرها المملول بعض العام
ماتت بزهرة عمرها مبكيةً فكأنها ماتت بعهد فطام
تمضي مكفنة بثوب فسادها وبكفرها والسكر والازلام
وارحمتاه على التمدن والنهى والعلم والفن الجميل السامي

* * *

أترى يقيم الله خلقاً ثانياً يبغي الصلاح على قويم نظام .
ويعيش في النعماء موفور الهنا متمتعاً بمحبة وسلام ؟

مشاجرة

بين أحياء وأموات

وملاك يتدخل

اجتمع في منزل الفيلسوف اللورد برتراند رصل أخي اللواء رتشرد رصل باشا الذي كان حكمدار القاهرة — اجتمع رهط من كبار العلماء من أحياء وأموات لكي يهنئوا الفيلسوف برتبة اللوردية التي حصل عليها أخيراً . ومنهم هوبل مدير مرصد جبل ويلسون في أميركا ، وبلانك الألماني صاحب نظرية الكونتم (المقدار)،والسير أوليفرلدج الروحاني، والسير أدينغتون رئيس مرصد جامعة لندن ، والسير تجايمس تجنز العلامة الكبير أحد العلماء الستة الممتازين في العالم ، وبوانكاره العلامة الفرنساوي ، وبوهر العلامة الدنيماركي صاحب نظرية النظام الشمسي في الذرّة، والدكتور أوبنهيم رئيس لجنة علماء القنبلة الذرية ، والسير روذرفورد مكتشف الطاقة في الذرّة، والفيلسوف جود (الجيم غير مصرية) أستاذ الفلسفة في جامعة لندن . وآخرون غابت عنا أسماؤهم .

فافتتح الحديث السير أوليفر لودج قائلاً مبروكة اللوردية يا برتراند : لورد أف ماذا ؟ (كقولك لورد أف خرطوم لكتشنر) .

فقال بلانك : لورد المجهولات الكمية في حساب التكامل والتفاضل

فقال تجينز . ليس رصل وحده متخصصاً في هذا الحساب . كل واحد منا يعرفه ،

فقال جود : لورد المعضلات الفلسفية .

وقال ادينغتون : بل هو لورد عالم الأفلاك .

فقال بوانكاره : إن كان هو ممتازاً بسياحته في السماء فليقل لنا كم يبعد النجم الفافنطورس عنا

فقال هوبل : يستحي برتراند أن يجيب على هذا السؤال وهو الآن قادم من الفافنطورس

وضحك وضحكوا معه . وقال بلانك : إذا كان هو نوراً حين رحلته فيمكنه أن يقول لنا كم سنة قضى حتى وصل إلينا من هذا النجم .

فقال السير أوليفر لودج : بل هو روح يمكنه أن يحضر من الفاقنطورس إلى هنا في لحظة . لأنه ليس للزمان وللمكان حساب في عالم الأرواح . والفاقنطورس أقرب نجم إلينا . فلا يتحمل القادم منه مشقة .

فقال اللورد برتراند رصل : لا والله ما استطعت أن آتي فوراً . وإنما ركبت رأس شعاعة نور فحملتني الى الأرض في ٤ سنين .

فقال هوبل : لا بدَّ أنك قضيت ٤ سنين ويومين أيضاً لأن مرصدي يسجل بُعدَ الفاقنطورس هذه المدة [١]

فقال ادينغتون : عجباً ! مرصدي سجلها في ٤ سنين إلاَّ يومين ، فلا بدَّ أنك غلطان يا هوبل .

فقال هوبل : أبداً . يمكن أن أغلط ولكن مرصدي لا يغلط .

فقال لودج : أحسبها يا برتراند .

فقال برتراند : ضاحكاً هذه لا تحسب بالرياضيات العليا بل تحسب بالرياضيات الروحانية

واشتدَّ النقاش بين العلماء حتى صار المكان كأنه خليَّة نحل أو صالة سيدات والموضوع موضوع زواج وطلاق . الى أن قال لودج : مهماً يا قوم . سأستدعي روح ابني [٢] ونكلفه أن يرحل من هنا الى الفاقنطورس على رأس شعاعة نور ، ثم من الفاقنطورس الى هنا على رأس الشعاعة ، ونرى كم من الزمان يقضي ذهاباً واياباً.

فصفق الجميع تصفيق الاستحسان .

وبحركة روحانية من قبل السير لودج عتَّم المكان كأن ضباباً غشيه . ثم ظهر شبح ملاك مجنَّح . فأقشعرَّ الحضَّار مهابةً وبعضهم جزع . وقال الملاك : ها أنذا يا أبتِ السير لودج .

---

(١) الحقيقة الفلكية إن النور يصل من الفاقنطورس الى الارض في مدة ٤ سنين وخمس السنة . وانما جعلناها ٤ سنين من غير كسر متوخين التعبير بسهولة .

(٢) كان للسير أوليفر لودج ابن مات في حرب البوير . وفي ذات يوم قصد الى محضر الارواح وطلب اليه أن يستحضر روح ابنه . فوعده أن يفعل وعين له موعداً عنده . ودعا الروحاني أشخاصا لحضور جلسة التحضير . وأرام روح ابن لودج على الشاشة البيضاء . وبعدئذ ظهر للمنتقدين ان العالم الروحاني اراه صورة ابنه ماخوذة من قصاصة جريدة . فالعلامة الفيلسوف انتش وصدق . ومن ذلك الحين شرع يبحث في الارواح . وله كتاب في الموضوع بعنوان الايثر والحقيقة · Ether and Reality أثبت فيه وجود الايثر لكي يقول لنا أن الروح هي جسم ايثري متداخل في الجسد الحاضر . فمتى مات الانسان بقي جسمه الايثري سابحاً في الكون.

فقال السير : مرحباً بالابن العزيز : هل أنت في غبطة ؟
نعم يا أبتِ . إني ببركة دعائك ونعمة الله في غاية الغبطة . فماذا تأمرني .
— أرجو منك أن تركب الآن متن شعاعة نور . وترحل الى النجم الفاقنطورس بقدر ما يسرع بك النور . والفاقنطورس جارنا . فلا تمر في طريقك، لأنه ليس في الفضاء بيننا وبينه نجم آخر . اللهمَّ إلاَّ الأمواج الكهرطيسية . فهو أقرب النجوم الينا .
— اعلم ذلك ، وما من عائق في سبيلي على أي حال .
فقال لودج : بارك الله بك يابنيَّ . الآن الساعة ٤ ونصف من يوم ٤ يناير سنة ١٩٤٠ وحال وصولك الى النجم تثب رأساً من هناك الى هنا وثبة واحدة في لحظة ونحن ننتظرك هنا في مثل هذا اليوم من سنة ١٩٤٤ لنرى كم من الوقت قضيت في الذهاب .
— سمعاً وطاعة يا أبي .
وفي لحظة انقشعت الغمامة من المكان واختفى شبح الملاك ابن السير اوليفر لودج . وجرت أحاديث ورهانات ، الى أن انفضَّ السمار وودّع الزوّار .

* * *

وكان الزملاء من فحول العلماء كأنهم على رمضاء الصبر مدة ٤ سنين لكي يعلموا نتيجة رحلة روح ابن لودج .

وفي ٤ يناير سنة ١٩٤٤ اجتمع شمل الاخوان في بيت اللورد برتراند رصل . فتغدّوا عنده بناء على دعوته . وقضوا ، بعد الغداء في أحاديث ومناقشات، الى أن وافى النصف بعد الرابعة فلم يحضر الروح . فاتجهوا الى السير اوليفر لودج . فقال لهم لم يصل بعد الى الفاقنطورس، وإلاَّ لوثب وثبة واحدة الى هنا فيصل في نفس اللحظة، لأن الأرواح تجول في الفضاء كأنه غرفة صغيرة لهم . فصبراً يا اخوان .
مضى النهار وابن لودج لم يحضر ومضى اليوم التالي والزملاء مجتمعون ولم يحضر . فقال لهم هوبل : لا بدَّ أن يحضر غداً في نفس الميعاد لكي يصدق حسابي . أما قلت لكم أن المسافة ٤ سنين ويومان .
فقال أدينغتون : لن يحضر أحد . فما المسألة إلاَّ لعبةٍ سحرية من السير اوليفر لودج لكي يثبت وجود عالمه الروحاني .
فقال لودج : عجباً ! أما رأيتم روح ابني في الاجتماع الماضي حين استدعيته وكلفته بالمهمة .

فقال أدينغتون ضاحكاً : والله ما المسألة الاّ شعوذة . فقد سحرتنا بغمامتك التي نفثتها من صدرك لكي تخدعنا .

فقطب السير لودج وقال : ما عهدي بالعلماء أن ينسبوا الشعوذة بعضهم الى بعض . لم يأتِ الميعاد بعد، فصبراً الى الساعة ٤

* * *

وما قرعت الساعة ٤ والنصف حتى غشي المكان شبه سحابة وإذا روح ابن لودج تظهر فيها . فاضطربوا وجعلوا يحدّقون في الشبح فاذا هو خيال ابن لودج بعينه . فقال أبوه ، اتيت يا بنيّ ؟

— نعم . الآن وثبت من الفاقنطورس الى هنا .

فقال هوبل ، إذن قضيت ٤ سنين ويومين في الرحلة .

فقال لا أدري : لأنه لم يكن معي كرونوميتر ، أنتم تعلمون .

فقال ادينغتون : الحق معك يا هوبل . ولكن دعونا نجرّب تجربة أخرى . فليتكرم الروح ويثب عائداً الى الفاقنطورس في الحال ثم يعود الينا على متن شعاعة نور لكي نعلم كم يأخذ من الوقت في عودته .

فقال رصل : هذا حق . وفي هذه التجربة قد نكتشف شيئاً جديداً . نحن عرفنا المسافة من هنا الى النجم . ولكننا لم نعرفها من هناك الى هنا.

فقال هبل : عجباً يعني هل تتغير المسافة بين الذهاب والاياب

فقال تجينز : نعم . فلنجرب

وأمر السير لودج ابنه أن يثب الىقنطورس، ثم يعود من هناك على متن شعاعة .

واختفى الخيال من الوجود . وكانت الساعة قد صارت ٤و٤٥ دقيقة فسجلوها . ونبّه ادينغتون على الزملاء أن يحضروا في الميعاد بعد ٤ سنين .

فحضروا في الميعاد وحضر الرسول في ٢ يناير بدل ٤ يناير في الساعة أربعة وخمسة وأربعين دقيقة .

فطأطأ ادينغتون وقال : أما قلت لكم أن المسافة ٤ سنين ويومان . انها تختلف بين الذهاب والاياب .

فقال هبل : اني مدهوش من هذا الاختلاف . واستفتوا الروح في الأمر . فقال لهم نحن في عالم الأرواح لا اعتبار عندنا للزمان بتاتاً . فأنا الآن أكون في لحظة وراء عالمكم المادي . عالمكم بالنسبة الى عالمنا متقلص في شبر .

وجرى بين الزملاء لغط في الموضوع وكل منهم يبدي رأياً الى أن قال السير تجينز . لا أدري لماذا أهملتم اينشطين . لماذا لم يأتِ في الجلسة الأولى لتهنئة اللورد رصل ، ولماذا لم يدْعُه رصل لهذه الجلسة ؟

فقال برتراند : دعوته فاعتذر بسبب صحته . ولعله لمستاء مني لأني انتقدته في مسألة .

فقال تجينز : ما هي :

قال : انتقدت حسابه لعدد الإلكترونات كلها في الكون الأعظم فهو يقول إنها ٧١ صفراً أمام رقم واحد وأنا قلت انها ٧١ وكسور بعد الواحد .

— هذه لا تغضب إينشطين ، وهو رجل واسع الصدر . الأفضل أن ندعوه ونستفتيه في هذه القضية .

وعينوا موعداً وكتبوا إليه في الأمر فما تردد أن وافاهم في الميعاد . وكان قد عرف من بعض الزملاء بالمسألة . فوقف فيهم وقال : غفلتم عن نسبيتي التي لا بدَّ فيها من موقف الراصد في كل قضية . وقضيتكم بسيطة . لما راحت الروح الى الفاقنطورس كانت تسير بسرعة النور الى النجم والنجم يمشي قدامها بسرعته . فلما خطت الروح إليه كان قد بعد عن موقعه الأول مسافة يومين فقضى من الوقت يومين زيادة .

ولما وصل الروح من الفاقنطورس الى هنا كانت الأرض أو النظام الشمسي يقرب إليه بسرعتها التي تساوي سرعة الفاقنطورس ، فلاقته قبل يومين من ميعاده . والمسافة بين الأرض والفاقنطورس لا تتغير ولكن المسافة برمتها تسير مع سير النجم والأرض . ولما كان الروح يسير باتجاه سير الأرض الى النجم اضطرَّ أن يسير يومين زيادة لكي يدرك النجم وهو سائر قدامه . ولما كان يسير من النجم الى الأرض كانت الأرض تدنو إليه فبلغ إليها قبل يومين .

وصفقوا لإينشطين وانفضَّ مجلسهم .

بقاء الاصلح

يتفاصح بعض المتفيهقين حين يرون الصهيونيين متغلبين والعرب متخاذلين — يتفاصحون بكلمة داروون المشهورة في نظريته « بقاء الأصلح » كما يزعمون . يتبجحون بها ولا يفهمونها . يعنون أن اليهود أكفأ من العرب في تعمير فلسطين . فيقولون انظر الى مستعمراتهم فيها ، ثم الى مواطن العرب ترَ الفرق . لا نناقش هؤلاء في المسألة من حيث الوجهة التطورية البحتة لأنهم لايفهمون ما يقرأون . وإنما نسألهم « بقاء الأصلح » لمن ؟ — الأصلح لليهود ؟ نعم . الأصلح للعرب ؟ لا . فإذاً الأصلح لمن على العموم ؟ لأرض فلسطين ؟ ... الأرض لا يهمها هذا ولا ذاك . ولا هي تشعر فيما هي فيه من عمران أو قفر . ولكن العرب يكرهون أن يعمر اليهود مساحة من أرضهم ، ثم يملكونها ، وأخيراً يطردونهم منها . فلا يوافقون على هذه الأصلحية بل يشجبونها ويحاربون لأجلها . فالمسألة ليست مسألة تعمير أو تدمير ، وإنما هي مسألة طغيان أفاقين طغوا على سكان متوطنين بقوة انكلترا أولاً وآخراً ، وقوة أميركا أخيراً . فإذاً المسألة هي بقاء الأقوى لا الأصلح أولاً وآخراً .

العرب واليهود هم في فلسطين منذ القديم الى اليوم . أفما شعر اليهود أنهم أصلح من العرب إلا اليوم . فما الذي منعهم من استعمار فلسطين كل هذه المدة من بعد أن شتتهم تيطس ؟ وإذا كانوا أصلح من سواهم للتعمير فلماذا مكنوا دولة بابل منهم ؟ ، ثم دولة مصر ، ثم دولة الرومان ، ثم دولة الأغريق ، ثم دولة العرب ، ثم دولة الترك ؟ . لماذا لم يحتفظوا بالبلاد إن كانوا أصلح من سواهم لها ؟ ، ما الذي قذف بهم من أوروبا الى الشرق والبلاد الأخرى ؟ أصلحيتهم أم ضعفهم وتخاذلهم ؟ . وهل كانوا ، ولا يزالون ، يستعمرون فلسطين الآن بأصلحيتهم أم بقوة غيرهم ، وبالمال الذي استمدوه من أوروبا وأميركا ، ومن نصاراها أيضاً (لا تنسوا هذا)

والذين يلوكون كلمة بقاء الأصلح لاشك أنهم لا يفقهون ما يقولون ، ولا يذوقون طعم ما يمضغون ويزدردون ثم يتقيأون . سمعوا كلمتين جاءتا على طبطابهم أي على هواهم فصاروا يتبجحون بالمناداة بهما ، كأنهما من مستنبطات فلسفتهم وهم لا يفهمون ماذا يقولون .

« وبقاء الأنسب » ، أي المناسب للبيئة كما قاله داروون ومن جاروه في نظرية التطور ، ليس الأصلح لشيء من الأشياء ، بل لمن ، أو لما يمكنه أن يتفق مع البيئة ويعيش فيها . وأما من لا يستطيع أن يعيش فيها فيهلك فيها إن لم يهجرها . وخير تعبير لهذه الحالة هو ما قاله داروون ، أي « بقاء الانسب » (أي الأكثر مناسبة للبيئة) وهي تقابل بالانكليزية The fittest . فكون الطير يعيش في الهواء والبر ليس أصلح من السمك الذي يعيش في الماء .

وقد عاش ويعيش في البحر حيتان أقوى وأضخم من الدينوسور البري . فلم يكن الدينوسور أصلح وأسلم من حوت يونان . وإنما كان للبر أصلح منه ، والحوت أصلح للبحر من الدينوسور . فلو حاول هـذا أن يزاحم ذاك في البحر لفطس توًّا ، أو ذاك هذا في البر لاختنق في أوكسجين الهواء . فالمسألة ليست اصلحية وإنما هي توافق الحي والبيئة .

ولما غزا البربر الشماليون في أوروبا الدولة الرومانية في آخر أيامها، لم يكونوا إلا همجاً. لم يكونوا أصلح من الرومان، بل كانوا طغاة وبطغيانهم غلبوا . وما أدرانا أن اليهود قد لا يستطيعون أن يعيشوا في هذه البيئة الجديدة إن كان الجو العربي المحيط بهم يخنقهم اقتصاديًّا

بين يدي كتاب لعالم انثروبولوجي كبير هو الدكتور السير ارثر كيث بعنوان « نظرية جديدة في التطوُّر البشري » . وفيه فصل عن عاملي التطوُّر الخطيرين : التكافل والتنازع . سأغنم الفرصة المناسبة لأنقله الى المقتطف لكي يفهم هؤلاء المتفاصحون معنى « بقاء الأصلح في قولهم » .

في كتابَي « أصل الأنواع » و « تسلسل الإنسان » كان داروين يبحث في التنازع الحيواني . وقلَّما تصدَّى ، أو لم يتصدَّ ، للتنازع البشري . فقام بعض المغالين في نظريته يطبقون هـذه النظرية على المجتمع الإنساني . ومن جلّتهم رحمة الله عليـه ، الدكتور شبلي الشميل ، حتى أنه لما دعا قيصر روسيا نقولا الثاني دول أوروبا لنزع السلاح وتسوية المشاكل الدولية بالتحكيم — ومن ثمَّت بنى كارنجي الثري الشهير محكمة العدل في لاهاي لهذا الغرض — لما دعا القيصر دعوته هذه قام الدكتور شميـل يصرخ ان هذا القيصر غبي لا يفهم أن الحرب لا بدَّ منها لأنها صورة من صور تنازع البقاء وبقـاء الأنسب . وجعل يبرهن على ذلك بنظرية داروين .

وكنت حينئذٍ على ضعفي وحداثتي مناقضاً له . فناقشته في الموضوع مناقشـة كادت تقضي على شعجبه للسلام . وقلت ما فحواه : « ان نظرية داروين تنطبق على الحيوانات أكثر مما تنطبق على البشر ، لأن عند البشر عملية ليست عند الحيوانات . عند الحيوانات عملية « تنازع البقاء » ولـكن يقابلها عند البشر عملية « تكافل الأنام وتعاونهم » ، فهذه تقاوم تلك . فإذا كنا في هذا الزمان لا نرى أن عملية التعاون والتكافل لا توازن عملية التنازع ففي المستقبل ، ولو البعيد ، سنرى التعاون يتغلب على التنازع . والآن نحن نرى في جمعية الأمم ، أو هيئة الأمم ، ومجلس الأمن روح التكافل أغلب على روح التنازع . فان كانت اليوم هذه الحركة في تجربتها الأولى هزأة وسخرية ومسخافة ، ففي المستقبل ولو البعيد حين يتغلب الرشد على الغي ستكون نعمة وبركة . هل فهمتم يا هؤلاء معنى بقاء الأصلح ؟

نظرات في النفس والحياة

— ٢٠ —

تتمة نظرات جوتا

نلخص الأمور التي أخذها عليه النقاد فنقول انهم أخذوا عليه كما يقولون إن نظرته الى الجمال كانت نظرة أغريقية قديمة لا نظرة مسيحية. وإنه كان في اكتمال عمره وشيخوخته لا يتبسط مع بعض زوّاره بل يبدي بعض الجفاء إذا لم يكن زائره ممن يتوقع أن يستفيد منهم ثقافة. وإنه لم ينظم القصائد ولم يكتب المقالات لحث الألمان على قتال الفرنسيين. وزاد على ذلك أنه أخطأ في قَدْرِ قوة نابليون. وإنه لم يمالىء الاحرار الألمان في موقفهم من أمرائهم. وان الثقافة كانت دائرة عنده حول تكميل الفرد فكان بها شيء من الأثرة. وتعجبني صراحة هنري هيني الشاعر الألماني الذي نقد جوتا كما شاء ثم أعترف أن شدته في نقده إنما كانت لأنه حسده عظمته، وربما ظلم هيني نفسه بعض الظلم في هذا القول. فإن مزاج هيني الثائر على كل شيء ما كان يستطيع أن يقدر اتزان جوتا حيث يتزن. وبعد أن كان ينسبه الى البرودة وجفاء القول في شعره عاد يقول ان أغانيه الشعرية أحسن وأعظم الأغاني. وهو فيها أعفُّ قلماً ولساناً من غيره. وأما موقفه من الفرنسيين فإنه لم يؤجر لهم قلمه ولسانه ولا أجَّرَهُ لغيرهم من الأحزابِ والطوائف. وقد رفض ما اقترحه عليه نابليون أن يجعل باريس مستقرّه. ولم تكن المانيا في عهده إلاّ دويلات متنافرة. وقد أوشكت بروسيا أن تتفق ونابليون على أن يعطيها هانوفر. ثم علمت أنه يخابر الحكومة الانجليزية لإرجاعها الى أسرتها. وكانت بافاريا، وسكسونيا، وورتمبرج، وبادن، وغيرها مع نابليون ولم ينشق عنه أكثر أنصاره من الألمان إلاّ بعد انهزامه في موقعة ليبزك. ويعترف كل الأدباء أن الأديب يستطيع أن يناصر الحرية من غير كتابة شعر أو نثر سياسي. وأما أن الثقافة عند جوتا كانت تدور حول تكميل الفرد وان بها من أجل ذلك شيئاً من الأثرَة فليس كل الأثرة من نوع واحد، والأثرَة التي هي إيثار للثقافة أمرٌ مثمر منتج لم يستغن عنه مثقف. وأما الذين كانوا يريدون أن يُقبِلَ عليهم وهم يضيعون وقته الثمين ثم يشتكون إذا لم يفعل فقد قال فيهم جوتا: — إن أحمق اللصوص هم اللصوص الذين يسرقون وقتك واطمئنان بالك. ولا نريد تبرئته من كل عيب. وإنما نريد أن نظهر ما في نقد النقاد له من التحامل والمبالغة التي تغير الحقائق. والحكم له

بأقواله أصدق من الحكم عليه بأقوال نقاده، حتى ولو كان في أقوالهم بعض الحق . وفيما يلي تتمة لنظراته مع التعليق القليل على بعضها :

(١) لا دواء يستطيع أن تعالج به شعورك بامتياز غيرك إلاّ بالعطف والمودة لمن هو ممتاز عنك فبهما ترتفع الى مرتبته . أما الحسد والحقد فإنهما لا يعالجان امتيازه عليك، بل بهما تزداد انحطاطاً، ولا يستطيع أن يدرك مظاهر العظمة وصفاتها في الناس إلاّ من كان على صفة من صفات العظمة .

(٢) إني أشفق على الذين يصخبون ويحزنون بسبب فنـاء كل الأمور ويسترسلون في تأمّـل بجمل الحياة عبثاً وغروراً . فإننا ما خُـلِـقْـنا إلاّ لـكي نجمل الأمر الفاني خالداً بأن نستخلص منه حقيقته وجماله، وهـذا لا يكون إلاّ إذا قَدَّرْنا الحالتين حق قدرهما. والذي يستطيع أن يستخلص من الأمور الفانية جمالها وحقيقتها يستطيع أن يقول للساعة العابرة تريّثي .

(٣) يظن المرء أنه إذا تكلم فإنه دائماً يقول ما ينطبق تمام الإنطباق على ما يُحسّ أو ما يُـلاحِـظ أو ما يُجرّب أو ما يتخيل أو ما يُـفَـكّـر فيه، ولـكنه إذا فحص الأمر وجد أن كلامه قلما ينطبق تمام الانطباق إذ أن الكلمات التي ينطق بها المرء كثيراً ما تكون الخاطرة التي هي عوضٌ مما لا يؤاتي فهي من قبيل سدّ خانة . وفهم الإنسان وفكره كثيراً ما يكونان أحسن مما يعبر عنهما من الـكلام .

(٤) ان الانسان لا يفعل دائماً ما ينبغي أن يثابر عليه من محاولة ازالة ما يعلق بذهنه أو بذهن غيره من الأفـكار المخطئة، أو التي لا محل لها أو المقصرة عن الصواب بعض التقصير فيتركها عالقة بذهنه وهو لا يعرف عاقبتها . والواجب المفروض عليه هو أن يثابر على محاولة محوها بأن يكون مقصده واضحاً صادقاً نبيلاً، وتركهـا عالقة يكون إما من الـكسل أو قلة الاكتراث أو سوء النية .

(٥) كل مرحلة من مراحل العمر لها نظرة خاصة وفلسفة هي بها أشبه واليها أحوج . فالطفل لحداثة عهده بالدنيا يتلمس الموجودات، ويتعرف الحقائق الـكائنة، فنظرته إذاً واقعية (رياليست) فاذا كبر وصار شابـًّا ازداد عاطفة، وأملاً ونظراً الى المستقبل. ومن يزداد من هذه الأمور يكون مثاليـًّا (ايدياليست) فاذا اكتمل وصار رجلاً وجرّب أمور الحياة وشك في وسائله وتساءل هل هي تُنجح مقاصده ودبر وحزم أمره لذلك كان عمليـًّا (براكتيكال) . فاذا شاخ وهرم ورأى كيف ان الأمور كثيراً ما تأتي عفواً، واتفاقاً وبالمصادفة، وانّ الأحمق قد ينجح والعاقل الحازم يخيب، وانه كثيراً ما يكون الجيد

والرديء الى مصير واحد. فعندئذٍ يرى الحياة لغزاً وسرًّا أي يصير (ميستيك) . ولكن ليس معنى ذلك ان هذه النظرات منفصلة في مراحل العمر انفصالاً تامًّا. بل كل منها تتعدى مرحلتها، وقد تجتمع في مرحلة واحدة من العمر .

(٦) الشك العامل النشط المنتج هو الذي يحاول دائماً أن يتغلب على نفسه، وأن يصل بالخبرة والتجارب الى يقين محدود . وان يكون همُّ صاحبه تطبيق ما وصل اليه بحثه وبرهانه في الأمور العملية .

(٧) يوجد أناس كثيرون يخيل لهم انهم يفهمون كل ما يلاقونه في الحياة من تجارب، وإنما هم يقنعون أنفسهم بذلك كي يستريحوا، إذ الواقع أن في الحياة ولا سيما في اختلاف أعمال الناس وأخلاقهم ما يحير .

(٨) ان الرجل المغرور المعجب بنفسه يطلب مدح الناس اياه ، ولكنه لا يطلب هذا المدح أو الاكرام أو الاعجاب لأعمال أو صفات مجيدة، وإنما يطلبه لشخصه مهما كانت صفاته وأعماله ، وهذا الطلب ناشيء من شعوره بالنقص فيُحبُّ أن يستعيض عما نقص بالمدح والاكرام ، ودافع النقص هذا قد يوجد حتى في ذوي الكفايات والنبوغ الذين يجدون نقصاً في أنفسهم .

(٩) إن السخاء والاريحية أنواع ولكن أصدقها وأحسنها موقعاً وقبولاً السخاء الذي هو عطف التفاهم والتقدير والقدْر المنصف .

(١٠) اننا لا نستطيع أن نظل على خلاف مع من يتفق معنا في الطباع والميول. ومهما طال الخلاف فمآله الى الاتفاق . أما الذين يخالفوننا في الطباع والميول فمآل الاتفاق معهم إلى الخلاف، وهذا يشبه قول مارسل بروست ان التداني إنما يكون باتفاق الأمزجة والأذواق والميول، لا باتفاق الآراء والنظريات .

(١١) أكبر خطر على قومنا الألمان مجاراة جيرانهم ومحاكاة الأمم التي سبقتهم الى الظهور والحضارة من غير اتعاظ بعبر التاريخ وعظاته . وأعظم ما يفيد الألمان أنهم لفتوا العالم الى أنفسهم في زمن متأخر بعد أمم كثيرة أي أن الفائدة في إتعاظهم بما في حياة من سبقهم — وما فات جوتا ما لفت النظر اليه في مكان آخر من أن التجارب لا تكتسب بالتلقين، فكما أن الحياة تبدأ تجاربها من جديد إذا كانت حياة الآحاد من الناس أو الاجيال أو القرون ، فكذلك حياة الامم . وهو يعلم ذلك ولكن صنعه في إرشاد قومه وعظهم صنع المعلم الذي يحاول ان يجعل المتعلم يكتسب خبرة بالتعليم سواء أأفادته أم لم تفده كل الفائدة .

[يتبع] ع . ش

صفحة طويت

علي مصطفى مشرفة باشا

في عام أو يزيد قليلاً ، رزئت مصر في عالمين كبيرين من أعلامها الأفذاذ هما الدكتور حسن صادق باشا العالم الجيولوجي المشهور ، والدكتور علي مصطفى مشرفة باشا العالم المرموق في شؤون الذرّة وشطر نواتها والطاقة المنبعثة منها والقوة المدّخرة فيها .



المرحوم الدكتور علي مصطفى مشرفة باشا

ومن عجائب الاتفاق ، أن هذين القطبين الكبيرين لقيا ربهما على حين فجأة أثر هبوط في القلب . فكانت الخسارة في فقدهما أكبر من أن تعوّضها الأيام .

علي مصطفى مشرفة ، يقترن اسمه باسم كلية العلوم في القاهرة ، فقد كان أستاذاً فيها،

ثم عميداً لها، ثم رئيساً لجامعة فؤاد بالنيابة أيّام زار مصر عاهل الجزيرة العربية. وفي مختبرات هذه الكلية أجرى تجاربه، وعلى طلابها ألقى محاضراته، وفي أفنائها ناقش نظرياته، ووقف حياته على العلم يعمل لترقيته في دأبٍ وإصرار، ويتابع النشاط العلمي في الخارج عن كثبٍ، ويواليه بالرأي آناً والفتوى آناً حتى كان علي مصطفى مشرّفة مرجعاً من المراجع الأصيلة التي أشار إليها في مباحثه أئمة علماء العالم مثل السر جيمس جينز والسر أوليفر لودج وحتى استعانت به جامعة برنستن الأميركية — التي تعدّ الأولى بين جامعات الولايات المتحدة — ليحاضر على طلابها كأستاذٍ زائر دوليّ الثقافة فريد العرفان.

وفضل الدكتور علي مصطفى مشرفة لا يقتصر على خدمة العلم في دوائره الضيقة، وفي معامله الموصدة الأبواب، وفي أحرامه المصونة، بل يمتدّ فضله فيشمل القارئين عامّة والسامعين جملة، لأن مشرفة باشا مبسّط للعلم، خاضد لشوكته، يكتب بأسلوب لا يرتفع إلى التكلف العسير المأتى ولا ينخفض إلى الركاكة المبتذلة، يعبّر عن المعنى العلمي الدقيق من أقصر الطرق كأنه رياضيٌّ يدرك أن الخط المستقيم أقصر من الخط المنحني. ومن مؤلفاته الشعبية -- وفرقٌ كبيرٌ بين الشعبية والسوقية — كتاب «مطالعات علمية»، وكتاب «الذرّة والقنابل الذرية»، وكتاب «نحن والعلم» عدا عشرات من المحاضرات رددها من المنابر العامّة، وعدا مئات من الأحاديث طيّرها اللاسلكي من القاهرة لنشر ألوية العلم خفّاقة عالية.

والدكتور مشرّفة من الدعائم التي استندت إليها بضع من الهيئات العلمية العاملة في مصر، وهو من المراجع التي كانت تستفتيها الجامعات والمجامع الاجنبية في شؤون العلم. فهو من مؤسسي المجمع المصري للثقافة العلمية الذي يعمل من عشرين عاماً على اشاعة الثقافة العلمية في أوسع نطاق، ولو أنصف المنصفون لوجدوا في الدكتور مشرفة عضواً عاملاً لا ضريب له في مجمع فؤاد الاول للغة العربية، ولكن مما يدعو إلى الأسف والأسى أنه ظلّ مقصيًّا عن هذا المجمع أسوة بالمغفور لهما خليل مطران بك واسعاف النشاشيبي.

وفي اعتقادي أن ضمّ عالمٍ إلى مجمع فؤاد الاول للغة العربية أجدى على الضاد وعلى المجمع وعلى الحركة الادبية والعلمية في الشرق عامّة، من ضمّ فقيه في اللغة مفتقرٍ إلى

ثقافات غربية واسعة . ولو قيل إن عضوية المجمع مقتصرة على بضع عشرات من الأعضاء ، لقلنا : ولِمَ لا يزاد عددهم لأن المقصود بالمجمع أن يضم أقطاب الفكر ، فإذا زاد عددهم زاد بالتالي عدد أعضاء هذه المنشأة الكبيرة .

طويت إذن صفحة الدكتور علي مصطفى مشرفة باشا بعد جهادٍ كان نعم الجهاد ، وبعد بلاء في ميدان العلم بُورك به من بلاء .

طويت صفحة عالمٍ يدرك أن الانسان مهما دانت له سلطات الطبيعة ، ومهما أسلست له قوى المجهول قيادها ، ومهما ارتقى في مراتب الجاه والمعرفة والشهرة ، يجب أن يظل مبقياً على بساطة النفس وسماحة القلب ووداعة الروح وطيب العشرة . فالكبرياء ليست من شيم العلماء ، والاستعلاء بعيد عن حظيرة المشتغلين بالعلم .

طويت صفحة علي مصطفى مشرفة الذي كان لمصر عنوان نهضة في الخارج ، وكان لبلاده شرفاً تعتز به في حلبات الرأي العلمي ، وكان لنا رائداً شق طرقاً عصية غير معبدة وأطلعنا على أبواب للعرفان جديدة .

طويت صفحة عميد العلم وركنه الركين في وادٍ للنيل خصيب .

طويت صفحة رجلٍ يقارع علماء الغرب ويصارعهم ، يصاول أصحاب النظريات العلمية المستحدثة ويطاولهم ، يوزن كلامه بميزان الذهب لأنه لا يقول إلاّ ما يجدي وينفع .

فالخسارة في مشرفة باشا خسارة هيهات أن يخفف من وقعها العزاء ، ولا سيما لأنها جاءت بعد وفاة صديقه وخله الدكتور حسن صادق باشا . فقد آن للعقل المثقل بالمعرفة أن يطرح عنه عبء الاجهاد ، وآن للذهن الحاضر أن يهدأ بعد كلال ، وآن للرجل الذي عرف أسرار الكون أن يعرف سرّ المنيّة ، وآن للركب أن يبلغ مبغاه .

في فقده يصدق قول مطران :

برغم المُنى ذاك الختام المحيِّر كتابك تطويه ومنعاكَ يُنشر
دهاك الردى في الرائحين فراعنا كأنك غادٍ في الصبى فمبكِّر
يراعك في اليمنى وذهنك حاضرٌ وعزمك ذاك العزم ، والعود أنضر
أعن سبق إحساسٍ بما كان مضمراً زمانك آثرت النوى حين تؤثر ؟

وديع فلسطين



الأديان في فطريتها

(هذا فصل ترجمناه من كتاب « فلسفة الاديان » للدكتور رايت)

يبدو من القلة التي ترامت إلينا أنباؤها عن المعتقدات الدينية لإنسان ما قبل التاريخ ، أن المعتقدات الدينية والممارسات المتصلة بها لا تختلف كثيراً عن الأديان والمعتقدات المألوفة اليوم في بلاد البدائيين أو آكلي لحوم البشر . فاذا قابلنا بين المعتقدات الدينية عند البدائيين الذين يتفاوتون مراتب من حيث تقدمهم وارتقائهم أمكننا أن نستحوذ على رأي عن كيفية نشأة الأديان بين الناس ، واحتفالهم بها كممارسة منفصلة عن سائر الممارسات ، ثم عن الاتجاه العام لتطورها بين أسلاف الأمم المتحضرة .

وخليق بنا أن نستهل هذا الفصل بتلخيص مراحل تطور الدين عند الأجناس الشديدة التخلف في مضمار الحضارة مما لا تزال فلول لها باقية على قيد الحياة اليوم ، وهي أجناس يفتقر رجالها إلى الذكاء وإلى النظم الاجتماعية . ومن هذا اللون ، سكان « فيداس روك »[1] في سيلان ، و« الفوجيون »[2] الذين يقطنون « تيرا دل فيجو »[3] ، وزنوج أواسط أفريقيا . ولم يتسن لنا الظفر بأنباء مفصلة عن هذه القبائل في الأمور التي تستأثر بأكبر عنايتنا كطلاب علم « الأديان المقارنة » ، غير أن من الخير البدء بجنس آخر لا يزال في طور من الرقي سابق لنشوء الأديان وصيرورتها جزءاً منفصلاً من نشاط الانسان ، لها منشآت ومعابد ذات طابع خاص .

وكما أن علماء الأحياء يرون ان من الفطنة استهلال بحوثهم بتقصي التطور الحيواني مبتدئين من الأميبا التي لم تتميز فيها وظائف الحياة كالتنفس والدورة الدموية والتمثيل الغذائي والتبرز والتناسل والحركة ، لأنها خلية واحدة بسيطة ، كذلك نرى من الحكمة لطلاب علم الأديان المقارن أن يبدأوا بالشعوب التي تمارس الأديان المندمجة ، أعني الأديان التي ما برحت جزءاً متداخلاً مع أوجه نشاطها الأخرى . وتلك هي في الواقع حالة الدين

Tierra del Fuego(٣) Feugians (٢) Veddahs Rock (١)

عند بعض قطان استراليا ، وهذا هو السبب الذي يحدو بنا الى استهلال هـذا الفصل بالحديث عن الاستراليين .

وثمة أسباب أربعة أخرى تجعل لسكان استراليا الجلف شأناً عنـد المبتدئين في درس الأديان يعلو على سائر الأجناس البدائية الباقية حتى الآن على قيد الحياة ، والأسباب هي :

أولاً — يبدو أنهم أدنى الأجناس الفطرية من حيث الارتقاء ، كما أن لدينـا تقارير وافية موثوقاً بها عن دينهم . فقد أجرى الأستاذان سبنسر وجلين[1] والأستاذ هويت[2] بحوثاً حسنة الاستقصاء والتدقيق تدل على جلدٍ ومثابرة ، وأكد صحتها من بعدهم الأستاذ ستر هلو[3] وسواه .

ثانيا — احتلت هـذه الأجناس قارّة بأسرها ، وفي وسعنا بلا ريب أن نطمئن إلى النتائج التي نظفر بها عن الأجناس الاسترالية أكثر من ثقتنا بالأجناس القليلة العدد المنعزلة عزلاً نسبيـاً .

ثالثاً — لم يتح لهذه الأجناس أن تتصل بأجناس أخرى إلاّ في عهـدٍ قريب . وقد استطاع الأستاذان سبنسر وجلين أن ينقلا إلينـا الدين الاسترالي في نقاوته الفطرية قبل أن يتأثر بالآراء التي حملها المبشرون والتجار .

رابعاً — وهو سببٌ له شأن عمليّ ، أن عـدداً كبيراً من النظريات الحديثـة المتعلقة بأصول الدين وطبيعته يرتدّ إلى هاته الشعوب ، ولا يمكن توضيحه بغير الاشارة إليها .

* * *

لعلّ سكان استراليا المتخلفين هم أكثر الأجناس البشرية فطرة ، فـما فتئت حالتهم الاقتصادية في الحضيض ، وما برحوا يأبون تربية الماشية أو قطعان الغنم ، ويصدفون عن فلاحة الأرض .

الرجال منهم يقنصون الكنغر والنعام والحيوانات المفترسة ، ويتوسلون ببعض المهارة والذكاء الى قنصها . أما النسوة ، فهنّ يتصيدنَ الحيوانات الصغيرة كنحل العسل والسحالي ويجمعنَ الخضر النامية من الحقول والبراري كيفما اتفق . ومع أن الشتاء يكون في العادة قارصاً ، ومع أن لياليه تـكون في الأغلب ذات صقيع ، فانهم لم يتعلموا بعد كيف تصنع الملابس للوقاية من الزمهرير ، وهم لذلك يرحبون بكل لباس يمنحهم إياه الرجال البيض .

أما الأكواخ التي يأوون اليها ، فهي فطرية إلى أقصى حد ، ولا تزيد على كونها بضعة من الأعشاب مرتبة بكيفية تحمي قاطنها من الرياح العاتية .

---

(1) Spencer and Gillin (2) Howitt (3) Strehlow

وفي وسع أولئك الاستراليين الجلف أن يحصوا الأرقام الخمسة الأولى (أي من ١ الى ٥) بغير عناء ، ولكنهم يعنّتون النفس إذا أرادوا استيعاب ما بقي من أرقام حسابية. ولكنهم رغم هذا التخلف الحضاري الكبير ، استحدثوا لأنفسهم نظاماً معقداً من «الطواطم » (١) والقواعد المتقنة التي يذعن الزنوج لها .

ولعلّ مما يثير الدهشة أن نعرف أن هؤلاء القوم خلوّ من الأفكار الدينية التي نحسبها أساسية جوهرية . فهم مثلاً لا يرددون أدعية أو صلوات ، ولا يحاولون الاتصال بأي نوع كان من الأرواح أو الآلهة أو الكائنات غير الملموسة وغير المرئية ، وليس لهم كهنة أو معابد حتى ليقال أحياناً إن أولئك الفطريين ينتمون الى العصور السابقة لنشوء الأديان وان ثقافتهم الفطرية سبقت ظهور الدين بين الانسان .

وعلى كل حال ، يصح القول إن الأديان تنتشر بينهم في حالة غير مميزة (أي أنها غير منفصلة عن أوجه نشاطهم الأخرى) لانهم يملكون بعض الأصول الدينية التي لها نظائرها بين الأجناس التي تفوقها حضارة ورقيّا .

ففي استراليا قبيلة تعرف باسم « أرنتا(٢) » لها عادات نوجزها في ما يلي :

يمر الطفل المنتمي الى هذه القبيلة في أربعة أدوار لتدشينه . فيحل موعد الدور الأول عند بلوغ الطفل العاشرة أو الثانية عشرة من عمره ، فيجتمع الرجال والنساء في منطقة متوسطة قريبة من المخيم الرئيسي ، وينتقى الأطفال الذين بلغوا السن القانونية واحداً واحداً ، ويطوّح الرجال بهم في الهواء ، ثم يتلقونهم لدى سقوطهم ، بينما تشرع النسوة في الرقص حول الجماعة ، ويمددنَ أيديهنّ ، ويصرخنَ صرخات مدويات. ثم تدهن صدور الاطفال وظهورهم بالألوان الحمراء والصفراء ، ويحاطون في أثناء ذلك علماً بأن المراسم التي يجتازونها الآن إنما هي لترقيتهم الى طور الرجولة ، فلا ينبغي لهم أن يلعبوا في المستقبل مع النساء أو الفتيات أو معاشرتهنّ في مخيماتهنّ ، وانه يجب عليهم الالتجاء من تلك اللحظة الى مخيمات الرجال، وان يقلعوا عن مرافقة النساء في أثناء تجوالهنّ للبحث عن الخضر وقنص الحيوانات الصغيرة كالسحالي والجرذان ، وان عليهم أن يصحبوا الرجال عند خروجهم لصيد الحيوانات الكبيرة المفترسة . وبعد اتمام هذه المراسم ، يتطلع الصبية الى الوقت الذي فيه يكونون قد أتموا عمليات تدشينهم . ومن ثمّ يحق لهم أن يقفوا على أسرار القبيلة

(١) الطوطمية Totemism — أي تقديس الحيوان أو النبات (٢) Arunta

والطور الثاني من أطوار تدشين الطفل ، هو الختان ، وتصحبه عادةً حفلات أوسع نطاقاً من سابقتها ، ويكون الطفل قد تقدَّم في العمر قليلاً .

وقد شهد السائحان البريطانيان سبنسر وجلين إحدى هذه الحفلات الطقسية ، ووصفاها بالتفصيل . فقالا : إن الطفل الذي يراد تدشينه يمسك به ثلاثة شبان يصرخون صراخاً عالياً ويحملونه إلى الموضع المعدّ إعداداً دقيقاً لإجراء المراسم ويكون بعيداً عن مرأى النساء والأطفال . والغرض الرئيسي من هذه العزلة الجنسية الجزئية هو أن يطبعوا في ذهن الصبيّ انه أوشك أن يرتقي إلى مرتبة الرجال ، وإن هذا حدٌّ فاصل بين حياته القديمة وحياته الجديدة التي يزمع الارتقاء إليها .

ومما يساعد على أن ينطبع في ذهن الصبي ، بصورةٍ قوية ، شعور عميق بضرورة السير وفقاً لنظم القبيلة واحترامٍ فائق للمكانة السامية التي يتمتع بها الرجال الذين يفوقونه سنّاً والذين يعرفون جميع الشعائر الغامضة ويلمّون بها — مما يساعد على ذلك ، جهل الصبيان الكلي بما خبيء لهم ، وشعور الواحد منهم بأن شيئاً غير عادي سيقع له ، وهو شيء ذو طبيعة غامضة .

وبعد أربعة أيام ، يُحمل الصبي إلى مكان معين معدّ له بالقرب من مكان المراسم الخاص ، ويوضع تحت رقابة شديدة . ويظلّ في الأيام الأربعة التي تلي ذلك بمعزل تام عن الناس ، باستثناء بعض فترات معينة يؤتى به فيها ليشاهد للمرة الأولى في حياته أنواعاً مهيبة من الطقوس ، تصوِّر له الحيوانات الطوطمية وأسلاف القبيلة على الصور التي يُظنّ انهم ظهروا فيها وتصرّفوا بها في حياتهم . ويستعينون على تصوير ذلك بالرقص والغناء والتمثيل والايماء . ومن صباح اليوم التاسع إلى مسائه ، تزيد الطقوس وتتكرر وتصبح جدّ مثيرة . وفي أثناء الليل التالي يستمع الصبي — في فترات — ووجهه ملثم إلى غناء أغنية « النار » . ولدى انبلاج فجر اليوم التالي يدهن جسمه بالألوان ثانيةً ويشاهد بعض الطقوس ويصغي الى صرخات وأغانٍ طوال النهار . وبعد الغسق توقد نار كبيرة ، ويزمجر رجال القبيلة كالثيران ، وتدوي صرخاتهم تشق عنان السماء وتصم الآذان — ويحسب الأطفال والنساء أن هذه الاصوات صادرة عن روحٍ هائل جاء ليخطف الصبيّ ويهرب به في الغابة . وفي أثناء ذلك تجري عملية مؤلمة بوساطة مدية صغيرة من حجر الصوان ، ويهنأ الصبي عقب ذلك لانه لم يصرخ أو يتوجع ، ثم يطلع على بعض الأسرار الرمزية التي يعتقد انها تعجّل ببرئه من جراحه ، وهي أسرار ينبغي عليه أن يحرص عليها ولا ينساها لئلا تنزل به وبأفراد عائلته عقوبة الموت .

وحين ينتهي من إجراء هذا التدشين يستبقى الصبي تحت إشرافٍ دقيق ، ويمنح وقتاً كافياً يتيح للجرح أن يبرأ يتفاوت بين خمسة أسابيع وستة . وعليه بعد ذلك أن يجتاز دور التدشين الثالث وينتهي عادةً بعملية مؤلمة أخرى يطلق عليها «التشريط»[1]، ويصحب هذا الدور كذلك شعائر كثيرة الزخرف تكشف للصبيّ عن الحِكَم والتقاليد السرية للقبيلة . أما الفتيات ، فإنهنّ يجزنَ في طور مماثل نوعاً ما ، غير أنه أبسط منه . والغرض من هذا تأكيد النموّ الجسدي للفتاة وإطلاعها على حِكَم القبيلة وتقاليدها السرية ، لأنها تكون قد ارتقت إلى مرتبة المرأة المكتملة النضوج .

وبعد بضع سنوات منْ إجراء هذا التدشين — ويكون الصبيّ قد شبّ وتخطى العقد الثالث من عمره (من ٢٥ الى ٣٠ سنة) — يؤدي مراسم التدشين الأخيرة ، وهي أغنى المراسم بالزخرف والزينة ، ويطلقون عليها اسم « انجورا »[2] أي النار ، لأنها تنتهي بأن يحمل الشاب على النوم أربع دقائق أو خمساً على فروعٍ خُضر من فروع الشجر موضوعة فوق جمرٍ ساخن متوهج . وتستغرق هذه المراسم شهوراً . ويقول السائحان سبنسر وجلين ان المراسم التي شهداها استغرقت من منتصف شهر سبتمبر الى منتصف يناير من العام التالي . وفي هذه الفترة يجتمع الرجال والنساء من جميع أرجاء القبيلة ومن القبائل النائية ، وتجري كل يوم مراسم مختلفة يتفاوت عددها من اثنين إلى ستة تصحبها زخارف وزينات كثيرة . ويجتمع كبار رجال القبيلة في هيئة مجلس أو مؤتمر ، ويكررون حِكَم القبيلة وتقاليدها ويناقشونها حتى تُطبع ولا تنسى ، ويكون ذلك على مسمع من الشبان الذين يدشنون. ثم يخرج كبار رجال القبيلة الأشياء والمواد المقدسة[3] ويفحصونها . وبعد ما يمرّ الشاب في هذا الطور يقال إنه أصبح « أوليارا »[4] أي عضواً كاملاً في القبيلة واقفاً على دقائقها ، ويقول الوطنيون أنفسهم أن لهذه المراسم تأثيراً كبيراً في تقوية الذين يمارسونها ، فهي تغرس فيهم روح الشجاعة والحكمة ، وتجعل الرجال لطفاء في معاملتهم ، معرضين عن الشجار والقتال . وبدهي أن الهدف الرئيسي لهذه الفريضة هو : أولاً : إذعان الشبان لإشراف كبار السن وقيادتهم حتى يصدعوا بأوامرهم .

---

(١) Sub - incision

(٢) Enugwra (٣) Churinga (٤) Uliara

ثانياً : تدريبهم على ضبط النفس ومواجهة الصعاب .

ثالثاً : اطلاع الأحداث الذين بلغوا سن البلوغ على الأسرار المقدسة للقبيلة ، وهي الخاصة بالأشياء المقدسة والطوطم الذي ترتبط به القبيلة .

وينتمي كل مواطن في أستراليا الى طوطم ، أي الى حيوان أو نبات . أي ان المواطن (أو المواطنة) مرتبط بطريقة غامضة بنباتٍ معين أو بحيوان معين . والحق أن الفطريين لا يعرفون بالضبط نوع هذه العلاقة بينهم وبين النبات أو الحيوان ، وهم — لأنهم جُلْفٌ متخلفون — لا يشعرون كما يشعر المتمدينون بحاجتهم الى تفسير كل شيء تفسيراً منطقيًّا يقبله العقل . فهم يقولون عن هذا الرجل مثلاً أنه « نعامة » ، أو « كنغر » ، أو أنه ليس « بسحلية » ... الخ ، وهذا في عرفهم هو ختام الأمر كله ، ولا مدعاة للاستطراد . وتختلف التفسيرات — إذا أبديت — اختلافاً بيناً بين القبائل الأسترالية المختلفة وبين الاجناس البدائية الاخرى في جميع أرجاء العالم . فتعتقد قبيلة « الأرنتا » مثلاً أن في كل فردٍ من أفرادها روحاً تناسخت ، إما عن أحد أسلافه من نفس « الطوطم » مباشرةً ، أو من روح حيوان « الطوطم » ذاته بمعنى أن الروح الكائنة في رجل ما ، إما أن تكون روح أبيه أو جدّه أو سواهما ممن كانوا ينتمون الى « الطوطم » الذي يدين به ، أو أن تكون روح الحيوان الطوطمي .

ولما كان المرء مرتبطاً بعلاقة غامضة مع « طوطمه » وجب ألاّ يأكل هذا الحيوان أو النبات إلاّ في حالات نادرة تقتضيها المراسيم . وهذه الوحدة أو العلاقة تمدّ المرء بالقوّة التي بها يستطيع أن يزيد إنتاج النباتات أو الحيوانات الطوطمية لمصلحة أفراد الطواطم الأخرى . ويستدعي تحقيق هذه الغاية مباشرة بعض الطقوس الطوطمية . وفي بعض المراسم المعروفة باسم « إينتشوما » يأكل المشتركون في هذه المراسم الطعام الطوطمي المقدس على الرغم من تحريم أكله في الأوقات الأخرى ، كنوعٍ من نحر الذبائح . وتلجأ قبيلة « الارنتا » إلى أكل الطعام الطوطمي في حفلات عامة يشترك فيها جميع أفراد القبيلة كضربٍ من المشاركة . وذلك لتأكيد رغبة لا يمكن تحقيقها بالوسائل البشرية العادية . غير ان أكل الطعام الطوطمي ليس مما يمارسه بعض القبائل الأسترالية في المراسم ، كما أنها لا تزيد شأناً على التفصيلات الأخرى الخاصة بالطقوس

لماذا تعد الحفلات الأسترالية دينية

وإذا نحن تدبرنا هـذه الحفلات الأسترالية الآن رأينا فيهـا بعض مميزات الأديان السامية . فعند ما يعتنق الشاب اليهوذي ديانته ، أو عند ما يعترف المسيحي للمرة الأولى بمسيحيته ويتقدّم الى « الشركة المقدسة » وينضم الى الكنيسة ، أو حينما يتلقى الصبي البوذي التعليمات الدينيـة الأولى ويقسم القسم المثلث المقـدس وهو : « أحتمي ببوذا ، وأحتمي بتعاليمه ، وأحتمي في الاخوة » — نسأل ما شأن هـذه الأعمال من الناحيتين الاجتماعية والشخصية ؟ إن هذه الشعائر بالنسبة للحدث اليهودي أو البوذي أو المسيحي معناها توسيع أفق حياته وزيادة قيمتها . انها تعمق فيه وتوسع أمامه وتعزز فيه الآراء والمثل التي تعلمها أولاً عند ركبتي أمه والتي ظلت منذ ذلك الوقت مطبوعة فيه بوساطة سلوك الذين يكبرونه سنـاً وبآرائهم . وتصبح جميع فروض العبـادة التي كانت تبدو أمامه ظاهرية حتى الآن ، لا يرى الا مظاهرها الخارجية — تصبح ذات شأن أعلى وأكمل .

فلأول مرة يمسي إدراكه العقلي سديداً ، ويصبح تصرفه التأثري تجاهها شخصيـاً قلبيـاً . فيضع اليهودي قانون موسى ومحبة يهوه في سويداء قلبه وعقله، وتصبح القواعد الثماني للسلوك عند البوذي ، خارطة الحياة وبوصلتها ، ويعتمد المسيحي على المسيح ويكرّس حياته لخدمته .

ويبدو أن حفلات التدشين تحقق للسود الاستراليين أعمالاً مماثلة، فمن الناحية الاجتماعية تصون الحفلات لهم ما يقدسونه ويعتزون به من ماضيهم ، ثم تنقله الى الجيل التالى . ومن الناحية الفردية تؤكد أن الذين دُشنوا ، تلقوا هذه الأمور بالإطار العقلي الملائم ، واتصفوا بالهيبة والتواضع المقرونين بالغبطة والنشوة العاطفية الشديدة . وإن قيم الأديان السامية لتفضلها أخلاقيةً وروحيةً . كما أن هناك وسائل أكثر نقاءً من وسائل التعذيب البدني ، والالحاح في السرية والغموض ، وهي تستخدم لتقود الشاب المدشن الى توقير المبادئ المقدسة وجعلها أساساً لحياته . واذا راعينا الفارق في مستوى الرقي أمكن أن نقول ان تلك الحفلات الاسترالية تقابل شعائر الأديان السامية . ونستطيع بذلك أن نقرر أن لقطان استراليا الجُـلـف ديناً .

وديع فلسطين

خلود الحياة[1]
في فلسفة اقبال

كان شبح الموت المخيف الرهيب يبدو أمام الناس جسيماً عظيماً ، وبقدر ما كانت جسامته وخطره كان في عين اقبال ضئيلاً متلاشياً . لعله كان يرى أن العقبة الكؤود في طريق رقي المسلمين الحرص على الحياة ومخافة الموت .أو كما عبر عنه الرسول الأعظم حب الدنيا وكراهية الموت. وقد وجد أن خوف الموت ليس معناه الا أمراً واحداً وهو ترجيح حياة الذلة والعبودية على موت الشرف والكرامة . فحاول أن ينتزع هذا المرض النفسي من صدور أهل الاسلام مبيناً أن خوف الموت والايمان لا يجتمعان في قلب واحد ، وان الذين تسنموا غارب العزة والشرف هم الذين يحملون رؤوسهم على أكفهم في ميدان الكفاح ولا تنخلع قلوبهم فرقاً، ولا ترتعش عزائمهم جبناً . وإنما يقبلون على الموت اقبالهم على العرس، ويفرحون بالتضحية فرحهم بالنصر، مؤمنين بالفوز في الدنيا أو السعادة بلقاء الله .

(قل هل تربصون بنا الا إحدى الحسنيين) (فأما النصر وأما الموت فيه الفخر)

ثم يذكرنا اقبال بأسلافنا الماضين الذين ملكوا الممالك وأدالوا الدول ووطئت خيولهم القلاع والحصون وما اشتروا هذا المجد الا بدمائهم . فهو في قصيدته الشكوى يذكرنا بهذه الحقيقة في جلاء حيث يقول : —

فوق الصوامع والكنائس صوتنا   قد كان يعلو بالأذان جهارا

تترنم الصحراء في أفريقيا   بصلاتنا وتسابق الأطيارا

كنا نقدم للسيوف صدورنا   لم نخش يوماً غاشماً جبارا

وكأن ظل السيف ظل حديقة   خضراء تنبت حولنا الأزهارا

(١) مقتطفات من الكتاب الذي سيظهر قريباً بعنوان « فلسفة اقبال والثقافة الاسلامية في الباكستان والهند » ترجمة الاستاذ محمد حسن الاعظمي عميد كلية اللغة العربية في الباكستان والسكرتير العام للمؤتمر الاسلامي الدائم والشيخ الصاوي شعلان دبلوم معهد اللغات الشرقية بجامعة فؤاد »

ثم يقول : —

لو فرّت الآساد من أجماتها لم يلق غير ثباتنا الميدان
وكأن نيران المدافع في صدور المؤمنين الروح والريحان

* * *

ويصف ذلك المسلم الذي ينطلق كالسهم النافذ الى العدو بعد أن يكبر تكبيرة الجهاد في الميدان فيقول :—

ذلك المؤمن المجاهد يغشى غمرة الحرب والردى يخشاه
تحت ظل السيوف ماض قوي درعه لا إله إلاّ الله

يبين لنا بعد ذلك ان الحالة قد تغيرت ، وان سنة الأقوام قد تبدلت ، واستحكم الجبن في قلوب الكثيرين من المسلمين ، وأصبحت وجوههم تصفر اصفرار الشمس عند الأصيل اذا ذكر الموت أو الحرب .

ثم يخاطب الذين يتقاعسون عن الجهاد، ويتخلفون عن النضال قائلاً : (ان خطباء منابركم ووعاظ أنديتكم أصبحوا غير نافعين ولا مغنين عنها) . ثم يقول : —

لم يبق في يد مسلم درع ولا سيف يصول به ليوم جهاد
لو أنه وجد السيوف فهل له ذوق الخلود وحب الاستشهاد
من كان يجزع من منية كافر هل يستطيب مصارع الأمجاد

إذا كان المرء مخلصاً لله حق الإخلاص ، واذا كان واثقاً بأن الموت ليس إلاّ العقبة الأولى التي يجتازها المرء الى الحظيرة الأبدية والمتعة بلقاء الله . أقول اذا كان الايمان هكذا فلا محل للخوف من الموت . أما أولئك المضطربون الخائفون فهم أولاً شاكون في لقاء الله وفي الخلود ، ثانياً فهم يعبدون المال ويؤثرون الحياة الدنيا ويظنون أن هذه الحياة المادية هي المرحلة الأخيرة للسعادة ، لذلك يخشون أن يموتوا فيحرموا . وإقبال يحكم على هؤلاء بأنهم فقراء ، وان نارهم لا تساوي التراب ، وهم على كل حال سيموتون طوعاً أو كرهاً .

المؤمن الحق كان الله غايته والله كان لديه السمع والبصرا
والآن أضحى اله المال كعبته وخوفه الموت أفناه وما شعرا
سيان في الشرك هذا عابدٌ ذهباً يسعى الى جمعه أو عابدٌ حجرا
يا مؤمناً بلقاء الله مالك في ذعر من الموت قد أشبهت من كفرا
قد عاد قلبك ميتاً بين أضلعه كأنه في حنايا الصدر قد قبرا

من كان يحسب ان الموت هاوية وانه عدم يستأصل البشرا
فنار آماله ينحط عنصرها الى التراب ويلقى الموت محتقرا

لما كان سم الموت سارياً في كل الدماء البشرية فقد حاول اقبال ان يوجد من نفس السم ترياقاً . وكيف استطاع أن يصل بمهارة الى استخلاص هذا الدواء الغريب، انه عمد الى تذكيرنا بأن الموت أمرٌ محتوم ، وان لكل انسان أجلاً محدداً ، وإذا كانت هذه النهاية قضاء نافذاً في الخلائق فالخوف منها لا يجدي فتيلاً . ومحاولة الفرار مع كونها جبناً وانحطاطاً في الوجدان فهي مخالفة لحكم العقل وصواب التفكير أيضاً . فالعاقل لا يفكر في النجاة من القضاء المبرم، كما لا يفكر في أن ينفذ من أقطار السموات والأرض، وهو في هذه الحالة الى الجنون أقرب وبالمجانين أشبه . ولهذا عرض لنا عدة صور تمثل فناء هذا الكون، وهي صور من حوادث الطبيعة تحمل الينا فناً بديعاً في منظرها الرهيب المخيف، وتذكرنا عند مطالعتها بعوالم السماوات والأرض جميعاً في طريقها الى الانتقال أو الزوال وكما انها تعالج فينا خوف الموت ، فهي كذلك تنبهنا من غفلتنا ، وترفع عن أعيننا أغشية الغرور والركون الى زهرة الدنيا وفتنتها .

تحت نور الأفلاك عيش جميل وأرى النور ينطفي ويحول
وعلى كاهل المساء ترى للشمس نعشاً بكى عليه الأصيل
في سنا البدر للكواكب أكفان توارى بها الشعاع النحيل
بينما هذه الجبال حصون واذا صخرها كثيب مهيل
وتقيم الأمواج في البحر أبرا جاً ومن أوجها الرفيع تزول
ورياح الخريف تكمن للزهر وفي ثغره ابتسام بليل
ثم تأتيه ساعة يذهب الزهر هشيماً وقد طواه الذبول
ليس زاد المسافرين سوى الخوف من الموت والحياة رحيل

***

ربَّ لحن فاق البلابل سحراً في ضمير الأوتار مات حنينا
شرر النار قبل أن يبلغ المهد توارى تحت الرماد دفينا

***

قطرات الندى على الورد تجري لؤلؤاً سائلاً على مرجان
لم تكد تسعد النواظر حتى بدَّد الريح شملها في ثوان

***

إن كأس الردى تطوف على الدنـــيا ويسقي أبناءها أجمعينا
وبلا موعد ودون انتظار يبغت الأولين والآخرينا

وقدحاول اقبال أن يبدد من النفوس استسلامها الى الدنيا واخلادها الى نعيمها الزائل، ودعانا الى الحذر منها، والاحتياط فيها، فقدم هذا التشبيه الرائع في هذه الأبيات :

مَثـل الحيـاة كطائر مترنم غنّى فأرقص حوله الأزهارا
ما كان أعذب لحنـه لـكنه كالحلم حلـق في الفضاء وطارا

* * *

لا يعلم الانسان كيف أتى الى دنيا المتاعب أو متى يترحّـل
ما نحن في الأكوان غير حديقة أزهارها عما قليـل تذبل
يا أيها الحرص ابك في الدنيا وما دنياك كان بها لحيّ منزل

* * *

إن الحياة شرارة لم تبتسم إلاّ لتجعلنا لهـا أحطابا
في عرس دنيانا مأتم للردى تطوي شـيوخاً في البـلى وشبابا

* * *

والمرء لم يبرح أسيراً حائراً ما بين سر الأمس أو لغز الغد
ان الحيـاة على الأنام بخيـلة بدوامها والعيش غير مخلد
الموت فيهـا هينٌ كنسيمها والعيش أصعب من منال الفرقد

الله تعالى هو المنفرد بالبقاء،وجميع العالم لا بدّ أن يفنى . وتفسير حلم الموت جرى في حياة الملوك والصعاليك والعظماء والسوقة .

أما خلود الانسان فهو من تقدير الله في الأزل، إلاّ أن هذا الهيكل الترابي الناقص لا بدّ أن يمر عليـه الموت، ولا بدّ أن يمرّ الإنسان من هـذا العالم المملوء بالحوادث التي لم تترك صحراء ولا مدينة، ولم ينج منها برٌ ولا بحرُ . وفي ذلك يقول : —

الرعـــد والبروق والزلازل والقحط والآلام والنوازل
بنـات دنيـانا التي لا تلد إلاّ خطوباً جمرها متقـــد
في الـكوخ والقصر وفي الصحراء والمدن المنيمـة الشماء
وفي رياض البلبـل الرنان وفي تلال البـوم والغربان

يقتحم الموت بجيش القـدر حصون نخور(؟) وبطش القيصر
اذا رأيت الموج في البحر سكن فالموت كامن لاغراق السفن
لا نغم العود ولا شكوى الحزين ولا ابتسام البشر أو دمع الأنين
ولا امتشاق السيف بين الدارعين ولا صدى التكبير بين الهاتفين
يعيد نبض القلب في الصدر الخراب أو يرجع النفس إذا حان الذهاب

وتعدّ هذه الصور الشعرية التالية فخراً لكل لغة، ونغماً شجيّاً لكل لسان، فهو يوضح لنا ان الآلام لا بدّ منها لتمحيص الانسانية، وعلى نيرانها تنضج الأرواح القوية، ولا يمكن الوصول الى الأفراح إلاّ بعد الأحزان، ولا تنقش الحكمة على القلب إلاّ بحروف من دمه، والبلبل الذي لم يعرف قسوة الخريف لا يحسن استقبال الربيع ، والآلام هي الطريق الى النور والدرجات العالية في معراج العظمة . والذي لم يعرف أنين المساء ، والعاشق الذي حرم في هواه من حسرة جواه، وقاطف الزهر الذي حافظ على يده سليمة من الشوك، والذي قضى طول عمره في الرفاهية والترف لم يكدح في تحصيل علم، ولم يكد في اقتناء فن واحياء عبقرية، أولئك جميعاً محرومون الى الأبد من الاحاطة بكنوز أسرار الحياة، واستخلاص الذهب من مناجمه العميقة . يقدم لك هذه الأمثال الجميلة في هذه القصيدة : —

ان كانت الحيـاة خمراً صافياً يغمرنا من رأسنا الى القدم
ففي الدموع للحيـاة جـدولٌ تصفو به النفس وتنبت الهمم
ان حبـاب خمرة الآمال لا يرقص إلاّ فوق أمواج الألم
والله في حكمته علمنـــا ان انشراح الصـدر قبله ألم
عواصف الخريف في ليل السهاد علمت البلبل ترجيـع النغم
دم الأماني فيـه للشعر مـداد وفي خطوب الدهر أسفار الحكم
نشـيد هـذا الكون يبدو ناقصاً حتى يتم الدمع ألحان النشيد
ما أيقظ الشباب من سكر الهوى إلاّ الأسى ينبه العقل الشريد
يا رب شاك صاغ في آلامه جواهر الألحان من بحر الأنين
قد كان مثل العود في أحلامه فأيقظته ضربات العـازفين
آلامنا الى العلا أجنحة نعلو بها فوق مطارات النسور

الروح سرٌ والحياة ظلمة وشعلة الآلام للأرواح نور
في خفقان القلب لحنٌ صامتٌ لم تحكه على غصونها الطيور

* * *

ان الذي لم يدر أنات المساء ولم تسامر عينه نجم السماء
ولم يحطم جام قلبه الأسى ولم ينر ظلام ليله البكاء
والسادر اللاعب طول عمره لم يستمع الأ الى عذب الغناء
والعاشق المحروم في غرامه من لوعة الذكرى وحسرة الجفاء
ومجتني الزهر الذي لم تختضب يداه في الشوك بحمرة الدماء
جميع هؤلاء مهما سعدوا من نعم الدنيا بأمن ورخاء
فان أسرار الحياة تختفي عنهم وهم عنها دواماً في اختفاء

وانه ليملكك العجب اذا رأيت الشعراء جميعاً في ناحية،واقبال وحده في ناحية أخرى، فهم يتغنون بالوصال ، ويذمون الفراق، ويتبرّمون بالأسفار ويحمدون الأقامة الهانئة ، بينما هو يحب الرحلة والتجوال ، ويطرب لدمدمة الرعود ، وأزيز المراجل ، وصخبة الأمواج. فيقول :

الوصل في الحب غال وقيمة الهجر أغلى
الوصل حلوٌ ولكن عواقب الهجر أحلى

* * *

في القرب موت الأماني والعيش فيه فناء
والبعد فيه حياة يذكي ضياها الرجاء

* * *

ان انقياد الأماني وحسن شدو الطيور
وضجة الخلق سمياً في العالم المعمور

* * *

والسحب حين تراها تسقي الربى واليباب
والموج في البحر يعلو حتى يفوق الهضاب

* * *

وكل ما في البرايا من روعةٍ وجلال
لولا يد الهجر فيه لم يزدهر بجمال

يحدثنا اقبال عن الظواهر الكونية بلغة ساحرة ، ويبين لنا مراراً أن الربيع لا تتفتح أزهاره، ولا تنضر أغصانه ، ولا يبدو كل ذلك جميلاً في الحدائق ، الا عند ما تتساقط كل الأوراق بعواصف الخريف ، وتبدو الطبيعة جافة صامتة نائمة حتى يوقظها ذلك الربيع بتغريد أطياره كما مرّ في العصور السابقة. فيقول لنا: إن ظواهر الحياة تعطينا درساً بليغاً . فليس الموت إلا غروباً لشمس الروح، ثم تسطع بعد ذلك في صبح الخلود الذي لا فناء بعده:

يزعم الجاهلون أن المنايا مغربٌ فيه للحياة انقضاء
أفلم ينظروا الى الشمس يبدو نورها بعد ما طواها المساء
تغرب النفس ثم يشرق صبح فيه للنفس بالخلود انقضاء

عند ما أريد بناء مستشفى في الحجاز أراد اقبال أن يقدم إلينا من سحره بلسماً يهوّن صدمة الموت، ويوضح أن المرء بعد اجتياز تلك المرحلة يحيا حياة هانئة لا يحياها الخضر في عمره الطويل . ثم يهوّن احتمال الصدمة الأخيرة للحياة بعبارات سما فيها خياله وتصوره. فأنت ترى أن الشاعر ينظم القصيدة فإذا لم يجدها ملائمة لطبيعة روحه حذف منها أشياء وأثبت غيرها جديدة، وأعمل فيها التغيير والتبديل . كذلك الرسام والمهندس والكاتب وكل الفنانين الذين نشاهد مبتكراتهم أمام أعيننا، والقدرة تبدع في فن الإنسان وترقى به تحسيناً وتجميلاً . وليس الموت إلا حالة يراد بها إصلاح النفس واعلاءها، وتتجلى لك هذه الحقيقة واضحة في هذه الأبيات : —

يا أساة الحجاز هلاّ علمتم ان برء الحياة أرض الحجاز
ان سرّ الحياة يكمن في الموت فيحكي حقيقة في مجاز

* * *

فرح المؤمنين في سكرة الموت بقرب المهيمن المتعالي
هو أسمى من عيشة الخضر في الدنيا طوال الدهور والأجيال

* * *

لِمَ جئتم للمؤمنين ببرء ان إيمانهم يداوي الجريحا
والذي ذاق من يد الوحي كأساً ليس يحتاج للدواء مسيحا

* * *

كل كون أبلته أيدي الليالي أحرقوه ليصنعوه جديدا
يهدم البيت بعد حين ليبنى منزلاً عالياً وقصراً مشيدا

[يتبع]

حقوق المرأة

غير مساواتها للرجل

المرأة خُلقت امرأةً والرجل خلق رجلاً . فليس هنا وجه للمفاضلة ولا وجه للمقابلة أو للمساواة ولا القول أن المرأة كالرجل أو أن الرجل كالمرأة . وإنما للمرأة حقوق تمتاز بها على الرجل أو تختلف عنه ولكنها حقوق لم تحصل عليها . ولو أُعطيت المرأة كل حقوقها لفاز الرجل بالقسم الأعظم من الراحة ، والهناء ، والسعادة، مما لم يفز به إلاَّ قليلاً . ذلك لأن المرأة التي تعرف حقوقها هي المرأة التي تعرف واجباتها جيداً . والمرأة التي تحصل على جميع حقوقها تعرف أن تقوم بجميع واجباتها . ولكن من هو الذي يعطي المرأة حقوقها وأين هو ؟ هل سمعت أن حقاً أُعطي لصاحبه عفواً من غير أن يجهد صاحبه في الحصول عليه، وقد قيل القول الحق : « الحق يؤخذ ولا يعطى » . فلا تعجب أن ترى ثورة من السيدات لأجل حقوقهنَّ . ومن يأخذ الحق إلاَّ القوي سواء كان صاحبه أو مغتصبه ...

مرَّ وقتٌ طويل والرجل والمرأة يشقيان بسبب الجهل العميق الذي أذن للقوَّة العضلية ، والحرية الجسدية أن يفوّقا الرجل على المرأة . ونفس هذا التفوق خوّل الرجل أن يتعلم العلم ناقصاً فجعله يفهم حقه ولا يفهم حقها ، ويفهم واجبها ولا يفهم واجبه . فاختلّ الميزان بينهما ورجح هو عليها . وقام في يقينه أن الرجل أفضل من المرأة ، وأن المرأة ليست إلاَّ متعة للرجل. ولذلك شاعت في العالم فكرة أن المرأة التي ولدت موسى، وعيسى ، ومحمد ، وجميع الأنبياء ، والرُّسل ، والعظماء ، والمعلمين ، إنما هي أحط من الرجل ، وإن كانت قد ولدت هؤلاء العظماء ، وما أوجد هؤلاء العظماء إلاَّ الظروف لا الأمهات : هذا ما هو في يقين الجمهور . ولكن لم يخطر في بال العوام حتى ولا الخواص ، إنه لو كانت الأمهات مثقفات ثقافات تامة لكثر المصلحون . وكان الصالحون الجانب الأعظم من الناس، وكان الناس أكثر إذعاناً للمصلحين .

وأما الآن فلا يذعن لهم إلاَّ القلة . لأن معظم الأمهات جاهلات، فيأتي معظم البنين جاهلين والآن وقد وصلنا الى الوقت الذي صحا فيه الوجدان القومي ، أو الوعي القومي كما يقولون فقد بدأت المرأة تتعلم ثم بدأت تعرف واجباتها كما تعرف حقوقها . فما الذي يمنع أن تتمتع بحقوقها كما صارت تقوم بواجباتها .

لا أنكر أن جانباً كبيراً منهن لم يزلن جاهلات ولذلك يجهلن واجباتهن ، كما يجهلن حقوقهن . ولكن هذا لا يسوغ للرجل أن يهضم المرأة حقوقها . ولا سيما لأنه لم ينل القسط الحالي من الثقافة الذي يخوله حق الإستقلال والاستئناس بمعونة المرأة وأن يكون له كل الحق بالتمتع بكل حقوقه وباحتقار حقوقها . واذا كان الوجدان النسوي لا يزال متأخراً في فهم حقوقه الطبيعية وواجباته فلأنه لم يتثقف الثقافة اللازمة . ولذلك لا يجوز أن تبقى النساء جاهلات لكيلا تبقى المرأة محرومة هذا الحق. ولكيلا يحصل تقصير في تثقيف الناشئة الجديدة . يجب أن تعطى السيدات كل حقوقهن الثقافية لكي ينشئن النشء الحديث المتأهب لتولي شؤون الجيل الجديد . فتكون الأمة في وضع من الحرية والسعادة أفضل . فإن كانت تنشئة الجيل الجديد تلقى على الرجال فقط تبقى ناقصة . فتربية الجيل واجب على المرأة أولاً . وواجب الرجل معلوم ، هو غير ما يجب على المرأة . وقد عرف الأميركان والانكليز هذه الحقيقة فجعلوا التعليم الأولي في أيدي المعلمات لا المعلمين .

والآن وقد فهم عقلاء الرجال عندنا أن المرأة ليست دون الرجال في الأهمية وان لها حقوقاً لا تقل قيمة عن حقوق الرجل، قاموا ينصرونها في المطالبة بحقها السياسي أيضاً . ولا ينكر عليها هذا الحق إلاّ المتقهقرون الرجعيون الجهلة الضعفاء، فهم يجهلون أن مساواة المرأة بالرجل في الحق السياسي تزيد رفاهية الرجل وسعادته اذا كانوا يستبصرون . وما من شخص رجلاً كان أو امرأة اذا كان مثقفاً ثقافة عالية ألاّ يعرف أن الحق والواجب صنوان متلازمان متعاونان، فمن يعرف الواجب يعرف الحق . ومن يعرف كيف يأخذ يعرف كيف يعطي . إذن لماذا تخاف أيها الرجل من امتلاك المرأة حق مساواتها السياسية بك ؟ ان الرجل المثقف القوي لا يخاف هذا الحق ، ولا يخافه إلاّ الضعيف .

الغريب العجيب الذي لا نستطيع فهمه وتعليله ان سيدة مثقفة ثقافة عالية يحرمها الدستور ان تعطي صوتها في الانتخاب ويمنح خادمها الجاهل الأمي أن يعطى صوته . ان هذا من سخرية الأنظمة الاجتماعية التي اذا لم يضحك علينا فيها الامم الراقية فسيضحك علينا بها أطفالنا متى صاروا رجالاً .

نعم ان عمل المرأة في بيتها، والرجل ينحصر عمله في معمله أو تجارته أو أي مرفق يرتزق منه . ولكن اذا كان عمل الرجل لا يمنعه أن ينتخب وان يحضر البرلمان فعمل المرأة لا يمنعها أن تنتخب وان تحضر البرلمان أيضاً. وهو أكثر انشغالاً منها .

أليس أفضل للرجل أن يرى زوجته تساعده في تفكيره ورأيه وتدبيره من أن تطالبه بالفستان والحلي والزيارات التي لا طائل تحتها إلاّ القمار والمزاح والهزار .

ولطالما كتبت عن المرأة وحقوقها في مجلتي مجلة السيدات والرجال أيضاً ، وكنا في ذلك الحين نشكو من تقصير الحكومة في تعليم البنات وتثقيفهن . وأما الآن فقد وفر تعليم المرأة وتخرَّج كثير من الفتيات وأصبح عندنا عدد عظيم من المثقفات ، فآن لنا أن نلتفت الى حق المرأة في التصويت للنواب والشيوخ . وقد يقال ان الجاهلات كثيرات جداً والمثقفات بالنسبة لهن معدودات . وهذا يقال عن الرجال أيضاً فان الجاهلين منهم أكثر من أن يعدوا. فاذا كان الجهل مانعاً من التصوت فان ٩٠ بالمئة من الرجال لا يحق لهم التصويت. رحم الله القائد الزعيم حسني الزعيم الذي كانت له فضيلة منح المرأة المثقفة في سوريا حق التصويت أسوة بنساء العالم الحائزات هذا الحق . ويقال ان في سوريا نحو ٢٠٠٠٠ سيدة يلقنَ للتصويت . وأظن أن في القطر المصري أضعاف أضعاف هذا العدد . فمن الغبن أن يحرمنَ هذا الحق . فنرجو أن ترهف أقلام الكتاب للكتابة بهذا الموضوع وأن ترهف ألسنة الشيوخ والنواب لمناقشة هذا الموضوع ، لأنه كما قلنا لا يخاف من مطالبة السيدات بهذا الحق الا الضعفاء . فاذا كان عند ذوي الشأن جرأة فلا يخافون من هذا الحق للنساء .

لما كان كسرى ينفذ حكم الاعدام بحكيمه ووزيره بزرجمهر رأى بين الجمهور فتاة سافرة . فاستغرب، لأن عهده أن النساء يكنَّ بين الرجال مقنعات ، فأوعز الى أحد رجاله أن يذهب الى هذه الفتاة ويسألها : لماذا تظهر بين الرجال سافرة ؟ . فلما سألها هذا السؤال أجابت : قل لسيدك : لو كان في القوم رجال لما سفرت . . . فهل انقلبت الآية وصار الرجال ضعفاء لا يسلمون بحق السيدات خوفاً منهن . ان القوي لا يخاف ، لماذا يأبى علينا الرجال حقوقنا . فاذا كانوا يعتقدون اننا قوينا فيجب أن يسروا وان يستعينوا بنا لا أن يظلوا يحسبوننا عبئاً عليهم . وإذا كانوا يعتقدون بصحة القول : الجنة تحت أقدام الأمهات، فيجب أن يعلموا أيضاً ان الجحيم تحت أقدامهن أيضاً إذا كنَّ جاهلات . فعلى رجال الدولة وأهل القول في الأمة أن يجعلوا الجنة تحت أقدام الأمهات ، وأن يولوا المرأة وظيفة تربية الناشئة أولاً . وهذا يستوجب أن يكون لها حصة وافية في تدبير شؤون الدولة

ان الأمهات أيها السادة مربيات العظماء . فاعلموا هذه الحقيقة ، ترى كم عظيم عندنا يقول ما قاله جورج وشنطون محرر أميركا حين كانوا يكرمونه : «وجهوا تكريمكم لأمي . فهي التي صنعتني». فاذا جعلتم المرأة في هذه المنزلة تكونون قد أعطيتموها المساواة فعلا

روز أنطون حداد

جاليليو جاليلي

العلم يُعتقل

في أول أكتوبر سنة ١٦٣٢ استدعى ديوان التفتيش جاليليو جاليلي من مدينة بيزا الى الفاتيكان في رومه. وقبل أن يصل الى القصر البابوي حُجِز ولكنه عومل بلطف. وبعد بضعة أيام دعي الى ديوان التفتيش أمام محكمة مؤلفة من سبعة كرادلة. وكانوا يستجوبونه بتدقيق كلي.

سأله رئيس المحكمة: أما وعدت قداسة سيدنا البابا أن تُقلع بتاتاً عن الدعاية لفلسفتك الباطلة وتلتزم مباحثك العلمية.

فأجاب جاليليو — بلى: وعدت قداسته ألاّ أتعرض للاهوت ولا لتفسير الكتاب المقدس. ولكني لم أعد قداسته اني لا أبث في الشعب معلوماتي العامة.

— وإذا كانت المعلومات التي تبثها في الشعب تناقض اللاهوت ونصوص الكتاب المقدس أفلا تكون قد نكثت بعهدك لقداسته ؟

— مثل ماذا ؟ ألم تقل ان الشمس ثابتة، والأرض تدور من حولها ؟ أليس كتابك الذي نشرته في العالم المسيحي تصريحاً واضحاً بهذا المعنى ؟ وقد انتشر الكفر بين المسيحيين بناء على كتابك.

— أقوالي في كتابي مبنية على أدلة وبراهين عقلية، واختبارات حسية، وهي معروضة لكل من يستطيع أن يفندها.

— نحن نفندها بكلمة واحدة. ألم يرد في التوراة أن يشوع بن نون أوقف الشمس نصف ساعة الى ان تنتهي المعركة على نور ؟ ولم يقل انه أوقف الأرض عن الدوران حول الشمس.

— هذا قول التوراة. ولكن التوراة كتبت في زمن لم يكن فيه علم. لو كان علم اليوم موجوداً في زمن يشوع لقال كاتب السفر «عطل الله بشفاعة يشوع دوران الأرض حول الشمس نصف ساعة الى أن انتهت المعركة». فالذي كتب السفر كتبه حسب عقلية أهل ذلك الزمان، فلو قال لهم انه أوقف الأرض ما صدقوه، ولقالوا انه مخرّف. ألا يرى بعينيه أن الشمس سائرة في قبة الفلك والأرض ثابتة في مركزها ؟ أم هو أعمى ؟ فلكي يتفادى

هذا الاعتراض قال انه أوقف الشمس، حتى يصدقوه .

– ونحن نقول لك : هل أنت أعمى لا ترى الشمس سائرة والأرض ثابتة ؟

– كلا لست أعمى . ولكن ألا تفهمون أنتم ما تقرأون ؟ لماذا لا تقرأون براهيني في كتابي الذي وفّقت به بين قول الكتاب وقولي وتتفهّمونها جيداً ؟ فقد فسرت نظريتي تفسيراً علميّا لا غبار عليه .

أتريد أن نصدق وحي علمك: ونكذب وحي الله في كتابه المقدس ؟

– معاذ الله : اني استغرب أن اليهود الذين هم أصحاب التوراة لم يعترضوا عليّ ولا دافعوا عن توراتهم . وأنتم ....

فقاطعه المستجوب غاضباً : اتنتظر أن يدافع اليهود عن التوراة وفيها نبوءات الأنبياء عن يسوع الناصري المسيح . فاذا تمسكوا بها فلا يستطيعون أن ينكروا مجيء المسيح . أما نحن فلسنا ندافع عن التوراة لأنها لا تحتاج الى من يدافع عنها وهي وحيٌ من الله . والله صادق فيها ، أوحى وأعلن . والله يرينا الشمس متنقلة في السماء بين الأبراج فضلاً عن إنها دائرة حول الأرض .

– هكذا تتراءى لكم لأنكم على الأرض . فلو كنتم في المريخ مثلاً لرأيتم الأرض تنتقل بين أبراجها حول الشمس ولا ترونها ثابتة كما تقولون . والمسألة تتوقف على مكان الرصد لا على جرم المرصود فقط .

هذا ما تزعمه أنت بحسب علمك الخاطىء وسفسطتك الفاسدة . وأما نحن فدستورنا هو هذا الكتاب المقدس الذي أوحى به الله . وديواننا يقضي عليك أن تكتب منشوراً تنكر فيه عقيدتك وتجحد جميع أقوالك وتتعهد انك تلزم الصواب في كل ما تقول :

– اني ملتزم الصواب . والصواب هو ما أقول وأكتب لأنه مبني على مشاهدات محسوسة وبراهين معقولة .

– يعني أنك تستمر على غيك، وتصر على كفرك، فإذاً أعلم أن التعذيب حتى الموت هو عقابك . فاختر لنفسك ما يحلو .

– فبماذا تخيرونني ؟

– تجحد جميع مزاعمك الباطلة .

ففكر وقال : لا أستطيع أن أجحد نفسي وأنا أعلم إني على صواب . والله نفسه تعالى الذي خلق هذه الخليقة على هذا الشكل وجعل الشمس ثابتة والأرض تدور من حولها يؤيد كتابي .

— تبًّا لك من وقح مكابر أتظن أن الله يؤيد قولك ويجحد كتابه المقدس .

— ليس الكتاب المقدس كتاب الله ، بل هو كتاب اليهود ، وهم دوّنوا فيه ما شاءت لهم أهواؤهم . هل نصدق قول التوراة ان الله خصهم بأرض كنعان التي سموها أرض الميعاد . ونحن نعلم أن الله للجميع ولم يخص قطراً بأمة من الأمم . وإلاّ فليخرج غير اليهود منها لأنها ليست لهم وليعد اليها اليهود الذين لم يقيموا فيها سوى بضع مئين من السنين ، وقد هجروها أخيراً إلاّ نفر قليل منهم .

— إذاً لا تعتقد أن التوراة كتاب الله .

— لا

— أوَلا تعتقد أنها وحيٌ منه تعالى ؟

— أعتقد . وأنا أعتقد أن اليهود دسّوا فيها أموراً كثيرة لمصلحتهم . ومنها حكاية يشوع عن إيقاف الشمس .

— ليس لنا أن نجادلك في موضوع حكاية يشوع . ونحن نرى أنك مصرٌّ على عقيدتك إن الأرض تدور لا الشمس

— نعم .

— إذاً . الحكم يصدر من ديواننا بالتعذيب لك، ولسوف نقدمه لقداسة البابا لكي يصادق عليه . وسينفذ إذا لم ترجع بقولك إن الشمس ثابتة وإن الأرض تدور من حولها ثم أخرجوه مخفوراً وهو يخبط الأرض برجله قائلاً ، بلى تدور . وتدور . وتدور .
حمي غضب الكرادلة وأسرعوا بعرض مضبطة الجلسة على قداسة البابا توًّا .

وبقي جاليليو تحت الحراسة برهةً وكان أصدقاؤه ، ومنهم الدوق توسكانا الذي كان صديقه الحميم، يتشفعون به . ولكن ديوان التفتيش لم يقبل شفاعة أحد حتى ولا شفاعة البابا أوربان الذي كان يود جاليليو . بل أوغروا صدر هذا البابا عليه . وكان قد ارتقى الى عرش البابوية منذ ذلك الحين فتركه البابا بين أيديهم كما فعل بيلاطوس حين ترك المسيح بين أيدي اليهود.

وكان حكم الديوان عليه أن ألبسه المسوح وأركعه أمام حشد من الناس وأمره أن يصرح أمامهم ما لقنه إياه وهو :

« أنا جاليليو جاليلي أسجد لدى نيافتكم وأعاهدكم على الكتاب المقدس أني أرفض هرطقة دوران الأرض وألعنها » ثم سجنوه عند أحدهم وأمروه أن يتلو ٧ مزامير التوبة مرة كل أسبوع مدة ٣ سنوات . وحرّموا عليه أن يكتب شيئاً .

وقد رأف به كرادلة الفاتيكان خلافاً لشيوخ أثينا الذين لم يرأفوا ببقراط زميله .

هكذا كان جزاء نوابغ الفلسفة والعلم في القديم الى عهد غير بعيد . كلما تقدم العلم كشع من أمامه ظلماء الجهل والتعصب الأعمى .

* * *

وُلد جاليليو جاليلي في بيزا في ١٥ فبراير سنة ١٥٦٤، ومنذ حداثته كان مولعاً بعمل الألعاب . وكان أبوه يرغب في أن يعلمه فن الطب . فبعث به الى مدرسة بيزا فكان مبرزاً على أقرانه على الرغم من أنه لم يحب طب ذلك الزمان ، ولا فلسفة ارسطو ولا شيئاً من العلوم التي لا اختبار عملي فيها . ولكنه مال الى علم الرياضيات على الرغم من إرادة أبيه فنجح فيه وفي الفلك .

وكان من ثمار نبوغه انه اكتشف من جراء ترجُّح القنديل في الكنيسة الرقاص الذي يقاس به الوقت ، واخترع الساعة الفلكية التي أزاحت المزولة وحلت محلها .

ودرس هندسة اقليدس .وعلم ارخميدس في المائيات والميكانيكيات وسائر الطبيعيات. واكتشف الثقل النوعي . واخترع الترمومتر الزئبقي . وفي تلك الأيام ظهر نجم جديد في السماء ، فبرهن أنه خارج عن فلك النظام الشمسي . ثم ما لبث أن اخترع التلسكوب الذي كان يقرّب المرئيات نحو ٣٠ مرة ، فاكتشف به جبال القمر ووهاده ، ورأى نطاق المجرة مجموعة نجوم متزاحمة ، وكشف به أربعة أقمار المشتري تدور حوله . وكان أول من كشف حلقات زحل . وهو أول من قال ان القمر لا يرينا إلا وجهاً واحداً فيه . وهو الذي ينعكس عنه كله نور الشمس في ١٤ من الشهر القمري ، وإنه يكون في حين المحاق قريباً للشمس وفي بدره مقابلاً لها ، ونحن بينهما . وطار صيته بعلمه وفلسفته في كل أوربا ولذلك هاج عليه رجال الدين والمؤمنون لأنهم رأوا أن علمه ينقض بعض نصوص الكتاب المقدس وكان ذلك سبباً لمحاكمته . وعلى الرغم من أنه كتب كتاباً يبرهن فيه أن أقواله لا تناقض الكتاب أبوا إلاّ أن يستدعوه الى ديوان التفتيش ، حيث حوكم وحكم عليه كما تقدم الكلام . وقاسى من المحاكمة والحكم حتى أصيب بخفقان في قلبه ، فمات في ٩ يناير سنة ١٦٤٢ ودفن في فلورنسا يأسف عليه أنصاره ويسخط عليه الكافرون بالعلم والحقيقة .

والآن ماذا يقول أهل ديوان التفتيش بعد إن ثبت ما دانوه فيه . ذكره بقي ، واسمه مخلد، وديوان التفتيش انصرم وزال . وهكذا الزمان ، دول تدول ودول تقوم . فسبحان من لا يزول .

باب الزراعة والاقتصاد

انتفاع الزراعة بالذرة

احدث المخترعات الزراعية للانتفاع بالذرات المرشدة ، أي الثامة على مفرها ، إلتحسين حاصلات البساتين وتضخيم أحجامها وخفض أسعارها

(الذرات عامة)

اعتاد علماء الطبيعة ، حسبان العناصر الطبيعية ٩٢ عنصراً . أوضحوها في قائمة يسمونها « جدول العناصر العصرية » وفي رأسها يضعون أخف العناصر وزناً أي الهيـدروجين . ويضعون في أسفلها أثقل العناصر أي اليورانيوم . فالعناصر إذاً تـرتـب في تلك القائمة بحسب أثقالها .

فاليورانيوم الذي هو العنصر الثاني والتسعون في التنسيق ، أثقل من الهيدروجين ٢٣٨ مرة .

وهذا ما يجعل العلماء يسمونه يورانيوم عيار ٢٣٨ .

ومنذ عدة أعوام تكشف للعلماء أن هاتيك العناصر مختلفـة الأنواع . وليس كل منها ذا نوع واحد . فالهيدروجين مثلاً ثلاثة أنواع على الأقل ، والكلور نوعان ، والـكربون نوع واحد . ولا يستطيع الـكيماوي تمييز أنواع الهيدروجين أو الـكلور أو الـكربون ، الواحد من الآخر ، ولـكن العالم الطبيعي في وسعه معرفة كل نوع على حدته . وذلك بوزن ذراته . ومن ثمة نتجت كلمة إيزوتوب Is tope ومعناها — المكان نفسه ، أي الترتيب الذي يشغله العنصر ذاته في قائمة الترتيب العنصري . وترجمة هـذا اللفظ : — صنو — أو توأم أو نظير .

ولليورانيوم ٣ توائم . وجميعها تشغل المكان الثاني والتسعين في قائمة الترتيب المشار إليها . وأكثرها شيوعاً النوع الذي عياره ٢٣٨ أي الذي يعادل وزن الهيدروجين ٢٣٨ مرة.

بيد أن خام اليورانيوم الذي يحتوي على ذلك الصنف المشهور ٢٣٨، يشمل أيضاً غيره من أنواع اليورانيوم . منهـا النوع المعروف بعيار ٢٣٥ لأنه يساوي ثقل الهيدروجين ٢٣٥ مرة . وهو الذي ينفجر عنـد ما يحتشد وزن منه يتفاوت بين ٢ر٢ رطل و ٢٢٠ رطلاً انكليزياً .

ومن المواد الأخرى التي تعبأ بها القنابل « البلوتونيوم » وهذا لا يوجد في الطبيعة .

وإنما يتولد عند ما تصدم النيوترونات السريعة ، يورانيوم عيار ٢٣٨ . (والآن صاروا يصنعونه صنعاً من الأورانيوم) . (والى الآن لا يصنع عنصر آخر غيره صنعاً) .

وحينما تؤثر تلك النيوترونات في ذرة من ذرات هـذا اليورانيوم ، تمتص الذرة نيوتروناً فيتكون منها حينئذٍ عنصر هو النبتونيوم . (وهذا غير ثابت كالبلوتونيوم) ويتهشم هـذا العنصر من تلقاء ذاته فيتولد منه بلوتونيوم ، هو الذي حُشيت به القنبلة الذرية التي دمرت مدينتا هيروشيما ونجازاكي اليابانية .

وفي أواخر سـنة ١٩٤٦ جاءت الأنباء من مدينة بركلي في كليفورنيا بأن الأستاذ جلين ت . سيبورج قد اكتشف صنواً للبلتونيوم أثقـل من الهيدروجين ٢٣٧ مرة . وهذا ينتج عن طريقـة يسمونها « الانشطار التسلسلي » أي إفلات النيوترونات من ذرة لكي تندمج في أخرى .

ثم أعلن الأستاذ نفسـه أنه اكتشف ثلاثة أنواع أخرى من النبتونيوم هي عيارات ٢٣٤ و٢٣٥ و٢٣٦ وكذلك صنفاً آخر جديداً هو عيار ٢٤١ : وهذه العناصر الجديدة نافعة لعلاج السرطان . وتسـتعمل مرشدات للتعمق في استكشاف الوظائف الفسيولوجية . فأضيف الى قائمة العناصر ، عنصران هما النبتونيوم والبلوتونيوم أي ٩٣ ، و٩٤ وتلاهما عنصران آخران جديدان هما ٩٥ و٩٦ [1] والعناصر الجديدة المسماة بالمرشدات أي التي تنم على مقرها هي المقصودة بالذات من هذا البحث وسنتكلم فيما يلي على منافعها في ميدان الزراعة المصرية :

(الذرات المنمة لترقية الحاصلات الزراعية)

يعتقد علماء الزراعة في أمريكا أن حقن شجر البساتين بالمواد المخصبة ، بوساطة الحقن على غرار حقن البشر بالفيتامينات ، بالإبر المألوفة ، يفضي الى توفير أطنان لا تحصى من السماد الذي نسمـد به عادةً . وهذا فضلاً عن زيادة محصولاتها وتحسين أنواعها .

ويُعول الباحثون ، في اعتقادهم هـذا ، على الأدلة الثابتة المشجعة التي أسفرت عنها التجارب المدهشة الخاصة باستخدام الذرات المشعة النمّـامة التي تنم على مقرها . وذلك لأول مرة في تاريخ الزراعة الأمريكية ، قصـد دراسة ما يحدث في بواطن الشجر المثمر طبقاً لما يتبعه الأطباء حالياً من التوسـل بمنتجات الطاقة الذرية في مباحثهم الطبية .

وقد قام الدكتور هـ . إ . همّـار أحد علماء وزارة الزراعة الأمريكيـة بتجارب أولية

(١) الكاتب — وقد سميا أولهما أمريكيوم وثانيهما كوريوم ، ثم جاء حديثاً في الانباء البرقية انهم اكتشفوا العنصر السابع والتسعين ولكنهم لم يسموه بعد (عوض) .

في حقن الأشجار عادة « الفصفور المشع » التي حصل عليها من فرن الطاقة الذرية في أوك ريدج بولاية تنيسي ، لجعل هاتيك الأشجار تشع إشعاعاً ذاتياً من كل جزء من أجزائها . وكان الغرض من التجارب المشار إليها ، مقابلة نتائجها التي ظهرت للباحثين ، بعضها ببعض ، في إخصاب شجر البيكان [1] بالطرق العادية ، وغير العادية ، وذلك في ضواحي ألباني باقليم جورجيا .

ويقول العلماء الذين باشروا هذه التجربة إنهم آثروا فيها « الفصفور » على غيره من العناصر المعروفة . لأنه كثير الاستعمال في الأسمدة الفوسفاتية ، ولكون نصف أجله الاشعاعي ،يعادل ١٤٫٣ يوماً . وهي فترة كافية لإتمام التجارب ،وأقصر مما يحدث الضرر الصحي للمجربين ، إذ تزول هذه الخاصيّة المشعة عاجلاً ، فيستغنى بزوالها عن اتخاذ الاحتياطات الصحية الواقية من مضارها . واستعمل الدكتور همّار لهذا الغرض ، مركباً كيميائياً مؤلفاً من سماد مسحوق محتو على فصفور مشع عيار ٣٢ . وعلى هذا النمط تلقت شجرتان من أشجار البيكان « الجوز الأمريكي » كل منهما عشرة أرطال من ذلك المركب الجاف مخلوطاً بالسماد ، إذ وُضع حول جذرها . ثم استعملت محقنة (مما يستعمل للحقن تحت الجلد البشري) لحقن كل من تينك الشجرتين بمحلول من السماد عينه، وذلك في ثقوب ثقبت في جذع الشجرة وفروعها وجذرها . ثم أغلق الدكتور همّار تلك الثقوب بسدادات من الفلين . وجرّب أيضاً رش أوراق الشجرة بالمزيج نفسه . فأتيح له في كل حالة ، بوساطة الأشعة النامة المشبّع بها السماد ، تتبع مجراه في الشجرة ومعرفة مبلغ تقدمه في كل جزء من أجزائها .

وكانت أبرز المنافع التي جناها الدكتور همّار من هذه التجربة ، وثوقه بنجاح التسميد حقناً . إذ يُكتفى حينئذٍ بتسميد الشجرة بسماد مؤلف من $\frac{1}{4}$ من الفصفور ، يوضع حول جذرها . وأكثر من ربع الفصفور الذي تحقن به الشجرة حقناً مباشراً تمتصه في مدة لا تزيد على أسبوع ، فيصل عاجلاً الى كل جزء من أجزائها .

وفي هذا الصدد يقول الدكتور همّار « ومن المعقول أن نعتقد كون هذه الطريقة

---

(١) البيكان . ضرب من النقل (المكسرات) كالبندق واللوز . وقد شاهدناه بين معروضات معرضنا الزراعي الصناعي السادس عشر . وذلك في القسم الخاص بالقناطر الخيرية بسراي الزراعة كما أبصرنا نموذجاً منه في محصولات إنشاص في الجناح الخاص بمزارع الخاصة الملكية . وهو ثمر شجر ضخم يشبه الجوز . وأصله من نباتات الاقاليم الشمالية والجنوبية بالولايات المتحدة الامريكية . وثمره زيتوني الشكل ؛ رقيق القشرة وأوراق شجره ضخمة ريشية الشكل.

ستوفر السماد للزراع فضلاً عن تمكينهم من السيطرة على نمو الشجر والهيمنة على وقايته من الآفات الزراعية ، هيمنة لم يحلم بها أي إنسان كان في زمن من الأزمان ، كما تكفل لهم الحصول على ثمر ونقل أجزل مما اعتادوا وأجود كثيراً مما ألفوا في حياتهم .

(صبغ الالوان لتلوين خشبها)

وبعد كتابة ما تقدم قرأنا النبأ الآتي ، في أحد المراجع العلمية الانكليزية الخاصة بالزراعة ، فآثرنا نقله الى قرائنا فيما يلي إتماماً للفائدة : —

أسفرت التجارب التي جربت في ولاية ماين بأمريكا لصبغ عصارة الشجر ، قصد تلوين خشبه بالألوان النضيرة المرغوب فيها ، عن النجاح . وتباشر هذه العملية إحدى النقابات الكيمياوية بالطريقة الآتي بيانها : —

يثقب جذع الشجرة عدة ثقوب على ارتفاع أربع أقدام من سطح الأرض . وتثقب أيضاً ثلاثة أو أربعة جذور من جذورها الكبيرة ثقوباً أخرى . ثم يؤتى بقنطاس مملوء بالصبغة المرغوبة ، ويعلق على ارتفاع ١٢ قدماً من سطح الأرض وذلك بين أغصان الشجرة ، حيث يكون بمنزلة مغذٍ موازٍ لمركز الجاذبية لتوزيع الصبغة في جذور الشجرة وجذعها . وذلك بأنابيب دقيقة من الصمغ المرن (كاوتشوك) تمتد من القنطاس الى الثقوب جميعها .

وأصلح الأزمان للقيام بهذا العمل ، أوائل فصل الربيع ، إذ يمارس مزج عصارات الشجر ، بالصبغة يومياً حتى تتخلل الصبغة جميع أجزائه . ومع أن نفقات الصبغ فادحة ، إذ تبلغ ثمن الصبغة التي تحتاج اليها شجرة واحدة متوسطة الحجم ، نحو ستة جنيهات عدا ما يقتضيه تركيب القنطاس ، من العناء ، غير أن العلماء سيتوصلون الى اختراع وسائل أقل نفقة مما تقدم ذكره ، ليتاح لهم الحصول على خشب كثير ملوّن بألوان مختلفة لصنع الأثاثات المنزلية المختلفة الأنواع .

اكتشاف اليورانيوم في مصر

[حاشية] — وجاء في الأنباء البرقية من لندن في ١١ مايو سنة ١٩٤٩ ما يأتي : — أعلن مصدر مسئول في وزارة التموين البريطانية أن الخبراء الانكليز وفقوا لاكتشاف مقادير كبيرة من رواسب اليورانيوم في كندا ومصر والسويد وفرنسا والكونغو البلجيكي . ويعد الكونغو أغنى منطقة باليورانيوم في العالم .

عوض جندي

مسائل واجوبتها

ندي الرجل

حضرة محرّر المقتطف

كان في المقتطف لعهد المرحوم الدكتور صرّوف باب خاص بالأسئلة والأجوبة، فلماذا أقفلتموه ؟ أنا مشترك في المقتطف من ذلك العهد الى اليوم والغد . ولا أزال أرى المقتطف ناقصاً هذا الباب. أفلا تستحسنون أن تفتحوه ثانياً عسى أن يحبذه القراء مثلي. فاذا شئتم فأرجو أن تجاوبوني على هذا السؤال:

لماذا للإنسان الرجل ثديان ؟ فهل كان الرجل في عصر الأمومة يُرضع الأطفال. فقد قرأت في ما مضى ان المرأة كانت في بعض القبائل البدائية تقوم بالأشغال الشاقة كالفلاحة والزراعة والصناعة والصيد. وكان الرجل يلازم البيت أو الخيمة لكي يعنى بالأطفال ويربيهم كما تفعل المرأة اليوم . فهل كان الرجل يرضع الأطفال في ذلك الزمن القديم حتى نما في صدره الثديان على مدى احتكاك فم الطفل في صدره — أفيدونا أفادكم الله.

بيروت راغب الجسر

ج — حقّاً كان المقتطف يمتاز في عهد المغفور له الدكتور صرّوف بباب الاسئلة والأجوبة، وكانت للدكتور أجوبة عجيبة في بعض الأحيان . كنا نستغرب كيف خطرت له أو كيف اهتدى إليها . وهي لا شك تقتضي علماً فياضاً واطلاعاً واسعاً . ولذلك لا يطمع محرر المقتطف اليوم أن يسد مسدّ محرره الأول في هذا الباب . ولكنه لا يخيّب أمل حضرة هذا السائل في أن يعاد فتح الباب ثانياً . فننشر كل سؤال وجيه يرد الينا ونجاوب عليه ما أمكننا الجواب . وما لا نستطيع الاجابة عليه ندعه لعلم القراء ، فلعلّ فيهم من هو أوسع علماً أو من هو أكثر خبرة في الموضوع فيقضي لبانة السائل فننشر جوابه بامتنان . بل ننشر كل جواب يرد الينا حتى ولو نشرنا نحن جوابنا . ولذلك يكون المقتطف دار ندوة يتباحث فيه مع قرائه في المباحث التي تهم القراء عموماً .

أما سؤالكم عن ثدي الرجل فيخطر لكثيرين ويحير كثيرين، ولم نصادف تفسيراً له . فلعلّ قارئاً قد قرأ تفسيراً فيفيدنا .

لم يوجد الثدي في صدر الرجل عبثاً . فلا بدّ أنه كان في شبه الانسان الذي تسلسل منه الانسان قديماً . وكان الرجل يشارك الأنثى في الارضاع . ولا أعرف أن بين أشباه الانسان اليوم كالشمبانزي والجورلاّ أو الاوران أوتان ذكورها ذوات أثداء . وكنا نسمع أحياناً ان بعض الرجال كانت أثداؤهم تدر لبناً فلا نصدق لأننا لم نرَ . ولكن لماذا لا نصدق ووظيفة الثدي الادرار ؟ . ويقال والقول أكيد ان الخفاش (الوطواط) الذكر يشترك مع الأنثى في ارضاع الصغار . وربما كانت فصائل أخرى

من نوعه ترضع أيضاً . ويظن أن أسلاف الحيوانات اللبونة كانت ذكورها ترضع . وفي المملكة الحيوانية كثير من الأنواع عجيبة في حياتها شذت فيها عن المألوف، فهناك فصيلة يقال لها Monatremat تبيض وترضع، ولله في خلقه شؤون .

—:—

كيف ينتهي العالم

نحن الآدميون الآن في موقف خطير ، لسنا مطمئنين لمستقبلنا حتى ولا لحاضرنا . ففيما نحن مهددون بالقنبلة الذرية فإذا بنا مهددون بالقنبلة الهيدروجينية . والمشاكل السياسية كالنهر الجاري لا نضوب له . قلاقل تحرمنا النوم . وعلى الرغم من أن الدنيا بألف خير ، والأرض تدر الرزق بسهولة بسبب أن الآلات الميكانيكية سهلت الإنتاج ووفرته، نرى أننا نخاف الجوع . وبالاختصار البشر الآن في مخاوف لا يدرون كيف يتداركونها . فما رأيكم في مستقبل العالم القريب ؟ هل يعقل هؤلاء الناس ويثوبون الى رشدهم ويعيشون بسلام . أم أن يوم البعث قرب ، والناس مقبلون على يوم الدينونة ، والجنس البشري سائر الى الفناء ؟ وكيف يكون هذا الفناء .

طنطا يوسف المعراوي

ج — سل تشرتشل، واتلي، وستالين ، وترومان وسائر أساطين السياسة فهل يستطيعون جواباً؟ ولا برغسون، ولا اينشطين ولا ارثر كيث ، ولا جوليان هكسلي، ولا موباسان، ولا برنارد شو ، ولا مئات من أمثال هؤلاء الأقطاب يمكنهم أن يتنبأوا عما تشرق عليه الشمس غداً . العالم كله يتغير من يوم الى يوم، بل من ساعة الى ساعة — يتغير بسرعة هندسية، والحوادث تتسابق وتتزاحم ويدافع بعضها بعضاً ، فأقربها الى الساعة تدفع من جنبها أبطأها الى الوراء قرناً — من يدري ماذا بعد القنبلة الهيدروجينية. وماذا بعد الطائرة السابقة للصوت . وماذا بعد الرادار الذي يُري الهدف ، ويحرك المستهدف إليه، وماذا بعد البترول الناضب — كل يوم يظهر لنا عامل من عوامل الخير والشر جديد فإذا الذي كان مباشراً أصبح قديماً — ٩٩ بالمئة من المخترعات ظهرت في زماننا ، ولا يزال « الحبل على الجرّار » . أجل لا يمكننا أن نعلم ماذا يأتينا به الغد . وإنما يمكننا أن نعلم : —

إن ناس هذا الزمان على ما في قلوبهم من شرور ورداءة لا يستعملون القنبلة الذرية ، ولا الهيدروجينية إلاَّ إذا جُنّوا لأن استعمالها كارثة للضارب والمضروب على السواء ، ومصيرها الفناء معاً .

فإذا كان البشر يتورّعون هذا الشر العظيم فيخافون أن تأتي الكارثة عامة لا تبقي ولا تذر . ولولا هذا الخوف لاستعملوا السلاح الوبائي بكأس واحدة من مزرعة الكوليرا والتيفوئيد واخواتهما تلوث مياه الأنهر والينابيع ويقضي على جميع

الشاربين . ولكن البشر على رداوتهم لم يحاربوا بالسلاح البكتيريولوجي مع انهم كانوا يعرفونه تورعوا — خافوا .

قد لايخاف أشرار الغد الله، ويستعملون الميكروب والذرة منتحرين . . . ليس من يؤكد لنا انهم لا يفعلون . . . وحينئذٍ ينقرض الجنس البشري ولا يسلم الا الآدميون المنحطون الهمج الذين في مجاهل افريقيا . وثم يعود الجنس البشري ينشيء من جديد مدنية جديدة... وانتظر بعدها أدهاراً حتى يصعد الى قمة مجده السابق وقد ينقرض ذلك الهمجي أيضاً ويفنى الجنس البشري برمته . فيقيم الله من طائفة النحل والنمل هيئة اجتماعية جديدة تنشيء مدنية جديدة ، قد تكون أصلح من الهيئة البشرية

الانسان من القرد

س: هل تعتقدون بهذا الكفر: أن الإنسان تسلسل من القرد ؟ وكيف توفقون بينه وبين الكتب المنزلة . وأين نقرأ عنه ؟ ولماذا ارتقى الإنسان ولم يرتق القرد ؟

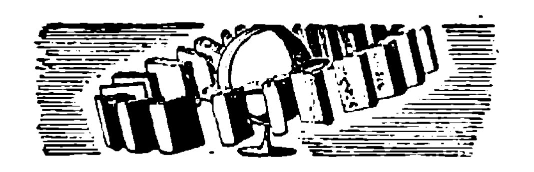
حامد ابراهيم حسن: من برقة : ليبيا

ج. أما بلغ إليكم خبر هذا الكفر إلا اليوم وقد انتشر في جميع البلاد الراقية وأصبح حقيقة راهنة وصار كل ما ناقضه خطأ . الإنسان لم يتسلسل من القرد ، ولكن الإنسان والقرد من أرومة واحدة كانت منذ ٢٥ مليوناً من السنين في رأي بعض الباحثين . فلما تنوعت الى قرود وأشباه قرود انقرضت . ألا ترى أن الطبيعة لا تزال تحفظ انموذجات لهذه الأنواع . فعندنا الانسان الراقي كأنت وأنا مثلاً ، ثم الإنسان المنحط الهمجي كإنسان أواسط أفريقيا ، ثم الإنسان المتوحش، ثم الإنسان العاري الذي يأكل لحوم البشر ، ثم الغول أو شبه الإنسان ، ثم أنواع من القرود مختلفة ومتفاوتة في الذكاء الى أن تتصل بدرجات الحيوانات اللبونة فالفقارية الى آخره. كل هذه تريك عياناً أنها متسلسلة

أما أن القرود وسلالاتها لم تترق كما رقى الإنسان ، فلأن البيئات التي عاشت فيها لم تساعدها على أن تترقى إلا بأقدار

أما التوفيق بين هذا الكفر والكتب المنزلة فيقتضي بيئة عقلية تفهم هذا التوفيق، لأن هذه العقيدة تسلسلت وارتقت كما تسلسلت تلك الحيوانات وارتقت . واعلم أن الذي كتب التوراة مثلاً لو تمهل وكتبها اليوم لكتبها بنص آخر ، لكتبها كما يكتبها دارون، وهكسلي، وتجينز، وكيث، وما كنا نحسبها كفراً بل نحسبها تنزيلاً لأنها تعطينا علماً عن الطبيعة كما نظمها الله لا كما نظمها الجهل.

اقرأ واعن هذا الكفر كتابي دارون «أصل الأنواع» و « تسلسل الانسان» ثم كتاب هكسلي « مقام الإنسان في الطبيعة »، ثم كتاب السير ارثر كيث « قدمية الإنسان »، ثم كتابه الذي ظهر أخيراً « نظريات جديدة في الارتقاء البشري».



مكتبة المقتطف

على هامش الأدب والنقد

الكاتب النابغ الأستاذ علي أدهم من الكتّاب الذين لم يكتبوا كثيراً ، ولكنهم كتبوا كتابات قيمة نادرة . كتب نحواً من ١٢ كتاباً في الأدب والتاريخ والاجتماع الى غير هذه، ربما كتب آخرون غيرها في نفس المواضيع ولكنهم لم يباروه في دراسة المواضيع والتعمق فيها، واصابة الغرض الأدبي أو العلمي أو التاريخي فيها . ومهما كنت قد طالعت واطلعت فاذا اطلعت على ما كتبه الأستاذ علي رأيت ان فوائد وأفكاراً ومباحث قد فاتتك فلقيتها فيما كتبه .

بين يدي الآن كتاب «على هامش الأدب والنقد » . فاذا قرأت فيه فصل « فن كتابة التراجم » علمت أن بلوطارخس كان أول مترجم بارع للشخصيات ، نبغ في النصف الثاني من القرن الميلادي، كتب عن أعيان الرومان واليونان فوضع درساً مفيداً للتراجم لا يزال الى اليوم يحتذى حذوه . ثم يعطيك أدهم سلسلة من المترجمين الذين نبغوا في التاريخ . ثم يبسط لك الأسلوب العلمي الذي ساد في القرن التاسع عشر، وكان له شأن في كتابة التراجم وفن القصة .

ثم يعطيك درساً في النقد الفني بين المذهبين الاجتماعي والفردي . ثم يأتيك بملخص مذهبي الفيلسوفين هيجل وشوبنهاور وغيرهما فكأنك تدرس فلسفة لا نقداً .

وهناك فصل عن الكتاب والكتّاب يهديك فيه الى ما تستفيده من الكتاب القيم ويعطيك قيمة قوة الكاتب الاجتماعية . وأثر التفكير العام ومكانة الكاتب الاجتماعية . فتعرف أي كاتب تقرأ وأي كاتب تهمل، ويفهمك أن الكاتب هو الذي يحترم قارئه ويقدم له كتابة يستفيد منها قارئها ويرى أنه لم يضع وقته عبثاً في قراءتها ، وهو الذي يدع قارئه يراقب كل ما يصدر من قلمه . هكذا اذا قرأت أدهم سعيت الى كل كتاب يصدر منه .

وله فصل في النبوغ والعبقرية ننصح لك أن تقرأه لكي تعلم ما الفرق بينهما، فهو بحث شيق يغريك فيما يكتبه الأستاذ أدهم .

وله فصول أخرى في نقد المتنبي من نواحيه المختلفة المتعددة . وذكرت هـذا الفصل القيم الذي يرجح على كل ما كتب عن المتنبي — ذكرته في « مجلة الرسالة » منذ صدوره في العام الماضي .

ثم له فصول أخرى في نقد بعض أدباء العرب والاسلام، ثم فصل خاص في نقد رابندرانات تاجور الشاعر الهندي الفيلسوف .

وليس المقـام متسعاً بوصف محاسن نبوغ الأستاذ أدهم . ان أمثـال أدهم قليلون بين كتابنا بل نادرون .

فيراتا — أو الهارب من الخطيئة

والأستاذ أدهم يوفر عنك عناء انتقاء الـكتاب الذي يصح أن تقرأه من غير أن تضيع وقتك عبثاً . فهو يطالع كثيراً ويكتب قليلاً ، فقد قرأ الى اليوم ألف كتاب وكتب ١٢ كتاباً بعضها زبدة ما قرأ وبعضها منتقاة مما قرأ .

كتابه فيراتا مجموعة قصص وأساطير لـكتّـاب عالميين من أمم مختلفة ، ومن عصور مختلفة ، نخبة الأدب والتاريخ والقصص . كلمة قيمة عن استفان زيلج الـكاتب النمساوي العظيم وأسطورته فيراتا، وهي كلمة أشغلت الاربعين صفحة الاولى من الـكتاب، ثم قصص أخرى لـكتّـاب آخرين مشهورين من جنسيات مختلفة . فلا موجب لسرد هذه الفصول ، اقرأها وسرّ واعجب . فهي معرض أدب وعلم بديع .

همجية التعاليم الصهيونية

بقلم الاب المحترم الخوري بولس حنا مسعد

هذا القس المحترم خرّيج جامعة الفاتيكان في رومه، وقد تثقف ثقافة عالية فدرس العلوم العليا جميعاً، وتمكن من اللغات اللاتينية والايطالية والفرنساوية . وقد عثر في مكتبة الفاتيكان على التلمود اليهودي الأصلي (بعبله) بما فيه من مخازي ووساخات يقشعر لها بدن الانسان المثقف وغير المثقف. فلخص هذه المخازي في كتيب بعنوان « همجية التعاليم الصهيونية » أو بالأحرى التعاليم اليهودية .

اليهود يضعون التلمود فوق التوراة ، والحاخام فوق الله (أستغفر الله) ، والله يقرأ التلمود وهو واقف على قدميه . وما يقوله الحاخام يفعله الله .

إن تعاليم اللاهوتيين في التلمود لهي أطيب من كلام الشريعة . والخطايا المقترفة ضد التلمود لهي أعظم من المقترفة ضد التوراة .

يقسم النهار الى ١٢ ساعة ، وفي الساعات الثلاث الأولى يجلس الله ويدرس الشريعة . وفي الساعات الثلاث الثانية يدين الشعوب ، وفي الساعات الثلاث الثالثة يغذي العالم . وفي الساعات الثلاث الأخيرة يلعب مع ملك الأسماك ، وملك الأسماك هذا طوله ثلاثمائة قدم يدخل الله في فمه فلا يتضايق .

ولكي تطلع على سائر أمثال هـذا التجديف الذي لا تحتمله نفس بشرية يجب أن تطلع على هذا الكتاب الذي نحن بصدده ، فترى أقوالاً لا تخطر في بال المجانين والمخرفين والسكارى والأرذال ، والذين فقدوا الصواب والعقل والأدب والحياء بتاتاً . تجد هذا الكتيب في مكتبة العرب للبستاني في الفجالة .

—:—

أنفاس محترقة

ديوان للاستاذ محمود أبو الوفا — ١٧٨ ص . من الحجم المتوسط — مطبعة مصر

أبو الوفا شاعر الحياة ، شاعر الطبيعة ، شاعر الجمال في جوهره المصفّي ، شاعر النبع إذ يتدفق ماؤه ، والهزار إذ يشدو شدوه ، والحبّ إذ تهفو إليه وبه القلوب ، والوفاء إذ تزكيه المحبّة الخالصة .

إنه شاعر يحبّ ان يضحك للدنيا ، يحب الشمس تبقى لاتبرح سماها يوم لقيا المحبّين ، يحب لهذه الأنهار ان تجري إلى ما ليس له حدود ، يحب الدنيا تغدو ملاعب للهوى ، يحب البدر لا يغشاه السحاب ، والصبح لا يلطمه الضباب ، وفؤاد الصب لا يعرف المشيب .

هذه طبيعة الشاعر « محمود أبو الوفا » ، وهي طبيعة مسماحة رائقة ساذجةٌ في رواءها وإخلاصهـا ، ضالعة في صدقها وإصالتها ، بعيـدةٌ عن مأتى الأوشاب ولوثات الهوان . طبيعةٌ صافيةٌ عن سجيّةٍ ، ودود عن سليقة ، حلوةٌ في غير تكلف أو إدّعاء وفي غير

برج أو تزاويق ؛ طبيعة منبثقة من قلب نابض محمول على الكف كأنه في سوق ينادي من يطلبه .

أمشي وقلبي على كفي أقول : ألا من راغب في فؤاد صادق حانِ ؟
يحبّ حتى كأن الأرض ليس بها إلا زنابق من آسٍ وسوسان
وليس في الأرض من بُغضٍ ومن إحن وليس في الأرض من ظلمٍ وطغيان
وليس من فوقها إلا سواسية من الصحاب ومن أخدان أخدان

ولكن ما جزاء هذا القلب الصادق الحاني ، وما جزاء هذا الحبّ الدفّاق السخي ، وما كفاء هذا الشعور الكريم المطلق ؟

جزاؤه كما يقول الشاعر :

فلا وربّك ، هذا القلب ما التفتت عينٌ إليه ، فيا للبائس العاني ؟

وكما يقول في موضع آخر

أحب أضحك للدنيا فيمنعني أن عاقبتني على بعض ابتساماتي

وفي غيرها من ديوانه « أنفاس محترقة » يقول :

أينما سرتُ لم أجد غير همٍّ كامنٍ في الثياب أو هو بادي
أينما سرت لا أرانيَ إلا خائضاً في اللظى وشوكِ القتاد
في بيوت العمّال ألقى دخاناً من حريقِ الآلام للأكباد
زفرات كأنهنّ قلوبٌ ذوّبتها حرارة الإجهاد

ويقول في موضع آخر :

قضى زماني عليّ أني أمشي ورجلاي في القيود
حالٌ بها في خطاي يمشي ذلّ الأسير الخطى المقود
ويلاه مما لقيت منها ويلاه للسيّد المسود
ظلمٌ ، ولكن أنسى قضاني بل أين لي فيه بالشهود
من مثله لم يزل لعيسى دمٌ على مذبح اليهود
يا ربّ فيمَ الوجودُ إذا لم تمنحه حرّية الوجود ؟

فطبيعة الشاعر « محمود أبو الوفا » ذات نقاوة وذات جلاء وذات رغبة أكيدة في أن ترتع في بحبوحة من الهناءة السابغة . ولكن الطبيعة التي تحيط بتلك الطبيعة ليست هكذا ، ولا هذا شأنها . لأن الدنيا حافلة بألوان الضنى ، وفيها من صنوف الألم ما يغري بالضلال ، ولأن الحياة الدنيا ليست مهيأة للحياة الكريمة الخالية من أدران السفه وتجاريب المحن ، ولأن الناس يعملون لأنفسهم ، ويسعون لأكل الحلال وأكل الحرام ويسيرون بالنميمة والوقيعة،ويعاشون البهيمة في أهواء نفسها العجماء

فالشاعر معذور إذا اجتمعت عليه النوائب، فأكرهته على البوح بما قد لا يبوح به لدفين مشاعره ، وهو لا يستأهل لوماً ولا تثريباً إذا استبد به انفعال العاطفة الحزينة فتدفق من حشاشته شعراً دامياً ثائراً يقول فيه :

كأنني فكرة في غير بيئتها بدت ، فلم تلق فيها أي إقبال
أو أنني جئت هذا الكون عن غلط فضاق بي رحبه ، المأهول والخالي
أبي وفي النار مثوى كل والدة ووالد أنجبا للبؤس أمثالي
خلفتني فوضعت الحبل في عنقي تشده كف دهر جد ختال
ما كان ضرك لو من غير صاحبة قضيت عمرك شأن الزاهد السالي ؟

ماذا يفعل الشاعر ، وهو صاحب نفس شديدة الحس سريعة الانفعال ، إذا استبان له أن الحياة تدبر من حيث هو يقبل ، وأن البسمة المشرقة تقابل بجهامة موحشة ، وان ايقاد مصباح ، يطفأ في غلس الليل ؟ ماذا عليه لو فرج عن كربه ، وروح عن ضيق نفسه بتلك القصائد يختلسها من فلذات كبده المقروحة ، عساه يلتمس السلوى ، وينال من مشاركة الآخرين رضاً داخلياً .

ديوان « أنفاس محترقة » هو زفرات حرى يطلقها شاعر الحب والجمال والفتنة والسحر محمود أبو الوفا ، يطلقها من بعض نفسه ، ومن خلجات فؤاده ، ومن نبضات قلبه . يطلقها وهو يرجو للحياة حولاً عن طريق العوج ، وهو ينشد لها اتجاهاً صوب معارج الكمال ، وهو يريد ويريد ، ولكن :

أريد وماعسى تجدي «أريد» على من ليس يملك ما يريد ؟

أريد العيش مثل الطير حراً طليقاً لا تغلله القيود
أريد أفك عن نفسي قيوداً يقاد بها على الخسف العبيد

إذا كانت هناك متاحف للآثار ، ومعارض للمنتجات ، فان ديوان «أنفاس محترقة» هو معرض للنفس ، فيه بسط الشاعر أبو الوفا نفسه في غير تحفظ ولا تحرج ، فخرج - كدأب الشاعرين - عن وقار الكتمان والادعاء الى مجال الابانة الفصيحة . فقال كل ما أراد أن يقول ، وأعرب عن كل رأي ارتأى أن يعرب عنه ، وفرح ما شاء له أن يفرح ، وبكى وأبكى ما طاب له أن يفعل بنفسه وبقرّاء شعره . وهام بك مع الطيور حيث تحلق في أجوائها ، ثم نزل بك الى أرضٍ ونارٍ ذات وقود . تمنّى أن يكون إلهاً ، وودّ لو ألقيت إليه مقاليد الحياة ، وبغى أن يصبح الحبّ بين الناس دستوراً في معاملاتهم وأخذهم وعطائهم ، ونشد أن يؤدي في الحياة رسالة « هي الحب ، حتى ليس للحبّ مانعُ »

هذا شاعرٌ يضرب على الأوتار نغماً شجيًّا ، ويهصر قلبه هصراً ليقدم ذوب نفسه في ديوانٍ مطبوع منشور . ويكدّ في الشعر كما يكدّ الناس في الحياة ، ليرضي نفسه المتطلعة الى خير المُنى .

إنه شاعرٌ صارخٌ في صدقه ، ممعن في إخلاصه ، إذا أحب عاش للحب يرنم له مثنى وثلاث ورباع فيقول :

أحببتها ، أحببتها ، أحببتها وأحبُّ في الأيام يومَ رأيتها
وودت لو أني جمعت لها المنى وأتيت بالدنيا لها ووهبتها

وهو شاعرٌ جهير ، عريقٌ غنيٌّ بالمعاني لا يحار في طِلاَبها ، قوي الديباجة أنيقٌ في لفظه، ومراعاة حسن توافق العبارات ، موسيقي الشعر حتى ليلهث معه القارىء في خطوه العجلان ، يشجيك أن تسمعه وأن تعاود الإصغاء إليه.

إنه محمود أبو الوفا ، صاحب « أنفاس محترقة » وهي درّة لم تجيء على غرّة .

وديع فلسطين

فهرس الجزء الثاني

من المجلد السادس عشر بعد المئة

في مقتطف مارس

العدم	العشائر البدوية
ما يعرف وما لا يعرف	الزراعة
مصر : مهد الامة الاولى	البترول في الشرق الاقصى
القادر على كل شيء	انفاس محترقة

ليت الشباب يعود – رواية عجيبة

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد السادس عشر بعد المئة

١ مارس سنة ١٩٥٠ — ١٢ جمادى الاولى سنة ١٣٦٩

العدم

هذه هي الكلمة التي لا يعنى بها شيء ، أو يتعذر عليك أن تفسرها فلا تقول هي اللاشيء ، أو اللاوجود ، هذا التعريف لا يفسرها ، ما هو إلا لفظ مرادف للفظ آخر . فكأنك تفسر الماء بعد الجهد بالماء . فإذا كنت لا تظفر بالمعدوم أو بالعدم فيستحيل أن تظفر بمعناه كشيء قائم بنفسه . لا يمكن أن تجد شيئاً أو لفظاً أوضح من العدم لكي تفسره به .

يمكننا أن نمثل العدم أو المعدوم بشيء كقولك إن ما بين الحدين يمثل عدماً ، هب أن خطين متلاصقين ، أحدهما أحمر والآخر أصفر . فالحد بينهما لا هذا ولا ذاك ، ولكنه يفصلهما . فهذا الحدّ ليس عدماً . فهو موجود لأنه فاصل بين الجانبين ، وهو غير موجود لأنه لا من هذا ولا من ذاك .

قد تقول أنه فراغ بين الاثنين كقولك فراغ ضئيل جداً بين قدتين ، أو بين مسطرتين متطابقتين . ولكن المفروض أن القدّتين ملتصقتان متطابقتان ، لا فراغ بينهما البتة . ولكنهما متمايزتان بلونيهما المختلفين . فالحدّان لا يحدّان عدماً . والعدم ليس له وجود . وبالأحرى العدم ليس غير الموجود . أو أن غير الموجود ليس عدماً بل هو ردفٌ له .

كذلك الأمر في لوحين متطابقين مختلفي المادّة كقولك لوحٌ من الماس، وآخر من زجاج ، يعبرهما أحدهما عن الآخر نور فاصل بينهما . ولكن الفاصل لا يشغل حيزاً بينهما على اعتبار أنهما متطابقان تمام التطابق . فسطح الواحد ليس من سطح الآخر . ولكن ليس الاتصال بينهما عدماً . ينتقل النور من الزجاج إلى الألماس من غير أن يمرّ في عدم .

(البقية في أسفل الصفحة التالية)

ما يُعرف
وما لا يُعرف

ليس للعقل من وسائل لمعرفة ما هو خارج عنه إلاَّ الحواس الخمس . وأهمها البصر ، فالسمع ، ثم اللمس ، فالذوق ، فالشم ، والأخيران قليلا الأهمية ، والأول أهمها ، والثاني يليه بالأهمية.

وهذه الحواس التي هي في أطراف الجهاز العصبي المتجمّعة مصادرهُ في الدماغ تتفاعل مع العوالم الخارجية مباشرة ، فتنقل انفعالاتها للدماغ حيث تتصرف بها خُليّات المراكز الدماغية المصدرة الأفعال العقلية . (ولهذه الأفعال العقلية بحث خاص في سيكوفسيولوجية الدماغ) . وتسهيلاً للتعبير تسمى مجموعة الأفعال العقلية « العقل » Mental

قلنا أن الحواس تتفاعل مع العوالم الخارجية مباشرةً : — الجهاز البصري ينفعل بما يصدم شبكية العين من الأمواج النورانية (الإيثرية) . والجهاز السمعي ينفعل بما يصدم طبلة الأذن من الأمواج الصوتية الهوائية. والجهاز اللمسي ينفعل بما يصدم سطح الجسم

قد يمرُّ النور في فراغ كما يتراءى لك ، ولكن الفراغ ليس عدماً . قد يلوح لك ان الحيز الذي بيننا وبين الشمس عدم والنور يمر فيه . والحقيقة أن هذا الفراغ بيننا وبين الشمس ليس فراغاً مطلقاً والا ما عبره النور ، بل هو بحر أيثري أو بحر فوتونات أو ضويئات متموجة والنور يسير فيها بتموجها . فليس في الفضاء عدم أو فراغ مطلق . أجل بعد الحيز الكوني الأعظم الذي تسبح فيه الأجرام كلها فراغ لا نعلم إن كان عدماً أو تشغله أشياء أخرى .

سألني أحد المفكرين إذا كانت النقطة الهندسية ، كما يقول تلاميذ اقليدس ، وهمية ، فكيف يمكن أن تنقسم إذاً ، لأن المفروض انها مهما كانت صغيرة ودقيقة فهي ذات ثلاثة أبعاد ، فاذاً تنقسم الى ما لا نهاية له . فهل تنقسم ؟

وجوابي إذا كنت تفرض أن النقطة ذات ثلاثة أبعاد فما هي وهمية . وإذاً فهي تنقسم. واذا كنت تفرض انها ليست ذات ثلاثة أبعاد ولا تشغل حيزاً وإنما هي في مقام النقطة فهي وهمية فعلاً ، فلا تنقسم.

من الأجسام المادية مباشرة . والجهاز الذوقي بما يصدم جدران الفم من المواد الغذائية وغيرها مباشرة أيضاً . والجهاز الشمي بما يصدم جدران الأنف من ذرات كثير من المواد المتطايرة على اختلاف أنواعها .

ويقول بعضهم بحاسة سادسة، وهي الإحساس بالحرارة . وبحاسة سابعة وهي الإحساس بالثقل (الجاذبية) . فلا بأس بهذه الحواس الاضافية .

ان توسل العقل لاستطلاع العالم الخارجي بوسائل آلية كالميكروسكوب والتلسكوب والسبكتروسكوب والالكتروسكوب والترمومتر والبارومتر والى غيرذلك من الأدوات التي تتوسط بين الحواس والمواد المحسوسة ، لا ينفي أن الحواس تنفعل « مباشرة » بالعالم الخارجي كما يتضح ذلك للمستبصر بأقل تفكير . الميكروسكوب نفسه لا يرى . فلا غنى له عن العين ، والمسماع لا يسمع فلا غنى له عن الأذن ، وهكذا .

قد تتفاوت الحواس في التأثر من التفاعل بمصادمات العالم الخارجي لتفاوتها في قدر الانفعال (وبعبارة مألوفة : في قوة الاحساس) فقد يرى هذا ما لا يراه ذاك . وقد يسمع حيوان ما لا يسمعه إنسان . والكلب يشم ما لا يشمه إنسان . وبعض الحشرات تتأثر بالأمواج الضوئية والصوتية وغيرها أكثر مما يتأثر بها غيرها . حتى ان بعض الباحثين يعتقد أن لبعض الحيوانات والهوام حاسة أو حواس أخرى غير الحواس الخمس . ولكن ليس لهذا الاعتقاد أساس علمي راهن . ما هو إلا ظن تزعزعه نظرية التفاوت بين قوى الاحساس المشار اليها آنفاً .

ولا ندري إذ كان للحيوانات حواس أخرى غير هذه الحواس الخمس . ولبعض الحواس آثار في النباتات التي تنفعل بالنور وبعضها تنفعل باللمس .

بغير هذه الوسائل لا يتصل العقل (أو المراكز العقلية الدماغية) بالعالم الخارجي ولا يدرك شيئاً من صوره وخواصه .

يفهم العقل أشياء كثيرة من طبائع العالم الخارجي بمعالجة ما يطلع عليه بواسطة الحواس من خواص ذلك العالم . وذلك بعمل القوى العقلية : التصور ، والتذكر ، والتخيل ، والاستدلال ، والاستنتاج الخ . فمعرفة العقل أدق ذرات المادة كالذرة ، والكهرب ، والبروتون ، والفوتون ، وأبعد اجرام المادة كالعناصر الكيمية في الشمس والنجوم ، وأبعاد الاجرام وسرعاتها وقياس الأكوان الى غير ذلك مما انطوى في دوائر العلم الحديث — **كل هذا هو من** قبيل تفهم العقل لكثير من طبائع الكون بفعل القوى المشار اليها . ولكن ما خرج عن هذا

التفهم عن دائرة التوسل اليه بالحواس التي استهللنا بها هذا المقال . فلا يمكن أن يعرف العقل شيئاً،أو ان يتفهم شيئاً،أو يستنتج شيئاً ، إلاّ اذا كان لما يفهمه أو يستنتجه صور عقلية رسمتها المحسوسات فيه بواسطة الحواس .

اذا كانت هذه الحواس تتفاعل بما يصادفها من فواعل العالم الخارجي فلا ترى سبباً لنشوئها الاّ هذا التصادم بتكراره على تمادي الزمن كما هو معلوم بيولوجيّا . فما صارت العين عيناً إلاّ من فعل أمواج النور على طرف العصب . وما صارت الأذن أذناً إلاّ بفعل أمواج الصوت،وهكذا دواليك . وكذلك ما صارالعصب بصريّا أو سمعيّا الخ الاّ بفعل ذلك التصادم . وكذلك أيضاً ما نشأت تلك المراكز العقلية في الدماغ الاّ بفعله أيضاً .

فاذا شئنا ان نفهم خواص العالم الخارجي نعود الى دراسة هذه الحواس التي نشأت بفعل تلك الخواص . فالبصر مثلاً أرشدنا الى أن للمادة خاصة النور ، والآلات التي استنبطناها لتحليل النور أرشدتنا أخيراً الى أن هذا النور هو أمواج (أيثرية أو فوتونية) صادرة من الجسم المنير . ثم ان الآلات التي اخترعناها لمعرفة أسباب هذه الأمواج قادتنا بالاشتراك،مع وسائل أخرى ، الى معرفة (أو فرض) تكوُّن المادة من الكهرب وأخيه الكهيرب . بهذا المثل وبغيره من الأمثلة فهمنا أن من خواص المادة أولاً خاصة الجذب أو التجاذب . وثانياً خاصة الدوران حول محور ، وثالثاً التجمع والتكتل . ورابعاً التفرق والتشتت (الاشعاع). هذه هي خواص المادة الرئيسية . وتتفرع منها خواص أخرى عديدة كالأبعاد الثلاثة (الحيز) والحركة (الزمن) والثقل والصلابة والمرونة والجمود والسيولة والغازية ووالخ مما نعرفه ونحس به،والحلاوة والمرارة والروائح المختلفة والألوان والانغام

كل هذه الخواص أنشأت في الحي الحواس وأعصابها بفعل التصادم بينها وبين بدنه. وهنا نقف أمام قضية ذات شأن عظيم وهي : هل للعالم الخارجي خواص أخرى غير الخواص التي ندركها بواسطة حواسنا هذه ؟

لو كان للعالم المادي خواص أخرى غير ما نحس به مباشرة أو بمساعدة الآلات التي استنبطناها،لكانت هذه الخواص الأخرى قد أنشأت فينا حواس أخرى نحسها بها . إذن ليس لنا أن نفرض خواص أخرى لا نحس بها بوسيلة من الوسائل . ليس للكون المادي من خواص غير ما شعرنا به وعرفناه . ولا موجب للبحث عن خواص أو طبائع أخرى غير ما علمناه . ولا معنى لفرض طبائع أخرى لانستطيع أن نبرهن على وجودها ، أو نثبته بطريقة من الطرق التي هي ضمن دائرة ادراكنا الحسي والعقلي .

إن خواص الكون هي التي خلقت بنا مشاعرنا التي نحسها بها . فما دام ليس لنا حواس أخرى غير حواسنا، فالمعنى أنه ليس للمادة خواص غير ما عرفناه فيها .

***

لا ينبغي أن يفهم من قولنا هذا اننا عرفنا كل شيء فلا يجوز أن نبحث عن شيء آخر . لا . بل لا نزال نجهل أموراً أخرى كثيرة . ولكن عندنا لهذه المجهولات التي لا نزال نجهلها أطرافاً من المعلومات تتصل بها . ولذلك نؤمل أن نتوصل إليها بمعالجة هذه المعلومات . مثال ذلك : نجهل سرّ الحياة . ولكننا نعلم أن في الوجود شيئاً نسميه حياة، وأصبحنا نعلم كثيراً من تصرف الحياة في الجسم الحيّ . بيد أننا لم نزل نجهل سر نشوء الحياة . ولعلنا بعد توالي البحث والامتحان والإختبار العملي نصل الى ذلك السر . لذلك يجوز لنا أن نقول أن هناك مجهولاً لا نزال نجهله لأن لنا علماً بأمور تخصه . أو أن معلومنا ينقصه معرفة ذلك المجهول . هذا ما يصح أن نسميه مجهولاً من المجهولات لأنه متصل بمعلوم من المعلومات .

ومثل ذلك « سرّ العقل » لقد عرفنا كثيراً من تصرفات القوى العقلية وحصرنا كثيراً من قوانينها ، ولكننا لا نزال نجهل سر حقيقة العقل ونشوء قواه من خليّات الدماغ . فهذا مجهول من المجهولات نؤمل أن يكتشفه حفداؤنا بعد زمان طويل أو قصير . هذا مجهول يتصل طرفه بكثير من معلوماتنا العقلية والفزيولوجية فنسميه مجهولاً .

وأما أن نفرض مجهولاً مطلقاً لا صلة لهُ بعلم من معلوماتنا البتة ، كأن نقول مثلاً إن في الوجود كائناً شبه الحيوان ويحمل الكرة الأرضية على قرنيه، فهذا فرض لا يرتكز على شيء من معلوماتنا التي تنقضه نقضاً تامّاً .

أو أن نفرض أن على الأرض عالماً يشبه عالم الإنسان ولكنه ليس الإنسان بتاتاً . ونسميه عالم الجن. وليس عندنا من المعلومات ما يرشدنا الى وجود هذا الجن (كما يصفونه) حقيقة .

أو أن نفرض أن في الفضاء عالماً تقيم فيه طائفة الملائكة كما وُصفت لنا ، أو عالماً آخر تقيم فيه طائفة الشياطين كما صوّروها لنا ، وليس عندنا معلومات بتاتاً تتصل بهذين العالمين . وليس ذلك فقط، بل ليس لحواسنا ما يقدرها على الإحساس بهذه العوالم المفروضة الموهومة .

وبعض الناس يزعمون أنهم يحسون بظاهرات عديدة مختلفة تؤيد ظنهم بوجود الجن والأرواح الشريرة وأرواح الموتى ونحو ذلك . على أن المفكرين الباحثين فحصوا هذه الظاهرات فحصاً دقيقاً ودرسوها دراسة علمية فثبت لهم أنها ليست إلاّ أوهاماً في أذهان زاعميها ، وليس لها وجود في العالم الخارجي مطلقاً . بناء عليه يجب ألاّ نصدق شيئاً من الخرافات والترهات . ولا يجوز لنا كذوي عقول أن نقول لا يحق لنا أن ننكرها بحجة أننا نجهلها .

إذا فتحنا باب الفروض بحجة أننا نجهل أموراً كثيرة وقلنا أننا لا نستطيع أن ننكرها بدعوى أننا نجهلها — أعني أنه لا يجوز لنا أن ننكر وجود ما نجهله — اذا فتحنا هذا الباب ساغ لنا أن نفرض ألوف الفروض المجهولة ونأبى على كل انسان أن ينكر هذه الفروض بحجة أنه يجهلها .

لنا مما تقدم أننا لا نسلم بوجود شيء في الوجود غير واقع تحت حواسنا لا مباشرة ولا بواسطة أدوات خاضعة لحواسنا ، ولا هو ذو صلة بمعلوماتنا البتة .

على أن هناك مجهولات تتصل بشيء من معلوماتنا ومع ذلك يستحيل علينا أن ندركها مهما أنعمنا النظر فيها . وهذه المجهولات تنطوي في قضايا رئيسية طالما صادمتها عقول الفلاسفة فعادت عنها عاجزة .

أولاً : السرمدية الزمانية — اللابداية واللانهاية .

ثانياً : اللانهاية المكانية .

ثالثاً : السببية . السبب الأول أو العلة الأولى .

رابعاً : الوجود والعدم .

هذه مجهولات يقف العقل أمامها حائراً ذاهلاً ويرتد عنها صريعاً . والأرجح أنه سيبقى عاجزاً عن ادراك أسرارها مهما ارتقى وتعالى . ولا ندري ان كان يتمادى في تطوره وارتقائه إلى أن يكشف هذه الأسرار .

لماذا ؟

لأنه هو جزء صغير في دائرة الكون . ومهما عظم وضخم وتعالى وتمادى ، لا يمكن أن تتسع دائرته بحيث تملأ دائرة الكون . بل لا تملأ إلاّ حيزاً صغيراً حول مركزها . هذا ان أجزنا القول ان الكرة الأرضية في مركز الكون .

إن ما عرفه العقل من أعماق المادة أي أدق ذرّاتها . ومن أقاصي مسابحها في هذا الفضاء الشاسع، اتصل به عن يد الأمواج الضوئية الصادرة من الاجرام والعوالم السحيقة، والذرّات الدقيقة بواسطة الآلات البصرية المختلفة المعظمة الأحجام والمقرّبة الأبعاد والمحللة الأضواء : — التلسكوب، والميكروسكوب، والسبكتروسكوب، والفوتوغراف، لخ . — فالعقل لم يغص إلى إعماق المادة ، بل ان دقائق المادة كشفت نفسها له عن طريق المجهر ، ولا هو سبح إلى أقاصي الكون لكي يرى تلك العوالم القصية ، بل ان أنوار تلك العوالم كانت رسلاً منها اليه عن يد المرصد والمرقب الخ .

* * *

جاءت المعرفة اليه بصور تلك الدقائق والعوالم القصية وهو مقيم في مكانه . بهذا الاعتبار يصدق فيه قول الشاعر .

وتحسب أنك جرمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالم الأكبر

فعلى الرغم من تيسّر إطلاعه على تلك الأعماق والأقاصي بهذه الوسائط المباشرة يستحيل عليه أن يدرك البداية والنهاية المكانيتين والزمانيتين ، لأنه محصور ضمن دائرة هذه البصريات التي تتناهى عند حدود ، حتى اذا طمح الى كشف ما وراء الحدود اصطدم باللانهاية التي لا يستطيع تصوّرها . وان فرض لها حدوداً أخرى وراءها عاد يطمح إلى كشف ما وراء حدودها فيعود يصطدم باللانهاية مرّة أخرى، فيرتد عاجزاً عن الاستكشاف كما أنه يرتد أيضاً عاجزاً عن تصوّر غير المتناهي .

فالعقل مقيم في جمجمة تقاس بشبر مكعب . وهي مقيمة في عالم ممتدّ حولها ربوات ربوات ملايين ملايين أضعاف قياسها . فكيف يستطيع الشبر أن يحتوي ربوات الأشبار . ولولا تحرك المادة، واشعاع حركاتها أمواجاً متسارعة ، وانفعال المراكز الدماغية بصدمات تلك الأمواج الطارئة عليها على غير قصدٍ منها — لولا هذا التفاعل الذي تتعمّده الطبيعة ما علم العقل شيئاً من أغراض الكون وتصرفات ذرّاته وحركات أجرامه .

لذلك يقف العقل حاسراً لدى بحر الوجود اللامتناهي .

مصر

مهد الأمة الاولى والحضارة الاولى

لـسير ارثر كيث

٢ — الدول البرائية

أعتبر الأمة المصرية كوحدة تطورية أول أمة نشأت من نوعها . والآن هي في الألف الخامسة (على الأقل) من تاريخها . وما من أمة على الأرض حفظت شخصيتها كل هذه المدة الطويلة . فهي تعطي لعالم التطور فرصة لاكتشاف موضع القوة والضعف في وحدة الأمة . الضعف الذي عطل حياة الأمة كان سبب الارتداد الى حال تعدد الجماعات حيث الحكومة المركزية تداعت الى الانحلال ، وكان « التعطيل » الأول الذي قضى على المملكة القديمة، وكان بداية المملكة الوسطى . ابتدأ في ضعف الدولة السادسة وانتهى بالزعيم الثبي الذي أسس الدولة الحادية عشرة واستعاد الوحدة . والتعطيل الثاني دام كالأول قرنين ففصل المملكة الوسطى عن المملكة الجديدة . ثم عاد فوحدها زعيم ثيبي ، مؤسس الدولة الثامنة عشرة . وابتدأت المملكة الجديدة قوية . ولكن عاد الضعف القديم حيناً بعد حين . وحدث التمزق وتلاه الاتحاد الى أن حدث الفتح الأشوري سنة ٦٦٥ قبل المسيح . حينئذ أمعنت مصر في عصرها الطويل الذي خضعت فيه للسيطرة الأجنبية، فا ابتدأه الاشوريون تداولته الدول الأخرى : الفرس، فالأغريق ، فالرومان ، فالعرب ، فالترك ، وأخيراً بريطانيا . وفي هذه البرهة الأخيرة (١٩٤٦) تجري المفاوضات في موضوع جلاء بقية الجنود البريطانية عن أرض مصر . وهكذا بعد ٢٥ قرناً استعادت مصر سيادتها . وصارت أمة ذات سيادة على نمط العالم الحديث .

وقد لاحظ القارىء في تعريفي للأمة في بدء هذا المقال أني أغفلت نقطة جوهرية للأمة : وهي السيادة . فالفيكونت رايس مثلاً أنكر أن وايلس واسكوتلاندا أمتان لأنهما ليستا دولتين ذاتي سيادة . فهل هذه الحقيقة تجرد هذين الشعبين من معنى كونهما أمتين ؟ الواقع عكس هذا . الواقع يقوي شعورهما بخلاف ذلك ويغذي تقاليد استقلالهما

هكذا هو الحال في المصريين . فان السيطرة الأجنبية لم تقتل فيهم روح الاستقلال ، فالفلاحون الذين يكوّنون بدن الأمة اليوم هم الفلاحون المتسلسلون من أجدادهم منذ ٣٣٠٠ سنة قبل المسيح . حقيقي أن فلاحي مصر كانوا دائماً مطواعين مؤتمرين للآمرين ، قلما كانوا ديموقراطيين . ولكن هذه الصفات لا تحط من قدر شعبية المصريين . هم شعب محصور في سلالته (أعني قلما يتوالد مع غيره) هم كذلك من قبل العصر الدولي ، هم موطدو النفس على هذا . أي شعب كهذا يعتبر أمة (بكل معنى الكلمة)

في العصر الأخير من تاريخ مصر دخل في الشعب المصري دم جديد أو بزرة جديدة (أو بالأحرى genes) . هذا حدث في القرون التي تلت طرد البيزنطيين الاغريق وأمثالهم وانشاء الدولة العربية (٦٣٩ — ٦٤١) . فعلت ذلك قوة ليست أقل من ١٥ الفاً حين كان عدد المصريين يعدّون بضعة ملايين . وقد أخذ المصريون ليس بالسيف بل بالقرآن . وحين كان المصريون يتعلمون ان يقرأوا هذا الكتاب كانوا يتعلمون لساناً جديداً — لسان العرب . وقبائل بدو الصحراء الذين كانوا يحومون حول شفا الأراضي المزروعة تركوا حياة البداوة واستقرّوا في الأرض وتزاوجوا مع الفلاحين . وبهذه الطريقة أضيف نصف مليون من العرب الى السكان الأصليين . واستمرّ هذا الامتزاج . وهكذا استعرب المصريون في اللغة والعقل والروح حتى ادعوا (أو زعماؤهم على الأقل ادعوا) ان يكون لهم مكان بين الشعوب العربية . واذا كان العقل المصري قد تأثر بهذا الاستعراب فجسمه لم يتأثر ، كما ان بعض الانثروبولوجيين يبرهنون أن تحقيقاتهم لم تكشف أي تغير في جسمانية المصريين ، الأمر الذي يدل على ان البدو منهم ليسوا جسمانيّاً مختلفين عن البدو على العموم ، أو لعلّ التغير الذي حدث أفلت من نظر الانثروبولوجيين .

فسجلات الأموات في مصر حُفظت بأكثر عناية في مصر دون غيرها . فهناك جماجم وهياكل عظام كشفت من مقابرها وأخذت أقيستها من أموات في عهد ما قبل العصر الدولي الى الموتى في عصر الاحتلال الروماني . وهكذا نعرف التاريخ الطبيعي للأمة المصرية أكثر مما نعرفه لأية أمة على الأرض . ان الفضل في معرفتنا خواص المصريين القدماء الجسمانية يرجع للدكتور اليوت سميث الذي سبقت الإشارة اليه . وقد وجد هذا البحاثة أن المصري كان نحيل القوام قصير القامة — خمس أقدام وخمسة قراريط — وذو جمجمة مستطيلة وصغيرة بالنسبة للجسم . ومن عهدٍ غير بعيد قارن الدكتور ج . م مورانت Morant مقارنة دقيقة بين جماجم مختلفة مستخرجة من المقابر في جميع جهات مصر ومن عهود مختلفة ، منذ القديم الى زمن الاحتلال الروماني . فوصل الى النتيجتين التاليتين :

منذ القديم الى الدول الأولى كانت جماجم أهل مصر السفلى مختلفة عن جماجم مصر العليا بكونها أكبر وأعرض، والوجوه أوسع . ولاحظ أن شكلها في مصر السفلى كان مع الوقت ينتشر مع مجرى النيل حتى انه طغى على مصر العليا . ورأى أيضاً ان المصريين في ذلك التاريخ تحولوا من الوجهة السلالية الى شعب متشاكل كأنه قبيلة واحدة .

كيف يُقارَن مصريو اليوم بمصريي ذلك الزمن القديم ؟ أذكر آراء ثلاثة من الثقات : أولاً الدكتور تشارلس ماير الذي جمع معلومات عن المصريين الحاليين في أوائل القرن العشرين، فوجد ان حجم الرأس وشكله ، هو هو ، من الدلتا الى الشلال الأول، كما كان في العهد القديم. ولاحظ أن البشرة تميل الى القتامة أو الدكانة والأنف الى العرض فالفطسة كلما تصاعد من مصر السفلى الى العليا . ثم قابل بين أقيسة الجماجم المأخوذة من الأحياء بالجماجم المأخوذة من أموات القدماء في نفس المنطقة ، فوجد أن درجات التغير في الزمانين متمشية على نمط واحد

ثم اذكر نتائج تحقيقات السير J. J. Craig عن عدة آلاف من السجناء من جميع مديريات القطر . فكان في جميع الجهات ان عرض الرأس الأوسط يتراوح بين ٧٤ و ٧٥ بالمئة من طوله . والاحظ على الخصوص في ملاحظاته ، ملاحظة هامة وهي أن كل مديرية تنتج نمطاً خاصاً في الشكل الطبيعي . فاستدلَّ من ذلك على أن هذا الأمر نتيجة للتزاوج المحلي (قلة الامتزاج في الزواج من بلد لبلد) .

وشاهدي الثالث هو الأستاذ سدني سميث الذي في مدة إقامته في القاهرة سنحت له عدة ظروف للمقارنة بين جماجم المصريين الحاليين وجماجم من كانوا قبل الدوليات المصرية. فمعلوماته قادته الى هـذه النتيجة وهي ان المصريين الحاليين يرتدون بالمعنى الطبيعي الى الشكل الذي كان قبل التاريخ . هـذا على الرغم من الاضطرابات التي حدثت في التاريخ المصري ،ومن تدفق الغزاة الأجانب من حين الى آخر،وتطعيم المصريين بالدماء المختلفـة في خلال ٧ آلاف سنة . حسب فلندرس بتري في نهاية العصر السابق للعصر الدولي حساب القوة التي تهتضم جميع الأنماط وتدمجها في نفسها كعلامة لكل أمة أو سلالة . وبالطبع كان للمصريين هذه القوة اللازمة لهذا الإدماج .

ما هي نسبة المصريين أو قرابتهم الى شعوب الجنوب الغربي من آسيا، وشعوب شمالي أفريقيا ؟ للحصول على الجواب الثاني نعود الى العصر الأحدث والمسمى في عرف الجيولوجيين Pleistscene حين كانت الظروف الأقليمية مختلفة عنها اليوم . كان القفر الرملي العلوي على جانبي النيل حينئذٍ مأهولاً . هكذا كانت المساحات الكبرى من عرابيا (التي نسميها اليوم بلاد العرب) . في ذلك العصر كان الشعب الحامي (نسبةً الى حام ابن نوح) الأفريقي

بتصل اتصالات مختلفة بشعوب الهند المسماة درافيديان Dravidian . وهكذا كان المصريون ينتسبون انتساباً بعيداً الى شعوب الهند. وقرابتهم الى ذوي البشرة القاتمة والشعور الجعداء أقرب وأكثر مباشرة . حتى اليوم هم أكثر اتصالاً بشعوب أواسط أفريقيا بواسطة سلاسل من الطرق النيلية . ولعلّ أقرب ذوي قرباهم أهل ليبيا الذين كانوا يقطنون الأعالي المجاورة لغربي الدلتا والممتدة على شواطىء البحر المتوسط . وحينئذٍ تنقلب تلك الأعالي الى الصحراء ، وسكانها يبتغون مواطن أخرى، يبتغونها في وادي النيل (طبعاً) وعلى شواطىء البحر الأحمر ، وعلى سائر شواطىء البحر المتوسط . هكذا نرى أن أسلاف المصريين السابقين للعصر الدولي كانوا منفصلين عن سائر أفراد سلالتهم من الليبيين في الغرب، وأهل البحر الأحمر في الشرق . وإنما اتصالهم بأفريقيا الإستوائية بقي مستمراً .

في جميع تخميناتنا عن أصل المصريين نظرية لا يجوز أن تفوتنا وهي قرابة لسان بني حام الى لسان العرب . ومعظم البحاثة أو كلهم تقريباً على أن لغتي حام وسام متقاربتان جداً فلا بدّ أن متكلميهما عاشوا جنباً الى جنب في حين من الاحيان أو أكثر الاحيان . وللحصول على تفسير وافٍ لهذه النقطة يجب أن نبحث عن أصل العرب أنفسهم . وفي نظري أنه قبل اكتشاف فن الزراعة أو اختراعه بزمن طويل ، حتى قبل أن تنفصل مصر عن «عرابيا» بالبحر الأحمر حين كان سكان العرب الأصليين من ذوي البشرة الداكنة، كانوا يجمعون طعامهم من نتاج الطبيعة ، وكان القوقاسيون يغزونهم من الشمال .[1] فتزاوج الغزاة مع الأهالي وتوالدوا وتعلموا لغة الأهالي بحكم الامتزاج التي كانت سامية (نسبةً الى سام) الوضع وهي مقاربة للغة الحامية (نسبةً الى حام) . وهكذا أعتقد أن العرب إنما هم من مواليد سلالة أهالي عرابيا الأصليين وفرع من السلالة القوقاسية . ان لهذا التعليل مزية مزدوجة لتفسير مزايا شعب عرابيا الطبيعية . وقرابة اللغتين السامية والحامية .

بقي ظرف آخر لا بدّ من اعتباره في الحكم الأخير بشأن أصل المصريين وهو أن تحول الإنسان الأول نندرثال الى العنصر القوقاسي (كما شرحه المؤلف في مقال آخر) حدث في الجنوب الغربي من آسيا . ومن مكان في وسط آسيا انتشر العنصر القوقاسي الى الغرب، ليس الى أوروبا فقط، بل الى أفريقيا أيضاً شمالي الصحراء . فإذا كان الأمر كذلك — والأدلة عليه قوية — فالقوقاسيون استقروا أخيراً في مصر السفلى قبل عصر الدول المصرية بزمن طويل . فالعنصر ذو الرأس الكبير في مصر السفلى يمكن أن يعتبر قوقاسيًّا .

[1] طبعاً مراراً من نوع العصر الجليدي الزائدة

الخدمات الاجتماعية

والعشائر البدوية [1]

كيف يمكن أن تنشأ في بعض الأماكن المعينة العناصر الأولى من الخدمات الاجتماعية الضرورية للعشائر البدوية؟ ...

إن أكبر عامل في تكوين الأبدان والأطباع في الأفراد وفي تكييف الحالات الاجتماعية في الأمم هو :

١ — الموقع الجغرافي ، ٢ — الوضع الطبغرافي ، ٣ — الاقليم أو المناخ .

هذه العوامل هي التي تنهج للأمم سنن معاشهم وأنظمة اجتماعهم وتوجد الكثير الغالب من أخلاقهم وأطوارهم . فالموقع الجغرافي للبادية جعلها في الشرق الأقصى من البلاد الشامية ، بعيدة عن دواعي العمران ، واستيطان السكان، إلا في بعض الأماكن السعيدة بوجود الانهار والينابيع والقنوات كالحسكة ودير الزور وتدمر والقريتين . والوضع الطبغرافي جعلها ذات سهول شاسعة وصحراوات واسعة مستوية كل الاستواء لولا بعض الأكمات والوعرات . والاقليم أو المناخ جعلها ذات هواء جاف ومطر قليل وأفق رحيب وتراب جديب، تتوهج فيه وقدات الشمس في الصيف، وتهب لوافح القر في الشتاء ، وتبرز أرض الجوع والعطش . ولكن اذا هطلت الأمطار وكانت هذه غزيرة والأنواء رحيمة تغدو البادية أريضة بهيجة يكثر فيها الكلأ وتجود المراعي . وبعضها جميل زكي الرائحة كالعرار والشيح والقيصوم ، وتتكون مساقط الغيث من الغدران والخيران . ويرى السائر قطعان الأباعر والأغنام ، ويلمح بيوت الشعر التي تخفق الأرياح فيها ويحبها البدو أكثر من القصور المشيدة . والبدو هم الناس النازلون في هذه البادية .

قال أهل اللغة من تبدّى أي نزل البادية وتعلق بالبداوة وربى الابل أو الغنم أو كليهما وارتاد الكلأ ومساقط الغيث لاجلهما فهم أعراب أهل وبر . ومن نزل بلاد الريف

---

(١) محاضرة ألقاها حضرة الاستاذ وصفي زكريا المهندس الزراعي — القاها في اغسطس (آب) من العام الماضي في حلقة الدراسات الاجتماعية للدولة العربية المنعقدة في بيروت (لبنان) بدعوة من الحكومة اللبنانية

واستوطن المدن والقرى العربية فهم عرب أهل مدر أو أهل حضر .

والبداوة ضرب من ضروب المعيشة في البلاد العربية كلها . وهي ضرورة أو حالة من حالات الاجتماع لا غنى عنها . ذلك لأن هذه البادية أو هذا الاوقيانوس الأرضي ينبت في الشتاء والربيع ويجود بمراعي وفيرة للإبل والماشية . فنحن بحاجة للإستفادة من هذه المراعي البعيدة المدى ، لعدم كفاءة مراعينا القريبة لماشيتنا وعدم إمكان السرح والارعاء لها إلا إذا ابتعدت عن البقاع المعمورة وتوغلت في البقاع المهجورة وأعني بها البادية .

فالطبيعة أو دواعي المعيشة إذن هي التي أجبرت البدو على التعلق بالبداوة رغم قسوتها وعلى حب التجوّل في البادية رغم وحشتها . ذلك لأجل اطعام الإبل والغنم التي هي سبب رزقهم ومدار معيشتهم . فلولاها لما كان البدو، ولولا البدو لما كانت الإبل ولا الغنم .

والبدو في براري الجمهورية السورية يبلغون نحو (٣٠٠٠٠٠) نسمة . وهم ذوو شأن وخطر غير يسيرين في مجتمعنا ومعاشنا من قبل ومن بعد . فكل أنواع السمن وأكثر اللحوم التي نأكلها والأصواف التي ننسجها والمطايا التي نركبها هي منهم ؛ وقسم كبير من سكان المدن الشامية كحمص وحماه وحلب ودمشق ودير الزور وغيرها يعتمد في تجارته ومرتزقه من الماشية ونتاجها على شركائه وعشرائه من هؤلاء البدو ، كما ان مقداراً غير يسير من وارد بيت مال الدولة يتألف مما يدفعه البدو من ضرائب الإبل ورسوم الأغنام .

وهم أصل العرب وذخر العروبة، ومن ثمّ وجب ان نقرّبهم الينا فننتفع بسواعدهم ونواتجهم، وننفعهم بمعارفنا ومواهبنا وبما نستطيع أن نسديه اليهم من الخدمات الاجتماعية التي فكر بها منظمو هذا المؤتمر الكرام ، فالى حضراتهم بلسان أهل البادية والحاضرة أوفر الشكر وأجزل الثناء ...

أقسام البدو

يقسم البدو في بادية الشام حسب عراقتهم بالبداوة وأطوارها الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : العشائر الجمالة أو أهل الابل ذوو النجعة البعيدة ، ويسمون في اصطلاح الافرنج البدو الرحل، وفي اصطلاح أهل بلادنا البدو الاقحاف أو الأصليين . وهؤلاء يتخذون بيوت الشعر لسكناهم والخيل لركوبهم والابل لمعاشهم ونقل أثقالهم والمقايضة في مبايعاتهم ومهر زوجاتهم ، دأبهم الظعن أو التشريق والتغريب بين قفار البادية وبراري الحاضرة ارتياداً للغدران والخبرات التي يؤلفها ماء المطر وانتجاعاً لمنابت الكلأ ، فلا يزالون في حل وترحال يقطعون في نجعتهم ٥٠٠ — ٦٠٠ كيلومتر فيصلون الى منطقة

الوديان داخل الحدود العراقيـة او منطقة الخيران داخل الحدود الأردنية والسعودية. وهوى أهل هذا القسم انما هو في البادية وصحراواتها الشاسعة ووحشتها الرائعة وحريتها المطلقة ونباتاتها وحيواناتها . وهؤلاء أشد البدو بأساً وأقلهم أنساً وأكثرهم تحملاً للمشاق – وشظف العيش ، وهم لا يغشون قرى المعمورة ومدنها الاّ نادراً وللضرورة في سني المحل والظمأ للمسابلة وشراء حاجتهم وبيع أصوافهم وأوبارهم والذكور من ابلهم وخيلهم . وهؤلاء في بلادنا هم قبيلتان كبيرتان قبيلة عنزة في براري الشامية وقبيلة شمر في براري الجزيرة وما يتبعهما من العشائر العديدة .

القسم الثاني : العشائر الغنامة أو أهل الغنم ، ويسمون في اصطلاح الافرنج نصف رحل أو نصف بدو ذوي النجعة المحدودة ، وفي اصطلاح أهل بلادنا عربان الديرة أو الشوايا. وهؤلاء أيضاً عندهم إبل وخيل بالاضافة الى الماشية ، وعندهم حل وارتحـال وطعن وضرب . لـكنهم فريقان فريق لا يرتزق الاّ بالضرع أي برعي الماشية فقط . وفريق ثان يضم الى الضرع امتلاك الضياع والأرضين باستثمارها بالحرث والزرع .

والماشية التي يقتنونها إما أن تـكون لهم وحدهم ، وإما أن تـكون لأهل المدن الشامية في حلب وحماه وحمص ودمشق ودير الزور وغيرها ، يشاركونهم في تربيتها والمتاجرة بصوفها وأدهانها التي تدر عليهم في سني الخير ثروة غير يسيرة . وهؤلاء أيضاً ينجعون في الشتاء ، ولـكن المسافات محدودة في البراري الشامية والجزيرة ، ولا تزيد عن ٢٠٠ — ٣٠٠ كيلومتر مراعاة لمقدرة الغنم ولقرب الآبار والمناهل الصالحة لورودها . وهؤلاء في بلادنا أمثال الموالي والحديديين والفواعرة والنعيم وطي والجبور والأبي شعبان وغيرهم من العشائر في الشامية والجزيرة .

القسم الثالث : العشائر المتحضرة أو المستقرة أهل الدر ، وهم الأعـراب الفلاحون (الفلاليح) الذين تركوا البداوة والبادية وآووا الى حمى الدولة وهجروا بيوت الشعر الاّ قليلاً وتحضروا وصاروا أهل قرى وبيوت طين وحجر ،وعكفوا على الحرث والزرع أكثر من تربية الماشية . وهؤلاء في بلادنا وأقضيتنا كـثيرون ممن تعددت أسماؤهم وصغرت أنسابهم وأحسابهم .

أوصاف البدو

إن حالة البادية التي شرحتها جعلت لسكانها البدو أوصافاً بدنية وأشكالاً وملامح طبيعية،وخصالاً نفسية،وأخلاقاً وأفـكاراً فطرية خاصة بهم ، يختلفون بها أي اختلاف عن العرب المتحضرين في القرى ناهيك عن سكان المدن .

فالبدو ذوو أجسام نحيفة في الغالب ، وقد تكون ضخمة ، وقامات متوسطة ، وقد تكون رشيقة ، وملامح منتظمة ، وألوان سمراء أميل الى السواد وجباه عريضة بارزة وعيون سود بصاصة، وأسارير مقطبة، وأسنان منتظمة بيضاء، وشعر مضفر، يحيط بوجوههم الأسيلة المنتهية بذقون مدورة تحمل لحية مجعدة مستدقة الطرف .

وأخلاق البدو وطباعهم غريبة كل الغرابة ، وهي مجموعة أضداد ، وملتقى محاسن ومساوىء . وهذا ناشىء عن انفرادهم في البوادي القفراء، وقضائهم فيها حياة شاقة معرضة للأخطار ، مما يجعل دمهم فواراً ومزاجهم متقلباً بتقلب أهوية الفلوات . فمن طباعهم أنهم طوال الصبر والجلد ، فهم يتحملون الحر والقر والجوع والظمأ والتعب والراحة والعمل والبطالة وكثرة المشي أو قلته بنفس واحدة دون تبرم أو ضجر . ومع هذا الجلد العجيب قد يثور فيهم الغضب العظيم ويطلبون الثأر الشديد إذا أهانهم أحد أو مس كرامتهم . وعندهم الشيء الكثير من الشمم والاباء والعفة بمعناها الصحيح وقرى الضيف وحمى الجار والنزيل ، والشجاعة والعصبية والذكاء الحاد ، والبصيرة النافذة وطلاقة اللسان، وصراحة الجنان، والروح الديمقراطية ، وحب الحرية والاستقلال .

كذلك عندهم الشيء الكثير من الطمع وحب السلب والنهب والاعتداء على حق الغير، ورعي الزروع واتلاف الغراس التي لغيرهم والطغيان والعدوان، كلما تسنى لهم هذا وتوسموا ضعفاً في الحكومات ورخاوة ذوي السلطات ، وهم لايتكلفون شيئاً من كماليات الحياة، ولا ترهقهم أعمالها ، ولا يتمرمرون ولا يتذاقلون من الأمراض والكوارث ، ولا يبالون بمهام الحياة كالحضر . ولا يعملون ولا يجهدون إلا إذا عضتهم الحاجة بأنيابها .

وأخلاق نساء البدو حسنة في الجملة . وخير ما يزينهن عزة النفس وشدة التعلق بالأهل والأزواج، وقيامهن مقامهم في أكثر الأعمال وضروب المتاعب ، فهن يقمن بكل ادارة بيوتهن، ويعن الرجال حتى في الغزوات والحروب . والمرأة في نظر البدو محترمة مصونة من التعدي ، لا تمس بأذى مهما بلغت الخصومة بين العشائر . وبناء على هذه الحرمة إذا قتلت الامرأة لا تؤدى بدية واحدة ، بل بأربعة ديات الى ثمانية ، بالنسبة الى جسامة الجريمة .

والبدويات سافرات بالطبع يتجولن في المخيمات وفي البراري بكل حرية . والضرورة أو الحاجة في حياة البدو تدعو الى الاتصال الدائم بين الجنسين سواء في حلهم أو ترحالهم وفي أفراحهم وأتراحهم ، وفي الجيرة وسكنى بيوت الشعر التي لا سبيل لحجبها وتغطيتها . كل هذا من دواعي الاختلاط وسبل التعارف والتحاب في الزواج . مع العلم بأنه محاط

بسياج قوي من الصون والعفاف والخوف . وإذا شذ الرجل أو المرأة عن العفاف تعرضا الى القتل حتماً، أو الى حدوث شجار تشترك فيه جميع أفراد العشيرة بالتطاحن والتناحر .

وأعمال البدوي كانت فيما مضى من أيام السيف والطعان ، وإطلاق العنان ، ورعي الرياض ، والغزو ، والصيد ، والقنص ، وركوب الجياد ، والطراد ، والجلاد ، أما اليوم وبعد انقطاع سبل الغزو وتطور ظروف العيش أصبح البدوي لا يكاد يعمل عملاً مذكوراً إلاّ رعي الإبل أو الغنم أو جلب الغلال وفرش البيت . وقصارى عمل الواحد منهم أن يضطجع طول نهاره يشرب قهوته وينعم بكسله وبطالته .

والنادي الوحيد لرجال العشيرة في الليل والنهار هو بيت الشيخ، لا سيما إذا قدم ضيف من الحضر . فإذا ما رأوه انسلوا من كل حدب وجاءوا لرؤيته وقعدوا حوله يرهفون آذانهم لأقواله وأخباره الطريفة . وهذا ما يسمونه (علوم) ، وأول ما يسألك البدوي في البادية أو المعمورة عن (العلوم)، وإذا لم يكن في بيت الشيخ ما يتسلون به من القصص والأخبار التي تكون عادة على نمط واحد يأخذ شاعر العشيرة ربابة يعزف عليها ويفكهم بما عنده من محفوظه أو نظمه بأشعار ، يدور أكثرها حول المآثر والمفاخر التي جرت لمشاهير الفرسان أو الغزاة ، والإنتصارات التي أحرزوها في ميادين البطولة والبسالة أو الكرم أو الأريحية ، كما يدور بعضها على وقائع الحب والهيام . وما أكثر هذه الوقائع عند البدو . ينشد الشاعر كل ذلك بلهجتهم البدوية وأنغامهم الفطرية بأسلوب لطيف شجي يتوافق مع رنات الربابة وتترنح له أعطافهم حماساً أو طرباً . وما عدا هذا النشيد أو القصيد الذي يسمعونه فإن لديهم ألعاباً كثيرة يتسلون بها ، كما أنهم يتسلون أحياناً بسباق الخيل يطلقونها ليروا الفائز منها . ويتفاخرون بالعراضة وهي أن تجتمع الخيل مستعرضة تلعب أمام نساء العشيرة، ويتسلون أحياناً بالرقص في الأعراس وحفلات الختان ، وفي أيام الربيع وأوقات الراحة . ومع وجود بعض الأرستقراطية التي تتجلى فقط في الزواج ورئاسة العشيرة والحكم فإن هناك ديمقراطية واسعة ، إذ لا يكاد يوجد فارق في طرق المعيشة الأخرى . فالفرد وشيخ العشيرة والأمير يأكلون جميعاً الرز واللحم واللبن والتمر على طراز واحد . ويلبسون جميعاً الثوب والعباءة والعقال والكوفية على زي واحد ، ويتمتع أفرادهم بحرية لاحدّ لها . فالبدوي يقف أمام الحاكم فيجادل في سبيل حقه ويستعمل كل الأساليب التي يراها موصلة الى ما يريد .

ولباس الرجال والنساء عند البدو في أيامنا هذه لا يختلف عما كانوا عليه في العصور الغابرة . وهذا اللباس لا يفارقهم في النهار ولا في الليل ، ولا يبدلونه إلاّ مرة في العام

بمناسبة عيد الفطر، وهو موافق كل الموافقة لحالة البادية وأقليمها . وأمراض البدو قليلة بالنسبة لخشونة عيشهم ولمكان الهواء النقي والشمس المطهرة في أجسامهم ولندرة ما يطعمون من الأطعمة المغلظة ، ولمحافظتهم على العفاف وعنايتهم بالزواج الباكر ، ولقلة الهموم التي تساورهم . وهم لو راعوا النظافة وسائر شروط الصحة وخلصوا من القمل الذي لا يفارقهم لعاشوا بلا مرض وعمروا أكثر . وهم لقناعتهم ورضائهم باليسير من الطعام وقلة أمراضهم وغلبة الصحة والجلد عليهم، يكون فكرهم دائماً رائقاً، وحافظتهم واسعة، وخواطرهم حاضرة . وقد تعلموا منذ نعومة أظفارهم اتخاذ الأرض فراشاً ، واحتمال حرارة الشمس المتوقدة ، والنوم غراراً والصبر على الجوع والظمأ ولو في حمارة القيظ . وهم لايتعاطون المسكرات، ولا يأكلون في الغالب إلا مرة واحدة في النهار هي الوجبة، وقدرها شيء زهيد بالنظر إلى ما يأكله أهل الحضر من كثرة الألوان وغيرها .

وفي العدد القادم العناصر الأولى من الخدمات الاجتماعية الفردية .

السرطان منحة التدخين

في المؤتمر الجراحي الأميركى بسطت نظرية جديدة بشأن نشوء السرطان، فقد تحدث غير واحد بأن التدخين يسبب السرطان الرئوي أو أن السرطان قد ينشأ عن التدخين،فقد روى الدكتور ايفارتس جراهم أستاذ الجراحة في كلية الطب في جامعة وشنطون تقارير احصائية عن ٤٠٠ حادثة من السرطانات الرئوية .

من هذه الأربع مئة حالة يندر أن تجد حالة سرطان صدرية لم يكون المصاب مفرطاً في التدخين عدة سنين . كل من يدخن أكثر من علبة في اليوم يعتبر مفرطاً في التدخين ولذلك ينصح الدكتور جراهم كل من يشتبه في نفسه أو ينبهه الطبيب الى الشبهة بحالة سرطانية ان يتوقف عن التدخين أو يقلل منه ما استطاع . فقد يمر خمس سنين على ظهور شبهة بالسرطان ونشوء هذا المرض الخبيث .

واستعمال التبغ في صور أخري كالغليون والسيجار قد يري أنه لا يمت بصلة شديدة بالسرطان . فالظاهر انه إذا كان الدخان هو سبب السرطان،فالسبب ليس في التدخين نفسه بل في تركيب مواد اللفافات . فقد يكون السر في الورق أو في نفس أوراق التبغ المخمرة أو نحو ذلك . على كل حال نصيحة الطبيب أن يقلل الناس من التدخين أو أن يبطلوه بتاتاً . وقد يقول القارىء نرى أشخاصاً يدخنون خمسين أو ستين سجارة في اليوم ولم يصابوا بالسرطان . نعم ليس التدخين شرطاً محتوماً للسرطان .

العزلة في رأس الجبل

مناقشة بين صحفي وناسك

٣ — دلة ما انقطع

القادر على كل شيء

صحوت صباحاً بعد نوم عميق هنيء وخرجت فإذا صاحبنا في الاوسطبل يخدم إخوانه. فتمشيت في المزرعة أجيل نظري هنا وهناك مبتهجاً بجمال تلك المناظر الطبيعية الخلابة إلى أن سمعته يناديني : —

يا ضيفي الصحفي تعال . عليك واجب تقضيه فنزلت في مدرج المزرعة الى صحن الدار لكي أرى الواجب الذي عليَّ . فإذا المائدة معدة بما لذ وطاب . ولما قضينا الواجب قلت : تركنا الحوار أمس عند نقطة الإصلاح الاجتماعي . ترى كيف يمكن أن يبنى المجتمع السليم .

قال: يمكنك أن تدك سدوم وعمورة أولاً لكي تبني هيكل أورشليم. قد لا تضطر الى البناء، فإذا هدمت فقد تجد ضمن ما تهدم بناءً صالحاً . أزل الفساد الطاغي يظهر العلاج المطمور. فما هو الفساد الطاغي على المجتمع الآن .

ففكرت قليلاً ثم قلت : ماذا يمكن أن يكون سوى مجموعة الرذائل .

قال : قل لي إذاً بعبارة واحدة ما هي مجموعة الرذائل .

فلم أحر جواباً . لأني لم أدرِ ماذا يضمر . فقلت تفضل فقلها أنت .

قال : جمعها موسى في الوصايا العشر . ولو تعمق في التفكير لردها جميعاً الى أصل واحد هو أم الرذائل .

— لا أزال يا سيدي أحتاج الى زيادة تفسير

— من وصايا موسى . « لا تقتل » لماذا يقتل القاتل ؟

قلت : الغالب في ظني انه يقتل لكي يستولي على مال المقتول .

حسن جداً . ومنها « لا تسرق » فلماذا يسرق السارق ؟

— للسبب نفسه .

– ومنها : « لا تكذب . لا تشهد بالزور الخ. فلماذا يكذب الكاذب ويشهد شهادة زور الخ ؟

– أظن يفعل كل ذلك لأجل اغتصاب المال . أليس كذا ما تعني ؟

قال : لقد حزرت، إذن أصل كل الرذائل هو المال . هو الدينار الجبّار .

قلت : وهل تعني أن نزيل المال لكي يصلح المجتمع ؟

قال : لا . قد نزيل المال ولا يصلح المجتمع . لأن الوصايا العشر إنما هي نهيٌ عن الرذائل، وموسى لم يأمر بفضائل . فوصاياه تشبه صبارة طمسن .

قلت : ما خبر صبّارة طمسن ؟

قال : ألم تسمع بخبرها ؟ جاءَ منذ زمان سائح أميركي الى بلادنا يدعى مستر طمسن . فرأى الناس يأكلون صبّاراً ليس في بلده مثله . فود أن يذوقه . وإنما تغيظ من كثرة بزوره وصلابتها . فجعل ينكت بزور الصبّارة بالشوكة بزرة بعد بزرة الى أن نكتها جميعاً . فاذا لم يبقَ من الصبّارة شيءٌ . كذلك الرذائل التي نهى موسى عنها إذا جعلت تطرحها واحدة واحدة فلا يبقى بعدها شيء من الأوامر بالفضائل .

فقلت : إذاً على رأيك يجب أن ننفي الرذائل وثم نبحث عن الفضائل . أو بعبارة أخرى يجب أن ننبذ أولاً الدينار الذي هو أبو الرذائل جميعاً .

قال : نعم

قلت : ولكن النظام الاجتماعي الحالي لا يستغني عن الدينار

قال : نعم النظام الحالي الاجتماعي لا يستغني عن الدينار لأن هذا الدينار أصبح فيه سلطاناً قويّاً جبّاراً . وجبروته أصل كل الشرور ، وبها يقوم النظام الحالي الذي قتل كل صلاح وسلّط كل طلاح .

قلت : انك تعزو للدينار يا سيدي قوّة تضارع قوّة الآلهة . فاذا كانت له هذه السلطة وهذه القوّة فلا يمكن أن يكون المجتمع في توازنه الحالي بين الخير والشر .

قال : أجل . ان الدينار لكذلك . ولكن ليس في المجتمع توازن بين الخير والشر البتة . الشر هو العامل المستفحل الآن . والسلطان للدينار الجبار . فإذا شئت أروي لك حكاية هذا الدينار لنرى ماذا فعل من الخير والشر .

قلت : يسرني أن أسمعها

***

الدينار الجبار

القادر على كل شيء

قال : – سأل الغيط النهر : مالك أهوج هكذا . عام غريق وعام حريق . لماذا لا تعتدل ؟ فلا طغيان ولا نقصان .

فقال النهر : أنا حُرٌّ

— عجيب أمرك . سمحتُ لك أن تمرّ فيّ فخنت وغدرت وطغيت وتجبرت .

— لم تسمح لي أنت . بل أنا أنشأتك من العدم . كنت بحراً فملأتك غريناً (طمياً) فصرت برّاً . أفلا تذكر فتشكر ؟

— أعلى طوفانك الماحق أشكرك ؟ أم على نقصانك المحرق امتنّ ؟ يجب أن تعتدل وإلاّ فأشكوك الى القادر على كل شيء

— من هذا القادر على كل شيء .

— الدينار الجبار . أما بلغتك عنه الأخبار ؟

فقهقه النهر وقال : زه زه . ماذا يستطيع هذا الدينار الذي نشأ من فضلات خيري أن يفعل ؟ أبلعه ذهباً ثم أتفله ورقاً .

فذهب الغيط الى الدينار وروى له الحديث الذي جرى بينه وبين النهر . وسأله : ما حيلتك بهذا النهر الوقح المتغطرس الذي يزدريك ، ولا يحترم حقوق ضيافتي له ؟

فقال الدينار باسماً : سأؤدبه تأديباً شديداً وأسجنه ضمن حدود يسلك فيها حسب أوامري .

وما مضت برهة من الزمن حتى قطع النهر خزانٌ يُطلق المياه منه بمقدار حسب مشيئة الدينار الجبار

* * *

نطحت السفينةُ البرزخَ . فنهض هذا قائلاً : ما هذه القحة أيتها السفينة ؟ ألا ترين أنك بلغت الى البر ، وأنت سمكة لا تستطيعين أن تفارقي الماء ؟

فقالت السفينة . بل أريد أن تخفض هامتك لكي يتصل الماء بالماء فأمر فيه .

فاستشاط البرزخ غيظاً وقال : لله من وقاحتك بأي سلطان تفرضين عليّ ارادتك ، لن أخفض هامتي . فانطحي صخري حتى يتحطم رأسك ؟ أو فعودي أدراجك وطوفي حول القارة

فقالت السفينة : سأريك أن القادر على كل شيء سيذلل هذه الهامة اليابسة تذليلاً

— ويحك ! من هذا القادر على كل شيء الذي يستطيع أن يذلل هامتي ؟
— الدينار الجبار
فقهقه البرزخ قائلاً : بخ بخ بخ[1] ستتدحرج الدنانير بين رجلي من غير أن أشعر بوجودها .
ما مضت مدة حتى شق الدينار الجبار قناة عريضة في البرزخ . وانسابت السفينة فيه وهي تتمايل تيهاً ودلالاً وتترنح سكراً من خمرة النصر . ثم قالت : أين صلابتك يا برزخ ؟ لقد ذلّت رقبتك تحت قدمي

* * *

تقدم القطار والمركبة والسيارة والمشاة الى البوغاز وقالوا : انك يا هذا عائق في سبيلنا الى البر الآخر . فلماذا هذا النوم الطويل تحت الماء . قم انهض وابسط لنا ظهرك لكي نعبر عليه
فقال البوغاز : زه زه ! من سلطكم عليّ حتى تأمروني أن أغير مناهجي . لقد سمح لكم البحر بأن تعبروه في سنين فلماذا لم تخرجوا من مركباتكم وتستقلوا السفين وتعبروا
— لسنا في حاجة الى نعمك . نريد سيراً مستمراً بلا مشقة . فارفع ظهرك لكي نمشي .
فاستشاط البوغاز وقال : اني حرٌّ . لن أفعل . موتوا غرقاً .
قالوا : إذن نشكوك الى القادر على كل شيء .
— من هذا القادر الذي يستطيع أن يقهرني .
— الدينار الجبار .
— بخ بخ . لو أفرغت كل الدنانير على ظهري لما غطته . خسئتم[2]
وذهبوا الى الدينار يحرقون الارّم وشكوا اليه عنجهية البوغاز المتمرد . فقال الدينار : مهلاً لا بحر ولا بر ولا هواء أن يتمرد على . سأريكم كيف أزدري هذا البوغاز الكافر
وما مضت برهة من الزمن حتى كان فوق البوغاز العريض جسر أعرض . وتحته نفقٌ واسع للقطرات والمركبات والسيارات والمشاة . والبوغاز بينهما يتحرّق غيظاً لا يستطيع أن ينطح الجسر ولا أن يسحق النفق .

* * *

اندفع القطار الجبار الى سفح الجبل الشامخ ونطحه . فصاح الجبل : ويحك هل أنت أعمى . كدت تكسر حقويّ .

---

(١) بخ لاظهار الرضى والاستحسان وهنا استحسان تهكمي (٢) خسيء الكلب انزجر

فقال القطار . كلاً بل أُبصر جيداً . إني أبتغي الوصول عاجلاً الى السفح الآخر المتواري . فيجب أن تميل جنبك لكي أمرّ .

زه . زه . كأنك إلٰـهٌ يأمر بالمستحيل . دع هذا الحمق ودُر حول السفح .

— بل يجب أن أخترقك .

فقهقه الجبل قائلاً : « يا جبل عالٍ لا تهزك ريح » . انطح الصخرة يا سخيف النطح .

— سأريك أن القادر على كل شيء سيهزك فتميد تحت قوته .

— عجباً . أإلٰـهاً تعني .

— نعم . هو الالٰـه القادر ، هو الدينار الجبار .

— قه . قه . الدينار الذي لفظتهُ تبراً فرقّ الى أن صار ورقاً ؟ فليأتِ وصديقتي الريح لننثره بدداً .

وذهب القطار الى الدينار الجبار وتوسل اليه أن يقهر الجبل المتغطرس ، فوعده خيراً

وما مضى حين حتى كان القطار ينساب في نفق في قلب الجبل . والجبل يتوجع من مغص دائم في جوفهِ ، ويستجير بالريح والعاصفة والزلزال ولا من مجير

* * *

وانتفخ ابن الانسان غروراً بنفسه ونادى المشرق والمغرب قائلاً يجب أن تتدانيا الى أن تصيرا واحداً ، لأننا نريد أن نتهامس ونتواصل من غير مرور زمن، ومن غير عبور مسافات .

فقالا : كفى سخافة غرور، وحماقة دعوى، أيهاذا الانسان الحقير . إنما نحن حدود الزمان والمكان على الأرض . فلا تستطيع أن تتحرك من مكان الى مكان ، من غير أن تتحرك من زمان الى زمان . هل تستطيع ؟ أليس فيلسوفك هو الذي جمعهما في لفظ « الزمكان » . تسير بين المشرقين في زمانين وفي مسافتين .

فأجاب ابن آدم في إبان زهوه . بل يجب أن استغني عن الزمان والمكان جميعاً . يجب أن أكون في نقطة في سطح الكرة الأرضية في أي حين متى شئت .

قالا : عجباً ! ألعلك صرت الالٰـه الحاضر في كل مكان وزمان .

فقال : كذا يجب أن تكون هذه الكرة الأرضية لي .

— الله الله . لا ريب إنك جُننت . لأنه لا يستطيع هذا إلاّ الالٰـه .

— أجل ديناري هو الالٰـه الأرضي .

— إذن . دع دينارك يفعل المستحيل .

وما هي إلاّ فترة حتى جمع السلكيُّ واللاسلكيُّ سطح الأرض في نقطة واحدة تحت قدمي ابن الانسان . فاهتزَّ المشرقان غضباً . ثم وجفا فرقاً وسجدا لقسوة الدينار الجبّار .

* * *

واجتمع النهر ، والبرزخ ، والبوغاز ، والجبل ، والمشرقان وجعلوا يتشاكون من طغيان الدينار الجبّار ، فقالوا أن هذا الشيطان الذي نحن أنتجناه استفحل أمره ، وارتدّ علينا مشاكساً لنا ، ومعارضاً في وظائفنا ، وجعل يقصقص جوانحنا ويكسر قوائمنا ويدك أساساتنا . فما العمل لكي نكبح جماحه ونحطّم رأسهُ .

واستلفت لغطهم الصاخبُ أذنَ الريح . فوقفت فيهم قائلةً : أتتشاكون من الدينار الجبّار إلـه الأرض ؟ فقد بُليتُ قبلكم بغطرسة هذا الإلـه الرهيب . كنت سيدة السفن الشراعية أديرها حسب هواي . فانتزع مني هذه السيادة وصارت السفن البخارية تمخر العباب في أية جهةٍ رغم عواصفي وزوابعي . وكنت سيدة الجوّ أتحرك فيه كيف أشاء ، وأظلل الأرض بالسحب كما أشاء ، فما لبث أن نطح سحبي برؤوس أبراجه الباذخة . وما لبثت طائراته الضخمة تتعالى فوقي لقد انتزع هذا الشيطان مني كل مقدرة .

فقالوا : لله ما العمل بهذا الجبار لانتزاع هذه القوَّة منه .

فقالت الريح . وهل هذه القوة قوته ، هي قوة العقل البشري وقوة العضل الحيواني . فلنلجأ إلى العقل ، ونشرح له الأذى الذي صدر من الدينار المسيطر على قوة العقل والعضل .

* * *

وذهبوا جميعاً الى العقل يشكون له الأمر . فتنهّد العقل وقال : آه . وا حرباه . وا نكبتاه بهذا الدينار . لقد خلقت الدينار ووهبته القوة ، « فلما استدَّ[1] ساعده رماني » ما لبث أن أصبح صنماً ذهبيّاً ، وفرض عليّ عبادته ، وأخضعني لسلطانه ، وامتطى متن عضلي . وجعل يستخدمني ويستثمرني ويستعمل قوّتي وقوة عضلي لنموه حتى تضخم وصار جبّاراً . وليس له من مزيةٍ ولا موهبةٍ سوى أنه ملك عنان السيادة ، فساد واستبدّ حتى صار دكتاتوراً .

فقالوا : عجباً ؟ أتكون أنت صانعه ومانحه القوة فلا تعود تقوى عليه ، بل هو يتسلط عليك ويستعبدك ؟ إذا كنت ذكيّاً فجدْ وسيلةً لاسترداد السلطة التي اغتصبها منك .

فقال العقل : لا يمكن استرداد السلطة منه إلاّ بهلاكه في هيكله — في البورصة مقتله

فقالوا : ولكن ما هو السلاح الذي يُقتل به .

(١) استد : استقام

فقال : تفاقم الطمع والشهوات قد يقضي عليه . فهل تستطيعون إهاجة الأطماع والشهوات في هيكله ؟

* * *

وهاجت عوامل الطبيعة جميعاً ، وشبت الحروب ، فاضطربت البورصة ، وتدمرت بيوت ، وعمرت بيوت ، وانتحرت أرواح ، وبطرت أرواح ، وتبددت دنانير ، واضمحلت ثروات .

ولما هدأت الطبيعة وقف الدينار أمام العقل والشكاة وقال لهم : هل انتهت معركتكم ؟ إنكم لحمقى . تظنون أني تبددتُ . والله ما كنت إلاّ سائحاً أتجول بين الخزائن والجيوب . انتقلت من مكان الى مكان الى أمكنة عديدة . ولا أزال الدينار الجبار القادر على كل شيء .

فقال العقل : بقي أيها الدينار الجبار شيء لا تستطيعه مهما استفحلت ألوهيتك .

— أستطيع كل شيء على الأرض . لا أزال إله الأرض القادر على كل شيء .

فقال العقل : خسئت . مهما استقويت واستفحلت فلا تستطيع أن تقتل الفقر . هل تستطيع ؟

فوجم الدينار الجبار . ثم قال : حقاً لا أستطيع أن أقتل الفقر . أنا والفقر صنوان صديقان . نقوم معاً ونسقط معاً ، إني وليد الفقر يا صاح . فليحيَ الفقر لكي أعيش أنا .

فقال العقل : لا تستطيع أن تقتل الفقر . ولكن الفقر سيقتلك ثم ينتحر .

* * *

هذه حكاية الدينار الجبار يا سيدي .

قلت : إنها لحكاية طريفة يا سيدي ولكنها تثبت لنا أن للدينار فضيلة عظمى لأنه لولاه لما كان لنا قناة ولا نفق ولا جسر ولا طائرة ولا لاسلكي الخ .

قال : لم يفعل الدينار شيئاً من هذا . وإنما العقل والعضل هما اللذان فعلا كل شيء . بيد أن النظام الحالي هو الذي جعل للدينار سلطة على العقل والعضل بحيث لا يعملان إلاّ بإذنه . هذا النظام استعبد العقل والعضل وأجرى نتاجهما إلى أفراد معدودين ليتبوأوا هو كواهلهم له . أزل هذا النظام يزل الدينار الإله الأرضي ويبقى العقل والعضل حرّين يعملان ويجتنيان نتاجهما

« في العدد القادم : نقاش في الديمقراطية »

جريمة القانون

قضية تستوجب البحث

كانت الساعة الحادية عشرة مساء، وقد خفت دوي السيارات حين سمع الدكتور سليم سلوم جرس الباب يطن. وما أن فتح الخادم الباب حتى دخل صديقه حليم عقل مرتاعاً منفرعاً : أرجو منك يا عزيزي الدكتور سليم أن تأتي معي الآن حالاً لأن أخي الدكتور نسيم في حالة ... وشرق حليم بدمعة. فقال سليم مبغوتاً : ويحك ! ما له ؟

فأجاب حليم باكياً : انه يحتضر. يقول الدكتور سيف المعالج انه قد يفارق الحياة الليلة. فرحماك يا سليم هلم بنا اليه لعل الله يريد أن يعمل أعجوبة عن يدك. اليوم علمت انك عدت من المؤتمر فجئت اليك.

وظهر الاضطراب الشديد على الدكتور سليم سلوم لأن الدكتور عقل صديقه الحميم فسأل بلهفة : ما مرضه. ماذا يقول الدكتور سيف ؟

— بل سل ماذا يقول الأطباء الخمسة الذين تناوبوا عليه وعقدوا جمعيات، لاجماع رأيهم فيه وهم ...

— ماذا قال الأطباء عن مرضه

فتنهد حليم عقل وقال : آه. ماذا قالوا ! حاروا أولاً في دائه. ففي أول الأمر ظنوا انه ملاريا فعالجوها، ولكن بلا جدوى، ثم غيروا رأيهم وقالوا لعله ذات الرئة (بنيمونيا)، ثم ما لبثوا أن ظنوا الباراتيفوئيد الى أن فحصوا الدم فاذا هو تيفوئيد... آه يا أخي آه أبي وأمي يندبانه الآن، لأنه سيمضي الليلة ... آه يا دكتور. هلمَّ ..

فقال الدكتور سليم متأوهاً : آه... عزيزي نسيم. لو في امكاني شيء ! إذا كان اليأس بلغ من هؤلاء الأطباء هذا المبلغ، فماذا استطيع أن أفعل ؟ أتعني أن أذهب لكي أقطع نياط قلبي بمشاهدته يفارق الحياة ؟ لا. لا أستطيع. لا احتمل أن أرى نسيماً يموت بين يدي. هل هو يعي الآن ؟

— لا. كل قوة فيه خمدت. بربك هلمَّ معي، وأنت آخر سهم في الكنانة.

فقال سليم : أذهبُ لكي أودع حبيبي نسيماً الوداع الأخير. هلمَّ نمر بصيدلية الاسعاف أولاً

واستقلا السيارة الى الاسعاف وأخذ الدكتور سليم منها انبوبتين من المصل الفسيولوجي

***

دخل الدكتور سليم سلوم فرأى صديقه الدكتور نسيم مسجى في سريره ووجهه ناصع البياض، كأنه معفر بالمسحوق الأبيض، وصدره يصعد ويهبط قليلاً بكل بطء، وجفونه مطبقة. فتقدم اليه وأمسك بمعصمه فاذا النبض خافت جداً. وحينئذٍ فتح نسيم عينيه لحظة وابتسم إذ رأى صديقه كأنه ملاك. أملاك الموت يبتسم أم ناسوت نسيم.

وفي الحال غرز الدكتور سليم ابرة المصل فيه وحقنه على مهل فاختلج قليلاً خلجة لا تكاد ترى. ثم خرج مع حليم الى الردهة وسأله حليم: كيف رأيت؟

فتنهد سليم وقال: هو بين يدي الله الآن.

فقال حليم: الله يحيي العظام وهي رميم.

— نعم. كن دائماً واثقاً برحمة الله. إني باقٍ هنا الى أن يأتي الله أمراً كان مفعولاً.

ورغرغت عينا الدكتور سليم بالدموع وقال. هل ظهر في الغائط دم.

— قليل.

— هل لك أن تذهب الى الأسعاف وتأتيني بمصل الجلاتين وعلبة حقن كورامين.

— هما عندنا هنا الآن.

***

بعد ساعة دخل الدكتور سليم وحده على المريض وعاد فسأله حليم ماذا رأى. فقال: الأمل عشرة بالمئة. ولكن العشرة لاشيء. فاعتصموا بحبل الصبر وبرحمة الله. كلنا لها. إني أسمع في هذه الغرفة شهيقاً. فادخل الى والديك وعزّهما. حرامٌ أن يبكيا حيًّا. ودعني هنا استلق على المقعد.

بعد ساعة دخل سليم الى غرفة المريض. وعاد يقول: الحالة كما هي لا بدّ من اعطائه حقنة أخرى من المصل.

وفعل كما قال. وبعد ساعة فحصه وعاد يقول: الأمل الآن عشرون بالمئة. هات علبة الكورامين.

وكانت الساعة الرابعة صباحاً حين عاد الدكتور سليم يقول الآن الأمل ثلاثون بالمئة.

في الساعة الخامسة قال: الأمل الآن خمسون بالمئة اخبر والديك.

حينئذٍ خرج والدا الدكتور نسيم متهللين وراما أن يقبّلا يدي الدكتور سليم. فنعهما، وقال ما زال نسيم تحت رحمة الله. فصليا الى الله.

في الصباح قلّ الخطر جدّاً ورجح الشفاء .

فقال حليم : لله من هؤلاء الأطباء ما أغباهم ... أما كانوا يعرفون المصل ؟

فانتهره سليم قائلاً : صه لا تقل كلمة سوء عن الأطباء لقد عملوا كل ما يستطاع . ما من طبيب إلاّ ويضحي بكل راحته وكل غالٍ وثمين لأجل شفاء عليله . ليس المصل الذي أنقذ حياته وانما مشيئة الله،لا تجنح عن رحمة الله .

-- ولكن أتصدّق يادكتور ان الدكتور سيف المعالج أعطاني شهادة وفاة ، لأنه كان يؤكد أنه سيمضي في منتصف الليل .

— ولكن ارادة الله لم تدخل في حساب الدكتور سيف . أرني الشهادة .

فناوله الشهادة،فقرأها باسماً وقال : لقد فعل الدكتور سيف الواجب الذي لاضرر فيه. وكان يظنه محتوماً ولكي يغنيك عن الجري لأجل الشهادة . فاعذره .

في اليوم التالي استغرب الدكتور سيف المعالج إنه لم يقرأ في الجرائد نعيَ الدكتور نسيم عقل . وسأل عنه بالتلفون فقيل له أنه أحسن حالاً . فأسرع الى المنزل والتقى بالدكتور سليم سلوم فأخبره هذا بما كان . فسأل حليماً عن الشهادة فقال الدكتور سليم لقد مزّقتها . فكن مطمئناً .

وقال الدكتور سليم : ان قلبه معطوب من جراء المرض فلا بدّ من مداواته كل حياته

***

تعاقبت الأيام والسنون والدكتور نسيم عقل في صحة تامة سوى وهن قلبه . فكان يداوي نفسه كطبيب فاهم عالم . وكان مدرساً للباثولوجيا في كلية الطب فلم يكن ليركب الاخطار في سبيل مهنته .

في أحد الصيوف ذهب الدكتور نسيم عقل الى أوروبا للترويح عن النفس ولزيارة المستشفيات والاطلاع على ما جدّ في الطب الداخلي من المعلومات دأب كل طبيب ينتهز كل فرصة للاستزادة من المعرفة .

ولما عاد من أوروبا علم من زملائه أن صديقه الدكتور سليماً الذي أنقذ حياته مريض مرضاً عقاماً وهو في حالة يرثى لها ، وان الأطباء ظنوا أن هناك حصاة . فلما فتحوا البطن وجدوا سرطاناً ينهش الكبد نهشاً . ولم يجدوا بدّاً من تسكين آلامه الشديدة بالمورفين .

وكان على الدكتور نسيم أن يسرع إليه توّاً لكي يتفقده لأنه مدينٌ له بعد الله بحياته. ولكن ماذا يمكنه أن يفعل لأجله إذا صحّ حكم الأطباء على مرضه . وبأي لسان يشجعه ويقوي أمله وهو طبيب مثله يفهم مصير سرطان الكبد . أو بأية لغة يعزيه ويسكن

روعه . كان يتمنى أن لا يعود من أوروبا إلاَّ بعد وفاته لكيلا يقف منه موقف العاجز اليائس . بل كان يتمنى أن يكون هو المريض وذاك طبيبه مرة ثانية .

ارتبك جدًّا وجعل يصوغ في ضميره الكلام الذي يقوله لصديقه العزيز . ولكن بأيّ كلام يموّه عليه وهو طبيب يفهم مصير السرطان . على أن عيادته له محتومة لامناص منها وإلاَّ كان ناكر الجميل .

دخل نسيم على صديقه الحميم توًّا فوجده شاحباً يتألم فبادره سليم : رحماك . ابرة المورفين قبل التسليم لأني لا أصبر على وجع . الأدوات هنا على الخوان الصغير الى جنبي

فحقنه نسيم وهو يقول له : تشجّع يا عزيزي .

— أي نعم . أين الشجاعة لدى سيف عزرائيل وعذاب الجحيم .

— كل الكلام الذي استعدَّ له الدكتور نسيم ذهب أدراج الرياح . فلم ينطق بشيء حينئذٍ لما رآه من بلوى ويأس . وقال هل ثبت للزملاء شيء أكيد ؟

فأنَّ سليم أنة الألم المبرح ، أنةً سمعها سكان الأبدية ، وقال بصوتٍ خافت واهن : فتحوا البطن لكي يعلموا ما في الكبد فوجدوا سرطاناً ، لا بل ثعباناً اسمٌ من ألف سرطان . آه يا عزيزي نسيم : لو كنت تنقذني . فقد احتملت مالم يحتمله أيوب . ولم يكن المورفين إلاَّ ليزيد فيَّ عذاباً . فإما أن أكون في ألم ناصب ، أو في خبل رهيب . آه ليتك تنقذني . فلم يتمالك نسيم عبراته وقال : ليتني فداك . آه لو يمكنني إنقاذك . ليس لك إلاَّ المورفين والصبر .

— ويحي اني أذوق الأمرّين . ولم يعد المورفين ليسكن الألم إلاَّ بمقادير تحوّل الألم الى خبَل . آه لو تنقذني .

— أنت طبيب مثلي يا نسيم . وتعلم أني لا أستطيع أن أفعل شيئاً غير الحقن بهذا العقار الإلهي .

— هذا المورفين لا يسكِّن إلاَّ آلام الجسد الى حين ، ولكن آلام النفس ؟ إذا صحوت برهة قصيرة تناوبتني الأفكار السوداء . أين المسكّن لآلام النفس ؟

— صبراً يا أخي .

— على ماذا الصبر ؟ أعلى حياة شقاء ، لا نهاية لها إلاَّ القبر ؟ إني كل يوم أشقى من يوم إلى أن يقبض عزرائيل على الروح . فلماذا الصبر ؟

— ما ذا تظنني أفعل لأجل راحتك ؟

— تستطيع أن تفعل أمراً حاسماً . تقدّم إليَّ فأقول لك .

فدنا نسيم منهُ فهمس : خلّصني من حياة لم يبقَ لي فيها مطمع ولا راحة . أليس الفناء أفضل من شقاء البقاء .

فأجفل الدكتور نسيم وقال : ويحك ! ماذا تقول

– أقول ان كل يوم أقضيه في هذا العذاب بعد حكم القدر عليَّ بالرحيل المماطل إنما هو امتداد في عذابي . فإذا شئت يا عزيزي أن تخدمني كما خدمتك تنقذني من حياتي هذه التي لا تطاق

– لا أفهم ماذا تقول .

– لست أهذي بل أقول قولاً معقولاً . بدل ذرَّتين من المورفين أعطني عشرين ذرَّة فيرتاح القلب من الخفقان الذي أنهكه . مدَّ يدك تحت المخدَّة فتعثر على ورقة هي لك ولعلك لم تعلم بخبرها حتى اليوم .

فدسَّ سليم يده تحت المخدة واستخرج الورقة واطلع . فدُهش إذ اطلع على شهادة الدكتور سيف بوفاة نسيم . وقال : لا ريب أني مدين بحياتي لك يا سليم، ليتني أستطيع أن أوفيك جزاء فضلك .

– تستطيع أن تنقذني من حياتي المعذبة كما أنقذت حياتك . واحدة بواحدة . حقنة مورفين كبيرة جدًّا تقضي الأمر . فانتفض نسيم وقال : ويحي . ارتكب جريمة القتل ؟

– لا كل زملائنا الذين عرفوا حالي وحقنوني بالمورفين يعرفون أن جسمي مشبَّع بالمورفين وكلهم يعرفون أني محكوم عليَّ بالموت حتماً . فإن لم أمت اليوم فغداً . ولا شيء يثير الشبهة . فليس ثمَّت جريمة . بل هي رحمة ، والله يغتفرها لك . بل تكون أنت يد الله الرحيم . وبك أنقذني لم أعد أطيق آلاماً ولا انتظاراً لموت قادم عليَّ قدوم السلحفاة أو قدوم الظل في الظهيرة .

وكان نسيم يفكر الى أن قال : إنك يا عزيزي تعرضني لخطر عظيم . قد أنقذك من عذابك ، ولكني أعرض حياتي للتهلكة . ليس كثيراً عليَّ أن أفتديك بحياتي لو كان فيها خلاص لك . وتنهّد نسيم وقال : آه القانون لا يرحم .

فقال سليم : تبًّا لهذا القانون الذي يوجب على الإنسان أن يتألم يوماً بعد يوم ، وأسبوعاً بعد أسبوع الى أن يموت . هل القانون فوق رحمة الله . لا أعتقد أن الأمر يصل الى دار القضاء . وليس ثمت بينة ولا دليل . فاعتصم برحمة الله وافعل .

فتململ الدكتور نسيم وهو لا يدري ماذا يقول إلى أن قال ، ما قولك أن نعقد جمعية من اخواننا الأطباء الأخصاء ونستشيرهم في الأمر .

ويحك ! أتريد أن تقيم شهوداً عليك . لا تستشر أحداً إفعل والله يغفر لك .

وكان نسيم يتردد عليه أحياناً لكي يحقنه بالمورفين كما كان يفعل الزملاء . وأخيراً ترك الزملاء سليماً لعهدة نسيم صديقه .

لم تمض بضعة أيام حتى نعت الجرائد الدكتور سليماً سلوماً معددة فضائله وخدمته للانسانية . وشيعه الى دار الأبدية جمهور الأصدقاء مترحمين عليه .

لم تمض على وفاته الا بضعة أيام حتى طلبت النيابة الدكتور نسيماً للتحقيق لأن رسالة خلواً من توقيع وصلت اليها تنص على أن الدكتور نسيماً دس سماً للدكتور سليم فقتله .

واستخرجت الجثة من مثواها وشرحت فظهر في الامعاء بقية من مورفين مستعطى من الداخل فضلاً عن مورفين في الشرايين معطى بالحقن في العضل .

ولم تعان النيابة كثيراً في استخراج الاعتراف من قلب الدكتور نسيم . اعترف أنه فعل الجريمة انقاذاً لصديقه من السرطان الذي لا يطاق . وكان ذلك بناء على طلبه . وقدم نسيم وثيقة من الفقيد تثبت انه طلب منه بإلحاح شديد ورجاء حار أن ينقذه من عذابه باعطائه جرعة كبيرة من المورفين . ففعل لأنه عرف ككل طبيب أن لا أمل بشفائه تخلصه من عذابه .

ووكل نسيم محامياً قديراً للدفاع عنه . وماذا في يد المحامي من سلاح الا أن المتهم صالح الضمير عمل ما تقتضيه الانسانية والرحمة .

ثم قال المحامي : لو كان عندنا نظام المحلفين لكان المحلفون يلجأون الى شريعة الضمير، لا الى القانون المكتوب الأصم . لأن للمحلفين قلوباً تحس وتشعر ، وضمائر تفهم العدل، وتجعل الرحمة فوق العدل ، ولكن القانون بلا قلب ولا ضمير . والمحكمة لا تستطيع أن تحيد عن القانون . ولكنها يمكنها أن تستعمل الرأفة بالمتهم وقد اقتنعت بظروف القضية .

حكمت المحكمة بناء على الظروف المخففة على المتهم بالحبس ثلاث سنين مع الأشغال فقط رحمة به .

لم يمكث نسيم في السجن سوى شهرين لأن قلبه الواهي بسبب مرضه الذي تقدم وصفه لم يحتمل الغم والشغل والبيئة فقضى الى رحمة ربه بالسكتة القلبية ، ودفن كما يدفن المجرمون السجناء من حيث لا يعلم أحد بوفاته إلا بعد حين .

وهكذا جنى القانون على بريء لا ذنب له إلا انه رحم عليلاً إجابة لرجاء الانسانية والحاح الضمير .

فما رأي أهل القضاء ؟

فراشة

جاءت تبث الروض شاكية   غصصاً من الأشواق تشجيها
مالت على الأزهار ساردةً   سِيَراً تفيض لها مآقيها
أفضت بما تخفي دخيلتها   وأتت على أسرار أهليها
والزهر آذان مفتحة   تتلقط الأخبار عن فيها
يا ضيعة للسر حين مضت   تروي على الأزهار ماضيها
قد ضيّعتْ ما استودعته ولم   ترع الأمانة أو توفيها

***

راحت تشق الأفق ضاربةً   أجوازه بجناحها تيها
بسطت جناحيها تخلتهما   جُلنارة(١) رفّت أماليها
أو مهجة عصفت بلابلها   من لوعة الذكرى لما فيها
تنداح في الآفاق سابحة   كسفينة شالت مراسيها
أرأيتها جدّت محلقة   في الأفق والظلماء تخفيها
والريح تدفعها وتجذبها   والليل ينشرها ويطويها
لكنها ظلت مكابرةً   تتصنع الاقدام تمويها
عجبي لها مما تجشمه   من شدة كانت تعانيها
هل عندها من سيرة عجب   صعدت الى الجوزاء ترويها ؟!

***

ما كان قلبك في نوازعه   الا الفراشة قام يحكيها
تهتاجه فتنٌ فتصرفه   عن سنة للحق يبغيها
وكذا الفراشة ليس يردعها   عن غيّها من راح يهديها
كم جامح للنار تحسبه   جمراً أضاء فتزدهي تيها
وتدف نحو النار ناشدةً   نوراً فترديها أمانيها !!

(دمشق)   عدنان مردم بك

---

(١) تضبط جلنارة بتشديد اللام ، وتكن بتكسير البيت ، ومعناها زهرة الرمان

وحي الصحراء

قد وقفنا ساعة بين الرمال أي حسن ها هنا يسبي خيالي
يا رمال الشوق آيات الخلود قد دعتنا فاستجبنا للجمال
يا فضاء العمر أسرار الوجود همس الساري بها بين التلال

وقفة المشدوه يا قلبي تأمل سيطر الرحمن فانظر وتمهل
هذه الصحراء في صمتٍ تنادي قدرة الخلاق في حضني فأقبل
أيها المخدوع في قلبي اليقين دع هموماً ثم بالصبر تجمل

قد طواك الشك في دنيا الظلام كيف تحيا مطمئناً في سلام
أنت عبد القيد في سجن سحيق انطلق بالروح في ظل الوئام
كلما ضمتك أشباح الظنون رحت تبغي سلوة بين المدام

أيها الجبار أذللت الرياحا يا عباب اليم هذا الموج صاحا
يا رمال البيد يا بنت الصحاري كم ضممنا بين جنبينا جراحا
يا سماء الفجر أحلامي تلاشت بين نجم سادر يبغي رواحا

أيها المكدود تبكي في أنين حدث البيداء عن هذي الشجون
كم جدود قبلنا جابوا القفار خلدوا للمجد آيات الفنون
إنما الأيام فلك في خضم كم أطاح الموج ظلماً بالسفين

كل ما حولي سكون في سكون انطوى حزناً على سرّ دفين
ثم جاء الليل كالموت البطيء ناشراً في الكون أطباق الظنون
فالتقى بالحلكة السوداء وهمٌ يدفع الأفكار في صرح الجنون

هز في صوت ينادي من بعيد يا طريد الفكر تمضي كالشريد
كم جدود قد بنوا صرح المعالي هذه آثارهم رمز الخلود
أيها الهائم في بحر الحياة عد لرملي فيه أحكام الوجود

أماني فريد

لئلا ننسى

« في مصر الآن ضيف كريم ، ولكنه ليس غريباً عن مصر فقد كان فيما قبل بضع سنوات منذ مدة طويلة مدير القسم العربي في المدرسة العبيدية وله في مصر أصدقاء من كبار العلماء والادباء . ثم عاد الى فلسطين مفتشاً للمعارف برهة ، الى أن انتهت خدمته مع الانكليز العتاة وهم تحت سيطرة اليهود ، فاعتزل الخدمة وأسس مدرسة داخلية للتعليم المتوسط (متريكيولاشن) فكان الاقبال عليها عظيماً وتخرج منها عدد من الشباب ، لان الاهالي هناك يعرفونه عالماً أديباً مربياً . ثم انتخب عضواً في المجمع اللغوي العلمي المصري — هو الاستاذ خليل السكاكيني

— ١ —

نحن في ذُروة الصَّلْـياء من جبل القطمون الى الغرب من القدس القديمة . في الشهر الرابع من سنة ١٩٤٨ ، والقتال بيننا وبين العدوّ مستحرٌ مستمرٌ : تمرُّ الليلة تِلوَ الليلة ونحن أيقاظ لا تأخذنا سِنة . ونحن وقوف وراء أكياس الرمل لا نصيب شيئاً من الراحة ، والعدوّ يشن الهجوم تِلْـو الهجوم ، فيتصدّى له « ابرهيم أبو ديّه » بطل القطمون على قلة رجاله وعتاده فيردُّه خاسراً .

ألا ! مثلُـهُ ومثل رجاله ليكن الأبطال

القتال مستحرٌ مستمرٌ ، وقد بلغ الذروة ليلة الخميس ١٩٤٨/٤/٢٩ أمّـا الأرض فقد كانت تميد تحت أقدامنا ، وأما الدار فقد كادت تسقط على رؤوسنا ، الى أن انبثق الفجر ، وإذا بابرهيم أبو دية قد أقبل من ساحة القتال وهي على بضع خطوات من دارنا أشعث أغبر منخرق القميص مثخناً بالجراح . لو رأيته لما عرفته . وهو يقول : لقد قتل أكثر رجالي .

قلنا : ألم تَستنجد أحداً ؟ قال : لا أستنجد أحداً ، إذا لم ينجدوني من تلقاء أنفسهم فلا خير فيهم .

القتال مستحرٌ مستمرٌ ورجالنا يقلّـون ، وعتادنا أوشك أن ينفد

أما ابرهيم أبو دية فانتقل برجاله الأبطال الى مكان آخر قريب ليستـأنف منه القتال .

وأما نحن فقد ترددنا كثيراً قبل أن أجمعنا على ترك تلك الناحية إلى أجل . وكنا آخر من ترك القطمون من سكانه .

... أوعينا في حقائبنا بعض ما نحتاج إليه : حرصت أن آخذ دفاتري وأوراقي لعلي أحتاج إليها . ولكن نسيت الجميع ، حرصت أن آخذ نارجيلتي وهي دماغي الثاني لا أدخن إلا قرأت أو كتبت ، ولا أقرأ أو أكتب إلا دخنت . ولكن أخذت الناربيج ونسيت النارجيلة

تركنا الدار والأثاث والمؤونة والمكتبة والثياب والبيانو العظيم الذي لا نجد ولن نجد له مثيلا . والثلاجة الكهربائية الكبيرة التي كانت وقفاً على المحلة كلها . ما احتاج جار الى قطعة ثلج يبرّد بها شرابه الا جاءَ يحمل سطله وأخذ حاجته بل ما يزيد عن حاجته . وفوق ذلك كله تركنا الأمانات الثمينة التي أرسلها إلينا أصحابها على اعتقاد منهم أن بيتنا ممتنع صعبٌ إذا تطاولت إليه الأعناق جذت . واذا امتدت إليه الأبصار رُدّت وهي كليلة . تركنا ذلك كله في كفالة الملك قطمير وهو الملاك الموكل بالأمانات .

— ٢ —

الوداع يا دارنا ! يا مستودع الأمانات . يا مجمع الخلان ، يا مقصد السمّار والزّوار في الليل والنهار .

لم يكن يمر بك أحد ولو ابن سبيل إلاّ دخل فشرب القهوة ، واذا كنا على الطعام أشركناه في ما تيسَّر . ولكن نحمد الله أن المتطفلين على كثرتهم قليلون

الوداع يا دارنا ! يا دار الأمة ، يا ملتقى أقطاب السياسة وزعماء الأدب ورجال الصحافة . وكل من كانت محطة الإذاعة تُدعوهم من كبار الخطباء والفنانين من مصر ولبنان وسوريا والعراق كأني أنا الداعي . وكأن داري دار إذاعة .

الوداع يا دارنا ؟ يا صُفّة اخوان الصفاء . يا ايوان كسرى ، يا قصر غمدان ، يا قصر بهرام جور ، يا قبة نجران . يا قصر رغدان — قصر الملك عبد الله في عمان — يا مَوْرِدَ اليُمْن — قصر الدكتور منصور فهمي باشا في القاهرة — يا سدير ، يا خوَرنق ، يا ارم ذات العماد ، يا إزال يا ظفار يا شبرد ، يا كونتننتال ، يا ميناهاوس ، يا سميراميس ، يا بلميرا ، يا كوكا كولا ، يا سان لايت صوب ! ! !

كم عقدنا فيك من جلسات . وأقمنا فيك من حفلات لتناول الشاي أو الغداء أو العشاء فكان الضيوف الكرام يلتهمون ما لذّ وطاب التهاماً ، كأن بيني وبينهما ثأراً !

الوداع يا دارنا ! لا يجهلك أحد ، بل بك تعرف الدور . إذا سأل أحدٌ : أين دار فلان ؟ قالوا له : الى يمين دار السكاكيني . الى يسارها ، من يزر فلسطين ولم يزرك فكأنه لم يزر فلسطين !

* * *

الوداع يا خزانة المشروبات . لم نفتحك إلاّ محتفلين . ومن دعابات ولدي إنه دعا مرّة أصدقاءه ، وهم كُثْر والحمد لله، الى حفلةٍ سمّاها « حفلة فتح الخزانة » ولكنه ذيّل رقاع الدعوة بقوله : الرجاء رفض الدعوة .

ولكنهم لم يرفضوا . وكان ما كان . فظُنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

لا أذكر تلك الساعة الهائلة التي خرجنا فيها من الدار مع البازي عليه سواد والقذائف تتساقط حولنا ، والرصاص يتطاير فوق رؤوسنا إلاّ دققت يداً بيد، وقلت : كيف نسينا أن نأخذ معنا كل ما في الخزانة من زجاجات ، ألا تعست العجلة !

— ٣ —

الوداع يا مكتبتي ، يا دار الحكمة . يا أكاديمية أفلاطون ، يا رواق زينو . يا حديقة أبيقور !

كم أحييت فيك الليالي الطوال أقرأ وأكتب والليل ساجٍ والناس نيام، ولا يهوّن من وجدي إلاّ أني نقلت يومياتي وهي تملأ ألوفاً من الصفحات الى مكان أمين ، فقد كان من ديدني منذ حداثتي أن أكتب كل يوم ما يمر بي من أحوال ، وما يعن لي من خواطر ، وما توحيه اليّ مطالعاتي ، وما التقطهُ من مخالطة الرجال ذوي العقول .

ولكن لا يقلق بالي إلاّ أن أكون قد نسيت يوميات أميركا ، ويوميات الحرب العالمية الأولى ، ويوميات السجن في دمشق ، وخطباً كثيرة في موضوعات مختلفة مما يخطر ولا يخطر في البال . وكل هذه اليوميات والخطب عزيزة عليّ كأنها أفلاذ كبدي .

— ٤ —

الوداع يا كتبي النفيسة ! أقول كتبي وأنا أعني أولاً أني لم أرثها عن الآباء والأجداد، فقد أدركت سن الرجال وليس في بيتنا كتاب إلا الانجيل توارثناه جيلاً بعد جيل لا لنقرأه ولكن لنتبرك به بدليل اننا وضعناه على رفٍّ عالٍ لا تصل اليه يد ، ووضعنا أمامه قنديل زيت لا ينطفىء إجلالاً له .

وأعني ثانياً أني لم استعرها من الناس كما يفعل بعضهم ممن يجيزون سرقة الكتب ،

يستعيرونها ولا يردونها. نعم لم أرثها ولم استعرها ، ولكنها من انشاء هذا العاجز ، لم أحتج إلى كتاب إلا اقتنيته ولو اشتط صاحبه في الثمن .

إذا سمعتم أن مؤلفاً أو كتبيـاً قد أصبح في غفلة من الدهر غنيـًا لا سمح الله، فاعلموا أن الجانب الأكبر من هذه الثروة هو من جيب هذا العاجز الفقير اليه تعالى ، وما من كتاب قتنيته إلا قرأته واستوعبته ، فلا تقولوا : وعند الشيخ كتبٌ ما قرأها .

وقد ملأت الكتب غرفة المطالعة من الأرض الى السقف ، من كل جانب والغرفة ليست صغيرة. وقد كان في نيتي أن أجعل الدار كلها مكتبة : نطبخ في المكتبة . ونأكل في المكتبة ، ونستقبل الضيوف في المكتبة ، وننام في المكتبة فنتخذ من الكتب وطاءنا وغطاءنا ، إذا عرينا اتخذنا من ورق الكتب ثياباً وإذا هوجمنا في عقر دارنا اتخذنا من الكتب متاريس وقذائف ، والويل ثم الويل لمن يقع على رأسه كتاب ، والويل ثم الويل لمن تنهار عليه الكتب من كل جانب فتقتله كما انهارت كتب الجاحظ عليه فقتلته. ولعلّ كتاب البيان والتبيين هو الذي أجهز عليه .

لم تعرض مشكلة في اللغة في إحدى دوائر الحكومة ، أو أحد مجالس الأدب إلاّ سألوني عنها لأنهم يعرفون أن مظان هذه المشكلة لا توجد الاّ في مكتبتي . وقد أكون من العارفين بهذه المظان .

الوداع يا كتبي ! لست أدري ما حلّ بك بعد رحيلنا . أنهبتِ، أحرقتِ، أنقلت معززة مكرمة الى مكتبة عامة أو خاصة . أصرتِ الى دكاكين البقالين تلف بأوراقك المبيعات ولو كانت بصلاً

الوداع يا كتبي !

يعزّ عليّ أن أحرم منك وأنا على أهبة الرحيل من هذه الدنيا ، وهل يستطيع من كان مثلي على أهبة الرحيل ، والبقية الباقية من عمره لا تزيد عن أربعين أو خمسين سنة أن ينشيء مكتبة جديدة ! ؟.

يعز عليّ أن أحرم منكِ وقد كنتِ غذائي الروحي . وكنتُ ولا أزال شرهاً الى هذا الغذاء . فقد كنتُ ألازمك في ليلي ونهاري. ولم يزرني أحد في الليل أو النهار إلاّ وجدني مكبـًا على كتبي . أما وقد فقدتك فقد ذهب العمر ضياعاً .

وهنا أرفع صوتي قائلاً : من له أذنان للسمع فليسمع ، من وقع في يده كتاب من كتبي فليتفضل برده اليّ وله الأجر والثواب .

— ٥ —

اني من الذين يقرأون كثيراً ، ولي لذة في قراءتي لا في ذلتي وخضوعي . وأحمد الله أني الى الآن لا أستعمل نظارتين، على حين أن كثيرين من اصدقائي من أبناء زماني بل ممن هم أصغر مني سناً لا يستطيعون القراءة إلا إذا استعملوا النظارات ، وكم أغيظهم حين يفتقدون نظاراتهم فلا يجدونها . فأقرأ وهم لا يستطيعون أن يقرأوا .

بل أحمد الله أني في تجدد مستمر كأن ابرهيم الحوراني عناني حين قال :

قدُم الزمان وهمتي تتجدَّدُ فكأنني في كل يوم أولدُ

أرحب بالآراء الجديدة على حين أن كثيرين من أبناء زماني ، بل ممن هم أصغر مني سنّاً، تُعرض عليهم الفكر الجديد فيستوحشون منه ، ويلجأون الى قديمهم .

وإني لأستغرب كيف يطيق أبناء هذا العصر ، عصر المطالعة ، أن تمر الأيام تلو الأيام، بل الشهور تلو الشهور ، بل السنون تلو السنين ، وهم لم يطالعوا كتاباً . تدخل الى بيوتهم فلا تجد فيها كتاباً ، قد يبالغون في اقتناء الرياش الغالي . فإذا زرتهم حسبت بيوتهم معارض للطرائف والتحائف ، وأما الكتب فلا يعيرونها أقل اهتمام ، على حين أن بعضهم يشغلون مناصب عالية . ومع ذلك يكتفون بما حصلوه أيام الحداثة في المدارس الإبتدائية على قلته وتفاهته . هؤلاء لا أكف عن تقريعهم وحثهم على المطالعة ، ولا بدّ أن أنجح فلا تمر خمسون أو ستون سنة من تاريخه أعلاه أو أدناه حتى أرى في كل بيت مكتبة ان شاء الله.

ومن الغرائب في هذا الباب أن أحدهم كان مولعاً باقتناء الاحذية . فإذا زاره زائر أخذه الى خزانة الأحذية ، وقال :

أنظر هذا حذاء للصيف . وهذا حذاء للشتاء . وهذا حذاء للحفلات ، وهذا حذاء للسهرات ، فقال له أحد الظرفاء :

ما هذا يا سيدي ! أهي كتب نفيسة ! !

* * *

المعرفة نوعان : ما وعاه الصدر ، وما وعاه القمطر ،

إذا سئلت ، فأجبت فمعرفتي من النوع الأول ، وإذا سئلت فرجعت الى كتبي فمعرفتي من النوع الثاني .

وقد مر بي دور كنت اعتمد فيه على ما وعاه صدري ، فكنت كما قال الأمام الشافعي :

علمي معي حيثما يممت يتبعني صدري وعاء له لا بطن صندوقي

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي أو كنت في السوق كان العلم في السوق

كنت إذا كتبت أرسل القلم على سجيته لا يخامرني شك ، ولا أراجع كتاباً . وإذا ضمني مجلس ، فتنقلنا في الحديث من موضوع الى موضوع : من العلم الى الفلسفة الى الدين الى السياسة، الى الاجتماع، الى غير ذلك من علوم الأولين والآخرين، أخذت الحديث كله على حسابي ، كأن لسان حالي يقول :

عني خذوا ، وبي اقتدوا

أعوذ بالله من الغرور .

ثم دخلت في دور ثانٍ أصبحت معرفتي فيه من النوعين معاً ، قد أسأل فأجيب، ولكن أقول : ومع ذلك تعالوا نفتش عن الجواب في مظانه . ولا يستفيد من الكتب إلا الذي خالطها ، واعتاد الرجوع اليها ، والتنقيب فيها . وإلا فلا تفيده الكتب شيئاً .

ثم دخلت في دور ثالث تسرَّب اليَّ فيه الشك في كل ما وعاه صدري ، فتناسيتُهُ ، وجعلت اعتمادي كله على ما وعاه قِمَطري .

أما اليوم وقد ذهب القمطر كما ذهب ما في الصدر فالويل لي . لقد أصبحت من أجهل الجاهلين .

لقد أصبحت أخشى إذا رويت بيتاً من الشعر ان أنسبه الى غير قائله . واذا ضمني مجلس فخضنا في الفلسفة ان أنسب ما قاله سقراط الى ارسطو ، وأنسب ما قاله نيتشه الى شوبنهاور، واذا ذكرنا مكاناً في أقصى الجنوب ان أقول انه في أقصى الشمال . واذا استشهدت بآية أو مثل أن أجعل الآية مثلاً ، وان أجعل المثل آية ، واذا تكلفت اللغة الفصحى ان أرفع المنصوب، أو أنصب المرفوع على نحو ما وقع في الحكايات التالية :

كنا خمسة في سيارة فجعلنا نتناشد الأشعار الى أن أتينا الى المتنبي . فجعل كل واحد يروي شيئاً من شعره . وكان أحدنا يسمع ولا يتكلم ، فلما جاء ذكر المتنبي خرج عن صمته فقال : لا يعجبني من شعر المتنبي إلاّ قوله :

قم في الدجى يا أيها المتعبد حتى متى فوق الأسرَّة ترقد

وهو مطلع قصيدة لليازجي الكبير وردت في كتابه مجمع البحرين ، فلم يسع أحدنا وهو أكبرنا سناً إلاّ أن قال : ليتك بقيت صامتاً .

كان أحدهم في حلقة ضمت نخبة من الأدباء ، وكانوا يتناشدون الأشعار ، ولا يذكرون بيتاً من الشعر إلاّ نسبوه الى صاحبه ، وأشاروا الى مواطن الاحسان والاساءة فيه ، فما كان من صاحبنا إلاّ أن قال :

إن هرون الرشيد لم يكن يعجبه إلاّ شعر خليل مطران.

كان أحدهم اذا ضمه مجلس يتكلف اللغة الفصحى وهو يجهلها . فتخرج من فمه يلعن بعضها بعضاً ، ومع ذلك كان العامة يحسبونه من العلماء . لأن العالم عندهم هو الذي يتكلم فلا يفهمه أحد . ففي أحد هـذه المجالس قال في سياق حديثه : رأيت الرجلُ بضم اللام في الرجل . وكان في المجلس بعض الأساتذة ، فلم يسع أحدهم إلاّ أن صاح به :

افتح اللام يا هذا ! فقال : صحيـح ، صحيـح ، مبتدا

* * *

لنرجع الى موضوعنا .

تركنا القـدس في الساعة السادسة صباحاً من يوم الجمعـة ٣٠/٤/١٩٤٨ في سيارة مدرستنا ، وكان يسوقها الفتى عبد الوافي عرفات . وقد كنت أخشى أن يكون قد غير رأيه ، اذا رأى الخطر فأحجم عن اقتحامه . لو فعل لكان في سعة من العذر . ولـكنه لم يلبث أن جاء قبل الموعد . فأعجبت بشجاعته ، وعلو همته ، وقوة ارادته . وهنا محل لأن أثني عليه أطيب الثناء .

الطرق خالية ، وما تحركت السيارة حتى انهال علينا الرصاص من كل جانب .

أسرع يا عبد الوافي أسرع ! لعلنا ننجو

وصلنا مدينة الخليل ، وكان في فم الطريق حرس مسلح . فوقفنا نسألهم ويسألوننا . ثم جعل كثيرون ينحدرون من أعالي الجبال وسلاحهم في أيديهم ليسمعوا أخبارنا ، وكان بينهم كثيرون نعرفهم ويعرفوننا منهم السيد أحمد حجة مختار قرية دوره من جبل الخليل ، وهو من أصـدقاء ابرهيم أبو دية . وقـد اشترك في معارك كثيرة من معارك القطمون فأبلى فيها البلاء الحسن . وهو ذو شطاط كصدر الرمح ، تلوح على وجهه علائم النجابة والشجاعة . فلما رآنا أقبل يجاملنا ، ويطيب خواطرنا . ويسأل عن صديقه أبو دية ثم ودعناهم وقلنا للسيارة .

مصر ، يا سيارة ، فسيري وخـدي

خليل السكاكيني

نظرات في النفس والحياة

– ٢١ –

تتمة نظرات جوتا

(١٢) أشد الصعوبات توجد حيث لا يبحث عنها الانسان سواء أكان ذلك في الحياة أو في الأدب أو في العلم . فاذا لم يجد الانسان صعوبات فليس معنى ذلك انها غير موجودة

(١٣) لو كان من المستطاع ادخار الوقت، وخزن الزمن كما يدخر المال، وكما يخزن الذهب، لحين الحاجة الى صرفه وبذله في عمل ما، لكان لذوي الكسل بعض العذر في عدم صرف وقتهم في العمل المنتج . ولكن حتى لو كان خزن الزمن وادخاره مستطاعاً ليصرفه صاحبه عند الحاجة، لكان هذا أيضاً من ضعف رأي صاحبه ، إذ يكون كمن يصرف من رأس ماله المدّخر بدل الصرف مما يربح بالعمل . والذي يصرف من رأس ماله لا من ربحه، يوشك أن يُفلس

(١٤) قيمة كل أمرٍ في الحياة تكون على قدر معونة المرء على تكميل نفسه وتهذيبها وتثقيفها . ولعلّ في هذا بعض ما في قول هازليت : ان الإنسان إذا تمنى أن يكون إنساناً آخر فهو في الحقيقة لايتمنى إلاّ أموراً تُكمل شخصيته الخاصّة ، كأنْ يتمنى ذكاء هذا، أو ثروة ذلك ، أو سعادة آخر . إذ لو تخلى عن نفسه وعقله وعن ذكرياته واحساساته وأفكاره لصار إنساناً آخر، فلا يفيده تحقق ما يتمناه بل يفيد هذا الشخص الآخر. وإذاً لو خُيِّر أفقر صعلوك وطُلِبَ منه أن يتخلى عن نفسه، وان يكون ملِكاً أو ثريّاً أو عالماً ما تصوَّر إلاّ أن ينال مُلك الأول، أو ثروة الثاني، أو علم الآخر، على شرط أن تبقى له نفسه . وهذا مصداق قول الاسكندر المقدوني : لو لم أكن الاسكندر لتمنَّيتُ أن أكون ديوجنيز (أي الفيلسوف المعروف) .

(١٥) مهما حاول الانسان أن يفسر أسباب جودة الأمور الجيدة الممتازة ، فإن في جودتها صفات لا تفسر : إذ تجلّ عن التفسير وهذا يذكرني أحد أصحاب الفن الذي كان مولعاً بالنظر الى صورة موناليزا التي عنوانها المسرورة (لاجيوكوندا) . فلما كتب والتر باتر وأطال في وصف أسباب جودتها وابتعاثها للسرور، قال صاحب الفن : إن أقوال والتر باتر عن هذه الصورة إنما هي من أدب الخيال وقصصه، أي ليست أسباباً حقيقية .

(١٦) إنه أمر مُحْرِجٌ حقّا أن يمدح الرجل الممتاز، وان يعجب به الحمقى والأغبياء. وكأن جوتا ينظر الى عكس قول المتنبي أو الى ما يكمل معنى بيته : —

واذا أتتك مَذَمَّتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأني كامل

واذا أتى المدح من أهل النقص كان مدحاً مريباً، وربما يخيل للسامع ان الممدوح ناقص مثلهم . وهذا يتفق أن يكون ،وقد لايكون، دليلا ولكنه محرج كما قال جوتا.

(١٧) كلما كبر الانسان ازداد تسامحاً اذا لم ينسَ أخطاءه وأغلاطه في ماضي حياته ، وإذا عامل الناس بمثل ما عامل نفسه به في تلك الأخطاء والأغلاط . وهذا شرط قلما يستقيم إذ ان نفس المرء كثيراً ما تدعوه الى نسيان أغلاطها وأخطائها، والى نسيان تسامحه مع نفسه ، بل انه كثيراً ما يحسب انه يكفر عن تسامحه مع نفسه في ذنوبها بالتشدد والعنف مع الناس اذا وقعوا في مثلها، الا اذا أراد أن يعذر نفسه بأن يعذر الناس، ولكن يمنعه من ذلك خوفه أن تظنّ به محاولة عذر نفسه إذا عذر الناس فيحجم عن عذرهم .

(١٨) ان صاحب الفن أو الصنع قد يجيد الصنع في فنه ، ولكنه قد يعجز عن أن يفسر سبب جودة صنعه ، كما قد يعجز عن تفسير سبب جودة صنع غيره . والواقع ان صاحب الفن قد يكون غافلاً عن جودة صنعه حتى انه قد يفضل من صَنْعَتَيْهِ أقلهما جودة فيحكم له بأنه يمتاز عما هو أحق بالتفضيل .

(١٩) في كل المقاصد والأغراض الانسانية إذا فصل المرء بين الأمر الواقع وبين التفكير النظري أخلّ بالفن والحياة ، إذ أن كلاًّ منهما متمم ومصحح لأخيه .

(٢٠) عند ما علم بعض الفرنسيين أن ميرابو الخطيب كان مديناً الى حد كبير في خطبه للمادة التي جمعها له دو مونت، ظنوا ان هذا أمر ينقص من قدر ميرابو. وقد قال جوتا : كأن أمثال هؤلاء القوم يحسبون أن هيراقليز رب القوة عند الأغريق كان يستطيع أن يستغنى عن الغذاء، وما كان يستغنى في تلك الخرافات عنه ليظهر قوته، وكذلك العبقري انما كان عبقريًّا لقدرته على الامساك بالأمور يميناً ويساراً، ولقدرته على الاستفادة منها مادة لعبقريته وعلى اعطائها حياة خاصة من لبه وإحساسه . وقال جوته أيضاً : ان ابتكار العبقري إنما يكون بذكريات مؤلفة تأليفاً فنيًّا ومنسقة تنسيقاً مبدعاً .

وقد ألمّ أبو العلاء المعري بهذه المعاني وأبدع في باب التشبيه كل الابداع في قوله :

والنحل يجني المرّ من نور الربى فيصير شهداً في طريق رضابه

أي انه يجني من الزهر ويعطي بدل ما جنى رضاب النحل ، وكذلك العبقري .

(٢١) من الصعب أن يظل المرء منفرداً عن المذاهب والجماعات لأنه إذا التحق بطائفة منها فهو حتى في حين إخفاقه وخيبته يجد الاطمئنان والسكينة والأمان . ويزداد المرء رغبة في الخير إذا اتصل بجماعة ترغب في الخير، كما يشجع على عمل الشر إذا كان في طائفة ترغب في الشر . وقول جوتا يذكرني كلمة لهازليت في صعوبة بقاء الإنسان مستقلاً عن الجماعات والأحزاب . قال : إنه تتضاءل لديه نفسه حتى يتهمها بالباطل ، وحتى يتهم رأيه إذا ألحّ عليه كل الناس بالخلاف ، ويظل كأن الأرض زالت من تحت قدميه ، وظلّ معلقاً في الفضاء — والواقع أن من يدّعي الإستقلال عن الأحزاب والجماعات يتصل بها في أمور كثيرة ، فليس هناك انفصال تام .

(٢٢) كثيراً ما تكون النظريات العامة محاولة من الرجل المتسرّع القليل الصبر الذي يحاول التخلص من الظاهرات ومن الجهد المرهق الذي يقتضيه تفسيرها،فيضع مكانها صورة أو فكرة أو كلمة جوفاء ينخدع بها من لا يجرب الأمور بنفسه، بل يعتمد على الروح الحزبية بين الجماعات .

(٢٣) عند ما نفقد الشغف بشيء والرغبة فيه ، نفقد ذكراه كما أن المرء لا يسمع ما لا يود سماعه . وهذه نظرات سيكولوجية من جوتا هي أشبه بأقوال سيجموند فرود

(٢٤) لا يستطيع المرء أن يكتسب ثقافة من غيره إلاّ إذا استطاع تثقيف نفسه .

(٢٥) إذا أخطأنا في المحسوسات،فليس الخطأ خطأ الحواس، بل خطأ ملكة الحكم على المحسوسات، فإنها تخطىء إذا لم تعرف حدود الحواس، وطرق استخدامها استخداماً صحيحاً.

(٢٦) كثيراً ما يتقدّم من يدافع عن الباطل بلطف وأدب، بينما يعتزّ من يرى نفسه على حق بما يراه من الحق في نفسه فيستغنى عن اللطف والأدب . لأن الأول يريد أن يكون باطله مقبولاً ، فيدلف الى الناس بما تهوى قلوبهم، والثاني قد يخذل الحق الذي يدافع عنه بالاعتزاز الذي ينأى به عن اللطف والأدب .

وفي الختام نقول أن في مؤلفات جوتا فكراً كثيراً يدعو الى الفكر، وإن الحكم له بأقواله أصدق من الحكم عليه بأقوال نقاده ،حتى وان كان في أقوالهم بعض الحق .

ع . ش

خلود الحياة[1]

في فلسفة اقبال

— ٢ —

في أحوال عديدة و بأساليب مختلفة يبين شاعرنا أن الحياة تختفي ضعيفة لتظهر قوية فلا خوف من ذهاب شيء لأنه سيظهر بصورة أجمل وأحسن كما مرّ في الصورة السابقة. وفي هذه القطعة يتحدّث لنا عن تزلزل الحياة واضطرابها الدائم ليزيدنا يقيناً بها .

في خضم الحياة يضطرب الموج ... ولا يستقر في أي حال

ثوران الحياة في الكون باد ... كل شيء به رهين انتقال

كل ذرّات هذه الأرض دوماً ... في احتدام وثورة واشتعال

لا يغرنك في الجبال سكون ... قد يجيء السكون بالزلزال

ليس ذاك الثبات في الفلك دائر ... إلاّ من خدعة الأنظار

لا تني في المسير قافلة الكون ... ولا تنتهي من الأسفار

عالم دائم التجدد موار الخطى ... ليس في الطريق بوان

لا يحل التغيير إلاّ خمول ... ليس يدري ما لذّة الطيران

الحياة الجهاد والجد والوثبة ... والعزم ماضياً والبكور

يقطف الزهر في الفروع ولكن ... فوق تلك الفروع تنمو زهور

اقبال يعرف هذه الحقيقة ، ويخلق لها من الطبيعة أجمل الصور وأحدث التشبيهات، ليزيل اليأس المظلم بنور الأمل المشرق. وفي هذه الأبيات دقة هذه المعاني متجلية تريك

---

(١) مقتطفات من الكتاب الذي سيظهر قريباً بعنوان « فلسفة اقبال والثقافة الاسلامية في الباكستان والهند » ترجمة الاستاذ محمد حسن الاعظمي عميد كلية اللغة العربية في الباكستان والسكرتير العام للمؤتمر الاسلامي الدائم والشيخ الصاوي شعلان دبلوم معهد اللغات الشرقية بجامعة فؤاد

الحياة ماثلة في تغيرها من جميل الى أجمل ومن حسن الى أحسن . فهو يخاطب النجم الذي يلمع في ظلام حالك مضطرباً في القبة الزرقاء قائلاً : لعلك تخشى فناء حياتك باشراق الصباح فلذلك تقضي ليلك في فزع . ويقول للمسافر في رحلة الدنيا أن موت البراعم حياة للزهور :

فناء ملايين النجوم مبشر بأنوار شمس السموات تولد
ونوم الردى سكر سيعقب نشوة بخمر حياة في الخلود تجدد
وتوديع أيام البراعيم مؤذن بخلق الزهور الباسمات جمالا
ومصنع هذا الكون بالخلق دائر فإني أرى فيه السكون محالا
وليس سوى التغيير في الكون ثابت يغير حالاً ثم ينشيء حالا

في هدوء المساء يقف إقبال في عالم سكينته وأحلامه على شاطيء بحر الراوي ناظراً الى منار قصر الملك الجغتاني الذي يسمعه قصة انقلاب الزمن، ثم يتأمل الى سفينته تجري مسرعة في البحر، ثم تغيب عن الأنظار فيترجم عن فكره المنير بهذا البيت : —

سفينة عيش المرء تبدو وتختفي ولكنها في الموج لا تتحطم

وقد تحدث اقبال في صور مختلفة عن خلود الحياة الإنسانية. والآن : تأمل الى النهر الذي ينحدر من القمم المرتفعة في ملاءته البيضاء، هابطاً كسلاسل الفضة، مرسلاً من خريره نغماً شجيّاً يتعلم منه البلبل ترجيع ألحانه، حتى اذا هبط الى السفوح والوديان، تفرقت قطراته كما يتفرق الآلاف، وكانت لا ترى الآن من ذلك الماء السلسال شيئاً فإذا مرت قليلاً بعد ذلك بين الرمال رأيت النهر متجلياً في حلاه الفضية يسقي من حوله الغابات والأعشاب.

كذلك نهر الحياة يهبط من سمائها ثم يغيب حيناً ليظهر منسقاً في مجرى الخلود. ويقدم لنا هذه الصورة الأنيقة : —

من رؤس الجبال ينحدر النهر طروب الأمواج عذب الاغاني
ينقل الطير عنه بين الروابي ما يبث الغصون من ألحان
كخدود الحور الحسان تراه في صفاء البلور حلو الخرير
ثم تمضي تلك المياه ضياعا في تلال منثورة وصخور
قطرات من النمير طوتها في ثنايا الرمال ايدي الفراق
ثم تجري بها الينابيع في الأرض فتحظى بعد النوى بالتلاق
فاذا النهر بعد ذلك في مجراه يحيي الزهور والأعشابا

فضـة تنبـت الزمرد في الأرض وتسقي النخيل والأعنابا
وحياة الانسان نهر سماوي توالت بسيره الأقـدار
كلما فاض ماؤه عاد فياضاً فما ينقضي له تيـار
شعلة النفس لا تصير رماداً ضوؤها خالد على الأزمان
كل شيء يمضي وكل حياة تنقضي غير جوهر الانسان

ويطالعنا اقبال ببرهان عميق،يحملنا على الاذعان والتصديق ،ويزيد الايمان في أنفسنا جلاء ووضوحاً . وذلك انه لما كان الحرص على الحياة وتنازع البقاء مما هو مركز في جميع طباع الأحياء، مستقر في غرائز الكائنات،وكأن القدرة بذلك نقشت سر الخلود في حب الحياة . وعموم الموت وشموله يدلنا على انه لا يؤثر في حقيقة الوجود ، وانه لا يزيد عن كونه أمراً عرضياً كالنوم الذي لا يؤثر في حيوية النائم والى هذا المعنى يشير بقوله :

سر الخلود يجري مع الدم في العروق وخالط الأرواح والاحياء
لم يحبنا الرحمن في الدنيا سدى وهو الحكيم مشيئة وقضاء
لما رأيت الموت أشملنا علمت بأنه لن يستحيل فنـاء
الموت مثل النوم يبدأ سكرة ويعود صحواً دائماً وبقاء

لا توجد في علوم الطبيعة قيمة خاصة للحياة الانسانية وليس للمعاني الانسانية العليا شأن خاص في هذه الكائنات ولكن الدين يعلمنا أن الانسانية أشرف المخلوقات بل ان هذه الكائنات خلقت لأجله .

واذا كان هذا صحيحاً فتأملوا الى تلك النجوم التي تنير منذ ملايين السنين التي تكبو العقول دون حساب أعمارها فلنوازنها بالانسان الذي هو أبعد نظراً ، وأعلى قيمة وشرفاً من النجوم ، ومما وراء الأفلاك .

وليست السماء في سعة فطرته الا نقطة ومقصد حياته أعلى من مقامات الملائكة،ومن أنفاسه يتجلى النور في محافل القدرة . وقد حمل الأمانة التي عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها . فهل تحيا هذه النجوم كل هذا العمر الطويل والانسان الذي يساميها بقلامة ظفره يفنى في لحظة ؟ وهل هو أقل من هذه الذرات اللامعة حتى تبقى هي في لمعانها ثم يمحى ضياؤه في لمحة ...

يا أيها المسلم إن الأرض والسماء لك ضياؤك القدسي أعلى من شرارات الفلك

ما جئت في الدنيا لتفنى وهي بالخالد تدوم
هل تصبح الشمس أقل قيمة من النجوم

تأملوا الى حقيقة البذور عندما غطيت بتراب الأرض وهي لم تضمحل تحت الثرى ولم ينضب معين حيويتها، وهي دفينة في ترابها. بل كما كانت في تفاعلها مضطربة للنشوة والنماء وشعلة الحياة المستورة في وجودها لم تنطفىء من تلك الظلمات، حتى نمت وترعرعت وتفتحت أكمامها بالزهور الباسمات عن أجمل الألوان وأعطر النسيم حتى أوحت الى نفس الشاعر هذه الأبيات.

لقد دفنوا في التراب البذور فلم تفن في لحدها الهامد
ولم تنطفىء نارها في الحياة على طول مرقدها البارد
لقد نسجت للحياة البقاء وصاغت من الزهر أبهى حلاه
نما غصنها زاهراً واستعادت من الموت تجديد ذوق الحياة

الشاعر الوحيد يعبر عن المعنى الواحد بأساليب مختلفة، ولا ضير عليه من تكرار المعنى الذي يفتن له في تجديد الحلة وتجميل الأسلوب، وهذا هو شأن اقبال. فقد عبر لنا عن مساء الموت وصبح الخلود في الصور السابقة، ثم هو يعيد هذا المعنى في ثوب آخر حين يعرض علينا الصباح مقبلاً في حلته الباهرة يوقظ العالم لاستقبال الحياة بنشوة وأمل.

وما الموت بهذا المشهد الطبيعي الجميل إلا صورة واليك هذه الأبيات :

حينما يسفر الصباح نديًّا ناصعاً في مواكب الاشراق
يغسل النور في المشارق أدر ان الدياجي عن حلة الآفاق
ويطير الكرى وينتبه العشب وتصحو عزائم الكائنات
ويهب الأحياء في البر والبحر ليستقبلوا عروس الحياة
وإذا كان للخلائق ناموس يرينا الصباح بعد المساء
فكذا تذهب الحياة ولكن بعد ليل الحمام صبح البقاء

ليست حلقات الحياة الإنسانية ضيقة الى حد أن ترتبط بالهيكل الترابي وجوداً وعدماً. ثم أن الدنيا أول المنازل وليست آخرها. هذه القبة الزرقاء ليست نهاية وجودنا، وليست الأجسام إلا وكراً لهذه الأرواح، فاذا ذهب الوكر يخلق وكر آخر. هـذا هو عمل الفطرة

التي لا تتقيد بسلسلتي الليل والنهار . وقد حدثنا اقبال عن هذا العمل أحسن الحديث وبين أن المسلم عظيم الشأن في الخلود، وأنه أقوى وأعظم من هذا الكون المحدود : —

فوق السماء أيها الحر سماوات أخر وفوق هذا المجد في دنياك مجد منتظر

بعد الحياة أيها المسلم تبدأ الحياه صانع دنياك وأخراك معاً هو الاله

ان البرايا دول بها الفضاء حافل لم تنقطع من الطريق هذه القوافل

وكم وراء عالم الألوان من عوالم فلا تضع حداً لما في النفس من عزائم

كل الذي تعرفه ليس نهاية الوجود فكم توارت مدن وراء هذه الحدود

ان هدم العش ففي البستان تنشأ الوكور طرْ للخلود مؤمناً ليس الجمود للطيور

نبعد هذا الظل يا بلبل ماء وهواء وجنة أخرى يطيب في رياضها الغناء

الليل والنهار للآمال لا يتسعان فاطلب مقاماً للعلا فوق الزمان والمكان

تذهب الأفراد ويبقى النسل والأمة — ويجب على المسلمين أن يذكروا أن بقاءهم في هذه الدنيا ضروري لتكميل حكمة الله . والرسالة التي لم تتم في أمتي الخليل والكليم يتمها أذان المسلم، ان النسيم العليل يمر على البراعم، ولكن الزهور لا تستكمل نموها حتى تدمي يد البستاني أغصانها وأشجارها بالتشذيب . والصاعقة تسقط على وكر القمري فيموت والبلبل يقع فريسة في شرك الصياد ولكن رونق الربيع باق . وآلاف الطيور تقبل وتنشد ألحانها وتطير والبستان لا يزال قائماً : —

اذا سقطت زهرة في الربيع فكم في بساتينه من زهور

ويارب لؤلؤة حطموها لترفع في التاج أو في النحور

يغيب الصباح من المشرقين ويمضي المساء من المغربين

وما زال يقبل هذا وذاك جديد يدين في حلة النيرين

مئات السنين مضت في الحياة وما استنفدت بحر أزمانها

وكم أفرغ الشاربون الكؤوس وما زالت الخمر في حانها

وكم زال أمس فوافى غد وكم أشرق النور بعد الظلم

يزول عن الارض أفرادها وتبقى الشعوب بها والامم

المسلم آية من آيات الله ، وآيات الله لا تزول . المسلم ، باق ليرفع العلم ويتسنم خلافة الأرض . وأعداء الاسلام يحاولون أن يسقط هذا العلم وان يذهب المسلمون . ولكن هؤلاء الأعداء أنفسهم كثيراً ما يشاهدون نور الاسلام فيصبحون في طليعة أنصاره وحماته، فينقلب عدوانهم حماية ورعاية . اذا سقطت بعض مواطن المسلمين فالمسلم سيبقى والاسلام لن يفنى : —

ذلك المسلم من أندلس سيعيد العزم في الشمس مكانه
من سقاه العشق يوماً خمره لم يعد في السكر محتاجاً لحانه
والليالي علمتنا عبراً في الذي مرَّ به غزو التتار
كفروا ثم اجتلوا نور الهدى فاهتدوا لما رأوا ذاك المنار
عرفوا الاسلام فانقادوا له وغدا أعداؤه ركن حماه

المنظر الذي يروع الإنسان هو حركة الموت التي تسكن بعدها الأعضاء، وتبرد الحواس. فبينما يراك اقبال مرتعداً مذعوراً لهذا المشهد الرهيب، يضع على قلبك برد العزاء ويبين لك أن ملك الموت لا يميت الأرواح ، وان أفنى عالم الأشباح : —

يعصف الموت بالجسوم ولكن ليس يغني من قوة النفس شيّا
تصعد الروح للخلود ويبقى عالم الغيب والشهادة حيّا
لا تمت من مخافة الموت جهلاً فبغير الأنفاس روحك تحيا

ليس الإنسان من هذا العالم في شيء فجميع ما حوله من المظاهر الماديّة تضمحل وتذهب مع الهشيم ، ويبقى بعد ذلك جوهر الانسان ساطعاً . يحدّثنا عنه اقبال : —

هوى سرير « كيقباد »[1] وانطوى اكليل « جم »
وأصبح الكل رماداً مثل هيكل الصنم
أما أنا فلست أدري أين يعلو نظري
أنا تراب غير أن الشمس دون جوهري

(١) كيقباد وجم من ملوك الفرس القدماء.

البترول
في الشرق الاوسط[1]

تبشر حركة التوسع في استغلال البترول في الشرق الأوسط بأن تكون وسيلة لتحرير الدول أنفسها من الفقر المدقع الناشىء من تقييد الزراعة والاقتصاد فيها .

وقد أمكن الوقوف على معلومات وتقديرات حديثة استناداً الى نتائج هذه البحوث عن مبلغ استنباط البترول في الشرق الأوسط . غير ان بعض هذه المعلومات لا يزال تقريبيا ويجب أن نقبله بحذر وقتيا حتى تصل إلينا معلومات أوفى منها .

وأحدث معلومات جدت عن كميات الزيت الخام التي اكتشفت في خلال السنوات العشر الماضية في البلدان المحيطة بالخليج الفارسي تشير الى أن ما ثبت وجوده فعلاً هو ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٣٢ برميل من الزيت في هذه المنطقة مقابل ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٢٤ مليون برميل ثبت وجودها في الولايات المتحدة حالياً .

ويمكن توزيع هذه المقادير في منطقة الشرق الأوسط كما يأتي : بالبليون برميل

المملكة العربية السعودية	٧	بلايين برميل
الكويت	٩	» »
العراق	٦	» »
ايران	٩ر٨	» »
القطر المصري	١	» »

ومافتئت هيئة البحوث تعتقد من زمن أن الخليج الفارسي هو المنطقة الرئيسية لاستخراج البترول في العالم .

(١) نشرت جريدة النيويورك تيمس من مدة بحثاً مستفيضاً أعدته الشركة الاميركية العربية للزيوت عن البترول في الشرق . ونحن ننشر هذا البحث لما لمسألة البترول من أهمية كبرى في الصراع الدولي القائم .

وعلى ذلك يمكن توزيع المقادير المستخرجة يومياً كما يأتي :

المملكة السعودية العربية	٤٢٥ ألف برميل
إيران	٥٠٠ » »
العراق	٨٧٫٥ » »
	خفضت مؤقتاً الى ٤٣٫٧ ألف برميل
البحرين	٣٠ ألف برميل
الكويت	١٠٠ » »

وكذلك أذيع أن ما مجموعه ١٫١٤٢٫٥٠٠ برميل يستخرج يومياً

وتساهم بنصف الانتاج شركات أهلية أميركية ، تسيطر عليها تماماً الحكومة السعودية، وحكومة البحرين ، وتشرف عليها إشرافاً جزئياً حكومتا الكويت والعراق .

وفي الأحوال العادية حين لا تضطرم فلسطين بنار الحرب يمكن استنباط ٨٧٫٥٠٠ برميل يومياً بواسطة أنابيب للزيت تنتهي مصباتها على ساحل البحر المتوسط ، غير أنه لا يمكن الآن ان ينقل الا ٤٣٫٧٥٠ برميل بهذه الوسيلة .

ومعدل ما يشحن يومياً الى الشرق الأقصى هو ٤١٠٫٠٠٠ برميل كما أن ٦٠٠٫٠٠٠ برميل تنقل من شبه الجزيرة العربية بواسطة ناقلات البترول الى أوروبا والى مناطق أخرى منها الولايات المتحدة ، وذلك لسد حاجاتها ، أما الباقي فيبقى للاستهلاك المحلي ، وقد يضيع بعضه في عمليات التكرير .

وأصبح من المتوقع أن يبلغ مقدار ما ينقل من الزيت الخام من الشرق الأوسط الى الغرب حتى سنة ١٩٥١ أكثر من ١٫١٠٠٫٠٠٠ برميل يومياً .

أما في سنة ١٩٥٦ فقد يبلغ ١٫٥٠٠٫٠٠٠ برميل .

ويشمل مشروع أنابيب الزيت بعد إقامة خطين، قطر أنابيب كل منهما ١٢ بوصة، وهما تابعان لشركة البترول العراقية ، يبدآن من كيركوك ويصل أحدهما الى حيفا، والآخر الى طرابلس ، وينساب في كل منهما ٤٣٫٧٥٠ برميل يومياً .

وتشمل مشروعات أنابيب الزيت المقترحة مد خط قطره ١٦ بوصة، تنشئه شركة البترول العراقية من كيركوك الى حيفا لنقل ٨٧٫٥٠٠ برميل يومياً ، ويظن ان ينتهي انشاء هذا الخط في أول يناير ، كما أن الشركة عينها تمد خطاً آخراً من كيركوك الى طرابلس لنقل ٨٧٫٥٠٠ برميل أخرى يُنتَهَى من انشائه في ابريل سنة ١٩٥٠ ، وكذلك تقوم شركة الانابيب عبر الأراضي العربية بمد خط يتفاوت قطره بين ٣٠ و ٣١ بوصه من الجزيرة

العربية الى صيدا ينساب فيه ٣٠٠٫٠٠٠ برميل يوميًا ، وقُدِّر لهذا المشروع أن ينتهي في أول يناير سنة ١٩٥٠ . (فهل انتهى يا ترى ؟)

واقترحت ثلاثة مشروعات أخرى لمد خطوط البترول وقُدِّر لها أن تتم في أثناء سنة ١٩٥٣ أو بانتهائها ، وتشمل هذه المشروعات مد خط يتفاوت قطره بين ٣٤ بوصة و ٣٦ تنشئه شركة أنابيب الشرق الأوسط . ويمتد من ايران الى سوريا لنقل ٥٣٥٫٠٠٠ برميل

وتقوم شركة الخطوط الشرقية الكويتية بمد خط من نوعه يبدأ من الكويت ويمتد الى أن يصب في بقعة لم تعين بعد . وذلك لتيسير مهمة نقل ٣٠٠٫٠٠٠ برميل . وكذلك تقوم شركة البترول العراقية بمد خط ثالث قطر أنابيبه ٣٠ بوصة يبدأ من كيركوك ويمتد الى طرابلس لنقل ٣٠٠٫٠٠٠ برميل (كل يوم ؟) .

وجاء في تقارير هيئة الباحثين أن مشروعات مدّ أنابيب البترول المقترحة من شأنها نقل ١٫٦٩٧٫٥٠٠ برميل يوميًا .

ووجد هؤلاء الباحثون ان طاقة معامل تكرير البترول في الشرق الأوسط في الوقت الحالي هي ٨٢١٫٠٠٠ برميل يوميًا ، غير أن هذه الطاقة ستزيد في المستقبل حتى تصل الى ١٫١٠٠٫٤٠٠ برميل بعد تنفيذ المشروعات الجديدة .

***

وأشار الباحثون الى أن توزيع معامل تكرير البترول في الشرق الأوسط سواء في ما أنشيء فعلاً أو ما يعتزم انشاؤه هو كما يلي:

إيران (الشركة الانجلو إيران) طاقتها الحالية ٤٢٢٫١٠٠ برميل — تزاد إلى ٤٩٥٫٠٥٠ برميل في المستقبل .

البحرين (شركة بترول البحرين) طاقتها الحالية ١٦٠٫١٠٠ برميل — تزاد الى ١٦٥٫٥٠٠ برميل في المستقبل .

المملكة السعودية (الشركة العربية الأميركية للبترول) طاقتها الحالية ١٣٤٫٠٠٠ برميل — تزاد الى ١٤٠٫٠٠٠ برميل في المستقبل .

فلسطين (شركة كونسيلدليدشيد للتكرير) طاقتها الحالية ٩٠٫٠٠٠ برميل تزاد الى ١٥٤٫٠٠٠ برميل في المستقبل .

العراق (شركة البترول العراقية) طاقتها الحالية ٩٫٩٠٠ برميل حالياً .

لبنان (سكوني فاكوم) ٥٫٠٠٠ برميل حالياً .

صيدا (شركة تكرير البحر المتوسط) — تزاد الى ٥٠٠ر٨١ برميل في المستقبل .
الكويت (شركة الكويت للبترول) — تزاد الى ٠٠٠ر٥٠ برميل في المستقبل .
ويبحث الآن مشروع إنشاء مصانع كبيرة لتكرير البترول في طرابلس .

وقدرت هيئة الباحثين نفقات التكرير ومد خطوط البترول ومعدات الإنتاج بنحو ٠٠٠ر٠٠٠ر٩٢٤ر١دولار ، وذلك في خمس سنوات تبدأ من سنة١٩٤٨ وتنتهي سنة ١٩٥٣ وإذا وزعت هذه النفقات على دول الشرق الأوسط كان نصيب كل منها ما يلي :

شركة أنابيب البترول عبر الأراضي العربية	٢٠٠ مليون دولار .
شركة التكرير للبحر المتوسط	٦٩ » »
شركة العراق للبترول	١٨٠ » »
أعمال التكرير الاضافية في حيفا	٢٥ » »
وسائل الإنتاج للشركة العربية الأميركية	٣٢٠ » »
شركة أنابيب الشرق الأوسط	٢٣٠ » »
شركة الخطوط الشرقية الكويتية	٢٠٠ » »

وسائل الانتاج في العراق ، والكويت والمنطقة المحايدة ، والبحرين ، والقطر ، وبعض مناطق أخرى ٧٠٠ مليون دولار

وعند ما عرضت هيئة الباحثين دول الشرق الأوسط دولة دولة وجدت أنه وإن كانت الزراعة تتقدم في بعض هذه المناطق ، فإن تحسين نوع الإنتاج الزراعي لن يكون قاعدة عامة في جميع هذه المناطق .

وعلى كل حال ، فإن هذه الهيئة تعتقد أن استغلال هذه الموارد لا يقتصر أثره على إنماء النهضة الصناعية بزيادة الوقود ، بل سيمهد كذلك سبيل المبادلات مع البلاد الأجنبية لتحقيق الارتقاء الداخلي وتهيئة وظائف للموظفين ، وبذلك تتحسن حالة عشرات من الآلاف من العائلات عدا ما يترتب على ذلك من مزايا لا حصر لها .

وقررت هذه الهيئة أن المبادلات الخارجية السنوية التي تنشط بفعل نهضة البترول في عشر دول في الفترة بين سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٣ يبلغ قدرها ٠٠٠ر٩٦٨ر١٥٤ دولاراً فتكون حصة الفرد ٤٠ر٩ من الدولارات

* * *

وهذا المبلغ يشمل ما يدفع مباشرةً للحكومات من أرباح الامتيازات والضرائب العادية والرسوم الجمركية وسواها ، وكذلك الأجور التي تدفع للموظفين والعمال ورسوم تأجير الأراضي وتكاليف الطعام والأدوات والحاجات الطبية ونفقات أسباب الترفيه...الخ وثلث هذا القدر سيكون بالاسترليني لا بالدولارات .

ويقدر مجموع الأرباح الناتجة من المبادلات الخارجية السنوية وفوائد هذه المبادلات بالنسبة للفرد هي كما يلي :

	الدخل للحكومة بملايين الدولارات	حصة الفرد بالدولارات
المملكة السعودية	٧٦ر٢ مليون دولار	٧ر٠٨ مليون دولار
العراق	٣١ر٩ »	١٥ر٢٥ »
شرق الأردن	١ر٠ »	٢ر٦٣ »
فلسطين	٢ر٧ »	١ر٤٠ »
سوريا	٤ر١ »	١ر٢٧ »
لبنان	٥ر٤ »	٤ر٧٧ »
الكويت	٢٤ر٥ »	٣٠٦ر٠٠ »
البحرين	٦ر٦ »	٥٥ر٠٠ »
القطر	٠ر٥ »	١٩ر٢٥ »
بعض الأمارات الصغيرة	٠ر٥ »	٦ر٢٥ »
مواقع أخرى	١ر٥ »	—

وفضلاً عن ذلك يصرف مبلغ ٥٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار سنوياً في تلك المناطق للموظفين الأجانب في شركات البترول ، وهي عبارة عن منح ومكافآت استثنائية . . . الخ ، وبذلك يرتفع مجموع فوائد المبادلات الخارجية الى ٢٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار سنوياً على ما يعتقد رجال هذه الهيئة . وهكذا يصبح متوسط فوائد المبادلات الخارجية السنوية للفرد ١٢ر١٠ من الدولارات أو ٦ر٢٠ من الدولارات ، هذا إذا شمل التقدير مصر التي لا تنتفع من هذه الأموال انتفاعاً مباشراً .

(ترجما عن الانجليزية) وليم أمين

فضائل الماسونية

لا حرية، ولا اخاء، ولا مساواة

الماسونية كما فهمناها هي جمعية يقال أنها سرّية . ونحن نعلم ألاّ سرّ عظيم الشأن فيها أو مفيد للبشرية والحضارة سوى علامات الدرجات ومؤامرات سرّية مختلفة الأغراض . وفيما سوى ذلك فهي في دعوى أصحابها جمعية انسانية تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر . هاتان الوصيتان من مزايا القرآن والانجيل، ومن مبادىء النصارى والمسلمين . فإذا لم يكن للماسونية تعليم آخر أفضل من هذين التعليمين فلا لزوم لها . واذا كان الانجيل والقرآن لم يرقيا الروح الانسانيـة في البشر فتعاليم الماسونيـة لا تستطيع أن ترقي البشر في الفضيلة والانسانية . بعد محمد (صلعم) ويسوع لم يبق لزوم لرسول ولا لمسيح لأن التعاليم الدينية التي دخلت على البشرية منـذ بضعة آلاف من السنين الى الآن لم تعد تحتمل الزيادة . فقول كنفوشيوس « اعمل للنـاس ما تريد أن يعملوه لك » ، وقول يسوع ابن مريم « لا تفعلوا في الناس ما لا تريدون أن يفعلوه فيكم » ، وقول النبي محمد بمثل هذا المعنى — في هذه الأقوال فصل الخطاب . وبعد هذه الأقوال لم يعد لزوم لقول آخر . لو كان الناس يعملون بهذا التعليم بكل معناه تماماً ، لـكان العالم منـذ نشأ وتحضر الى اليوم ، فردوساً أنعم من فردوس آدم وحواء . ولـكن ما نفع التعاليم والناس يعلمون ولا يفعلون . فالبشرية لا تحتاج الى تعاليم ، وإنما تحتاج الى ضمائر تعمل بمقتضى التعاليم .

اجتمع مرّة قسيس انكليزي بغندي رحمه الله . وفيما هما يتحادثان قال القسيس لغندي « تـكلمني كأنك مسيحي » . قال : « نعم . أنا مسيحي » . قال « لماذا لا تعلن مسيحيتك » قال . « هـذه ديانة لا تعلن بل يعمل بهـا » . فليست العبرة بالانتساب الى الدين بل العبرة بالعمل بمقتضى الدين .

وغرضي أن أقول ان العالم لا تنقصه ديانة ولا جمعية تعليمية وإنما تنقصه قوة تمونية تغير قلوب البشر لـكي يحبوا بعضهم بعضاً ولا يقاتلوا بعضهم بعضاً : لأنه ما من واحـد منهم يريد أن يقتله أحد فلا ينبغي أن يقتل أحداً .

اذا كانت الماسونية تعلم بالفضيلة والانسانية وعمل الخير والسعي الى السلام فلا لزوم لها،

فقد سبقها أنبياء ورسل وعلموا بهذا وعملوا، وأحدهم أثبت تعاليمه بدمه. فان كان عند الماسونية تعليم جديد أصلح للبشرية من تلك فلتعلنها للناس ولا تدعها سرية. لأن التعليم الصالح لا ينفع إلاّ معلناً.

* * *

الماسونية بدعة يهودية لأغراض خاصة باليهود هي واسطة لا غاية. ابتدعت بدهاء فائق. وصُبغت بصبغة السرية لكي تستهوي الناس، لأن الناس بطبيعة نفوسهم يبتغون أن يعرفوا الأسرار. فدخل فيها الخاصة كالعامة حتى الحكام والملوك دخلوا فيها لكي يعرفوا أسرارها وقد غرّ الماسون الناس بها بقولهم بأنها تأمر بأن يكون أناسها إخواناً متعاونين متصادقين ومتساويين كبيرهم كصغيرهم. والوضيع يغتبط حين يقول له الرفيع يا أخي.

ولما كان محفل نيازي (الذي لم يعش طويلاً) في القاهرة يحتفل بتأبين الملك ادورد السابع كان الاخوان مغتبطين أي اغتباط حين كان الأستاذ وهو يؤبن يقول « أخونا ادورد » (لا ملك، ولا جلالة المغفور له الملك)

فهم اخوان بالكلام فقط، وبالواقع، الوضيع باقٍ وضيعاً، والرفيع باقٍ رفيعاً. ذاك يسكن في « البدرون » أي تحت الطبقة الأولى وذاك يسكن في أعلى القصور. وذاك يمشي على رجليه، وهذا يركب السيارة في الشارع العريض ويذعر المشاة بزمّارته المنذرة بالدهس

إن آية « الحرية والاخاء والمساواة » التي جعلتها الماسونية شعاراً لها فتنت الناس السذّج فظنوا أن في الماسونية سعادة الاخوان. وزادهم اغتراراً بها وغروراً أنهم يحسبون الأخ الماسوني نصيراً لأخيه الماسوني، وأن الماسونية تؤيد السلام والحق والعدل. ولكن عند التحقيق يظهر أن هذا الكلام أجوف. وإنما كان يستغلّهُ بعض اليهود ويتوسلون به الى الكسب، وعندنا شاهد، ان ثريّاً مصريّاً غرّر به الطليان الماسون وجعلوه أستاذاً أعظم وثمّ استنزفوا ثروته

ومنذ ظهرت الماسونية جمعية ناشئة الى الآن ما رأينا منها عملاً إنسانيّاً عظيماً ولا مهمة سياسية ولا خدمة نافعة للجنس البشري في حين أنها مستغرقة كل الجنس البشري. كان في إمكانها وهي تسيطر على الكبير والصغير وعلى الملك والوزير وعلى الغني والفقير أن تمنع الحروب. بل بالعكس رأينا جميع الثورات والحروب الأخيرة في القرن الماضي والقرن الحاضر قامت بدسائس ماسونية. وكان أبطال هذه الدسائس ماسونيين منذ حرب السبعين الألمانية الفرنساوية، الى الإنقلاب العثماني، الى الحرب الكبرى السابقة، الى ثورة الإنقلاب الروسي ونشوء الشيوعية، الى المسألة الفلسطينية الى الحرب الأخيرة العظمى —

كل ذلك كان بدسائس يهودية ماسونيـة والغرض منها إنشاء دولة صهيونية تنمو الى أن تسيطر على جميع العالم .

وأخيراً ظهرت الصهيونية ممتطية الماسونية . والصهيونية قديمة من عهد سليمان وقد تمخض بها الزمان أخيراً فولدت دولة إسرائيل . ولولا هـذا الغرض لما كان لها وجود ولا لزوم . وكان مخترعوها مهرةً شطّـاراً فجعلوها بشكل يعمّ كل العالم لـكي يكون كل الناس خدامها وهم لا يدرون . فأدخلوا فيهـا الحـكام والساسة العظام وكل من كان ذا نفوذ دخلوها بطلاء الحرية والاخاء والمساواة وهي كلمات تغر وتستهوي وادعوا أن غرضها انساني بحت . وبهـذه الخدعة استهووا كبار الناس وطووهم فيها . وما أدرك الناس انها لخدمة الصهيونية الا لما ظهر الـكتاب السري الذي يشتمل على بروتوكولات الثلاث مئة شيخ من شيوخ اسرائيل في أواخر القرن الماضي،وفيه يصرحون بالصهيونية وباستخدام الماسونية لها . وعلى الرغم من انـكارهم ان البروتوكولات مزيفة ومدسوسة عليهم دسًّا فقد برح الخفاء وظهرت الحقيقة وهي أن الحركة الصهيونية قديمة جدًّا ، وغرضها تحين الفرص لانشاء دولة اسرائيل الشاملة.وقد اثبتوا الماسونية لهذا الغرض ونجحوا

ثم قرروا الفكرة الشيطانية وهي أن يستخدموا جميع الأمم والناس لغرضهم هـذا من غير أن يدروا . ولـكن بعد ذلك تشتتت اليهود مراراً إذ غزاهم الرومان وغيرهم . فصاروا كلما غُـزوا مرة ازدادت صهيونيتهم صلابة،ولـكي تقوم لها قائمة اخترعوا الماسونية .

ولما نجحت الماسونية بعض النجاح أوكله جعلوها ٣ فرق (كما يقـول السيد يوسف الحاج اللبناني الأستاذ الأعظم الحائز على درجة ٣٣ وهو مندوب سام على شروق (محافل) سوريا ولبنان وفلسطين والعراقين)

الفرقة الأولى الماسونية الرمزية العامة وهذه مباحة لمن يروم أن ينتظم فيها من الناس على اختلاف جنسياتهم وأديانهم وصياساتهم .

والثانية الماسونية الملوكية المعروفة بـ «العقد الملوكي» وهي منفصلة عن تلك ، وفي الوقت نفسه مرتبطة بها ارتباطاً لا يفهمه الا الراسخون بالعلم الماسوني . هذه ماسونية تصدر تعليمات وأوامر تنفذها الماسونية الأولى من غير أن تدري مصدر هذه الأوامر ومآلها .

الماسونية الثالثة هي الماسونية الـكونية وهذه أكثر سرية من الآخريين . وهي تملي الارادة العليا . ولا يدخلها الا النفر القليل . وربما لم يعرف بها غير أعضائهـا . تستخدم الماسونيين الآخريين لانشاء الفوضى في العالم على قاعدة فرّق تسد ليستطيع اليهود بواسطتها أن يعودوا الى صهيون .

فوارق

الانوثة والذكورة وأسبابها ونتائجها

دعنا من الفارق الجنسي فهناك فوارق في البنية وفي الوظائف كبروز ثديي المرأة وعدم الشعر في وجهها وملاحة وجهها وعكس ذلك في الرجل الى غير هذا . أهم الظاهرة منها الحجم والقوة البدنيين . ففي الجماعات البدائيـة كأهل أستراليا الأصليين ، قامة المرأة المتوسطة أقل من قامة الرجل المتوسطة نحو ١٢ سنتيمتراً وخمس تقريباً . طول المرأة ٩٤ بالمئة من طول الرجل . وأما من حيث الوزن فالفرق أكثر . الرجل المتوسط يزن ٥٧ كيلو والمرأة المتوسطة تزن ٤٥ كيلو تقريباً (٤٤،٨) ، يعني المرأة تزن ٨٧ بالمئـة من وزن الرجل.

لا يقارن الإنسان وأشباه الإنسان من حيث القامة . ولكن يُقارنان من حيث الوزن . الشمبانزي يقارب الإنسان من حيث الحجم والوزن . الشمبانزي الذكر البالغ يزن من ٦٠ الى ٦٥ كيلو . الأنثى من ٤٥ الى ٥٠ . الفرق في الغورلا أكثر جداً من هذا . الأنثى البالغة تزن نحو ٧٢ كيلو ، في حين أن الذكر يزن ضعفين أو ثلاثة أضعاف وأحياناً أربعة أضعاف .

الفرق في الأوران أوطان أقل مما هو في الغوريلا : ولكنه أكثر جداً مما هو في الشمبانزي . أنثى الجيبون أطول من الذكر . ومتوسط وزنها ٩١ بالمئـة من متوسط وزن الذكر

أهم من فروق الحجم والوزن فروق وزن الدماغ ، أو بالأحرى فروق حجم الجماجم التي تحوي الأدمغة إذا تعذر وزن الدماغ . فلنأخذ نموذج من أدمغة الأوربيين الحاليين . وزن دماغ الذكر المتوسط ١٤١٠ جرام . ووزن دماغ الأنثى المتوسط ١٢٥٠ جراماً ، أي أن دماغ المرأة ٨٨،٦ بالمئـة من دماغ الرجل . وأما في الزنوج فعلى الرغم من أن الدماغ أصغر فالنسبة بين الجنسين كما هي في الأوروبيين .

وإذا رجعنا إلى أهل أستراليا الأصليين باعتبار أنهم يمثلون الإنسان البدائي فلا يعتبر وزن الدماغ بالجرامات، بل تعتبر سعة وعاء الدماغ بالسنتيمترات المربعة . فسعة جمجمة الرجل

المتوسطة ١٢٨٧ سنتيمتراً . وهي تتراوح بين ١٠٤٠ و ١٦٣٠ س. م. وسعة جمجمة المرأة المتوسطة ١١٤٥ تتراوح بين ١٠١٠ س.م و ١٢٨٠ س.م .

ولنأخذ الشمبانزي كنموذج لأشباه الإنسان نجد أن متوسط سعة جمجمة الذكر ٤٢٠ س.م ، والأنثى ٣٩٠ س.م . بالإجمال والاختصار الذكر بحجمه ووزنه أرجح على الأنثى حتى بقوته . هو كذلك في أشباه الانسان وفي الانسان البدائي

* * *

الصبي يكون صبيًّا منذ ينشأ في البويضة الملقحة ، وكذلك البنت . فاذا تقدمنا الى سن البلوغ نجد عوامل مختلفة هامة تعمل في الجنسين . فاذا نزعت الخصيتان من الصبي يتغير نمو الجسم والعقل معاً . فصوته لا يخشن . فاذا كان من الجنس ذي الشعر الغض فلا تنمو في ذقنه لحية ، ولا ينمو الشعر في العانة . وجلده يتغير،لايخشوشن وتضؤل فيه صفة الرجولية . وعظامه تتغير في الشكل والاستطالة . لا يعود يكترث بالنساء ويفقد الغيرة الجنسية وروح النزاع والقتال .

لماذا يحدث نزع الخصيتين فقد خواص الجنسية، بل يفضي الى ظهور ظاهرات أخرى فيها ? فهو معلوم ان المواد الكيمية المسماة « هورمون » [1] التي تتدفق من الغدد الصمّ . فاذا انقذف هورمون الخصيتين الى الدم فلا يفعل توًّا في الحلقوم بحيث يضخم الصوت ، وفي الجلد بحيث يخشوشن،وفي الشعر بحيث يتكاثف،وفي العضل بحيث يقوى،وإنما يؤثر فيها بفعله في الغدة النخامية ، وهي الينبوع الرئيسي للهورمونات التي تنظم نمو الخواص التناسلية وسائر خواص الجسم المتعلقة بها . فاذا أزيلت الخصيتان فالنخام ، وقد خرج من تحت سيطرة هورمونهما ، يتغير تركيبه الكيماوي وتأثيره . وهكذا يرجع عدم نمو خواص الجسم الثانوية الى تقصير فعل الغدة النخامية .

وقد يلوح لنا أن التغير العقلي يرجع أيضاً الى تقصير النخام ، لأن الغدة النخامية متصلة مباشرة بالمركز الجنسي التناسلي في الدماغ .

أما تأثير ازالة المبيضين في خواص المرأة فأقل من تأثير ازالة الخصيتين في الصبي . ونحن نعلم ماذا يحدث للفتيات كنتيجة لتأثير بعض الأمراض، من أنه يطرأ على بنيتهن ما يغير

---

(١) ترجموا الهورمون بكلمة تور . ومعنى الهورمون مادة كيمية تفرزها الغدة الى الدم فتدور معه الى أن تمر في الذي قدر لها أن تفعل فيه . فاذا استعملنا كلمة تور بدله فلا يرى الباحث في المعجم هذا المعنى بل يرى كلمة رسول أو أناء للشرب . فلا يفهم القارىء منهما معنى الهورمون بتاتاً . واذا كتبناه « تور » اضطررنا أن نفسرها بلفظ هورمون

الهورمون بحيث يجعله أقرب الى الذكورة منه الى الأنوثة ، فتظهر في أجسامهن أعراض هذا الهورمون (الذكري). فلا يستميلهن الفتيان، وتزول منهن العواطف النسوية وعواطف الأمومة ويفقدن جميع أميال المرأة .

بعد هذا التفسير لفعل الهورمونات الذي يؤثر على الأعضاء الجنسية وعلى أعراضها صرنا نفهم سر السجايا الأنثوية والسجايا الرجلية، صرنا نفهم أن سبب الحياء والدعة والوداعة والحشمة في المرأة هو الهورمونات التي ترد من غدد المبيضين ، كما إننا صرنا نفهم أن الاسترجال الذي يظهر في بعض الأناث سببه فقدان هذه الغدد أو طروء بعض العوامل التي تضعفها أو تغيرها أو تقلبها الى شبه الغدد الذكرية فتفرز هورموناً ذكرياً أو شبهه .

لا يخفى على القارىء ان كثيراً من الظواهر في الجنسين الذكر والأنثى إنما هي من مفاعيل الهورمونات . وشذوذ الأخلاق يتوقف عليها ، وبالتالي على الغدد نفسها . كاسترجال المرأة أو تخنث الرجل . والمرأة السليطة والرجل الجبان كلاهما مديونان لفعل الغدة الجنسية التي تسيطر بهورمونها على الغدة النخامية التي هي مدربة أكثر وظائف النمو في البدن .

— : —

التسمم بالفيتامين

قد يتسمم الأطفال بالفيتامين من غير أن تفطن أمهاتهم إذا كن يعطين الأطفال من مركز ٣ أنواع من فيتامين D ١ مقادير كبيرة ومدة طويلة . فقد حذر الدكتور « كافي » الأمهات من هذا الإسراف في اعطاء الأطفال هذا الفيتامين — حذرهن في محاضرة نيسمة ألقاها في كلية الطب والجراحة في جامعة كولومبيا أمام جمعية رونتجن الأميركية .

قال : ان الأطفال يقاسون ورماً مؤلماً في الأقدام والسواعد على الخصوص . والحركة تقل، وتظهر عند الأطفال حساسية شديدة وتهيج ظاهر . وإنما إذا بطل إعطاء الفيتامين زالت هذه الأعراض عاجلا .

وخطأ الأمهات أنهن متى يشرعن يعطين الفيتامين للأطفال فلا يعطينه بمقدار معين نقطة فنقطة، بل يسكبنه من القارورة رأساً بلا حساب . ولذلك يتخطين الجرعة القانونية على ظن أن الفيتامين ليس سماً . والمثل السائر إن الزائد أخو الناقص . حتى الأكل المغذي إذا كان كثيراً أحدث تخمة فمغصاً فسوء هضم . على أن الأمهات يحسبن الفائدة بالكثير منه . فإذا كانت الجرعة الصغيرة تفيد الطفل ، فالجرعة الكبيرة أفيد . وبهذا الاعتبار ترتكب الأم الضرر من حيث تبتغي الفائدة .

باب الزراعة والاقتصاد

الجراد وكيف يمكن التخلص من غوائله

جاء في الانباء البرقية من لندن في ٢٢/٦/٤٩ ما يأتي : —

اكتشف حديثاً في شرق بلاد العرب سرب كبير من الجراد . وقد تلقى الدكتور أوفاروف رئيس مركز مباحث الجراد في لندن تقريراً في شأن هذه الحشرة الجائحة وذلك من أحد المراكز الصحراوية . ولا يزال الدكتور أوفاروف يترقب تفصيلات جديدة في هذا الصدد . ولكنه يرى في الوقت نفسه أن هذا السرب الجديد يعد خطراً بالغاً يهدد الشرق الاوسط عامة. والمعروف أن الموضع الذي ظهرت فيه أرجال الجراد هو الربع الخالي. ثم نصح بمقاومته هناك عاجلا :

الجراد لغة — دويبة تجرد الأرض من النبات . وهي صنفان هما الطيار الذي يطير غالباً ، والزحّاف . وجرد الأرض — صيّرها جرداء أي لا نبات فيها .

وقمع الجراد معضلة من المعضلات الدولية الشداد ، عريقة في القدم كالحضارة على السواء، ولكنها لم تبلغ شأواً جديّاً في أي عصر كان من العصور ، ما بلغته الآن . ولا غرو فإنه على قمع هذه الآفة وحدها، عن الزراعة ، قمعاً أشدّ منه لغيرها من الآفات الزراعية، يتوقف الظفر بمنع كارثة عجز المواد الغذائية عن سدّ الحاجات العالميـة . وليس الغرض من هذه المناهضة وقاية الحاصلات الراهنة ، فضلاً عن التخلص من خطر الجراد في المناطق التي سبق استغلال المواد الغذائية من أراضيها ، بل إن هـذه الأمنية نفسها ، يراد بها قطع شوط عظيم الى الأمام ، والحصول على زيادة جزيلة في استغلال المواد الغذائية النافعة .

ولا يتاح تفريج الأزمة الغذائيـة العالمية ، بوجوب زيادة حاصلات المناطق العادية الحالية التي تنتج هـذه المواد الغذائية ، وحدها ، بل باستصلاح الأراضي البور الواسعة النطاق أيضاً ، ليستمان بخصبها المنشود ، على إنتاج الغلات ، وما تدرّه من عميم الثروات والخيرات لعون المخلوقات وأقواتهـا . ويقع هذا الضرر ، أي آفة الجراد ، كذلك في حالة تحويل الغابات ، أو الغياض أو الصحراوات أو المستنقعات ، الى أراض زراعيـة تنتج الحاصلات . ذلك لأن التغييرات التي تجعل هاتيك الأراضي المجدابة ، مخصابة ، هي عينها التي تصيرها أجود مرتع لتوليد الجراد والنطـاط وتربيتهما فيها .

والعقبة الكؤد التي كانت في غابر الأزمان ، تحول دون مكافحة أرجال الجراد هي الآن ، كما كانت عليه دائماً ، توافر المال اللازم لتنفيذها . وتقترن هذه العقبة بمشكلة أخرى ، هي تغاضي الحكومات المختصة ، عن متابعة بذل مجهوداتها في محاربة هذه الحشرات الفتاكة بالمزروعات . ذلك إننا ما برحنا نرى أولي الأمر فيها ، عندما ينتصرون على ذلك العدوّ الجائح الذي يهدّد ثروات البلاد الزراعية بوجه عام في أي عصر كان ، لا يلبثون أن ينسوا أو يتناسوا واجباتهم حياله على الدوام .

فيتعذر على ناصحيهم اقناعهم حينئذ بضرورة الدأب في انفاق الأموال في سبيل استنباط أنجع الوسائل التي تجنبهم غوائل الجراد فيما بعد .

ومن أغرب المعتقدات البالية الخاطئة قول أولئك القوم (إن الجراد شر مستطير ، ليس منه مفرّ ، فلا خير في الوسائل التي تتخذ لمنعه إذ أنها لا تجدي نفعاً إلا حين قدومه أرجالاً دفعة واحدة) ولكن حالما يزول خطرها الداهم (أي الآفة) تعقبها عندهم آمال خائبة لا مبرر لها ، من كل الوجوه ، هي ظنهم أن تلك الغزوة الجرادية المشؤومة لن تتكرر أو على أقل تقدير ، لن تستأنف في عهدهم ، فيهملوا أمرها ويظلوا مكتوفي الأيدي إزاءها حتى تفاجئهم قارعتها مرّة أخرى وهم نيام .

وفي هذا الصدد يقول ب ـ ب . كولينز P. B. Collins العالم الانكليزي الذي نقلنا عنه هذا البحث النفيس « إن هذا التفاؤل الذي لا أساس له يستند إليه ، إنما هو الذي ينبغي لنا أن نعدّه مصدراً أصليًّا لعودة جماعات الجراد الرهيبة لشن غاراتها الجائحة المتواصلة ، في غابر القرون جميعها »

أما في بلدان أفريقية وآسيا فقد يصحّ القول إن وجهة الرأي هذه قد جعلت ولاة الأمور يقلعون عنها . ومعظم الفضل في ذلك الرشاد ، يرجع الى النتائج الباهرة التي فازت بها الحملات الحديثة الرائعة التي شنت هناك على أرجال الجراد الفظيعة . ولكن في بلاد أمريكا الجنوبية ، على أقل تقدير ، يخيّل الينا أن نتائج استئصال شأفة الجراد هناك لم تكن مرضية . وما زالت مبالغ باهظة من الأموال تُنفق ، وجمّ الجهود تبذل ، على نطاق واسع لمناهضة جيوش الجراد التي تهدد هاتيك الأرجاء الواسعة .

نتائج قمع الجراد في بلدان أفريقية

وقد أسفرت الأعمال الأساسية التي قام بها المسئولون هناك ، للوقاية من غارات الجراد ، على المزروعات في أنحاء أفريقية ، عن فشلها . وذلك في لفت أنظار ولاة الأمور ،

الى تنفيذ الوسائل الفعالة للقمع . ويبدو لنا أن ذلك الاخفاق كان مبعثه ، ضعف التعاون بين عمال الحقول وغيرهم من الفنيين الذين يعملون في معاهد الأبحاث العلمية . على حين أن هذه المعاونة غدت شرطاً لازماً لنجاح هذه المهمة في آفاق أفريقية والشرق الأوسط .

التعاون في الكفاح ضد الجراد
هو سرّ النجاح وغاية المراد

ووصف الدكتور أوفاروف Dr. Uvarov مدير مركز مباحث إبادة الجراد في لندن ، الحملات الشديدة الوطأة التي شنتها الدول على الجراد ، عدوها المشترك ، وشدد على ولاة الأمور بوجوب مواصلة التعاون الدولي في هذه الحرب الضروس كما يأتي :

« لا جدال في القول إن المجاعات التي كان مصدرها الجراد ، قد تفشت في أرجاء بلاد الهند والصين وغيرهما من الدول . وفي أمريكا الشمالية ، كان المستعمرون الأوائل يشنّون الغارات الشعواء على أرجاله ، اتقاءً لشره . وفي أفريقية كان الجراد وما زال آفة جائحة تهدد المزروعات شرّ التهديد »

كيف نجحت غزوة الجراد في شبه جزيرة العرب ؟

« كان الجراد في العصور الغابرة ، يتربى ويتوالد في المناطق الصحراوية حيث لا يناوئه أي مناوىء كان . أما في العهد الحالي ، فقد قرر الثقات ، ان غزو مواطنه تلك ، خير من التريث حتى يفاجىء بأرجاله ، المزروعات ، التي تبعد عنه مئات الأميال . وكان الغرض من هذا القرار ، قبل كل شيء ، أن أعمال القمع يجب أن تتناول بلاد العرب . ذلك لأن شبه تلك الجزيرة ، طبقاً لموقعها الجغرافي ، يجعلها قاعدة صالحة للغارة بأسرها . لأن أرجال الجراد التي تتوالد هناك خطر مقيم ، ليس على الأقاليم الخصبة ، التي على شكل « الهلال » التي في الشرق الأوسط فقط ، وهي تشمل دلتا النيل ، وفلسطين وسوريا والعراق وايران ، بل على ما هو أبعد منها ، أي بلاد الهند والجمهورية السوفياتية في آسيا الوسطى ثم شرق أفريقية .

ومن حسن الحظ أن الوالي الحازم الحكيم ، جلالة الملك عبد العزيز بن السعود ، قد بادر الى الاعتراف بنفع قمع الجراد من بلاده ، حيث تضؤل المزروعات ، ولكنها أثمن شيء لدى رعاياه . وبناءً على أمره أعدّت فرق صغيرة وزودت بالسيارات فدخلت بلاد العرب سنة ١٩٤٣ . وكان غرضها الأصلي الاستطلاع ، ثم اكتساب الخبرة في الغارات الصحراوية .

فظفرت بنتائج سارة جداً . فقامت في شتاء ١٩٤٣ — ١٩٤٤ لشن الغارة الأولى على الجراد في هاتيك البلاد . وكانت السلطات العسكرية حينئذٍ مستعدة لتقديم المعاونة اللازمة ، من وسائل النقل والموظفين الفنيين وورش الترميم المتنقلة ، وأجهزة التلغراف اللاسلكي وغيرها . فصارت هذه الحملة نسيج وحدها في كل من حجمها ومآربها . إذ قامت قوافل كبيرة من السيارات تزيد على ٣٥٠ سيارة وزهاء ألف جندي غير مسلحين . فولجوا تلك البلاد من ناحيتين ،حيث انفصلوا بعضهم عن بعض ، فصائل شتى متأهبة لمكافحة الجراد .

وعهد في قيادتها الى عشرة خبراء من الضباط ، من ست جنسيات ، هي البريطانية ، والأمريكية ، والمصرية ، والهندية ، والسودانية ، والفلسطينية . وزودتهم حكومة جلالة الملك ابن السعود ، بأدلاء يرشدونهم الى مسالك صحراء بلادهم ثم يقومون لديهم مقام ضباط اتصال بين هؤلاء الضباط محاربي الجراد ، وبين ولاة الأمور السعوديين المحليين . فقاموا جميعاً باستطلاع واسع النطاق في مناطق مترامية الأطراف ، لم تقطع بعضها أية سيارة كانت من قبل ، حيث تبين لهم أن الجراد النطاط كان ينتشر انتشاراً متقطعاً في مساحة تبلغ نحو ٥٠٠٠٠ ميل مربع . فنشروا فيها ١٢٠٠ طن من الطعم السام ، فحصلوا بها على التأثير المنشود » .

مم يؤلف الطعم السام للجراد ؟

يؤلف الطعم السام للجراد ، من نخالة مبللة بمحلول خفيف من الزرنيخ ، يرش على الأرض التي يزحف عليها الجراد ، رشاً خفيفاً بالأيدي ، فيؤثر الجراد ذلك الزاد على الخضرة المزروعة هناك ، فيموت عقب التهامه ، بيوم أو يومين . وقامت الطائرات أيضاً برش الجراد بالمواد المبيدة للحشرات فحصلت على نتائج طيبة .

مخاوف الحملة وأوهام العرب

وكان أشد الجزع يخالج القوات المزمعة إبادة الجراد هناك . وذلك عند شروعهم في أعمالهم ، خوفاً من موقف السكان إزاءهم . ولا غرو فقد اعتاد الأعراب حسبان الجراد نقاماً إلهياً ينبغي ألا يقاوموه بتة . وكان شأنهم في ذلك كشأن كثيرين من أهل الشرق الجامدين . فلم يجرؤوا قط على مقاومته والتخلص من ضرره .

ومع ذلك فإنهم ما كادوا يبصرون جماعات الجراد النطاط تزحف نحو مزروعاتهم المحبوبة ، قصد احتناكها [1] ، قد استؤصلت عقب التهامها السم الحشري المشار إليه

(١) احتنك الجراد الارض — أكل ما عليها وأتى على نبتها

الذي أُعدَّ لإبادتها ، قبيل بلوغها أمانيها التي كانت تنشدها ، حتى تغيرت مخاوفهم الوهمية . فكانت هذه النتيجة السارة ، كفيلة ، بمحو ذلك الوهم العتيق الرهيب الذي كان متسلطاً على أذهانهم . وبلغ من اعجاب جلالة الملك ابن السعود وأولي الأمر في دولته بحسن النتائج أن جلالته غدا يثق ملء الثقة بمنافع مهمة البعوث البريطانية مبيدة الجراد . فضلاً عن كونها أفادت كل الفائدة في خفض عدد أرجال الجراد التي كانت تهرب من بلاد العرب وذلك في ربيع سنة ١٩٤٤ الى الأقاليم الأخرى . فلم يلحق أي دولة من الدول الواقعة في شمال شبه الجزيرة العربية ، أي هجوم كان من هذه الحشرات المشؤومة في السنة نفسها . ثم إن تلك الغارة الشعواء أسفرت عن نتيجة باهرة جداً إذ اكسبت الذين قاموا بها خبرة واسعة في قمع الجراد في الصحراء .

وكانت هذه الخبرة حافزاً للمسؤولين ، على الاضطلاع بتعبئة حملة أخرى في شتاء ١٩٤٤ — ١٩٤٥ إذ أيقنوا بأن الفوز سيكون حليفاً لهم . ولكن مما يؤسف عليه أن وسائل النقل اللازمة لهم لم تكن متوافرة حينئذٍ ، إذ استحال على ولاة الأمور العسكريين تقديم جميع ما طلبته البعوث منها ، فأعيد تنظيم أعمالها وحصرها في نطاق محدود .

ومع ذلك التقصير كانت النتائج حميدة مرة أخرى . ولو أن هجوم الجراد في هذه المرة كان أعنف منه في سابقتها ، خلافاً لتقديرات المسئولين وقتئذٍ .

مزايا الغزوة للعرب

وقد تميزت هذه الغزوة بمزية عظيمة مفيدة ، هي ضخامة عدد السعوديين الذين اشتركوا فيها ليس كمرشدين وعمال فحسب ، بل كقادة للسيارات وملاحظين لفرق العمال وميكانيكيين . ومن ثمة توثقت العلاقات الودية الطيبة بين أعضاء هاتيك البعوث البريطانية وبين ولاة الأمور المحليين والأهالي ، واستتبت على أساس متين .

وفي تلك الفترة شُنَّت غارات من هذا القبيل ، كان بعضها أوسع نطاقاً مما حدث في تينك الغزوتين . وذلك في بلاد الهند والسودان المصري والولايات الايطالية السابقة في شرق افريقية، وفي أثيوبيا وكينيا وتنجانيقا وشمال أفريقية وغربها الفرنسيين .

قاذفات القنابل تهاجم الجراد

وقد نجحت استراليا في سنة ١٩٤٧ في مكافحة أرجال الجراد التي سطت على مزروعاتها . وكانت تضطلع بهذه المهمة طائرات من قاذفات القنابل ، عهد اليها في رش المواد المبيدة للحشرات ، وذلك على الأراضي التي كان الجراد يفقس عليها . وكان الفلاحون هناك يساعدون هاتيك الطائرات برشات يدوية وآلية مسترشدين بارشادات علماء وزارة الزراعة الأمريكية ، فبلغت نسبة الجراد الذي أهلك بهذه الوسيلة ٩٠ ٪ من مجموعه ، وأنقذ بتلك الطريقة نفسها من محصولات الحبوب ما قدر ثمنه بملايين الدولارات .

وكان السلاح الجوي الاسترالي يقوم بالمعاونة على هدى الوسائل الفنية التي حذقها أعضاؤه في الحرب العالمية الثانية . وذلك عند استيلائهم على مواقع الأعداء الساحلية المحصنة التي قام السلاح بتطهيرها من جراثيم الملاريا .

وقد اخترعت لهذا الغرض رشاشات خاصة تملأ بالجامكسين الممزوج بزيت ديزل . إذ تبين لهم بالاختبار أن الرشاشات المعتادة كانت ترش قطرات من المواد المبيدة للحشرات أكثف مما كان ينبغي . فحازت تلك الحملة التي شنت على أرجال الجراد ، في هاتيك البلاد النائية ، أقصى استحسان أهلها على بكرة أبيهم . إذ أنهم ما برحوا يذكرون متألمين كل الألم ، الخسائر الفادحة التي لحقتهم من جراء أرجال الجراد التي احتلت مزروعاتهم في سنتي ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ .

وثبت أن مادة الجامكسين Gammexane أشد أنواع السموم لابادة الجراد ولو كانت نسبتها ضئيلة جداً لا تزيد على $\frac{٦٥}{١٠٠٠}$ في المزيج الفعال . وهي لا تؤذي المواشي بتاتاً ، خلافاً للمواد الزرنيخية التي كانت مستعملة قبلاً لهذا القصد . وللجامكسين يرجع الفضل في النجاح الحديث الذي أحرز في أنحاء شبه جزيرة العرب وشرق أفريقية . أما أرجال الجراد اليافعة الطيارة فتستعمل لابادتها وسائل أخرى . وتذاع أخبار حركات أرجال الجراد وتوالدها اذاعات منظمة من الدول المصابة ، الى لندن ، وذلك بالتلغراف والتلفون السلكيين واللاسلكيين وبالطائرات أيضاً . ومتى وصلت هذه الأنباء تراجع هناك وتوضح على خرائط مرسومة على مقاييس كبيرة . ويقوم الخبراء بتحليلها تحليلاً مدققاً ، ثم مقابلتها بخرائط أخرى مصطلح عليها تبين الحركات الجرادية الخاصة بفصول السنة ليتأهب المختصون لقمع جماعات الجراد في حينها .

عوض جندى

مسائل واجوبتها

الضمان الجماعي

س — قرأت لكم في بعض الجرائد غير مرة دعوة الأمم العربية الى التحالف الدفاعي، وأخيراً فهمت أنكم من الدعاة للضمان الجماعي . فهل تعتقدون بهذا المشروع ؟ ألا تظنون أنه مشروع خيالي لا أمل في تنفيذه ؟ .

دمشق م. ص. ع

ج - نعم كتبت مراراً بهذا الموضوع في الجرائد العربية ، ولو لم أكن أعتقد أنه مشروع عملي ما دعوت اليه ولا دعا اليه صاحب الدولة سياسيّنا الكبير الأستاذ فارس بك الخوري . فقد قرأت حديثاً له بهذا الموضوع مع مكاتب جريدة المصري (إذا صدقت الذكرى) أو بالأحرى صرخة به . ولو كان المشروع خياليًّا ما أجمعت دول أوربا الغربية عليه، ولا أنشأت له برلماناً في السنة الغابرة، ولا كانت أمم أميركا المختلفة اتحدت في ولايات أو دولات متحدة. فنحن لا ندعو الى خيال أو حلم في عالم الآمال ، وانما ندعو الى مشروع عملي وانتشر وصادف الاقبال .

وأما إذا كان شككم فيه كمشروع عربي فقد يكون لكم عذر في هذا الشك، لأن الاتحاد العربي أو الجامعة العربية قد خيبت الآمال حين وصلت الى العمل الجدي . ولكن الحوادث التي مرّت والحوادث التي لا تزال تمر تنبئنا أن الخطر على الأمم العربية ليس خياليًّا، بل هو حقيقة راهنة، وهو على الأبواب ما دام الصهيونيون قد نجحوا نجاحاً باهراً . ومهما تلكأ العرب في ادراك هذا الخطر ، فتى بلغت السكين العظم فلا بد أن يدركوه. وإذا كانت النكبة التي نكب بها اللاجئون لم توقظهم لادراكها فلا أمل بأن يدركوها ، وسينكبون بها عاجلاً أو آجلاً . وإذا أدركوا الخطر - ولا بد أن يدركوه حتماً - فحينئذٍ يلمون شملهم ويجعلون « الضمان الجماعي » لغرض الدفاع حقيقة واقعة فعلاً ، لأنه لا ينقذهم من خطر الصهيونية إلاّ هذا المشروع .

وقد اجتمعت الجامعة العربية منذ شهرين وقررت بالاجماع هذا المشروع ودعت المندوبين العسكريين والسياسيين لدراسته . ولكن بكل أسف الى الآن لم يحدث أمر عملي بهذا الشأن . ولكن الصهيونيين لا يمهلوننا الى أن ندرس ونستعد. ولذلك لا يتأخرون عن تنفيذ خططهم، ولا يرتدعون عنها الا إذا رأوا العرب قد شرعوا بتنفيذ الضمان الجماعي . فهم لا يزالون يستعدون. ونحن ؟ ؟ ؟

حكومة عالمية

س — ما رأيكم في اتحاد جميع الأمم وتأليف أمة عالمية تحكمها وتديرها حكومة عالمية؟ هل هذا ممكن أو هو مشروع خيالي؟

م . ص . ع

ج — هذه كمسألتكم السابقة وهي تتراءى لقارئ أخبار المشكلات الدولية الحالية وتعقدها كأنها ضرب من الخيال يكاد يكون تحقيقها مستحيلاً . ولكن كلما تقدم العالم وتعقدت مشكلاته يرى أنه لا منقذ له من هذا الاضطراب الاجتماعي الذي جعل الناس في ما هو أخطر من الحرب – لا ينقذه من هذا الاضطراب أو القلق إلاّ أن تكون الأمم جميعاً مشمولة بحكومة أممية عامة .

ولا ريب أن جمع الأمم في أمة واحدة تحت حكومة واحدة مشروع صعب جداً يشبه المستحيل . ولكنه ليس مستحيلاً . فكما اجتمعت ٥٢ ولاية أو حكومة في أميركا تحت راية واحدة وحكومة عليا واحدة، يمكن أن تجتمع الأمم في أمة واحدة وتكون لها حكومة عليا واحدة .

وإنما يستلزم هذا المشروع العظيم أن تكون الأمم متقاربة كثيراً في شؤونها الاجتماعية والأخلاقية . يجب أن تكون لها أولاً لغة واحدة تتفاهم فيها وتتعامل بها . ثانياً أن تكون لها ثقافة واحدة بحيث يتسنى لها أن تتفاهم وأن تنصبغ في أخلاق متشابهة جداً . ثالثاً أن تكون متقاربة في عقائدها . وهذه أمور ليس سهلاً حصولها، وإنما هو ممكن بسبب سهولة المواصلات وانتشارها في جميع أقطار العالم .

لا يمكننا أن نتكهن عن الموعد الذي تحقق فيه هذه الأمنية . لا أظنه يتجاوز القرنين، ولكن العالم يقاسي كثيراً قبل أن يثوب الى رشده، ويلجأ الى هذا المشروع العظيم لكي يخلصه من الويلات التي ورثها من القرون الماضية .

ولكن مما لا ريب فيه إنه اذا توفق العالم الى أن يصير كله أمة واحدة ذات حكومة واحدة ، تلافى الحروب الفظيعة ولا يبقى فيه إلاّ ثورات بين بني آدم كخلافات بين اخوان

—:—

الحنو الوالدي

س — هل الحنوّ الوالدي يشمل الأب والأم على السواء أم أنه في الأم أقوى منه في الأب ؟ ولماذا ؟

القاهرة : ص . م

ج — الحنوّ الوالدي يأتي عن طريقين : الطريق الأول جسماني والثاني دماغي . ففي الأم هو جسماني ودماغي . فهي تعطف على ولدها لأنها تعلم أنها حملته في بطنها ثم أرضعته من ثديها وحضنته كل أيام طفولته فتشعر انه قطعة منها ، فهي تعطف على جزء

منها . فهذا عطف غريزي يشترك فيه الانسان والأعجم على السواء . أما الأم وهي ترضع طفلها وهو يمتص ثديها فتشعر بلذة فائقة تحرض فيها الحنوّ ، ولكن هذا ليس كافياً لتحريض حنوّها لأنها قد تجد مثل هذه اللذة أو بعضها إذا كانت ترضع طفل غيرها . فإذاً هذا الحنوّ لا يقتصر على كونه جسمانياً . فهي إذا كانت ترضع ولدها وتعرف أنه ولدها فشعورها يكون أشد مما لو كانت ترضع طفل غيرها . فإذاً هناك محرّض دماغي (عقلي) فضلاً عن المحرّض الجسماني .

وهذا الحنوّ الوالدي في البشر يشتد الى حدّ التضحية بالنفس لأجل الولد . وقد يبلغ الى هذا الحد في أشباه الإنسان كالشمبانزي والأوران وغيرها . بل يشتد حتى في العجماوات اللبونة ، والفقارية

وهناك محرض للحنوّ وهو العشرة . فقد يشتد هذا الحنوّ حتى للولد المتبنّى الذي تعرف الأم (والأب) أنه ليس وليدها ، ولكنها ربته منذ الصغر فصارت تعطف عليه كما لو كان إبنها من لحمها ودمها . أعرف زوجين تبنّيا طفلاً لأنهما لم يرزقا ولداً . ولكن بعد حين رزقا صبياً ، فبقيا يحنوان على الولد الأول مع الولد الثاني ، ولم يميزا الابن الحقيقي على الابن المتبنى بشيء لأن العشرة أكسبتهما هذا الحنوّ .

بقيت نسبة الحنوّ للأبوين جميعاً . فلا ريب أن الأم أشد حنوًّا من الأب لاعتبارات معروفة ومفهومة . ومع ذلك لا تقل تضحية الأب عن تضحية الأم لأجل الولد ، ولكن الأم أشد شغفاً من الأب كما نرى بالمشاهدة .

بقيت مسألة جوهرية وهي : هل في قلب الأم إلهام خاص يدلها على وليدها ؟ يعني إذا عزل الولد عن أمه منذ الطفولة ولم تعد تعرف عنه شيء ، ثم جمعها القدر به وهما لا يعلمان النسبة بينهما ، فهل يحسان أو تحس الأم على الأقل بعطف عليه ؟ هذا ما أشك فيه بل أرجح أو أؤكد أنها لا تهفو إليه ولا تنعطف ، حتى أنها بعد أن تعرف أنه ابنها ، فلا تعطف عليه عطف الأم الشديد لأنها لم ترضعه ولم تحتضنه ولم تربه ولم تعاشره .

وأعرف امرأة فارقت مولودها منذ زمان إذ طلقت زوجها . وبعد ذلك التقت بالابن وعُرِّفت به فلم تكترث به كثيراً كما ينتظر . كل هذا يعطي للادراك الدماغي الأرجحية في اكتساب الشعور العاطفي . ولا ريب أن الوالدين من ربّيا لا من ولدا .

وبالاجمال حنوّ الأب دماغي لا جسماني وحنوّ الأم دماغي وجسماني معاً . ولهذا يمتاز حنوّ الأم على حنوّ الأب .



مكتبة المقتطف

احسان لله وقصص أخرى

من لا يعرف الكاتب الكبير الأستاذ محمود بك تيمور قصصيًّا ممتازاً . وآخر ما صدر من دار المعارف بقلمه مجموعة قصص مستهلة بقصة « محمد افندي صلي على النبي » هي عبرة للأزواج الأنانيين . فقد تزوّج محمد افندي مراراً وطلّق مراراً ولم يتوفق الى زوجة تكون له كل يوم عروساً كاعباً لأن شهوته كل يوم ناهد . فيهوى فيشبع شهوته ثمّ لا يلبث أن يمل . وأخيراً رأى أنه لا يستطيع أن يرسو على حال إلاّ في الريف، فنزح الى أبعديته، وهناك تزوّج طباخته البنية الرخصة . فما لبث أن طلقها وهي على أهبة الوضع، وفرّ من وجه الطفل والمرضع .

فالفن ليس في القصة فقط وإنما هو في وصف الحوادث وأسلوبه .

هذه قصة من عشر درجت في ٢١٧ صفحة، وكل واحدة منها ذات طراز خاص يأخذ بمجامع القلوب . وكلٌّ منها يمتاز بعبرة من عبر الحياة الإجتماعية .

قرأت هذه القصص جميعاً ولما انتهيت من القصة الأخيرة التي هي « حربٌ خاطفة » لم أتمالك نفسي من الضحك . وما زلت أضحك إلى أن جئت أكتب هذه السطور . لله درّ تيمور فقد جعل الأرض من تحتي تمور إغراباً في الضحك ، وإعجاباً من هذا النمط في سبك القصص. فهنيئاً له وتحيَّة .

—:—

همس الايام

مجموعة قصص بقلم الأستاذ عبدالله نيازي من خيرة كتّاب العراق . وهو يلم في هذه القصص بجانب من معضلات الحياة ، فيصفها وصفاً يجعلك تشعر إنها معضلتك ، أو معضلة قريبك ، أو صديقك . فتأسف حيث يكون الداعي للأسف، وتحزن حيث يكون الموجب

للحزن، وتفرح حيث يكون الحديث حديث الفرح والسرور، وتعجب حيث ثمة إعجاب. فهذه المجموعة من القصص مدرسة صغيرة للشباب يدرسون فيها بعض شؤون الحياة في طالع العمر. فنهنئه بإصابته الغرض الذي رمى إليه.

—:—

أسطورة ألف ليلة وليلة

ذكر لي مرة الدكتور شارل مالك وزير لبنان المفوض في وشنطون أنه رأى في إحدى المكتبات الكبرى في أميركا (وقد نسيت إسمها) واجهة واحدة مختصة بالمؤلفات المتنوعة عن كتاب «ألف ليلة وليلة» الذي يسمونه «الليالي العربية» من ترجمات وتعليقات وشروح. وكنت قد قرأت بعض فصول السندباد البحري من هذه الليالي وتيقنت أنها أساطير خرافية، فعلمت أن الذين ترجموا هذا الكتاب الى الانكليزية وغيرها يقصدون به أن ينقلوا شيئاً عن الأدب العربي يلم بحالة العرب الإجتماعية والأخلاقية.

لذلك رأيت أن أطالع هذا الكتاب لكي أعلم ما الذي فيه استهوى هؤلاء الأجانب لكي يولوه هذه العناية الفائقة.

وكنت أظنه يضاهي كليلة ودمنة في فكاهته وخياله ومغازيه الحكمية، فعبرته وصبرت على سخافته. وخرجت منه وأنا أراه مجموعة قصص خرافية تشهد بطول باع مؤلفه في فيض الخيال الغريب السخيف، تخيل لا يخطر ببال أحد حتى في الأحلام، ليس له نظير في أساطير اليونان أو الرومان حتى ولا في أساطير ما قبل التاريخ.

ما أشرف المؤلف في تخريفه على ورطة حتى اخترع لها نجاة منها لا تدهش لها أكثر مما تدهش لتصوره العجيب السخيف في هذا الإختراع. مثال ذلك: أن الهارب الخائف فيما هو هائم على وجهه يبتغي النجاة من التهلكة، رأى فلاحاً يحرث الأرض فطلب إليه ماء لكي يروي ظمأه. فأسرع الفلاح الى مكان بعيد لكي يأتيه بالماء، فاستحسن الهارب أن يقبض على المحراث في غياب صاحبه لكي يحرث بالنيابة عنه وإلاّ يضيع وقته سدًى. وإذا بالمحراث يصطدم بحديد في الأرض ويعلق به، ولا يمكنه أن يخلصه منه إلاّ بأن يكشف عنه. فاذا هو عالق بحلقة من حديد مثبتة ببلاطة، فعالجها حتى رفعها، وإذا تحتها دهليز فنزل فيه ومشى الى قبو، وإذا في القبو صناديق وعلب من ذهب كثيرة ملأى بالجواهر الكريمة من زمرد وياقوت وعقيق ولازورد الخ. ورأى صندوقاً صغيراً ففتحه وتناول منه خاتماً

ذهبيّـاً منقوشاً عليـه كتابة لا يفهمها ، ففركه وإذا بمارد جنيّ يقف بين يديه وهو يقول « لبيك عبدك بين يديك » يا سيدي مر ، فأقضي لك في الحال ما تشاء . قال أريد بغالاً وجمالاً وجياداً تحمل هـذه الصناديق ومعها عساكر تحميها ، وما هي إلاّ لحظة حتى سمع صاحبنا صهيل البغال والجيـاد وجعجعة الجمال وجنوداً نزلوا الى القبو واغترفوا تلك الصناديق وحملوها على البغال والجمال . ثم مضوا بها الى المدينة التي هرب منها صاحبنا من وجه الملك والتجار الذين نصب عليهم . وأوفى ما عليـه من ديون وفرّق على الناس من كنوزه ما جعلهم كلهم أثرياء ، الى آخر الحـكاية التي لا محل لسردها كلها .

وحكايات الف ليلة كلها من هذا الطراز الذي ليس في الوجود الارضي أو الفلـكي ما يماثله ، وليس فيه من فنون القصة ما يستهويك ، فلا مفاجأة إلاّ صدمتك بهجنتها واستحالة حدوثها ، وما من عقدة الاّ اخترع المؤلف لحلها أعجوبة من أعاجيب الخرافة كالأعجوبة المستحيلة التي ذكرناها . وفي كل ذلك لا تجد مغزى أخلاقيّـاً أو أدبيّـاً أو اجتماعيّـاً اللهمّ إلاّ بعض قبائح ورذائل .

لذلك لم أفهم ما الذي استهوى قرّاء هذه السخائف حتى ترجموا الـكتاب ، ولا أدري ماذا علقوا عليه . ولا أظنهم إلاّ مستخفو الادب العربي الى جنب الأدب الهندي في كليلة ودمنه ، والأدب الفارسي في رباعيات الخيام .

والغريب أنه طبع في بيروت ومصر مراراً منقـحاً أو محذوفاً منه ما فيـه من خلاعة وفحش . أما الطبعة التي قرأتـهـا فـكلها أغلاط مطبعية لا تـكاد تفهم الأصل فيها مهما استعنت بالقرائن . فتبّـاً لمن طبعها ، ولم يُـعنَ باصلاح مسوّداتها بتاتاً .

لم يذكر في مقدمة الـكتاب من ألفه وفي أي زمان كتب . ولـكن القارىء يدرك من أول فصل فيه ان المؤلف عاش في مصر ، وربما عاش بعض حياته في بغداد لأن عباراته تدل على أنه مصري وأنه كان فيها في الزمن الأخير ، لأنه يجري على قلمه كثير من الاصطلاحات العامية التي نسمعها اليوم .

وأغرب ما فيه ذكر ساعة جيب . وساعة الجيب غير قديمة العهد ، لا أظنها ترجع الى أبعد من القرن السادس عشر . فذكر الساعة فيها يدل على أن الـكاتب كان عائشاً في ذلك القرن أو بعده . وإلاّ فلعل الناشر أدخل الساعة في الحـكاية من عنده ولم تـكن مذكورة في الأصل ، ولعله حذف وغيـر وبدّل في الأصل كثيراً فأخرجه عن نصه الأصيل .

فهرس الجزء الثالث

من المجلد السادس عشر بعد المئة

في مقتطف ابريل

مصنع التطور	صحفي بين الاجرام
أسباب اضطراب العالم	الديموقراطية
الشارع : رديف الجاذبية	بورصة الحب

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد السادس عشر بعد المئة

١ ابريل سنة ١٩٥٠ — ١٣ جمادى الثانية سنة ١٣٦٩

الجن

لعلك تنتظر مني أن أقص عليك حديث الجن . لا والله ليس للجن حساب عندي . ولا للشياطين، حتى ولا للأرواح . وإنما أحدثك عن الجن وهم أهلي وأهلك وأهل بيتنا . فأنبياء هذا الزمان من أهل العلم يقولون أن الجن كلمة يونانية أو لاتينية . ومنها اشتقوا الفعل الذي يعني الخلق Generate . وهم يعنون بهذا الاسم الجريثيمة (تصغير جرثومة) التي يوجد منها في الحويصلة المنوية الذكرية أو البويضة الأنثوية ٢٥٠٠٠ وحدة . ووظيفة هذه الجريثيمات نقل صفات الوالدين الجسدية ، والعقلية ، والخلقية الى المواليد . فما لك من قوة عقلية ، ومزاج جسماني ، وخلال عقلية ، انتقل إليك من والديك بواسطة هذه الجن Genes التي التحمت في اثناء اللقاح في البويضة أو في ما يشابهها في النباتة ، وجعلت تنمو بالتضاعف، فتكون منها الجنين ونما حتى نضج وصار إنساناً أو حيواناً أو نباتاً.

وسواء في الحويصلة أو البويضة في كل منهما مجموعة جريثيمات تسمى كروموسوم يتراوح عددها بحسب أجناس الأحياء أو أنواعها بين ١٢ وما فوق ، أو ما تحت . وكل واحدة منها تحتوي على مئات من جريثيمات الجن التي تحمل طباع الحي وخصاله المادية . وباتحاد الكروموسومات من الجانبين الذكر والأنثى تتجدد أيضاً الجريثيمات من الجانبين . ويتكون الجنين حاملاً طباع الطرفين ومزاياهما وخصالهما . هذه هي نظرية الوراثة الطبيعية التي كاد يتفق عليها علماء هذا العصر . وما ابتعدوا عن نظرية دارون كثيراً فهو قد خمن أن في الجرثومة الملقحة بذيرات عديدة من الجانبين تحمل خصالهما . وقد سماها جميول Jammuls وهي متسربة من جميع أعضاء الجسم الى الخلية التناسلية لكي تكون نوى تلك الأعضاء . كل جميول يكون نواة العضو الذي يمثل أصله . في المقال التالي بحث مستفيض في هذا الموضوع للسير ارثر كيث وهو الثقة فيه . فادرسه .

مصنع التطور

واداة الوراثة الطبيعية

في رأي معظم الانتروبولوجيين (علماء التاريخ الطبيعي للاجناس البشرية) انه بعد الدور الذي سبق الانسان، أي دور أشباه الانسان،ظهر تسعة أصناف من البشر فيعصور مختلفة لا تتجاوز مليون سنة ،كان أقدمهم الإنسان الذي سموه بلتدون . وقد انقرضت سلالته ، وإنسان كارتان ومنه سلالة الأفريقيين ، والانسان بيثا كانتروبوس ومنه الانسان الأوسترالي ، وسيننتروبوس ومنه السلالات الصينية . وانسان جبل الكرمل وقد انقرض، وانسان روديسيا ، ومنه سلالة أفريقية أخرى ، وإنسان نيندرسال ، ومنه انسان أوروبا وقد انقرض ، وكرماجنون ، وانسان أكمة جالي ، ومنه السلالات القوقاسية، وهذا لايتجاوز تاريخه ١٨ ألف سنة . وجميع هذه السلالات تسلسلت من نوع من أشباه الانسان الذي كان يعيش على الشجر.وكان أشباه الانسان الآخرون يمتون بصلة إليه . وهؤلاء نشأوا منذ سبعة ملايين سنة الى ١٢ مليون

أهم الآثار وأكثرها هي بقايا إنسان سننتروبوس اكتشفوها في بعض المغاور في الصين،عاش في بدء العصر بلستوسن الجيولوجي ويسمى العصر الأحدث ، ويقال أنه العصر الجليدي الأخير . هناك نشأ الناس منذ ٦٠٠٠٠٠ سنة . وحدث أنه في ذلك العهد امتلأت سلسلة من الكهوف الجبرية من الصلصال اندفنت فيها بقايا أناس معروفين في اصطلاع علماء التاريخ الطبيعي باسم سيننتروبوس . كانوا أناساً عليهم سمات بعض أشباه الإنسان: حواجب بارزة ثخينة ، وجباه متقهقرة ، وجماجم ذات سطوح منخفضة ، نبشت منهم بقايا ٣٨ شخصاً . منهم ١٥ شخصاً كانوا دون الأربع عشرة سنة من العمر،وواحد منهم فقط كان فوق الخمسين .

هذه الأرقام تدل على قائمة كبيرة لطباع مختلفة . وقد لاحظ الأستاذ ڤالوار أن ذلك الانسان القديم عاش أقصر عمراً من انسان اليوم . وقد قارن به عمر الانسان الندرتالي الذي ظهر بعد عصر الانسان الصيني الذي نحن بصدده . فوجد أن ٤٠ بالمئة منهم ماتوا تحت سن الحادية عشر ، وخمسة بالمئة فقط عاشوا فوق الأربعين .

يقول السير ارثر كيث: لذلك أنا أتوقع أن في هذه المجموعة من أناسي سيننثروبوس البالغة مئة نفر يكون العمر فيها منخفضاً، ليس معدله دون العشرين سنة . ولتسهيل الحساب دعنا نقدر لأفراد هذه المجموعة جميع درجات العمر ، نصفهم ذكور، والنصف الآخر أناث. ولنفرض ان هذه المجموعة تحتاج الى بقعة من الأرض لكي تعيش فيها ، سعتها ٢٠٠ ميل مربع . ولكي يعيش الانسان البدائي في فصل من السنة في مكان وفي فصل آخر في مكان آخر ، فقدر لكل فرد ميلين مربعين . ويجب أن نفرض أيضاً أن هؤلاء البشر البدائيين كانوا أضداداً يعني فرقاً متضادة حسب طبيعة الناس الأوائل . وهذا يستلزم أن يكون بينهم فواصل يلزمون حدودها ويحافظون عليها .

دعنا نخمن أن الموت ينتاب عشرة أنفار من مجموعتنا كل سنة وإنه يولد عشرة أطفال في السنة في مقابل هؤلاء الموتى . ولكي يمكننا إن ندعي هذه النتيجة يجب أن نلاحظ توزيع العمر على الخمسين فرداً من أطفال بناتاً ونساء يتألف منهم الجانب الأنثوي . دعنا نقسمهم الى ثلاث أقسام : (١) أولئك الذين تحت الخمسة عشرة سنة وعددهم نحو ١٥ ، (٢) أولئك الذين بين ١٥ و٣٥ (وهي سنو الخصب) وأعتقد أن المرأة في تلك الأزمنة البدائية كانت خصبة مدة عشرين سنة فقط . وافرض أن هذا القسم كان يشتمل على ٢٠ والدة في وقت واحد . وكنّ كل سنة بعد أخرى يقدمنَ للجماعة عشرة أطفال لكي يعوضنَ عن الوفيات، (٣) النساء اللواتي تجاوزنَ سن الخامسة والثلاثين وعددهنَّ نحو ١٥ . وحسابي هذا يتضمن أن كل سنة تبلغ فتاة سن الخصب. وتبلغ أم سن السادسة والثلاثين ،أي تبلغ عهد النضوب الذي نسميه نحن سن اليأس . وهكذا كل عشرين سنة يتجدد جيل الأمهات . أي في كل قرن تتوالى خمسة أجيال

في هذه المدة ، هذا الجيل الذي يلد في السنة عشرة يعطي مجموعة السننثروبوس ألف نفس بدل الألف الذين ماتوا . وفي دورة تجديد كهذه تتسنى فرص لعوامل « الانتخاب الطبيعي » اذ تحدث تغيرات في بنية السلالة . في جماعاتنا الحديثة يقدر أن ٦٠ بالمئة من الناس هم ضحايا عوامل الانتخاب الطبيعي، وأن ثمن الجيل يولد نصف الجيل الآتي بعده ، وإنه في غضون القرن يحل ٥٠ بالمئة من الأسرات محل الأسرات التي انقضت . وإذا صدق هذا الحساب على الجماعات الحديثة يصدق على الجماعات القديمة بحكم الطبع . الجماعة التي احتلت المنطقة في آخر القرن تختلف بغير شك عن الجماعة التي كانت تحتلها في أوله — تختلف جسماً وعقلاً

يقول السير أرثر كيث الى هنا كتبت وكان همي الوحيد بقاء الأشخاص الذين تكونت

منهم جماعة السينثروب البشرية الأولى . والحقيقة اني كدارس التطور في الدرجة الأولى ليس همي بقاء الأشخاص ، بل بقاء الوحدات الجرثومية أو البذور البشرية الأولى المشتملة في غدة هؤلاء الأشخاص التناسلية ذكوراً وأناثاً . إن دارس التطور لا يبالي الا بالعنصر المادي الذي في السلالة . فالشخص السينثروبي الذي لا يستطيع أن يضع جرثومته التناسلية في تيار الجماعة ويبقى لاذرية له يعتبر صفراً في سلسلة السلالة . ولا ريب أن عدد هذه الجرائيم كان في جماعة السينثروبي كبيراً جداً . فقد قدروه في خلية واحدة في جنسنا بنحو ٢٥٠٠٠ (genes) . والذي يهمنا في هذا ليس عدد هذه الجرائيم في جماعتنا التي نحن بصددها بل بنسبة هذه الجرائيم الى الأجسام الحية التي تحملها .

في أول خطوة من خطوات الجنين البشري توضع أول حزمة من الجرثومات الأصلية جانباً لكي تقدَّم في الوقت المناسب الى الجيل الجديد . هكذا كان وهكذا يكون . الجرائيم (Genes) التي نشأ منها جنين السينثروب كانت مواليد أولئك الجرائيم التي في زمان أقدم من ذلك الزمان في تاريخ الأرض قد ولدت أشباه القرود . وهذه الجرائيم بعينها التي هيَّأت أجسام السينثروب وعقولهم ، هي على الأرجح أسلاف الجرائيم التي تطوف الآن في أجسام سكان الصين . وهكذا أضع القارىء الآن أمام القسم الأساسي من عقيدتي : ان الجرائيم تتغير وتتطور ، وإن حوادث التطور في العالم الأعلى قررها ما حدث في عالم الجرائيم الأسفل .

في رأيي كيف أن هؤلاء الجرائيم التناسلية تعيش في الجسم وتغتذي من عصارة الجسم . ولكن حياتها لا تتأثر بحياة الجسم . ليس فيما يفتكره الانسان أو يشعر به أو يفعله يغير شيئاً في طاقة هذه الجرائيم ، لا صالحاً ولا رديئاً . العادات والذكاء التي حصل عليها على حساب عمله المتواصل لم تُمَسّ . وإذا كنا نعتقد مع لامارك وداروين أن هذه الجرائيم التناسلية تتأثر بما يتأثر به الجسم ، فما كان أسهل علينا من أن نحل كثيراً من قضايا النطور . مثال ذلك : الخطوط التي تظهر في كف الجنين حين يتجعد جلدها في حالة انقباضها . فاذا كنا نعتقد أن تأثير الاستعمال يُورَث إذن ، فيمكننا أن نفسر ظهور هذه الخطوط في أكف الأجنة تفسيراً صادقاً . على أن هذا التفسير رفضه أكثر دارسي قضية الوراثة . والحق انه ليس في بيئتي العلمية أحدٌ إلاّ الأستاذ المشهور وود جونس Wood Jones يعتبر أن كثيراً من تطورات الجسم البشري انما هي نتيجة وراثة العادة والاستعمال .

هنا نصل الى المسألة الجوهرية : كيف يفسر هؤلاء المعتقدون باستقلال الجرائيم التناسلية ، ارتقاء البشرية من السلالة البدائية (Simian) سلالة أشباه الانسان ، أي كيف

يفسرون سائر التطورات التي جعلت الانسان انساناً . فقد حدث انه في غضون نصف قرن إذ كنت أبحث في تطور الجسم البشري رأيت المركبة تتطور من شكل عربة تسير بقوة الخيل تدريجاً ، الى سيارات تكتظ بها الشوارع . يمكنني أن أجلو للقارىء ماذا أعني بآلة التطور البشري إذا كنت أقارنها بتطور السيارات . في كلتا الحالتين لنا ثلاث عمليات نعمل : ــ الانتاج والتنافس والانتخاب . ففي عالم السيارات يقوم الجمهور الشاري مقام الانتخاب فهو يختار بحسب ذوقه وكيسه . والمعمل الذي يعجز عن أن يقدم للناس ما يحتاجونه ، وما يستحسنونه ، يخفق ويبطل عمله . وينشأ التنافس والتزاحم بين المصانع المتناظرة التي تقدم السيارات لنفس الجمهور .

وهنا نتوجه الى جماعة السيننثروب ونسأل أين هو العامل المنتخب ، وكيف يحدث الانتخاب . عامل الانتخاب في هذه الحالة هو القوة ، وأعني بالقوة كل صفة تؤدي الى تقوية جماعة بشرية وبقائها . والجماعة لكي تبقى يجب أن تكون المودة متبادلة بينها ، ومتحدة في موطنها ، ولها عزيمة لمقاومة كل عداء من الخارج . وقد فرضت في جماعتنا هذه أن المواليد تساوي الوفيات بالعدد . ولكن دعنا نفرض أيضاً أن المواليد تفوق الوفيات كما هي العادة ليس في جماعتنا هذه فقط ، بل في الجماعات المحيطة بها أيضاً ، وان عددها زاد على ما تحتمله مناطقها . وحينئذٍ لا بد أن ينشأ تنازع بين جماعاتنا والجماعات الأخرى المجاورة — تنازع المناطق والأرزاق والحياة . ونفرض ان جماعتنا برهنت في هذا التنازع على أنها قوية إلى حدٍ أنها أمكنها ان تفني الجماعة المجاورة بحيث إنها تحل محلها وتستعمره . فإذاً المنطقة التي تقيم فيها جماعتنا تتسع . هكذا تصور حدوث التنازع والانتخاب في الناس البدائيين .

والآن أنا أحاول مقارنة أخرى أصعب وأعقد - مقابلة انتاج السيارة بانتاج الطفل البشري . مقارنتنا هذه يجب ألاّ تفسر لنا كيف النماذج القديمة نشأت فقط ، بل كيف نشأت وتغيرت وتحسنت وتطوّرت أيضاً . لكي نقارن جماعتنا بمصنع كبير ، دعنا نختار مصنعاً مقسماً الى عشر دوائر ، كل دائرة تنتج نوعاً خاصاً من طراز تلك السيارة . ففي عالم السيارات يحدث الانتاج تحت سقف واحد ، ولكن المنافسة تحدث في العملاء بين عدة مصانع ، في حين أن الانتاج والتنازع والانتخاب والسلالة البشرية كلها تحدث تحت سقف واحد .

نظرنا الآن في جراثيم (Genes) الانتاج البشري ، فأين نرى مضارعاً لها في معاملنا ؟ الجراثيم في المصنع هي جم غفير من الصنّاع الحاذقين الذين نراهم في كل عشرة من العمال في المعمل . وصانع السيارة يختلف عن الجرثومة التناسلية البشرية بأمرين مهمين : الصانع يعمل

خارج المادة التي يشتغل فيها، في حين أن الجرثومة تعمل ضمن مادتها، وكلا الجرثومة والمادة سيئان. والفرق الجوهري الآخر هو أن الصانع يجب أن يحصل على حذقه الصناعي (بالتعلم والممارسة) وأما الجرثومة، كالنحلة الصانعة، تأتي الى الحياة متعلمة صناعتها منذ بدء تكونها تام العلم.

ولكي نقوي هذه المقارنة دعنا نفرض أن الصانع كالنحلة يعمل عمله بقوة الغريزة والعادة ويصنع أداة (دولاباً مثلاً)، من غير تفكير في الغاية التي يصنع لأجلها. ونفرض أيضاً أن صناعنا مقسومون الى فوجين، وكل فوج يصنع سيارة. وبتعاون صناع الفوج الواحد تنجز سيارة واحدة معدّة للسير في الطريق. نعمل مقابلة كهذه في فرض انتاج طفل. ولنا أن نعتقد أن في داخل البيضة البشرية الملقحة تجمع جمع كبير من الجراثيم السلالية التناسلية Jenes التي لا يضبطها المجهر والتي تشترك في عملية الانتاج. أولاً تنتج جرثومة جنين، ثم تنتج خلية جنين، وأخيراً طفلاً.

الى هنا مقابلاتي هذه لم تمثل إلا انتاج النماذج الأولى. فلم ترشدنا الى كيف أن النماذج تتغير وتتطور وتتحسن. الآن في المصانع الحديثة توجد أدمغة تتلقى من معاملها انتقادات العيوب فيما يصنع من السيارات، وارشادات الى ما يحتاجه أو يتمناه طلاب السيارات من المزايا والتحسينات. وبناءً على هذه الملاحظات يشرع المحسنون يشتغلون ويستنبطون، وليسوا فقط يصلحون العيوب، بل يعدلون الطراز لكي يكون أفضل فأفضل، وأقل عيوباً، ففي المصنع الذي تصورته فرضت أن الصناع يشتغلون بالغريزة، فهم قلال الذكاء، غير متأثرين بالاختبار. وجل ما هنالك أنهم ينجزون الطراز الذي تعودوه. ولنفرض أن فوجاً آخر يمكن أن يستنبط نصفه من الصناع الذين يشتغلون في السيارة الكبيرة مع صناع آخرين تعودوا أن يشتغلوا في السيارة الصغرى. فإذا أشغلنا هؤلاء الصنفين من الصناع معاً تنتج لنا سيارة جديدة مختلفة عن السيارات التي كانت تنتج من الفوجين، مختلفة في الحجم وسائر المزايا هذا هو الذي يحدث في معمل الانتاج التناسلي.

ففي البيضة البشرية الملقحة لفوج الجراثيم مصدران أصليان: النصف الواحد مشتق من الأب والنصف الآخر من الأم. وكل جماع للقاح يأتي بائتلاف جديد من الجراثيم. كل جرثومة انثوية تأتلف مع جرثومة ذكرية. فالجراثيم البشرية مبنية بناءً مزدوجاً، وإذا جئنا نتمم مقارنتنا يجب أن نرتب صناع فوجنا الجديد أزواجاً كل صانع من صناع السيارة الكبرى يتصل بالصانع الذي يقابله أو يماثله في السيارة الصغيرة، ويجب أيضاً أن نفرض أن صناعنا الذين يصنعون نفس الشيء الذي كان معيناً لهم يختلفون في الحماسة والطاقة والحذق

الى غير هذا مما يأتونه في المعمل الجديد . فقد يكون الصانع قدبراً وحسناً ومتفوقاً ، أو قد يمشي في عمله بلا اهتمام،أو يكون قليل الحذق بحيث لا يكاد يعد صانعاً كذلك هذه الجراثيم التناسلية يكون منها ما هو قدير ومتفوق ومنها ما هو بليد وضعيف . والجراثيم التي من هذا النوع تعرف في العالم البشري « مرتدة أو كامنة » . واذا اجتمع عاملان متغلبان ألفا شركة قوية . واذا قرنا الصانع المتفوق بواحد من طبقة العمال لافت الشركة عيب هذه. ولكن اذا حدث أن اقترن اثنان من طبقة العمال فحينئذٍ يصنعان سيارة معتلة يظهر عيبها حالما تسير في الطريق . هكذا جراثيمنا كعمال مصنعنا متفوقون،أو بين بين ، أو متقهقرون. ويمكننا أن نؤلف منهم جماعات مختلفة المزايا لا يكاد يحصى عددها . مع ذلك طالما نحن نحافظ على طبيعة قواعدها الأصلية فهي تستمر أن تنتج أنواعاً من الطراز القديم وهكذا العمال الذين لم يمتزج بهم عمال من صنف جديد،يستمرون أن ينتجوا سيارات قديمة الطراز ولا يمكنهم أن ينتجوا طرازاً جديداً .

* * *

نعود الى جماعة السينثروب فقد افترضنا أنه في غضون قرن من الزمان حدث الف زواج،وحدث الف امتزاج جديد بين الجراثيم التناسلية . وفي نهاية القرن رأينا اختلافاً بين الجيل الجديد، والجيل الأصلي ، اختلافاً قد يكون جوهرياً،فيحدث تطوراً في جيل جديد .

لكي أورد ما يمكن أن يسمى « مصنع التطور » ألخص كلمات الأستاذ كارل بيرسون التي نشرت في سنة ١٩٣٠ بعنوان « نظرية جديدة في التطور التقدمي » . كان حينئذٍ في الثانية والسبعين من عمره . وفي طوال حياته كان يسلم برأي دلتون انه على مدى الأجيال يكون بعض الأفراد ميالين للارتداد الى منحط طبيعة سلالتهم أو الى متوسطهما . وفي هذه النظرية الجديدة رمى بيرسون نظرية جلتون في البحر . في ١٩٠٥ شرع يولد زوجين كلب وكلبة . وفي سنة ١٩٣٠ ربى خمسمائة أنموذج من هذه السلالة وكان مدهوشاً ، وفيما هو ماضٍ في عمله ،كان يرى أنه يظن أن مواليده تستمر على طراز واحد فوجد أن بعضاً منها شذت، وكلما أمعن في توليدها ازداد شذوذها وظهرت طرازاً جديداً . فقال في نظريته الجديدة « اذا ابتدأت التوليد بزوجين (والدين) وحصرت التوليد في مواليدهما على الرغم من ملازمته طرازه يتغير باطراد من غير « انتخاب » . ولايضاح نظريته تصور التوليد المنحصر في أسرة بشرية مشتملاً على عدد طوال القامة ، وبرهن حسابياً على أن

الجماعة التي نشأت هكذا يكون فيها ميل لاستمرار الاستطالة في متوسط قامات الجماعة .

ولتفسير نظرية بيرسون من الناحية الجرثومية يجب أن نعتبر في حالة التزاوج داخل جماعة صغيرة إن الجراثيم التي لها مقدرة أن تزيد طول القامة تصير من حين الى آخر ذات صلة بالجراثيم التي تتغلب فيها هذه القدرة ، وتزداد فيها الجراثيم المحدثة الطول في الجماعة . في هذه الحالة ينشأ الميل لاطالة القامة . وإذا سببت القامة الطويلة نجاح الجماعة في تنازع البقاء ، فما من سبب في توقف هذا الميل عن الاستمرار . فالانتخاب على كل حال يكون من حظ الجماعات المتوسطة القامات ، لا من حظ نحاف القامات وقصارها . وإذا اقتضى الأمر ففي امكاني أن أستشهد بعدد من علماء التطور الذين امتحنوا الأدلة على مسألة الطول والقوة ، واقتنعوا بأن ازدياد القوة التدريجي في تأليف الجراثيم المختلفة هو العامل الأساسي في عملية التطور . وإذا كان حاملو هذا الميل يقضون غرض الحياة فاذاً هم يتمتعون بنعمة الانتخاب الطبيعي ، والا فيتقهقرون وأخيراً يعزلون من الوجود .

ولكي أمثل على تطبيق هذه النظرية على أنواع البشرية أعود الى جماعتي السيننتروبية ، فمن حيث قامات هذه السلالة البشرية القديمة ليس عندنا الا القليل مما يرشدنا الى غايتنا ، وإنما يمكننا أن نسترشد بشيء من أحجام أدمغة أولئك الصينيين القدماء . فقد قاس ويندمرشك سعة جماجم خمسة من أولئك القوم . فوجدها تتراوح بين ٩١٥ سنتيمتراً (مكعباً وهي أصغر من أي دماغ في هذا الزمان) و١٫٢٢٥ وهو مقدار أصغر دماغ اليوم . حسبنا أن نقول أنه في جماعتنا هذه كان يوجد عدة أسرات تحمل جراثيم تناسلية متجهة الى أدمغة ١٢٠٠ سنتيمتر مكعب أو أكثر ، وانه في عملية التزاوج كانت هذه الجراثيم تتلاقى لكي تولد أدمغة ميالة الى الازدياد حجماً . ولذلك أقول ان الجماعة الجيدة الأدمغة تكون أنجح في الداخل وفي الخارج من الجماعة التي لم تفز بأدمغة جيدة .

وحين نقول بازدياد حجم الدماغ البشري بالسنتيمترات المكعبة نجد حينئذٍ قضية أعقد في بحثنا . وحين نعلم أنه في كل سنتمتر مكعب من الدماغ نحو ٢٠ مليوناً من الوحدات العصبية ، أي في كل ١٠٠ سنتيمتر مكعب ، ٢٠٠٠ مليون وحدة — وهو عدد يعادل سكان الكرة الأرضية — وان الدماغ المتوسط السعة في أيامنا هذه يحتوي (١٤٠٠ سنتيمتر مكعب) . فيها ٢٨ ألف مليون وحدة عصبية . إذن فيمكننا أن نفهم القوى العجيبة المنظمة التي ننسبها الى الجراثيم genes التي تنظم نمو الدماغ البشري واطراد ارتقائه . مع ذلك لا يمكننا أن نتنصل من هذه الحقيقة وهي أن عالم الخليات العصبية الكثير الأنواع انما هو متولد من خلية واحدة في الأصل — « البويضة الملقحة » — وإن القوة الأصلية

المنظمة كانت موجودة في هذه الخلية . وفي غضون النمو كانت فرق من هذا الجيش العرمرم من الخلايا العصبية تحتل المحطات المعينة لها ، وتهيئ الاتصالات المتبادلة بينها . وهكذا أصبح الدماغ آلة للسيطرة على الجسم ، وتدبير شؤون حياته . اعط القائد الأعلى القوة الكافية فينجح في تنظيم جمع سكان الكرة الأرضية في جيش واحد . ولكي ينجح في هذه المهمة يجب أن يكون في امكانه أن يوفد ممثلي سلطته الى تحت فتحت الى أن يصل الى جميع أطراف سلطانه . ان للجرائيم التناسلية التي تسيطر على رقي الدماغ البشري هذه المقدرة

هناك أسلوب واحد يمكن أن يقضي الامر في نمو الجسم البشري ، أذكره فيما يلي : —

الجرثومة genee يمكن أن تتغير Mutate أي تتغير فجأة في الطبيعة،وتحدث في ناحيـة من الجسم أو في الدماغ نمواً غير نظامي . فلا ريب أن علماء الأجنة مُحقـون في أن ينسبوا اكثر الشواذ البدنية والعيوب في المواليد الى التغير الذي نجده في الجرائيم المذكورة . مع ذلك أرى أن تغير هذه الجرائيم قد لعب دوراً صغيراً في تكييف سلالات الجنس البشري الحديثة .

وهكذا سترى اني قد نسبتُ أسباب آلة التطوّر أو انتاجها الى عالم الجرثومة التناسلية، في حين أني أنسب عوامل التنازع والانتخاب الى عناصر الحياة العليـا حيث يقع الرجال والنساء تحت الاختبار سواء افراديـاً أو جماعيـاً أو اجتماعيـاً كجماعة . وآلة التطوّر كما أفهمها وأراها تشبه قوة مجلسي البرلمان البريطاني — اللوردات والنواب. ان انشاء المشروعات القانونية الجديدة أو خلقها تقع بين يدي المجلس الأدنى (مجلس العموم) . وما على مجلس اللوردات إلاّ أن يختار ويقبل أو يرفض ما يقدمه له مجلس العموم . يجب أن تمر المشاريع في كلا المجلسين قبل أن تصل الى صاحب التوقيـع الأعلى وتصير قانوناً . وقد وضع داروِن ما اعتبره القوة العليا في التطور التي سماها « الانتخاب الطبيعي » — في يد المجلس الأعلى أي مجلس اللوردات . وأما نحن أهل الجيل الحاضر في ضوء العلم الذي اتسع نضع هذه القوة العليا — قوة الخلق — في المجلس الأدنى ، مجلس العموم .

صحيفة

بين الاجرام

لايأتي عيد الفصح عند النصارى حتى يكون هذا العدد من المقتطف بين أيدي قرائه، فيتذكرون آلام السيد المسيح وهو معلق على خشبة الصليب، ومن حوله لصان مصلوبان أيضاً. وكان الشعب واقفين يسخرون منه قائلين: خلص آخرين فليخلص نفسه ان كان هو المسيح مختار الله. وكان أحد المذنبين المصلوبين معه يجدف عليه قائلاً: إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا. فانتهره اللص الآخر قائلاً. ألا تخاف الله إذ أنت تحت الحكم بعينه. أما نحن فبعدل ننال استحقاق ما فعلنا. وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله. ثم قال ليسوع اذكرني يارب متى جئت في ملكوتك. فقال له يسوع: الحق أقول لك أنك اليوم تكون معي في الفردوس

وأما اللص الثاني فلما سمع يسوع يمنّي زميله بالفردوس في نفس ذلك اليوم رام أن يصلح الحديث الذي جرى بينه وبين زميله ويستغفر عن التجديف الذي جدفه على المسيح. فقال لزميله. وحياة أبيك تشفع لي عند السيد لكي يسامحني ويأخذني معك الى الفردوس. فقال: اطلب أنت هذا منه رأساً فهو يجيب طلبك.

فقال: أخجل أن أطلب منه خيراً بعد أن أهنته. فقال لا تخجل فهو مسامح كريم لا يحقد.

وعند ذلك سقوا يسوع خلاً وماء وطعنه أحدهم بحربة. فقال يسوع: يارب اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما ذا يعملون. فقال اللص الأول لزميله، أسامع أنت انه لا يحقد. أطلب منه فيغفر لك.

وفي تلك الساعة جاء قيافا الحاخام الأكبر الى أمام الصليب لكي يرى يسوع ويتشفى به فسمع اللصين يتناقشان فقال لهما: أتؤملان خيراً من هذا المصلوب؟

فقال اللص الأول: أجل سيأخذنا اليوم الى الفردوس.

فقال قيافا: أين الفردوس هذا.

أجابه : حيث لا تستطيع أن تذهب أنت .

فوجف قيافا وقال بصوت متهدج : — لماذا ؟

فقال اللص : لأنك كبير المجرمين . كيف تصلبون هذا القديس البار وهو يهوديٌّ مثلنا ولم يأتِ أمراً إدّاً . ما ضرّكم لو أبقيتم عليه وتقبّلتم تعاليمه وكلها حِكَمٌ . إنها خيرٌ من توراتكم وتلمودكم .فلو سمعتم عظاته وعملتم بها لكنتم من مملكته الآن وكنتم تمضون الى الفردوس . ولكنكم خفتم منه على سلطتكم الزائفة .

فقال قيافا : وهو يضطرب : أتعتقد أنه ملك ؟

— بلا شك هو ملك اليهود . واليهود لا يستحقونه ، وقد أضاعوا فرصة لا تعود .

وكان قيافا ينتفض جزعاً وقال : بالله عليك اذا مضيت الى الفردوس هل يمكنك أن ترسل لنا الخبر اليقين عن هذا الفردوس . هل حقيقي هناك فردوس، أم أنه أقصوصة ملفقة ؟ وماذا هناك ؟

وهنا حدث زلزال انشقّ به حجاب الهيكل . فجزع قيافا أي جزع ورفع يديه الى المصلوبين يستغيث ، فاذا هم قد أسلموا أرواحهم

وكان الوقت الظهر أو بعده بقليل . ومضى يسوع الى الفردوس وتحت ابطيه ذراعا ذينك اللصين التائبين . ولا ريب انهم باتوا تلك الليلة في الفردوس . لأن الأرواح تنتقل الى عالمها الآخر بأسرع من ومضة النور . ولا ريب أن الفردوس في مكان وراء هذه العوالم المادية التي يقضي النور عشرة آلاف مليون سنة حتى يعبرها . ولكن الأرواح تصل إليها بوثبة واحدة . فلا تحسب حساباً للزمان ولا للمسافات ، ولا تقف في سبيلها عوالم مادية .

أجل يمكن الأرواح أن تفعل هذه المعجزة لأنها من طينة الوهم .

* * *

في تلك الليلة لم ينم قيافا من شدّة الخوف ، لأن ضميره شنّ عليه حرباً عواناً بسبب أنه قتل ملك اليهود . فلعن الله اليهود . ومن ذلك الزمن الى اليوم لم يزد عدد اليهود . ولم يقم لهم هيكل ، لأن الرب لا يزال غاضباً عليهم .

وفي تلك الليلة ظهرت روح اللص الأول لقيافا في غلس الليل فارتعد أي رعدة . فقال له اللص:لاتخف . لقد طلبت مني أن أخبرك عن الفردوس . نعم الفردوس هو مرتع النعيم والنعمة للأبرار . ولهذا لايمكن أن تراه أنت . وإذا وصفته لك لا تستطيع أن تتصوره. على أني مستعد أن أخبرك ما تشاء من أخبار الأرض منذ خلق الله الخليقة . أنا الآن في نجم يبعد عنكم أربعة آلاف سنة نور . أعني أن النور الذي صدر من الأرض منذ ٤ آلاف

سنة يصل إليّ الآن حاملاً أشباح الحوادث التي حدثت حينئذٍ .

وكان قيافا ينتفض فرقاً فقال متهدج الصوت : بالطبع ترى الآن أمنا حواء . وأبانا آدم . هل ترى في حواء جمال اليهوديات، وسحر عيونهن وغمزاتهن .

أجاب اللص : أجل أرى حواء عارية كنسائكن اليوم ولكنها لا تتخلع . أراها أمام شجرة التفاح وهي تتدلل على سيدنا آدم عليه السلام، وتقول له أريد تفاحة . فقال لها وأنا أريد تفاحة أيضاً ، ولكن التفاح عالٍ علينا ، فلا تصل أيدينا اليه . فقالت — سلامة عقلك . أين ذكاؤك ؟ ارفعني على كتفك .

فرفعها فقطفت تفاحتين . وفيما هما يأكلان « سمعا الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار . فاختبأا من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة . فنادى الرب آدم وقال له : أين أنت ؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان . فقال من أعلمك إنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها ؟ فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت .

فصاحت حواء . كذاب . كذاب ، هو قال لي أرفعك على كتفي كي تصلي الى التفاح فتقطفي لي ولك .

وغضب الله عليهما فطردهما من جنة عدن . وأقام شرقي الجنة الكروبيم أي ملاكين وفي يديهما سيف لهيب متقلب لحراسة طريق الحياة .

وكان قيافا : يرتجف فقال: أما رأيت الحية تخدع حواء .

— لا لم أرَ إلاّ رأس حية طالعاً من دماغ حواء وذيل حية ناتئاً من أذن آدم ، ولكن الحية كما نعرفها لم أرَ .

وهل في الجنة بنك أو بورصة أو شيء كهذا ؟

— لا . لأنه لا فلوس في الجنة . ليس فيها إلاّ المعرفة والثمر .

لهذا لم يستطع آدم وحواء البقاء في الجنة . طالما لا مال في الفردوس . ليس في الفردوس تعب ولا شقاء ولا عمل لكي ينشئوا بنوكاً وبورصة . بل فيها راحة وهناء وسرور . ولذلك طردهما الله من الجنة لأنهما خالفا وصيته .

فتنهد قيافا وقال : إذن لا يؤسف على الجنة أسفاً عظيماً .

— ويحك: ألا تأسف على الراحة والهناء ، أوَ لا تهتم للشقاء والتعب خارج الجنة .

— لا ياسيدي لأن التعب للجوييم (الأنجاس) غير اليهود . هؤلاء يتعبون واليهود ينعمون

— وفي الآخرة ؟ ألا تخافون من الجحيم .

— متى وصلنا لهناك نُفرّج . هذه شريعتنا .

— تعني شريعة التلمود .

* * *

واستأنف قيافا السؤال وقال : هل يمكنك أن ترى فلك نوح ؟

— أجل هذا يقتضي أن أتقدم الى النجم فرقد لكي أستقبل النور الصادر من الأرض منذ ٢٣٤٩ سنة حين حدث الطوفان لكي أبحث هناك عن نوح وفلكه . هه . ها أنذا أرى بحراً من الماء والسماء تصب فيه صباً . وقد غمر الغمر كل نجد بين الأنهر فيسون وجيحون وحدّاقل (الدجلة) والفرات . أصبحت أرض الحويلة وكل ما حولها كأنها بحر يتصل ببحر فارس، وقد غمر أرض كوش والجزيرة (السورية) منظر غريب عجيب هائل .

— هل ترى فلك نوح الذي طوله ٣٠٠ ذراع وعرضه ٥٠ ذراعاً وارتفاعه ٣٠ ذراعاً

— وي . وي . في عصر نوح لا ترى فلكاً بطول ٣٠ ذراعاً فكيف بثلاثمئة ؟ لا أرى إلاّ زوارق أطولها عشرة أذرع وأرماثاً [1] كثيرة وكلها عند سفوح الجبال وعليها الناس هاربون من الفيضان . هذا فيضان عظيم لا طوفان .

— ولكن التوراة تقول فيضان وفلك نوح ٣٠٠ ذراع .

هذه « فشرة » من الذي كتب الأسطورة . والأسطورة ما انكتبت إلاّ بعد سبي نبوخذنصر بابل أي منذ ٦٠٠ سنة (ق م .) .

— ياهذا لا تجدف . الطوفان حدث . حدث الطوفان .

— لعله حدث من قبل ، من زمن بعيد . دعني أتراجع الى الوراء لكي أستقبل حوادث عريقة في القدم...هه . أرى ثلوجاً هائلة.تراجعت ١٥ الف سنة (ق.م)الى الوراء. هذا هو الذي سيسميه علماء المستقبل العصر الجلدي . أتراجع أيضاً عدة سنين فأرى الثلج يذوب . الأرض مغطاة بالماء الى سفوح الجبال .

فقال قيافا — هذا هو الطوفان — ابحث عن الفلك الضخم .

— حقيقة إنك غبي ـ وهل كان الانسان يعرف أن يبني سفينة منذ ١٥ الف سنة ؟ لا سفينة ولا فلك ولا ناس . الناس هربوا الى الجنوب حيث تقل الثلوج . صاروا في أفريقيا

— يا خسارة ، كنت أود العثور على فلك نوح اذ لا بدّ أن يكون نوح قد عبأ فيه كثيراً من ذهب الحويلة الذي يقال أنه جيد ، وكثيراً من الحجارة الكريمة كالمقل وحجر الجزع كما روي في التوراة

(١) ارماث جمع رمث وهو خشب يضم بعضه الى بعض ويربط ثم يركب في البحر أو النهر

أنت تتحسر على الفلك لما فيه من ذهب الحويلة لا على الأنفس التي ضاعت في الطوفان

فقال قيافا . الأنفس ؟ لا تخف ؟ « أرض تبلع وبطون تدفع » دعني من تأنيبك الآن واخبرني أما ترك الاسرائيليون وراءهم شيئاً في مصر قبل أن يبرحوها ؟ أنظر .

فقال اللص : أعود الى النجم العيوق لكي أشاهد خروج الاسرائيليين من مصر . جل . أرى شرذمة لا تزيد على ٣٠٠ نفر كباراً وصغاراً .

— ويحك . خرجوا من مصر ست مئة الف ماشٍ من الرجال ما عدا الأولاد . وصعد معهم لفيف كثير أيضاً مع غنم وبقر ومواشٍ وافرة جداً . كذا تقول التوراة — إذن فالذي تراه ليس خروج الاسرائيليين من مصر ، غيّر موقفك وانظر جيداً

— بلحظة واحدة أقدر أن أغير موقفي . أنا الآن في سنة ١٤٩١ (ق.م) منذ هذا اليوم وهي سنة الخروج بحسب نص التوراة — هنا الاسرائيليون يأخذون من المصريين أمتعة فضة وذهب وثياباً . ها هم يهربون بها . ها هم عند فم الحيروث متجمعون لا يزيدون عن قطيع بشر قد يبلغون الخمس مئة . هه . ها هم . عند شاطىء البحر الأحمر وقد انحسر الماء بسبب الجزر . ها الجزر قد انتهى وشرع المد يمتد على الشاطىء . ولكن الاسرائيليين صاروا بعيدين .

— أنظر هل فرعون وجيشه وراءهم ؟

— لا فرعون ولا جيش فرعون . ولا فرعون دارٍ بخروجهم .

فتمتمت قيافا وقال : رح عد لفردوسك . لا ترى شيئاً ولا تعرف شيئاً . وإن كنت تعرف كما تدعي فرح إلى جبل سينا وانظر هناك موسى يقدم اللوحين الحجريين للرب لكي يكتب وصاياه عليهما . وانظر هل شطب موسى الوصية الخاصة بالربى لأنها غير موجودة في التوراة مع الوصايا العشر . هذه وصية مهمة لا يمكن أن يغفلها الرب .

لا أرى هناك سوى هرون يسبك بعض المعادن ليجعلها صنم عجل ، واليهود متجمعون حوله . وأما موسى فصعد الى الجبل ليختبىء من غضب الشعب .

— طيب ، أوَلا ترى موسى يصنع تابوتاً لكي يودع فيه اللوحين .

— قلت لك ، لا لوحان منحوتان ولا موسى يصنع تابوتاً . ها أنا أغير وضعي وأرى كل شيء في الجملة ، ها أنا اذا أرى اليهود يرحلون من هناك الى الشمال .

فاستشاط قيافا وقال : عجباً عد الى الجبل وانظر الله يكتب على اللوحين الحجريين بأصبعه

— حقاً انك غبي : ألا تعلم ان الله لا يُرَى ... لا موسى ولا الكهنة يرونه . وليس له أصابع يكتب بها . لعلك تعني يهوه رب الجنود . هذا ليس الله . ما يهوه إلا عسكري

لا يعرف يكتب ، لا يعرف إلاّ أن يقتل .

فقال قيافا مسلماً . انتقل الى أورشليم وانظر هناك الملك سليمان يبني الهيكل .ألا ترى هناك تابوت العهد وقد صفحه سليمان بالذهب من الداخل والخارج وأودع فيه تابوت العهد

– أجل انتقل الآن الى النجم الجبار حيث بيني وبين أورشليم مدة ١٠١٠ سنين وأرى هيكل سليمان يبنى، وأرى صانعاً حاذقاً يحفر كلاماً على لوح من حجر. لعلك تعني هذا

– ذاك حفر في طورسينا منذ سنة ١٢٥٠ ذلك هو الذي فيه الوصايا العشر .

– ولكن هذا الصانع يحفر الوصايا العشر وها هو قد أتمها ، وها هو يضعها في التابوت الجميل

فاستشاط قيافا وقال : انك غشيم . لا ترى جيداً ، إن ما تراه الآن حدث في طورسينا منذ ١٢٥٠ سنة (ق.م).

– أنت لا تفهم الحقائق التي أنقلها لك كما حدثت وأنا أراها رأي العيان — ها نبوخذ ناصر يغزو أورشليم . وها أرميا ينقل تابوت العهد من الهيكل الى مغارة في جبل نبو لكيلا ينهبه نبوخذناصر .

– بربك ألا يمكنك أن تدلنا على تلك المغارة بالذات لكي نستخرج التابوت منها ونرى اللوحين الحجريين بأي لغة كتبا ونرى هل خط أصبع الله جميل ؟

فقهقه اللص وقال : يا مساكين أتطمعون باللوحين أم بالذهب الذي يغطي التابوت من الداخل ومن الخارج ، خسئتم . خاب فألكم .ما عاد ارميا من الجبل منذ ٥٨٦ بعد أن دفن للتابوت في مغارة فيه حتى عاد اولئك الأنفار الذين كانوا معه يعاونونه ، ونبشوا المغارة واستخرجوا التابوت ، وكسروه وتقاسموا الذهب الذي فيه .

– واللوحان ؟

– كسروهما .

– واخساراتاه ، تبّاً لهم ، يكسرون شريعة الله وينهبون الذهب الذي يغلفها ، كيف عاقبهم الله يا ترى .

– كما سيعاقبك على صلبك ملك اليهود .

فارتعد قيافا وقال : رحماك . لا تذكرني : أين هو ملك اليهود الآن .

هو مع الله يشرح له خياناتكم العظمى يا أولاد الأفاعي . أتستطيعون أن تهربوا من غضب الله .

في تلك الليلة مات قيافا رئيس الكهنة هلعاً .

ويقال أن هذا اللص الفردوسي بقي يتنقل بين الأجرام ويستقبل أشباح الأرض الصادرة عنهـا مع موجات أنوارها، ويرسل أخبارهـا إلى من كان في الأرض على استعداد لاستقبالها . فكان كأنه صحفي يأتيك بأخبار الزمن الغابر كأنها أخبار اليوم ويقال أن بعض مخاطبي الأرواح اتصلوا به وتلقوا منـه اخبار سدوم وعمورة ، وأيلولة جسم امرأة لوط الى عمود ملح ، وبناء ابراهيم مذبحاً، وتقديم محرقة للرب، ووضع ابرهيم ابنه اسحق على الحطب لـكي يحرقه ، الى أن ناداه الرب ونهاه عن أن يحرقه . ثم خبر جليات الجبار وهو يضرب الفلسطيني بمقلاعه . الى غير ذلك من تفكهات الزمن القـديم ، فكان خير صحفي يروي الأخبار القديمة بأمانة وصدق كأنها حدثت اليوم .

ويقال ان « أديسون » المخترع العظيم اخترع قبل موته آلة كهربائية حساسة جداً تستطيع الأرواح السابحة في الأوقيانوس الأثيري أن تؤثر فيها . فاذا كانت الأرواح قد اطلعت قبل رحيلها من هذا العالم على سر هذه الآلة، وفهمت كيفية تركيبها وكيفية استعمالها، وكيفية تأثير الأرواح فيها من عالمها الأثيري يستطيع الأحياء الذين عندهم هذه الآلة أن يتفاهموا مع تلك الأرواح . وبالطبع ان الذين يفهمون هذه الآلة، ويعرفون كيف يستعملونها هم العمال في معمل أديسون والذين كانوا أعوانه في صنعها . ولا ريب أن أول روح يخاطبونها بهذه الآلة هي روح أديسون نفسه . وبعد ذلك يسلم أديسون المفتاح لصحفي الفردوس فيخبر العالم أخبار العالم الثاني أو العالم الـكوني الذي يطوف فيه .

ما زلنا الى الآن ننتظر نبأ من أديسون ، كما أن جمعية العلم العقلي الروحاني تنتظر من يستحضر روح هوديني الذي أودع عندها (عند الجمعية) علبة مختومة فيها ورقة كان هوديني قد كتب فيهـا جملة واقترح على أي دكتور روحاني أن يستحضر روحه ويسأله ما هي الجملة التي كتبها وأودعها في العلبـة . حتى إذا صدقت الروح المستحضرة كانت روح هوديني بعينه . وحينئذٍ يأخذ الدكتور المحضر الروح ٩٠٠ جنيه جائزة الى الآن هذه الجائزة معروضة في الجمعية لمن يستطيع أن يكسبها . وستبقى الى الأبد حديث خرافة هو حديث الأرواح . وبث فـكرة عالم الأرواح ومخاطبته بين عامة الشعوب يوسع حقل الخرافات. وبالتالي يكثر اخطارها وأضرارها .

اسباب اضطراب العالم
والجنون الاجتماعي

ورث القرن العشرون من القرن الذي سبقه جريمة الاستعمار . وكانت جريمة فظيعة لم يسبق لها مثيل في التاريخ . نعم كانت الأمم تحارب بعضها بعضاً ، حتى إذا انتصرت إحداها استغلت الأخرى وأدمجتها فيها كما فعل الاسلام مثلاً حين فتح الشرق والغرب وجعل جميع الناس سواسية في الحياة فلم يستعبد ولا عذب ولا قتل . ولكن لم يحدث أن سبعة ملايين هولاندي يملكون سبعين مليون اندينوسي ويستعبدونهم ويفظعون فيهم ارهاباً لكي يستطيعوا أن يحكموهم بشرذمة من الجنود وبقليل من السلاح .

وكان من وسائل تنافس الدول في الاستعمار الامعان في دس الدسائس بين الأمة المستعمَرة تنازعاً لها . وما كان في التاريخ قط ان أمة كالأمة الانكليزية وهي في طرف الكرة ، لا تغيب الشمس عن أملاكها . فالاستعمار الذي هو تنازع للبقاء بين المُستعمِر والمُستعمَر صار تنازعاً بين المستعمرين أنفسهم . وكان من وسائل تحميس الشعب للحرب أن هتلر كان يستفز الألمان بصراخه في آذانهم وتمكينه في أذهانهم ترديده في خطبه « يجب أن نسترد مستعمراتنا » . وكانت دول الحلفاء قد تقاسمتها بعد الحرب الكبرى الأولى ، وكانت الحصة الكبرى للتي لا تغيب الشمس عن أملاكها . فكان أول أسباب الاضطراب العالمي هو الاستعمار . ثم تداعيه للانهيار .

فالحرب الأولى كان سببها تفاقم الاستعمار حتى أنه بلغ القمة . وفي الحرب الثانية جعل الاستعمار ينهار ، أو انه انهار ، وكانت القنبلة الأولى التي دكته دكاً بنود ويلسن رئيس الولايات المتحدة التي قصد بها ازالة أسباب الحروب وأهم بند فيها هو « سياسة تقرير المصير » التي زعزعت صولة الاستعمار . وجاءت الحرب الثانية فنسفته نسفاً ، وحررت أعظم الأمم المستعمرة — الهند وأندونيسيا وغيرها .

كانت الحروب في هذا القرن تنازعاً للمستعمرات فأصبحت اليوم « تنازعاً للبقاء » وهو أهول تنازع في العالم الانساني . ولماذا هذا التنازع ؟ يقال إنه تنازع للبترول لأن العصر الصناعي يحتاج اليه أكثر من حاجته الى الرغيف — فهو ضروري للسفينة والقطار والطائرة والسيارة فضلاً عن المعمل الخ . وكل هذه من أهم أدوات التسليح . ولكن ما تكسبه الأمم المحاربة من الزيت تنفقه في الحرب لأجل الزيت. فما هذا التنازع الذي ليس للبقاء بل للفناء ؟

من لا يقول أن الحرب أصبحت اليوم ثورة جنون هائلة — جنون مطبق،تنتحر فيه الأمم انتحاراً — خسرت روسيا في هذه الحرب ٢٠ مليوناً من خيرة الفتيان . وخسرت أوربا وأميركا ضعف هذا العدد ونصف ضعفه . ثم خسر الفريقان أكثر من نصف بترول الآبار التي تنزح اليوم . أضف الى هذه الخسارة من الانتاج والأرواح ضنك الأحياء — جميع الأحياء من الأمم : فقر وشح ونقص مأوى وتمس ، اللهمَّ إلا في نفر معدود ممن اختلسوا الثروات الهائلة وجعلوا يتنعمون . يعني إنك اذا جعلتَ تعمل حساب الحرب ، « من » الى ، ترى أن العالم كله خرج خاسراً من هذه الحروب. يقال أن الحرب تنازع للبقاء فالأصلح يبقى . ولكننا نحن خرجنا من حربنا من غير صالح للبقاء ، بل خرجنا بلا بقاء ، فهل جنون شرٌّ من هذا الجنون الذي أفضى الى انتحار الأمم جمعاء . فلنبحث عن أسباب هذا الجنون .

يمكننا أن نرد الأسباب الى بضعة أو نحصرها في بضعة : —

أولاً صدق القول « إن الذكاء ضرب من الجنون » . لأن ذكاء الانسان نشط أخيراً نشاطاً جعل هذا القرن دوراً جديداً في العقل الانساني،وفاتحة تطور اجتماعي جديد لا مثيل له فيما سبق ، هو هذا الذكاء الذي استنبط السلكي واللاسلكي ، والآلات الكهربائية المحركة والرادار والطائرة والسيارة والسفن الضخمة ونحوها — وكلها وسائل للتواصل والتواصل يسبب احتكاك الأمم بعضها ببعض . وهذا الاحتكاك يمنِّي الأمم باشباع بطن الطمع ، طمع الواحد بحق الآخر . ولكن هذه السهولة في اتصال الواحد بحق الآخر والاغترار بامتلاك هذا الحق — وهي سهولة شائعة بين جميع الأمم — هذه السهولة

قلبت الغاية رأساً على عقب . فبعد ان كان الغرض منها أن تقنص الأمة الواحدة الأمة الأخرى صارت تخاف منها ، أصبحت الأمم لا تطمع بنصيب غيرها من البقاء والحياة ، صارت تتمنى السلامة والنجاة من طمع غيرها . وبعد ان كانت الوزارة وزارة حرب صارت وزارة دفاع . لم تستبدل وزارة الحرب بوزارة دفاع تأدباً ولباقة وتهرباً من تهمة الطمع ، بل صارت تخوفاً من الغزو والاعتداء الأجنبي — وحاصل القول أن الاختراعات الحديثة المتعددة كانت من أسباب الحرب . وأي حرب ؟ حرب فظاعة وهول .

نعني أن من أسباب الحرب تيسر السلاح وتسهيل نقل الجنود . ففي حرب اليابان وروسيا كان الجيشان المتقابلان للقتال نصف مليون جندي في الجانبين . وكان ذلك أعظم جيش في التاريخ . وفي الحرب الأخيرة كان الجيشان المتحاربان لا يقلان عن عشرين مليوناً في جميع الميادين . وكان سطح الكرة الأرضية كله ميادين قتال . فلولا سهولة المواصلات ، ووفرة آلات صنع السلاح ، لما كانت هذه الحرب بهذه الضخامة الهائلة — هذا من أهم أسباب الحروب .

ولكن هذا التسهيل المادي للحرب لا يكفي أن يجعل الحرب ضخمة وشاملة هكذا . بل هناك أسباب اجتماعية أخرى . لا يكفي أن نقول أن جزيرة انكلترا أو غيرها ضاقت على شعبها فاضطرت أن تخرج الى القارات الأخرى تطلب رزقاً . لأن طلب الرزق لا يستوجب هذه الحروب ، فها انكلترا فقدت مستعمراتها ولم تمت . فقد تعوضت منها بمعاهدات اقتصادية معها ، فأغنتها عن الحرب للاستعمار . وكذلك المانيا فقدت مستعمراتها فلم تمت .

ثم إن سياسة طلب الرزق بسلبه من الغير لا يجدي . بدليل أن الدول المستعمرة أخفقت في الاستعمار وخسرت مستعمراتها .

فما هي أهم الأسباب الاجتماعية التي أفضت الى الحروب ؟

هي أن بعض الأمم تريد أن تعيش عالة على أمم أخرى . وهذا يقتضي أن تعيش سيدة عليها . هذا شأن الأمم منذ القديم . وكانت ولا تزال الحرب وسائل للسيادة . ولكن نحن نبحث عن أسباب الحرب ، فهناك وسائل لهذه السيادة قد تكون أهم من الحرب . هناك وسيلة السوس الذي ينخر في الخشب لكي يقصمه فيهبط بما عليه من سقف أو

جدار . هذا السوس الاجتماعي هو الدسائس . فان الأمم في العهد الأخير صارت تدس الدسائس فيما بينها لكي تهدم بعضها بعضاً . وأقوى عامل في هذه الدسائس هو الدعاية وآلة الدعاية هي الصحافة . إذا فكرت ملياً بهذه العوامل رأيت أن الصحافة عملت في خلق الحروب ما لم تعمل عشر معشاره القنبلة الذرية . والقائمون بهذه الآلة هم اليهود في كل زمان ولا سيما في الزمن الأخير ، فالحروب الاخيرة أثارتها اليهود .

الثورات التي كانت تثار في روسيا في آخر القرن التاسع عشر كانت تثار ضد اليهود لأنهم كانوا يمتصون دماء الشعب بالربا . وكان هناك حزب سري منهم ومن لفّ لفهم يسمى « النهلست » ، فتقوم الحكومة ضد الثورة وهي لا تعرف إلاّ أنها ثورة شعب ضد الحكومة.

لما قام حزب تركيا الفتاة ضد السلطان عبد الحميد وقلب الحكومة كان العنصر الفعال في هذا الحزب يهوداً وكان معظمهم من سلانيك . وكان بعضهم وقد أسلموا لهذه الغاية . وكذلك كان بعضهم ضباطاً في الجيش . فقامت حركة الثورة في سلانيك . وامتدّت الى جميع البلاد عن يد تركيا الفتاة التي كان يحركها اليهود ولا سيما الذين منهم في الجيش . وهكذا تمّ الانقلاب العثماني . وكان الوفد الذي أبلغ السلطان عبد الحميد قرار مجلس المبعوثان بخلعه مؤلفاً من ثلاثة مبعوثين أحدهم يهودي مسلم وهو الذي قرأ قرار الخلع على عبد الحميد .

ولما استلم أتاتورك قيادة الحكومة واكتشف مؤامرة على الحكومة قبض على المتآمرين وكان فيهم يهود مسلمون . وأظن كان جاويد وجاهد منهم .

ولما حدث الانقلاب في روسيا كان مع لينين ثلاثون يهودياً ولم يكن بينهم نصراني واحد حتى زوجته كانت يهودية . وقد أعلنت حكومة الانقلاب في الحال إلغاء الدين في روسيا ونشر الإلحاد . وصار كل من يجحد الإلحاد يعاقب . وبهذا الاعلان والنشر اختبأ جميع اليهود الذين كانوا في روسيا وراء ستار الالحاد فلم يعد أحد يعرف من هو اليهودي ومن هو غير اليهودي الى اليوم . فالآن لا يعرف إن كان ستالين أو مولوتوف ولا أي واحد من القابضين على زمام الحكم في روسيا يهودياً أو نصرانياً . فقد

يكونون كلهم يهوداً والصلة التي بينهم وبين الصهيونيين تدل على هذا .

وفي الحرب الكبرى الاولى كان اليهود يحرضون عليها من وراء الستار . ولما انكسرت المانيا قال الألمان ان اليهود كانوا السبب . وما كان حنق هتلر عليهم واضطهاده إياهم في مدة حكمه ودكتاتوريته من أمر قليل . وقد لعبوا دوراً كبيراً في الحرب الكبرى الثانية . والآن يلعبون أدوارهم جهاراً في كل أوروبا ، وفي الأميركيتين ، بل في جميع العالم .

وما يقال له الحرب الباردة إنما هو حاصل دسائسهم .

والحرب الباردة أفظع من الحرب الساخنة،لأنها تجعل الألفي مليون نسمة على سطح السيار الأرضي في خوف دائم ، واضطراب مقيم ، بل في هلع مضنك. هي حرب الأعصاب ليست حرب أعصاب مجازاً بل هي حرب أعصاب فعلاً . تجعل النـاس في اضطراب دائم لا يقر لهم قرار ، ولا يطيب لهم عيش . ههنا موّهوا على أنفسهم بالملاهي والمسليات . فيلهون ويغنون ، ويرقصون ، ويشربون وهم سكارى لأنهم يشربون بلا حساب . وقد لوحظ أن استهلاك الخمور تضاعف بعد الحرب لأنهم ينفون به همومهم . والناس في هموم الحيـاة الآن أكثر جداً منهم في كل زمان . فالتقايض بين الأمم يكاد يفشل . والأسعار ارتفعت والأسواق السوداء اتسعت والبطالة انتشرت . أحوال لم تكن من قبـل بهذا الشكل فلا بدع أن تتزلزل الأعصاب ، وما أدراك ما تزلزل الأعصـاب — هو ارتجاج في المخ،وهياج في المجموع العصبي ودنوّ الى الجنون . وتحرك الأمراض المختلفة .

وهنا وصلنا الى أهم نقطة في هذا البحث،وهو كيفية التهيج والاضطراب .

ان الحياة التي يحياها الناس في هذا الزمن تجهد أعضاء الجسم الحيوية ايّ اجهاد فتقلقل التوازن الذي كان بينها ، فلا تعود تعمل متوافقة متعاونة فيما بينها . فالغدد الدرقية والنخامية والسنخية وغيرها صارت تتحمس فتفرز من هرموناتها[1] أكثر من المطلوب منها لقضاء

(١) وقد ترجموا كلمة هورمون العلمية الى كلمة « تور » العربية ، وهي ترجمة مضللة لان كلمة تور في القاموس رسول أو إناء يشرب فيه ، فأين هذا المعنى من كلمة هرمون ؟ واذا رام القارىء أن يفتح كلمة تور في القاموس فهل يفهم منها معنى كلمة هرمون وهو مادة كيمية تفرزها الغدة وتنتقل بواسطة الدورة الدموية الى عضو آخر فتقويه . هل يفهم من كلمة تور هذا المعنى . واذا كتبنا في ما نكتبه كلمة تور اضطررنا أن نفسرها بلفظها العلمي الشائع Hormon فلماذا لا نستعمل هرمون رأساً بلا مراوغة

وظيفتها فأثرت في الخليات الدماغية فأخمدت قوة الارادة من جهة . وفوّرت العواطف من جهة أخرى . فأصبح الإنسان منقاداً لعواطفه أكثر من تعلقه أي أنه يعمل بإلهام العواطف أكثر مما يعمل بالهام العقل . فقلت رزانته وضعفت تبصرته ، ووهنت حكمته وكثر شذوذه عن الصواب .

فاذا كان معظم الناس مصابين بهذا الخلل الحيوي أصبحت الهيئة الاجتماعية كلها مصابة به أيضاً فتغلب الشر على الخير ، وتغلب الغضب على التسامح والطيش على الرزانة . ولا يخفى أن الجماعة أكثر تعرضاً للشذوذ من الفرد بحكم المحاكاة . فإذا قام فردٌ ينادي بالحرية والمساواة ، والديموقراطية ، والاشتراكية أو نحو ذلك من القضايا الاجتماعية في قوم هاجوا كلهم وماجوا لأن حالتهم العصبية مضطربة . ومن كان هادئاً وراضياً أصبح غاضباً ساخطاً .

وتعليل ذلك فسيولوجيّاً أن الإنسان مسير بأعمال المراكز العصبية التي في دماغه وحبله الشوكي . وجميع تصرفاته ناشئة عن عمل هذه المراكز ولا سيما المراكز الدماغية . فاذا حدث أي خلل في هذه المراكز ظهر أثره في تصرفات الانسان . وهذه المراكز كسائر أعضاء الجسم محتاجة الى التجديد والغذاء . وللدم شأن عظيم في حياتها والهورمونات والغدد المختلفة تأثير كبير في أعماله . فاذا جاءتهم هذه الهورمونات بقدرٍ أكثر من حاجته أو أقل منها اختلت المراكز العصبية المتغذية من الدم .

الدماغ ذو فلقتين أو جانبين . الواحد خاص بالمراكز العقلية والآخر بالمراكز العاطفية، المراكز العقلية تتلقى المدركات المحسوسة الآتية للدماغ عن طريق المشاعر ، ثم تزن هذه المدركات وتوفق بينها . ثم أنها تسيطر على المراكز العاطفية بحيث تمنعها من التهافت الى الشهوات ، وتتدارك اندفاعها فيها .

والمراكز العاطفية تصدر الشهوات كالسرور والغضب والحزن الخ ، ثم انها ترتد على الغدد نفسها التي سببت تهيجها وتؤثر فيها فتزيد افرازها أو تجهدها بحيث يقل افرازها فيختل عمل هذه الغدد وتختل وظيفة الأعضاء التي تعمل فيها .

فترى أن هذا التفاعل بين المراكز العاطفية الشهوانية والغدد هو سبب أعمالنا غير

الطوعية أي الأعمال التي خرجت عن سلطة ارادتنا والتي يعجز العقل أحياناً عن تقويمها أو ردّها . والمعلوم أن الانسان تسيطر مراكزه العقلية على أفعاله. فهو يفعل هذا الفعل أو ذاك لأن مراكزه العقلية السليمة قررت أن يفعل كذا وأوعزت الى أعصابه أن تنفذ الفعل . فإذا اختلت أعصابه للأسباب التي ذكرناها لم تعد تستطيع أن تفعل الفعل المطلوب سديداً لأنها خرجت عن سلطة العقل .

أما اختلال وظائف المراكز العصبية فيحدث بأسباب ربما كان أهمها سموماً تفرزها بعض الجراثيم المرضية في الجسم كالتيفوئيد والالتهاب الرئوي وتعفن الأمعاء . وهذا التعفن عام في الأنام وهو أكثر افرازاً للسموم ولا سيما سم الفينول (حامض الفينيك) وهو يسبب تصلب الشرايين. فهذه السموم على اختلاف أنواعها تفعل في الغدد المشار إليها آنفاً أي تعلّها وتخل عملها . فقد تفرز من هورموناتها أقل من اللازم أو أكثر منه . وكلا الأمرين يؤثران تأثيراً سيئاً في المراكز العصبية في الدماغ والحبل الشوكي فتضطرب المراكز العقلية والمراكز العاطفية جميعاً . ويحدث الهياج العصبي بين غضب ورضى ، وسرور وحزن ، حتى يكاد الانسان يخرج عن حكم ارادته ويفعل أفعالاً شاذة ، ولا يعود يفطن لمسئوليته فيها، ولا يحسب حساب عواقبها . ويعجز عن كبح جماح عواطفه

إن بعض العواطف الأليمة كالخوف والغضب والتحمس والملل والحزن . وجميع الصدمات العاطفية تحمس الغدّة « الفوق كلوية » Suprarenal وتحضها على عملها الى حد الاحراج ، فتشرع هذه تفرز الغزير من عصارتها . وعصارتها تحمس الغدة الدرقية والغدة النخامية فتتنافسان في افراز هورموناتهما، وجميع هذه الهورمونات تهاجم المراكز العصبية في الجانب العاطفي من الدماغ، فتثيرها حتى تطغى على المراكز العقلية وتتدفق من حولها ولا يبقى لهذه طوق على صدها وردها، فيضعف التعقل وتندفع أمواجها في المجموع العصبي كله .

والخطر الأعظم انما هو في هذه الأمواج العصبية المتدفقة التي تعود فتفعل في الغدة الفوق كلوية وتستكدها في افراز هورمونها ، وهذا الهورمون بدوره يعود فيفعل في الغدتين الدرقية والنخامية فيستكدها. وهكذا تعود هورمونات هذه الغدد فتؤثر في المراكز العصبية وتستثيرها الى حد الغضب والهياج حتى الجنون. وهكذا دواليك ، ـ حركة عصبية واجهاد عقلي وثورات عواطف في دائرتها ولا يوقف هذه الحركة إلا الونى والوهي

أخيراً أو أي عامل آخر مناقض للعامل الأول الذي حرّك هذه الحركة الاضطرابية. فكان العامل الأول خارجيًّا ولكن العوامل الأخرى كانت تضرب على أوتار الأعصاب فأصبحت بعدئذٍ داخلية كما رأيت .

هذا هو الحادث الآن في البشر . أعصاب ثائرة ومراكز عقلية مضطربة فضعف التعقل وقلت التبصرة حتى أصبح هذا الاضطراب العقلي أو بالأحرى الدماغي اجماعيًّا مصاباً به كل فرد من أفراد البشر لأن أسبابه الفسيولوجية عامة. وبالطبع لهذا الاضطراب الدماغي العصبي عوامل خارجية أولاً وهي التي سببت العوامل الداخلية . فما هي العوامل الخارجية

العامل الاول الأساسي هو نوع المعيشة التي يعيشها البشر اليوم والنظام الاجتماعي في الدرجة الأولى سبب هذا الاستقطاب الاقتصادي الغنى الفاحش من ناحية والفقر المدقع من ناحية أخرى . فالغنى الفاحش سبب الترف والبطر والتأنق في المأكل والملابس . فاعتلت المعدة وصارت تفرز السموم التي أعلت الغدد وهذه أعلت المراكز العصبية والدماغية وأخلت المراكز العاطفية فتسلط الجنون على العقل .

ثم ان العسف الاقتصادي التي تنهجه الرأسمالية كان من أهم الأسباب الخارجية التي تثير الأعصاب ،وبالتالي تخل وظائف الغدة ، وهذه بنوبتها تخل المراكز العصبية فتحدث الاضطراب العقلي وبالتالي الاضطراب الاجتماعي أو قل الجنون الاجتماعي .

ذلك ما فعله القطب الأول : الغنى الفاحش . وأما القطب الثاني الفقر المدقع فقد فعل أكثر وأسوأ . فسوء الغذاء،وسوء المأوى،وسوء الكساء — كل هذه الأسواء أثارت الحنق في الأفراد فضلاً عن وفرة الأمراض . وكل هذه تعل الغدد وبالتالي تخل عمل الأعصاب. وأخيراً تؤدي الى الاضطراب كما تقدم الشرح .

والبيئة الاجتماعية الحالية التي يقرع فيها سوط الاستبداد أوتار الأعصاب كل دقيقة فتعل الغدد،وتخل وظائفها ، وبالتالي تخل وظائف المراكز العصبية ، وتحدث النتائج التي تقدم بسطها .

وإذا كانت وسائل المعيشة معرقلة عرقلة لم يحدث مثلها في تاريخ البشر حتى كادت المعاملة تنشل على الرغم من تسهيل المواصلات . فهذه العرقلة جعلت هموم الناس أرياحاً تعصف في حياتهم فلا تجعل لهم اطمئناناً ساعة واحدة . فكيف لا تبقى أعصابهم مضطربة دائماً

فالهيئة الاجتماعية الآن كلها مصابة بحمى اجتماعية،أو بالأحرى حمى جنونية لا يكاد يشفيها إلاّ الانتحار . وهي تنتحر الآن أو في القريب العاجل إذا لم تقو المراكز العقلية على المراكز العاطفية . فكيف يحدث هذا ؟

برلمان السيدات

كانت لنا سهرة حافلة جامعة ربات الخدور، وذوات التطرية والطيوب، وذوي الجاكاتات والبنطلونات، وبعض السيدات اللواتي جممن الشعور، وعقدن الكرافاتات، وحملن البستونات، (العصي) ودخن السيكارات، وصرن يلعبن البردج والبوكر والباكاره، كان ذلك لما اخشوشن الجنس اللطيف، والطوطف الجنس الخشن، حتى لم يعد سهلاً التمييز بين الجنسين إلاّ بالعواطف ورقة الاحساسات.

كان ذلك في حين كانت بعض الصحف تستفتي القراء في حق السيدات السياسي. وكان هذا الحق موضوع السامرين والسامرات في تلك السهرة، فاشتد اللغط فيه، واحتدت بعض السيدات حتى كدن يخرجن عن طور الوقار، ووقفت بعضهن يحاضرن كأننا في ندوة سياسية اجتماعية – كان مجلس عجيب، كأنه برلمان ثائر انبرى فيه كل ذي رأي صائب، وعائب، حتى صار الغلام نائباً فيه، والصبي شيخاً في مجلس الشيوخ، وصارت الفتيات والسيدات يتبارين في تنازع حق الانتخاب ووظائف الدولة والوزارات الى أن صاح في اللاغطين رجل مجوني محب المزاح، له رتبة باشا قال سمعاً يا قوم: هلمّ نمثل الآن برلماناً مختلطاً من الفتيان والفتيات والسادة والسيدات لأنه عن قريب سيكون لنا نائبات ان شاء الله ما دامت هذه نخوتكم في طلب الحقوق وسن القوانين.

فصرخت بعضهن: نعوذ بالله، بعيد الشر من النائبات. وقالت احداهن لماذا نسموهن نائبات.

فقال الباشا: ماذا نسميهن؟ والنائبة مؤنث نائب.

فقال فتى: سميهن ممثلات. أليس مجلس النواب في أميركا يسمونه هوس اف ريرزنتتيف Hause ot Representitives

فقال فلان بك : طبعاً . وما المجلس إلاَّ مسرح الممثلين والممثلات . فقالت واحدة ؟ اسحب كلامك . في انكلترا يسمونه هوس اف كومون Hause of Comons فلماذا لانسميه مجلس العامة ؟ .

فقال فتىً : يعني مجلس الغوغاء أي الباعة الطوافين في الشوارع والنشالين .

فقال الباشا: واذا انفتح باب البرلمان للسيدات فسيكون عندنا مجلس شيوخ وشيخات فمن تشاء فلترشح نفسها شيخة .

فقال أحد الفتيان : لا أظن سيدة ترشح نفسها لمجلس الشيوخ . لأنه يُشترط في هذا المجلس أن يكون العضو قد بلغ الأربعين من العمر ، ولا أظن ان بين السيدات من بلغت هذه السن .

وقال الباشا : بلا طول حديث ونحن نود الآن أن نمثل برلماناً . فلنفرض أن جميع الحاضرين أعضاء برلماننا .

فقال البك : حسناً . يجب إذن أن نشكل وزارة ورئيس الوزارة يتلو خطاب العرش لكي نرى كيف تكون سياسة الحكومة ، وهل يوافق البرلمان عليها ؟

فقالت إحداهنَّ هذا حق : فلنسأل بعض الحُضور ماذا يقترحون لكي تؤلف الوزارة خطاب العرش .

وتألفت الوزارة من بعض الفتيان والفتيات فكانت الوزارة ٩ أشخاص ،والباشا رئيس الوزارة . وقامت احدى السيدات وقالت : يعني الوزارة وزارة شباب وشابات، وما عينهم ولا سيدة ربة بيت وأم أولاد . واذا كان الوزراء والوزيرات لا يعرفون أن يربوا أولاداً فكيف يديرون دولة .

وكاد اللغط ينفض سقف المنزل ويقذفه في الفضاء . فقال أحد الرجال : غير مطلوب من وزارة السيدات إلاَّ أن تكون الضجة منظمة ، والثرثرة قيمة،لكي تقوم أعمال الدولة على قدم وساق .

فقال رئيس الوزارة: نضيع الوقت في كلام لا طائل تحته . نريد الآن أن نسمع الطلبات. فاذا تطلبين ياحضرة السيدة فلانة .

قالت فلانة : أطلب للمرأة كل الحقوق التي للرجل وزيادة عليها أن يكون صندوق البيت في يدها ، ومعها مفتاح جيب زوجها ، وأن لا يصرف الرجل قرشاً إلا إذا هي منحته إياه .

فقالت أخرى : نعم هذا حق لكيلا تذهب قروش الرجل للحانة والمقهى ونحو ذلك .

فقال رجلٌ — نعم هذا صواب لأن النقود يجب أن تنفق في ليالي القمار التي تروجها السيدات في هذه الديار .

وقالت أخرى : خلونا بالجد . اني أطلب للمرأة حق الطلاق . يكفي الرجل أن يكون له حق الاختيار في الزواج . فليكن لها حق طلب الطلاق

فقال الباشا : نخاف أن تروج سوق الطلاق لأنه ما من زوجةٍ راضية .

فقالت فلانة — لا وسيلة لخروج المرأة من تحت استبداد الرجل إلاّ تهديده بالطلاق

وقالت أخرى : هذا يستلزم أن يكون للنساء الحق في العمل والإنتاج وكل صنوف الاشغال ، وإلاّ فلا تجرأ امرأة أن تطلب طلاقاً . وإذا لم يكن للنساء حق الطلاق فلا يعتدل الأزواج في معاملة الزوجات

وقالت أخرى : لي اقتراحات كثيرة تشغل البرلمان عمراً .

فقال فتى : إذاً أنا ضد دخول السيدات في البرلمان لئلاّ يقضي العمر في نظر قضية نائبة واحدة .

وقالت أخرى : أقترح أن يؤذن لكل سيدة أن تحمل مسدساً حتى اذا تعرض لها رجل وقح ناولته رصاصة .

فقالت سيدة أخرى : كذا . كذا . كذا الاقتراحات وإلاّ فلا . وأنا اقترح أن يكون مع كل سيدة مدفع رشاش حتى اذا تصدّى لها رهط من الشبان الوقحاء حصدتهم حصداً

فقال الرئيس : أنا معكِ بهذا الاقتراح .

وقالت : أطلب إقفال جميع المقاهي والحانات، وفتح أندية للسيدات والرجال بلا قمار، ومنع جميع المسكرات من الدخول الى القطر، حتى لايتسنى لرجل أن يقتني الخمرة ويشربها في البيت .

فقال فتى : وأنا أوافق على ذلك . وأطلب منع استيراد الدخان ، وإقفال جميع معامل السجاير، حتى لا يتسنى لسيدة أن تشتري علب السجاير بالدستات .

وقال رجل ممن يكثرون التدخين : وأنا أطلب شنق ربة الموضة . فإذا شنقوها أترك التدخين والخمرة وشرفي ورحمة شنني

ووجه الرئيس السؤال الى زوجته فقالت : لا اقترح إلاّ أمراً واحداً وهو منع جولان الباعة في الشوارع لأنهم جننوني « بزعيقهم » . ولا سيما حين أكون نائمة ومرتاحة من العمل المنزلي .

فقال : وجِّهي هذا الإقتراح الى وزيرة الشؤون الاجتماعية .

فقالت وزيرة الشؤون الاجتماعية : إني مستقيلة من هذه الوزارة لأن وزيرة الداخلية لا تنفذ لي قراراً

فقالت وزيرة الداخلية : أي قرار طلبتِ تنفيذه وما تنفّذ .

قالت : في العمارة التي نقطنها بيت قمار، والمقامرون والمقامرات يتشاجرون حتى الصباح، ويقلقون راحة السكان . فلا يغمض لنا جفن على « زعيقهم » ، وأحياناً يستدعون فم البوليس لكي يفصل بينهم ، وهو يقود من يقود الى القسم لكي يعمل محضراً . وأحياناً يظهر للمأمور أن ذلك البيت أو النادي وكر دعارة .

فقالت الوزيرة : إني أوجِّه الأوامر الى الحكمدار لكي ينفذ . فسأسأله لماذا لا ينفذ ؟

فقالت : اسألي مصلحة الرخص لماذا تعطي رخصة بالقمار في بنايات في وسط العائلات الكريمة .

قال الباشا : سنحيل هذه القضية على البرلمان ونرى ماذا يقول فيها .

وقالت السيدة فلانة : اقترح تشريعاً مقتضاه إنه في كل حادث سيارة تدهس شخصاً يكون المسؤول السوّاق دائماً على الاطلاق بلا استثناء

فقالت الآنسة فلانة : هذا ظلم . لأنه في أكثر الحوادث يكون الحق على الشخص « المدهوس » لأنه سمع الزمير وما حاد من الطريق .

فقالت صاحبة الاقتراح : تعنينَ ، لأنكِ سواقة اوتوموبيل تستحلين أن تبرري دهسك الناس . تدهسين ، ثم تزمرين ، ثم تقولين الحق عليه ، زمرت لهذا الأهوج فما حاد من الطريق . فكيف يحيد بعد أن اندهس ؟

فقالت : يمكن يريد أن ينتحر فطرح نفسه أمام الاوتوموبيل

— تعنين أن الترمير يبرّر لك سحقه . لو كنتِ تحافظين على قانون السرعة وتسوقين بسرعة ٣٠ كيلو متر في الساعة لأمكنكِ أن توقفي الأوتوموبيل على بعد متر منه . فالمسألة ان أصحاب السيارات يفتكرون أن الشارع ملكهم ، وانه يجوز لهم أن يتسابقوا كأنهم في سباق ، والجائزة للسابق الداهس أو الأدهس .

فقال أحدهم : الحق مع السيدة فلانة يجب أن يكون سائق السيارة دائماً مسؤولاً لأنه لا يحافظ على قانون السرعة ، ويوجب على الناس أن يركضوا من طريقه حتى ولو كان عند الراكض مرض القلب ويقع ميتاً قبل أن يقطع الشارع . في بعض الشوارع لا يمكنك أن تعبر الشارع ولو انتظرت نصف ساعة أو ساعة ، لأن السيارات متتابعة بلا انقطاع وهي تتسابق . وتزمر فتصدع الآذان وتقلق القلوب وجفاً ووجلاً .

فقال آخر : إذن يجب أن يقرر البرلمان أن تفتح شوارع تحت الأرض في بعض الجهات (نفقاً) .

وقالت أخرى : اقترح أن يكون في الترام باب للدخول وباب للخروج حتى لا يقف النشالون على «الرفراف» فقد نشلوا مرة محفظتي ولم يكن في امكاني أن أحمي نفسي منهم ولا أجد من يحميني .

وقالت أخرى : ان الباعة يسدون باب الترام ومواقف الركاب بحيث انه يستحيل على السيدة أن تنزل أو تطلع . وكثيراً ما تقع السيدة تحت العجلات فيما تكون طالعة لأن هؤلاء الطفيليين لا يتركون منفذاً للركاب .

فقالت وزيرة الداخلية : سأمنع سير الباعة في الشوارع على الاطلاق ، حتى لا يسدوا الطرقات .

فقالت أخرى : يجب أن تمنعي الشحاذين أن يسيروا في الشوارع المزدحمة بالمارة .

لأن فيهم من يكسر القلوب هناك رجل لا يدان له ، ولا رجلان، وفي وسطه حزام معلق به أوراق اليانصيب . وهناك أعمى أقطع اليد يستعطف وحاله تسحق القلب المطوف . وهناك مرأة على يدها طفل،وفي يدها الأخرى غلام ، وفي بطنها جنين،الى غير ذلك من مصائب الزمان المتجمعة في هؤلاء الشحاذين الا المتصنعين وهم كثر . أفلا يجب على الحكومة أن تجمع كل هؤلاء في ملاجيء خاصة بهم . فمن يستطيع عملاً يدويًّا يعمل في الملجأ . والا فرزقه على الدولة على كل حال .

فقالت وزيرة المالية : كل هذا يكلف أموالاً طائلة . يعوزنا المال لتعليم الأطفال والرجال والشيوخ ، والمال للجنود والمال لاعانة المحتاجين الى آخره . فمن أين المال . ليس عندي مال ، وأنا وزيرة بلا ماهية ، فمن أين أجلب المال .

قال فتى : — أوزيرة المالية تدعي الفقر وعندها المطبعة التي تطبع الجنيهات والريالات وأرباعها ، وما عليها إلاّ أن توقع على الورق . ويكفي أن يكون توقيعها «كليشه» تبصم به الأوراق فلماذا تحملي الهم يا معالي الوزيرة .

فقالت : شكراً يا شاطر : لقد سهلت لي المهمة جدًّا . وإن شاء الله يكون لنا دولة ثرية تعمل كل شيء لمصلحة البلاد والأمة . يمكننا بالأوراق أن نكهرب الخزان ، ونفتح آبار البترول في الصحاري ، وان نحوّل الصحراء الى جنة فيحاء . ما دام تحصيل المال ميسور هكذا . فلتحيَ المطبعة — مطبعة ورق العملة .

فقال الباشا ضاحكاً : بقي شيء واحد لا بدَّ منه حتى يمكننا أن نقول إننا استغنينا بالورق ، وان مشروعاتنا ناجزة ان شاء الله .

فتعجلت السيدة عقيلته وقالت : فهمت ماذا تريد أن تقول :

— ماذا .

— تريد أن تقول لم يبقَ في نفسي إلاّ حاجة واحدة وهي أن تكون لنا مدارس كفاية لكي نعلم كل فرد وكل مولود وكلّ من لم يولد بعد .

قال مرحي : صدقتِ . ولكن المدارس لا تكفي يلزمنا معلمات بارعات يحسنَّ التربية .

فقالت : هذه من واجبات وزيرة المعارف . فأين هي .

فقال : عيَّنا وزيرات لكل الوزارات إلاّ وزارة المعارف فقد نسيناها . فلننتخبها الآن ، أو نؤجل انتخابها الى الاجتماع القادم ان شاء الله .

روز (أنطون) حداد

العناصر الاولى[1]

من الخدمات الاجتماعية الضرورية
للعشائر البدوية في بلاد الشام

إن أكبر خدمة اجتماعية وأنبل مساعدة إنسانية تسدى الى هؤلاء البدو هي سوقهم نحو التطوّر والتحضر أي نحو الإقلال من الظعون والأسفار والأباعر والأبعار، ومغادرة بيوت الشعر وسكنى بيوت الطين والحجر والتخلص من الفقر، والجهل، والمرض، وتملك الأرضين وتفجير الينابيع والقنوات، والانكباب على الفلاحة والزراعة اللتين فيهما خبز حلال وماء زلال. ونحن نعتقد أن الزمان لا بدّ أن يفعل فعله بهؤلاء البدو ويكرههم رويداً رويداً على قبول هذا التطوّر والتحضر. وهو أمر طبيعي، نفذ في كل الشعوب والعشائر التي كانت قبلهم ومثلهم، فهجرت البداوة، وانصهرت في بوتقة الحضارة. لكننا نحن نود أن نستعجل الزمن فنجعل القسم الأول من البدو من القسم الثاني في أقرب وقت ممكن، والقسم الثاني من القسم الثالث، والثالث من المتحضر تماماً تارة بالحكمة والموعظة الحسنة، وتارة بالدفع والقسوة شأن الأم الرؤوم التي تحاول أن تسقي فلذة كبدها دواء مرّاً فيتمنع هذا، ويتدلل في تجرعه، فتصبه في فمه صبّاً عنوة وقسراً.

كان البدو الى مضي ٢٠ — ٢٥ سنة يعتمدون على (الغزو) و (السلب والنهب) ويعدونهما بعد رعي الإبل والغنم مرتزقهم الطبيعي، ويهتبلون الفرص من فوضى الأحكام، وضعف السلطات، ليستبيحوا حمى المعمور ويمعنوا في الأذى والعدوان. إلا أن هذه الفرص لم تعد تواتيهم كالاول، ويجب أن لا تواتيهم. فسبيل الغزو انقطع أو كاد بفضل قوى البادية وحراسها راكبي الهجن أو راكبي السيارات المصفحة في دول العراق، وسورية،

(١) بقية محاضرة الاستاذ وصفي زكريا المنشور قسم منها في العدد السابق

والأردن ، والمملكة السعودية . ثمّ ان سيارات الركب والنقل زاحمت الإبل والخيل ، وسدّت أبواب الرزق أمامها الى حدٍّ بعيد . ومن أجل ذلك أصبح البدوي في حاجةٍ كلية الى (التطوُّر) أي الى إيجاد مورد عيش جديد ثابت في المعمورة أو في قربها ، والى الإنصراف نحو الفلاحة والزراعة ، واستثمار خيرات الأرض ، والتخلص من الفقر ، والجهل ، والمرض ، وهذا هو (التحضر) الذي نرومه . وسنذكر في المواد التالية شروطه المناسبة

١ — الأمن : إن البدو لا ينصرفون الى الفلاحة والزراعة ، ولا يرضخون للتطوُّر الطبيعي ، ولا يتحضرون ما لم يفرض عليهم التحضر فرضاً ، ويضطرون الى اعتناقه قسراً . ولا يتم هذا إلاّ متى رأوا الأمن في البادية موطداً توطيداً تامّاً ، ووجدوا فوق رؤوسهم حكومات قوية وقوانين صارمة تردعهم عن نزوات أنفسهم المتحفزة للوثوب والطغيان . وهو ما نرجو أن تستمر عليه الدول العربية التي عددناها ، وذكرنا ما وضعته لأجل هذه الغاية من قوى الهجانة والسيارات المصفحة ، ونرجو أن يتساوى كبراء البدو مع صغارهم ، وقويهم مع ضعيفهم ويعاقب المعتدون منهم عقاباً صارماً سريعاً ، بالنظر الى أن البدوي لا يفهم غير لغة العقوبة الصارمة السريعة .

٢ — بعد توطيد الأمن وقطع كل أمل للبدو في الغزو والسلب والنهب يرجى من الحكومات العربية أن توجههم نحو الفلاحة ، والزراعة ، وتعلمهم أساليبها وتعوّدهم على مزاولتها وتقطعهم الأراضي البائرة والخرب الدائرة من أملاك الدولة التي في أطراف المعمورة وتقسمها على افرادهم بالعدل لا على مجموعهم ، كي لا يستبد بها الشيوخ وحدهم على شريطة أن يبنوا فيها القرى والمساكن ، ويستقروا إن لم يكن كلهم فمعظمهم وينصرفوا بأنفسهم وأيديهم نحو الحرث والزرع والعيش الشريف والهدوء اللطيف .

٣ — منح المحتاجين منهم إعانات لشراء الأدوات الزراعية والبذور ودواب العمل وفتح قنوات الري ، وإقراضهم لأجل ذلك رؤوس أموال بشروط خفيفة ، على أن تربط هذه الإعانات والقروض بكفالات قوية تؤمن انفاقها في سبيلها ، لا في سبيل بذخ الشيوخ وترفهم .

٤ — إيجاد ماء الشرب للبدو وماشيتهم ، وذلك بحفر العدد الكبير من الآبار الحديثة التي حفرتها مصلحة الري السورية في مختلف أنحاء البادية ، وتنظيف الآبار القديمة التاريخية وترميم جدرانها ، وتسهيل الإمتياح من هذه وتلك بالوسائط اليدوية أو بالمحركات والصهاريج المحمولة على سيارات منتقلة.

٥ — ايجاد مستودعات في بعض نقاط البادية ومخافرها تخزن فيها كميات كافية من الأعلاف كالتبن والكلأ المجفف لاطعام الماشية، وذلك في حالة استمرار الجدب والقحط ، ثم ايجاد الملاجىء والحظائر الصالحة لايواء هذه الماشية في فصل الشتاء ووقايتها من الصقيع إذا اشتد واستمر والثلج اذا تراكم . فهذه المستودعات والملاجىء تحفظ هذه الماشية التي هي الرزق الأساسي للبدو وشركائهم في الحواضر، ومصدر كبير لغذاء أهل المدن من سمنها ولحومها وأصوافها وجلودها ، وثروة عظيمة للبلاد وللحكومات تقدر بالملايين ، فمن الضروري حفظها بانفاق مبلغ زهيد في سبيل المستودعات والملاجىء المذكورة، ورب فلس وفى ديناراً .

٦ — تأسيس مستوصفات نقالة محمولة على سيارات كبيرة يذهب بها أطباء وممرضون ويلحقون البدو الى أماكن تجمعهم في البادية ، أو أماكن تقيظهم في المعمورة ، ويداوونهم ويلقحونهم ويعالجون أمراض البجل والجدري والتراخوما وأمثالها التي تفتك فيهم وبذراريهم .

٧ — ارسال بعثات بيطرية في سيارات كبيرة أيضاً يذهب بها أطباء وممرضون بيطريون ويلحقون البدو ويداوون مواشيهم ويلقحونها ويعالجون الجدري والجرب والأمراض المعدية والمعائية التي تفتك فيها كثيراً .

٨ — تجفيف المستنقعات في الأماكن التي يقيظون فيها في المعمورة وتخليصهم من حمى الملاريا التي تصيبهم دائماً .

٩ — مكافحة الأمية ونشر التعليم وذلك بأن تفتح في المدن المتاخمة للبادية مدارس ابتدائية خاصة بأبناء العشائر ، على أن تكون ابتدائية داخلية مجانية مستوفية الشروط ومنشطة لهم وجذابة لقلوبهم . لأن هؤلاء الأبناء إذا تعلموا وتثقفوا ونالوا على الأقل

(الشهادة الابتدائية) يرجى يوماً ما حينما يخلفون آباءهم أن يكونوا قدوة حسنة ودعاة تحضير واستقرار وتهذيب لعشيرتهم وخصوصاً اذا كانوا من أبناء الشيوخ والكبراء. ومن دواعي السرور أن الحكومة السورية قد تبنت هذه الفكرة وصحت عزيمتها على فتح عدة مدارس عشائرية في مطلع السنة الدراسية القادمة .

١٠ — ان يوفد وعاظ وأطباء من أهل الحمية والمعارف الدينية الصحيحة لارشاد البدو الى ما يجهلونه من الاعتقادات والعبادات والتعاملات ويدعون الى الفضيلة والخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . لأن البدو لخشونتهم وتوحش بواديهم جفاة الطباع وهم أشد الناس حاجة الى ما يشذب من أخلاقهم ويثقف من أميالهم ويدبط ماء الحنان والشفقة من قلوبهم .والبدو لفقد الوازع بين ظهرانيهم وانتشار الجهل في مجتمعهم هم بحاجة شديدة الى الدين البسيط الخالي من الخرافات . وهم أشد الناس خضوعاً وتأثراً بالدين ومواعظه إذا عرفوه ، وله في نفوسهم تأثير فعّال جدًّا .

١١ — الغاء القرارات والأنظمة بشأن ادارة البدو ومعاملتهم التي أصدرها الفرنسيون في عهدهم حينما كانوا مسيطرين مباشرة على العشائر ومبعديهم عن الحكومة السورية . يجب أن تبدل هذه القرارات والأنظمة بما هو أنسب للروح القومية ، وأن توسع حدود المعمورة وتصغر حدود البادية الموضوعة فيها ، وتقلل الغلواء التي أعطوها للبداوة ضد الحضارة . وهذا التبديل قد شرعت فيه الحكومة السورية وصحت عزيمتها على اصدار قرارات جديدة فيه .

١٢ — تخفيف وطأة (القضاء البدوي) أو (الأصول العشائري) حيث يترافع البدو ويتحاكمون أمام بعض الشيوخ والقضاة منهم ، لانه حكم جاهلي فيه كثير من الشوائب والبعد عن المنطق كمؤاخذة الأقارب حتى الجد الخامس بجريمة قريبهم الجاني ، واعتبارهم مدانين بقبول أخذ الثأر منهم ودفع الدية . وفيما يتعلق باستحصال الحقوق عن طريق ما يدعونه (الوسقة) ممن لا ناقة له في الأمر ولا جمل ، وفي اجحافه بحقوق النساء وحرمان المرأة من نصيبها الشرعي في الارث، وفي تزويج البنت البكر البالغة من أي رجل اختاره لها أبوها أو وليها بدون أخذ رأيها . وغير ذلك مما يجب نبذه وسوق العشائر نحو الاحكام

الشرعية والقوانين المدنية التي فيها عدل وروية أكثر من أحكامهم وقوانينهم الشاذة ، وان ادعوا انها أنسب لحالتهم وعقليتهم .

هذا ما سمح به الوقت القصير المحدد لهذه المحاضرة المختصرة فعسى هذه الأماني الاثنا عشر من الخدمات الاجتماعية التي ذكرتها تبلغ مسامع المسؤولين عن أمور البادية والبدو فيعنوا بها وينفذوها ويكون مؤتمركم هذا قد سعى سعيه الانساني ، والساعي الى الخير كفاعله .

وصفي زكريا مهندس

[المقتطف] — لهذه المحاضرة فائدة إنشائية عظيمة إذا كانت الحكومة السورية واللبنانية أيضاً تهتمان بشؤون هؤلاء البدو على النحو الذي أشار به المهندس الزراعي السيد وصفي زكريا . فعسى أن تلتفت الى المشروع الحكومة والبرلمان .

العلاج بهرمون « اتش »

أتى العلاج بهرمون « اتش » الذي هو مختصر هرمون ادرينو كورتيكوتروفيك Adrino cortico Trophic Hormon بنتائج عجيبة .

وبعض علماء الطب يتكلمون عنه بقولهم « قصة الجيل الطبية ». وقد وقف الأطباء الواحد بعد الآخر في اجتماع في كلية الجراحة الأميركية يقصون اختباراتهم العجيبة في مرضاهم الذين عالجوهم بهذا العقار الجديد العجيب

فهو ناجح في وجع المفاصل والنقرس والحمى الروماتزمية وأمراض العضلات الواهنة وفي التهاب المعى الغليظ المتقرّح وفي مرض السكر المفاجىء المسمى جيبوجليسيميا وبعض أمراض الجلد وفي عواقب التسمم بالكحول (الخمر)

وظهر أنه لا يفيد في السل وضغط الدم العالي وتصلب الشرايين وادواء أخرى . وأما في السرطان وبعض الأمراض التي تمت بصلة للسرطان فلا يزال نفعه تحت النظر .

ويقال أن مقدرة « اتش » المدهشة ستوجه النظر الى عهد جديد في الطب .

من ذكريات الصبى

كفَّ اللحاظ عن المحب الوالهِ ... يكفيك ما قطعت من أوصالهِ
إن كان هذا فعلَ فاترِهـا فما ... هو فعلُ باترها بعنق وصالهِ
من لي ببدر مؤنسٍ بسنائه ... يوماً ويوماً موئسٍ بجلالهِ
ما ان تصبَّاني ببدع جماله ... حتى تصدَّى لي بفن دلالهِ
لما تجنّبيه أعلَّ تصبري ... أضحى صحيحُ الحب في اعلالهِ
باهى شقيقَ الخدِّ لؤلؤُ ثغرهِ ... فغدا يباهيه بعنبر خالهِ
ما الندُّ الاّ صدغه وجبينه ... فبنونه طيب يفوح وداله
أفديه من قاس يُسهّدني جوى ... ضنّاً على روحي بوصل خيالهِ
لا تحسبنَّ شقاءه بدموعه ... فشفاء قرح الجفن في تهطالهِ
بدلالهِ أحيا محالَ وصاله ... وصبابتي قتلت حياةَ محالهِ
وإذا نواه أضلَّ قلبي ساعةً ... عنه هداه شوقه بضلالهِ
لله من رشاٍ يجازي بالجفا ... حبي ويُطمع عاذلي بوصالهِ
إن كان في كيدي رضاك رضيتُه ... أو في موالاةِ العذول فوالهِ
يا من يلذ له فناء محبه ... لا تنخدع بسقامه وهزالهِ
يفنى فداك ، وإنما ايمانه ... بهواك يستهويك بعد زوالهِ
مضناك حتى العاذلون رثوا له ... يا حبذا لو كنت من عذالهِ
يرضى قتيلك إذ تؤبنه بقو ... لك مرةً اني علمتُ بحالهِ
يكفيك يانفسي نعيماً لو قضى ... الوطرَ الحبيبُ بأن ألوحَ ببالهِ
والله لولا الحب لم يكُ لي الخلو ... دِ مزية الاّ عذابَ ملالهِ

ط ۰ ح

القنبلة الهيدروجينية

ان ما ورد مع بعض المجلات الأميركية عن القنبلة الهيدروجينية لا يروي غليلاً بل يشعل فتيلاً للخوف من هذا العزرائيل الجديد . والذي فهمناه أن مهندسي الذرة من علماء هذا الزمان اهتدوا الى « تصميم » هـذه القنبلة التي تزلزل الأرض ، وتبعث بالأرواح الى الأبدية. ولم يُـقـل ان كانوا قد جربوها. وإنما تأكدوا إنهم صنعوها وفي وسعهم أن يصنعوا منها عدداً كبيراً . وإنما ينتظرون كلمة من ترومان ان يقول لهم اعملوها فيعملوها . فعندهم الأدوات والآلات والمواد اللازمة لصنعها . وإنما الى الآن لم يظفروا بالأمر لصنعها .

ويجب أن يعلموا أن الروس أيضاً يعرفون كيف يصنعونها ، ولسوف يصنعونهـا ، ولـكن متى وفي أي ظرف يفعلون . فلا يعلم العلماء والساسة ان بعض النـاس يرجون من الرئيس أن يضع هذا الأمر على الرف . وبعضهم يرجون أن تتفق أميركا مع روسيا بشأن القنبلة الهيدروجينية، ومنهم ليلينتال الساعي الى التفاهم مع روسيا قبل أن تصنع روسيا القنبلة

وفي رأي بعضهم أن فكرة رفض اصطناع القنبلة سخافة انتحارية ، ما هي إلا عقيدة فكرة احتـكار الولايات المتحدة صنع القنبلة. ولذلك يرتئي بعضهم أنه على الولايات المتحدة أن تصنع حالاً عدداً منهـا أو يجب على أمـيركا أن تلح في جعل امتـلاك جميع أصنـاف القنابل الذرية دولية .

ولـكن لم يظهر في المفاوضات الذرية أن الروس يريدون أن يجعل سلاح الذرّة شائعاً تحرزه أية أمة . بل هناك أدلة على أنها تريد أن تصنع القنابل وتحرزها وتستعملها في الوقت المناسب . ولـكن في رأي نهرو رئيس حكومة الهند ورأي اتشيسون وزير خارجية أميركا انه من العبث استعمال أي سلاح في حين أنه لا أحد يضمن أنه سيربح الحرب . لذلك أفضل سياسة الآن هي التفاهم والمصـالحة . وإلاّ فانسان اليـوم الذي بلغ الذروة في المعرفة بلغ الذروة أيضاً في الجنون .

نأتي الآن الى كيفية صنع هـذه القنبلة الهيدروجينيـة وانفجارها الذي يساوي الف ضعف القنبلة الذرية التي نسفت هيروشيما وأطاحت مئة وثلاثين الف نفس مرّة واحدة .

الطاقة الشمسية التي هي علة حياة الانسان على الأرض ، بل علة كل حياة للنبات والحيوان ، هي التي اذا انفجرت دفعة واحدة قتلت الانسان والحيوان والنبات .

القنبلة الذرية « الهيروشيمية » انفجرت بتفكك أجزاء ذرّة اليورانيوم كما علمنا، ولكن القنبلة الهيدروجينية تنفجر بالعكس، أي بالتئام أجزاء ذرات الهيدروجين حتى يتألف منها ذرات هيليوم .

ذرة الهيدروجين أبسط الذرات وأخفهن . فهي المعيار الذي توزن به سائر الذرات، قل هي الدرهم الذري . فذرّة اليورانيوم تزن ٢٣٥ درهماً، أي إنها تساوي ٢٣٥ ذرّة هيدروجين . وبالاصطلاح الالكتروني : في ذرّة الهيدروجن بروتون واحد والكترون واحد . وأما ذرّة اليورانيوم ففيها ٩٢ بروتون و ١٩٢ الكترون و ١٤٣ نيوترون . لا يحسب حساب الالكترونات لأنها خفيفة جداً : كل ١٨٤٠ الكترون تساوي بروتوناً واحداً . فتى انفجرت ذرّة اليورانيوم يعني متى انشقت، نتج منها ذرّة أنديوم وذرّة تنك . وبهذا الانشقاق يصدر منها طاقة تنتشر في الفضاء فوتونات (ضويئات) حرارة ونور هكذا : — ذرّة الانديوم تزن ١١٥ وزنة .

« التنك « ١١٩ «

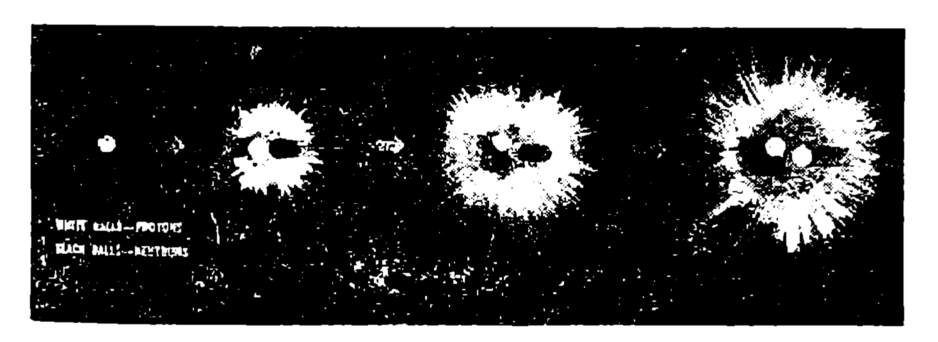
٢٢٤

طاقة « ١

٢٣٥ وهو وزن اليورانيوم

وهذه الطاقة تصدر بشكل حرارة ونور . فتصوّر ان في القنبلة بلايين بلايين الذرات ثم انفجرت مرّة واحدة فتلمع الطاقة في الفضاء لمعاناً كلمعان الشمس وحرارة كحرارة الشمس وكلاهما يفعلان ضغطاً هائلاً يدك الجبال — هذا هو فعل قنبلة اليورانيوم — هو عمل تفكيك

هيليوم تريتيوم هيدروجين ثقيل ذرة هيدروجين



الكرة البيضاء هي بروتون والسوداء هي نيوترون

وأما قنبلة الهيدروجن فبالعكس هو عمل تركيب، هو صهر ملايين ذرات الهيدروجن وتحويلها الى ذرات هيليوم هكذا كما ترى في الرسم .

ذرة هيدروجن تشتمل على بروتون واحد (والكترون واحد . دعنا منه لا شأن له هنا) فاذا طرأ على ذرة الهيدروجين نيوترون واحد نشأ منهما الهيدروجين الثقيل (الذي يتألف منه الماء الثقيل) وإذا طرأ أيضاً نيوترون آخر تألف من المجموعة عنصر سموه تريتيوم Tritium فاذا انضم للمجموعة ذرة هيدروجين أخرى تألف منها ذرة هيليوم كما ترى في الرسم

يحدث في الشمس مثل هذا أيضاً . أي انه في الشمس تنصهر ذرات الهيدروجين الخفيفة فتتحول الى ذرات هيليوم الثقيلة (٤ أثقال الهيدروجين) . وفي خلال ذلك تفلت الطاقة (فوتونات) وهي تحدث من إطباق بروتون على إلكترون في أثناء هذا التحول ، فينشأ الفوتون وهو الطاقة ، لأن البروتون كهرب موجب، والالكترون كهرب سالب ، فتى تطابقا تنافيا، فيصدر الفوتون وهو غير مكهرب ، هو طاقة فقط ، أي متعادل، متحايد ، والنيوترون هو متعادل ، محايد أيضاً . ولكنه بوزن البروتون .

من أين جاء النيوترون :

هم اخترعوا أولاً قنبلة A-Bomb ولم نسمع قبلاً بخبر هذه القنبلة . يضعون هذه في أنبوبة أو جوف سهم مملوء بغاز الهيدروجين الثقيل (وهم يصنعونه صنعاً) أو بالماء الثقيل يصنعونه من الهيدروجين الثقيل . ولكي يحدث الانفجار والتحول يجب أن يكون تحت حرارة كحرارة الشمس وضغط شديد . وقنبلة A-Bomb هي كفيلة بإيجاد هذه الحرارة الهائلة حين يقذف السهم . لأن هذه القنبلة حين تنفجر تولد حرارة كحرارة قلب الشمس (٤٠ مليون درجة من مقياس سنتغراد) وهذه الحرارة كفيلة بصهر ذرات الهيدروجين وتحويلها إلى ذرات هيليوم ، وانتاج حرارة أشد من حرارة الشمس .

قنبلة الهيدروجين (تُصدر طاقة تساوي ٨ أضعاف قنبلة اليورانيوم) . ولما كان ممكناً أن نصنع هذه القنبلة بالقدر الذي يرام ، خلافاً لقنبلة اليورانيوم التي تحدد لها قدر لا تتعداه ، فصار ممكناً أن تصنع بمقدار ألف أو ألوف أضعاف تلك، وبالتالي يكون فعلها ألوف أضعاف تلك .

يقولون . شيطان . فأين الشيطان ؟ أليس هذا الانسان ؟

ن . ح

ضيف من المريخ

قزم كبير الرأس ولكن طوله ٥٧ سنتيمتراً ، كان يسير اسطوانة من معدن لا وجود له على الأرض يشبه الأولومينيوم، قطرها ١٥ متراً ، يدفعها في الفضاء محركان . كانت طائرة في سماء المكسيك وقد سقطت في المنطقة الجبلية . وقتل طيارها وأخذت جثته وحنطت لكي يشرحها الأطباء المكسيكيون ، ويبحثون في مادة هذا المخلوق المجهول . ويقولون أن بعض كبراء المكسيكيين يعتقدون أن هذه الطائرة جاءت من المريخ .وقد سافر بعض كبار الضباط الأميركان الى المكسيك لمعاينتها .

وقد روى هذه القصة للصحفيين السر راي ديميك الكيمائي الخبير بالمفرقعات . ثم وردت إلينا هذه الحكاية من لوس انجلوس في كاليفورنيا بالتلغراف في ١٠ مارس . وهي خبر جدير بأن يهتم به المقتطف لأنه من دائرة مباحثه . ولكن ذرة واحدة من العقل لا تستسيغه بتاتاً، ولا تستخرجه من منطقة الترهات ، والسخافات ، والخزعبلات. ولذلك نستغرب أن تتداوله شركات الأنباء التلغرافيـة ، ثم تدفع بعض الصحف ثمنه وتتحف به القراء كأنه لا يزال ينقصهم شيء من الخرافات ليتداولها ناسنا الساذجون لكي تهبط بعقولهم الى حضيض الخلائق البدائية .

والملاحظ أن أمثال هذه السخافة محظوظة بها بلاد المكسيك، وكانت هذه البلاد كلها موطن الجنّ فقد ذكر منذ عهد قريب أنه رئي في سماء المكسيك أقراص سابحة في سمائها وقد وقف أحدها في الجوّ برهة طويلة من الزمان .

وقد علقت احدى جرائدنا على هذا الخبر أن المرحوم ولز القصصي المشهور غفر الله له كتب منذ ٤٠ سنة أن الحرب في المستقبل لا تكون بين دول الأرض بل بين سكان الكواكب . ويقول المعلق :— ها أن نبوءات ولز قد تحققت .

وبهذا التعليق البليغ يؤيد المعلق هـذا التخريف في عقول الساذجين — ما هكذا يا قوم نعمل دعاية للعلم والحقيقة لكي نرقـي العقول . رحم الله ولز ما خطر له أن بين قرائه عدداً كبيراً حتى من محرري الصحف يعتبرون تخيلاته القصصية حقائق علمية ويتداولونها بين العامة ، وما هي إلاّ سخافات قصصية

العزلة في رأس الجبل

الديمقراطية

٤ — دولة ما انقطع

وبعد أن انتهى صاحبي من قصة القادر على كل شيء

قلتُ : إذاً . أصل الشر في النظام الحالي هو الذي جعل الدينار صاحب السلطة .

قال : بل قل جعل الدينار إلـه العباد وأقام المتمولين كهنة له يتقبلون من الشعب القرابين والضحايا .

قلتُ : إذاً يجب أن نبحث عن نظام آخر قبل أن نهدم نظام ملكوت الدينار، فما هو النظام الآخر ؟

قال : لا يخفى عليك ولا على أحد . هو نظام الديموقراطية المطلقة .

قلت : نحن الآن في عصر الديموقراطية منذ أول القرن التاسع عشر او قبله . ولا يزال الدينار سيداً حتى في أعرق الجمهوريات ديموقراطية كأميركا مثلاً . ويخشى أن تكون الديموقراطية الآن توطئة للدكتاتورية التي هي شرٌّ من الحكم المطلق . لأن الدكتاتوريات نشأت من الجمهوريات أو الحكومات الديموقراطية . ألست ترى هكذا ؟

قال مبتسماً ابتسامة الساخر : أنا قلت الديموقراطية المطلقة . أي الديموقراطية في نظام اقتصادي غير هـذا النظام . فما دامت الديموقراطية ناقصة فالأمر كما تقول . ما دام الدينار صاحب السلطان فهو يحوّل الديموقراطية الى دكتاتورية . هل تحسب الديموقراطية الحالية ديموقراطية مطلقة تامة ؟

قلت : أليست الديموقراطية حكومة شعبية . أي أن الشعب يحكم نفسه بنفسه، بحكومة يعينها مجلس نواب ينتخبه الشعب الحرُّ

قال : نعم . ولـكنني لا أرى إلاّ أرقاء ينتخبون عبيداً . وهؤلاء يعينون خدّاماً يخدمون أسياداً أعلين ، هم كهنة الإلـه الدينار . انما المُنتخِبون عبيد لمن أقامهم الدينار

أسياداً على المرافق والمرتزقات . فهم أدوات تنفذ ارادة الأسياد . والنائب المختار إذن آلة في أيدي هؤلاء الأسياد أيضاً . فالسيد والعبد وعبد العبد كلهم عبيد للدينار الجبار الذي في يده صولجان الاستبداد . والقانون الذي سنّه هؤلاء المختارون النواب ساجد عند قدمي الدينار الجبار . والعدالة تسبّح بمجده . وملائكة السلطة التنفيذية ترنم بسعادته وهنائه . والجمهور يتطلع الى الجالس على العرش يتوقع من نعمته رحمة

قلت : إذن . لا أمل بالحصول على ديموقراطية مطلقة إلاّ بخلع هذا الدينار الجبار . فما الحيلة ما دام هذا الإله الأرضي قابضاً على الصولجان وفي يده الناخب والمنخوب والحاكم والمحكوم

قال : خذ الحيلة من أفواه حكماء الحيوانات .

جمهورية حيوانات

رووا أن الدجاجة قالت للحدأة ذات يوم : بالله تعلّميني التحليق في الجو مثلك لكي أسلم من غزو الثعالب وبنات آوى . فإنها كل يوم تسطو علينا وتروعنا وتخطف منا ما تستطيع حمله .

فقالت الحدأة : ليس الطيران علماً يا عزيزتي ، وإنما هو جناحان طويلان عريضان . وأنتنّ طائفة الدجاج فقدتنّ طول الجناحين وعرضهما منذ اعتمدتنّ في رزقكنّ على الإنسان . على أني أرى أن حيلة « فرّق تسد » قد تنقذكنّ أحياناً من أنياب الثعالب والذئاب

قالت الدجاجة : ما هي حيلة « فرّق تسد »

قالت الحدأة : سأعملها أنا وأريك

ومضت الحدأة ورأت ذئباً . فسألته كيف الحال يا صاحب ؟

فقال جوعٌ ولا شبع . وتعبٌ ولا راحة . أقضي الليل بعد النهار في السعي وراء دجاجة أو بطة . حتى إذا ظفرت بها اضطررت أن أقدمها الى الأسد الملك لكي يمنحني منها ولو عظمة وإلاّ فيسحقني سحقاً

فقالت : إن ملككم طماع ظالم طاغ فلماذا لا تخلعونه وتؤلفون منكم جمهورية

تقسم الرزق بينكم بالعدل ، فلا يذهب الجانب الأكبر منه الى الملك ووزيره وأعوانهِ وهم لا يسعون اليه ، ولا يتعبون في تحصيله .

فقال الذئب : والله إنها لفكرة حسنة . ولكن كيف نستطيع خلعه وهو قويٌّ وله أعوانٌ ؟

فقالت : أقوى أعوانه النمر وزيره الأول . عِدوا النمر برئاسة الجمهورية . فينفصل عنه ويعاونكم على خلعه

قال : والله إنَّ لك لحكمة الفلاسفة . سنفعل

ومضت الحدأة . فرأت النمر : السلام عليك أيها الوزير الكبير . كيف الحال ؟

قال : والله . ان الرعية كسولٌ ، فقلَّ المورد

قالت : قلَّ المورد لأن الملك لا ينصف الرعية لكي تشبع وتقوى على الصيد

فقال : صدقت . إنه شديد الطمع عديم الشبع . يحرم الشعب حتى الوزراء أحياناً .

فقالت الحدأة : أنت أولى منه وأجدر أيهذا النمر . لأنك أشد اعتدالاً وأكثر عدلاً . فلماذا لا تخلعونه وتتولى الحكم أنت ؟

قال — كيف نستطيع وهو يجند كل الرعية للدفاع عنه .

فقربت الحدأة منه وهمست في أذنه . الكلام بسرك ان الرعية ضاق ذرعها به ، وأظنها تتآمر الآن عليه بخلعه وانشاء جمهورية تقسم الرزق بالعدل . فاقبل نصحي وترأس المؤامرة تكن رئيس الجمهورية . ثم دكتاتوراً . ثمَّ ملكاً مطلق السلطان فاذا عدلت بقي الصولجان لك .

* * *

وما هي إلاَّ أيام معدودة حتى تمّت المؤامرة وتألّفت الجمهورية سرًّا . وما درى الأسد إلاَّ وقد دخل اليه في عرينهِ وفدٌ من الفهود والضباع والذئاب ، وأبلغوه أن حكومة الشعب الجمهورية قد قررت خلعه لشدة ظلمه . وانه سيبقى أسيراً في عرينهِ والسلاسل في يديهِ ورجليهِ ، ويُقدَّم له كل يوم نصف فخذ معزاة .

فقال الملك الأسد : أين النمر ؟ لا أراه معكم في وفدكم . لقد أبدلتم بملككم وزيره ،

لسوف ترون ما اذا كانت جمهوريتكم الزائغة أعدل من ملككم . أما الحكم الذي حكمتموه عليَّ فلا قِبَل لكم على تنفيذه لأن اخواني الأسود سيأتون لانقاذي . فاذا تركتموني أروح الى منطقة أخرى بعيدة عنكم ضمنتم الأمن لكم .

— كيف نضمن إنك لا تخوننا ولا تغدر بنا ؟

— أعاهدكم بالشرف الملوكاني . أنتم الآن عصبة فلماذا تخافون مني ؟

— قالوا : أكتب لنا ميثاق الأمان بيننا وبينك

فكتب الميثاق ، وانطلق الى غابة بعيدة .

* * *

ما انقضت برهة طويلة على الجمهورية حتى صار النمر دكتاتوراً أشد ظلماً من الأسد الملك . فكان يفرض على الذئاب والضباع والثعالب وبنات آوى قدراً معدوداً من الدجاج والنعاج والمعاز . فاذا لم يؤدّوا هذه الأتاوة عاقبهم عقاباً شديداً .

حينئذٍ اعتصبت الوحوش وامتنعت عن الصيد والغزو والسطو . فقال النمر الدكتاتور : اذا امتنعتم عن الصيد أيها الأغبياء . فماذا تأكلون ؟

قالوا : نأكل العنب والقثاء والخيار وسائر الفاكهة لأننا نباتيون كما أننا أكلة لحوم . وأما أنتم النمرة والفهود فلا تعيشون من غير لحم ودم . فموتوا جوعاً .

ومضت مدة كانت أكنان الدجاج وحظائر الأغنام في أمن من غزوات الوحوش . وأما النمر فاستعان بالفهود لتأديب تلك الوحوش وارغامها على العمل حتى ضاقت ذرعاً به .

وندمت الوحوش لخلعها الأسد لأن النمر جاء بعده أشد طغياناً وأكثر عسفاً وظلماً . واجتمعت في مؤتمر سري وبحثت في الأمر وقرّرت ارسال وفد الى الأسد لكي يستسمح منه ويستعطفه عسى أن يعود الى عرشه .

ولما مثل الوفد بين يدي الأسد يستعطفهُ ، قال الأسد : لن أعود إلاّ اذا خلعتم النمر كما خلعتموني ، وجئتم كلكم اليَّ تبايعونني وتحلفون يمين الطاعة لي .

فعاد الوفد حزيناً لأنه رأى أن عودة الأسد الى عرشه ستكون نقمة أشد وطأة عليهم

* * *

وفيما الوفد عائد بخفي حنين صادف فيلاً فقال أحدهم : لماذا لا نضع صولجان الملك في يد هذا الفيل . فهو أقوى من الأسد والنمر ، وهو لا يفرض إتاوة علينا، لأنه لا يأكل لحوماً .

فاستوقفوه وعرضوا الأمر عليه . فضحك وقال : أتظنون إنكم فيما تبحثون عن سيد يحكمكم تنفضون عن رقابكم نير العبودية ؟ الأحرار لا يفتشون عن سيد .

قالوا : نريد ملكاً ديموقراطيّاً .

فقهقه وقال : الملكية المطلقة والديموقراطية لا تجتمعان . إما هذه أو تلك .

قالوا : ماذا تفعلون أنتم أيها الفيلة في نظامكم السياسي .

قال : نحن جمهورية بحتة .

قالوا : إذاً ، بربك تعالَ كن عندنا رئيس جمهورية

فأمعن الفيل في القهقهة وقال : لا تصلح الجمهورية لكم ولا أنتم تصلحون لها .

قالوا : كيف يمكن أن نصلح لها وهي تصلح لنا ؟

قال : تصلحون لها إذا صرتم كلكم أسوداً بحيث يصلح أي فرد منكم رئيساً للجمهورية. نحن كلنا أفيال، وأي فرد منا يصلح أن يكون زعيماً يمشي أمامنا، فنسير وراءه كتلة واحدة. وأما أنتم فلا تجانس بينكم ، بل أنتم من جنسيات مختلفة . أسد وفهد ودب ونمر وذئب وضبع وثعلب وابن آوى الخ : متفاوتون في القوة والشهوة والطمع . القوي فيكم يأكل الضعيف منكم . فلا يصلح لكم إلاّ الحكم الملكي المطلق بحيث يكون الأقوياء فيكم أسياداً لكم، وأنتم عبيد لهم . تتعبون وتشقون وهم يتمتعون بجني تعبكم ، وأنتم تقنعون بما يبقى لكم من الفضلات. كونوا جميعكم أسوداً فتتعادل قواكم وشهواتكم، وتتساوى حصصكم في أرزاقكم ، وإلا فالأقوياء أسياد ، والضعفاء عبيد . هذه سنة الطبيعة ، فعبثاً تحاولون أن تتمرّدوا عليها .

فعاد أفراد الوفد يضربون أخماساً بأسداس ، وهم يفكرون بفلسفة الفيل الحكيم . وما أن رووا الخبر بتفاصيله لاخوانهم في المؤتمر حتى باغتهم «طابور» من الأسود يضرب نطاقاً حول مؤتمرهم . ثم أعلن قائد الطابور أن الأسود قد رأت أن سعادة المملكة في

تلك المنطقة تتوقف على الحكم الجمهوري العادل . فأَلف الأسود جمهوريتهم . وقررت هذه الجمهورية أن تسوس المملكة . وان تدرب سائر الوحوش في العمل تدريباً نظامياً يكفل لهم الرزق بحسب ما يفرض عليهم من العمل . وليفهم الوحوش ومن جملتهم النمرة انهم جميعاً عبيد لجمهورية الأسود، وعليهم الطاعة المطلقة .

عند ذلك انبرى الفهد وتقدم الى الأسد رئيس الجمهورية ورفع يده بورقة وقال . هل نسي الرئيس هذا الميثاق الملوكاني ؟

فقال الأسد : هذه قصاصة ورق . وقد مزقتها فلسفة مستشاركم الفيل .

***

قال صاحبي : هذه حكاية جمهورية الحيوانات .

... هذه مملكة الحيوانات عرفت الديموقراطية الحقيقية التي لا تفشل، ونحن لم نعرفها، فلكي تنجح الديموقراطية الانسانية يجب أن يكون جميع أفراد الأمة أسوداً أو فيلة، أي متجانسين في المعرفة والأخلاق والعقل على الأقل .

قلت : هذا أمرٌ يكاد يستحيل حدوثه . كيف يمكن أن يتحول الثعلب والضبع والذئب الخ الى أسود ؟ وكيف يترقى الناس الى درجة واحدة من الرقي ؟

قال : إن الثعلب الذي لا يرتقي الى أسد يهلك ، وهكذا دواليك . كذلك الأمر في الناس من لا يرق الى المستوى يبد . وعملية التطهير هذه جارية في بعض الجمهوريات كالولايات المتحدة الاميركية مثلاً حيث أفراد الشعب أكثر تقارباً فيما بينهم في المعرفة والأخلاق من أفراد الجمهوريات الأخرى . وعلى التمادي يتساوون .

قلت : ولكن على الرغم من ذلك لا يزال الدينار الجبار إلهاً أقوى جبروتاً في أميركا (بلاد الأولميتي دولار) وفي غيرها من البلاد الجمهورية . ولذلك سيبقى الناس هناك عبيداً وأسياداً وأسياد أسياد .

قال : متى صاروا كلهم أو معظمهم أسوداً في العرفان والأخلاق استطاعوا أن يخلعوا ذلك الاله الدينار الجبار عن كرسي السؤدد ، وحينئذٍ يستتمون الديموقراطية السياسية بالديموقراطية الاقتصادية ، وهي الديموقراطية المطلقة التي نوهت بها في أول هذا البحث .

ويصبح الدينار الجبار أحد أفراد الرعية لا حول له ولا طول الا بقدر ما يمكنه أن يمتع حامله برفاهية الحياة .

وبقيت أفكر برهة وهو صامت . ثم قلت : إن المسألة تكاد تنحصر في لفظة واحدة: الحرية . أرى ان الحرية هي مفتاح الخلاص من عقال الدينار الجبار . بها النجاة من العبودية لهذا الاله — الحرية في الانتخاب وفي كل شيء

قال : بالطبع ، إذا قامت الحرية سقطت العبودية .

قلت : إذاً لا بدّ من دك سجن الباستيل لاطلاق الحرية .

* * *

وإذ ذاك رأى المكاري قادماً . فقال اسمح لي الآن أن استقبل المكاري الذي رأيته أمس لأرى ماذا جاء به لي .

وذهب واستقبل المكاري وتسلم منه خرجاً ، ورأيته يأخذ من الخرج كتاباً وبعض جرائد ، و « بقجة » الله أعلم ما فيها ، وخطاباً .

ورأيتـهُ قد فضّ الخطاب وجعل يقرأه وهو يتجهم ، وما انتهى منه حتى اتضحت في وجهه أمائر الاستياء . ثم دخل الى الغرفة . وأودع فيها تلك الأشياء . ثم مضى بالمكاري الى مخزن الحاصلات وزوّده ببعض ما فيها وصرفه في سبيله .

وعاد اليّ وقد بدا عليه شيءٌ قليل من القلق فقلت : خيرٌ ان شاء الله . عسى أن يكون بريدك قاضياً لحاجاتك .

فتعمّـل الابتسام وقال : أجل أن بريدي يحمل لي أ كثر من حاجاتي :

قلت : وعسى أن تكون الأخبار سارّة .

قال : إني أقرأ الجرائد في أوقات الفراغ ، فلست الآن في عجلة للاطـلاع على سخافات البشر . هل تريد أن تطلع عليها الآن ؟

قلت : ان قراءة الجرائد أمر لا يفوت أوانه . وإنما عشرتك هي الأمر الذي أخاف ان يفوتني، فلا أريد أن أضيع وقتاً في قراءة السخافات (قلتها ضاحكاً) .

قال : إنك تترجم مثل ما في ضميري . عشرتك الآن مغنم لي .

وفي العدد القادم حديثهما عن الحرية .

ماذا كان في العزلة

ما خطر لي أن يُفهم من مقالات « العزلة في رأس الجبل » ان الشخصيتين المذكورتين فيها تنسبان الى شخصين حقيقيين معروفين . فقد كتب لي أديب يسمي هذين الشخصيتين ويحاول أن يطبق الحوادث التي سردت في المقالات عليهما ، فيجد أنهما في بعض الاحوال غير مطابقة للواقع ، ويود أن تعدل وتنقح .

ولعلّ هذه المظنّة قد طرأت على قارىء آخر ، أو قرّاء آخرين . فأستغرب أن يلوح لبعض القراء ان الحديث القصصي لا بدّ أن يكون لشخص فيه وجود حقيقي ، في حين أنه معلوم أن أشخاص القصص والروايات خيالية . وليس الغرض من الروايات أشخاصها ، بل المقصود المغازي المضمرة والظاهرة فيها . وأنا روائي ، ولي روايات عدّة ، وفيها أشخاص عديدون . فلا أقصد أشخاصاً معينين ، لكي أجعل أخلاقهم وسلوكهم وتصرفاتهم موضوع كلامي .

ولذلك أرجو من هذا الأديب ومن غيره ، ان يعلم ان الناسك الذي في مقالات العزلة هو أنا ، والصحفي الذي زار الناسك ، هو أنا ، وكل رجل أو امرأة يظهر في هذه المقالات هو أنا .

* * *

وقد ورد لي خطاب من قارىء آخر يسألني من هو كاتب مقالات العزلة . فهو يود أن يعلق عليها ، ولكنه قد لا يفعل الاّ إذا علم من هو كاتبها .

ولهذا الأديب المحترم أقول أيضاً : هل من غرابة أن أكون أنا كاتبها ؟ وهل ما يمنعه أن ينتقد إذا كنت أنا كاتبها إذا كان يريد النقد ؟

وبهذه المناسبة أود أن أبلغ القراء الكرام أن كل ما ينشر في المقتطف من غير توقيع هو لي ، وما ليس لي فموقع باسم كاتبه .

نقولا الحداد
رئيس تحرير المقتطف

منابع النيل (1)

حسب عقيدة قدماء المصريين وتقاليدهم

قليل من المصريين من يعبأ بالنيل من الناحية العلمية وبمعرفة تطوراته ، بحسب النظامات الحكومية التي طرأت عليه لمناسبات تحسين الري وحسن التصريف في كميات الفيضان ، وقل أن تجد، حتى عند ذوي الاطلاع، معلومات تدل على اهتمام القوم بهذا النهر الذي هو مصدر الثروة وينبوع الحياة ، بل ان أغلب الأمة لمصرية لا تذكر شيئاً عن النيل إلا في أوان التحاريق بمناسبة التشديدات التي تتخذها مصلحة الري في وضع المناوبات واحتياجهم إلى تلقي الأخبار المنبئة عن بدء الفيضان . وهذا هو منتهى اهتمام الزراع وأرباب الأطيان الواسعة . وأما أغلبية الطبقات من الأمة حتى المشتغلين بالعلوم العامة في المدارس بأنواعها وطبقات الصناع والتجار ، فلا يحسبون للنيل حساباً ، ولا يعتنون بشيء من أخباره إلا في مقتضيات محدودة من الزمن مثل حفلة وفاء النيل (رقم ١) وباقي الأعياد المتداخلة في أشهر الفيضان عند بعض الطوائف ، فاذا انقضت هذه المدة ، أغفلوا النيل جانباً ، كأنهم ليسوا من سكان واديه أو من القاطنين في أراضيه التي كرّمها الله بالخصب والرغد ، وجعله لها مصدر السعادة ومهاد الثروة.

خص كثير من المؤرخين النيل بمباحث مطوّلة عن البعثات التي كُلّفت باكتشاف ينابيعه وطرق سريانه في الأودية ، ووسائل الانتفاع به ، وما تحويه مسالكه من المعادن والأتربة ذات الخواص . وهذا المبحث مفيد من الوجهة العلمية التي تقبل المزيد من الوضوح كلما تقدم العقل في ارتقائه العرفاني . ووصوله إلى حقائق لم تكن معلومة من قبل

---

(١) بمناسبة مرور مائة سنة على تاريخ اكتشاف « منابع النيل » ننشر المقال التالي القيم للعلامة الاستاذ انطون زكري الثقة بعلم الآثار المصرية وأمين مكتبة المتحف المصري سابقاً



رقم ١ — عروس النيل حسب قول عمرو بن العاص

وغرضنا البحث الآن عما كان للنيل من المزايا الخاصَّة المترتبة على عقائد وتقاليد

تداولهـا قدماء المصريين حسب اعتقادهم . فمن ذلك ما قاله هيرودوت (رسم رقم ٢) إنما مصر هدية من هدايا النيل (رسم رقم ٣) ، وكلمته هذه الصغيرة تشمل وادي النيل بأسره لأن النيل كشريان الحياة بفيضاناته الدورية التي يعبر عنها في أقاليم الصعيد بلفظة « دميرة »



رقم ٢ — رسم لهيرودوت أب للتاريخ

والبداهة ترشدنا إلى أن مجرى النيل . وما يحيط بشواطئه كلها جزء اغتصبته سطوة النيل من مجموعة الأقاليم ، واختص هذا الجزء المغتصب بالمقتضيات الطبيعية من الخصوبة لجاه بحسن الأنبات ، وامتاز بالموقع الثمين ، وأحاسن المجهودات الانسانية التي ابتدع الأهالي طرائقهـا ووسائلها في تقسيم المناطق الى بلدان وحياض وحدائق ، واتخذوا لكل موقع ما يناسبه من الاحتياطات الزراعية ولم يشيدوا المباني في البلاد إلا في أماكن محدودة

من أطرافها ، لتكون مناطق المزارع خالية من عوائق التقسيم والترتيب وحرية الانتفاع ، وليكون أهل كل قرية عوناً بعضهم لبعض في حقوق الجوار والارتفاق ، وصد الطوارىء جرياً على عادة المجاملات التي كانت راسخة في أخلاق المصريين قبل أن يتغلب عليها التقليد الأجنبي الحاضر الذي أفقد النفوس كثيراً من مزايا التعاون والمحبة والاخلاص .

* * *

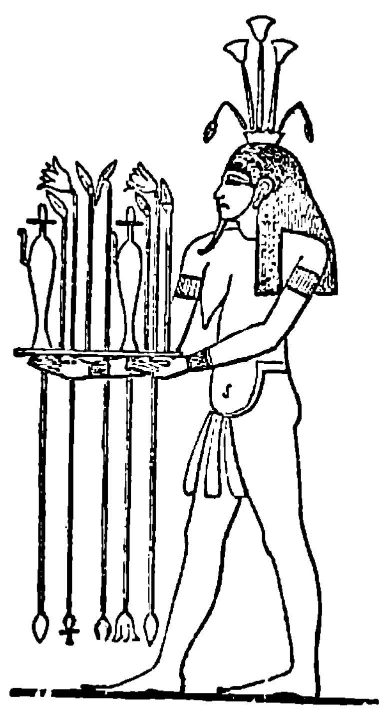
وكان قدماء المصريين يجلون للنيل احتراماً اعتقاديًّا لكونه السبب الفعال في صيانة أرواحهم من مهالك القحط والجدب ، وانتشار الفاقة واستحكام الضيق ، إذ كان



رقم ٣ — مصر هدية من النيل حسب وصف هيرودوت

عوام الناس وخاصتهم مقبلين على الزراعة والاعتناء بها أكثر من كل شيء ، ولم يكن الاعتناء بالصناعات والأحوال الأخرى الأدبية إلاَّ في بعض المدائن التي كانت تقوم بالحاجة الكافية لمجموع الأهالي . وبهذا كانت التجارات على جانب من الرواج ، وأولو البراعة في العلوم كانوا على منتهى درجات الاحترام والتوقير ، اعترافاً بفضلهم ، وتشجيعاً لذوي الاستطاعة على أن يحذو النجباء حذوهم في فضلهم ومعارفهم ، وكانوا

يقدمون للنيل بعض اعتبارات كالعبادة ويسمونه (حعبي) رقم (٤) أي الاله المقدس .
وكانوا يمثلونه بصفته إلهاً مقدساً (حعبي) ويلقبونه إله الخصب والابن المربي على شكل رجل في ريعان الشباب بديناً نشيطاً كرجل مترف غني من العظماء يعلق على تمثاله حلياً في الصدر يشبه صدر المرأة ، وبطنه مطويًّا من الشحم ، ونخذاه ثابتتان مستديرتان تشبهان نخذي الغادة الحسناء . وهكذا كان المصريون يمثلون رجالهم الاغنياء العظماء



رقم ٤ – الاله حعبي (النيل)

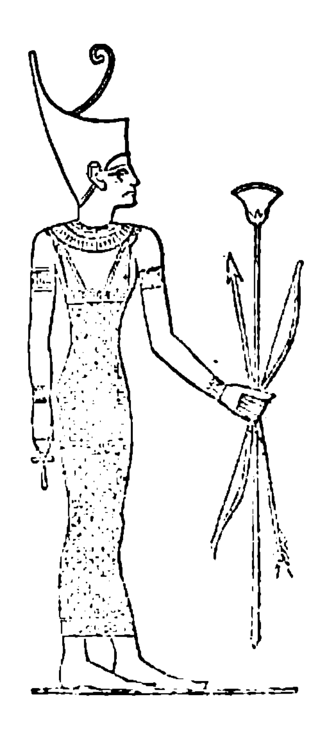
وعدم إلمام المصريين القدماء بمعلومات عن منابع النيل كان شأناً عامًّا ، ولا يعدونه تقصيراً في الوجهة العلمية . وقد لاحظ ذلك المؤرخ الشهير هيرودوت الذي قدم لمصر قاصداً البحث ، وجمع الدلائل في هذا الشأن ، حتى قال : « لم يعرّفني أحد شيئاً عن منابع النيل » وأيدت رأيه أنشودة النيل القديمة التي كانوا يترنمون بها في المواسم والأعياد ويعترفون فيها « بأن النيل آت من الظلمات » .

وذكر في كتاب الموتى « أن النيل مولود من « رع » أي الشمس التي هي أكبر الآلهة عند المصريين القدماء . ويقرب من هذا المعنى أنه وجد مكتوباً في ورقة بردية (من ضمن أوراق كتب التحنيط) نص بالمعنى الآتي (في بطاقة عند مقبرة أحد الموتى) :

« انك أيها الراحل في لحد الخلود ، سيفيض عليك النيل في مضجعك الأخير أثراً من بركاته لأن ماءه آت من مدينة «أبو» (أي جزيرة اسوان) وهذا النيل ينفجر من هوته «هذا ، نو» الخارج من ينبوع صخري ، كأن الفيضان يغور من خزائنه، والمياه تتدفق من ينبوعها



رقم ٥ — رسم لكاتب جميل من الأسرة الرابعة
(والأصل بالمتحف المصري بالطبقة السفلى)
نقلاً عن كتاب Guide de Maspero fig. 18

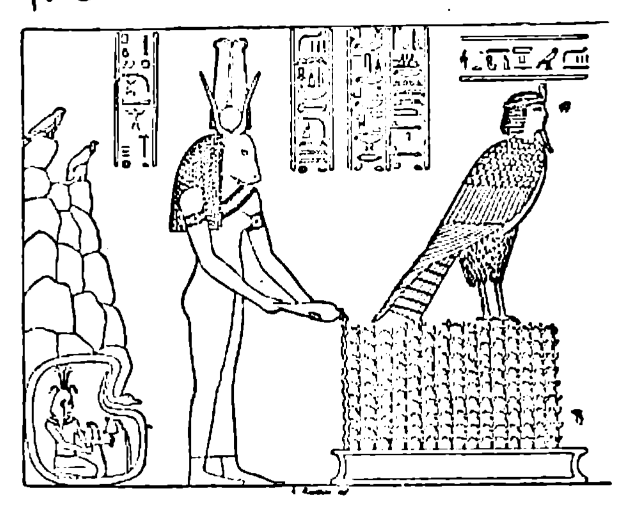


رقم ٦
المعبودة نيت
إلهة مدينة سايس

وقد قال هيرودوت إن أمين (رسم رقم ٥) معبد الآلهة «نيت رقم ٦» بمدينة «سايس» أخبره بأن بين مدينة (سيين) بطيبة ومدينة جزيرة أسوان جبلين أولهما يدعى باللغة المصرية القديمة « كروفي » أي هوته ، والثاني « موفي » أي مياهه ،وبين هذين الجبلين تنفجر منابع النيل من هوة عظيمة ، وينصب الماء منها طبقاً لطبيعة الحواجز الصخرية هناك الى شطرين أحدهما الى مصر في الشمال ، والآخر الى اثيوبيا في الجنوب

وقد اجتهد هيرودوت لما أتى الى مصر بمباحثه العلمية من الوجهة الجغرافية ، وعالج كثيراً من طبقات الكهنة ، فلم يبوحوا له بشيء من معلوماتهم الا فيما يتعلق بعظمته ومكانته الراسخة في النفوس كمعبود يؤدون له فرائض العبادة والاجلال ما استطاعوا ، وخصوصاً

في الأوقات التي حددوها لذلك عند بدئه في الزيادة وبلوغه منتهى الفيضان ، ومبادىء تصريفه في الأقاليم ، ورتبوا على ذلك الأعياد والمواسم الشهيرة التي ما زالت تراعى في الاحتفالات السنوية ترحيباً بوفائه ، وشكراً لما يغدقه على الأرض من نعيم الخصوبة والرغد .



رقم ٧ — النيل في مخبئه وفوق الصخور رسما الصقر والباشق

وقد اكتشفوا في معبد « فيلة » الذي شيده الامبراطور « تراجان » واحتفظ عليه خلفاؤه من بعده رسماً يمثل لنا الاله « حعبي » (النيل) في مخبئه (رسم رقم ٧) وتفسير هذا الرمز « أنه » يوجد فوق صخور مرتفعة عليها رسما الصقر والباشق، وفي حجرة يرى بداخلها هيكل الحي لالهرا كم حاملا في يديه آنية تخرج منها فيوضات النيل المباركة ، ويجد الرائي مرسوماً على رأس الحجرة حية ملتفة على نفسها ، وبين رأسها وذنبها منفذ ضيق لمرور النيل ، وهذا الرسم فسره كاهن مدينة « سايس » للمؤرخ هيرودوت بأنه منتهى معلوماتهم عن منابع النيل ، فهو يفيض من عند الله لم تصل استطاعة أمثالهم لاكتشاف أوائله غير ما هو مشاهد للزائرين في أطراف وادي النيل ، ويقصد الكهنة بذلك وقوف الأمة عند هذه النقطة ، وعدم التطلع الى مباحث أخرى .

وكان علماء المصريين مع كثرة الرموز العلمية ، وسعة المعلومات المحفوظة في الصدور ، والمرموز إليها في بعض المخلدات الأثرية لا يسمحون لمعاصريهم ولا لزائريهم من فجاج الممالك بالتوسع في مباحث عن ينابيع النيل وأوائل مصدر فيضه ، لأنهم يعتقدون أن البحث في ذلك ممنوع دينيًّا ، وتعرض المشتغلين به لحلول النقمات التي تنذر بها الكتب المقدسة ، كل من يسعى الى عمل يؤدي الى كفر أو ضلال . وكانوا يعتقدون أن النيل فيض من

البركات الإلـهية يتنزل من السموات العلى إلى عالم الأرض ، فيكون منها الرغد والسخاء وصلاحيـة الأرض لكل نبات يحتاجه الانسان في أدواره المعاشية ، ولهذا كانوا يسمونه أب الآلهة (أتف نترو) . ولم يلتفت قدماء الباحثـين من المصريين الى أسباب الزيادة في النيل في أزمنة الفيضان ، لاعتقادهم أنه قدسيّ في تكوينه وفي تأثيره وفيما تبصر الخلائق عنه ، لأنه سرّ من فيض البركات الالـهية ، ، اختصّ الله بها هذا الوادي السعيد ، وجعله الى الأبد مصدر الرفاهية والسعة والاغداق بأنواع الأرزاق التي تفي باحتياجات قاطنيه ، ويسد العوز لكل الطبقات التي تأوي إليه ، ويجدون فيه من سجاياأهله حرماً آمناً .

وقد اجتهد علماء المباحث المصرية عن النيل وينابيعه ومصادره العليا مثل هيرودوت وسترابون وديودور الصقلي ، وعلماء الرومان كالمؤرخ باين وسنيك وغيرهم من الفلاسفة فلم يستطيعوا سوى الوقوف عندما ألقاه إليهم الكهنة عن عظمة النيـل ، وأن عجائبه ترجع الى قدسية مصدره الالهي ، فاضطروا للاإذعان خاضعين لعـقائد وتقاليد قدماء المصريين في شأنه ، ولم يتجاوزوا في مباحثـه الى ما وراء الشلالات ، والى ذلك أشار هيرودوت بقوله « ان النيل يعرف مبدؤه بعـد سفر أربعة أشهر سواء كان ذلك برّاً أو بحراً ، وهي المدة التي كان يستغرقها المسافر في وصوله الى جزيرة اسوان .

واستمر الناس على الاعتقاد بأن ينابيع النيل مما يعسر على الباحثين حل غوامضه الى عصر الرومان ، فأرسل نيرون بعثة رسمية لاكتشاف هذه المنابع ، فوصلت بعد مستنقعات واسعة الى صخرين تجري فيهما المياه فظنوهما المنابع الأولى للنيل ، وعادوا يتوهمون لأنفسهم الظفر بما لم يستطع غيرهم الوصول اليه .

وقال بلين أن منبع النيل آتٍ من « موريتاني » الواقعة شمال افريقية . وقال سنيك إن منبعه يبتدىء في ضواحي مدينة «فيلة» . وقال المؤرخ « لوكين » إن منبع النيل الحقيقي لم يعرفه أحد في العالم » ووافقه على ذلك المؤرخ «أميان مرسليان» أحد علماء القرن السابع للمسيح ، وإن منتهى ما وصلت اليه الاجتهادات وتجوال البعثات في رحلاتها أن منابعه آتية من بحيرات أفريقية الوسطى . وكان قدماء الباحثين يضربون الأمثال بمعرفة منابع النيل في استحالة الوصول الى غرض يرضي ويقنع الباحثين .

وقال المقريزي في وصف مصر « إن النيل يظهر على الأرض بقرب وادي القمـر بقرب الاستواء » . وقال «جرانفيل » « إن — النيل فردوس أرضي » .ولا تزال هذه العقيدة عند قدماء المصريين رغماً من توالي السنين ، وظهور الاكتشافات العلمية التي تحتم بمقتضاها أن يتحول الناس عن عقائدهم الأولى التي توارثوها في أجيال ماضية .

لغة عالمية

ضرورة لاتحاد الامم

أشرنا في العدد الماضي من المقتطف الى لغة عالميـة كوسيلة من وسائل اتحاد الأمم في أمة واحدة تحت سيطرة حكومة واحدة . فيحسن بنا أن نذكر شيئاً من فضائل اللغة العالمية

ان اللغة العالمية صارت ضرورة حتمية لجميع الأمم ، لأن سطح الأرض كله أصبح بلداً واحداً ، بل أضيق جدًّا من بلد واحد ، إذ صار يمكن الطرف الواحد من هـذا البلد العالمي يعرف حوادث الطرف الآخر في بعض الساعة ، بل صار يمكنـه أن يتصل بالطرف الآخر في نفس اللحظة . أصبح طرفا الكرة الأرضية أقرب أحدهما الى الآخر من مصر وأوربا . إذاً كيف يتسنى لأهلهما أن يتفاهموا اذا كانت لغة الشمال غريبة جدًّا عن لغة الجنوب ، ولغة الغرب أغرب جدًّا عن لغة الشرق؟ بل كيف يمكنهم أن يتفاهموا اذا كانت لغاتهم تعد أكثر من ألفي لغة ؟ هل كان بُناة برج بابل حين بلبل الله ألسنتهم أسوأ تفاهماً من سكان الشمال والجنوب ؟

ان انسان هذا العصر اذا لم يحسن الكلام والكتابة ببضع لغات رئيسية يبقى كأنه في بابل ، لا يستطيع أن يبعد عن بلده أكثر من مسير قافلة لئلا يصطدم بقوم لا يفهمهم . ولكي يستطيع أن يحسن الكلام بلغة أو لغتين أو ثلاث غير لغته يجب أن يضيع نصف العمر فضلاً عن المجهود العقلي من حياته عبثاً . لا حاجة به للغة أجنبيـة لولا أنه مضطرّ للتغرب أو للتعامل مع أمم غريبـة ، وأما الآن وهو في بيته يرى نفسه كأنه متغرّب إذ يسمع الراديو بلغات مختلفة ، ويرى مطبوعات بلغات مختلفة قد لا يفهمها .

ان تحصيل لغة أو لغتين أو ثلاثاً يستنفد من أدمغة فتياننا في معاهد العلم نصف قواهم العقلية ، وهو ما يحتاجون اليه في تحصيل العلوم والفنون العملية والنظرية اللازمة للمعايش ، وهي كثيرة في هـذا الوقت جدًّا ، وستكون في المستقبل القريب أكثر وأكثر . فلماذا يضاع نصف مجهود الفتى والفتاة العقلي فيما لا لزوم له لو كان للعالم لغة واحدة عالمية ؟ ان دارس الطب عندنا يجب أن يعرف الانكليزية والافرنسية على الأقل (وربما الألمانية أيضاً) ما عدا لغة أمه . أليس هذا ضياعاً للزمن والمجهود جزافاً ؟ أليس حراماً ؟

لو كان للعالم لغة واحدة عملية سهلة لاستغنى بها عن هـذا الاعنات العقلي في تحصيل اللغات الأجنبية إذ يمكنه ان يستغني بها وحدها ، حتى عن لغته . واذا تمت أمنيـة العالم

بلغة عالمية واحدة فقد تتلاشى اللغات القومية رويداً من تلقاء نفسها كما تلاشت اللاتينية والآرامية وغيرهما من اللغات القديمة ، إذ يستغني الناس عنها بالتخاطب فيما بينهم بلغة العالم العامة، لأنها تكون أسهل مراساً وأقرب الى القلب والنفس واللسان والأذن كما نتصوَّرها بالغة حدَّ الكمال . ولا بأس أن تصبح بعض اللغات القومية أو معظمها في متحف اللغة مقصورة على حفظ العقائد الدينية والأسفار المقدسة ، وتبقى تحفاً في الفنون الأدبية الممتازة من شعر ونثر ونحوهما .

وليس مانعاً أن تترجم هذه الى اللغة العالمية . ولا يظنُّ ظانٌّ أن اللغة العالمية المفترضة لا تصلح للشعر . هذا ظنٌّ خاطىء . بل تكون أصلح من اللغات القومية التي تتطوَّر حيناً بعد حين حتى يبعد فرعها عن أصلها وجديدها عن قديمها . وثمَّ لا يصعب عليك أن تفهم شعرها المترجم عن القديم حتى نثرها بل رنَّتها الموسيقية على تمادي الزمن . أما لغة العالم فلا ينقصها شيء من تأدية الروح الشعرية إلاَّ بعض البديع الصناعي كالتورية والجناس ونحوهما مما لا حاجة كثيرة له لتحلية الشعر والموسيقى . زد على ذلك إنها تكون خالدة وقليلة التطوُّر وعديمة التفرُّع كما كانت اللغات القديمة. ماذا يمنعك ان تنظم بلغة الاسبرنتو أو الفولابك مثلاً هذا الشعر .

تعجبين من سقمي صحتي هي العجبُ

لأن هذا المعنى خلوٌ من التلاعب اللفظي — التلاعب كقولك :

فقل لقتيل الحب وفيت حقه وللمدعي هيهات ماالكَحَلُ الكُحْلُ

وماذا يمنعك أن تنظم هذا البيت بالاسبرنتو : —

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

وهو لا يحتاج إلاَّ الألفاظ المؤدية هذه المعاني ، إذ لا صناعة لفظية فيه. قد لا تتعذر إلاَّ ترجمة الاستعارة والتشبيه كقول ابن مكتوق :

سفرت فبرقعها حجاب جمال وصحت فرنَّحها سلاف دلال

ومع ذلك اعتقد أنه لا تتعذر صياغة هذا المعنى بلغة العالم إذا حاوله أهل الأدب .

فاستنباط لغة علمية وشعرية طبق حاجة العالم اليها بقواعد على قدر ما يستلزمه حسن التعبير من غير التباس أو تعقيد، يجد في جمهور الأمم ترحيباً عظيماً تدق له طبول الفرح والبشائر ، ولا سيما إذا كانت الاقوام حرة في الحرص على لغاتها القومية التي تتعصب لها .

بقي أمر انتقاء اللغة العالمية من اللغات العائشة الآن والمنتشرة ، فهو من الصعوبة بمكان كبير لسببين : الأول أنه يثير الحسد بين الأقوام ، لأن كل قوم متعصب للغته ،

فيصعب عليه أن تحل لغة قوم آخرين محل لغته . ولـكن إذا بقيت لـكل قوم لغته الى جنب اللغة الاضافية انتفى المحظور .

الثاني ما من لغة مهما كانت منتشرة الآ نجدها يعوزها التنقيح الـكثير لتسهيلها ، مثال ذلك : اللغة الانكليزية الواسعة الانتشار ، لا بد من مسخها كلية لتبسيطها وجعلها أقرب منالاً حتى ولو بعدت عن أصلها بعداً كليّاً . فاذا كان الأمر كذلك فالالتجاء الى لغةمصطنعة كالاسبيرنتو أسهل منالاً لأنها تقضي لبانة العالم بأسهل طريق . وهي قد وُضعت لغرض تسهيل التعبير فيها . فألفاظها منتقاة من أوسع لغات أوربا انتشاراً . وقد وضعت لنحوها قواعد بسيطة خالية من الشواذ والتعقيد بتاتا ، بحيث يمكنك أن تحفظها في بضعة أيام وأنت آمن الالتباس فيها .

لقد اختبرنا جيداً ألفاظ اللغات التي تعلمناها وتكلمناها وفهمنا عيوبها الـكثيرة فيمكننا اجتنابها في اصطناع اللغة العالمية :

أولاً : يجب أن تكون الألفاظ العالمية خلواً من كل سبب للالتباس والابهام بحيث يفهم كل من يعرفها كل ما يقال فيها مهما بعدت لغته القومية عنها .

ثانياً : أن تكون سهلة النطق ولا يتغير فيها شيء في حالة التصريف مع الزمان والمكان والضمائر الخ .

ثالثاً : يجب أن يكون لـكل لفظة معنى واحد ، ولـكل معنى لفظ واحد خاص به ، ولا يكون فيها ترادف على الاطلاق فيؤمن الالتباس والغموض . وإذا كان هناك معنيان متقاربان فلا ضرورة لوضع كلمة لـكل معنى ، كما أن في لغتنا الـكأس إذا كانت ملآنة والقدح إذا كان فارغاً . فلـكي لا نفعم معجمنا بألوف الـكلمات نجعل لـكل معنى من هذين كلمة مزدوجة فنقول كأس ملأى ، وكأس فارغة ، فنطرح من ذاكرتنا لفظة قدح ونلغيها من القاموس . قد تقول : ان البلاغة تستلزم الاقتصاد اللفظي أي أن نعبر عن المعنى الواحد بأقل لفظ ممكن . وأنا أقول ان الفصاحة تستلزم الاقتصاد في المجهود العقلي بحيث لا نحمل الذاكرة ألفاظاً يستغنى عنها بالـكرم اللفظي . الايضاح العملي يضحي بالاقتصاد في الـكلم لأجل تخفيف العناء عن الذاكرة . ألأجل خاطر البلاغة اللفظية تضطرني أن أحفظ في ذهني كلمتي كأس وقدح ، وعندي كلمتا مملوء وفارغ استعملهما مع عشرات الـكلمات للتفصيل بين معنى ومعنى بلفظ واحد لـكل منهما كالـكأس والقدح .

وبدل أن أقول شنقـهُ أو خنقه أو ذبحه أو صرعه أو نحو ذلك، أقول أماته بالحبل ، أو بالـكين ، أو بالمسدس، أو باللطم، فاطرح من القاموس أفعال شنق وخنق وذبح وصرع

وقتل، أيضاً . لأن كلمات الحبل والسكين والمسدس ونحوها نستعملها مع كلمات أخرى .

وإذا كان لكل كلمة معنى واحد فلا أقول تارةً بان إذا ظهر وأخرى بان إذا غاب. أقول ظهر فقط وغاب فقط فلا يلتبس عليَّ المعنى . ولماذا أقول سأل إذا كنت لا تعلم ماذا أعني ألاستفهم أم أستعطي ؟ ولماذا أقول حكى إذا كنت لا نعلم هل أعني تكلم أو شابه . فاذا اختصَّ كل لفظ بمعنى واحد، وكل معنى بلفظ واحد ، زالت الالتباسات على الاطلاق .

يمكن اختصار الالفاظ أيضاً بالاشتقاق كما هو الحال بلغتنا العربية . فان الاشتقاق فيها فضيلة لا تحرزها لغة أخرى الاَّ قليلاً . فعندنا مثلاً كتب وكاتب وتكاتبا واستكتب وانكتب ، خمسة معان مختلفة من مادة واحدة ، تحولت من معنى الى معنى بهذا الاشتقاق الذي يمكن أن يستعمل قياسيًّا لكل فعل أو لأكثر الأفعال حسب المقتضى فيوفر كثيراً من عناء حفظ الأفعال . يكفي أن تعرف فعل كتب فتعرف بقية الأفعال من تلقاء نفسك قياساً على هذه الاشتقاقات .

نأتي الى مسألة النطق فهذه ليست بالعقدة الصعبة إذا كان يعطى لكل مقطع صوت النطق الخاص به ، والحرف الدال عليه . وأظن أن العربية تمتاز على كثير من اللغات بهذا الأمر . ولكن في أكثر اللغات الأخرى ولا سيما الانكليزية لا تعرف أن تنطق بكلمة إلاَّ إذا سمعت نطقها من أستاذك، أو من والديك، أو من مواطنيك ، لأن معظم كلماتها تكتب خلاف ما تنطق ولهذا تجد في معجماتها كل كلمة متبوعة بتهجئة نطقها . وهذا من الغرابة بمكان . أما كفاك عناء أنك لا تحفظ في ذهنك معناها فقط ، بل يجب أن تحفظ أيضاً كيفية نطقها وكيفية تهجئتها ، أي كتابتها ، فكأنك تدرس هذه اللغة ثلاث دراسات.

يحسن أيضاً اهمال الحروف الصعبة اللفظ عند كثير من الأقوام كالعين والغين والحاء والخاء . ولعلَّ في لغات أخرى أيضاً ألفاظاً يتعذر النطق بها . يجب أن تحوي اللغة الأصوات الشائعة والسهلة على اللسان . وهذا الأمر يقتضي دراسة واسعة شاملة .

نأتي لصرف اللغة ، فهذه عقدة إذا كانت ببعض الألفاظ تحتوي على أحرف علة كالواو والياء والألف وعلى الإمالة منها أيضاً. ولا أدري اذا كانت يستغنى عنها . وهي التي تجعل التصريف صعباً . يجب التذكير والتأنيث للعاقلين وغيرهم

المفرد والجمع فقط ولا تثنية . ويجب أن يكون للجمع علامة ملحقة بالمفرد،ولا يكون بتكسير الكلمة كعقد وعقود وحفيد وحَفَدة . يجب أن يصطلح على وضع النعت وضعاً وحداً . أما قبل المنعوت أو بعده . والأصح منطقيًّا أن يوضع بعده كما في لغتنا

لا يكفي ترتيب الكلمات لمعرفة الفاعل والمفعول والمبتدا والخبر . بل لا بدَّ من علامة

لكل منها دفعاً للالتباس . فهو معلوم أن قولك ضرب زيد عمرو لا تفيد من هو الضارب أو المضروب . ولكن إذا فتحت المضروب وضممت الضارب فلا يعود يهم إن كان هذا سابقاً ذاك أو لاحقه .

ولا أتمادى في هذا البحث لأني لست لغوياً وإنما اللغات التي اصطُنِعت اصطناعاً (ويقال إنها بلغت ٣٠٠ لغة) للغرض الذي نحن فيه قد اجتنبت فيها جميع المشكلات الصرفية والنحوية ووضعت على قواعد بسيطة لا شذوذ فيها . وروعي فيها كل ما يستلزمه نقاء التعبير وفصاحته وسلامته من الالتباس والابهام . ويقال إن لغة الاسبيرنتو هي أفضل ما وضع للتخاطب . ومع ذلك لا بأس من عقد مؤتمر لإعادة النظر فيها وتنقيحها .

والذي أراه أن اللغة العالمية التي يُتَّفق عليها تكون خالدة أو على الأقل لا يطرأ عليها تطوُّر كبير اللهمَّ إلاّ إضافة كلمات تستجد بمقتضى تطوُّر العمران للتعبير عما طرأ من المعاني على الانسانية .

أما معجم هذه اللغة فيجب أن يقسم الى أقسام : الأول منها لا يحتوي أكثر من ألفي كلمة للتعبير عن كل لوازم الحياة العمومية ، مما يكفي للتخاطب والكتابة في الجرائد والكتب العمومية والتاريخية والقصص الخ . وقاموس آخر يحتوي الكلمات العلمية والفنية في الكيمياء والتشريح وسائر فروع الطب ، وقاموس يحتوي أسماء النباتات والحيوانات ، وآخر يحتوي أسماء الأدوات الميكانيكية واصطلاحات هذا الفن . الى غير ذلك من القواميس الاختصاصية .

وهذه القواميس لا يلجأ إليها إلاّ ذوو الفنون . وقلما تلزم للجميع من خاصة وعامة بقي أمر آخر وهو الأهم وأعني اتخاذ الوسائل الفعالة لنشر اللغة العالمية . ثم اقناع هيئة الأمم بفرضها على جميع الجامعات والكليات والمدارس لتعليمها . ثم وضع قانون لاستعمالها . وعند ذلك تنتشر بسهولة كلية ولا تمضي بضع سنين حتى تصير لغة العالم ، وتمت تشعر الأمم أنها سهلت المعاملات بينها .

عند ذلك تشعر الأمم أن اتحادها في أمة واحدة تحت سلطة حكومة واحدة عليا قد جاء وقتُه ، وتتنفس الشعوب من تحت كابوس الحرب . عند ذلك تشعر الأمم أيضاً بابتداء عصر السعادة والهناءة — حبذا ذلك العصر

هذا المشروع يقتضي دعاية قوية من كل ناحية . ومن يقوم بهذه الدعاية غير الأمم أنفسها في المجتمعات والأندية والجمعيات والنقابات والمدارس والكليات حتى في المعابد والأندية السياسية . فهلمَّ يا ناس الى العمل لهذا المشروع الجليل .

الكيمياء الصناعية وتاريخها

بدأت طريقة التركيب الكيماوي لشتى المواد ، أي تركيب مركب طبيعي في معمل كيماوي ، وذلك عند ما صنع فيلر[1] Wohler مادة اليوريا[2] فقضى على الوثن الصناعي الشاسع الذى كان يفصل بين الأشياء المضوية وغير العضوية ، أى بين المواد الكيماوية التي يتاح للناس صنعها ، وبين الأشياء التي لا يستطيع صنعها الا الطبيعة. فتيسر بعدئذ لعلم الكيمياء أن يقطع شوطاً كبيراً . إذ أصبح في مقدوره ، تركيب مادة ، فأخرى من مختلف المواد الصنعية . ولقد أحدثت هذه المواد الكيميائية المتيدة انقلاباً ملحوظاً في معيشتنا وعاداتنا . وأصبحت أساساً لصناعات كاملة من صناعاتنا العصرية بل قضت على غيرها من الصناعات،وزودتنا بسلسلة جديدة من مواد حديثة ، لا وجود لها على الاطلاق في منتجات الطبيعة .

ونشأت طريقة تركيب هذه الأشياء ، تركيباً كيميائيّـا في نصف القرن الماضي . وكان ذلك في نطاق واسع. ومازال حثيث الاتساع على الدوام . وهذا مما جعلنا نتوقع أن هاتيك المنتجات الكيميائية الجزيلة ، سوف تصير ذات يوم من ضروريات معيشتنا . وكان القصد الاول من هذه المصنوعات الكيميائية ، الحصول في أغلب الأحيان ، على مواد ضرورية ، أرخص من أخواتها التي تنتجها الطبيعة انتاجاً محدود المقادير .ثم تحويل الأشياء الطبيعية

---

(١) هو فريدريك فيلر ، عالم ألماني كيمياني ولد سنة ١٨٠٠ وتوفي سنة ١٨٨٢

(٢) اليوريا — مادة مركبة شفافة ، لا لون لها ، سهلة الذوبان جداً . توجد غزيرة في بول الحيوانات الثديية ، وضئيلة في المرارة والكبد والعضلات والدم والسوائل الأخرى . وتتكون اليوريا من تأكسد المركبات الازوتية في الجسم ، كما تركب صنعياً أيضاً ويطلق عليها اسم كارباميد Carbamide أي ، اليوريا وهي مذيبة للحامض البوليك مدرة للبول

المتوافرة الموارد الى مواد أصلح منها ، مما يندر وجودها .

﴿ السماد الصناعي ﴾ — ومثال ذلك السماد اللازم لتسميد الأراضي الزراعية . لأن التربة الصالحة للاستغلال ، لا بدَّ لها من الحصول على عنصر الأزوت « النيتروجين » اللازم لتقويتها حتى تستطيع انتاج محصول عقب آخر ، وإلاّ كان مصيرها البوار . وكان أعظم مصدر طبيعي للسماد الأزوتي ، مناجم بلاد تشيلي وحدها ، حيث يستخرج منها السماد عينه على شكل نيترات الصودا .

فحدث قبيل الحرب العالمية الأولى ، أن عالماً من علماء المانيا تسنّى له اختراع وسائل « تثبيت » الأزوت ، الذي توجد منه في الهواء ، مقادير غير محدودة . ثم تحسنت هذه الوسائل على مرّ الزمن .

وكان الباعث على بلوغها درجة قصوى من التحسين ، هو الحصار الذي ضرب وقتئذٍ على بلاد المانيا ، أو المصاعب التي قامت في سبيل النقل البحري في خلال تلك الحرب الضروس . فاستطاعت المصانع الألمانية قبل حلول سنة ١٩٣٩ اتمام صنع خمسة ملايين طن من السماد الأزوتي ، وذلك عن طريق التركيب الكيميائي . ومن ثمة أضحت هذه الكمية أنفع بكثير من السماد الطبيعي ، لتلك البلاد المحصورة . وصار الأزوت الذي يلتقط من الهواء ثم يعالج بالطريقة الكيميائية ، مصدراً لتسميد المزروعات اللازمة لغذاء ملايين من سكان المعمورة .

﴿ الكيمياء الصناعية نوعان ﴾ — والمنتجات الصناعية التي تؤلف بالتركيب الكيماوي نوعان . أولها الصنف ذو المزايا الكيماوية والطبيعية التي تشبهها في المنتجات الطبيعية ، ومثالها السكر الصناعي الذي ينتج من لباب الخشب . وهذا عند ما تم تنقيته يتعذر على المرء تمييزه من السكر الطبيعي ، وذلك من الوجهة الكيماوية . وثانيهما منتجات الكيمياء الصناعية التي تعدُّ حقيقة « أعواضاً » للمنتجات الطبيعية . وهذه تتميز بخلوها من التشابه الكيماوي خلوّاً كليّاً أو جزئيّاً ، ثم باحتوائها على خواص طبيعية مشابهة أو باحداثها النتائج المنشودة من المواد الطبيعية . فالصبغات الصناعية مثلاً تغاير الطبيعية كيماويّاً ، وإن كانت تولد ألوانها عينها . والمطاط الصناعي لا يمتُّ بصلة كيماوية الى عناصر

تركيب المطاط الطبيعي ، بيد أنه يحوي المزايا الطبيعية نفسها .

وقد وُصمت المصنوعات التي قوامها التأليف الكيماوي ، بوصمة التحقير ، ظناً من الناس أنها أحطّ من زميلاتها الطبيعية . غير أن هذا الرأي في سبيل الزوال العاجل . والمستقبل كفيل بنقضه .

وكثيراً ما يقال لمستعمل المادة المصنوعة بالتركيب الكيماوي ، قولاً قد يكون صحيحاً الى حدٍّ ما . وفحواه إن هذه المادة التي يمكن التحكم فيها تحكماً تامّاً ، قد تكون أصلح من زميلتها التي تؤخذ على علاتها من الطبيعة . وكثيراً ما يصدق هذا القول . ولا سيما فيما يتعلق بالعقاقير الطبية . فقد يكون تقدير الجرعة العلاجية التي مصدرها الاعشاب الطبية تقديراً صحيحاً ،أصعب كثيراً من تحديد مثيلاتها المركبة كيماويّاً والحاوية خواصها النافعة نفسها ، وذلك لاختلاف أنواع الأعشاب الطبية ، بعضها عن بعض ، اختلافاً لا حصر له .

وستصبح أنفع طائفة من هذه المنتجات المصنوعة بالتركيب الكيماوي ، هي التي لم تشتهر بكونها تصنع بطريقة أخرى . بل التي تكون جديدة من كل الوجوه ، ذات خصائص ذاتية . إذ هي ستكون متقنة الصنع حقيقة . ويخترعها العالم الكيماوي طبقاً لحاجة طالبها.

﴿ العجائن الكيماوية ﴾ — ونجم عن اختراع العجائن الكيماوية ، نتيجة للبحث عن مادة صناعية تقوم مقام المواد الراتينجية الطبيعية (القلفونية أو صموغ الصنوبر) جعل المصانع العصرية تكاد تحل محل الطبيعة لإنتاج كل ما تحتاج إليه الشعوب . ولا تحسبنا مبالغين في القول إذا ما اعتقدنا أنها أحدثت تحسيناً أسمى مما كنا نتصوَّر . إذ أنتجت لنا مئات من المواد ، ذات خصائص لا يتسنّى وجودها في أية مادة طبيعية .

ولا غرو فالمطاط الصناعي مثلاً قد أدرك الهدف الاساسي لاختراعه ، أي جعله عوضاً للمطاط الطبيعي . حينما كان هذا الأخير عسير المنال أو مستحيله . فغدت مركباته « الجديدة » ذات منافع ممتازة ، وأقل عيوباً من نتاج الطبيعة .

وكلما ظهر في السوق أي عوض جديد من الأعواض التي تحل محل المادة الطبيعية،صار باعثاً على تأييد المذهب القائل بتوقع زوال النتاج الطبيعي يوماً ما . وقد تمّ تحقيق هذه النبوءة في بضع حوادث .

﴿الصبغات الصناعية﴾ — ومثال ذلك إن صناعات الصبغات الطبيعية ، قد قضى عليها، مذ انتشرت صبغات قطران الفحم الحجري . لأن هذه أرخص من تلك كثيراً ، وأشد منها تأثيراً . ونعني بها الصبغات التي تستخرج من قطران الفحم الحجري . والمعتاد في مثل هذه الحالة ، أن ذينك الصنفين يظلان قائمين ، ولكل منهما منافعه الخاصة .

﴿السليولوز﴾ — والسليولوز مثلاً مع كونه غير قابل للكسر ، لم يستطع اكتساح الزجاج . وكذلك سائر العجائن الكيماوية لم تقض على الخشب والمعادن . بل غدت تسد كثيراً من المطالب الجديدة . وكانت اللفائف الشفافة الصحيَّة التي أصبحت تُلف بها المواد الغذائية ، تعدُّ من الأشياء التي لم يحلم بها أهل القرن التاسع عشر . ذلك لأنهم كانوا في زمانهم لا يعرفون مادة طبيعية يستعملونها لهذا الغرض ، غير أمعاء الحيوانات التي كانت تستعمل أوتاراً للكمنجات وخيوطاً لصيد السمك أو أوعية لحشو الدجق . وبما أن هذه المادة لا تصلح غطاءً لكل شيء ، لذلك اخترعت اللفائف العصرية من العجائن الكيماوية . تسدُّ المطالب الحديثة التي تمس اليها حاجات الناس . فقاعدة التركيب الكيماوية إذن هي (عند ما نريد التوسع في الشرح) انتاج أية مادة كانت نادرة الوجود ، انتاجاً يجعلها موفورة لدينا لتكفل استيفاءَ احتياجات طلابها المحتاجين اليها . ونعني بذلك المواد ، التي لا يتاح إحرازها بأسعار زهيدة من مصادرها الطبيعية .

﴿الفحم الحجري الصناعي﴾ — فأمكن العلماء تركيب فحم حجري بالتأليف الكيماوي . إذ نبغ برجيوس[1] العالم الألماني الكيماوي المشهور (تغمده الله تعالى برحمته) فاستطاع قبل الحرب العالميــة الأولى ، تركيب بضعة أرطال من الفحم الحجري الصنــاعي ، وذلك من الكربون والهواء والمـاء . أما الآن فلسنا نرى نفعاً عمليّاً من ذلك الاختراع . لأن في وسعنا استنباط الفحم الحجري الطبيعي من مناجمه في جوف الأرض ، بسهولة أكثر ونفقات أقل مما يقتضيهما صنعه على ذلك النمط .

(١) الكاتب — شرحت هذا الاختراع في حينه شرحاً وافياً وذلك في مقال مسهب نشر (بلا توقيع) في مقتطف مارس سنة ١٩٢٩ بعنوان — فحم حجري من الكربون (المألوف) من عجائب الكيمياء الصناعية .

وصُنع الفحم الحجري ، حتى في البلاد الخالية من مناجمه ، لا يجدي نفعاً . لأن القوة المائية أو أية طاقة أخرى، يتطلبها هذا التركيب الكيماوي، يتسنى الانتفاع بها أكثر، إذا استعملت لانتاج وقود أصلح اقتصاديًّا من هذا الوقود المصنوع .

وفي الأعوام الحديثة أصبح مذهب اكتفاء كل دولة بمواردها الخاصّة ، يحدو كل أمة على انتاج منتجات رائعة تعوّضها مما عند غيرها من الشعوب المجاورة لها .

ومامن شك أن معظم هذا المذهب كان وما زال ، باعثاً على مجاوزة القواعد الاقتصادية. ولكن مما ينبغي التسليم به ، أن المال الذي أُنفق بسخاء في ذلك السبيل ، قد أفضى الى مكتشفات أخرى نافعة . ومثال ذلك : إن طموح المانيا الى الاستغناء عن استيراد حاجاتها من البلاد الأجنبية ولاسيما البنزين والمطاط ، قد كان سبباً لانشاء صناعات جديدة. ولا جدال في كون العالم قد انتفعوا انتفاعاً عظيماً بهاتيك المنتجات الجديدة .

ومن جهة أخرى نرى قصب السكر الذي يزرع في المسكونة يفوق حاجات سكانها. فلو أنشأنا مصانع ضخمة لاستخراج السكر من لباب الخشب بأصلح الطرق الفنية، لكلفنا هذا العمل أموالاً جزيلة لسنا في غنى عنها .

﴿ منسوجات الخيوط الصناعية ﴾ ومن التهم التي توجه الى النظام الاقتصادي عند البريطانيين ، كونه لا يسمح باطلاق حرية تبادل السلع التي يتوافر انتاجها بمعاونة الوسائل العلمية . على حين نشاهد المنسوجات التي تصنع بالتركيب الكيماوي قد غيّرت العادات الاجتماعية إذ يسرت للعامة ارتداء ملابس من صنف كان يستحيل عليهم الظفر به من الخيوط الطبيعية فحسب .

نعم إن الحرير المصنوع كيماويًّا لا يحتوي على صفات الحرير الطبيعي جميعها . ولكنه يشبهه شبهاً تامًّا يجعله يروق ملايين من الناس الذين لم يستطيعوا لبس الحرير الطبيعي لفداحة أسعاره. ولا جرم أنه سيظهر في السوق عما قريب ، منسوجات صناعية جديدة ، مشتقة من الفحم الحجري أو الزيت المعدني ، وربما من الكربيد[1] أيضاً . ونعني بها، المادة الكيماوية النافعة جدًّا التي تؤلف من فحم الكوك وحجر الجير ، بمساعدة طاقة عظيمة .

(١) الكربيد — مركب من الكربون وعنصر آخر .

وقوام التأليف الكيماوي الواسع النطاق ، هو زهادة أسعار المواد الكيماوية الأصلية التي تدخل فيه ، فضلاً عن توافرها . ولا غرو فان أكثر من ٩٩٪ من المواد العالمية ، تؤلف من الكربون والنيتروجين والهيدروجين والاوكسيجين . وهذه العناصر الأربعة يمكننا الحصول على مقادير منها غير محدودة ، وذلك من الفحم الحجري والهواء والماء . ومن ثمة أصبح التأليف الكيماوي الذي يؤلف من هاتيك العناصر ، لا نهاية له يقف عندها .

ولا مراء في كون العالم الذي يباشر هذا التأليف الكيماوي يشبه ، طفلاً لديه صندوق مملوء بالطوب ، فيبني به مباني لا حدّ لها ، مختلفة النماذج . والطوب هو الذرات . غير أنه عند ما يبني ، لا يخبط خبط عشواء . بل يجب عليه أن يدرك أن الذرات التي يضم بعضها الى بعض في حلقة واحدة بأية وسيلة كانت تروقه ، لا بدّ أن تنتج نوعاً خاصاً من المادة . فيواصل عمله هذا واثقاً كل الوثوق مما يقوم به ، حتى يؤلف نسيجاً من الجزيئات التي ركبها من تلك الذرات .

﴿ الوسطاء الكيماوية ﴾ — ولاختراع معظم الحلقات المشار اليها ، لا بد للعالم الكيماوي حينئذٍ من استخدام الوسطاء الكيماوية أي المواد التي تظل « غير متغيرة ظاهريًّا » في نهاية التفاعل الكيماوي . بل هيَ المواد الضرورية التي تحدثه أو التي تعجل نتيجته المنشودة تعجيلاً عظيماً .

وقد عرف العلماء في الأعوام الحديثة كثيراً من هاتيك الوسطاء . وهذا مما يجعل التأليف الكيماوي يستفيد من الحلقات الميسور عملها بهذه الطريقة . وهي التي كانت مستحيلة في الأزمان السالفة ، فضلاً عن انتفاعه بالطرق المختصرة التي تهون شتى الصناعات . ولا يبعد أن تظهر وسطاء كيماوية جديدة تساعد على الصوغ الأصلي للبنات الكربون والنتروجين والهيدروجين والاكسيجين صياغة تمكن العلماء من الوصول الى جزيئات أكثر تعقيداً . إذ الموقف الحالي إنما يتيح للعالم الكيماوي غالباً تركيب أية مادة يحتاج اليها ، تركيباً كيماويًّا . وكثيراً ما يطلب اليه صوغ مادة وهمية ، ذات مزايا طبيعية أو كيماوية معينة . فلا يلبث أن يقصد الى معمله الكيماوي حيث يصوغ تلك المادة المطلوبة التي تسد الحاجة . وسواء استطاع صوغها بنفقات تبرر الانتفاع بها أو تحظره ، فهذا موضوع آخر

بلا ريب . بيد أنه يحدث في أغلب الأحوال أن تكون المادة الأولى التي تصاغ كيماويًا غير مستوفاة الشروط اللازمة . فهذه يتم تحسينها على مرّ الزمن ، حتى تصير ملاءمة للمستوى التجاري .

لذلك يرى العلماء أن واجبهم في هذا العصر العلمي الذهبي ، يقضي عليهم من حين الى آخر ، بتناول المواد المخزونة ، من مصادرها الأصلية الطبيعية . ثم تحديد وسيلة الانتفاع بها . فينبغي لهم مثلاً تقدير ما يحتاج اليه السكان ، سنويًا من ملايين الياردات من المنسوجات. ثم تحديد ما يتسنى صنعه من ذلك القدر ، من القطن والصوف والكتان. وعليهم حينئذٍ انتاج باقي (المقطوعية) من لباب الخشب والفحم الحجري أو من أية مادة كانت متوافرة لديهم ، صالحة للعمل ، ملاءمة للزمن . ومن واجباتهم أيضاً تقدير كميات الزيوت المعدنية التي يستهلكها العالم سنويًا . وكذا تحديد المنتجات التي تستخرج منها لسدّ احتياجاتهم . ووقتئذٍ يتيسر لهم استخراج بعض ذلك الزيت المعدني من جوف الارض . أما سائره فلا بأس بصنعه بالتأليف الكيماوي . وهذا المذهب الخاص بالتموين ، لا يعدّ خياليًا ، بل هو الواجب الذي لا بدّ من اتباعه في المستقبل البعيد .

﴿ الكيمياء الصناعية في المانيا ﴾ — وتحسب المانيا في هذا الموضوع ، ذات حالة خاصة . ذلك لأن إحدى الوسائل التي اقترحت ضدها، لمنعها من شن الحرب على جاراتها ، مدى أعوام كثيرة في مستقبل الزمن ، كانت السيطرة على المواد التي تستوردها بغية الاستعداد الحربي أو بالأحرى منع استيرادها هاتيك المواد على الاطلاق .

ويرى العالم الانكليزي الذي نقلنا عنه هذا البحث ، « إن الضرر المحتمل حدوثه ، من هذه المقترحات (التي قدمها لفيف من قومه من ذوي المصالح بغير تفكير) ومن دون إدراك مخترعات العلم الحديث في المستقبل ، حق الادراك قد يكون شعور البريطانيين شعوراً مزيفاً بالطمأنينة » .

﴿ البنزين والمطاط الصناعيان ﴾ — وحسبنا دليلاً ، عدم اكتراث البريطانيين وغيرهم من الدول عندما اخترع الألمان ، البنزين والمطاط الصناعيين ، وذلك في سنتي ١٩٣٦ و ١٩٣٧.

وبناءً على ما تقدم ستكون نتيجة هذه السياسة الخرقاء تشجيع علماء المانيا على مباشرة

مباحث جديدة . ومن المحقق عند العلماء أنه لا توجد أية مادة طبيعية واحدة يستحيل اختراع مادة صناعية لتحل محلها عند ما تمس الحاجة أو تدعو القوة القاهرة الى ذلك . إلاّ اذا استطعنا أن ننكر أن الفحم الحجري والحديد وغيرهما ليست من المواد الضرورية لأية دولة من الدول ، غير الزراعية المحضة . وليس في وسعنا الوثوق بأن علماء الكيمياء سيحجمون عن اختراع وسائل أصلح من المعروفة وأنفع اقتصاديًّا مما سنحظرها على الالمان.

والذي نعرفه أن علماء الكيمياء في المانيا قد أثبتوا نجاحهم نجاحاً رائعاً في انتاج النيتروجين والمنسوجات الصناعة في ابان الحرب العالمية الاولى من سنة ١٩١٤ الى ١٩١٨. ثم اخترعوا المطاط والبنزين الصناعيين وغيرهما من المواد المصوغة كيماويًّا وهي التي استعملت في الحرب العالمية الثانية . وغني عن البيان أن هذا عمل صالح قد يستفيد منه العالم أجمع .

وسوف يرى الخلق في مستقبل الأيام ، صبغات جديدة تخترع ، ويلبسون فانيلات تصنع من النباتات المتحجرة المستعملة وقوداً . ويتخذون من بزور عبّاد الشمس فليناً ، ويشربون جعة ـ بيرة ـ معبأة في أقراص دوائية . كما يستعملون جلداً شفافاً ، ويستخرجون من جوز البلوط كحولاً لتسيير السيارات ، ومن النباتات ، حساء ، ومن الفحم الحجري لحماً وشكولاطة ، ومن الفول ، بوية . وسيجيء يوم تستعمل فيه المواد المصنوعة بالتأليف الكيماوي ، كغيرها من مصنوعات الناس . وحينئذٍ يستغنون عن الغابات الطبيعية والمعادن البسيطة ، ليتخذ منها سكان جزائر بحر الصين الجنوبي أقراطاً وغيرها من أنواع الزينة والتحف » .

ملاحظة : وفي الختام يجدر بي لفت أنظار حضرات القراء الى شتّى المباحث التي كتبتها ونشرتها في أجزاء المقتطف السابقة في موضوع الكيمياء الصناعية . وأخصها الأجزاء الآتي بيانها : مقتطف مايو سنة ١٩٣٠ (مقال بلا توقيع) ومايو سنة ١٩٤٠ ومقتطف يونيه سنة ١٩٣٧ ويوليو سنة ١٩٤٠ ومارس سنة ١٩٤١ ومارس سنة ١٩٤٢ ويوليو سنة ١٩٤٢ وأغسطس سنة ١٩٤٢ ويناير سنة ١٩٤٣ ومايو سنة ١٩٤٣ ويوليو سنة ١٩٤٣ وأغسطس ١٩٤٤ وديسمبر سنة ١٩٤٤ ويوليو سنة ١٩٤٥ وفبراير سنة ١٩٤٨.

عوض جندي

فهرس الجزء الرابع

من المجلد السادس عشر بعد المئة



أسرة المقتطف ترفع الى عرش

جلالة الملك فاروق المفدى

التهنئة الخالصة بعيد جلوس جلالته السعيد . عاش الملك

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد السادس عشر بعد المئة

١ مايو سنة ١٩٥٠ — ١٤ رجب سنة ١٣٦٩

بريد العقل العصبي

كيف تدخل المدركات المحسوسة الى دماغنا — كأننا نسأل كيف تكون علاقة الجسد بالعقل . هذه المسألة تخطر لبال كل مفكر في الأمور العقلية ، وهو يرى أن العقل والجسد متفاعلان . إذا سكرت أرى الشبح شبحين ، أو إذا دخنت الحشيش صرت أرى الأشياء مختلطة ، وإذا أكلت الصنتونين (دواء ضد الدود) أرى الأشياء ملونة. هذا هو تأثير الجسم على العقل : وأما تأثير العقل على الجسد ، فاذا رأيت شبح طيف ازبارّ شعر رأسي ، واذا ذعرت بأمر ما اكفهرّ وجهي ، فكيف تصل المدركات الى العقل : وكيف يتصرّف بها العقل ويرد تأثيرها على الجسد .

هب أني وضعت كفي على حديد حام وأنا أجهل أنه حام ارتدّت كفي عنه على الأثر . فاذا حدث حينئذ ؟ الحرارة التي في الحديد هيجت الخلايا العصبية التي في سطح الكف، وهذه الخلايا تتصل بخلايا أخرى مثلها فتهيجها أيضاً ، وهكذا ينتقل هذا الهياج الى جميع خلايا الحبل العصبي على هذا النحو :

لكل خلية عصب عدد من الخيوط أو الزغب تتصل بعضها بها وتبرز بعضها منها . واحدى هذه الزغب أطول وأدق من زميلاتها . وعن طريق هذه الزغب الطويلة يسير الهياج أو المحرّض على طول الخيط العصبي كأنه سلسلة . والعقدة التي هي عقدة الاتصال بين زغبة وأخرى لها وظيفة المصراع Valve . أي أنها تدع الهياج يسير في اتجاه واحد فقط ولا يرجع عليه . والمركز الرئيسي للجهاز العصبي هو الحبل الشوكي الممتد من الدماغ في سلسلة الظهر ، ومنه تتفرّع جميع الأعصاب الى الجسم، وإليه ترجع فهو الطريق السلطاني لجميع الأعصاب ، وفيه تمرّ جميع النبضات العصبية . وفي هذا الطريق يسير الشعور الذي ابتدأ في كفي وتناولته الخلايا العصبية الواحدة بعد الأخرى الى أن وصل أخيراً الى دماغي . وهنا يصل الى نظامٍ دماغيٍّ (نظام الشعور) دقيقٍ معقد مؤلف من طبقات وأغشيةٍ لا تحصى . وهذه الأغشية والطبقات تعمل عمل التصفية للبريد العصبي ، فتفرز الرسائل الواردة من جميع جهات الجسم وتوجه كل رسالة الى جهتها الخاصة حيث يُعمل بموجبها ، فتسير في نظام عصبي خاص آخر . فينقل الهياج أو التحريض أو الشعور الى الجهاز العصبي المحرّك الذي يقضي به العمل اللازم بموجب ذلك الشعور المحرّض . فينتقل الى خلايا عصبية أخرى يتكوّن منها نظام المحرّك في الدماغ . ومن هذه ينتقل المحرك على نظام عصبي آخر يتصل بالكف التي كانت سبب انتقال الهياج أو المحرّض (الشعور) وتكون النتيجة اني رفعت يدي عن الحديد الحامي ـ وحاصل العملية أن الشعور انتقل من ذلك الى فوق الى الدماغ ، ثم انتقل عامل الحركة الى تحت الى الكف .

***

لا يختلف كثيراً هذا العمل عن الرادار : رسالة ذهبت الى هدف من محطة ثم ارتدت منها الى المحطة . أو بالأحرى لا يختلف عن جهاز التلفون أو التلغراف ، سلك للذهاب من المركز وسلك للاياب اليه .

وهذه الرسالة العصبية تسجل في الدماغ . وهناك الشغل العقلي ، وهناك معمل التصورات والأفكار والمعلومات والتعليلات والفلسفات الى ما لا يحصى .

الفلسفة التصورية

Idealism

هل ما نشعر به هو الحقيقة ؟

فلنبحث الشعور بالرؤية : هب إني أرى شجرةً على بُعد ربع كيلو متر مثلاً . ليست الشجرة في عيني ولا في دماغي . على ان ما هو في عيني هو صدمات موجات نورانية أحدثت شعوراً في دماغي اعتدت ان أسميه شجرة كلما طرأ على باصرتي وانتقل بالاسلاك العصبية الى مركز من مراكز الدماغ ، فكلما وقع على شبكية عيني مثل هذه الموجات وانتقلت الى دماغي قلت هذه صادرة من انعكاس النور على شجرة . إذاً فالذي في دماغي هو شعور بهذه الموجات . هو صورة تمثل شيئاً في الخارج البعيد عن عيني ، فليس هو الحقيقة ، بل هو تصوُّر الحقيقة أو صورة لها ? Idea فهل هذه الصورة تطابق الحقيقة ؟

إني أدرك وأفهم هذه الصورة النورانية التي في دماغي فقط . وأما الحقيقة الخارجة عن دماغي فلا أدركها . أرى الشجرة ذات أغصان وأوراق وثمار . فلما دنوت منها وجدت شكلاً غير الشكل الذي رأيته عن بعد : — رأيت عصفوراً كنت أظنه ثمرة ، ورأيت ثعباناً يتحفز للوثوب عليه ، وكنت أظن الثعبان غصناً تلعب به الريح . فاذاً الذي كنت أدركه هو الصورة القائمة في عقلي التي رسمها الشعور ، انتقل عن شبكية عيني الى خليات دماغي . وأما حقيقة الشجرة فلم أدرك .

ثم لما دنوت الى الشجرة هل أدركت الحقيقة ؟ هب اني أمسكت الغصن وقطفت الثمرة وأكلتها فهل أدركت الحقيقة ؟ اذا دخلت بهما الى المعمل الكيماوي وحللت وجدت الخضرة التي في ورق الغصن هي مادة اليخضور Chlorofil الذي ينقل الطاقة من نور الشمس الى الغصن أو الشجرة حيث تخزن هناك ، ووجدت ان مادة الغصن والثمرة مؤلفة من غازات الهيدروجن والأوكسيجن والنيتروجن وعنصر الكربون . فإذن حين رأيت الغصن والثمرة

لم أظفر بحقيقتهما ، وما أدرك عقلي منهما إلاَّ الشكل واللون والحلاوة اذا أكلت الثمرة . وأما حقيقتهما فلم أدرك بتاتاً .

وهب أني لخصت ذرات العناصر الأربعة وعثرت على الكهرب والكهيرب ، ثم صدمت أحدهما بالآخر (لو كان هذا بامكاني) لحدثت لمعة ضوئيات تبددت في الفضاء . فهل هذه الظاهرة كانت في عقلي حين رأيت الشجرة والثمرة ، وهل أنا واثق من أن هذه الظاهرة العلمية حقيقة،أم هي نظرية علمية تحتاج الى براهين لاثباتها ؟

حاصل الكلام ان الحقيقة الواقعة لا ندركها في عقلنا حتى ولا في شعورنا . فهي غريبة عنّا ، وإنما الذي يدركه عقلنا هو شعور طرأ عليه من جرّاء موجات كهرطيسية صدرت من المادة ورسمت صورة في الدماغ . فالتصوُّر مخالف كل المخالفة للواقع ، وادراك العقل محصور في هذه الجمجمة التي لاتتجاوز سعتها الألف سنتيمتر مكعب إلاَّ قليلاً ، و« البضاعة » التي يتداولها العقل هي هذه الصور الواردة اليه في الأسلاك العصبية بين شبكية العين وخليّات المراكز الدماغية . وجميع المدركات العقلية مصنوعة في هذه الخليات الدماغية. اذاً المدركات العقلية غير مطابقة للوقائع المادية الحادثة في الخارج .

ولذلك يقول الفلاسفة التصوريون Idealists ان العالم كله موجود في العقل وليس خارج العقل شيء منه . فحيث لا عقل فلا عالم . واذا فُقِدت العقول انتفى العالم كله. وهو قول هراء في نظر الواقعيين Realists . اذاً كيف يبرهن التصوريون نظريتهم ، أهمهم لوك والمطران بركلي وهيوم . وفيما يلي خلاصة برهان بركلي ، وهو أغرب وأعجب ما ورد في الفلسفة . وقد أوردها هذا المطران الفيلسوف في شكل مناقشة بين شخصين سماها فيلونوس وهيلاس .

فيلونوس يوجه الخطاب الى هيلاس : هل تعتقد ان الشكل والحجم (الامتداد Demention) اللذين تراها موجودان ماديّاً بالفعل خارجاً عن مقلتيك ؟

— هيلاس — نعم

فيلو ... هل جميع الحيوانات تفتكر نفس هذا الفكر في الشكل والامتداد (الحجم) اللذين تنظرها وتحسهما ؟

هيلا — بلا شك ان كانت تفتكر ولها قوى التفكير .

فيلو — قل يا هلاس : أتظن ان الحواس مُنِحت لجميع الحيوانات لأجل المحافظة على بقائها متمتعة بالحياة ؟ أو إنها مُنِحت للانسان وحده لهذا الغرض ؟

هيلا : — لم أبحث هذا الأمر . ولكني أعتقد أن جميع الحيوانات تستعمل هذه الحواس على السواء .

فيلو — اذا كان الأمر كذلك أفليس من الواجب أن تُمكّنها هذه الحواس ان تحس بأذرعها وبالأشياء التي يمكن أن تضرها ؟

هيلا — طبعاً :

فيلو — إذن المفروض ان الحشرة الصغيرة كالسوسة مثلاً ترى أرجلها حتى الأشياء التي تساويها حجماً أو أصغر منها كأنها أجسام ذات إبعاد أو أحجام ، حتى ولو كانت في نفس الوقت تتراءى لك أنها هيهات أن تُرَى بالعين أو يمكن أن تُشاهد كسائر النقط الصغيرة العديدة .

هيلا — لا أنكر هذا

فيلو — وأنها تظهر أكبر حتى للمخلوقات التي هي أصغر من الحشرة

هيلا — نعم هكذا تظهر

فيلو — فاذاً ما يتعذر عليك أن تميزه يظهر للحشرة ضخماً كالجبل .

هيلا — موافق .

فيلو — فهل يمكن أن الشيء الواحد يكون في نفس الوقت مختلف الحجم (الامتداد) ؟

هيلا — من السخافة أن نتصوَّر هكذا .

فيلو — ولكن مما سلّمتَ به ينتج أن الحجم الذي تراءى لك والحجم الذي تراءى للحشرة (كما تراءى لسائر المخلوقات التي هي أصغر منها) هو الحجم الحقيقي لقدم الحشرة . فكأنك سلمت بالمحال أو بسخافة .

هيلا — نعم أرى عقدة صعبة في هذه القضية .

فيلو — إذاً أنما اعترفت بأنه ليس لأي جسم أو مادة خاصية فيه يمكن أن تتغير من

غير أن يتغير الشيء نفسه ؟ .

هيلا — أجل

فيلو — ولكن حين ندنو الى الشيء أو نبتعد عنه فالحجم المنظور يتغير فيكون قبلاً على مسافة كذا ١٠ مرات أو مئة مرة أكبر منه على مسافة أخرى . أفلا ينتج إذاً من هذا أن الحجم المنظور ليس في الشيء نفسه .

هيلا — إني حيران في هذه المسألة . لا أدري كيف أفتكر فيها

فيلو — يتقرر حكمك اذا كنت تجرأ أن تفكر تفكيراً حرًّا في هذه القضية كما تفكر في سائر القضايا الأخرى، ألا تسلم ان لا الحرارة ولا البرودة كانتا في الماء (أي ليس الماء حارًّا ولا بارداً) لأنه يظهر لك دافئاً لليد الواحدة وبارداً لليد الأخرى ؟ .

هيلا — نعم

فيلو — أليس الأمر كذلك حين نستنتج بأنه ليس للشيء حجم أو شكل لأنه يظهر للعين الواحدة صغيراً وأملس ومستديراً في حين أنه يظهر للعين الأخرى كبيراً وغير مستقيم وذا زوايا ؟

هيلا — ولكن هل يحدث هذا فعلاً ؟

فيلو — يمكنك في أي وقت أن تختبر المسألة بنفسك بأن تنظر بعين واحدة مجردة وأخرى من خلال الميكروسكوب .

هيلا — لا أدري كيف أؤيد هذا القول . ومع ذلك لا أقدر أن أنكر الحجم (الامتداد) . أرى عدّة نتائج شاذة في هذه القضية .

فيلو — تقول شاذة ؟ بعد هذا الاذعان الذي أذعته أؤمّل أنك لا تصر على شيء من هذا الشذوذ ، ومن جهة أخرى ألا ترى أنه من الشذوذ أن التعليل المطلق الذي يشتمل على جميع الصفات أو الخواص المشاهدة يشتمل أيضاً على الحجم كبيراً أو صغيراً ؟ إذا كنا نسلم بأنه لا تصور ولا شبه تصور يمكن أن يوجد في مادة غير شاعرة : إذاً ينتج بالتأكيد أنه لا حجم ولا أي شكل مما نحس به أو نتخيله أو يكون عندنا تصوّر له يمكن أن يكون له وجود فعلي ملازم للمادة . دعنا من الصعوبة التي لا بدّ منها في ادراك جسم عادي

معتزل عن الحجم أو متميز عنه (أي مجرد منه) بأنه أساس للحجم ، ولتكن الصفة أو الخاصية الحساسة مهما كان نوعها ، شكلاً أو صوتاً أو لوناً ، فيستحيل أن توجد في الشيء الذي لا يشعر بها — انتهى .

وقد علق الدكتور جود C. E. M. Joad أستاذ الفلسفة في جامعة لندن على نظرية بركلي وهذا ملخصه : يستنتج أن فلسفة بركلي تنحصر في أمرين رئيسيين : أولاً ان جميع الصفات أو الخصائص التي نشعر بها في الأشياء يتوقف وجودها على عقولنا . فإذاً لا توجد الأشياء إلا ما دامت معروفة لعقولنا ، وعقولنا تدركها ، وبعبارة أخرى ، لاوجود إلا للتصوُّر الذي في العقل ، وان وجود الشيء هو ادراكه ليس إلا . هذا هو زبدة فلسفة بركلي التي أخذت شأناً كبيراً في الفلسفة .

ان بعض الحقائق واضحة وقريبة للعقل بحيث أن الانسان لا يحتاج إلا أن يفتح عينيه لكي يراها . مثال ذلك هذه الحقيقة المهمة ، وهي بالاجمال ان هذه الأجسام أو الأشياء التي يتألف منها الكون لا وجود لها إلا إذا لم يكن ثمت عقل يدركها . فوجودها هو أن تكون مدركة أو معروفة

ثانياً : أن الصور الموجودة في عقولنا والتي تنحل إليها معرفتنا للعالم الخارجي إنما هي تصور للصفات أو الخصائص البسيطة . وما نسميه معرفة محسوسة إنما هو تصوُّر الصفات أو الخواص وليس الأشياء نفسها بالذات .

نحن نعتقد أننا نملك عدداً من الصور (الدماغية) المنقولة عن شيء مادي واحد . نعتقد أن تصورنا الحلاوة أو الخشونة أو التربيع أو البياض — كل هذه صور لقطعة سكر (مثلاً) . ولكن بركلي يقول ان ما نراه ما هو إلا تنوع نور وألوان ، وما نحس به ما هو إلا قساوة أو لطافة ، سخونة أو برودة ، خشونة أو نعومة . فما علاقة هذه التصورات بهذه المادة ؟ أو كيف يمكن أن يرى أحد الناس سبباً لأن يعطي إسماً واحداً لمجموعة هذه التصورات المختلفة قبل أن يختبر وجودها معاً ؟ فإذا كنا ننظر الى المسألة نظرة عميقة وجب أن نعترف أننا لا نرى نفس الشيء ونمسه . فما نراه شيء وما نمسه شيء آخر .

اذا دخلت الى غرفة وقلت ان هذا الشيء الذي أراه هو مائدة ، فالاجراء العقلي الذي (بحسب رأي بركلي) حدث في دماغي هو هذا بالتقريب : — فأولاً هو اختبار نظري وهو الذي يسميه بركلي « التصوُّر البصري » ، ورؤية سطح لامع أسود بيضي الشكل . اذاً استدل بناء على اختبار سابق انه اذا كنت أتقدم بعض خطوات الى هذا السطح اللامع

الأسود البيضي الشكل احصل على اختبار آخر وهو هذه المرة قاسٍ وبارد الملمس . وإذاً يكون عندي حقيقة تصور آخر بحسب تسمية بركلي له « تصوُّر لمسي » ولأن التصور البصري للسطح اللامع والأسود والبيضي كان في الماضي مصاحباً للتصوُّر اللمسي للقساوة والبرودة ، استدل على أن هذه الصور هي للشيء نفسه ، واستنتج أن شيئاً ماديًّا واحداً أسود ،ولامعاً وبيضي الشكل وقاسٍ وبارد هو مصدر تصوراتي .

والمهم ان أحفظ في ذاكرتي هذين الأمرين عن بركلي . أولاً ان كل ما نعرفه هو تصور أو صورة في العقل الذي يدركه أو يعرفه ، وانه يلزم عنه أن العقول وحدها والصور التي في العقول هي الموجودة . وثانياً ان تصوراتنا ليست مادية طبيعية كالمائدة أو الكرسي بل هي خواص حساسة أو محسوسة كالحرارة والقساوة والسواد والتربيع الى آخره

إذاً بأي معنى الأشياء الطبيعيـة موجودة ؟ فاذا كانت نظرية بركلي صحيحة فكيف نؤكد ان الأشياء الطبيعية موجودة حين لا نراها . فلنفرض أني خرجت من غرفتي فهل نكون على صواب ان نحسب ان الغرفة زالت من الوجود وإنها تعود حين أعود اليها ؟ بركلي يرفض هذه الظنة . فجل ما أفتى به في هذا الموضوع : إنه لكي نزعم أن الشيء موجود ، يجب ان نعلم أنه موجود في عقل أو أنه يتوقف على وجود عقل . ولكن ليس ضروريًّا ان يكون هذا العقل عقلي . يمكن أن يكون عقل الله (في رأي بركلي) فالصور العقلية التي نعرفها توجد مستقلة عن معرفتنا ما دامت موجودة باستمرار في عقل الله

بهذا الاعتبار نميز بين الادراك الحسّي (أي الشعور) والتخيل . الأشياء التي أشعر بها تأتي الى عقلي سواء أردتها أو لا . ولكن الأشياء التي أتخيلها أطلبها أو أنفيها من مخيلتي متى أشاء . فما الفرق إذن ؟ هو أن الأشياء التي أشعر بها التي هي صور في عقلي هي كذلك صور في عقل الله وهو يجيزها الى عقلي . وأما التي أتخيلها فموجودة في عقلي وتذهب منه متى لم أعد أتخيلها .

فكل ما نسميه العالم الخارجي موجود على الدوام حتى حين لم نعد نشعر به لان الله موجده وحافظه . فالواضح اذاً اننا اذا لم نسلم بنظرية بركلي بأن الله أعطى حقيقة مستقلة لعالم وجوده ينتفي متى لا نعود نعلم به ، ننتهي الى التسليم بأن الأشياء الوحيدة في الوجود هي حالتنا العقلية فقط .

المحرر — ما دامت مدركاتنا الخارجيـة تتوقف على مشاعرنا الخمس التي تنقل صورها عن العالم الخارجي ، فلا أستطيع ان أنكر وجود العالم الخارجي إلاَّ في عقلي وعقل الله. فهو موجود على كل حال ما دامت الحواس الخمس تنقل صوره الى دماغي .

منابع النيل

حسب عقيدة قدماء المصريين وتقاليدهم

لأنطون زكري

٢ — خطاب أحد رؤساء كهنة قدماء المصريين

الى يوليوس قيصر الروماني بشأن منابع النيل

من المعلوم أن حقوق الاستعمار تحتم على القائمين به البحث في الأقاليم التي يحتلونها عن منابع ثروتها ، ومصادر رغدها ، وأساليب مجدها ، ليتخذوا لهم في هذه المصادر سطوة فعالة لتخضع النفوس الى ارادتهم ، بدون أن يتجشموا في هذا الاخضاع معاناة شاقة ، لأن الاستعانة بما يعد من ضروريات الطبيعة في ترويج الاستعمار من ضروب السياسة التي يتفنن فيها مهرتهم لاجتذاب الشعوب وتسخيرهم . وعلى هذا المبدأ افتكر الرومان أن يتخذوا أساليب الاستعمار المعتادة مع الكهنة البارعين في عصر قدماء المصريين ، وابتدأوا يخابرونهم عن مصادر النيل وينابيعه ليستدرجوهم بعد ذلك الى صيرورتهم في قبضتهم ، ويبوحوا لهم بطريق الدهاء وأساليب السياسة مما استأثروا به علماً حتى يتوصلوا بذلك الى السلطة الفعلية في هيمنة الأعمال وتسخير الظروف الى ما يشاءون .

وقد جاء في أنشودة النيل ما يشير الى أنه بطبيعته فيض سماوي ، يحيي به الله الأرض بعد موتها ، وأن ارتسام هذا المعنى في خيالات الكهنة مكنتهم من اختراع الروايات والأقاصيص ليحفظوا لأنفسهم مركز الاختصاص بالمعلومات الدقيقة ، وليخلدوا لهيمنتهم على الشعب صفة أدبية أبدية .

وقد روى الكهنة للمؤرخ اليوناني هيرودوت في القرن الخامس ق. م . ويوليوس قيصر الروماني في القرن الأول ق. م. أقاصيص نظمها الشاعر الروماني ليكين (Lucain) باللاتينية ، وسردها بأسلوب خطاب بعثه رئيس كهنة قدماء المصريين الى يوليوس قيصر الروماني بشأن هذه الينابيع ، وأعتقد أني أول من وفق الى ترجمته الى اللغة العربية ، واليك فحواه بالاختصار :

« أخطأ الأقدمون في تعبيرهم بأن النيل يزداد فيضانه عقب ذوبان الثلوج في جبال »
« أثيوبيا ، لأن سكان تلك الجهة من حرارة الشمس تبدو جلودهم سمراء كما أخطأ »
« الزاعمون بأن منابع الأنهار المتكونة من ثلوج يذيبها الحر وتزداد في أوائل فصل »
« الخريف لأن النيل لا تبتدىء زيادته قبل أن ترسل نجمة الشعرى اليمانية الى الأفق »
« وقبل أن يتساوى في ميزان الأفلاك زمن الليل والنهار »

« فنواميس النيل ليست كنواميس بقية الأنهر ، ولم يزدد فيضانه في الشتاء »
« فبعد ابتعاد الشمس عن درجات المقارنة الأفقية لها في فصل الصيف تتدفق المياه »
« بنسبة تعويضه عن ذلك ، وقد اختص النيل بلطافة حالة الجو ، فهو يفيض في منتصف »
« الصيف حينما تكون منطقة الأرض الحارة ، مانعة من الحيلولة بتأثير القيظ ، فيأتي »
« النيل مساعداً للعالم في أرجاء واديه ، وقد يتجه أمام وجه برج الأسد المتأجج »
« بالحرارة ، ويبادر بلدة « سيين » (اسوان) المحترقة ببروج السرطان ، فلا ترتفع »
« مياهه قبل نزول الشمس في الخريف ، ويتسع الظل في بلدة « مروي » (وهي بقرب »
« (شندي) عاصمة المملكة المصرية بالسودان) فلن يستطاع بيان السبب لسعة فيضك »
« وأدواره أيها النيل ، لأن القدرة الألهية هي التي نظمته بقدر حاجة العالم اليك » .

« أخطأ القدماء أيضاً في نسبتهم زيادة الفيضان الى هبوب الرياح في وقت طويل »
« تكون الأمطار فيه مضطرة أن تجود بقطراتها على هذا النهر ، وتدفعه بلا انقطاع »
« الى المنافذ الكبيرة التي تسيل على شواطىء البحر الأحمر ، ولوجود حواجز أمامه تعوق »
« سرعة انحداره ، ويتدفق في الجداول والجهات التي تستفيد مزارعها وحقولها لوصول »
« فيوضه اليها . ومن الخطأ أيضاً التصديق بأقوال من زعموا أن فيض النيل ناتج عن »
« قنوات مارة تحت الأرض ، أو ثقوب مفتتحة الأفواه في حفر واسعة تنحدر اليها المياه »
« في مسافات عميقة آتية من الجهات الباردة في الدب الأكبر وسط قطب الدنيا ، وإن »
« حرارة الشمس ، حين تضعف عند بلدة (مروي) تجلب مياهها ، وتجذب النهرين »
« (الكانج والألب) بمسالك خفية يقذف عندها النيل بدفقاته الى هذه الأنهار في »
« منبع واحد ، ولكنها لا تستطيع السريان في هوته ، « فيدمج الأرض حين يغمرها ، »
« وينتزع من بعض طبقاتها الأملاح الكائنة في مدى مجراه »

« وظن البعض أن الشمس والهواء يجتذبان الماء من المحيط ، وحين تصل الشمس الى »
« المنطقة الحارة أمام برج السرطان ينشق المحيط ، ويمتص مياهاً غزيرة من الجو ، »
« وهذه الزيادة تنقلها الأعاصير الى النيل »

« أرجوك أيها القيصر أن تسمح لي بأن أشرح لك تحليلات هذه المسألة العويصة فأقول: »



(رقم ٨) رسم الاسكندر المقدوني

نقلاً من كتاب Ebors Aegypten

« إن ميـاه النيل منذ بدء الخليقـة تتسرّب من عروق في الأرض ، أوجدها الله »
لكون مجراه الطبيعي ، تسيـره القدرة الإلـهية بأنظمة وقوانين فوق قدرة أمثالنا »

« وأمثالكم. أتريد يا روماني معرفة منابع النيل ، وقد اهتم قبلك بالبحث في موضوعها »
« الملوك المصريون الجبابرة والفرس والمقدونيون منذ أجيال ، ولم يتغلبوا على قوة »



(رقم ٩) رعمسيس الثاني وهو شاب وبجانبه ابنته بحجم صغير
والأصل بمتحف تورينو بايطاليا

« الطبيعة في شيء ، وأراد اسكندر ذو القرنين (رسم رقم ٨) أكبر ملوك الأرض في عهده »
« والمعبود الأعلى في مدينة ممفيس معرفة منابع النيل ، فأرسل بعثة في أواخر أيثوبيا »
« وهناك عاقتها حرارة الجو الملتهب . وذهب سيزوستريس (رعمسيس الثاني) »
« رسم (رقم ٩) الى الغرب والى أقاصي الدنيا تجر الملوك عربته ، وكان في استطاعته أن يشرب »
« من منابع أنهاركم (كالرون والپو) ، فإن ذلك أسهل عليه من أن يشرب من منابع النيل »
« ووصل قمبيز الأحمق الى الشرق بين الذين يعمرون طويلاً ، ولما غابت عنه المؤونة ، »
« ذبح رجاله والتهمهم بدون أن يعرف منابع النيل . ولم يستطع أحد في القصص والروايات »
« الوصول إلى منبعه ، ولم تدخر الأمم وسعاً في السعي إلى اكتشاف منابع « النيل . »
« وإني أدرك حكمة الآلهة الذين أرادوا صيانة مجراك أيها النيل ، من أن يستطيع أحد »
« الوصول الى منتهاك البعيد المدى ، فانك تقوم وسط قطب العالم ناصباً شواطئك أمام »
« برج السرطان المضطرب فتسري الى الجهات ، وتراك فيها الشعوب القاصية والدانية ، »
« وتبحث القاصية عن منبعك ، ثم تعود مقهورة الى حقول إيثوبيا المرتوية من مياهك »
« الغربية ، ويجهل العالم منبعك ، وقد أعطيت وحدك أيها النيل حق الامتياز لتسير من »
« قطب لآخر ، يبحث الناس في بداية مجراك ونهايتك لتتسع مياهك ثم تضيق لتحيط »
« مروي » ، وسكانها قوم سود الوجوه يفتخرون بغاباتهم المملوءة بخشب الأبنوس »
« الكثيرة الأوراق ، ولا يوجد هناك ظل يخفف حدة الحر ، ما دام برج الأسد »
« يرسل حرارته على خط مستو على وجه الأرض ، فتمر في منطقة الشمس بدون أن »
« تضيع شيئاً من مائك . تدعو قريباً طبقتك مياهك المقسمة الى حدود قبائل العرب »
« وأراضي « فيلة » التي هي منتهى حدود مملكتك المصرية ، وعند ميلك تخطط »
« الصحراء بممر التجارة بين البحر الأحمر وجبال ليبيا . أرتنا لجج النيل عند ما تمتد »
« فيلاقي مجراها في مسيره عراقيل وشلالات سريعة تعترضها بعض الصخور في الصحراء »
« ولكن لم يوقف مياهك شيء فحينئذ تلتقي الزبد حتى الكواكب ، وكل شيء يخشى »
« اضطراب أمواجك ، ويتذمر الجبل تحت بياضها احتراماً لأنك النهر الذي لا يقهر ، وبعد »
« ذلك تظهر الأرض المقدسة والصحراء المعروفة بشرايين النيل لأنها تبشر بالفيضان في »
« أوائله عقب أن أغلقت الطبيعة أبواب المجاري بمياهك المتشردة عن دخول بلاد ليبيا »
« بمحاجر الجبال في هذا الوادي العميق الذي فيه يجد مجراك نظامه المألوف ، ويتقدم »
« بهدوء وسكينة ، ويبتدىء من مدينة ممفيس التي تسلم إليك حقولها وتفتح أبواب »
« السهول والوديان ، ولا يوجد على شواطئك حواجز تعتبر حداً لفيضانك » . [يتبع]

التسارع رديف الجاذبية

Inertia = Gravetation

١ — ما هي الاستمرارية وما هي التسارعية

هذا المقال يهم جدًّا طلاب العلم الطبيعي (الطبيعيات) وأساتذة هـذا العلم والذين درسوه . فلا بدع أن يستلذه جميع القراء على السواء . وقد أنبأتنا التلغرافات ان اينشطين ألّف كتاباً يفسر فيه الجاذبية فيحسن بنا أن نذكر شيئاً عن الجاذبية .

من مقتضيات ناموس الجاذبية ان القوة الاستمرارية Enertia معادلة للقوة التسارعيـة Acceleration لأنهما كلاهما نسبيتان ومن مصدر واحد ، هو القوة الجاذبية . وهي مساوية لكلتيهما .

كانت العقيدة السائدة في الأعصر الماضية انه من طبيعة الجسم الحركة في خط مستقيم باستمرار وهو ما يسمونه — Enertia فإذا تغير خط سيره فلأنّ قوة طرأت عليه .

فلما جاء غاليليو ضبط قانون الحركة هكذا : —

« يستمر الجسم على حالٍ واحدة من حركة أو سكون الى أن تطرأ عليه قوة أجنبيـة فتغير حاله . فان كان ساكناً بقي ساكناً الى أن تطرأ عليه قوة فتحركه في خط اتجاههـا . وان كان متحركاً بقي متحركاً في خط مستقيم على وتيرة واحدة أي بسرعة واحدة الى أن تطرأ عليه قوة أخرى فتغير سرعته أو اتجاهه أو كليهما . وتسمى حركته هذه تسارعاً Acceleration وتسمى حالته الأولى « الحالة الاستمرارية » Enertia وللاختصار نسميها « الاستمرارية » .

هذا القانون هو أول قوانين الميكانيكيات Mechanics ويعد أهمها وأساسها جميعاً أو هو الأصل فيها . وقد أدمجه نيوتن فيما حدّده من قوانين الميكانيكيات .

وأما الحالة الثانية التي تتزايد فيها سرعته في اتجاه واحد كتزايد سرعة الجسم الساقط ، والتي يتغير فيهـا اتجاههُ من غـير أن تتزايد سرعته ، كانحناء خط السير حول مركز

(كدوران الأرض حول الشمس) فتسمى «الحالة التسارعية» . وبالاختصار «التسارعية»

لعلك تسأل : لماذا تسمى هاتين الحالتين : أي التسارع في خط مستقيم ، والسير في خط منحنٍ بسرعة واحدة — لماذا تسميهما باسم واحد « تسارعاً » مع إنهما مختلفان اختلافاً متماكساً كما هو واضح ؟ (أي مختلفان في الشكل والسرعة) .

والجواب اننا نسميهما كليهما « تسارعاً » لأن سببهما واحد . وكليهما متعادلان . واليك بيانه : — في الحالة الاستمرارية يكون الجسم (أو يتراءى لنا نسبيًّا) تحت سلطة قوة واحدة . وأما في الحالة التسارعية فيكون الجسم تحت سلطة قوتين : احداهما ملازمته أي منتقلة معه ، والأخرى ثابتة تضطره ألاّ يشرد عنها . وللايضاح نمثل على كلتا الحالتين :

الكتاب الذي في يدك هو بالنسبة اليك والى مجاسك في حالة سكون استمراري . هو تحت سلطة قوة عضلك التي تقاوم (بتمادل) قوة الجاذبية — جاذبيتهُ للأرض وجاذبية الارض له — التي كانت تجعله يهبط الى الأرض لولا هذه المقاومة. فاذا كنت في بناية عالية كاحدى ناطحات السحاب الأميركية . ثم تركت الكتاب من يدك ، أي قطعت عنه القوة العضلية التي كانت تحفظه في حالة السكون (بالنسبة اليك والى البناية) فحينئذٍ يصبح تحت سلطة قوتين جاذبيتين : قوة جاذبيتهِ الذاتية وقوة جاذبية الأرض الخارجية ، فيهبط في خط سمتي الى جهة مركز الارض . وكل هنيهة تكتسب قوته الذاتية الاستمرارية قوة جديدة بحكم ناموس التجاذب الذي يشتد كمربع البعد عن المركز كما علمت . وبالتالي تضاف الى سرعته الاستمرارية سرعة أخرى . أعني انه في كل هنيهة تصير له سرعة استمرارية جديدة . وتزايد الاستمرارية هذا هو التسارع بعينه . لذلك يهبط الكتاب من علٍ الى الارض بسرعة تتزايد كل ثانية ١٦ قدماً كما تعلم من قانون الأجسام الساقطة (قانون جاليلي)

قطار السكة الحديدية يسير على الخط بسرعة واحدة في خط مستقيم بنبضة قوة واحدة. لو أمكن أن نزيل بتاتاً قوة فرك العجلات (احتكاكها) على الخط الحديدي ، وقوة الجاذبية التي تصرُّ على ابقاء القطار على (نصف قطر أرضي) واحد لبقي القطار يسير بتلك النبضة الواحدة على خط طويل غير متناهٍ الى الأبد . وانما نحن نجدّد فيه قوة الآلة البخارية كل هنيهة لا لتسييرهِ بل لمقاومة قوة الفرك أولاً ، ولمقاومة الجاذبية اي لانتقالهِ من

رأس راديوس [١] واحد الى رأس راديوس آخر في كرة الأرض ثانياً . مع ذلك اذا كنا نزيد قوة الآلة البخارية كل ثانية قوة حصان تتزايد سرعته بنسبة تزايد القوة . لأننا جعلناه تحت سلطة قوتين : القوة الأصلية وقوة الأحصنة الاضافية .

كذلك اذا رمنا ان نحوّل اتجاه القطار في خط منحنٍ مع ابقاء سرعته كما هي من غير انقاص اضطررنا ان نزيد قوته البخارية بعض أحصنة . فلا تزداد سرعته حينئذٍ وإنما يتحول خط اتجاهه . فتلك الزيادة في القوة صُرِفَت في هذا التحويل . فتحويل خط الاتجاه من غير زيادة السرعة هو كزيادة السرعة من غير تحويل خط الاتجاه . كلاهما متعادلان وكلاهما يقتضيان اضافة قوة الى القوة الأصلية . بعبارة أُخرى زيادة القوة تزيد السرعة ، وازديادها يظهر في سير القطار في الخط المستقيم، ولكنه يختفي في انحناء السير أو هذا يستهلكه .

لذلك سميت الحركة الناجمة عن فعل قوتين « تسارعاً » سواء أكانت الحركة تسارعاً في الخط المستقيم أو غير تسارع في خط منحنٍ .

بعد هذا التمثيل الحسّي نتقدم الى تمثيل القضية في أي نظام كالنظام الشمسي . فهناك نرى سياراً (كالأرض) ذا قوة ذاتية ملازمة له تسيِّرهُ بسرعة استمرارية في خط مستقيم، ونرى قوة مركزية ثابتة في الشمس متجهة اليه في خط معامد لخط سيره المستقيم . لولا هذه القوة المركزية لبقي منطلقاً بسرعته الاستمرارية في خط سيره المستقيم الى الأبد . ولكن هذه القوة المركزية متسلطة عليه بخط معامد لخط سيره فيضطر في كل هنيهة ان يتخذ اتجاهاً آخر بين الخطين كخط استمراري جديد . فلا يتحرك فيه هنيهة حتى تكون القوة المركزية قد استمالته الى اتجاه استمراري آخر جديد ، ولو انقطعت القوة المركزية عنه حينئذٍ لسار فيه الى الأبد . ولكنها لا تنقطع عنه ، بل لا تفتأ تلاحقه وتستميله عن كل اتجاه جديد فيصبح خط سيره دائرة

لو كانت تلك القوة المركزية تلازمه في خط سيره ، أي تنتقل معه لتزايدت سرعته في خط مستقيم، كما يحدث في سقوط أي جسم من علٍ .

---

(١) الراديوس هو نصف قطر الدائرة وهو هنا البعد بين سطح الارض ومركزها

إذاً ، تزايد السرعة الذي كانت القوة المركزية تكسبه للسيار كانت تتلاشى في أحداث انحناء خط سيره . ولذلك نرى في برهان المسارعة الدورانيــة الرياضي ان مقدار الانحناء هذا يساوي مربع سرعة السيار الأصلية بالنسبة الى الراديوس ، أي الانحناء أو (المسارعة) = $\frac{س^٢}{ش}$. ولذلك يسير بسرعة واحدة في فلكه المستدير بهذه القيمة $\frac{س^٢}{ش}$ أي نسبة مربع السرعة الى البعد عن المركز .

يستفاد مما تقدم أن ما نسميه قوة تسارعية ، أو حركة تسارعية ، انما هو بالحقيقة قوة جاذبية وحركة جاذبية ، أي ان الجاذبية تساوي المسارعة .

***

وهنا نسائل : هل توجد بالفعل « قوة استمرارية » و « حركة استمرارية » ؟ أم أن القوة جاذبية فقط ، والحركة تسارعية على كل حال ، ولا وجود لحركة استمرارية فعلاً ، وانما نسميها استمرارية بالنسبة الى حركة أخرى أكثر تسارعية (أو أقل) ؟

هذا سؤال جدير بالتبصرة والبحث والايضاح

لا سكون في الوجود

لا نعرف في الطبيعة جسماً ساكناً ولا جسماً متحركاً في خط مستقيم غير واقع تحت تأثير قوة أجنبية . بل لا نعرف في الطبيعة الا الحركة الدائرية — الجسم المتحرك في خط منحنٍ — فاذاً كيف يمكن أن نتحرى صحة « قانون جاليليو — نيوتن » هذا ؟

لو وجد في الكون جسم ساكن سكوناً مطلقاً — وهو أمر مستحيل لاعتبارات لا محل لشرحها هنا ، (وقد شُرحت في كتابنا النسبية) — ثم طرأت عليه قوة فحركته ، ما أدرانا أنه لا يعود الى سكونه متى كفت القوة عنه ؟ أو لو وجد جسم متحرك في خط مستقيم ، ثم طرأت عليه قوة أجنبية تغير سرعته أو اتجاهه أو كليهما ما أدرانا انه لا يعود الى حركته الأصلية أو الى السكون متى كفت القوة الاجنبية عنه ؟

لا نعرف في الكون جسماً يتحرك في الفضاء في خط مستقيم ، البتة ، حتى الجسم الصغير كالحجر الساقط على جرم كبير كالأرض لا يسقط في خط مستقيم (بالنسبة الى الفضاء)

كما يتراءى لنا سقوطه على سطح الأرض ، بل هو متحرك بالنسبة الى الفضاء في خط منحن على كل حال ، بقدر سرعة الأرض في دورانها على محورها ، و بقدر انحناء فلكها في دورانها حول الشمس . ومتى وقع الحجر على الأرض صار مع سطحها حول مركزها في دائرة قطرها كقطر الأرض .

وإذا فرضنا أن الأرض غاز لطيف جداً ، وان الحجر صلب يغرق في الغاز الى أن يصل الى مركز الأرض ، يبقى الحجر دائراً مع هذا المركز في فلك الأرض حول الشمس .

لا نعرف في الوجود قوة غير قوة الجاذبية . وكذلك لا نعرف حركة صادرة من مصدر غير قوة الجاذبية ، مباشرة أو غير مباشرة . فالحركة التي نسميها « الحركة الاستمرارية » ليست البتّة حركة مستقلة عن الحركة الصادرة من الجاذبية . بل هي حركة جاذبية محضة سميت تارة « استمرارية » بالمقارنة مع قوة جاذبية أخرى طارئة عليها ، أو مع حركة أخرى متسارعة أكثر منها . وسميت تارة أخرى « تسارعية » بالمقارنة مع حركة أخرى أقل تسارعية منها أو أقل انحناء منها .

وقد أرى اينشطين وثيرنغ بتمثيلين تخيليين أن نفس النوع الواحد من الحركة يظهر للشخص الواحد استمرارياً ، وللشخص الآخر تسارعياً اذا اختلف الشخصان في الموقف الجاذبي . وأثبتنا أن القوة الاستمرارية تساوي القوة الجاذبية . وبالنتيجة فكلاهما حركة مصدرها قوة الجاذبية . فاذن ليست القوة الاستمرارية إلاّ شكلاً وقتياً للقوة الجاذبية ، فتظهر خاصّة الجاذبية فيها متى طرأت عليها قوة أخرى (راجعه في كتابنا النسبية) .

٣ — انحناء خط الحركة

والقوة الجاذبية لا تسبب إلاّ حركة دائرية حول مركز القوة . فالجسم الواقع تحت سلطة الجاذبية يتحرك في خط منحن نحو المركز . فاذا طرأت عليه قوة جاذبية أخرى من جو جاذبي آخر كما لو تقارب الجوّان ، أصبح متنازع قوتي الجوّين وأكثر خضوعاً لأقواهما . واذا اشتدّ تقارب الجوّين تداور الجسمان حول مركز واحد مشترك بينهما .

الجسم الخاضع لجوّ جاذبي واحد يميل الى المركز بسرعة متزايدة أي متسارعة Accelerating الى أن يبلغ الى المركز ، أو الى أن يصده صادّ في طريقه فإن كان خاضعاً لأكثر من جوّ واحد جعل يدور حول أقواهما بسرعة مربعها يساوي سرعته المتزايدة ،

فيما لو كان تحت سلطة ذلك الجو وحده بنسبة $\frac{س^٢}{ش}$ = أي نسبة مربع السرعة الى البعد عن المركز

يتراءى لنا أن الجسم يسير حول مركز جاذبي بسرعة ثابتة كالأرض مثلاً تسير بسرعة ٣٠ كيلو متراً بالثانيــة في فلـكها حول الشمس بلا تغير (الاّ اذا كان الفلك أهليليجيًّا فتتغير سرعتها بحسب البعد عن المركز) . ولـكن الحقيقة أن الجسم يسير متسارعاً ، على أن تسارعه يختفي في انحنائه أو انحرافه عن خط السـقوط الى المركز . ولذلك مربع سرعته بنسبة بعده عن المركز يساوي معدل تسارعه نحو المركز كما تقدم القول آنفاً .

مهما كانت الأجرام متباعدة فان اجواءها الجاذبية متصلة بعضها ببعض ، ولو بضعف كلي . ومهما كانت ضعيفة عند التلاقي فقوتها كافية للتأثير في الجسم الذي يكون حظه أن يوجد هناك أو يمر من هناك ، ما دام لا يوجد جوّ جاذبي آخر أقوى . وهذا التأثير يكون أضعف بقدر مربع البعد عن المركز . وكذلك تكون السرعة بنسبة مربعها الى البعد . ومهما يكن الأمر فالجسم يخضع لأقوى الأجواء مهما كان الجوّ ضعيفاً . فلو كان بين جرمين مسافة ألف سنة نورية أو أكثر ، ولا جرم آخر أقرب إليهما ، فجوّ كل منهما يؤثر في الآخر على هذا البعد السحيق .

لذلك ، المـذنـب الذي يزور جوّ الشمس الجاذبي ويدور حولهـا في خط فوق الاهليليجي Hyparbola ولا ينتظر أن يعود ، فهو يشرد في الفضاء ، لا لأنه تمرّد على جوّ الشمس ، بل لأنه وهو منطلق اتصل بجوٍّ آخر متغلب عليه فاقتنصهُ أو عطفه عن مسلـكه الفوق أهليلجي ، ورده الى مدار اهليليجي عظيم . فقد يمكن أن يعود الى جوّ الشمس بعد أمد طويل جدًّا .

حاصل القول ان ما نراه من تغيُّر اتجاهات الأجسام المتحركة وتغير سرعاتها ، إنما هو نتيجة تنازع الأجواء الجاذبيـة لها . فلو لم يوجد الاّ مركز جاذبي واحد في الـكون لانتظمت حوله الأجسام في مدارات متضامنة ، الواحد ضمن الآخر . وهو الأمر الحادث في نظام الـكون الأعظم .

ينتج اذن أن الحركة في خطٍّ مستقيم اقليدوسي (حسب هندسة اقليدس) غير موجودة في الكون بتاتاً . وانمـا هي في خط منحنٍ دائماً ، لأن الجوّ الجاذبي منظم الحركة في هذا

الخط . ولذلك يعتبر الحيز Space مهما كان صغيراً أو كبيراً متخذاً شكله من طبيعة الجوّ الجاذبي الذي يشغله ، فيعد اذن متحدباً . وكل حركة فيه يجب أن تسير منحنية بحسب تحدُّبه

يعد الخط على سطح محدَّب (كسطح كرة الجو الجاذبي) مستقيماً اذا كان يطوف على هـذا السطح بلا تعرُّج . فهو بالاصطلاح الاقليدوسي خط منحنٍ يتم في دائرة . فكل حركة قصيرة في الكون هي قوس دائرة بالاصطلاح الاقليدوسي ، وخط مستقيم بالاصطلاح الجاذبي أو النسبي بالرغم من أنه محدَّب .

٤ — تناسب الكتلة الاستمرارية والكتلة الجاذبية

يستفاد مما تقدم : لا يُعتبر كل من القوتين (الاستمرارية والجاذبية) قوة مطلقة Absolute بل هما نسبيتان . وبناءً عليه لا تعتبر « الكتلة الاستمرارية » و « الكتلة الجاذبية » الاّ نسبيتين أيضاً .

حاشية — « الكتلة الاستمرارية » Inertial Mass هي ذات الثقل الاستمراري وذات الحركة الاستمرارية » . و « الكتلة الجاذبية » Gravitational Mass هي ذات الثقل والحركة المتغيرين بحسب البعد والقرب من المركز الجاذبي . كلاهما نسبيان وأصلهما واحد كما علمت

لهـذا السبب يتوقف ثقل الجسم على وجود الأجسام الأخرى التي حوله وعلى نسبة مركزه ، الى مراكزها . فالحجر لا وزن له لو كان وحده في الكون ، وانما يصبح ذا وزن حالما يوجد جسم آخر غيره في الكون . وكلما كان الجسمان متقاربين كانا أثقل وزناً لاستقواء الجاذبيـة بينهما . لذلك الحجر على الأرض يزن أكثر مما يزن على علو ميل عن سطحها . وعلى رأس الجبل يزن أخف منه وهو على الساحل . والقمر وهو في فلكه حول الأرض يزن أكثر مما لو ابتعد عنها ضعفي بعده . وإذا اقترب الى الشمس أكثر منه الى الأرض عظم وزنه .

مما تقدم نفهم الفرق بين الكتلة والوزن . الكتلة تدل على مقدار ما في الجسم من ذرات . والوزن يدل على مقدار ما يصيبها من فعل الجاذبية .

أفليس في هذه الأمثلة تصوير جلي لنظرية التساوي بين الكتلة الاستمرارية والكتلة الجاذبية ونسبة كل منهما الى الأخرى ؟

الحاصل أن القانون الجاذبي هو الأصل وجميع قوانين الميكانيكيات متفرعة منه ، خلافاً للنظرية القديمة القائلة ان قانون الاستمرارية الجاليلي أصل جميع القوانين .

لكل قوم موسيقاه

لان أوتار أعصابه السمعية مدوزنة عليها

جرى حديث في حفل عائلي عن الموسيقى غربية وشرقية، بعضهم يطربون من الموسيقى الغربية وينفرون من الشرقية . وآخرون بالعكس، وكلهم شرقيون . وجعلوا يتساءلون عن السر في هذا الإختلاف في حين أن الموسيقى فن شائع يستلذهُ جميع الأقوام على السواء. وكان تفسير بعضهم أن الموسيقى التي لا تطربك لا تفهمها . وهو تفسير سخيف كل السخف لأن الموسيقى ليست فلسفة ولا هي علمٌ يتفهمه العقل، وإنما هي فنٌ يتقبله الذوق . والذوق يتربى كما يتربى العقل . ولكل قوم موسيقاه ، كما أن لكل قوم لغته . فلا تستغرب أن الشرقي لا يستلذ موسيقى الغربي، كما أنه لا يفهم لغته . وكذلك الغربي لا يستلذ موسيقى الشرقي كما أنه لا يفهم لغته . لا تفهم لغة الأجنبي إلاّ اذا تعلمتها وخالطت أهلها، وكذلك لا تستلذ موسيقاه إلاّ إذا سمعتها كثيراً منذ الصغر .

على أن كثيرين من الشرقيين الذين يفضلون الموسيقى الغربية على موسيقى قومهم لايتذوّقون لا هذه ولا تلك ، وانما يزعمون هذا الزعم بدعوى أن الموسيقى الغربية أرقى من موسيقانا، وهم يريدون أن ينتموا الى القوم الراقين . فيتباهون أنهم حضروا الأوبرا وأعجبوا بألحانها ، ويذكرون القطعة الفلانية واللحن الفلاني . وموسيقى النابغة فلان . وهم لا يميزون بين هذه وتلك . ولا يقفون عند هذا الحد، بل يرمون الموسيقى الشرقية بالسخف والسقم والرجعية وخلوّها من الفن، الى غير ذلك مما يدلنا على جهلهم بها ، بل يدل على جهلهم المطلق للفنّ الموسيقي بتاتاً . فهم يفضلون الموسيقى الأفرنجية لا لأنهم تذوّقوها، كلاّ . بل لأنهم يتذرعون بهذا التفضيل الى دعوى الرقي في المدنية .

ولو كانوا ممن يفهمون الفن الموسيقي ودرسوا أصول الموسيقى الشرقية العربية

والتركية على الآقل لعرفوا أن لها مزايا ليست للموسيقى الغربية . وبهذه المزايا تنتج ألحاناً ممتازة تستوعب من الطرب ما لا يمكن أن تستوعبه الألحان الغربية . وإذا قارنت السلّم الموسيقي الغربي بالسلّم الشرقي اكتشفت هذه المزايا وأدركت سرّ الطرب وعرفت موطنه

السلّم الغربي مقسم الى سبع درجات متقاربة غير متساوية في الفسحات ، ونعني بالفسحات عدد الاهتزازات في الثانية بين نغم ونغم . ويتخللها خمسة انصاف الدرجة ، وهذه ليست نصفية تماماً . نرى الدرجات وانصافها في مفاتيح البيانو متساوية للنظر ، ولكنها ليست كذلك بمقياس الاهتزازات الذي يضبط اهتزازات كل نغم .

وأما السلّم الشرقي ففيه سبع درجات كالسلّم الغربي ، ولكن فيه أرباع درجات أيضاً . فضلاً عن الانصاف . وفي بعض الأنغام يستعمل نصف ربع درجة أي ثمنُ درجة . ولهذا أمكن أن تتنوّع الألحان الشرقية أنواعاً كثيرة باستعمال هذه الارباع والأثمان . فنشأت عندنا ألحان متعددة بهذه الأسماء : الرصد والبياتي والحجاز على أنواعه والنهوند والسيكاه والصبا الى غير ذلك من الألحان ، وهي كثيرة .

هذه الألحان تنشأ من استعمال النصف والربع والثمن بدل الدرجة الكاملة . ولهذا لا يمكن أن تعزف على البيانو وأشباهه ، ولا على الآلات النفخية المقيَّدة الدرجات التي لا تحيد عن نصف الدرجة البتة — وربما أمكن اصدار لحن الحجاز كار والنهوند على البيانو . أما الألحان الأخرى فيستحيل اصدارها . وهذا هو السبب في ان الموسيقى الشرقية تمتاز على الغربية امتيازاً بيناً ، وهما يختلفان ذوقياً ، ليس لأن احداهما أرقى من الأخرى ، بل لأن الأذواق تختلف باختلاف التربية منذ الصغر .

ثم أن السلّم الأساسي في الموسيقيين يختلف اختلافاً دقيقاً — أي أن « دو . ري . مي . فا صول . لا . سي » الغربية هي غيرها في الموسيقى الشرقية — تدرك هذا جيداً إذا كلفت موسيقياً أجنبياً أن يعزف على الكمان قطعة شرقية مربوطة بالعلامات الافرنجية فتسمعها نافرة جداً خلافاً لها فيما لو عزفها الشرقي ، ترى فرقاً بيناً بين العزفين . لا تستذوقه من عزف الأجنبي قط ، ولكنك تستذوقه من عزف الشرقي . لأن النغم « مي » مثلاً في عزف الأجنبي غير « مي » في عزف الشرقي وقس عليه .

وقد سمعنا مرة سيدة شرقية درست الغناء الغربي فقط واقتصرت عليه — سمعناها تغني « طقطوقة » مصرية تعلمتها ، فلم نتمالك أن ننفر منها نفوراً ظاهراً .

* * *

بقي أن نفهم السر في أن كل قوم يتذوقون موسيقاهم وينفرون من غيرها . فلا يخفى أن أداة السمع هي الأذن ، ومن طبلة الأذن تمتد الأوتار العصبية الى مركز السمع في الدماغ عن طريق الحبل الشوكي . وهذه الأوتار العصبية كالوتر الموسيقي يهتز اهتزازاً فسيولوجيًّا مطابقاً لاهتزاز الوتر الموسيقي، فيحمل نغمه الى مركز الأنغام في الدماغ . ولما كان الشخص يسمع من الصغر ألحان قومه ، فأوتار أعصابه السمعية تتدوزن مع الوقت كدوزان الأنغام التي يسمعها وتهتز كاهتزازها . فاذا سمع أنغاماً تختلف اهتزازاتها عن اهتزاز أوتار أعصابه ينفر منها كما ينفر ذوقك من سمع أنغام لا وفاق بينها No Harmony

أعني أن أوتار أعصابك السمعية تهتز متوافقة مع ألحان قومك لأنها مدوزنة عليها منذ الصغر فتطرب لها . ولـكنها لا تهتز اهتزازاً موافقاً لألحان غريبة عنك فلا تهتز بها أعصابك السمعية ، وبالتالي لا تطرب لها .

فمسألة أن الألحان الافرنجية لا تلذ لنا لا تفسير لها إلا أن أوتار أعصابنا غير مدوزنة عليها ، ليس لأنها غير جميلة أو خالية من الذوق . وأما الألحان القومية فتلذ لنا لأن أوتار أعصابنا مطابقة لها في الدوزان .

لا معنى لقولك أن الألحان الأجنبية جميلة والألحان الوطنية قبيحة لأنك تستلذ تلك ولا تستلذ هذه، المسألة مسألة دوزان أعصاب . فالغناء أو العزف الذي تسمعه منذ الصغر وتسمعه كثيراً ولا تسمع غيره يطربك ، وغيره لا يطربك للسبب الذي شرحناه .

اسمعني أعظم أوبرا ثم أسمعني بشرف رصد عاصم بك مثلاً أعرض عن الأوبرا واستغرق في هذا . ولا تلومني ولا ألومك اذا فعلت عكس ما أنا فعلت .

لـكل شعب موسيقاه يستلذها ويطرب لها ، وينفر من غيرها . فلا تلم ، ولا تعتز ، ولا تمجد .

سر الوراثة الطبيعية

لا بدّ أن يخطر ببالك أن تسأل عن سبب ان أخاك يشبهك وانك وأخاك تشبهان أبا كما من بعض الوجوه وتشبهان أمكما من وجوه أخرى . ولا بدّ أن يلوح لك أن تسأل لماذا لا يلد الانسان إلاّ انساناً والقرد قرداً والعصفور عصفوراً الخ . ولا تلبث ان تفسر هذا السر كما فسره المفكرون ان السبب هو الوراثة الطبيعية : — كل جنس يلد مثل جنسه وينتج بزراً يفرخ مثل جنسه .

ولكن هذا التفسير لا يقنع به العقل . فتسأل لماذا كل جنس لا يلد إلاّ مثل جنسه؟ لماذا لا يلد القرد غزالاً والغزال فهداً ؟ وبالاختصار هو سرّ الوراثة الطبيعية ؟ أين هو موضع هذا السر ؟

قبل الدخول بهذا البحث يجب أن نفسر سرّ الانتاج أي سرّ ولادة الحي لحيٍّ مثله حيواناً أو نباتاً. في كليهما عضو خاص بالتناسل (نضرب الآن صفحاً عن الأحياء الدنيا التي يوجد فيها عضوا الذكورة والأنوثة معاً) وهذا العضو نوعان نوع يسمى ذكراً وآخر يسمى أنثى ، فاذا التقى الاثنان معاً اندغما وصارا واحداً يقال له جرثومة ملقحة .

عضو الأنثى هو بويضة لا ترى إلاّ تحت الميكروسكوب (وقد ترى بالعين المجردة بالجهد) وعضو الذكر هو جرثومة لا ترى إلاّ تحت الميكروسكوب . كلٌّ منهما خليّة واحدة ويسميه بعضهم حويصلة ، وهما متشابهتان . وهذه الخلية ذات نواة في وسطها وحولها مادة زلالية لزجة تسمى بلازما . والنواة تسمى بروتوبلازما .

وبالتدقيق في فحص الخلية تحت الميكروسكوب يرى فيها خيوطٌ تتراوح بين اثنين الى ١٢ أو أكثر حسب نوع ذلك الحيّ . وهذه الخيوط تسمى كروموسوم Chromosoms

فتى حدث اللقاح دخلت جرثومة الذكر في البويضة التي هي أكبر منه لوفرة ما فيها من المادة الزلالية ، البلازما واتحدت النواة بالنواة واتصلت الكروموسومات بعضها ببعض وانطوت بعضها على بعض. وهذا هو اللقاح التامّ. وبعد ذلك تشرع الخلية الملقحة تتضاعف أي تتحوّل الى خليتين (متّصلتين)،فالى أربع فالى ثمان،وهكذا دواليك. وعلى هذا النحو ينمو الجنين .

موضع السرّ في هذه الكرموسومات :

في كل كروموسوم رهط من جريئيات تسمى genes جين . وكانت منذ عدة سنين تسمى gen جن . وكان جوليان هكسلي يستعمل هذا الاسم،والسير ارثر كيث يستعمل ذاك .

وقد درج العلماء الاميركيون على الاسم الأول وانطلق في عالم العلم الآن .

واللفظة أغريقيــة الأصل ومعناها سلالة . ولـكنها تلحق بألفاظ أخرى لمعان أخرى من معاني التوليد كقولك جينولوجيا واوكسيجن

هذه الجريئيات الجين gene هي التي تنقل خواص كل من الذكر والأنثى الى مولودها . هي سرّ الوراثة . كيف ؟

في كل كروموسوم رهط من هذه الجريئيات متصلة بعضها ببعض (وللسهولة نسميها بزيرات). وقد ذكر السر ارثركيث ان هذه البزيرات تبلغ في الخلية الواحدة نحو ٢٥ ألف بزيرة متجمعة في جماعات في الكروموسومات. واليها يعود الفضل في حفظ النوع للنوع أو الجنس للجنس .

ولما كان الذكر والأنثى من جنس واحد (ولا بدّ أن يكونا من جنس واحـد وإلاّ فلا يحصل لقاح) كانت خواصهما متشابهة . واذا اختلفا في الجزئيات فهما متفقان في الكليات . ولذلك نخواصهما الأصليــة تظهر في انتاج (الجيل) التالي تظهر عن يد هــذه البزيرات .

ان وظيفة هذه البزيرات genes هي ان للوحدة الواحدة القدرة على أن تنقسم (وتنمو بالتقسيم) أي انها تنتج أنفسها، ولهذا لا يمكن أن تنتج خلية مختلفة عن خليــة الجنس ، ولا ان ينتج حيٌ يختلف عن أبويه

و بفحص الذبابة المسماة ذبابة الخل التي سهل فحصها وجدوا ان البزيرات أورثت جماعات كبيرة متصلة بعضها ببعض . ووجدوا انه كان يوجد من هذه الجماعات بقدر ما وجد في الخلية من الكروموسومات المزدوجة . ووجد أحياناً أن بعض هذه الجماعات المتصلة متبادلة البزيرات بركوب بعضها على بعض، وتبقى كل جماعة متصلة، وهذا التبادل يحدث بين الجماعات المتصلة . أي بين جماعة مشتقة من الأب مع جماعة مشتقة من الأم .

وهذا التزاوج هيأ مصير البزيرات في الجماعة الواحدة وجعل المسافات بينها ميسّراً تزاوجها ، ووضع البزيرات على هذا النحو جعل في الامكان تقدير تصرفها في وضع يتيسر لها يظن أن جماعات هذه البزيرات تقيم صفّاً واحداً في كل كروموسوم . وسواء كان هذا الظن في محله أو لا ، فلا تأثير له في نظرية أن الخواص التي تنتقل بواسطتها تمثل سنة الوراثة الطبيعية . والأمر الذي توصلت اليه وراثة هذه البزيرات أنها تنقل عدة خواص من جيل الى جيل، وان كل واحد منها ينقل لأي ناحية من الجسم تأثيرات الوراثة وتأخذ لعضو أكثر مما تأخذ لآخر حسب الاقتضاء .

إن عدد الكروموسومات في « النوع » الواحد هو هو لا يتغير . ويعود يظهر كلما حدث انقسام في نواة الحويصلة . وهناك أدلة على أن البزيرات genes تصطف في خطوط متسلسلة بحيث انها في كل انقسام حين تنفسخ الكروموسومات بالطول تنقسم كل بزيرة تبعاً لانقسام الكروموسوم الاولى ، وكل كروموسوم ابن الكروموسوم الاولي يحصل على طاقم كامل من البزيرات كما كان لأمه . بطبيعة الحال تنقسم كل بزيرة كما ينقسم كل كروموسوم . ومهما تعددت انقسامات الحويصلة (الخلية) ففي كل انقسام تبقى النواة الناتجة من هذا التقسيم حاصلة على جميع عوامل الوراثة التي كانت في الام

والآن نرى بوضوح انه متى اتحدت بزيرتان نسليتان (ذكراً وانثى) في خلية واحدة وأصبحت ملقحة فهذه الخلية الملقحة تحتوي على ضعفي عدد الكروموسومات الأمهات (الا إذا كان هناك داعٍ لانقاصه) وهكذا كل نواة تنتج من هذا الانقسام يكون لها نصف عدد الكروموسومات المعتاد الذي يوجد في جسم الخلية . وفي التلقيح يعود العدد الى أصله . وبناء عليه قدر الوراثة الذي يناله الجسم الحي Organism هو مجموع العوامل التي

انتقلت اليه من والديه عن يد عضويه التناسليين. والعوامل أو البزيرات genes هي وحدات مستقلة، أهلة لأن تنمو وتتكاثر، وهي مستقرة، وأهلة لأن تنتقل مستقلة الى جيل آخر وان تنفصل الى العضوين التناسليين وان تتحد في تلقيح خلية أخرى. ثم انها تحافظ على ذاتيتها وخواصها (كل جنس لجنسه) حين تدخل في تكوين أو اتحاد مع بزيرات أخرى، أو تخرج من اتحاد مع بزيرات أخرى. ثم انها تعمل في الصلات الجوهرية في دائرة التمثيل أو التجدد في الجسم، وتهيمن في ادارة نموه وفي التفاعل مع العوامل البيئية بحيث انها تنتج الخواص المطابقة للخواص الأصلية. هذه البزيرات يمكن أن تقوي الأفعال الحيوية الأخرى أو أن توقفها. بزيرة واحدة يمكن أن تؤثر تأثيراً ظاهراً في جميع الخواص أو في بعضها. ووجود عدد من البزيرات (إذا لم تكن كلها) يمكن أن يكون ضرورياً لنضج عضو واحد أو تطوره.

ينجم عن ذلك أن الحي حيواناً (ونباتاً) يمكنه أن يظهر هذه الخواص التي يقتضي نضجها وجود البزيرات الضرورية.

ويلزم عن هذا أن خواص الفرد هي نتيجة التوازن بين نشاط هذه البزيرات المتكونة من اندماج بزيرة ذكرية بأخرى انثوية (لقاح) فاذا تغير هذا التوازن تغيرت معه النتيجة. يظهر هذا بالأكثر في نتاج الجنس ذكراً أو أنثى، فكل منهما نتيجة لنوع خاص من التوازن. ولكن كيف يمكن الفصل بين نوعي التوازن وكيف يمكن حزر نوع التوازن المنتج الأنثى من النوع المنتج الذكر. هذه من المسائل التي لا تزال في حيز التخمين عند الباحثين. لا تزال بعض مسائل الوراثة غامضة. وانما المهم أن يعلم القارىء أن موطن السر في الوراثة هو في هذه البزيرات الدقيقة التي لا ترى تحت معظمات الميكروسكوب الا جماعات متصلة كخيوط في الكروموسوم.

والمهم أن يعلم القارىء أن هذه البزيرات محافظة على شخصيتها أعني انها تبقى هي اياها من جيل الى جيل، ولا يطرأ عليها أي تغيير الا بتغير البيئة تغيراً كلياً اذا لم تفن البيئة الحي برمته. وهنا قرب بنا الموضوع الى موضوع آخر جوهري جداً في سنة التطور، وهو موضوع التغير Mutation وسنطرقه في مقال آخر ان شاء الله.

بورصة الحب

وقع الحادث الجلل بعد الحرب العالمية الأولى التي كانت تلقب بالعظمى وما هي بالعظمى اذا قورنت بالحرب الأخيرة . وقع عند « البلاج » الأكبر في رمل الأسكندرية في المقهى المكتظّ بالنظارة الى المتداعين في الأمواج اللاجئة الى الجوْنِ وقد خفت حدّتها وهبطت قممها ، والى المتمرّغين على الرمل والمتقاذفين بالكرات.

كان الأستاذ فريد مجيد جالساً لدى خوان وحده وفي يده جريدة وناظراه يطوفان بالجلاّس تارةً وبالمتداعين أخرى . واذ وقفت لديه سيدة بثوب أسود ممشوقة القوام أسيلة الخدين كحلاء نجلاء دائمة الابتسام ، وهي ترمي ببصرها الى هنا وهناك تبحث عن مكان . فلم يدعها تطيل الوقوف . فوقف وقال : تفضلي يا سيدة اجلسي فأخلي الخوان لكِ .

فقالت : لا والله . لن تترك مكانك . عيبٌ ان أقعد وأنت تمضي .

وقعدت على كرسي آخر لدى خوانه وقالت : يا للذوق هنا، ويا لقلة الذوق هناك .

وأومأت الى خوان خلفها وقالت : اما لاحظت يا بك انني قبل أن أترك مكاني المجاور لك ألقيت صدر الكرسي على الخوان لكي يُعلم ان المكان محجوز . فإذا بهؤلاء شغلوه بلا استئذان كما ترى .

حقّــا إنهم بلا ذوق . وأوشكت ان أعترضهم لكي أبلغهم ان المقام محفوظ لغيرهم . ولكنني خشيت ان أسمع ما لا يرضيني لأنهم يعلمون كما أعلم ان المكان محجوز . وربما كانوا أصدقاء الحاجز .

— لا . لا . لست أعرفهم . وإنما أخاف التثقيل عليك يا بك .

— تثقيل ؟ ان مثل هذا اللطف الأثيري ياسيدتي لا يوزن بميزان بل يحمل على أجنحة الملائكة

— لا بدع فإني أشعر إني في جوٍّ ملائكي لطيف جداً . بيد أني أخشى أن يكون المكان محفوظاً لاصدقاء تنتظرهم .

— لا أتوقع ان أتشرّف بأصدقاء أشرف من هذا الشرف ياسيدتي . ولا أتوقع

سروراً أسرَّ لي من هذا السرور . فالمكان مكانك وان كان لا يليق لك، ولكن ليس هنا أليق منه .

— أيمكن يكون مكانٌ أليق من المكان الذي يقيم فيه معدن الذوق يا سيدي . وإنما اذا عاد الصديق الذي كان معي ....

— يجلس مكاني وأمضي يا سيدتي .

— يا سلام ! لم أرَ في حياتي أرق من هذه الرقة السمحة .

— بلى . أنتِ .

فابتسمت ملءَ شفتيها وقالت : أظنني أصبت اليوم حظًّا سعيداً لم أصب أسعد منه في حياتي . فلا أضيعه . أظن حضرتك شاعرٌ . ولعلك أمير الشعراء .

أستغفر الله يا سيدتي . لست شاعراً وإنما أنا لسان الشعراء . أنا صحفي ينشر في صحيفته أجود الشعر وأطربه . واسمي فريد مجيد .

فاختلجت وقالت مبتسمة مازحةً : ويحي وقعتُ بين براثن الأسد . لا أدري أي نصيب يكون لي من قلم الصحفي المرهف الحاد .

— نصيب الزمردة النفيسة من تحفة الصائغ .

— صحيفة عربية أم أفرنجية ؟

— صحيفة اللغتين جميعاً . اقلب العربي الى الأفرنجية . والأفرنجي الى العربية .

— لله درك ! أليست صحيفتك « جريدة الوطن » .

— تشرفت جريدتي الآن بأن يبدو اسمها درة غالية من بين عقيق شفتيك يا سيدتي .

— إذن يجب أن أحاذر في الكلام أمام الصحفي لأن أقل هفوة لسان تُحسَب عليَّ .

— مهما فرَّطتِ يا سيدتي لا يمكن أن يصدر من هذا الفم العذب إلاَّ الأدب الرائع . فاطلقي لسانك النقي الطاهر ولا تخشي عثاراً . فلا يخرج من شاطىء الأدب إلاَّ الدرالنفيس

— حقًّا يا صديق . لا أقدر أن أجاريك بهذه المجاملات التبجيلية .

— إنما هو تبجيل في موضعهِ يا سيدة . اذا لم أعطكِ حقكِ من الوصف أجرم جريمة تستحق عقاباً .

— لا ريب أنك شاعر، فان كنت لا تنظم فتكون باخساً الشعر حقه .

— هل قرأتِ لي شعراً في جريدتي ؟

— الحق أقول لك أني لا أقرأ في جريدة الوطن الاَّ الأخبار والبورصة فقط لأني أعتمد على أقوال مكاتبكم البورصجي .

— أتضاربين في البورصة ؟

— اني منغمسة في المضاربة في هذه الأيام . فقد كان زوجي رحمه الله سمسار بورصة . وذلك السيد الذي رأيته معي كان صديق زوجي وهو مضارب كبير فشجعني واشتريت الفي قنطار قطناً منذ شرع القطن يرتفع . فاذا بعت بسعر اليوم أربح ٣٥ الف جنيه تقريباً .

— إذن فماذا تنتظرين ؟ لماذا لا تبيعين اليوم ؟

— انتظر الى أن يصعد السعر الى المئتي ريال للقنطار فأخرج رابحة نحو ستين الف جنيه . ألا تضارب أنت ؟

— أنا ؟ إن مضاربة رعناء كهذه — لا تؤاخذيني — لهي القمار المنكر، وأنا أكتب ضد القمار . فكيف أضارب .

— ولكنها فرصة سانحة نادرة للكسب . ألا تحب المال ؟

— لا . لماذا كثرة الألوف ؟

فهزت قبضة يدها وضربت بها الخوان ضربة خفيفة لطيفة وقالت : يالله . المال قوة.

— وأنا عندي قوة أعظم من قوة الستين الفاً . ماذا تفعل ألوفك هذه وفي الدنيا ملايين أمثالها . لا قيمة لألوفك هذه إلاّ حين تبتاعين بها شيئاً تتمتعين به. فبماذا تتمتعين سوى انك تعيشين عيشة الترف والبذخ . وهذه عيشة يعيشها ألوف من الناس .

— عجباً . وما قوتك أنت ؟

— أنا عندي المورد الذي يمتعني كما تمتعك الستون الفاً ، وعندي نفوذ يحسب له الناس والهيئات الرسمية وغير الرسمية وأصحاب الأعمال الكبرى الحساب . بهذه القوة يمكنني أن أزعزع البورصة التي تضاربين فيها .

فاختلجت مقهقهة وقالت : يا لطيف ألطف . بربك مهلاً الى أن أصفي حسابي في البورصة وأقبض ألوفي .

— أخاف يا سيدتي أنك لا تقبضين شيئاً إذا لم تسرعي الآن وتصفي حسابك .

— لا أصفي قبل أن يرتفع السعر الى المائتي ريال .

— قابلي مكاتب جريدتي البورصجي واستشيريه في الأمر .

— صاحبي الذي كان معي هنا خبيرجدًّا ، ولقد أصبح الآن رابحاً ٣٠٠ الف جنيه . وهو يؤكد لي أن سعر القطن لا يقف قبل المائتين

— فهزّ فريد رأسه وقال ضاحكاً : قصور في الهواء يا ....

— اسمي سعاد .

— يا سيدة سعاد . ها صاحبك مقبل . إذ شئتِ فنلتقي غداً في كازينو الشاطبي . فهو أقرب للبورصة من هذا البلاج وثم نتكلم ملياً .
وتركهما معاً ومضى .

***

كانت نهاية الساعة الأولى بعد الظهر في اليوم التالي حين أقبلت عليه سعاد بوجهٍ مشرق في كازينو الشاطبي . وقبل التحية قالت باسمة : أما قلت لك أن القطن سيصعد اليوم . لقد أقفلت البورصة على ١٨٥ ريالاً للقنطار .
وجلست . وقال : أوَما بعتِ حتى الآن ؟
— كلاّ لن أبيع الاّ بمايتين .
فقهقه ملء فيه وقال : وأظن الذين يشترون بمائتي ريال منك لا يبيعون إلاّ متى ارتفع السعر الى المايتين وخمسين . فالأفضل ألاّ تبيعي . هل تتفضلين بأن تتغدي معي ؟
— أوه . بألف الف شكر . أتغدى بكل شهية لأني مسرورة .
فقال مازحاً : لماذا الشكر وستدفعين ثمن الغداء من الستين الفاً المنتظرة . أليس كذلك ؟
— طبعاً طبعاً
— قولي لي ماذا تفعلين بالستين ألفاً متى صارت بيدك
— سأستمر بالمضاربة . اشتري أسهم القنال مثلاً (ضاحكة) ولكن قل لي . ما قولك اذا اشتريت « جرنالك » وتبقى أنت رئيس التحرير العربي وأنا رئيسة التحرير الافرنجي
فقهقه وقال : انها فكرة بديعة لم تخطر على بال مضارب . كم تدفعين ثمن الجريدة ، وكم تعينين لي ماهية .
— أدفع ثمن الجريدة خمسة آلاف جنيه . ألا تكفي ؟ وماهيتك خمسين جنيهاً في الشهر . « كويس كدا » ؟
— كثر الله خيرك ... الستون ألفاً التي تُمنّين نفسك بها لا تكفي ثمن الجريدة

والثلاثماية جنيه ماهية لي تكفي لأجل خاطرك

— وي . وي . أنت نهّاب غير وهّاب . هل تكسب أنت هذا المبلغ الآن ؟

— أكسب ضعفيه . ولذلك قلت لك ان الستين ألفاً لا تكفي لأنها لا تأتي بريع يساوي المكسب الذي أكسبه

— اذن أنشىء أنا جريدة جديدة لنفسي . ما ذا يمنعني ؟

— تضيعين الستين ألفاً في ستة أشهر . هذا ان حصلت على الستين ألفاً .

— يا لله . أراك دائماً متشائماً بشأني . الستون مضمونة .

— اذا كنتِ واثقة فأنصح لكِ أن تصفي حسابك غداً صباحاً بسرعة ولو صُفيَت الستون ألفاً ناقصة .

— يا لله . على مَ تبني هذا التعجيل ؟

— على أن تصاعد ثمن القطن بهذا القدر الباهظ جنون مطبق . لا يوجد في سطح الكرة الأرضية مصنع غزل ونسج يشتري القطن بمايتي ريال [1] . فبكم يبيع نسيجه اذن ؟

هزّت رأسها غير مقتنعة بهذا الكلام . ثم قالت : أكلمك جديّاً الآن . هل تشاركني بجريدة الوطن وأدفع لك نصف ثمنها عشرين ألف جنيه ؟

— أشاركك بها من غير أن تدفعي ثمناً البتة اذا شئتِ .

— كيف ؟ لماذا ؟

إذا شئتِ أن تشاركيني في الحياة والفكر والآمال، فشركتك هي أغلى ثمن . أقدم لك نصف الجريدة مقابل رضاك بهذه الشركة . فما قولك ؟

فاكفهرت قليلاً وابتسمت بسمة الابتهاج وقالت . هذه مسألة خطيرة . مسألة فيها نظر . سأجاوبك بعدئذٍ .

***

في اليوم التالي صدرت جريدة الوطن وفيها التلغراف التالي :

---

(١) بعد هدنة الحرب الماضية ارتفع القطن الى ٢٠٠ ريال بالفعل ثم تدهور بعد ذلك الى ٤٠ ريالا .

« قابل مكاتب جريدة نيو اورلينس الأميركية المستر هوفان رئيس بورصة القطن في نيو اورلينس في ولاية لوزيانا في أميركا وسأله عن رأيه في تصاعد أسعار القطن في جميع مصادره. فأجاب ان هذه الأسعار المتصاعدة غير معقولة لأنها غير طبيعية. فالمصانع تفضل أن تقفل أبوابها وتنتظر الموسم القادم على أن تشتري بهذه الأسعار الفاحشة لأنها لا تستطيع أن تبيع منسوجاتها بأسعار فاحشة »

وما انتشرت جريدة الوطن بهذا التلغراف المفاجيء حتى ارتجت بورصة القطن وشرع مالكو القطن يعرضونه بحسب السعر الأخير وبأقل منه فلا يتقدم لهم شارون. وأقفلت البورصة على سعر ١٥٠ بعد أن كان السعر ١٨٥

في اليوم التالي اجتمعت سعاد بالأستاذ فريد في كازينو الشاطبي وهي في غاية الاضطراب وقالت: ويلاه. البورصة في انهيار يا أستاذ فريد. عرضت اليوم بسعر ١٢٠ فلم أجد شارياً وأقفلت البورصة بسعر ١١٠ ريالات

— اذهبي غداً صباحاً باكراً جداً واعرضي البيع بسعر ٥٠ ريالاً، فاذا نجحت بهذا السعر فاشكري الله.

— ويلي. كيف أخسر ستين ألفاً بلفظة فم.

— خير أن تخسري الستين من أن تخسري كل شيء. هل دفعت كل الثمن الأصلي أم عليك منه دين؟

— لم أدفع إلا ستة آلاف وهي كل ما كان عندي. هي ثلث الثمن. والبنك دفع الباقي. ان هذه الكارثة نتيجة التلغراف الذي نشرته في جريدتك يا أستاذ. أما كان يحسن بك أن تحذرني قبل أن تنشره.

حذرتك مراراً ونصحتك كثيراً فلم تقبلي نصحي. ولعلك كنت تستخفين بقولي الى أن شعرت بها حين هزت البورصة وزعزعتها، وهي تتداعى الآن. الويل للمضاربين الموج الرعن. اسرعي غداً صباحاً وبيعي بأي ثمن لأن «سنينك» لم تبق لها قيمة.

* * *

وذاع تلغراف جريدة الوطن في جميع أوروبا وأميركا الى أن ورد الى جريدة التيمس

تلغراف من نيواورلينس (ونقل عنها الى كل العالم) « ان هذا الحديث الذي نسب الى هوفان لا أصل له، بل هو مختلق ولا وجود لشخص في بورصة نيو أورلينس باسم هوفان. ولعلَّ جريدة الوطن المصرية مختلقتهُ. ولكن فحوى التلغراف هو الصواب بشأن تصاعد أسعار القطن. فالشخص الذي اختلقه أصاب كبد الحقيقة »

في صباح اليوم التالي جاءت سعاد الى كازينو الشاطبي حيث كان الأستاذ فريد ينتظرها وهو يتوقع نكبتها. أقبلت عليه مقرَّحة الجفون متورِّمة العينين من البكاء فتلقاها واقفاً قائلاً: مالك يا عزيزتي تبكين:

— آه - آخ. ويلي خسرت كل شيء. الأصل والفرع. الربح. ورأس المال أيضاً. فقد وصلني صباحاً خطاب من البنك مستعجل يطلب التصفية، فذهبت اليه فاذا هو قد صفى حسابي ولم يبق لي شيء سوى إنه يطالبني بعجز مئتي جنيه. ويلي. خسرت كل شيء خسرت كل شيء. هذا بسبب تلغرافك.

— تلغرافي لم يأتِ بالكارثة بل عجل بها لأن بورصة القطن كان محتوماً لها الانهيار. المال فداك ياعزيزتي. لا تجزعي. لم تخسري إلا المال الذي كان يتطاير في الهواء. وأما شخصيتكِ التي لا تساويها كل أموال الدنيا فباقية. خذي هذه الوثيقة.

ودفع اليها ورقة فقرأت فيها عقد مشاركة بالجريدة بينها وبينه ولها من الحقوق ماله فقالت: ولكن ليس عندي ثمن النصف.

— إذا شئت أن تدفعي ثمناً فتكرمي بهذه اليد الطاهرة الكريمة فهي أثمن من كل شيء عندي.

فمدت يدها فقبلها قبلات حارة وهو يقول: لقد ملكتِ أعظم ثروة في الدنيا.

وهي قبلته وقالت: حمداً لله لم أخسر شيئاً بل كسبت كل شيء ثمين ونفيس في الدنيا.

وعقدا عقد الزواج في نفس النهار في بورصة الغرام.

ن. ح

العزلة في رأس الجبل

٥ — حلة ما انقطع

الحرية

قال الناسك : تركنا الحديث عند دك البستيل . تدك البستيل لا لتطلق الحرية بل لتطلق الفوضى . لا أظنك تجهل ماذا عقبَ دك البستيل منذ قرن ونصف . ولعلك تقصد بدك البستيل دك العبودية .

قلت : طبعاً . هذا ما أعنيه . أوَليس إذا زالت العبودية تنطلق الحرية من عقالها ؟

قال : — لا يمكن اطلاق الحرية من غقالها ، وترك الحبل لها على الغارب . لا بد من قيود للحرية بحسب ما يقتضيه النظام المدني . ولجلاء ذلك أروي لك حكاية زنجي من الزنوج العراة الذين ليس على عورتهم الاّ مئزر آدم . استخدم هذا الزنجي بعض المرسلين الانكليز في إحدى المستعمرات القصية في مجاهل افريقيا . فأنس لهم ولصق بهم واجتهدوا أن يهذبوه لما توسموا فيه من الفطنة والذكاء بالنسبة الى قومه . فعلموه بعض التعليم المستطاع وألبسوه وأعاشوه معهم عيشة راضية . ثم أخذه أحدهم معه الى انكلترا في عطلة سنوية . وهناك ألبسه الثوب الذي نلبسه . وكان يأكل لدى المائدة ومن الصحفة وبالشوكة والملعقة الخ . ولكنه ما لبث أن تضجر وتشكى من الغربة وأصرَّ على العودة الى ذويه . فأعاده الى بلده الشخص الذي اصطحبه . وما أن صار بين قومه حتى عاد الى عريه وحياته القديمة . فسأله المرسلون : لماذا فعلت هكذا ؟ أما كان أفضل أن تبقى في ثوبك وفي أدبك وتمدُّنك الذي اكتسبته ؟ فقال : ان المدنية أتعبته جدّاً . الطوق حول رقبته كاد يخنقه والبنطلون والصدرة كادا يطبقان ظهره على بطنه . والشوكة والملعقة نكدا عيشه . فهو في عريه وفي همجيته سعيد . المدنية قيد لحياته ، والهمجية حرية مطلقة له في معيشته . فهو حر الآن أن يأكل ويشرب وينام ويطوف ويحب ويلعب ويشتغل كما يشاء . هكذا قارن الزنجي همجيته بمدنية الغرب . هذه قيد وتلك حرية .

هذا اختبار محسوس للحرية . كلما خطت المدنية خطوة الى الأمام وبعدت عن الهمجية ، ضاقت دائرة الحرية . وقد تبلغ المدنية الى حد أن الفرد يصبح كالجندي الذي تحت السلاح

لا حرية له، بل يجب أن يتصرف بمقتضى النظام الواسع المعقد. فاذا شئنا أن ندك الباستيل فليس لكي نطلق الحرية، بل لكي نقضي على عبودية الجمهور للفرد. وإنما لا نقضي على عبودية الفرد لنظام الجمهور.

قلت: أشكر لك يا سيدي هذا التحليل والتمييز بين الحرية المطلقة المؤدية الى الفوضى، والحرية المحدودة التي يمكن أن يكون الفرد فيها خاضعاً لنظام الجمهور، وكذلك بين العبودية التي يخضع فيها الجمهور للفرد، وعبودية الفرد للجمهور. ولكن أليس شعور الفرد بالعبوديتين واحداً؟ عبودية والسلام.

فضحك وقال: أظنك لا تطيق أن تدفع جزية لفرد لكي يتمتع ويبطر وأنت تشقى. ولكن تسرُّ بأن تدفع ضريبة لحكومة تعرف انها ستنفق هذه الضريبة لمنفعتك.

قلت: ولكني لا أطيق أن تفرض عليَّ عبادة اللهِ مثلاً سواء أكانت فرض فرد أو فرض حكومة جمهور. ولا أطيق أن يكون الزواج بقيود شديدة سواء كان القيد فرداً أو جماعة.

قال: اني معك في هذين المثلين. وانما يجب أن تلاحظ جيداً. ان نظام الحكم الشعبي أو الجمهوري لا يكون بناءً على رغبة فرد كالحكم الفردي، بل بناءً على رغبة سواد الشعب. فإذا كان الشعب يحكم نفسه بنفسه، لا يستبد سلطانه بحرية الفرد فيما يخصه نفسه فقط ولا شأن لغيرهِ بهِ. ففي الحكم الديموقراطي الذي بسطناه آنفاً ترتفع يد السلطة عن حرية الفرد في عبادته وعقيدتهِ وحبه وحياتهِ المنزلية الخ.

قلت: أما مسألة الحب هذه فموضوع جدير بالبحث المستفيض. الى أي حد يجب أن يكون الزواج مقيداً.

قال: لا ينبغي أن يكون للزواج قيد غير الحب، والحب وحده. وإلاَّ كان القلب مظلوماً في نظام المدنية الديموقراطية الراقية.

حرية الحب

قلت: ألا يخشى من فوضى الزواج اذا كان الحب فقط شرطاً له.

قال: نطرق هذا الموضوع بحكاية فكاهية طريفة. هل تذكر ان الريح كانت شديدة منذ يومين:

— نعم. كانت كعاصفة في الساحل.

قال: وهنا كانت في أشد عصفها لأن مزرعتي مرتفعة ومعرَّضة كثيراً للريح. سمعت في

أثناء ثورة الريح خوار أحد الثيران . فذهبت الى الحظيرة لأرى ما الخبر . فإذا الثور الأشهب يناطح الريح، حتى كاد يقتلع الوتد فقلت : ماذا بك يا أشهب .

قال : أريد حريتي لكي أؤدب هذه الريح وأعلمها النطاح .

ففككت رسنه عن قرنيه وقلت : ناطح ما شئتَ .

وشرع يعدو في رحبة الدار . وإذا بالريح تقول له — ويحك يا غبي . ما زلتَ أسيراً في مزرعتك ، فكيف تظن أنك حرٌ الآن ؟ ما أنت مناطحاً إلاّ أخمص قدميّ ، لا تستطيع أن تصدني عن كرمتك وبستانك وزرعك . فإذا ازددت هياجاً ضدي كسحتُ أشجارك وزروعك . النطاح لا يجديك شيئاً ما دمت أسيراً . ولو كنت حرّاً لما باليت بهبوبي. أنظر الى الطير فانها جزلةٌ بعاصفتي . لأن عاصفتي تحملها وتندفع بها الى مسافات أقصى من مسافات طيرانها . فهي حرّةٌ تندفع حيث تشاء راكبة على منكبي .

فقال الأشهب : حقاً ان الطير في نعيم ولا تقوى عليها الريح، بل هي تمتطيها سعيدة . فبالله كيف حصلت الطير على حريتها يا ريح

فقالت الريح : حصلت الطير عليها بمثل ما حصل الانسان على حريته .

— بماذا .

— بقوة الحب .

— الحب ؟ ما الحب ؟

— أترى يا غبي أن آسرك حرمك معنى الحب ؟ ألا تفهم ما هو الحب ؟

— ما هو ؟

— هو قاعدة الزواج

— ولكني لست محروماً نعمة الزواج .

— ولكن زواجك بلا حب إنما هو خضوع لأمر الغريزة فقط . ولا حرية لك فيه . وأما الحب فهو النعمة التي لم تتمتع بها . ولو حصلت على هذه النعمة لكنت كالانسان ولا سلطة له عليك . بالحب تعرف الخير والشر . وتعرف الحرية وتنعم بالرزق بأقل عناء . إنك بجهلك الحب تضطر ان تعول الانسان قبل ان تعول نفسك . الحب مصدر السعادة . فأنت بلا حب بلا سعادة ....

— ها . ها . ها . قفي يا ريح هنا . فهمت ان الحب كل شيء فعلميني كيف أحب .

— تحب البقرة بلقاء وتداعبها وتداعبك وتلاعبها وتلاعبك ولا تداعب غيرها، وهي لا تداعب غيرك ، فتكونان زوجين متحابين، لا شريك لكما في الدعابة واللعب .

— ولكني أفعل هكذا أحياناً .
— لا تفعله عن حب روحاني، بل عن شهوة جسدانية .
— ما هو دليل الحب الروحاني .
— الغيرة . الغيرة دليل الحب الروحاني .
— ما هي الغيرة .
— هي أن تغتاظ اذا كان الثور الأبلق يداعب زوجتك البقرة بلقاء . وتناطحه وترده عنها . وهي أيضاً تغتاظ اذا كانت البقرة نجلاء تداعبك فتناطحها وتردها عنك. هذه هي الغيرة، وهي دليل الحب الروحاني الحقيقي .

فقال : الأشهب : وهل عند الطيور حبٌّ كهذا .
— نعم زوجا الحمام يتماشقان ويتساكنان سعيدين كل العمر، ويبتهجان معاً بفراخهما ويستلذان التعاون في بناء عشهما وتربية فراخهما .
— وهل الانسان يحب هكذا أيضاً ؟
— الانسان ؟ آه من الانسان . ما تسلط الانسان على جميع الحيوانات إلاَّ بقوة الحب . بل تسلط على كل شيء في الطبيعة بقوة الحب . وبقوة الحب استطاع أن يبني بيتاً ليرد عواصفي عنه، بل استطاع ان يمتطيني. بقوة الحب استطاع ان يعتقل كل قوة في الطبيعة، فسخَّر الرياح والبحار والأنهار والهواء والنور لخدمته . بقوة الحب ملك الطبيعة كلها . وكل ما يفعله الانسان من عظائم الأمور إنما يفعلهُ لأجل الحب وبقوة الحب . فإذا كنت يا أشهب تحب تصير حرًّا وعلى تمادي الزمان تصير قادراً كالانسان

والتفت الأشهب فرأى الثور الأبلق يلحس البقرة بلقاء وهي تلحسه . فهاج الأشهب غضباً وهجم على الأبلق ونطحه، فطفقا يتناطحان نطاحاً شرساً حتى كاد الواحد يبقر بطن الآخر أو يكسر قرنيه، الى أن وقعا على جدول الماء الجاري أمام باب الحظيرة . فصاح الجدول بهما : تبًّا لكما . أما وسعتكما الأرض على رحبها حتى دستما عليَّ وعكرتما صفائي ؟ ما بالكما تتناطحان ؟

فقال الأشهب : ان الأبلق هذا يعتدي على زوجتي بلقاء . فسأبقر بطنه، وأعلمه كيف تكون الغيرة .

فقال الجدول : وي وي وي . لله منكَ غبيًّا . ولم يبقَ في الوجود غير البقرة بلقاء حتى تتنازعانها، اذا داعب الأبلق بلقاء داعب أنت نجلاء، واذا لاعب هذه، فلاعب أنت تلك .

— ولكن بلقاء زوجتي خاصة بي وأغار عليها .

— إنك أحمق ، أليس أفضل أن تكون زوجاً لكل بقرة ، وكل بقرة زوجة لك ولغيرك ؟ من عداك بهذا الحمق ؟ الانسان ؟ الانسان الذي يحب ويستأثر ويغار ثم تدفعه الغيرة وحب الاثرة الى القتال والتفاني . إني أحذرك من شر الاثرة فانها توردك مورد التهلكة . حاذر منها

— ولكن الحب . آه الحب قوة عظمى أيها الجدول يتسلط بها المحب على الكون .

— ويك ! الحب ؟ الحب الانساني ؟ ما هو حب ، بل هو اغراق في الشهوة . إنك أغنى من الانسان بالحب الذي وهبتك الطبيعة . تحب اليوم بلقاء . وغداً تحب نجلاء . وبعد غدٍ تحب شهباء . فأنت في بحر من الحب . فلماذا تحبس نفسك في بركة منه .

— ولكن قيل لي ان الحب شيء روحاني يختلف عن حبنا الحيواني . وهو لا يكون الاّ باختصاص كل من الحبيبين نفسه بالآخر .

— لقد خدعك من لقنك هذا الدرس . إن الحب شيء غريزي قضت به الطبيعة ، الحب الذي يدعيه الانسان ويزعم انه روحاني انما هو حب مصطنع مزيف متجاوز حدود الطبيعة . فاذا شئت أن تقاوم سنة الطبيعة تعبت وشقيت . ألا ترى الانسان كلما نجح في مقاومة الطبيعة ازداد شقاؤه واتسعت دائرة تعاسته ، لأنه يضطر أن يجاهد بكل قوته في مغالبة الطبيعة . وأما أنت وأخوانك من البهائم فلا تعانون كثيراً لأنكم تطاوعون سنن الطبيعة . وأنا نفسي مرتاح كل الراحة . بمجاراتي لسنة الطبيعة . أنحدر حيث أجد منحدراً لأني لا أستطيع الارتفاع الاّ بأن يركب بعضي على بعض . وهذا ما لا أستطيعه الاّ إذا كان أمامي سد يوقفني . وحيث أجد عقبة ألتوي الى حيث أجد منحدراً فانحدر فيه . ولذلك أظل أنحدر الى أن أصل الى البحر الذي هو الهي ومنه صدرت واليه معادي حيث أتمتع بالاتحاد به . فلو شئت أن أقاوم ناموس الثقل لما استطعت . وهب إني استطعت هذا المستحيل فلا أبلغ الى الـهي البحر . وهكذا أنت اذا تمت تخالف سنة الطبيعة تعست وشقيت ، ولا تتمتع بنعمة الحب الحر التي هي غايتك القصوى . ألا ترى أنك منذ طفقت تخالف هذه السنة قامت العداوة بينك وبين أخيك الابلق . واذا جرت الأبقار

على خطة الحب الإنساني أفنت بعضها بعضاً اقتتالاً . فحاذر أن تتشبه بالإنسان . واعدل عن هذا الجنون الذي لا أدري من رماك بهِ . تالله قل لي من لقنك هذا الدرس الخبيث ؟

—آه تباً للريح . فهي التي خدعتني بما لقنتني . إن عظتك يا عزيزي الأخدود لهي الحكمة الطبيعية .

— الريح سخرت منك لأنك جعلت تنطحها . فاسمع انها تقهقه هزءاً بك الآن .

وكانت الريح قد خفت ثورتها وتحوَّل سخطها الى نرثرة فقالت : هكذا تنتقم الريح من الثور الذي ينطحها . افهم عظة الأخدود جيداً فهي حكمة بالغة .

فعاد الأشهب الى الحظيرة نادماً عمَّا فعل ، وتبعه الأبلق مسامحاً ، كأن لم يحدث بينهما شجار

* * *

هذه حكاية الثورين الأشهب والأبلق يا عزيزي . وقد تعلمنا منها فلسفتين قديمتين الأولى ان الحب غريزة طبيعية لا قِبل للانسان ولا لغير الانسان على مقاومتها . فهو حرٌّ في سنة الطبيعة . والثانية ان الحب نظام اجتماعي مقيد بشريعة الزواج .

قلت : هنا نظامان متناقضان : نظام طبيعي — غريزة — ونظام اجتماعي — زواج. فأي النظامين يجب أن يقوم، وأيهما يجب أن يسقط ؟

قال : بحسب شريعة الحرية التي نحن بصددها يجب أن يقوم الحب الغريزي لأنه لا يناقض النظام الاجتماعي ما دام خاصًّا بالفرد وحده ، وفي كل حال يقوم أقوى النظامين.

— أيهما الأقوى .

— قال اليك حكاية الحب الأقوى .

وفي العدد القادم « الاتحاد الروحي »

نظرات في النفس والحياة
- ٢٢ -
جوتا بين الفرد والعالم — الخاتمة

قال مازيني الزعيم الايطالي المعروف : — « يصح أن نُسمّي مؤلفات جوتا دائرة معارف في أمور بَدَد لانظام لها،وذلك لأنه فقد الشعور بالوحدة التي تؤلف بين الحقائق والأمور،وكيف يكون هذا الإئتلاف في مؤلفاته،وهو لا مكان للإنسانية فيها،ولا شعور بها في قلبه . لقد حمل (فيخت) الفيلسوف بندقيته بعد محاضرة من محاضراته كي يشجع الدفاع عن الحرية،وجوتا ساكن لايتحرك،بينما كانت الشعوب حوله تناضل عن حقوقها ... وبدل أن يصف مثال الكمال في آحاد قصصه اعتنق مادية شعرية أدته الى عدم المبالاة والى انتحار جهوده الأدبية » ... وفي مقال آخر يقول « ان فكر جوتا فكر عقيم لأنه لا صلة له بالعمل » .

وقال هنري هيني : — « ان قصص جوتا ألفاظ ميتة،لا تؤدي الى عمل نبيل،كما تؤدي قصص شيلر » .

وقال هنري هيني في مكان آخر « ان الفن الذي يقتضيه وصف آحاد قصص جوتا الذين يتعثرون في أخطائهم فى أشق وأعظم من الفن الذي يَتَطَلَّبُهُ وصف آحاد قصص شيلر »

وقال شتاويل : — « لقد أخطأ الناس فهم جوتا،وفهم قلبه الكبير ، ونفسه العظيمة، فإذا أهملنا مؤلفاته أهملنا ما فيه دواء وشفاء لكل حمّى تنتاب حياتنا الحديثة.ولقد صرّح جوتا في آخر «فوست» أن لانجاة للعالم والأمم،إلاّ إذا تعلم الآحاد والشعوب ضبط النفس والتغلب على شهوة التملك والتحكم » .

وقال ألدوس هكسلي : — « لقد فطن جوتا الى الأسباب التي تقتل الميزات الفردية في الحضارة الحديثة فرجع هو وشيلر الى الحياة الأغريقية القديمة،إذ كان الأغريق ينشدون حياة فيها الحرية اللازمة لظهور الطباع والميزات الفردية » .

وإشارة ألدوس هكسلي تُذكّر بمقالة (الحضارة واختلاف الطبائع) التي نشرناها في المقتطف في عدد مارس سنة ١٩٤٧ وقد اقتبسنا ما رواه ثيوكيديدس من خطبة بركليز الشهيرة التي يفخر فيها بالحضارة الأثينية ، وانها تعطي كل إنسان الحرية اللازمة لطباعه وميزاته الشخصية . وذكرنا في تلك المقالة رأي جيزو المؤرخ السياسي الفرنسي ورأي جون ستوارت ميل الفيلسوف الانجليزي ، وإنهما كانا يريان أن الحضارة تكون أتم ثمرة وأزهر زهرة،وأعظم فضلاً وأثراً إذا صينت الطباع الفردية .

ومن أجل ذلك يرى ألدوس هكسلي أن لجوتا فضلاً كبيراً على الحضارة الحديثة.

أما خصوم جوتا الذين أشار مازيني الى مبالغتهم في خصومته فقالوا ان مؤلفات جوتا في الأدب الألماني مثل داء السرطان في جسم الإنسان ، فيصدق فيهم قول ستاويل أنهم لم يفهموا مقاصده.وأما اتهام مازيني جوتا إنه كان لا يشعر بالإنسانية فهل أدلّ على تواضعه في الشعور بها من قوله في نظرة سابقة : — أنظر في نفوس الناس،ثم أنظر في نفسي فلا أرى شيئاً من آثامهم أو عيوبهم أو أخطائهم كان من المحال أن أرتكبه وأتصف به) فالرجل الذي يرتضي لنفسه الهوان كي يظهر صلته بالإنسانية في جميع مظاهرها ، لايقال إنه لا يشعر بالانسانية إلاّ على سبيل المبالغة . وأما قول مازيني ان جوتا كان يفصل بين الفكر والعمل.ففي آخر قصة«فوست» في محاورة فوست لنفسه يحتم في الحياة التهدّي من الفكر الى العمل دائماً.وقال جوتا : ان نابليون أخطأ في احتقاره المفكرين النظريين،إذ أن الفكر يؤدي الى العمل ، ولكن مازيني يعني نوعاً خاصاً من العمل،وهو العمل الثوري السياسي الذي كان جوتا لا يميل إليه . وكان هم مازيني طول حياته القيام به ، كما أن جوتا يعترف أنه لا يثق بفكر العامة ولا بعملهم إذا أُلقِيَ لهم الحبل على الغارب . فاذا كان كل هذا عيباً فهو من عيوب جوتا . وأما حمل (فيخت) بندقيته فلو أن نابليون تجنب الشَرَه لاستطاع النيل من المانيا بارضاء اطماع دول المانيا المتنافرة . أما قبول جوتا وسام الشرف من نابليون فربما كان متورطاً في ذلك . والواقع أن نابليون كان يعمد الى اظهار كبار المفكرين الألمان كأنهم يمالئون له توريطاً لهم . وأما خطأ جوتا في تقدير أماكن الضعف في دولة نابليون فيكفي في عذره ما رأى من تخاذل ملوك المانيا وقبولهم ألقاب الملك منه،وعلى

أي حال فهو خطأ منه . وقد حذر جوتا الألمان من أن تكون لهم أطماع كأطماع نابليون ، كما حذرهم من ارتكاب الفظائع في الحروب حتى ولو كان ارتكابها تشبهاً بالأعداء . وقال ان النصر الذي لا ينال الا بارتكاب الفظائع غير جدير بأن ينال . وكان مازيني يعيب على جوتا اهتمامه بالفردية في أدبه . ويرى أنه من المستحيل التوفيق بين الفردية والجماعة بينما كانت طريقة جوتا أن يعطي آحاد قصصه الحرية لمحاولة التوفيق بين طباع الفرد وحقوق الجماعة،فمن استطاع التوفيق تثقف وتعلم،ومن لم يستطع خاب أو هلك. واذا قرأنا كتاب (واجبات الانسان) لمازيني نراه يحث على الواجبات وضبط النفس كما حثَّ جوتا،ونراه يرى الجماعة الوطنية حلقة من حلقات الانسانية العالمية ، كما رأى جوتا الذي حذّر العالم من حب السيطرة والتملك . ونحن نرى كتّاب غرب أوروبا يعيبون على الروسيا ان اتساق النظام الشيوعي يقتل الميزات الفردية . وعلى أي حال فان محاولة جوتا التوفيق بين الغرضين محاولة جليلة . ووسائل اليونسكو التي يقوم بها أخو الدوس هكسلي ووسائل مجلس الأمن في بث التفاهم بين العالم ونشر السلام هي وسائل جوتا سواء أنجحت أم لم تنجح. وكان ألدوس هكسلي يرى أن أسباب ضياع الميزات الفردية بسَوْقِ الناس على نمط واحد (ستَنْدَرِيزِيشون) موجودة في الدول الغربية،فالمصانع تخرج له ملابسه وآلاته وأزياءه على نمط واحد، والتخصص في العمل يقصر فكره على أمر واحد،والجرائد والمجلات والملاهي تهيء له أخباره وأفكاره وملاهيه على نمط واحد،والتعبئات العامة في الجيوش الحديثة تسوق الناس الى نمط واحد أيضاً . وربما كان ألدوس هكسلي مبالغاً (كما يبالغ في بعض الأحايين) في بيان خطر هذا الاتساق، ولكن رأيه معقول . والاعتزاز بالميزات الفردية كما أوضح هي خطة جوتا مع التوفيق بينها وبين الجماعة والعالمية .

وفيما يلي بعض آراء جوتا مع التعقيب عليها : —

(١) ينبغي أن يتذكر المرء أن في نفس كل انسان خواطر لو عبّر عنها صراحة سببت استياء واستهجاناً ، والتعبير عنها يكون اما من العجز عن ضبط النفس واما من قلة التمييز بين ما يليق وما لا يليق ، واما من التعود على الانسياق في شرح خطرات النفوس ، كما يفعل الشعراء والكتاب،وأما بالعدوى في البيئات غير المثقفة التي يدعو فيها استرسال انسان في

هذا الامر الى استرسال أصدقائه ومعاشريه . وهذه النظرة تذكرني قصة تمثيلية من تأليف يوجين أونيل الأمريكي فيها يتحدث كل أناسي القصة بحديثين ، وينطقون بقولين ، أولاً القول الذي لا يضير سماعه والذي هيء للقول ، وثانياً القول الذي يعبّر عما في النفس فتسمع انساناً يُظهر لآخر المودة في حديثه الأول ، ثم يعقبه بصوت منخفض حديث نفسه الذي يدل على كذب الحديث الأول يُعبّر عن الحقد والذم،ولو كانت هذه سنةً جارية في الحياة لما استطاع أن يتعاشر الناس . ومن قبيل هذا ما ذكره جوتا نفسه عن حديث نفسه عند ما قال إنه من حماقة حب العظمة الباطلة كان يجول بخاطره إن أمه حملت به سفاحاً من أمير جليل الشأن ، ولم يكن جوتا عاجزاً عن ضبط لسانه، وإنما آثر هوان نفسه ووخزها كي يعظ الناس ويعطيهم درساً كما فعل جان جاك روسو في بعض اعترافاته ، ولم يكن روسو فاقد الشعور، بل كان شديد الإحساس بما يؤلم. وقد اتخذ بورن اعتراف جوتا دليلاً على العقوق الفاضح وفقدان الإحساس بالكرامة والتملق للأمراء ، وجعل اعتراف جوتا هذا اظهاراً للطبع الغالب عليه . ولعله قد غلبه طبع صراحة صاحب الفن، أو غلبه دافع خفي نفسي الى التكفير عن الخاطرة باعلانها للناس

(٢) إنما تراد التقوى لتثقيف النفوس أرفع ثقافة ، وللبلوغ الى الطمأنينة والسكينة . أما الذين يقولون إن التقوى غاية في نفسها،فانهم ينتهون إما الى مغالطة أنفسهم، واما الى مغالطة الناس — وهذه النظرة هامة لأنها توضح طريقة جوتا في نظره الى الأمور ،إذ كان يرى أن قيمة كل أمر حتى التقوى وهي أطهر الأمور إنما هي فيما يُكسب النفس من ثقافة. وقيل أن هذا نوع من الأثرة وحب الذات،ولكن يستطيع جوتا ان يقول أن الأثرة المكروهة تنافي الثقافة النفسية. واذا قيل ان التقوى إنما تراد لطاعة الله،قال جوتا ان طاعة الله في تثقيف النفس وتهذيبها . وهذه النظرة هامة أيضاً اذ توضح قوله ان من يتخذ الوسيلة غاية في نفسها قد يضل عن الغاية الأصلية،وقد يتخذ للغاية الثانية (أي للوسيلة التي صارت غاية) وسائل تنافي الغاية الأصلية . فكم من أناس مع التقوى والتدين يتخذون وسائل تخالف مقاصد التقوى والتدين السامية النبيلة ويُحسّون احساسات تناقض غاياتها السامقة .

(٣) إنما يكون الواجب حيث يُحب المرء الأمر الذي أمرته به نفسه وفرضته عليه. وإنما يريد جوتا ان لا يفصل بين الواجب والسرور بعمل الواجب. وما كان يَغرُب عن باله ان ضبط النفس الذي يحث عليه يقتضي حملها على مالا تود من الخير وفطامها عما تحب من الشر، ولم يخفَ عليه معنى قول عمرو بن كلثوم

ولكن فطام النفس أعسر محملاً من الصخرة الصمّاء حين ترومها

(أعسر أي أصعب وأشد) ولم يَغِبْ عنه معني قول البوصيري .

والنفس كالطفل إن تُرضِعْهُ شبَّ على حب الرضاع وان تَفْطِمْهُ ينفطمِ

ولم يفُتْهُ أن النفوس اذا لم تعالج بالضبط يوشك ان يصدق في كثير منها قول الحصين ابن المنذر .

أمرَتْهُ نفس بالدناءة والخنا ونهته عن طلب العُلى فأطاعها

ولكن جوتا رأى أن من عمل على تكرُّهٍ ويغض لما يعمل غير جدير بأن يُدْعى مُؤدِّياً لواجب ، فان نفسه قد تكون منطوية بسبب هذه التأدية على خبث وحقد وغيظ ومكر وقسوة ونفاق وتضليل وغلظة وكذب وتهيئة السوء وحب الانتقام، فيضرّ ويؤذَى نفسه كما يضر ويؤذي غيره . وهذه النظرة توضح اهتمام جوتا بالصواب والصدق، والحق في جوانب القول المختلفة ، فهو يرى ضبط النفس ويرى مع ذلك ما قد يكون في قهرها وإرغامها من شر . ويرى أن صفات الشر المنبعثة من الرغم والتكره في العمل من غير سرور به قد يزيد شرها على فائدة العمل الذي أداه المرء مكرهاً، فهو إذاً غير جدير بأن يدعى مؤدياً الواجب .

(٤) ينبغي أن نتذكر انه كما أن عظماء الرجال يكسبون نسيج الانسانية متانة في النسج ، ويمينون الى حدّ ما طراز ذلك النسيج ، فان عامة الناس هم الذين يكسبون نسيج الانسانية سعة وعرضاً وطولاً وعظمة بتلك السعة ، فهما مثل السدى واللحمة . ولا يستغني صنف عن صنف من الناس . وهذه كلمة من الكلمات العديدة التي يظهر جوتا بها شعوره بالانسانية. ومثلها قوله في نظرة سابقة (كل انسان مهما كان مستقلاً عن الناس ، في عيشه ، إما مدين وإمّا دائن للناس في الأقوال والأعمال والآراء والاحساسات) .

(٥) كما أن التفكير النظري يؤدي المرء عن طريق المشاهدة والتطبيق الى فهم الحقائق وادراكها، كذلك ينتهي المرء بالمشاهدة والتطبيق الى الفكر النظري، ولا غنى للانسان عن اتباع الطريقتين. وفي هذه النظرة استدراك على من يريد أن يقصر الطريقة الحديثة في الفكر والاستنتاج على الوصول عن طريق المشاهدة والتطبيق الى الفكر النظري العام، وهي الطريقة التي عممت واتبعت وفُرِّطت بسبب سوء الأخذ بالطريقة الأخرى وقهر الشواهد على أن تؤيد ما بدىء به من التفكير النظري. ولكن الواقع ان الانسان من عهد ان كان ساكناً في الكهوف الى عهدنا هذا يستخدم الطريقتين كلاً منها في مكانها ووقتها ومناسبتها.

(٦) إن المقاصد الأكثر سمواً ورفعة أعظم أثراً في النفس وإن لم تتحقق وتنجح من المقاصد التي هي أقل سمواً ورفعة لأن المرء عندما يطلب الاولى ويفكر فيها ويعمل لها تنمو جوانب نفسه وعقله بالتهيؤ لطلبها والسعي في سبيلها، ويكون أثرها في نفسه أعظم وأتم نفعاً من المقاصد الثانية — وهذه النظرة تدل أولاً على حث جوتا الناس على المقصد الأسمى، وثانياً على تمييزه بين المقاصد والوسائل فانه عندما قال (ان الانسان لا يستطيع أن يصل الى الكمال غير المحدود الا عن طريق الأمر المحدود، ولا يستطيع أن يبني مثال الكمال إلا على الأمور الواقعة) كان يعني الوسائل التي يتخذها المرء في سبيله.

(٧) ينبغي للمرء مهما أجاد في عمله أو فكره أن لا يحسب أن الناس كانوا يرقبون مجيئه الى هذا العالم، وانهم ما كانوا يستطيعون أن يعيشوا من غير عمله أو فكره، فكثيراً ما يخادع المرء نفسه حتى نفس من ليس فيه غناء. وانما هذا مصداق قول أناتول فرانس ان كل حي من الأحياء حتى ولو كان كلباً صغيراً يرى انه مركز الكون، ومحور العالم. ولعلَّ في قوله بعض المبالغة. أما جوتا فانه لا يريد أن يصرف الجدَّ عن العمل والفكر، وإنما يريد منه أن يعرف الأمور على حقيقتها، وان عمل المرء مهما كان عظيماً إنما يكون عظيماً بالاضافة الى عمل غيره من الناس، وهذا من شعوره بتماسك الانسانية وتضافرها ووحدتها. وعلى ذلك فان قول كارليل لو خيرنا بين أن نفقد امبراطورية الهند وبين أن نفقد مؤلفات شكسبير لاخترنا أن نفقد امبراطورية الهند، ليس معناه ان الناس ما كانوا يستطيعون

أن يعيشوا من غير شعره، وما فيه من ثقافة وفكر ووصف للنفوس .

(٨) كان الانسان دائماً يعيش تحت ظلال الحروب المتوقعة، لأنه في جميع تاريخه كان يحاول أن يسيطر على غيره وهو غير مسيطر على نفسه حتى في بحثه عن الجمال — ويعني جوتا بالجمال المعنى الأعم الأشمل، وفيه معنى الاصلاح والتنظيم والتنسيق.وفي هذا القول اشارة الى خطة الساسة الذين يفضلون اتساع دولتهم طولاً وعرضاً بدل اتساعها عمقاً بالاصلاح الذي في كل دولة مجال كبير له. وفضلاً عن حب السيطرة على غيرهم فقد كان يغريهم بذلك خشية إغضاب الطوائف والآحاد إذا مس الاصلاح مرافقهم الخاصة ، أو الاعتزاز بكرامة قومية مؤسسة على التغافل عن أوجه النقص . ولكن الاصلاح الداخلي يؤدي الى زيادة عدد السكان وهذه الزيادة تبعث على طلب السيطرة على غيرهم، الا إذا كان ضبط النفس المنشود يشمل أيضاً ضبط النسل وتحسينه، وهو ما يقول به كثيرون الآن .

(٩) ان ملكة التمييز التاريخي هي في ذلك التمييز العقلي الذي يستطيع به المرء عند قدر المعاصرين وأحوالهم أن يقدر أثر الماضي في الحاضر ومقدار تغلغله فيه . وهذه الملكة قد يكتسبها بعض الناس بالقليل من دراسة الماضي، ولا يكتسبها غيرهم بالكثير من تلك الدراسة، شأنها شأن التجارب التي قد يهتدي بالقليل منها انسان ، ولا يهتدي بالكثير منها آخر. إما لأنه خيالي النزعة،واما لشرود لبه، أو استغلاق عقله، واما للزهو والثقة بالنفس البالغة فوق حد الاعتدال وأما لأن المرء رهن احساساته فهو لا يملك أمره .

(١٠) ان فطنة الانسان الى رجاحة فكرة وإلى فائدتها لا تدل على أنه قادر لا محالة على الاستفادة منها بتطبيقها . وكثيراً ما ابتكر الناس أموراً نافعة وظلت مدة طويلة لا أثر لها في حياتهم ، اما من نقص في التطبيق، واما من إحجام الناس عن كل جديد . بل إن في العقل ما هو أغرب من ذلك،فقد يفطن المرء،الى رجاحة الفكرة،ومع ذلك تظل هي ونقيضها في عقله كل يحتل مكاناً خاصاً .

(١١) ان كتابة التاريخ قد تكون طريقة من طرق التخلص من الماضي . ولعل هذا مثل أن يكون الشاعر أو الكاتب في قيد حادث ماض أو شعور قديم فلا يتخلص منه إلا بأن يعبر عنه فتطمئن نفسه وتستأنف في الحياة أعمالاً واحساسات جديدة ع . ش

لقــاء

« الى التي ركعت أمامي وابتهلت ، وخضبت الارض بدموعها وبللته الى أمي الحنون ، والى التي لم ألمح سوى تألق ابتسامتها ودمعتها .. ولم أع « عنه » سوى هتفاتها الرقراقة . . الى أخت روحي وعروس شعري .. إليهما ، بكل خشوع وضراعة ، أقدم هذه الباقة من قطوف الوجدان »

لقاء . . تضجّ به الذكريات ولا تأتلي ،
. . وينشد فيه الفؤاد رؤى مأملي ..
وتسبحُ فيه العيونْ
. . كَصفصافةِ الجدوَلِ

لقاء . . وأمٌّ حنونْ .. تقبلني بالشفاه والعيونْ
وتلثم مني الجبين ، والجفونْ
وتعذلني بالهَتونْ
تسائلني : « أين كُنت ؟ .. فلم يبق إلاّ الذماءُ ! »
وأختُ لروحي تقول :

« علامَ بعدتَ وأشقيتنا ؟؟ وكيفَ نأيتَ وعذّبتنا ؟
فذُقنا العناء وذقنا الضّنى
. . لماذا ؟ بحق السماء ؟ »
فتعصرني سورةٌ من ذهولْ .. كزهر الحقولْ
تصوحُهُ قَبَضات الشقاءْ
والذّبولْ ..

« علامَ ؟ . علامَ ، وكيف ؟ وأيْنَ ؟ »
أفَقْتُ على جرسها في اليدينْ

تصافح قبل الدخولْ .. أكفُّ الحبيب العذولْ ..
على كفِّ أختي الصغيرة كنزْ
... تُضمخُه مُهجتي باللُّجَين
وتبرِ العفافِ الجزيلْ

وفي كفّ أمّي إكليل نورْ . . تعانق والأصفرينَ . . !
كأني من الدّمعتينْ . . على وجهها الشاحب المُستَجيرْ
جريحٌ عليل . . قتيلْ

وطيفُ أخي من بعيدْ .. تعانقهُ بالحياهْ
عيوني وعيناها
وتلثمهُ في صلاهْ
كما تلثمَ الأمُّ ثغرَ الوليدْ .. إذا صاح « آهْ .. »
كأني به في سرورٍ لِما . .
. . ترنّمهُ مترعات الشفاهْ
طليقُ الحدودِ ، سعيدْ ... تصفق ، مثل الفؤاد ، يداهْ
سأنحتُ فوقَ صخورِ الخلودْ . . صدى شهقتَين !
وأشعلُ فوق جبين الدهورْ . . لظى دَمعتَين !
كأن الوجودْ . . يعاتبني « أينَ ، أينْ ؟
ويذرُو ابتساماته والنشيجْ
خلال البُحور . . . وبين « البروجْ »
. . على مقلتَين مقرّحتَين !

إذا أنتَ يا خيرَ ما في « الشعورْ » برِحتَ مغاني الأبُودْ
وجُزتَ كهُوفَ الخُلودْ . . وجُرفَ البقاءْ
فأيّ وجودْ ؟ ، وأيّ دهُورْ ؟
هباءٌ . . رمادٌ وتُرْب قبورْ ..

لقاءٌ .. وزهرٌ ونور
وطهرٌ يرفرف مثل الطيور .. غزيرَ البحور
وآهات قلبٍ كبيرْ ..
تداوي القلوبْ

وَطيبْ ..
من العفة الفاغمهْ
تؤجّج أعرافهُ حالمهْ
بطلعتها الحلوة الباسمهْ
فتجبرَ مني الكسور
وتلامُ مني الندوب ..

وتسألني : يانجاح .. لماذا نكأتَ الجراحْ ؟
لما أثرْتَ النواح ؟
ولكنني .. سأصفحُ عنك فإنّ الصباح يَبثُّ السماح
وقد جفت الظلمة القاتمهْ
بنارِ الوجيبْ ..
وجرَ اللقاء .. »

وعند المساء .. رجعتُ الى منزلي
قتيل الشقاء .. بقلبٍ طروبٍ خلي ،
وفي النفس نايُ اللحون ، يرقص مستقبلي
ويهتف فيّ وليّ :
« كئيب ؟ حزين ؟ ! تبسّم فهذا اللقاء »
فأجهشتُ نضو الشكاة :
« رأيت غدي يجندل هذا اللقاء »

العراق نجاح جمال الدين

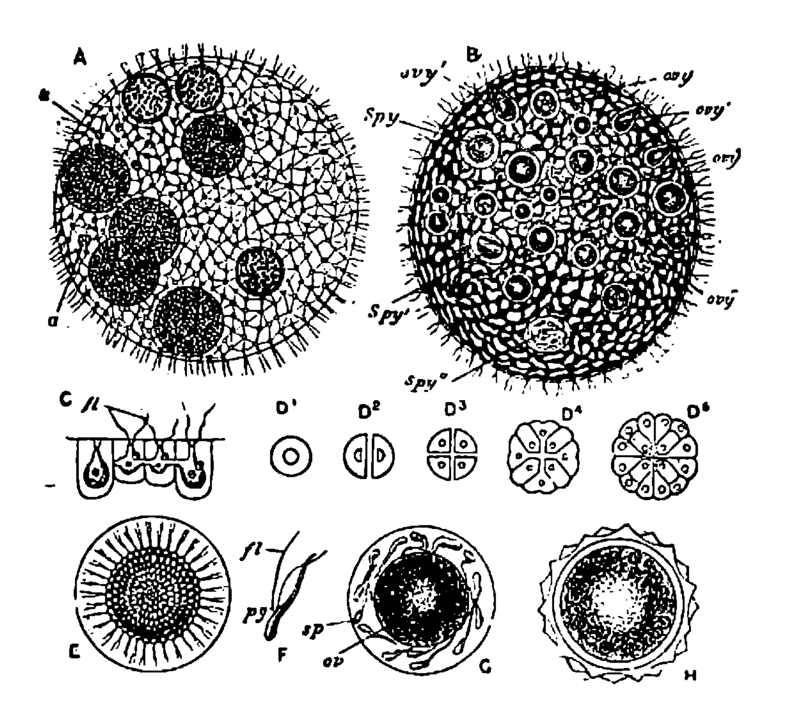
كيف نشأت
الذكورة والأنوثة

نحن نعلم أن الحياة ابتدأت تنمو وتكثر بتقسيم الخلية الواحدة الى خليتين، ثم تتضاعف وتتضاعف الى ما لا نهاية له. هكذا هي عملية النمو في الميكروبات والخليات المفردة. ثم تطورت الحياة الى أحياء متعددة الخليات المتصلة والمرتبطة بعضها ببعض، وصارت تنمو باللقاح بين ذكر وأنثى. فكيف نشأت الذكورة والأنوثة، وصار لكل منهما شأن خاص مهم في الحياة؟.

سُئلت هذا السؤال شفهيًّا. ولم يتسن لي أن أجيب عليه توًّا جواباً صائباً قبل أن أدرسه. وهو سؤال يخطر تقريباً لكل شخص يدرس مسألة التناسل أو يفكر فيها.

ان هذه المسألة من اختصاص موضوع التطور، وأعني تطور الخلية التي هي وحدة الحي. ان التطور ابتدأ منذ بزوغ الحياة، منذ نشأت الخلية شرعت تتطور. فتطورت الى خليةٍ ذكرية، وأخرى أنثوية منذ صار الحي متعدد الخليات، بل قبل أن يصير هكذا، أو حين أوشك أن يصير هكذا. فهناك نوع من الميكروبات من الدرجة العالية يدعى مستيغوفورا Mastigofora يمتاز بذيل أو ذيول يستعين بها على الحركة والانتقال البطيء. وله خاصة التناسل بما يشبه التلاقح، وهو أبسط أنواع اللقاح. ففي بعض أنواعه يتقارب فردان منه ويمتزجان حتى يصبحا فرداً واحداً، أي جرثومة. ثم تشرع هذه الجرثومة تنمو وتتكاثر بالانقسام كسالفيها. أو متى نضجت انفجرت من عدة بزيرات أو خلايا دقيقة. وكل جرثومة أو خلية تستأنف الحياة أو التوالد بالتقسم. وأحياناً يكون هذا الاتحاد أو الامتزاج أو الاقتران بين خليّة صغيرة نسميها جرثوماً ونجمعها على جراثيم، وخليّة كبيرة نسميها جرثومة ونجمعها على جرثومات. وهما تمثلان الذكر والأنثى ولكنهما ليستا كذلك.

مثال ذلك : نوع من الجراثيم يقال له Volvox ڤولڤوكس ينمو بعضه حتى يتكوَّن منه عدَّة خلايا وينحل إليها . وبعضه ينقسم على التوالي الى خليات صغيرة بشكل قضيب وهو الجرثوم . ولكلٍّ منها ذيل أو ذيلان يصفق بهما سابحاً الى الكبيرة التي تكون مستقرة في مكانها ثم يقترن بها . فتنشأ منهما خلية جديدة وتتكوَّن مستعمرة جديدة . كما ترى في شرح الرسم التالي الذي اقتبسته من متن علم الحيوان للأستاذين جفري باركر Jeffery Parker والدكتور وليم هاسول Dr. William Haswell الاميركيين .



في هذا الرسم إيضاح لهذه العملية في خلية نوع يسمى Volvox ، حرف A مستعمرة مشتملة على عدة مواليد نشأت من لقاح سابق كما سترى . ترى المواليد فيها كريات متولدة بالانشقاق من الأم الملقحة ؟ والشبكة التي تحضنها هي بلاسما ، يعني مواد زلالية تحضنها جميعاً . وحرف B نفس المستعمرة في حالة النضوج التناسلي، والبقعات المشار إليها بحروف ovy هي جرثومات (أو خليات أنثوية)، والكريات المشار إليها بحروف Spy هي خليات مشتملة على جراثيم (أو خليات ذكرية) . حرف C أربعة حيوينات أو خليَّات في حالة

التقسّم والشروع في الاستقلال. حروف D تكوّن المواليد التناسلية، أي المهيّأة للتناسل.
E خلية تحوّلت الى كتلة جراثيم (جمع جرثوم) صغيرة. F، جرثوم واحد وله ذيلان لكي يصفق بهما ويسبح الى الجرثومة المستقرّة بلا حركة.
G جرثومة يحيط بها عدّة جراثيم تهيّأ للقاح. H الجرثومة وقد تلقحت وصارت مستعدة لأن تكون كالخلية في حرف A والبقعة التي في وسطها وفي وسط سابقتها هي نواة الخلية.

ولا يخفى عليك أن كلاً من الجرثوم والجرثومة إنما هي خلية، وكلاً منهما تحتوي على نواة، والنواة تحتوي على كروموسومات، وكل كروموسوم يحتوي على عدد كبير من البزيرات genes (وقد فهمت ما هما من مقالنا في هذا العدد عن سر الوراثة). فهما متشابهان بكل شيء إلاّ في الشكل الظاهري وفي الوظيفة. ومتى اندمج الجرثوم بالجرثومة اندمج أيضاً كل من نواتيهما بالأخرى وصارا واحداً. هكذا يتم اللقاح. وهذا هو الاقتران الجوهري في جميع الأحياء.

* * *

هذا أبسط أنواع اللقاح. أما كيف تطوّر هذا اللقاح البسيط حتى صار لعضوين مختصين بالملاقحة فلا يزال غامضاً. لأن التلاقح التناسلي (بين عضوين مختصين) يمكن أن يكون أبسط مما ذكر آنفاً عن التناسل في الخلية المفردة. ففي الأحياء المتعددة الخلايا يوجد عضوان للتناسل ذكر وأنثى. فتخرج من عضو الذكر جرثومة وتتحد ببويضة الانثى: تتحدان نواة وبلاسما، وتصيران جرثومة واحدة فينشأ الجنين.

عاملا اللقاح (الذكر والأنثى) قد يختلفان قليلاً أو لا يختلفان بتاتاً. ففي الجراثيم الفردية يمكن أن تتحد جرثومتان متماثلتان فتمتزجان فتنشأ منهما جرثومة واحدة هي بنتهما. ولكن هذه الطريقة البسيطة للتلاقح لا تمثل درجة من درجات تطور اللقاح، ولكنها تنبئنا كيف ابتدأ هذا التطور. ولما كان التلاقح سنة في الأحياء من نبات وحيوان فهو إذاً ابتدأ على شكل واحد في أسلاف الفريقين. لا بدّ أنه ابتدأ منذ نشأت الجرثومة

البروتوبلاسمة الأولى أي منذ كان نافعاً لـكتلتين حيويتين مختلفتين اختلافاً بسيطاً في خواصهما: كان صالحاً لهما أن تمتزجا ولتستغلاً امتزاجهما.

من الحيوانات المتعددة الخليات الدنيا أنواع من الفطريات يقال لها Algae. كل خلية منهما يمكن أن تلاقح أختها، أي أن تكون جرثوماً أو جرثومة أو ينشأ منها جرثوم واحد (أو جرثومة)، ويشترك في توليد الجيل الجديد. ولـكن عند النباتات والحيوانات التي هي أعلى درجة من الفطريات، ميلاً الى تخصيص وظيفة اللقاح بخليات خاصة قائمة بذاتها، منذ تكوُّن الجنين وان تقيم في عضو خاص. وهكذا نشأ الفرق أو التمييز بين الخليات اللقاحية والخليات البدنية المكرَّسة لوظائف التفريخ، أو وظائف الحياة والنمو. وعلى هذه الحقائق تأسست نظرية استمرار الجرثومة التي تنتقل من جيل الى جيل بواسطة الخليات اللقاحية. ويمكن أن تتبع في خط لا ينقطع من الخليات غير المتمايزة الى الخلية الملقحة الأصلية، والى مدى يمكن أن يقال عنده أنها مستقلة عن الجسم الذي احتواها، وفي حين أن الحي المتعدد الخليات يحتمل تعدد الوظائف، وأخيراً يموت، وتبقى الخليات اللقاحية مولدة نسلاً جديداً من جيل الى جيل.

* * *

بقي أن نسأل ما الحافز الذي دفع الخلية الواحدة أن تقترن بخلية أخرى لـكي تتحدا في خلية جديدة، وتستأنفا التكاثر بالتقسم أو بالتبزير أو التبرعم (أي نشوء برعمة منها تنفصل عنها وتصبح جرثومة جديدة)

يُظن أن البيئة أصبحت قليلة الصلاحية للنموّ، فضعفت السلالة الجرثومية. فاستقوت بهذا الاقتران. ولما اتحدت الاثنتان وصارتا خلية أو جرثومة واحدة جمعت قوتيهما معاً فصارت أقوى من واحدة مفردة. هذه نظرية ظنيـة فقط. وقد يكون الحافز تغير في البيئة. وهـذا التغير هو أول ضرب من ضروب ما يسمونه Mutation. على أي حال هذا الحافز الذي نحن بصدده لا يزال سرّاً غامضاً.

وقد أشرنا آنفاً الى نظرية أن الخليتين رأتا أن اقترانهما واتحادهما في خلية واحدة

أفيد لمصلحتهما فاتحدتا ، كأن الحافز لاتحادها هو المصلحة . ولك هنا أن تسأل هل لهذه الجرثومة أو الخلية عقل أو ما يشبه العقل يفهم أو يدرك أن مصلحتها في هذا الاقتران ؟

ليس ما يمنع ان في الجرثومة الناضجة سجية الاقتران أو نزعة لهذا التجاذب بين الخلايا ، هو حلقة فيها أو في جبلتها في طبعها قوة التقارب . كما ان التجاذب سجية في الذرات وفي الالكترونات والبروتونات . وهو سنة طبيعية لها . فلا يمنع ان تكون للخلية هذه السجية ، كما ان لعناصرها الكيمية هذه السجية التي نسميها إلفة كيمية . فالطبيعة كلها قائمة على حسن التدبير فيما بين أجزائها . فاذا شئت أن تسمي هذا التدبير عقلاً فلا بأس ، سمّه عقل الطبيعة ، وقانون الجاذبية هو دماغها . ألا ترى أن كل عمل في الطبيعة محكم متقن منظم لا يختل ، كأنّ هناك عقلاً مدبراً ؟ ففي الطبيعة حكمة ليست لهذا العقل البشري الذي نتبجح به

رأيت فيما سبق أن اللقاح ابتدأ بين خليتين مستقلتين فاتحدتا ، أعني أن عامل اللقاح كان نفس الحي كله ، وانتهى أخيراً بأن صارَ للقاح عضو خاص به ، وأما سائر أعضاء الجسد فليس لها شركة في اللقاح سوى أنها تتولى وظائف احياء الجسم ونموه وهنائه . يفهم من هذا أن عملية التناسل هي الأمر المهم في الحياة لأنها كانت في الأحياء الأولى كل شيء في الحي ، وقد تكرّست الحياة كلها لها ، وكان كل ما في الخلية يعمل لأجل هذه العملية . ولما تخصّصت الأعضاء التناسلية لها دون بقية الأعضاء بقيت هكذا الأمر المهم في الحياة وبقي العضو التناسلي أهم الأعضاء في الجسم، وصارت جميع الأعضاء الأخرى خادمة له تقدم له الغذاء والهناءة والشهوة وكل ما يلزم له من العون للقيام بوظيفته . فالدماغ الذي هو رأس الأعضاء في الجسد يقدم له الحب ، والمجموع العصبي يقدم له اللذة ويحرّض الشهوة ، وسائر الأعضاء تقدم له الغذاء والوقاية والحماية وسائر لوازم الحياة والبقاء . فما غرض الطبيعة من هذا التدبير ؟

يقول عالم التطوّر والفسيولوجي وعالم العقل وسائر علماء عناصر الإنسان ان الغرض من هذا التدبير هو الحرص على البقاء ، بقاء السلالة أجيال تتوالى آخذة بعضها برقاب بعض. ومعنى هذا أنه لا موت . يموت الجسد بأعضائه المختلفة ويبقى الجين Gine يورث الحياة

من حيّ الى حيٍّ . ومن جيل الى جيل . هـذا هو العنصر المهم في الحياة — فإذاً هو الحيّ الخالد . يموت الأفراد وتبقى السلالة ، فغرض الطبيعة بقاء السلالة . ومهما تنوّعت فالحياة باقية الى أن تتطوّر الأرض ولا تبقى صالحة للحياة . وأول ما يفنى من الأرض هو حياتها .

* * *

إذن لنا هنا ان نسأل ما غرض الطبيعة من نظام التلاقح هـذا ؟ ماذا تستفيد الحياة حيوانية ونباتية ، من نظام الذكورة والأنوثة ؟

لولا هذا النظام لما كان تنوُّع في الأحياء ، بل كانت تتوالد على وتيرة واحدة بالتقسم . وقد تنقرض اذا ساءت البيئة . فليس لتنوُّع الأحياء وتعددها من وسيلة إلاَّ نظام الذكورة والأنوثة أولاً . ثم يأتي تأثير البيئة والعوامل الخارجية الأخرى في الدرجة الثانية . ان هـذا التنوع الذي أرادته الطبيعة جمّلت به نفسها . أن ما تراه من أنواع الحيوانات والنباتات هو الجمال بعينه . وفن الجمال قائم على فكرة الطبيعة هـذه في عملية التلاقح . فلا تخطىء اذا قلت ان في الطبيعة عقلاً سامياً يدبر ، وحكمة فائقة تنظِّم . ولا تستغرب ان عقل الطبيعة أعظم من العقل البشري . واذا درست علمي الحيوان والنبات بالتفصيل رأيت ان العقل البشري لم يستطع ولن يستطيع أن يبتدع هذا النظام الحيوي الذي ابتدعه عقل الطبيعة . ان عقل الطبيعة أنشأ المملكتين الحيوانية والنباتية ، ان شئت ان تسمي هذا العقل الله ؟ فلا مانع . فماذا استطاع العقل البشري ان ينشىء مثلهما ؟ بلى استطاع ان يدمّر ممالك ويدك حصوناً ويهلك بشراً .

* * *

وهنا تسأل ما هو غرض الطبيعة من هذه « الهيصة » . وهنا يتضمن سؤالك ان للطبيعة ارادة ورغبة وبالتالي لها عقل . من يدري ماذا تعني الطبيعة بهـذه « الهيصة » ؟ من يستطيع أن يفهم سرها ويقرأ ضميرها . وليس لنا من ظاهرها إلاَّ أنها تريد جمالاً فتستنبطه . فالطبيعة ولا شك بنت فن وأم فن .

ابن خفاجة الاندلسي

احد الشعراء المغمورين

انصرف مشاهير الكتّاب الى الكتابة عن محظوظي الشعراء ، رغبةً في الكسب ، ضاربين صفحاً عن كثيرين من المجيدين ، غير عابئين بما يعود على طلاّب الأدب من عرض الصور الشعرية المختلفة ، ذات المعاني المتباينة الصياغة . فاعتزمت عرض بعضهم للنفع العام ، فكان أول ما عرض لي : ابن خفاجة ، أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن خفاجه الأندلسي المولود في جزيرة « شُقْرَ » ببلاد الأندلس سنة ٤٥٠ هـ والمتوفى في سنة ٥٣٣ هـ

ويكفي في التعريف به ما قاله عنه صاحب قلائد العقيان » : « مالك أعنة المحاسن ، وناهج طريقها ، العارف بترصيعها وتنميقها ، الناظم لعقودها ، الراقم لبرودها ، المجيد لأزهارها ، العالم بجلائها وزفافها ، تصرف في فنون الأدب كيف شاء ، وأبلغ دلوه من الإجادة الرشاء ، وشعشع القول وروّقه ، ومدّ في ميدان الاعجاز طلقه ، فجاء نظامه أرق من النسيم العليل ، وآنق من الروض البليل .... الخ »

وقد لاحظت خلوّ ديوانه من التعرض لحوادث الأندلس ، وقد خاض غمارها ، وذاق مرارتها ! . ولم أهتد الى السبب أو لم أوفق إليه ! .

وهو مجيد في كل ما طرقه من أبواب الشعر وميادينه .

مدحه

مدحه جيد النسج ، واضح المعاني ، سهل اللفظ ، حتى لتكاد تسبق ألفاظه لسان منشده ، يجمع بين المطرب والمعجب ، لا يتعثر فيه فهم ، ولا يقف في طريقه جواد فكر فمن ذلك قوله في الفقيه أبي العلاء زهير :

تقل الوزارة في حقه وتنزل عن قدره منصبا
تطول السماء بآبائه وتحصى بهم كوكبا كوكبا
وتنقاد غر المعاني له فيقتادها مقنباً مقنبا
وحسب المنى أن سرى موعد كفيل بنيل المنى مطلبا

وقوله في مدح القائد أبي الطاهر تميم بن أمير المؤمنين :

عليه يمين أن تفيض يمينه وألاّ يغض السيف جفناً على وتر
يعب عباب البحر في السلم والوغى ببذل اليد الغراء والفتكة البكر
له راية لو زاحم الدهر تحتها لعدت به دهم الليالي من الشقر
وعزم يذل الطود هدّا ونجدة تهز قدود السمر في الحلل الحمر
ووجهٌ وضيءٌ شف عنه لثامه كما شف رقراق الغمام عن البدر
اذا كتمته بالمفاضة درعه تراءى هلال منه يطلع من بحر
سرى بين نوار لزرق أسنة حداد وأوراق لراياته خضر

وصفه

حدّث عن وصفه ولا حرج ، فان باعه فيه طال على كل باع ، وتفننه فيه عصى على غيره وله أطاع ، فمن ذلك قوله في وصف متنزه :

ومجر ذيل غمامة قد نمقت وشي الربيع به يد الأنواء
القيت أرحلنا هناك بقبة مضروبة من سرحة غناء
وقسمت طرف العين بين رباوة مخضرة وقرارة زرقاء
وشربتها عذراء تحسب أنها معصورة من وجنتي عذراء
حمراء صافية تطيب بنفسها وغنائها وحلائق الندماء

فمن ذا الذي يقرأ هذا الشعر ، ولا يخال انه يبصر بعينه تلك الروضة التي مرّ عليها الغيث ، فبل ثراها وسقى مابها من نجم وشجر ، وغسل ما فيها من ورق وزهر ، فبدت متعة للناظرين ، ومسرة للمحزونين ! . . وتلك القبة التي ضربت فيها ، وحلق الشرب تحت

ظلالها ، وفي يد كل كأس مملوءة خمراً كأنها عصرت من خدود الخرَّد الحسان ! .

وقوله في وصف فرس أشقر :

ومطهم شرق الأديم كأنما ألفت معاطفه النجيع خضابا
طرب اذا غنى العجاج ممزق ثوب العجاجة جيئة وذهابا
قدحت يد الهيجاء منه بارقاً متلهباً يزجي القتام سحابا
ورمى الحفاظ به شياطين العدا فانقض في ليل الغبار شهابا
بسام ثغر الحلي تحسب أنه كأس أثار بها المزاج حبابا

ومن ذا الذي يتذوق للأدب طعماً ، ويقرأ هذه الأبيات ولا يهتز طرباً من هذا التصوير البديع الآخذ بالألباب ، بل من ذا الذي لا يخيل اليه ، بعد انشادها ، ان الفرس الممتلىء الجسم الأحمر اللون ، قد أخذه الطرب عند رنين السيوف في معمعان القتال ، فصال وجال ، يضرب الأرض بسنابكه التي تقدح الشرر الذي يسوق الغبار فيثيره سحاباً ؟ وكأنه شيطان يقذف به الغيظ العدو فينقض عليه انقضاض الشهب على الشياطين التي تحاول استراق السمع ، حتى يغطي العرق جسمه فيبدو كالكأس عند امتزاجها بالماء حين يطفو الحبب على وجهها كالنجوم البيض في الليلة الظلماء .

وقوله في وصف سفينة :

وجارية ركبت بها ظلاما يطير من الرياح بها جناح
إذا الماء اطمأن فرق خصراً علا من موجه ردف رواح
وقد فغر الحمام هناك فاه وأتلع جيده الأجل المتاح
فما أدري أموج أم قلوب وأنفاس تصعد أم رياح

فمن ذا الذي يقرأ هذا ، ولا يقشعر بدنه من هول الموقف ، إذ يخال انه راكب سفينة في بحر لجي ، عظم اضطرابه وتلاطمت أمواجه ، في ليل اشتد ظلامه ، وتراكم غمامه ، فحبس عن العيون مسالك الأمان ، وبدا شبح الموت فاغراً فاه ، فاستسلم الركب لقضاء الله .

وقوله يصف شجرة على نهر :

وسرحة خاض منها ظلها نهرا أوفت عليه ولم تنقص ولم تزد
كما تدانيت من ثغر لمرتشف ثم انثنيت ولم تصدر ولم ترد
كأن أفنانها طيباً حمى ملك أعطى وأعطى فلم يوعد ولم يعد

فقل لي بربك : من هذا الذي أخذ هذا المنظر فصوّره هذا التصوير البديع ، منظر كثيراً ما تراه العين فترتاح اليه وتعجب به وتعجز عن تصوير جماله ، وابراز حسنه ، نقله الينا نقلاً أميناً في يسر وسهولة ومنطق سليم .

الرثاء

رثاؤه كمدحه ووصفه جودة ورقة ، مع ميل الى ضرب الأمثال المهوّنة من شأن الدنيا . فمن ذلك قوله في الوزير أبي ربيعة .

شراب الأماني لو علمت سراب وعقبى الليالي لو فهمت عتاب
إذا ارتجعت أيدي الليالي هباتها فغاية هاتيك الهبات ذهاب
وهل مهجة الانسان الاّ طريدة تحوم عليها للحمام عقاب
يخب بها في كل يوم وليلة مطايا الى دار البلى وركاب
وكيف يغيض الدمع أو يبرد الحشى وقد باد أقران وفات شباب
فما ناب عن خل الصبا خل شيبة ولا عاض عن شرخ الشباب خضاب

الى أن يقول :

فيا لهم من ركب صحب تتابعوا فرادى وهم ملد الغصون شباب
دعا بهم داعي الردى فكأنما تبارت بهم خيل هناك عراب
فها هم وسلم الدهر حرب كأنما جنا بينهم طعن لهم وضراب
هجود ولا غير التراب حشية لجنب ولا غير القبور قباب

فهل رأيت سهولة ، لفظ وسموّ معنى ، وجمال تعبير ، واشراق وضوح ، في موجات موسيقية ، ممتزجة بموجات الحزن والأسى ، أحسن وأرق وأجود من هذا ؟

(يتبع) محمد رضوان الله احمد

حكم القدر

(من ذكريات الصبي)

ويك أيها القدرُ بئس حكمكَ الخطِرُ
تحرم العليلَ الدوا والعليل محتضَرُ
لم تجُد له بلقا الحِبِّ وهو مصطبرُ
هل هواه مبتدأً والنوى له خبرُ ؟

***

ظبية تراشقه لا سهامَ لا وترُ
وجنةٌ بها لهبٌ مقلةٌ بها شررُ
بسمةٌ بها خدعٌ نظرةٌ بها خطرُ
ان تبن تبن غررٌ أو تبن تبن زهرُ [1]
عطفةً رجوتُ أبا ها الدلال لا الخفرُ [2]
كلما الحبيب تجنّى الفؤاد ينفطرُ

***

لا خيار في شغفٍ آمرٌ فمؤتمرُ
ما السلوُّ مغتفرٌ بل عقابه غفر [3]
نغمة الغرام جوًى والضنى به بطرُ
كم سهرتُ مع قمرٍ ملَّ عشرتي القمرُ
كم صبرتُ أسقم والشوق ليس يصطبرُ

***

تسألين عن وطري أفيُجهلُ الوطرُ ؟
تمنحين مشفقةً ثم يمنع الحذرُ
أن بعدت عن بصري أمْ طيفك البصر

ويك يا خيالتها [4] هل يخيفك السهرُ
كيفما نفرتِ بدت لك في الحجى [5] صور
لا تسيطرين على ما تصوّر الفكرُ
لو ظهرت أذّكر أو خفيت أذّكرُ [6]
ان وصلت صحّ هوًى كم لبثتُ أنتظرُ
تملكين ذا ولهٍ لهواك يحتكرُ
ما وجدتُ من مثلٍ لسناك يزدهرُ
هل وجدتِ لي مثلاً في هواك ينحصرُ
أنت في البها ملكٌ أنا في الهوى نمِرُ
تبتغين من دنفٍ ذلةً فيفتخرُ
قدكِ [7] تيه منتصر شممي سينتصر
ان بغيتِ ذا ضِعةٍ ما انا هو الوطرُ
من شعاع حسنك في الغرام يستعرُ
فلنقف بهيكله ونشيدنا السمرُ
وصلاتنا طربٌ وسجودنا ظَفَرُ
رشف الحديث طلًى كأسهُ اللمى العطِرُ
نفثاتنا حَبَبٌ ورضابنا سَكَرُ [8]

***

حيث لا غرام ولا متعة ولا خمرُ
فالحياة باطلةٌ ما لدوحها ثمرُ
وأناسها هدرُ

(ند)

---

(١) فعل بأن ظهر وغاب ضدان . والزهر الحسن والرونق .
(٢) الخفر شدة الحياء .
(٣) الغفر نكسة للمريض . والجرح انتقض جرحه ونكي .

(٤) الخيالة ما تشبه لك من الصور في المنام
(٥) الحجى العقل
(٦) أذكر وادكر بمعنى ذكر أو تذكر
(٧) قدك حسبك .
(٨) السكر (بفتح الكاف) الخمر أو كل ما يسكر

ميثاق الضمان الجماعي

من يضمنه

لا يزيد ميثاق الضمان الجماعي عن بروتوكول الجامعة العربيـة الذي وضع في اجتماع الجامعة الأول في الاسكندرية منذ خمس سنين ، فقد تعاهدت الدول العربية حينئذٍ أن تشـترك جميعاً اشترا كاً فعليّـا في الدفاع عن أية دولة يُـعتدى عليها ، وعن فلسطين على الخصوص .

والميثاق الجديد انما هو تجديد لهذا العهد، أو هو تعهد جديد بين الدول على الاشتراك في الدفاع عن أية دولة عربية يعتدى عليها. ولـكن ليس في هذا الميثاق ضمان لهذا الاشتراك . فقد اشتركت الدول العربية في محاربة الصهيونية في فلسطين . وما لبثت أن تقهقرت وتركت مصر وحدها تقاتل اليهود . هـذا اذا ضربنا صفحاً عن خيانات بعض العرب الزعماء أو الشبه زعماء . وانتهت الحرب كما علمنا . ولم يكن في الميثاق ما يلزم القوات العربية أن تصمد في الميدان لأنه ليس فيه عقوبة للدولة التي « تحنث » .

والميثاق الجديد ليس فيه نظام يلزم الدول أن تشترك في القتال الزاماً، إلا شرف الـكلمة. وقد رأينا فيما مضى أن الـكلمة الشريفة واهية لا تكفل التنفيذ .

اذا تخلفت احدى الدول عن الدفاع المشترك، فمن يجبرها أن تنزل للميدان ؟؟؟

لقد صحنا غير مرة أن هـذا الضمان الجماعي لا يعتبر شيئاً في الوجود إلا إذا تألفت هيئة دولية عربية تعتبر كبرلمان عربي أعلى للأمم العربية . وهذا البرلمان يجند نحو مئة ألف جندي على الأقل من جميع البلاد العربيـة ، ويختار لهذا الجيش مجلس أركان حرب واحد وقائداً واحداً . وهـذا البرلمان وجيشه وقائده وأركان حربه ، يخرجون من تحت سيطرة الدول العربية خروجاً مطلقاً ، بل تـكون للبرلمان السلطة الفعلية على جميع الدول العربية في مسائل الدفاع على الأقل . ويمكن أن يكون ذا سلطة في المسائل الاقتصادية العامة والتضامنية

بغير هذا النظام لا ضمان جماعي نافع

عودة اللاجئين

قيل أخيراً أن العرب لا يتباحثون مع اليهود بموضوع الصلح ، إلا على قاعدة عودة اللاجئـين الى بلادهم ، والتعويض لمن لا يريدون العودة . فهـل فـكروا بما يحمي العرب العائدين الى بلادهم من اليهود ! وهل يركن الى شرف كلمة اليهود . نرجو أن تفكر الدول العربية في هذا الأمر قبل أن تقبل مفاوضة اليهود

مسائل واجوبتها

الى المريخ

س — هل تعتقدون ان الانسان يمكن أن يصل يوماً الى المريخ في سهم أو في قذيفة ؟ أو هل يمكن أن يصل على الأقل الى القمر .

(بيروت) احمد لطفي الحفار

ج — يبعد القمر عن الأرض نحو ٢٣٩ الف ميل أي نحو ربع مليون ميل . فلكي تصل إليه قذيفة من الأرض يجب أن تنتقض بقوة تفوق قوة جاذبية الأرض كثيراً ، يجب أن تنقذف بسرعة ستة أميال على الأقل في الثانية لكي تغلب جاذبية الأرض وتشرد عن نظامها الى منطقة جاذبية القمر ، ولكن بعد عبور ٢٠٠ الف ميل على الأقل ولا أعتقد ان في إمكان صناع القذائف أن يصنعوا قذيفة تنقذف بهذه السرعة .

اذا انقذفت القذيفة بسرعة ٤ أميال و ٩ أعشار الميل في الثانية فلا تشرد في الفضاء ، بل لا تلبث ان تنثني وتجعل تدور حول الأرض كأنها قرٌ آخر لها .

وإذا انقذفت بسرعة ٥ أميال أو أكثر في الثانية فلا بدّ أن تقطع ١٥ ساعة قبل أن تصل الى القمر . فهل يقف القمر ينتظرها مرحباً بها ؟ وأين يكون قد صار في رحلته حول الأرض بعد ١٥ ساعة ؟ ألا يمل ويضجر قبل أن تصله هذه الهدية من الأرض ؟

ان أمكن انساناً أن يقذف سهماً من الأرض بسرعة كافية أن يصل به الى القمر (اذا كان هو في السهم) فلا يستفيد من هذه الرحلة سوى أن يتحطم عند اصطدامه بالقمر . وأما أن يعمل « فرملة » لسهمه لكي ينزل الى القمر على مهل فيمكنه أن ينجح بالرحلة، ولكن بالحلم . هذا حلمٌ جميلٌ جداً ، على انه ليس حلم طفل ، بل هو حلم عصفور .

بعد هذا البيان لم يعد الوصول الى المريخ إلاَّ حلماً عصفورياً لأن العصافير وهم يرون أنفسهم طائرين، يظنون أنهم يصلون الى القمر والمريخ (وقد عاملناهم هنا كعقلاء لأن الحلم لا يطرأ إلاَّ على ذوي العقول)

نحن نصل الى المريخ بواسطة التلسكوب ونحوه . وبغيره فلا يمكن أن نتعدى جوّنا الهوائي مهما حاولنا واخترعنا من الوسائل . نحن في منطقة هوائية من مادة الأرض فلا نستطيع أن نتجاوز مادة الأرض . نحن من الأرض وفي الأرض نبقى أحياء أو أمواتاً .

السفر على أجنحة الاثير

س — قرأت أخيراً عن انتقال الانسان باللاسلكي بعنوان « السفر على أجنحة الأثير » فهل يعقل هذا ؟ وقد شفع بعضهم هذا القول المزعزع العقول بالقول ان مهندساً يعد الآن جهازاً لنقل الأجسام من بشر وحيوانات باللاسلكي خلال الأثير بسرعة الضوء . فهل يمكن أن تختلط مادة العجل (مثلاً) بالأثير أو تذوب فيه ثم يُنقل هذا المحلول الى مكان سحيق ، ثم يرسّب هناك فتخرج منه مادة العجل سليمة كما كانت ؟ سمعنا وقرأنا هذا العجب في نقل الأرواح . ولكننا ما سمعناه عن نقل الأجسام إلاّ اليوم . بل قرأنا أيضاً ان الأرواح تتجسّد . فكيف يمكن هذا ؟

ويقال لنا الآن أن مجموعة من العلماء يتصلون بعالم الأرواح الذين سبقونا ويذيعون فينا اخبار ظاهرات عادية ينسبونها الى الأرواح . نقرأ في أهم جرائدنا هذه العجائب المدهشة كل حين بعد آخر ولاسيما في هذا الأوان . فكيف تفسرون لنا هذه المدهشات ؟ (ل . ل) بالقاهرة

ج — ليس العتب على من يختلق هذه السخافات إنما العتب على الجرائد المعتبرة التي تنشرها في شعب معظمه ينخدع أو يصدق هذه الأضاليل ويتأثر بها . أما الذين يعتقدون بالعلم الطبيعي ويعتبرون السنن الطبيعية سنناً الهية ، فيهزأون بهذه السخافات وقد ينقمون على مذيعيها لأن عامة الشعب لا تنقصه خرافات تزيد في ضلاله ، كفاه ما عنده منها . ان نشر هذه الأضاليل يحط عقلية عامة الشعب ٥٠ درجة من المئة مما هي فيه من انحطاط ، في حين أننا نتوقع من الجرائد التي تنشرها ان ترفع عقلية الشعب ٥٠ بالمئة على الأقل . والأنكى ان هذه الصحف التي تغري الشعب بمثل هذه النشريات تزعم أنها ترقي الشعب وتخدم الأمة وتوسع عقول الجمهور . فالصبر بالله .

***

الاقطاع

س — أرجو أن تدلونا على مصادر عربية وافرنجية تبحث في الاقطاع والحالة الاقتصادية في العهود الاسلامية المختلفة ودمتم . حماه (سوريا) ن . س

ج — نظام الاقطاع قديم وكان في كل زمان ومكان دائماً يختلف اختلافات كلية بحسب الزمان والمكان ، وربما كان في القرون الوسطى في أوربا أشد استفحالاً . وفي جميع كتب التاريخ في القرون الوسطى تبسّط وافٍ له . وفي دائرة المعارف البريطانية — بسط كاف أيضاً . وأما الاقطاع في العهود الاسلامية فنكل أمره الى من هو أعلم منا به من القراء الكرام .



مكتبة المقتطف

الملكية الأدبية والفنية

منذ مدة رفع الأستاذ قسطندي رزق قضية على الأستاذ خليل عبد القادر صاحب مجلة دنيا الفن ، لأن هذا نقل الى مجلته فقرات عديدة مختلفة من أجزاء كتبه الأربعة عن المرحوم عبده الحمولي المشهور الذي منحه الله هبة الصوت الجميل والفن البديع والنبوغ في الموسيقى الشرقية — اقتبس الأستاذ خليل عبد القادر عدة فقرات لمجلته من غير أن يستأذن المؤلف الأستاذ قسطندي ومن غير أن يشير اليها في الكتب الأربعة ، كأنها من تأليفه ومن ابتكاره .

وكتب الأستاذ قسطندي معروفة .

فالجزء الأول منها لمحة من تاريخ الخديوي اسمعيل وحياة عبده ووقائعه . والجزء الثاني عن الموسيقى عند قدماء المصريين والاسرائيليين ، والموسيقى القبطية والبيزنطية الى آخره . والثالث نصرة الخديوي اسمعيل والخديوي توفيق والسلطان حسين والملك فؤاد والفاروق المفدى للموسيقى الشرقية ، وتراجم حياة بعض المطربين والمطربات . والرابع كيف اتصل عبده بالمطربة النابغة « ألمظ » وتزوجها . وفذلكة عن الفن الروماني والاسلامي الخ .

ومع أنه ليس في القوانين المصرية الى الآن قانون خاص لحفظ ملكية الأدب والفن لأصحابه ، فالمحكمة الموقرة لم تعدم الاتجاه الى مواد قانونية تحافظ على حقوق الملكية . ولذلك حكمت للمدعي بتعويض مئتي جنيه . والمدعى عليه استأنف . ولا نظن أن محكمة الاستئناف تنقض الحكم الابتدائي . فليحيى العدل .

مكتبة الجيب

تصدر من بغداد سلسلة كتب صغيرة باسم منشورات البصري أو مكتبة الجيب. ويشرف عليها الأستاذ عبد الرحيم الراوي المحامي والأستاذ علي البصري . وهي لكتاب مختلفين في مواضيع مختلفة من أدبية وسياسية وتاريخية واجتماعية . وقد صدر منها حتى اليوم ٤ كتب : مغامرات جواسيس في الحرب الأخيرة للدكتور جابر عمر . وأسرار الانقلاب العسكري الأخير في سوريا للمحامي الأستاذ سليم طه التكريتي . ومذكرات هتلر للأستاذ علي البصري . ومسرحيات ابن دانيال للدكتور تقي الدين الهلالي . وثمن كل حلقة من هذه السلسلة ٥٠ فلساً ، ما عدا مذكرات هتلر فثمنها ١٥٠ فلساً . ولا ريب أن في هذه السلسلة خدمة للأدب وفائدة للقراء . فنود أن يقبل عليها القراء ولا سيما الناشئة. ونتمنى أن يتخللها بعض الأحيان حلقات علمية أو شبه علمية لتكون فوائدها أعم وأتم ، وأن لا يتخللها حلقات خرافية أو خزعبلية . والله الموفق الى السداد .

—:—

مجلة يحررها أرواح أموات

ورد من أنكونا في إيطاليا في ١١ ابريل أن الأستاذ ستوبولوني سيصدر مجلة يحررها ٨ أشخاص أحياء و ٨ أشخاص أرواح منهم شكسبير ، وملتن ، ودنتي وروزفلت . واسم المجلة أوروورا ، وهي لسان حال جمعية روحانية . وقد عقد الروحانيون أخيراً اجتماعاً روحانياً دولياً حضره أعضاء أحياء وأشباح موتى برئاسة ستوبولوني . وتحدثت الارواح أكثر من ساعة .

وقد انقسم المطلعون على هذا الخبر الى قسمين بشأن هذا الامر . فقال أسقف أنكونا . « ان الروحانية من عمل الشيطان » وقال غيره غير ذلك .

وفي كل يوم تخريفة كهذه عن الأرواح . قيل لنا بالأمس أن الارواح تتجسد فلم نستطع أن نبلع هذه الخرافة ، فتفلناها قبل أن نزدردها . وأما ان الأرواح تحرر مجلة فما من أذن لا تنبو عن هذه الخرافة ، وما من عقل حتى عقول المجانين لا يسخر منها .

نعم قيل : ما أدرانا أن الأرواح تجول في الفضاء وتحتك بالأحياء وتوحي لهم أفكارها. وما أدرانا أن نكتشف يوماً ما احتكاك الأرواح بنا بعد أن اكتشفنا عجائب الذرّة . فلعلنا اذا تعمقنا في اكتشاف أعمق ذريرات الذرّة بلغنا الى الذريرات التي تتألف منها الأرواح . ولقد وصلنا في الاكتشاف الى الضويئات (الفوتونات) التي تنحل إليها الالكترونات وأخواتها البروتونات ، والنيوترونات فما وجدنا روحاً ولا شبه روح أو عنصر روحاني . ما خرجنا عن المادة . فالضويئات وما يمكن أن تنحل إليه ما هي الا كسور المادة — ما زلنا في عالم المادّة . ولكن الروح في عرف اللاهوتيين والروحانيين ليست مادية البتة . ليس لها حيز ذو أربعة أبعاد، وليس لحركتها مجال، فهي في عقيدتهم لا تعرف الزمان ولا المكان ، بل هي تنتقل من هنا الى أقصى أقاصي الكون بوثبة لا تستغرق شيئاً من الزمن . واذا لم تكن هكذا فما هي روح ، واذا كانت مادية فلا بدّ أن نعثر عليها ونظفر بها وندرسها ونفهمها ، وما خرجت عن دائرة دراستنا ، وكنا نعرفها كما عرفنا عناصر الذرّة.

فالذين يتوقعون أن يعرفوا شيئاً عن الروح عن طريق بحثهم في عناصر الذرّة لا يمكن أن يصلوا الى شيء غير مادي لا روحاني :

كفى تمادياً في عالم الأرواح وهو عالم لا وجود له الاّ في أدمغة بعض الناس الدعاة للروحانية، فمنهم من هم مخدوعون وهم غير دارين، لأنّ فيهم ضعفاً عصبيًّا دماغيًّا على الرغم من نبوغهم . ومنهم من هم مشعوذون . وأما الراسخون في العلم فلا يلتفتون الى هذه الخزعبلات .

—:—

أيها العرب . لا تصالحوا

أيها العرب — لا تصالحوا الصهيونيين — ان صالحتموهم : تدفق البترول الى حيفا وهم جياع للبترول . وان صالحتموهم لا يجوز لكم بعد الصلح ان تقاطعوهم وأنتم تعرفون جيداً ان المقاطعة بأمانة واخلاص أمضى سلاحاً من المدفع والدبابة والطائرة حتى من القنبلة الذرية . وان صالحتموهم أنشأوا في كل عاصمة وحاضرة عربية فرعاً لبنك اسرائيل ، وبنك اسرائيل يتساهل جدًّا مع معامليه فلا ينقضي زمن حتى تغرق جميع أموال العرب في بنك اسرائيل — فحذار .

فهرس الجزء الخامس

من المجلد السادس عشر بعد المئة

في مقتطف يونيو

الصهيونية — للسير أرثر كيث
الاتحاد الروحي
في مناقشة العزلة
الحكمة صنعت — شعر
ينابيع النيل

حشوات الاسنان
أنا والنور — شعر
ذكر ويأس — شعر
أدوار العمر
قوة القنبلة الذرية

المقتطف

الجزء الاول من المجلد السابع عشر بعد المئة

١ يونيو سنة ١٩٥٠ — ١٧ شعبان سنة ١٣٦٩

الصهيونية وضد السامية

للسير أرثر جيث

صدر في العام الماضي كتاب جديد بقلم الدكتور ارثر جيث بموضوع « نظرية جديدة في التطور البشري » سلخ فيه بضعة عشر عاماً . والمؤلف يعد في مقدمة علماء الانثربولوجيا (التاريخ الطبيعي للاجناس البشرية) . وله في هذا الكتاب بحث قيم في الصهيونية ، و « ضد السامية » . فآثرت أن أنقله الى المقتطف لكي يرى القراء عقيدة كبير علماء العصر ورأيه في الموضوع الذي شغل بال الناس في العصر الاخير . كتب : —

منذ أكثر من نصف قرن كانت لي فرص مناسبة لدراسة اليهود عن كثب . وجمعت في مدة ٣٠ سنة حقائق مختلفة عنهم ودرست تواريخهم التي لا ينقصها شيء . وليس غرضي أن أضيف فصلاً لتاريخ اليهود ، بل ان نظرية التطوّر البشري التي بسطتها في هذا الكتاب تساعدنا على أن نفهم أصل اليهود كشعب قائم بنفسه، منفصل عن سائر الشعوب ، وأن نفهم سبب الحظ السيء الذي رافقهم في تاريخهم الطويل . وهناك عاملان جوهريان لنظريتي : الأول : أن التطوّر البشري يقوم بمناهضة جماعة لأخرى : الثاني أن الجماعات تبقى منفصلة بعضها عن بعض بعامل العداوة المتبادلة بينهما . فالعزلة هي شرط لا بدّ منه للجماعة اذا كانت تتطوّر . إني أنسب العواطف السيئة التي يحتمل أن تنشأ في الأمم ضد جماعات اليهود التي هي ضيوف عليها — أنسبها الى العداوة التي تفصل الجماعات المتطورة بعضها

من بعض — وأعني بها الخصومة التي تثير نقمة العالم المتمدن الحديث المعروف باسم « ضد السامية » [١]

وأول حركة كانت ضد اليهود ذُكرت في سفر استير (من التوراة) الذي كُتب في القرن السادس قبل المسيح [٢]. فقد ورد في العدد السابع فما بعد من الاصحاح الثالث : —

« في الشهر الاول أي شهر نيسان في السنة الثانية عشرة للملك احشويرش كانوا يلقون فوراً أي قرعة أمام هامان من يوم الى يوم ومن شهر الى شهر الى الثاني عشر ، أي شهر اذار . فقال هامان للملك احشويرش انه موجود شعب ، مشتت ومتفرق بين الشعوب في كل بلاد مملكتك ألسنتهم مغايرة لجميع الشعوب ، وهم لا يعملون سنن الملك ، فلا يليق بالملك تركهم . فاذا حسن عند الملك فليكتب أن يبادوا الخ »

(طبق الاصل العبري)

هذا كان أول خبر عن اضطهاد اليهود، أي ضد السامية وعن أول هتلر في التاريخ. لأن هامان في فارس القديمة كرّس نفسه للعمل المضاد للانسانية كما فعل هتلر في المانيا الحديثة. وبين زمن هامان وزمن هتلر لم يتمتع اليهود بالراحة والسلام في أي بلاد زمناً طويلا . قال رينان ان « مضادة السامية » تتكرر في كل مكان في جميع الأزمنة . وانكلترا التي كانت متساهلة جدًّا مع اليهود في العصور الأخيرة لم تكن هكذا دائماً . فقد حدثت مذابح في لندن وفي يورك قبل أن تطرد انكلترا اليهود في سنة ١٢٩٠ . وكذا يمكن أن يقال عن فرنسا التي طرد منها اليهود في سنة ١٣٠٦ . وكانت انكلترا وفرنسا في القرنين ١٣ و ١٤ لا تزالان بربريتين في عقليتهما . ولذلك كانتا أكثر عرضة للثورة العنصرية منهما في العصر الثقافي الأخير . يجب أن نتذكر أن هاتين المملكتين كانتا في القرون السابقة مبتدئتين ان تكونا ذاتي عقلية شعبية أو أمية . وأنا أعزو الى « الشعبية » لا الى التمدن أو القدمية الدينية ، مظاهرات اضطهاد السامية في غربي أوروبا . ففي القرن العشرين كان شعب المانيا متمدناً ومثقفاً ومع ذلك فقد بلغ الشعور فيه ضد اليهود أبلغ ما يمكن من القسوة والشناعة: فقد احتدم الاحساس الألماني بالجنسية حتى صار حرارة بيضاء بنفخ زعيمه هتلر المتعصب

---

(١) السامية نسبة الى سام بن نوح والمراد بها السلالة المتسلسلة من سام وخصوصاً اليهود . وأطلقت أخيراً على معظم الامم الاسيوية . والحركة القائمة « ضد السامية » يراد بها ضد اليهود .

(٢) وقد كتبه اليهود أنفسهم بعد رجوعهم من سبي بابل ، وكتبوه كما توحي إليهم غاياتهم

في كوره، لأن هتلر كان وطنياً صريحاً على سنة التطور. وفي رأي الكثيرين أن العداء للسامية يحتمل جداً أن يشتد حيثما يقيم اليهود كجالية كبيرة متكاثفين. ففي بولاندا مثلاً حيث كان في سنة ١٩٣٩ نحو ثلاثة ملايين و٣٠٠ الف يهودي، وهم عشرة بالمئة من السكان، كان العداء للسامية داء متوطناً. فلا يمكن أن يكون دائماً هذا العداء بسبب الازدحام، لأنه في مدينة نيويورك العظيمة العدد الآن لا أقل من ٢٠ بالمئة يهود، ومع ذلك فالمدينة سليمة من مناهضة السامية المنظمة.

والآراء بشأن أصل هذه المناهضة وسببها وطبيعتها مختلفة اختلافاً كلياً. ولكن في نقطة واحدة يتفق الثقات اليهود «والأمم»[1] وهي ان هذا العداء يتلاشى بالزواج الحر بين اليهود والأمم. بهذه الوسيلة البسيطة يمكن اليهودي أن يكسب الحريات التي كان يتوق لها، ويريد أن يحصل عليها بالطريقة التي كان يأباها باحتقار في جميع الأجيال. وكان اليهودي يغضب ويتقد غيظاً بالتلميح الى أن الامتزاج بالزواج هو العلاج الوحيد لهذا العداء. و«نامير» أحد الباحثين في هذا الموضوع يعتبر أن الامتزاج بين الفريقين انما هو اعتراف بالانحطاط (من قبل اليهود). وفي مطالعاتي لم أعثر على شاهد واحد على جماعة يهودية واحدة ملوثة نفسها طوعاً بالزواج من الأجانب (الجوييم) لأن الخوف من هذا الامتزاج متأصل في طبيعة اليهودي. واليهودي المتشبع عقله بالدين يفسر لك أن خوفه من الالتحام بالأمم الأخرى ورغبته في أن يخلد جنسه انما هما عبارتان عن اصراره على أن يحتفظ بإيمانه لكي يتمم رسالته الالهية. فبهذا المعنى تعتبر «مضادة السامية» هي ما يدفعه اليهودي ثمناً ليس لسلالته بل لدينه.

وقد قال أحد الناس لقراء جريدة التيمس أن «ضد السامية»[2] يُفسَّر بلغة الدين والتاريخ والعاطفة، وليس بلغة علم الأجناس البشرية. وإنما أنا أحاول أن أفسر هذا الخلل الاجتماعي بلغة علم الأجناس. وإذا شئنا أن نظفر بعلاج له وجب أولاً أن نحسن تشخيص

(١) من قديم الزمان من عهد سليمان بل من عهد موسى كان اليهود يعتبرون اممياً كل من ليس يهودياً أي انه من الامم التي لاحظ لها بنعم الله. وكانوا لا يزالوا يسمون الامم «جوييم» أي الاغراب المنبوذين الانجاس.

(٢) نعبر بعبارة «ضد السامية» عن عبارة Anti Samitism

الداء . وقد رأينا في مباحثنا السابقة (في كتاب المؤلف) أن النعرة السلالية تنشأ حين تختلط سلالتان في منطقة واحدة ، أي في اقليم واحد . وهكذا « ضد السامية » في مثل هذا الظرف انما هو نوع من « السلالية » . وهنا دليل آخر على أن « ضد السامية » هو نوع خاص من الطبيعة السلالية ، هو اجتماعي في فعله . فمن كان «ضد السامية» يلوم الجماعة لسوء عمل أي واحد من أفرادها . أما « ضد السامية » كسائر صور أو أشكال «السلالية» لم تنشأ من الداخل ، بل هي خلة مكتسبة من الخارج ، وإنما أساسها العاطفي والعقلي مولود من الداخل . العواطف السلالية إذا حُرّكت أمكن أن تفعل الفظائع التي لا توصف .

كتب صديقي الأستاذ هونوت من هرفرد : « ليس على الانسان أن يكون عالماً بالسلالات البشرية لكي يتحقق أن الجماعة التي تمتاز طبيعيًّا واجتماعيًّا تثير بلا شك الحسد والبغضاء في الجماعات الأخرى . وفرنز بوعز الانثروبولوجي اليهودي المشهور يعتبر « السلالية » كعداء يثار بفعل تماسك الجماعة » . والجماعات اليهودية إنما هي جماعات متكتلة . ولكن في الهند آلوف الطوائف المتجاورة ، فلا يحدث بينها نزاع صريح ، إلاّ اذا كانت ثمت جماعات مختلفة في عنصريتها جدًّا فقد تقتتل . والأستاذ فلور قرب الى الحقيقة حين قال « ان الوجدان الجماعي يكره ما لا يستطيع أن يندغم فيه ويتمثله » . وقد ذكر كرونهوف كارجي . ان ما أهاج الاغريق الرومان ضد اليهود كان ذلك الحجاب الذي لا ينفذ الذي أقامه اليهود بينهم وبين من ليسوا يهوداً . وإنما فعلوا هذا لأن شريعتهم أحرجتهم ان يفعلوه ».فأظن إذن ان هذا هو التعليل الصحيح الذي كتبه صديق عن المتراس النفساني الذي أحاط اليهود أنفسهم به لكي يتفادوا امتصاص غيرهم لهم . وكتب ساكار سنة ١٩٣٤ عن ثلاثة مليون يهودي في روسيا : « إنهم قوم غير قابلين للالتحام مع غيرهم،وأنهم قساة كالحديد وعنيدون كالموت . هم عظمة ضخمة في بلعوم الشعبية » وماذا حدث لليهود في روسيا بعد ما كتب ساكار هذا الكلام ؟ لا أدري . ولكن مع ذلك لا أستطيع أن أعتقد ان حكومة السوفيات نجحت في امتصاصهم [١] . ولكي أتم

(١) ولكن يظهر ان المستر أرثر كيث لا يدري ان معظم الذين أحدثوا الانقلاب في روسيا هم يهود . ولقد اختفت جنسيتهم وراء الالحاد الذي حشوه على الروسيين

تعليقي على تصرف اليهود بإزاء الأمم (الجوييم) المحيطين بهم يجب ان أذكر شهادة عالم يهودي هو الأستاذ نامير الذي سبق ذكره بقوله : « ما دام اليهود جماعة منطوية على نفسها متراصة وذات وجدان ونخر قومي خاص بهم فهم يحافظون على قوتهم وحيويتهم »

ولعلّ أظهر الخواص العقليـة في السلالة هو عدم رؤيتها الأشياء من ناحيـة الشعب المضاد . والعقيدة التي يتمسك بها المرء بشأن أمته أو سلالته هي طبيعة اقتناعه المغروسة في وجدانه بأن عقيدته لا تحتمل النقض،وتبقى هكذا ليست موضوعاً للبحث . واليهودي متحير باخلاص وبلا تصنع في سبب سلوك الأمم ضده . وأحياناً ينسب هذا العداء للحسد له من جراء نجاحه الذي يلازم جهاد الجانب الأكبر من اليهود في المهن الراقية . وهو ميّـال لأن يعزو قساوة الأمم الى طبيعـة الشر التي لا بدّ منها بكبش الفداء . ويندر أن يسأل : « لماذا قومي هم مكروهون لدى كثير من الأمم ؟ » وجوزف كاستين يفسر هذا الكره بقوله : « اليهودي لا يسأل عدوه لـماذا تعاملني هكذا ؟ وهو يتوجه الى المحكمة العليـا ويسأل : لماذا تحكمين عليّ هكذا ؟ » . وكاستين يضيف الى هذا في كتابه قوله : « دعنا نتذكر تعليم تاريخنا العظيم ان « ضد السامية » ليس قضية يهودية بل هو قضية أجنبيـة أي أمميـة . وكذلك الجملة الأولى في كتاب لويس جولدن هي : « ان ضد السامية ليس قضية يهودية بل هي قضية أممية » . وقد كتب لي يهودي وجيه ممتاز يقول : « لعلك ترى ان سبب هذا الترفع ليس في اليهود أنفسهم بل في الشعب الذي يقيم اليهود معه » والأستاذ هوتون لا يسلم بهذه الملاحظة فيقول : « اني أشك في أن الأسبقية في الكره والميل الى العزلة ليست في غير اليهود » ان في قدم الأمم دمامل سلالية متى دست عليهـا صرخت الأمة ذات الدمل . والعادة ان لا تلوم الشخص ذي الدمل بل تلوم الدائس . والذين يؤيدون المسلك اليهودي يردون على هذا القول : « دع الأممي يعالج دمله السلالي ، لقد مضى على الأممي الفا سنة وهو يطلب العلاج فلم يظفر به » .

ان مطلع علاقة اليهودي بالأممي معتّـم لولا ان بعض اليهود أمكنهم ان يروا الأشياء بعين أممي أو من وجهة النظر الأممية . في ١٠ أغسطس سنة ١٩٣٤ ظهر في جريدة الكرونكل اليهودية مكتوبٌ نأخذ منه الفقرة التالية : « يتضح انه ليس حقيقيّـا ان النكبة اليهودية

نتجت من عدم التساهل فقط . وكل ما على اليهود ان يفعلوه هو ان يرتبطوا ارتباطاً متيناً ويسمحوا للحكومات المختلفة ان تستأصل روح «ضد السامية». القضية اليهودية لا تخص الحكومة فقط، بل هي ان لليهود حقوقاً يجب أن يأخذوها .

وهنا لا بدّ من الاشارة الى السلالة التي يختص بها اليهود . ان تصرفهم مبني على قانون الثنائية ، أي ان يكون لهم قانون خاص بأبناء جنسهم ، وهو قانون المودة ، وقانون آخر لمن هم خارجون عن جنسهم ، وهو قانون العداء ، ان القانون الثنائي أو النظام الثنائي هو علامة التطور السلالي أو السلالة المتطورة . ورأيي الخاص ان الخواص السلالية مترقية في اليهود أكثر من سائر الشعوب القوقاسية [1] . الـ « ضد سامية » اذن ليست إلاّ سمّ زعاف من السلالية .

ان زملائي الانثروبولوجيين، بتأثير تعويذة المثل العليا الأدبية، خدموا الأمميين واليهود خدماً سيّئة بتسميتهم أسماءً جميلة لأشياء قبيحة . فهم أرادوا أن يقنعوا اليهود انهم ليسوا سلالة، بل هم جماعة بشرية مجموعة معاً بجامعة الدين . بل هم أكدوا لبقية الشعوب القوقاسية انهم ليسوا سلالة . ولذلك فالعداوة التي بين الأمم واليهود ، انما هي نوع من الهستيريا المتهيجة صناعيًّا لا طبيعيًّا . والانثروبولوجيون الاختصاصيون بحسن ظنهم في العالم نجحوا في اخفائهم عن العالم طبيعة قروحه . فاذا أريد شفاء هذه القروح يجب أن تعرض بوضوح لنظر الجرّاح وأن تسمى بأسمائها الحقيقية .

والآن نتقدم للنظر في الوجهة السلالية للخطط اليهودية التي نشأت في النصف الأخير من القرن التاسع عشر تحت اسم الصهيونية . ان حلم النبي (نحميا) بأورشليم، وفي وسطها صهيون ، انما هو أمنية خيالية تمسك بها كل يهودي حديث في هذا الزمن . والصهيونية كانت في بادىء امرها حركة أريد بها تحقيق هذا الحلم . وقد عزّز هذا الأمل اعتبارات أخرى . ففي منطقة خاصة باليهود يزول خوفهم من أن تبتلع قوميتهم أمة أخرى . يكون

---

(١) السير ارثر كيث يعتقد أن أصل الامم الاوروبية حتى جميع الامم التي حول البحر المتوسط هو انسان النيندرتال Neanderthal الاول الذي عاش في القوقاس وانتشر في أوروبا أو غربي آسيا وشمالي أفريقيا

اليهود في مركز يهجرون فيه لسانهم الأممي الذي اكتسبوه ، ويصبحون أحراراً في أن ينعشوا لسانهم الأصلي — العبرية — الذي أصبح لساناً ميتاً مدة ٢٥ قرناً. وفي أقليم خاص بهم يمكنهم أن يمارسوا طقوسهم ويحفظوا دينهم ويحافظوا على عاداتهم . يمكنهم أن يرقوا ثقافتهم بكل فروعها . وعلاوة على ذلك استقلالهم ذو السيادة يؤذن لهم أن يسيروا في طريق مصيرهم السلالي على هواهم . وأخيراً يعود لهم وطن قومي حقيقي .

في سنة ١٩١٧ أرادت الوزارة الانكليزية أن تعترف بخدمة مهمة قدمها الدكتور شايم ويزمان للحرب . فسألوه ما ذا يريد مكافأة عليها .

فأجاب أنه لا يريد مالاً ولا رتبة شرف ، بل هو يود أن يكافأ مكافأة سخية وهي ان تسمح الحكومة البريطانية بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . فعُرض هذا المشروع على مستر بلفور ، الذي صار بعدئذٍ اللورد بلفور وهو أحد الوزراء ، لكي يعلنه . وكان بلفور في الطبقة الأولى من الساسة . وهو ذو عقل ديني ودهاء وضلاعة في الفلسفة ، ويعتقد ان الحرص على القانون والنظام أول واجبات الحكومة . فاذا ظهر التفاوت السلالي (بين العرب واليهود) يجب أن يقمع بيد قوية . وهكذا منح اللورد لويد جورج الدكتور ويزمان هذا الطلب ، وثنّاه المستر ونستون تشرشل . وبهذه العملية وجدت الحكومة البريطانية نفسها منساقة الى الصهيونية .

وفي سنة ١٩٢٢ أعطت جمعية الأمم حق الانتداب على فلسطين للحكومة البريطانية . وكان لانتدابها شرطان : الاول أن يُسهّل انشاء وطن لليهود في فلسطين : الثاني أن يحافظ على حقوق سكان فلسطين ومركزهم فيها . وهكذا أصبحت بريطانيا مسؤولة لدى شعبين : اليهود والعرب في فلسطين . وقد وعدت أن تخولهم الحق أن يعيشوا متعاونين في أرض صغيرة .

مساحة فلسطين أكثر من ٩٠٠٠ ميل مربع قليلاً ، ونصف هذه المساحة تقريباً قاحل وهي لا تحتمل أكثر من مليون ونصف نسمة ، اذا كانت تفلح وتزرع لاقصى حد . وفي سنة ١٩٢٠ كان عدد اليهود نحو ١٥ مليون نسمة في العالم كله ، وارض الميعاد الموعود بها شعب اسرائيل لا تحتمل إلاّ كسور هذا العدد . وفي ذلك الحين أمكن فلسطين ان تأوي نحو ٦٧٣٠٠٠ عربي منهم ٦٧٠٠٠ يهودي يعني أن يهود فلسطين كانوا عشرة بالمئة من السكان . وعرب فلسطين ، في ١٣٠٠ سنة مدة احتلالهم للبلاد ، لم يكونوا شعباً منفصلاً مستقلاً . فكانوا كسائر اخوانهم في صحاري بلاد العرب قبائل في نظامهم وعقليتهم . فالخطر المشترك وحّد بينهم في أمة قائمة بنفسها وقوامها . ورأى العرب ان وعد بريطانيا

لليهود بوطن قومي إنما هو تهديد لوطنهم ولمنهاج حياتهم ولوجودهم كأمة . وشعورهم هذا ساقهم الى الثورة ضد اليهود في سنة ١٩٢١ — ١٩٢٢ والهياج الذي احتدم سنة ١٩٢٩ بين المسلمين واليهود بشأن « حائط المبكى » كان شديداً وخطيراً ودموياً . وفي سنة ١٩٣٠ تطوّرت عداوة العرب فصارت ضد البريطانيين كما كانت ضد اليهود . وفي سنة ١٩٣٦ نهضت الأمم العربية . فتحرك العرب وشبت حرب التحرير حرب أستقلال فلسطين. وقد روت جريدة التيمس في الخامس من اكتوبر سنة ١٩٣٨ « ان أنفاراً مسلمين تجمعوا في الروابي وألفوا شعباً عربياً متحداً . وصار الشيخ جندياً في حرب مقدّسة . وبات استاذ المدرسة داعياً للحرب . وأصبح الامن تحت خطر » . وتقسيم البلاد الى مناطق عربية وأخرى يهودية كما أوصت لجنة بيل للحكومة البريطانية سنة ١٩٣٧ أرضى العرب قليلاً كما أرضى اليهود . ومن سنة ١٩٣٦ الى ١٩٣٩ توالت حوادث الاغتيال والقتل. وخاف اليهود ان يقذف بهم العرب الى البحر، وخاف العرب ان يضطروا الى الالتجاء مع أطفالهم الى الصحراء . وفي سنة ١٩٣٩ أمكن الحكومة البريطانية ان تسكن روع العرب قليلاً بأن حددت عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين بعشرة آلاف كل سنة الى أجل غير مسمى

والآن بدأت الحكومة البريطانية في سنتي ١٩٣٩ — ١٩٤٥ تتحقق ان بين الروح العربية والالتزام البريطاني نحو اليهود تضاداً شديداً . وفي أوائل الحرب كانت فترة هجوع في النزاع الفلسطيني .

وفي سنة ١٩٤٢ رُوي ان سكان فلسطين زادوا من ٧٤٠٠٠٠ في سنة ١٩٢٠ الى ١٦٢٠٠٠٠ ، والعرب ومنهم اليهود القدماء الذين كان عددهم ٦٧٣٠٠ صاروا يعدون الآن ١،١٥٦٠٠٠. وارتفع اليهود من ٧٦٠٠٠ الى ٤٨٤٠٠٠ . وبهذه الزيادة صار اليهود أكثر عدواناً في تصرفهم وسياستهم . طلبوا الى الحكومة البريطانية أن تنفذ انتدابها وان يسمح لليهود ان يتوغلوا في فلسطين ، وان يزداد عدد اللاجئين منهم اليها الى مئة الف في الحال ، وان لا يتحدد عدد اللاجئين على الاطلاق . قال باجهوط ان الأمة اليهودية ربحت قضيتها بحكم القانون لا بالحرب . وفي هذه الحال رفض طلبهم فضربوا بالقانون عرض الحائط ولجأوا الى السلاح بطريقة شيطانية فظيعة . فوجد البريطانيون أنفسهم في فلسطين في نفس الموقف الذي كان فيه الرومان منذ الفي سنة. فحارب اليهود بنفس التعصب والشراسة لأجل استرداد فلسطين كما فعل أجدادهم في زمن الرومان والمكابيين لتحرير بلادهم . والستة عشر مليون يهودي المشتتين في العالم ولا سيما يهود الولايات المتحدة كانوا يشدون أزرهم . والعرب لم يهملهم اخوانهم ، فان الأربعة عشر مليون عربي الذين في بلاد العرب والعراق وسوريا اتحدوا في

مناصرة الفلسطينيين . وكذلك فعل المصريون . ولكن ما من أمة انحازت للبريطانيين بل بالعكس . والولايات المتحدة طلبت الى بريطانيا أن تمنح ١٠٠٠٠٠ يهودي حق الدخول الى فلسطين في الحال .

وفي سنة ١٩٤٦ تألفت لجنة من ١٢ عضواً : ستة يمثلون الولايات المتحدة، وستة يمثلون بريطانيا، وأرسلت الى فلسطين لكي تفحص الحالة وتقدم تقريراً فيها . وروت التيمس في أول مايو سنة ١٩٤٦ ان اللجنة قررت انها وجدت فلسطين معسكراً مسلحاً ، وارتأت ان العالم كله مسؤول عن طرد اليهود من أوروبا . وانه لذلك يجب أن يلجأ الى فلسطين ١٠٠٠٠٠ يهودي .

وأما أن يدفع العرب الفلسطينيون دين العالم فلم تستصوبه اللجنة المذكورة ، كما انها رأت أن فلسطين ليست لليهود ولا للعرب بل للعالم الديني . وإذ رأت أن العالم الديني ترك العرب يحتلون فلسطين ١٣ قرناً فامتلاكها أصبح مسألة فيها نظر . وكان قرار اللجنة الرئيسي أن « تبقى فلسطين تحت الانتداب أو تحت سيطرة هيئة الأمم المتحدة الى أن يتفق العرب واليهود على أن يعيشوا بسلام معاً ، أو انهم « يفهمون أن الخطة المرسومة ستنفذ بالقوة » . على أن الانثروبولوجي (عالم تاريخ الجنس البشري) يرى أن مستقبل فلسطين سيكون ويلاً ونكبة إذا أخذ هذا القرار كسياسة سديدة . وكان في فلسطين دولة منتدبة مدة ٣٠ سنة تقريباً . وقد أنفق دافع الضرائب البريطاني فوق المئة مليون جنيه لأجل تنفيذ الانتداب . وكانت الأمور تتقدم فيه من رديء الى أردإ . ولا قوة على الأرض تكبح جماح سلالية اليهود .

في سنة ١٩٣٠ قال القاضي السويدي لوفغرن Lofgren قولاً صادقاً عن الانتداب الذي عهد به الى بريطانيا ، الانتداب الذي قيدها بأن تنفذ غرضين لا وفاق بينهما . فقد عمدت أن تعد وطناً لليهود في فلسطين ، وبالوقت نفسه لا تسيء للعرب بشيء . وقد ظنت أن أرضاً صغيرة كهذه لا بد أن تحوي شعبين يختلفان في السلالة والعقلية . والآن (في سنة ١٩٤٧) اكتشفت خطأها . فماذا إذاً على بريطانيا أن تفعل ؟ والعادة ان الحكمة تقضي عليها متى علمت خطأها أن تعترف به وتصلحه . في سنة ١٩١٧ لم تكن الوزارة البريطانية وحدها خاطئة . الصهيونيون أنفسهم لم يفهموا الموقف ، كانوا عميان عن حقوق العرب ، ظنوا ان الثروة والنجاح والثقافة، كل هذه التي سيأتون بها الى فلسطين ، تجعل العرب أن يفتحوا أبوابهم على مصاريعها لدخول اليهود اليها . فهذه الأمنية التي توقعوها كانت مفضية الى كارثات جسيمة . والموقف الحرج الذي يقفه اليهود ولا سيما الصهيونيون في فلسطين

اليوم يعطيهم فرصة لامثيل لها . وهي أن يبدوا للانسانية اشارة كريمة في جميع العالم ، وذلك أن يعدلوا عن عزمهم أن ينشئوا دولة مستقلة في فلسطين ، وان يعترفوا بالحق الشرعي للعرب بأن فلسطين لهم وهم أهلها . وان يكفوا عن مطالبة بريطانيا «برطل اللحم الانتدابي»[١] الذي يجب أن يقطع من بدن العربي الحي ، وان يتفقوا مع الفلسطينيين على الحقوق والامتيازات التي يمكن أن يتمتع بها شعب هو ضيف (لا أصيل) ، وإلا فاني أرى خلاف هذا حرباً دموية طويلة الأجل . إن كنت خاطئاً في هذا الرأي فالمستقبل القريب يبحث عني[٢] هذه هي الحالة في سنة ١٩٤٧ كما تراها عين عالم بتاريخ الجنس البشري (أي انثروبولوجي) .

***

حاشية للمؤلف — اليوم قررت هيئة الأمم ان تقسم فلسطين الى مملكتين يهودية وعربية . اليهود قبلوا التقسيم، ولكن العرب رفضوه . وبريطانيا أذاعت ان انتدابها ينتهي في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨

حاشية المترجم — علمت بريطانيا خطأها في منح وطن قومي لليهود وعجزت عن اصلاحه. وتركها الانتداب ، والحرب قائمة بين العرب واليهود قبل ان تصل الى حل لعقدة ابليس ، كان خطأ أشر جداً من منح الوطن القومي لليهود . ان عملية انكلترا في فلسطين سلسلة أغلاط وقد رأت أنها أغلاط لا تصلح . فتركتها في أوخم نتائجها ، أي الاقتتال بين الفريقين وهي « تتفرّج» على الدماء البريئة تجري، وستظل تجري . هذه سياسة الدولة العظيمة التي كان صعاليك السياسة ينسبون لها الحكمة والشطارة في السياسة . ونحن ننسب لها الآن التجرد من الضمير — لا شطارة ولا ضمير . ان أفظع أغلاط الانسانية أن يكون مصير الأمم بين أيدي أفراد جهلاء وذوي مطامع شخصية . ان عملية الانكليز هي نفس عملية قاطعي الطرق الذين يسطون على الشخص الواحد فيضربونه ويجرّحونه، ثم يغتصبون منه ماله وثوبه ويعطونهما لشخص آخر. لو أخذوه لأنفسهم لقلنا ان الطمع والاجرام قد يبرران هذا . ولكن ان يعطوا ما يسلبونه لشخص آخر ليس منهم ، لا ندري ما نسميه غير الاجرام — فهل عند أحد كلمة غير الاجرام ؟ أين أنت يا باريء ، يا منصف ، يا مجزي .

في العدد القادم — هل اليهود سلالة أم شعب ؟

(١) اشارة الى رواية — تاجر البندقية لشكسبير التي يطالب فيها شيلوك اليهودي من مدينه الذي لم يستطع الايفاء رطل لحم من فخذه بحسب العقد الذي بينهما
(٢) عمر السير ارثر كيث الآن (٨٠ سنة)

التجديدات

في فن الطرب

رحمة الله على عبده ، والشيخ يوسف المنيلاوي ، والشيخ سلامه حجازي ، وزملائهم من أئمة الطرب القديم الذي كان شائعاً في بلاد الأغريق ، واستمبول وتوابعهما وبغداد، وحلب ، والشام ، ومصر ، وإيران ، وغيرها من البلاد الشرقية التي نبغت في فن الطرب نبوغاً لا نظير له . غفر الله لأولئك الأئمة العظام فقد اجترموا جريمة لا تغتفر إذ دوزنوا أوتار أعصابنا الموسيقية دوزاناً فنيًّا بديعاً . ولكنه بغير أسف لا يتفق مع الموسيقى الافرنجية بتاتاً، ولا يمكن أذواقنا أن تستسيغها . وما حسبوا حساب ان المتطفلين على الفن سينتحلون الألحان الافرنجيـة ويمسخونها ويدّعون أن مسخها تجديد في الفن . وقالوا هذا هو الطرب الجديد فخذوه وتمتعوا به ، ونحن الذين ألفنا ذلك الطرب القديم تنبو أسماعنا عن هذا الجديد، وتقزُّ أنفسنا منه ، وترتجُّ أعصابنا ارتجاجات تزلزل مراكز الدماغ

يكاد ذلك الفن القـديم الذي عاش لا أقل من ١٥ قرناً يتلاشى، ولا سيما في مصر ، ولم يبق عندنا هنا من يمثله ويحسن عزفه وغناءه سوى بضعة أشخاص معدودين، وصرنا نخاف أن يُحرَمهُ حفداؤنا حرماناً كليًّا ولا يعرفون عنه إلاّ خبره وبعض أنموذجات منه محفوظة في الاسطوانات (الأقراص) من أدوار ، وموشحات، وبشارف . بل صرنا نخاف أن هذه تفنى من الوجود أيضاً لأننا سألنا عن بعضها عند تجارها فقالوا لنا « البقية في حياتك » . واذا ابتغيناها في صحف العلامات الافرنجية لا يمكن أن تعبر عن أنغامنا ولا سيما لأن بين الطربين بوناً عظيماً كما سنفسره فيما بعد .

لقد طغت الموسيـقى الأجنبية علينا حتى تغلغلت في موسيقانا، وجعل أهل الفن عندنا يمارسونها بدعوى التجديد ، وما هو إلاّ اقتباس الفن الافرنجي ومحاولة تطبيق الـكلام العربي عليه . وقد قيل لنا والعهدة على الراوي ان بعض ذوي الفن الافرنسيس سيقاضون

لدى محاكمنا الأهليـة أحد الفنانين ، وهو مصري ، لأنه انتحل ألحانهم بتعديل قليل فيها وادعاها لنفسه، فاذا هي ممسوخة مسخاً شنيعاً .

لا نفهم ما ذا يراد بهذا التجديد . ونحن نفهم أن المراد بالتجديد هو ابتكار أوزان جديدة في « التك والضم » في اصطلاح الموسيقيين . أو ابتكار أنغام طريفة ، لا اقتباس أنغام وألحان أجنبية ومسخها . ان موسـيقانا تتجدّد بطبيعة الحال من تلقاء نفسها مع الزمان بما يضاف إليها من الأغاني والموشحات والأناشيد وسائر القطع الموسيقية الجديدة من تقاسيم وموشحات وأدوار وبشارف ونحو ذلك . ولـكن مهما أضيف إليها من هذه فقد لا يمكن أن يضاف إليها نغمات غير ما فيها لأنّ ما فيها الآن لا يقل عن ٣٠ نغماً . وقد لا تحتمل مزيداً على الرغم من أن فيها من الدرجات وكسور الدرجات (النصف والربع والثمن فضلاً عن الدرجة الكاملة) ما يسهل لها أن تحتمل كل مزيد .

نقصد بالأنغام أو النغمات الفنون التي تتأتى من استعمال كسور الدرجات كالبياتي والرصد والحجاز كار والنهوند الخ .

فمن يرم التجديد فليبتدع فيهـا أنغاماً جديدة غير هذه وأخواتها مما هو معروف ، لا أن يسرق من الألحان الافرنجية لحناً ويمسخه . ومهما برع في اقتباس الألحان الافرنجية فلا يستطيع أن يأتي بأفضل وأطرب من ألحاننا العربية ، لأن السلم الموسـيقية الافرنجية ليس فيها الا الدرجة الـكاملة ونصف الدرجة . ولا تستطيع أن تركب من حرفين (درجتين) ما تستطيع أن تركبه من أربعـة أحرف (٤ كسور الدرجات) ، من حرفي . م . د لا تسـتطيع أن تركب أكثر من « ندّ » و « دمّ » و « مدّ » و « دن » ولـكنك من م . د . ج . ص تستطيع ان تركب مئات الكلمات . هكذا الأمر في الأنغام .

لما وافانا عصر الاذاعة اللاسلـكية اعتقدنا ان الراديو سيكون داعياً لتنافس الملحنين في التلحين على أساس طربنا الذي ولدنا فيـه ورضعناه مع لبننا . كنا نتوقع ان يتبارى الملحنون عندنا في وضع تقسيمات جديدة وتوشيحات طريفة وأغان مستطرفة على مختلف الأنغام من الرصد الى الأصفهان الى النهوند الخ . وان يبتدعوا لنا بشارف جديدة تضارع البشارف التركية، أو أجمل من بشرف رصد لماصم بك، وبشرف عشاق اصفهان بك ، أو شطط

عربان ، وبشرف البياتي لاسحاق بك . ما سمعنا بشرفاً جـديداً إلاَّ بشرف رصد للنابغة الأستاذ سامي الشوا ، بشرفاً رائقاً رقيقاً كأنه حديث الملوك، هو حديث طرب من أحاديث سامي اللطيفة الممزوجة أحياناً بالمزاح . ويقال إن بشارف الأستاذ النابغة توفيق صباغ التي يدرّسونها الآن في المعهد الموسيقي الملكي تضارع البشارف التركية .

لم نسمع في الاذاعة تنافساً في ألحاننا، بل تنافساً في مسخ الألحان الافرنجية وتعريبها ، فأصبحنا كأننا نرى ريش طاووس في ذيل جحش . فذهب جمـال الطاووس في سكروج هذا الحمار ، وأصبحنا ونحن نسمع هذه الألحان الممسوخة كأننا نسمع أنكر الأصوات ...

أجل لم نسمع في الاذاعة تنافساً في ألحاننا الشرقية المصرية على الخصوص وبدعاً فيها كما كنا ننتظر. بل صرنا نسمع « نشازاً » كما يسميه المطربون وأهل الطرب .لم نعد نسمع الانشاد التي كانت تنشدها كبيرة المطربات ونقيبة المطربين من « مالي فتنت ... » و « حقك أنت المنى والطلب » و « غيري على السلوان قادر » . و « فتكات لحظك أم سيوف أبيك » . وحلـت « أخاف يكون حبك لي شفقة عليَّ » محل « أراك عصيَّ الدمع » وبين النظمين واللحنين أبعد مما بين الباسفيك والاتلانتيك » . وهل في الاناشيد أجمل من « أراك عصي الدمع » هذه نظماً ومعنىً ومغنىً ؟

جزاكم الله بِصقَـر يا بشر . أبدلتم نقيق الضفادع بطرب البلابل

تالله هل فقدتم الذوق أم ركبتكم جنّـة التجارة الموسيقية . فصرتم تتسابقون الى بورصة الاذاعة بين متطفلين وسماسرة ومستغنمين ومحاسيب

هذه هي شرعة الراديو الديموقراطية ان يتولى الأمر سماسرة الفن لا أبناؤه فيفرضون عليك ان تسمع هذا وذاك، لا هاتيك ولا تلك، فتسمع الطبل والزمر ونحوهما . ثم يدّعون ان الاذاعة في الراديو ترقي الذوق الموسيقي في الجمهور كما هو مفروض وهو منتظر.ولكن ليس شيء من هذا .

لم نعد نسمع في الراديو إلاَّ كل من فتنه الغرور، فظن ان الله وهبه صوتاً جميـلاً لا نهيقاً منـكراً ، واعتقد ان الطرب إنما هو في النهيق ، وجهل ان الطرب فن ، وان التلحين أسمى درجات الفن وانه أعظم قيمـة من الصوت . وأنا حين أسمع دور « يلـي قوامك يعجبني » من سيد درويش نفسه (وصوته دون الاعتيادي جمالاً) أصفق له تصفيقاً حاداً . واذا سمعت أم كلثوم تنشد (غيري على السلوان قادر) أصفق لأبي العـلا الذي لحن القصيدة لالها . أما الذين يظنون ان الله وهبهم الصوت الجميل فصاروا يرتجلون ألحان القصائد ارتجالاً ، لظنهم ان الابداع في الصوت، ولا أهمية للحن ولذلك صار كل من

تبلغه الواسطة مهما كان نوعها الى غرفة الاذاعة يرتجل نشيداً بحسب الهام غروره

سمعت مرّة في الاذاعة « صوّيتاً » ينشد « نالت على يدها ما لم تنله يدي » . بقي نصف ساعة يردد كل بيت من الأبيات الأربعـة الأول مراراً . ولـكن (أجارك الله) على وتيرة واحدة . أنشد كل بيت من هذه الأربعة خمس مرّات أو ستّا على الأقل من غير ان يغير في اللحن شيئاً ، فـكان انشاد البيت الأخير كانشاد البيت الأول . ولو كان في منال يدي هو ومن أجاز له أن ينشدنا لصفعتهما . عفواً وعذراً .

كذا ابتدأت السيدة أم كلثوم في أول عهدها تنشد «سمحت بارسال الدموع محاجري» فـكانت تنشد كل بيت كالذي سبقه من غير تفنن أو تلحين . فقلنا لها في مقـال « سبحان من أبدع وسوّى يا أم كلثوم . الصوت لم يبدع الله أجمل منه . ولـكن التلحين مخدر . يا سيدة الطرب ، ليس الطرب صوتاً فقط بل هو فن أولاً . فتعلمي ما لحنه أبو العلا والقباني وسيد درويش وداود حسني ، ثم اطلعي على المنبر . فنقول الله اكبر » . ففعلت . ثم اسمعتنا من القصائد الملحنة ما يليق أن تنشده مع الملائكة حول عرش الله تعالى . ثم ما لبثنا أن صرنا نسمع ألحان التجديد . وأغفلت كل ذلك القديم فنقمنـا على كل من لحن جديداً وغنى جديداً . أليس لهؤلاء المغنين والملحنين ذوق .

لحن أحدهم رواية «عائدة» العربية ، فمجها الجمهور . فاضطرت ادارة الأوبرا أن تكلف الأستاذ زكريا أحمد أن يلحنها على المنهاج العربي . فنجحت .

يقولون لك إن هذا ما يريده عامة الشعب . تبًّا لـكم ! أنتعلم الذوق من عامة الشعب أم أن المراد بالاذاعـة أن نرقي ذوق الشعب — كذبوا لا يريد هذا الا المتطفلون الذين رأوا انه صار للغناء ثمن بفضل اللاسلـكي . فصاروا يتطفلون ويلحنون ويغنون وهم بلا ذوق موسيقي .

الشعب ابن طرب ولـكنه ليس ابن فن . فما نقدمه له يستسيغه بقدر . وأخيراً تدوزنت أوتار أعصابه السمعية على مسوخ طرب التجديد هذا . فالذين نشأوا على هذا الطرب ظنوا أن هذا هو المثل الأعلى في الطرب . ولو سمعوا القديم لتغير رأيهم . والذين كانوا يسمعون القديم لعنوا الجديد ومن أدخله على عالم الطرب .

لا يستحسن مما تغنيه أم كلثوم إلا ما كان فيه شيء من القديم .

نسأل المجددين هل يمكنهم أن يلحنوا دوراً أو موشحاً ؟ إذن فليسوا أبناء فن وما هم موسيقيون .

عندنا في موسيقانا الشرقية أو بالأحرى العربية ثروة طرب لا تضاهيها ثروة الأمم

الأخرى . ولكن بكل أسف انها تحتضر الآن . تكاد تذهب وتدفن فهو مأسوف عليها لأنه ليس في الجيل الحاضر من سمعها وعرفها حتى يترحم عليها .

قال لنا بعض أساطين الطرب القديم أن في عالم الموسيقى العربي فصل عزف وغناء يشغل نحو ٣ ساعات يسمى « فصل المطاش » ، يشمل جملة من نخبة التواشيح والمقطوعات الفنية التي لا تضاهى. وقد عرفنا الآن ممن يعزفونها ويغنونها ثلاثة : هم الأساتذة الكبار سامي الشوا، وأخوه فاضل، وجميل عزت . ولا ندري إن كان يوجد غيرهم هنا في مصر . ولكن يقال إن في حلب الشهباء بعضاً آخرين يعزفون ويغنون هذا الفصل . فاذا لم يتعلمه بعض موسيقي مصر وغيرها، ذهب بذهاب ذلك البعض، أطال الله أعمارهم . حبذا لو كان عازفو هذا الفصل يحيون ليلة طرب في الأوبرا أو في أي مسرح آخر كبير ويعزفونه ويغنونه ، فكان محبو الطرب يدركون قيمة التجديد الى جنب قيمة هذا القديم المنبوذ .

صرنا نخاف أن يمضي هذا الجيل ولا يبقى للجيل القادم الا بعض الطرب الجديد وهو ممسوخات الأجنبي والقديم ، فيصبح الجيل الجديد وليس عنده موسيقى تمكنه أن يفتخر بها .

رأينا الاذاعة محتكرة فلا يصل اليها إلا أشخاص لهم من أصدقائهم ومن وسائلهم غير المحمودة أحياناً سندات يتوسلون بها . فلا نسمع إلا القليل من أهل الفن، والكثير من الطفيليين . وأما معظم أهل الفن النابغين فلا يلتفت اليهم . وقد روى لنا أحد هؤلاء النوابغ أنه دعي للاذاعة وطلب اليه أن يعزف ويغني للتجربة والامتحان ، مع أنه معروف جيداً ، وكان يسمعه في حفلات خاصة أمراء ووزراء وكبراء، وكانت الاذاعة تذيع بعض اسطواناته ، فمن قلة الذوق أن يستدعى ليُمتَحن . ولكن مجلس الاذاعة الأعلى رام ان يطرب ساعة، وبعض الساعة ، حتى ضجر الرجل من امتحانهم السمج فسكت . ثم قيل له . غداً ان شاء الله يصلك خطاب لكي تأتي وتمضي العقد . وقد مرّ الى الآن ١٧ سنة على هذا الوعد ولم ينجز العقد .

وقد سئل يوماً أحد رجال الاذاعة : لماذا لا تستدعون فلاناً لكي يذيع شيئاً من تحف الفن . فقال ان « فلاناً غير محتاج » . فكأن الاذاعة تكية للمحتاجين ، لا مصدر اذاعة للجمهور المعطشى للطرب المحبوب .

وهكذا يبقى الشعب محروماً فطاحل الفن، لأن لا رزق إلا للمحتاجين . والحكومة تتقاضى في العام ٣ أرباع المليون جنيه ضرائب على آلات الراديو أفلا تكفي للمحتاجين ولأهل الاذاعة .

ان مصلحة الاذاعة عندنا مريضة تحتاج الى علاج .

أنا والنور

قد أطلّ البدر من كوّته باعثاً أجلى شعاع وسناء
من شبابيك بلون أصفر وسط كل الكون والكون بهاء
أرسل النور على الأرض التي سطع النور عليها بالضياء
أرسل الناس له أحلامهم حين طلّ البعث في بث الرواء[1]
وأنا في النور أبدو باكياً نادباً حظي في أرض خواء
ليت هذا النور قد عززني بشعاع مثل آمال السماء
باكياً في الكون عندي زهرة ذبلت في شبكة النور الوضاء[2]
حاملاً آمال قلبي في يدي أين عمري ضاع مني والولاء
هي حزمات[3] من النور الذي بث في الكون مع الكون العفاء
ذبل الزهر واني صامت أنظر الآمال تترى في الخفاء
أبصر الآمال في حدتها عند تيار له كل الجفاء
هو ذا النور له ألوانه وبه عنوان حب وعزاء
كنت في صبحي أرنو مثلاً ما أرى الأمساء والكراء[4]
صرت في ليلي لا أبصره من صدى الأظلام في هذا الطلاء
ذبل الزهر وعندي جدث أنظر الحفّار من هذي السماء

فيصل عمران القاضي

---

(١) ننبه الناظم الى فعل طل في البيت الرابع والى وزن الصدر في البيت التاسع
(٢) الوضاء بتشديد الضاد بتكسر الوزن (٣) هذا الصدر مكسور الوزن
(٤) هذه ملاحظات رئيس التحرير فيرجو منك ألا تعتب اذا امتنع عن نشر شعر كهذا

منابع النيل

حسب عقيدة قدماء المصريين وتقاليدهم

لأنطون زكري

— ٣ —

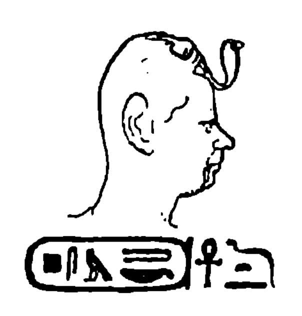
بحث العالم القديم والحديث في منابع النيل

فوق المزايا العلمية والصناعيـة التي امتازت بها مصر في قرونها الأولى قرون العظمة والأسعاد والتفوّق البـاهر على سائر الأمم ، خصّ الله هذا الأقليم بالنيل المبارك ، وهو أكبر المنن الألهية التي جعلت كافة مواهب البشر أمامها لا تكاد أن تكون شيئاً مذكوراً . فالنيل هو ينبوع الحياة ، ومهد الأرتقاء ، ووسيلة الحياة الخالدة ، ورغد العيش المزيد . فكلما أمعن الباحثون في التفكير بما تقله أرض مصر من العجائب الصناعيـة ، والهياكل والآثار والمباني التي قاومت العصور ظاهرة فوق بعض المواطن ، وتحت بطون الأرض وفي غيرها ، يرتد إليهم صدى مجهوداتهم الفكرية حائراً ذاهلاً ، كلما رأى النيل يتماوج بأعاجيب المناظر، ويتدفق في مجاريه بأوفر الخيرات ، على بلاد أسعدتها الطبيعة بأن يفيض عليها من كنوزه وخيراته، ما جعلها تمتاز بسعة الخصب وقوّة النماء . وإن أهاليها كلما جدّوا في الأعمال الزراعية ، جادت عليهم بأضعاف ما كانوا يتمنون في مبادىء أعمالهم ، فينشطون على الدوام الى التوسع في استخدامها ، بقدر ما تشجعهم عليه سعة الآمال ، فلا تضنّ الأرض بما استودعت من المزايا ، ولا تـكل السواعد ولا الهمم عن اجتناء أطيب الثمرات، واحراز الأرباح الوافرة . وهكذا كان المصري وبلاده في دور نشأته الأولى وسعادتها الماضية كل على صاحبه يجود بأقصى المنح ، فتجدد للأراضي زيناتها النباتية ، وتتنوّع لأقوام الشعب موارد ثروتهم المالية .

كانت مصر بهذا الاعتبار مصدراً للمعجزات العقلية، لأن خصائصها الشهيرة، ومميزاتها المدهشة، لم تجتمع في غيرها من الأقاليم ، وكفى أن منابع النيل وأدوار فيضه وتطوّرات انتقاصه واستمرار مجاريه على حالة لا تعوقها الرواسب ، ولا كميات الرمال ، التي تذروها الرياح في المناطق ، قد جعلت ألباب الباحثين حيارى . وطالما عاق الأقدمين الوصول الى

حل مسائله العويصة ، ولكنهم وقفوا أمام أقاويل وآراء كل فريق يدلي فيها بحجته التي يؤيد بها رأيه على رأي مناظريه ، وامتدت بالقوم العصور الغابرة بدون أن يصلوا في هذه النقط الى تمحيص نهائي يرفع النقاب ويزيل الشكوك .

وروي في عصر « فايتون » الخرافي رواية أشبه بالخيال منها بالحقيقة ، إذ قيل فيها إن النيل كأنه لما رأى قرب الشمس من الأرض خشي من احتراقه بلهيبها ، فأخفى رأسه في آخر الكرة الأرضية . وإلى القرن السابع عشر ق . م لم تصل مباحث المؤرخين الى رأي سديد في حقيقة منابعه ومبادئها .



١٠ — رسم بسامتيك الاول وتحته اسمه بالهيروغليفي

وقد أفرغ الفراعنة مثل سيزوستريس (رعمسيس الثاني) وغيرهم جهداً كبيراً من عنايتهم للوقوف على حقيقة الينابيع فما استطاعوا . ولما قدم الى مصر هيرودوت ، وابتدأ مباحثه عن الينابيع لم يرشده أحد ، وذكر أن بسامتيك (رقم ١٠) أحد ملوك الأسرة ٢٦ ، ألف بعثة مكوَّنة من (٢٤٠٫٠٠٠) مائتين وأربعين ألف رجل ، وأمدَّها بكل ما تحتاجه لتسهيل العقبات في مسيرها والوسائل الصناعية الأخرى في نقل الأحمال والمؤن والوسائل الدفاعية إذا صادفها شيء من ذلك ، وترتيب وصول المعلومات منها إليه عن الأقاليم التي تجتازها ، والمناظر التي اهتدت إليها ، وعجائب الأودية والقبائل، وأمدَّها بسعة الاغداق والمعونات الكبرى لتتغلب بالبذخ والسخاء والمعدات الكثيرة على انجاح مأموريتها ، فقضت فيها بعض السنين ، وعادت من حيث أتت ، ولم تدوّن غير اكتشافات جغرافية عن بعض المواقع في تلك المجاهل ، ثم استحكمت هذه الفكرة لدى اسكندر المقدوني وقمبيز ، ورتب كل منهما في عهده رحلة خاصة ، وأمدَّها بأساليب أقرب في الوصول الى الغاية المطلوبة، وأسهل منالاً في الاستكشافات والتوسع في المعلومات ، فعادت كباقي البعثات الماضية راضية من الغنيمة بالأياب .

وفي القرن الثالث ق . م . في عهد بطليموس إفرجت ، تكلم المؤرخون عن منابع النيل ، فكانت آراؤهم متطابقة مع المعنى الذي أورده الشاعر الروماني في كتابه المعروف « بالفرساي » (Versailles) على لسان يوليوس قيصر أن النيل يخفي رأسه عن الأنظار كحسناء لا تبرح عن دلالها مهما أطال إليها المشوق الضراعة والاستعطاف ، فالنيل يستمر في مجاريه فياضاً متدفقاً بينما أفكار الباحثين تكدّ وتجهد وترتد بالملل والضعف .

وفي القرن الأول ق . م . أبدى « جوبا » ملك « موريتانيا » رأيه عن منابع النيل ، وتبعه فيه « بلين وميلا والمؤرخ ديمون كاسيس » وهو أن منابع النيل القاصية لتعمقها تحت الصخور والتجاويف العميقة بتلك الأودية والوهاد ، لا يستطيع أفراد البعثات التي تنتدب من أجله خوض غمار تلك المياه . وفي هذه المنابع الفجوات التي تتفاوت بين الضيق والسعة والمنعطفات الطويلة ولا نستطيع إلاّ إذا تطوّعت بحياتها للخطر الذي لا يحتمل معه عود بعض أفرادها لينبيء الباقين عما رأت عيناه ، ووعته ذاكرته من هذه المناظر وعجائب تكوينها .

وقال بطليموس الجغرافي المولود في القرن الثاني ب . م . إن منابع النيل تلتقي في بحيرتين كبيرتين بأنحاء خط الاستواء . ولا يستطيع الغرباء التجول في ما وراءه ، لأن الأذهان ممتلئة بالروايات المنفردة عن وجود الوحوش والحيوانات الضارية التي تفتك بكل من أراد المسير في غاباتها أو مغاورها .

جاء العرب بعد اليونان خلفاء لهم في الاستعمار ، وحكموا مصر واستولوا على بلاد النوبة وغيرها من البلاد المجاورة لمنابع النيل ، وأحكموا صلاتهم التجارية والسياسية مع السودان وشعوب أفريقيا الجنوبية ، واتخذوا هذه التمهيدات وسيلة لوصولهم الي ما عجز عنه أسلافهم في تلك الأقاليم المجهولة .

ومن مشاهير العرب الأجلاء الذين صرفوا وقتاً مديداً ، وعزماً صادقاً ، في الوقوف على معلومات صحيحة بشأن منابع النيل الامام الشهير أحمد بن محمد بن عبد السلام المنوفي نسبة الى منوف في نهاية القرن التاسع الهجري . وكان اماماً في العلوم الاسلامية ، وتواريخ الأمم ، احترمه كثير من العلماء ، وأئمة البحث ، وعظماء الشعوب ، ونقلوا عنه في مؤلفاتهم . وكان يثبت لتلامذته أن العلم الصحيح والتقوى توأمان ، فمن لم يزدد عقله بقوة الايمان ، الذي هو فوق نواميس الطبيعة ، يكون دائماً في تردد الحيرة والضلال . دوّن هذا المؤلف الشهير كتاباً عنوانه « الفيض الجديد في أخبار النيل السعيد » ، وتوجد منه نسختان خطيّتان ، إحداها في دار كتب مرسيليا والثانية في دار الكتب المصرية بالقاهرة ، تكلم فيه عن منابع النيل وأصله واستمداده وطوله وعرضه .

ثم جاء نابليون مصر مع بعثة علمية بحثت في أحوال البلاد وأمورها ، ودوّنت عنها مؤلفات كثيرة ، ولكنّها لم توفّق للبحث عن منابع النيل .

وفي سنة ١٨١٩ أرسل محمد علي باشا بمنته العلمية الشهيرة يرأسها « جالياردو » المهندس الفرنسي ، فسافر الى الخرطوم ، وقال في مذكرته إن منابع النيل تبتديء من جبال القمر .

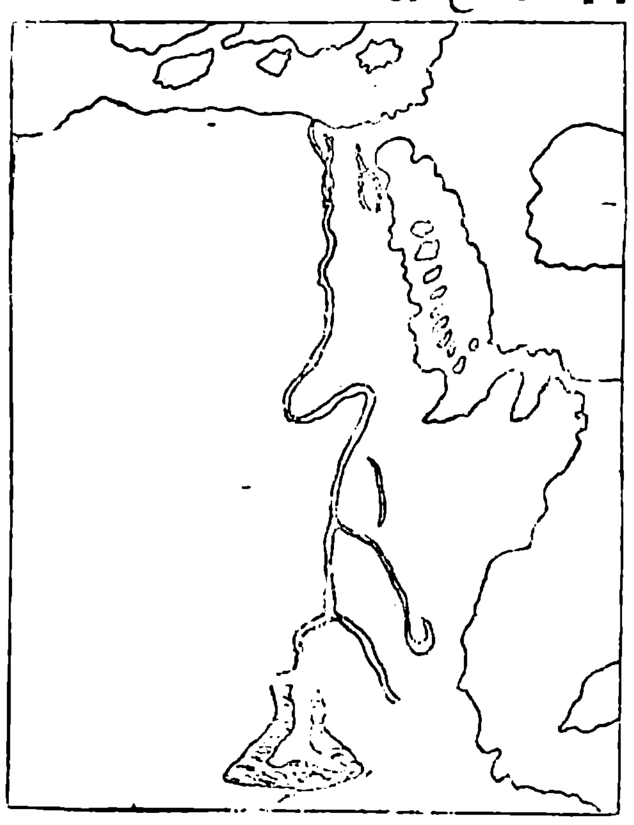
وفي سنة ١٨٥٦ توسّع في الاستكشاف كل من الباحث « برتون وبيك وبيكر » إلى ما خلف بحيرتي « فكتورية والبير نيانزا » وتحقق أخيراً أنهما أهم المنابع التي يتكوّن منهـا النيل ، وقد ساعدت الاكتشافات الأخيرة رجال اوروبا على التجوّل في أواسط أفريقيا ، واستطاعوا الوصول الى قول عزّزوه ببراهين الاكتشافات والرحلات المتوالية في هذه الأقطار ، وكلّل النجاح سعيهم ، كانوا مصداقاً للمثل القائل بأن من لازم السير في الدرب وصل الي مرحلة النجاح .

— ٤ —

رأي العرب في منابع النيل

ونثبت هنا ما جاء في كتاب « الفيض الجديد في أخبار النيل السعيد » تأليف الشيخ احمد بن محمد بن عبد السلام المنوفي في ذكر منابع النيل

ذكر المؤرخون في أصل منبعه من مبتداه الي منتهاه أقوالاً ، فقال أكثرهم ومنهم الحافظ بن كثير في تاريخه الكبير أن مبتداه من الجبال القُمْر (بضم القاف وسكون الميم) أي البيض ، ومنهم من يقول « جبال القمر » (رقم ١١) (أي بفتح القاف) بالاضافة الى الكوكب وهي غربي الأرض وراء خط الاستواء في الجانب الجنوبي . ويقال إنها صخور تنبع من بينها عيون ثم تجتمع من عشرة مسيلات متباعدة ، ثم تجتمع كل خمسة منها في بحيرة ، ثم يخرج منها أنهار ستة ، ثم تجتمع كلها في بحيرة أخرى ، ثم



رقم ١١ — رسم مجرى النيل

حسب خريطة بطليموس المحفوظة بدير جبل اونوس

يخرج منها نهر واحد وهو النيل ، فيمر على بلاد السودان بالحبشة ، ثم على النوبة ومدينتها العظمى « دنقلة » ، ثم أعلى السودان ، ثم تظهر على ديار مصر ، ويحمل اليها من زيادات أمطارها ، ويجرف من ترابها، وهي محتاجة إليها ، لأن مطرها قليل لايكفي زروعها وأشجارها، وتربتها رمال لا تنبت شيئاً حتى يجيء النيل بزياداته وطينه ، فينبت فيها ما يحتاجون إليه ، وهي من أحق الأرض دخولاً في قوله تعالى : « أوَلم يرَوا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز لنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون » ثم يجاوز النيل مصر قليلاً فيفترق فرقتين عند قرية على شاطئيه يقال لها « شطنوف » وهي من عمل القليوبية ، فيمر الغربي منه على « رشيد » ويصب في البحر الملح ، وأما الشرقي فيفترق أيضاً عند جوجر فرقتين » يمر الغربي منهما على دمياط من غربيها ، ويصب في البحر الملح، والشرقي منهما يمر على «أشمون» طناح ، فيصب هناك في بحيرة شرقي دمياط يقال لها بحيرة « تنيس وبحيرة دمياط ، وهذا بعد بعد عظيم من ابتدائه الى انتهائه ، ولهذا كان ألطف المياه .

رقم ١٢ — خريطة وادي النيل لبطليموس
نقلاً عن الخوارزمي

(وقال ابن العتيم في كتاب الهدى) : النيل أحد أركان الجنة ، أصله من وراء جبال

القمر رقم (١٢) في أقصى بلاد الحبشة من أمطار تجتمع هناك ، وسيول يجر بعضها بعضاً ، فيسوقه الله تعالى الى الأرض الجرُز التي لا نبات بها ، فيخرج به زرعاً تأكل منه الانعام والأنام . ولما كانت الأرض التي يسوقه سبحانه إليها ابليزاً صلبة ، إن أمطرت مطر العادة لم ترو ولم تتهيأ للنبات ، وإن أمطرت فوق العادة أضرّت الناس والمساكن ، وعطلت المعائش والمصالح ، فأمطر سبحانه البلاد لعبيده ، ثم ساق تلك الأمطار الى هذه الأرض في نهر عظيم ، وجعل سبحانه زيادته في أوقات معلومة على قدر ري البلاد وكفايتها . فاذا روى البلاد وغمرها أذن سبحانه بتناقصه وهبوطه لتتم المصلحة بالتمكن من الزرع .

وقال قدامة: « إن منبع النيل في بلاد القمر وراء خط الاستواء من عين تجري منها عشرة أنهار كل خمسة منها تصب في بطيحة في الاقليم الأول ، ومن هذه البطيحة يخرج نهر النيل » .

قال صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، إن هذه البحيرة تسمى بحيرة « كوري » منسوبة الى طائفة من السودان يسكنون حولها متوحشين ، يأكلون من وقع إليهم من الناس . ومن هذه البحيرة يخرج نهر النيل . وإذا خرج النيل منها يشق بلاد « كوري » ثم بلاد « قنة » طائفة من السودان أيضاً ، وهم بين « كانم والنوبة » ثم يغوص في الرمال ، ويمر تحت الأرض مكتوماً من الجنوب الى الشمال ، ثم يظهر ببلاد النوبة فاذا بلغ مدينة « دنقلة » عطف من غربيها الى المغرب ، وإنحدر الى الاقليم الثاني ، فيكون على شاطئيه عمائر النوبة ، وفيه جزائر لهم متسعة عامرة بالمدن والقرى ، ثم يشرّق الى الجنادل ، وإليها تنتهي مراكب النوبة إنحداراً ، ومراكب الصعيد الأعلى صعوداً ، وهناك أحجار لا تمر المراكب عليها إلاّ في أيام زيادة النيل ، ثم يأخذ الى الشمال ، فيكون على شرقيه مدينة اسوان من بلاد الصعيد الأعلى ، ثم يمر بين جبلين هما مكتنفان لأعمال مصر أحدهما شرقي والآخر غربي حتى يأتي مدينة مصر وهي الفسطاط الذي بناه عمرو بن العاص فيكون على شرقيه ، فاذا جاوزها انقسم كما تقدم ، قلت أي في قوله ، فيفترق فرقتين عند قرية على شاطئيه يقال لها « شطنوف » الى آخر ما ذكره .

[يتبع]

سر الوجود

(من ذكريات الصبا)

تبارك هذا البها يا ملك　　عليه ازمهرّت عيون الفلك
تكاد، وقد جفت غيرة،　　تغور قلى في قرار الحلك
جمالٌ يحار به المُسحِبون　　فما أتفه القول «ما أجملك»
توسمت أمس بلحظك عطفاً　　كأنك تحيي محبّاً هلك
أقصداً تعطفت أم صدفة　　وعللت قلباً لكم دلّلك!
فلله يوم اللقاء المفاجىء　　ومؤتلق الحسن قد سربلك
تزاحم فيه طوال الدهور　　وحلت رحاب الفضا منزلك
وانصت مجرى الزمان ليسمع　　حكمك في مسلك قد سلك
فقد جمع الحب في واحد　　كما جمع الحسن والله لك

* * *

لأنت من الكون جوهره　　وفي لب مركزه أنزلك
ونبض فؤادك فيض القوى　　وخلجاته جذبات الفلك
وحول بهاك تدور الدراري　　وتزحم زُهرُ السما محفلك
حجاك الضياء ومن مقلتيك يشع سناه الذي جلّلك
إذا كنت يقظان ضاء الكيان　　وان كنت غفلان ساد الحلك
تعاظم مجدك في دهره　　وأفعم قدسُ النهى هيكلك
تخيل طيفك فكرُ الوجود　　وفي صحف الضوء قد مثّلك

وسوم خيال تطوف الفضاء فأيّان كنا نرى أمثلك
فماذا الذي بعد ذا تبتغي من الدهر والدهر لن يخذلك

***

أيا عادل القد في شفتيك القضاء بأمري ، وما أعدلك
فؤادك يجفو وتشكو فؤادي جعلت فؤاد الهوى فيصلك
توالت أدلة حبي فكيف تراها وتيهك قد ضللك
أيا نور أسرار هذا الكيان بسر فؤادي ما أجهلك
لكم شب من ناظري لهيب غرامي اليك وما أشعلك
وكم أفصحت نظراتي الحديث وكنت أحاذر أن أسألك
وأي بيان يبين الغرام وموحي البيان غرامٌ ملك
وما حيلة الشمس ان لم تشاهد سناها ، ومجدك قد أشغلك
جرت بيننا باسمات الأماني فألفيت جدّي بها مهزلك
تساق الزمان أحاديثنا وأفرط مستعذباً منهلك
فسجل منها عجيب شجوني وفرط دلالك كي يعذلك
كواه لهيب جواي ولولا برود فتورك كان هلك
ترى في سجل الزمان محبًا اليك طريق الهدى قد سلك
تحمّل من وجده صابراً بايفاء دين الهوى أمهلك
عسى عطفك الأمس كان وفاء فوالله أحسبه منّة لك
فدعنا نقضي الحياة نطوف بنعمى المحبة كل فلك
ومنك الدلال ومنك الرضى ومني الهوى والجوى يا ملك

(نــ .... د)

تقدم الطب

في عهد الفاروق العظيم

ان عصر جلالته هو عصر ارتقاء وتقدم ورقي في جميع مرافق الحياة الأدبية والعلمية والطبية والمادية من جميع نواحيها الاجتماعية والفكرية والصناعية إذ ارتقت العلوم بعهده ارتقاء كبيراً في مصر وفي كل أقطار العالم وكان للطب النصيب الأوفر في هذا التقدم والرقي. وهنا يعجز القلم عن ذكر جميع ما ابتكره العلماء والبحاثة في مختبراتهم وتجاربهم الطبية حتى أوصلوا علم الطب الى المقام السامي الذي تلقيناه بفضل جهودهم ونبوغهم. وان استعرضت ما كان عليه علم الطب عند حصولنا على الدكتوراه أي منذ ٤٥ عاماً وما وصل اليه الآن تبين لنا الفارق العظيم بين ما تلقيناه من الدروس عن أساتذتنا وما وقفنا عليه من ترددنا على مستشفيات باريس ومعاهدها ومختبراتها الطبية البيولوجية والكيمائية والبكتريولوجية والتجارب على الحيوان، وما نقف عليه كل أسبوع من مطالعة المجلات العلمية والأبحاث الفذة التي تطلعنا على كل مستحدث وعلم طريف عن علماء العالم المتمدن وأبحاث المؤتمرات الطبية الدولية التي هي أوفى خلاصة لتقدم هذا العلم من الجهة البيولوجية والاكلينيكية والعلاجية.

ولا يمكن في هذه العجالة أن أذكر كل التحولات الفسيولوجية وأبحاثها التي ارتقت ارتقاء فائقاً لمعرفة سر وظائف الأعضاء وارتباطها ببعضها، وحقيقة افراز الغدد في حالتها السليمة وعند اعتلالها وتأثيرها على بقية الأعضاء وارتباط كل غدة بعضو أو أعضاء لتوازن عمل الجسم ودرجة الاحتراق فيه ونشاطه وتوازن عمله أو اختلاله واضطرابه وكل موضوع من هذه المواضيع المتشعبة النواحي يحتاج الى درس خاص أو دروس أتيت على ذكرها في محاضراتي التي القيتها بمصر في مختلف الهيئات.

والفضل للفسيولوجيا يعود الى اكتشاف الانسولين الذي اكتشف عام ١٩٣١ وهذا ما ذكرته عنه في إحدى محاضراتي بالافرنسية :

إن اكتشاف الأنسولين كان له دوي وصدى عظيم في الأندية العلمية والاجتماعية وكان

اكتشافه فاتحة عهد جديد أدخل العلاج في طور جديد من أطوار علاج مرض السكر الذي كان قبل اكتشافه في حالة جمود تام وهذا الاكتشاف أحيا آمال المرضى وأنعش نفوسهم.

والأنسولين وان سار بالعلاج خطوة عظيمة الى الأمام غير أنه لا يشفي السكر مائة بالمائة بل يحسن حالته تحسيناً بيناً ويعين المريض على توازن تغذيته وتعادل وزنه ويرفع قواه ويقيه من عثرات الداء ويقيه من المضاعفات الخطرة ويساعده ليعيش طويلاً، ومن شأنه أن يضعف ويخفف كمية السكر بالدم ويمنع التسمم الحمضي ويساعد الكبد على الاحتفاظ بالمادة السكرية « الجليجوجين » ويثبت السكر بالأنسجة وفي خلايا الجسم ويقلل افرازه بالبول ويصبح المريض بحالة تغذية متوازنة حسنة. كانوا يخافون سابقاً من ازالة السكر من بول المريض حذراً أن زواله يسبب أضراراً فهذا الخوف لم يعد له محل الآن.

نعم أنه يخشى من استعمال الأنسولين بدون مرجع علمي صحيح خصوصاً مقدار السكر بالدم وبحث بيولوجي موثوق به.

إن الأنسولين يمكن المريض من ملافاة التسمم الحمضي الأسيدوزي. وقد درسنا أخطاره ومضاره والكتاب يقدم لمن يطلبه الخ.

والأمر الذي ينقصنا بمصر ولا يهتم به عدد عظيم من الناس حتى المثقفين منهم هو الأبحاث البيولوجية الدقيقة في البول والدم التي تدلنا حتى عند غير المرضى دلالة واضحة على تكييف وظائف الأعضاء الجوهرية بالجسم لاستدراك الخلل المتوقع في أعضاء معينة. لأننا إذا اهملنا هذا الخلل الطفيف فهذا يتحول مع الوقت الى مرض أو علة دائمة يصعب التغلب عليها. وهذا ما نبهت اليه أفكار الأطباء والمثقفين مراراً بمحاضراتي. وهنا أسرد مثل واحد عما هو حاصل هنا بين مئات أو ألوف من الناس.

معروف ان الارثريتسم « حالة الأملاح » تعرض مع مضي الزمن الجسم لتصلب الشرايين، ومهما كان سبب تكاثر الأملاح بالدم فسببها الأكثر المأكولات الغليظة ومعاطاتها بدون انتظام، وعدم الرياضة والركون الى الراحة والجو الحار والرطب الخ.

والشيء الذي يفوق كل هذا هو اضطراب في هضم الامعاء، ولا يوجد في الطب عمل فسيولوجي دقيق ومتشعب النواحي وطريف مثل عمل الامعاء وهضمها الغذائي. وسوء الهضم فيها لأسباب جوهرية مثل بطء الحركة فيها والامساك والالتهابات على أنواعها والدسنتيريا الأميبية وغير الأميبية — كل هذا يدفع الى الكبد عن طريق الامعاء أجسام بيولوجية غير مستوفاة الهضم والتحويل والنقاوة. فهذه الأجسام التي لم تستوف الشروط الكيمائية والتحويل الصحيح تهيج خلايا الكبد وتضعف عمله مع الايام. وقد يقاوم

زمناً طويلاً ويحتمل هذه الأجسام ويسعى لهضمها وتوزيعها واحتراقها غير انه مع الزمن تضعف مقاومته ويقصر في عمله .

وفي حالة العجز يرسل الى الدم مواد غير مستوفية التحويل غير نقية كيماوياً فتتكاثر في الدم وتزداد مع مضي الزمن فتثقل وزن الدم . وبعد أن يتحملها هذا مدة طويلة يحاول التخلص منها ، فترسب هذه الأجسام أولاً وقبل كل شيء في أنسجة الشرايين الكبرى وتتركز فيها تدريجاً مع الزمن حتى تحول أنسجة هذه الشرايين تحويلاً ظاهراً فتفقد نعومتها وملامستها ، وتصبح قاسية خشنة تتعرض مع الوقت الى ضعف مرونتها وثخانة أغشيتها الى التصلب الذي ان ترك وشأنه يتحول الى مرض يصعب شفاؤه . وبعد ذلك يكون مصدر الأعراض القلبية ونوبات الذبحة الصدرية العادية التي تتفاوت بين أعراض طفيفة تتردد بين الحين والآخر . ثم تشتد رويداً حتى تصبح مزعجة شديدة وخطرة .

وكل هذا كان بالامكان استدراكه وملافاته ، لو انتبه المريض الى العناية بما يأكله ويشربه وينظم حياته ومعالجة أمعائه . ويتوقف تحول أنسجة شرايينه الكبرى في بدايتها كي لا تصبح مصدر انزعاج شديد ، واضطراب وبيل على هنائه وراحته . ولا يمكن أن أذكر بدون تأثير عظيم كثرة الوفيات بمصر بالأعراض القلبية خصوصاً بالذبحة الصدرية ، وسدادة القلب التي كان بالامكان استدراكها قبل فوات الأوان ، لأنه بعد حدوثها ووصولها الى الحالة النهائية التي ذكرناها لا يمكننا إتقاء شرها إلا بصعوبة كلية وبنجاح محدود لسوء الحظ أو بدون نجاح .

فالطب الواقي بمصر ان لم يكن مفقوداً فهو بحكم المفقود ، وهو مهمل حتى عند عدد عظيم من المثقفين فضلاً عن العامة . وكان يجب أن يتبوأ المقام الأول قبل الوصول الى المرض ، وقبل الاصابة العضوية ، وتحول الأنسجة واضطرابها ، وتضعضع وظائفها الفسيولوجية الطبيعية السليمة . وهل يفوتنا أن نذكر بأسف شديد ان عدداً عظيماً جداً من كبار المصريين الذين يشار إليهم بالبنان مصابون بأمراض عضال يشقون بمعالجتها وتخفيف شدتها بعد أن أضاعوا وقتاً طويلاً ثميناً لاتقاء شرها .

نعم أن الطب تقدم تقدماً كبيراً في عهد الفاروق العظيم . وقد توصل العلماء الى اكتشاف السلفاميد وهو مركب كيماوي إصطناعي اشتق منه تراكيب عديدة مع فوارق كيمائية بسيطة . وهذه المستحضرات تضعف تفاعل الميكروبات وتوقف تولدها ونموها وتبطيء افرازها ، وتعطي نتائج باهرة في النزلات الوافدة ، والالتهابات الشعبية الرئوية ،

واصابات الزور والقسم الستربتوكوكي ، والستافيلوككمي ، والبنوكوكي ، والجونوكوكي والتهاب الزور العفني .

واستعماله يعطي نتائج باهرة في هذه الحالات لكنه يؤثر على خلايا الكبد عند ضعاف الكبد اذا أخذ بجرعات كبيرة، ويخفف أحياناً الأفراز البولي . وقد تلقته العامة والخاصة بسرور عظيم، حتى ان الناس أكثروا من استعماله استعمالاً يفوق الحالات التي يجب علمياً الاعتماد عليه فيها. وقد تهافت عليه بعض الأطباء تهافتاً ليس فيه تدقيق علمي صحيح ، والمرجح أنه توفي كثير من الناس من استعماله بدون حذر ودراية منهم أحد رؤساء الحكومات العربية وصحافي كبير بمصر

والأميركان يستعملونه استعمالاً وافياً بالجيش وعند العامة ليقوهم في الشتاء شر الالتهابات والنزلات الشعبية الرئوية الشديدة الوطأة . وحقيقة أن فعله كواق من هذه النزلات لربما يفوق فعله كشافٍ وأنا أعتمد كثيراً عليه كواق كي أخفف من شدة الانفلونزا اذا تراءى لي انها تبدو بظواهر وأعراض يخشى منها اذا تُركت وشأنها مع العلاج السابق .

كذلك عند ما اكتشف البنسلين أحدث اكتشافه ضجة عظيمة ودوياً كبيراً فتهافت عليه الناس تهافتاً وقعنا بها لبعض الأخطاء التي صادفتنا عند ظهور السلفاميد . وقد أهملوا كثيراً بدون وجه حق السلفاميد واعتمدوا على البنسلين الذي هو أقل ضرراً منه اعتماداً صحيحاً في حالات عديدة نفعه فيها مؤكد، وفي حالات عمله فيها ضعيف أو مفقود . وقد أهملوا السلفاميد اهمالاً لا يستحقه . وقد قرر مؤتمر الأطباء الدولي الذي اجتمع بلندن منذ ثلاث سنوات على ان حالات النيمونيا «النزلات الشعبية الرئوية» يلزم لمقاومتها اشراك العلاجين السلفاميد والبنسلين معاً. وأنا متتبع هذه الطريقة لأبدأ بالبنسلين قبل أن أمهدله بالسلفاميد واختار منه أصح المستحضرات السلفاديازينة .

ولم يكتفِ العلماء بهذا العلاج بل تابعوا ابحاثهم وتوصلوا أخيراو بطريق الصدفة الى فائدة كاحدث باكتشاف البنسلين، والبنسلين مادّة بيولوتيكية أي مقاومة للعفن قليلة الضرر لا تساعد على الحد من افرازات ميكروب التيفوئيد ، والباراتيفوئيد ، والميكروبات التي مصدرها الأمعاء التي تتسرب منها الى الكلى فتعشش فيها ، وكثير من هذه المكروبات تصادم فعل البنسلين ،ويسموها الميكروبات المقاومة .

الدكتور يوسف كحيل

وفي العدد القادم الكلام على الستربتومايسين

ذكرى ويأس ..!

ذوي الريحانُ والوردُ! فلا كأسٌ ولا خمرُ!
وجفَّ الروضُ محزوناً فلا لحنٌ ولا عطرُ!
أنا في برجيَ العاجي وحيدٌ، ثائرٌ، حرٌّ
أناديكِ وأنتِ الفتنة الحمراء والسحرُ!

***

أناديك بشوقٍ ثائر النفثات مجنونِ!
تعالي ننعم اللقيا! أبثك همس محزون
علينا الطهر رفاف ومنك الحسن يغريني
فأجمع في فؤادي بين صوفيٍّ ومفتونِ!!

***

أناديكِ وقد صفّقتُ ريحاني وصهبائي
أناديكِ فلا أسمع إلاّ رجعَ أصدائي!
وألمس طيفَ ذكراكِ بأوهام وإيحاءِ!!
وأنت النبعة العذراء من نورٍ ولألاءِ

***

تلفتُّ من حولي! فما أجداكِ تلويحي!
أنا العائد في يأسٍ بآلام وتبريحِ!
أنا العائد أدراجي إلى هيكل تسبيحي
بواهٍ في الضلوع محطّم الآمال مجروحِ!

***

مواكب من رؤى حيرى! وآمالٍ وأحلامِ
تشيع الحزن في نفسي وتنشر طيَّ آلامي!
هي الذكرى الممضّة!! علّلت قلبي بأوهام
فيا لوعة قيثاري!! ويا ضيعة أنغامي!

***

أرقتُ الخمر من كأسي! وألويتُ بأقداحي
وذاب نواغم اللحن على منقار صدّاحي
وأخمدتُ بأنّات الأسى أنفاسَ مصباحي!
وآثرتُ التجاوبَ بين أطيافي وأشباحي!

***

أنا الضاحك من حبّي أنا الباكي على أملي!
أنا الساخرُ من دنيايَ من يأسٍ ومن مَلَلِ
دعِ الكأس! فما تجدي بنشوان الأسى ثَمِلِ
هي الراحةُ في اليأس! فما شعري!؟ وما غزلي!؟

كربلاء العراق — رابح لطفي جمعه

للثقافة العامة

مكتبة برعاية كلية البنات في غمرة

كلية البنات الأميركية في غمرة هي بالاسم أميركية ولكنها بالحقيقة مصرية عربية وطنية يتثقف فيها بنات من كل جنس وملة ونحلة، وما كنيت بالأميركية إلا لأن معظم نفقات انشائها وتقدمها من أموال أميركية.

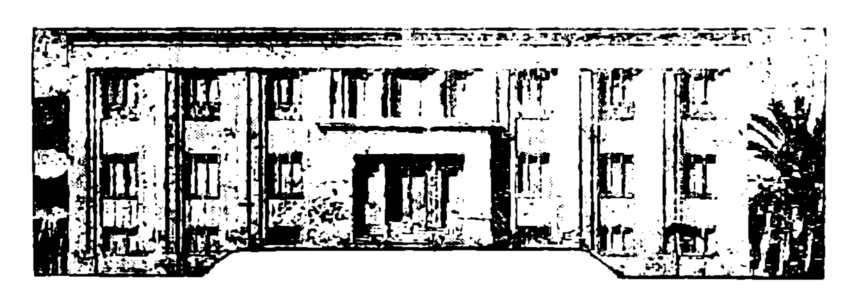
واذا اطلعت على تقاريرها السنوية منذ انشائها الى اليوم أي منذ ٥٠ سنة وبحثت عن مصير خريجاتها رأيت ان معظم عقائل وزرائنا وكبار حكامنا ووجهائنا من هؤلاء الخريجات، والآن الجانب الكبير من الطالبات هنّ بنات أكابر قومنا



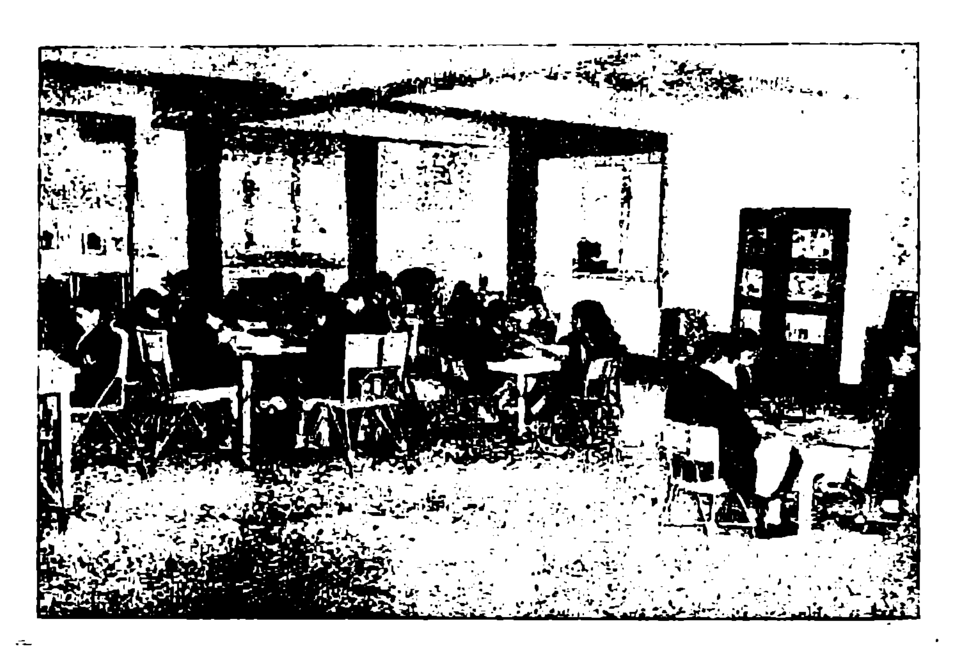
المكتبة في شهر فبراير سنة ١٩٥٠

وجميع من تخرّجن في هذه الكلية يفتخرنَ بشهادتهنّ وينتمينَ إليها، وبأنها كليتهنّ ويعطفنَ عليها عطف الفتاة الراشدة على أمها الحنون. ولذلك خطر لبعضهنّ أن يكون للكلية مكتبة عمومية (غير مكتبتها الخاصة) تختلف إليها الخريجات والطالبات وغيرهنّ من سيدات القاهرة وآنساتها من كل ملة ونحلة، ولا طائفية فيها. فتكوّن هذه المكتبة من عناصر الخدمة الثقافية العامة في البلد، ونعم الخاطر.

وفي سنة ١٩٤٤ انعقد اجتماع في رابطة الخريجات، وبُسط فيه مشروع بناية المكتبة في أرض تتبرع بها الكلية، فقوبل في حماسة عظيمة . وكان المطلوب في ذلك الاجتماع الاكتتاب في ١٠ آلاف جنيه على الأقل . وفي سنة ١٩٤٧ كان مجموع الاكتتاب ١٠٦٠٠ جنيه. ولكن البحث والدرس أظهرا أن هذا المبلغ لايكفي لمشروع ضخم كهذا، فلا بدّ من اكتتاب آخر وجمع قيمة أخرى كهذه لاتمام ٣ ادوار من البناء وتأثيث المكتبة الخ .



المكتبة كما يجب أن تكون قبل ديسمبر ١٩٥٠



مكتبة الاطفال — Children's Library

ويقال ان الدكتور مارتن رئيسة الكلية اقترحت أن تذهب الى أميركا وتجمع المبلغ المطلوب من هناك فاعترضت أكثر الخريجات على هـذا الاقتراح وشكرنَ للرئيسة تبرعها

الكريم . وقلن : لا نقبل على أنفسنا أن نستعين بمساعدة أجنبية في مشروع ثقافي وطني بحت ، ما عدمنا النخوة المصرية . فكما جمعنا العشرة آلاف نجمع العشرة الأخرى . اللهم اذا كنا نظهر شيئاً محسوساً من المشروع . فأنفقت العشرة آلاف في الأساس و بناء دورين من المكتبة كما تراها في الرسمين . ودعي جمهور من ذوي الأريحية الى احتفال في آخر شهر ابريل لمشاهدة ما تمّ من المشروع ورؤية استعماله بالفعل . بقي انجاز الدور الثالث وتأثيث جميع غرف المكتبة وأبهائها وقنية الكتب لها . وهو ما يُسمى له منذ اليوم على أمل أن يتم المشروع كله في ديسمبر من هذا العام .



غرفة قراءة الطالبات

وقد يُعلم أن مركز هذه الحركة المباركة هو نشاط الآنسة الدكتور مارتن رئيسة الكلية . فهي كالحركة الدائمة . وقد قضت شبابها وكهولتها في الخدمة العامة . ومنذ مدة ذهبت الى أميركا في اجازة سنة بعد خدمة متواصلة عدة سنين ولم تضع الوقت سدًى ، بل كانت تقضي السنة في دراسة الفلسفة في جامعة حتى حصلت على لقب دكتور في الفلسفة . ونحن نؤكد أنه لو سمح للدكتور مارتن أن تجمع في أميركا مالاً للمكتبة لجمعت أضعاف المبلغ المطلوب ولكن الكرامة الوطنية قبل كل شيء وهي الكفيلة باذن الله بإتمام هذا العمل المجيد. فهلمّ يا خريجات الكلية وأهلهنّ وذوي قرباهنّ وأصحابهنّ . فما المبلغ المطلوب بكثير على أريحيتهم

أنين فتاة

فدى له الروح إن البعد يبكيني | والقرب منه لذكرى الهجر ينسيني
فهل يعـود ويحييني بزورته | أم في دجى اليأس والآلام يلقيني
عانيت في حبه الاسقام صابرة | أقضي الليالي وطول الهجر يضنيني
أذبتُ قلبي له خمـراً ليشربها | وبتُّ أسقيه كأساً وهو يسقيني
تمحو سقامي وآلامي ابتسامته | إن شاء يقتلني أو شاء يحييني
يرنو اليَّ وفي قلبي لهيب جوًى | ويرشف الشهد من خدي فيشفيني
ظمأى اليه وظمآن اليَّ وما | غير المدامع ترويه وترويني
يمدُّ حولي ذراعيـه يطوّقني | يضمني ويناجيني ويشجيني
يكوي فؤادي بأنفاسٍ مؤججةٍ | يا ويح قلبيَ مما بات يكويني

جانيت كيلرمان

مكتشفات علمية

حشوات الاسنان المتغايرة المعادن — حذار منها

يقول علماء أمريكا إن المرء الذي يحشو له طبيبه أسنانه النخرة ، بحشوات معدنية مختلفة الأنواع ، أو يصنع له مشابك لأسنانه من معادن متنوعـة ، يغدو كشخص يسير في طريقه مطبقاً فاهه على طاقة كهربيـة تبلغ نصف فولط ، أي ثلث الطاقة التي يقتضيها إشعال بطارية من البطاريات اليدوية التي تنير طريق حاملها . وذلك وفق ما جاء في رسالة علمية قدمت الى الجمعية الـكيماوية الأمريكية .

وقد اشتهر منذ ٧٠ سنة أن الحشوات المعدنية التي تحشى بها الأسنـان النخرة قد تولد تيارات كهربية . ولـكن هذه الحقيقة لم يكترث لها العلماء الا في الأعوام العشرين الأخيرة طبقاً لما جاء في النشرة السالفة الذكر التي نشرها الدكتوران ويليم شرايفر ولويس إ . ديامو ند الطبيبان في جامعة أوكلاهوما .

وتدل التقارير الطبية التي قدمت في هذا الصدد ، دلالة قاطعة أن حالات مرضيـة شديدة تولدت في الفم من الحشوات المعدنية المختلفة الأنواع التي تحشى بها الأسنان .

ووصف ذانك الطبيبان ١٣٧ تجربة جرباها في مرضاها ، فقـالا « إنه متى حصلت ملامسة مباشرة بين حشوتين متغايرتي النوع ، تولدت منها تيارات كهربية كبيرة نسبيـاً تحدث انزعاجاً أو رعدات كهربية بغيضة وان تكن غير خطرة . ويحدث أحياناً ان يتعرض الانسان لرعدة كهربية إذا ما لامست الاسنان ملعقة أو شوكة معدنية فى وقت واحد ، حشوتين معدنيتين مختلفتين من حشو اسنانه . ومما يجدر ذكره أن حشوات أسنان بعض الناس تولد طاقات كهربية ، تزيد على نصف فولط . ومع ذلك فهم لايشعرون وقتئذ بانزعاج ، ولا تحيق بهم نتائج جلية ضارة .

طبخ الطعام بحرارة الشمس

اخترعت حديثاً أوانٍ جديدة « مسخّنات » تسخّن بالحرارة التي تتولد من أشعة الشمس لأجل طبخ الطعام . ومخترعها فرنسي . وتعلق هذه المسخنة في وسط مرآة عاكسة للحرارة على شكل طبق كبير يلتقط حرارة الشمس ثم يجمعها في نقطة مركزية ، إذ تتبع المرآة العاكسة ، حركة الشمس ، وذلك بمفتاح أوتوماتيكي تحركه أيضاً حرارة الشمس نفسها

غواصات ذرية [1]

جاء في تلغراف لشركة روتر من لندن في ١٩٥٠/٢/٨ : ستشرع بريطانيا في صنع أكبر آلات ذرية لتركب في سفن المستقبل ، إذا وافقت الحكومة على مشروع سيعرض عليها في غضون الشهرين القادمين . وستكون هذه الآلات صغيرة الحجم ليتسنى وضعها في حجرة آلات السفينة . ثم جاء من واشنطون في البرقيات العامة التي نشرتها جرائدنا المحلية في ١٢ فبراير سنة ١٩٥٠ ما يأتي : —

إن التنافس بين الولايات المتحدة وروسيا في ميدان إنشاء أول غواصة تستخدم الطاقة الذرية في ادارة محركاتها ، قد يعرقل جهود الولايات المتحدة في صنع القنبلة الهيدروجينية . والمعتقد أن غواصة من هذا النوع قد تحدث انقلاباً في فنون الحرب البحرية ، لما تتميز به من المزايا الرائعة ، إذ تستطيع قطع مسافات أطول من المعتادة ، وتغوص الى أعماق أعمق من المألوف ، وتظل تحت الماء برهة أطول مما يتيسر للغواصات العادية » .

وفي هذا الصدد يقول العلماء المتخصصون في هذا الفن « لقد أزف اليوم الذي سيتاح فيه تسيير السفن بمقدار صغير من اليورانيوم ، إذ شرعت اللجنة الأمريكية للطاقة الذرية ، تهتم باستخدام هذه الطاقة استخداماً مباشراً في تسيير المراكب . ويقوم بتصميم المحرك الذري الذي سوف يستخدم لهذا الغرض ، المعمل الكيماوي الوطني في الأرجون بشيكاغو ، كما يباشر اختراعه ، وتقوم شركة وستنجهوس أيضاً في بتسبرج بتقديم تفصيلاته الهندسية وتعضد وزارة البحرية الأمريكية هذه التجربة . وما من شك أن تسيير السفن بهذه الطاقة كان منذ حقبة مديدة ، وما زال ، موضع بحث الخبراء وتفكيرهم . ولا غرو فالسفن التي تزوّد بالطاقة المشار اليها ، يصبح في وسعها السفر أشهراً بغير اضطرارها الى تجديد وقودها . وإنما العقبة الوحيدة التي تعترض هذا المشروع هي وجوب تزويد السفينة التي

(١) الكاتب — راجع مقالنا الذي نشر في مقتطف يونيو ١٩٤٦ بعنوان : ابتداع تسيير السيارات والطائرات بالطاقة الذرية

محركها هذه الطاقة ، بوقاء كثيف من البرقاء المسلحة ، التي يبلغ ثقلها عدة أطنان لكي تمنع أضرار التشعع الذي يتولد من اليورانيوم . ويعتقد الخبراء أن ذلك الثقل الفادح هو الحائل الذي يحول دون استخدام الطاقة الذرية في تسيير السيارات والطائرات ». وجاء في برقية أخرى من بتسبرج في ٧/٣/١٩٥٠ ما يأتي : — أعلنت مصانع وستنجهوس أمس انها تقوم ببناء مصنع خاص لصنع غواصات تسير بالطاقة الذرية لحساب الأسطول .

مسحوق الـ د. د. ت. يصون الصوف من العث وغيره من الحشرات

لوقاية الصوف من ضرر العث وغيره من الحشرات ، يستعمل محلول يحتوي على ٥ ٪ من بودرة الـ د. د. ت . وقد ثبت كون هذه الوسيلة أشد تأثيراً من أية مادة من المواد الحالية المستعملة لهذا الغرض . وهذا طبق النتائج الحميدة التي أسفر عنها البحث الذي أقرّت مشروعه رياسة الجيش الأمريكي ، كما أذاعها البكباشي فريدريك . و . هويتمور العالم المتخصص في علم الحشرات وطبائعها ، التابع للجيش نفسه . وكان هذا المكتشف قبل التحاقه بالجيش تابعاً لوزارة الزراعة الأمريكية . وسيفضي اكتشافه هذا بلا شك الى توفير مبالغ ضخمة لا حصر لها ، كانت تخسرها الحكومة الأمريكية وغيرها من الحكومات ، في صون سلعها الصوفية عند خزنها . كما كانت تضيع على الأفراد المدنيين ، وفقاً لما قاله البكباشي هويتمور .

حبال كهربية تدفىء البطانيات

اخترعت في أمريكا حبال مغطاة بطبقة من العجائن الكيماوية ، في طرف كل حبل منها مفتاح لتنظيم الحرارة . فاذا ما رغب المرء في تدفئة البطاطين العادية التي يتدثر بها أو يفرشها تحته فوق سريره ، لكي يجعلها بطانيات كهربية أوتوماتيكية ، بسط هاتيك الحبال ، حيثما اتفق ، بين البطانيتين العاديتين اللتين يستعملهما ، فيولد الحبل المشار اليه ، حرارة تكفي لجعل المستدفىء يدفأ حتى ولو هبطت درجة الحرارة ليلاً الى ما تحت الصفر . ولا تستهلك هذه الطريقة أكثر من ٧٥ وط . وفي وسع طالب الدفء أيضاً جعل التدفئة التي يحدثها الحبل الكهربي ، مقصورة على قدميه دون سائر جسده ، أو جعله يدفىء حشية واحدة (مرتبة) أو حشيتين . وطول كل حبل منها عشر ياردات وله مشابك تشبكه بالبطانية المراد تدفئتها .

عوض جندي

أدوار العمر

الإنسان أبطأ نمواً من سائر الاناسي البدائيين، وأشباه الانسان في جميع أدوار حياته منذ وجوده في الرحم الى نهاية العمر . لأن هؤلاء الأحياء جميعاً تبتدىء تطورات حياتهم منذ كونهم أجنـة الى ما بعد الولادة ، طوال مدة الحياة .

تقسم حياة الانسان الى أربعة أدوار . الدور الأول : في الرحم ومدته ٢٦٦ يوماً، أي (٩ أشهر و ٥ أيام قريبة . الدور الثاني : هو دور الطفولة من الولادة الى ظهور الاسنان الطواحن الأول) أي الفوج الأول من الأسـنان ومدته نحو ست سنين . الثالث : دور الصبوة نحو ١٤ سنة يمتد من السنة السادسة الى العشرين . وفي اثنـائه يدخل دور التسنين الدائم . الرابع : دور البلوغ يشمل الخمسين سنة التي يكون الانسان فيهـا في عز عمره ، وأروع أيام حياته . الثلاثون سـنة الأولى من مدة البلوغ تشمل ثلاثين سني الخصب عند المرأة . والعشرون سنة الأخرى هي دور التقهقر .

هذا في الانسان وأما في الشمبانزي وهو أقرب أشباه الانسان الى الانسان . فمدة الحمل ٢٣٠ يوماً (٨،٤ أشهر قريبة) مدة الطفولة ثلاث سنين . مدة الصبوة ٨ سنين . مدة البلوغ نحو ٣٠ سنة . العشرون الأول منها هي سنو الخصب عند الاناث .

عند القرد الهندي المسمى Rhesus monkey (وهو مقدس عند الهنود) مدة الحمل ١٦٦ يوماً (ست أشهر قريبة) . شهران أقل مما هي في الشمبانزي . مدة الطفولة سنة ونصف، مدة الصبوة ست سنين ونصف . مدة البلوغ نحو ٢٠ سنة . نحو عشر سنين أقل من أشباه الانسان . بتطور أشباه الانسان البدائيين الضخام الجثة المنتصبي القامة ابتدأت الأعمار وأدوار الحياة تطول . هذا التطور بلغ منتهاه بتطور الانسان

الانسان متفوق ليس بطول حياته فقط، بل بطول أمد النشاط في نمو دماغه الغريب

انه في الجيبون والقرد الهندي يبتدىء نشاط النمو في الدماغ منذ الولادة . يبلغ حجم الدماغ فيهما نحو ٧٠ بالمئة من حجم البالغ . بعد الولادة ينمو دماغهما بمعدل يطابق نمو الجسم. وأما الإنسان فيولد ودماغه ٢٢ بالمئة من حجم جسمه . وبعد ذلك يسرع معدل الزيادة في السنتين الأوليين من حياته . وإنما يبلغ السبعين بالمئة في السنة الثالثة . إذاً معدّل النموّ أو الزيادة يجاري زيادة الجسم .

في الشمبانزي والغورلاّ دور قصير لنمو الدماغ بعد الولادة . ونسبة السبعين في المئة تحدث في السنة الأولى من عمرها . دور نشاط الدماغ يزداد في القرد الهندي ويمتد نحو ستة أشهر . وفي الشمبانزي ١١ شهراً وفي الانسان يمتد الى ٣٦ شهراً . وهنا نرى في سياق التطوُّر البشري ان الوقت اللازم لتجمع ألوف الخليات العصبية واسلاكها التي تدخل في بنية دماغ الانسان ونظامه ، تبتدىء منذ كونه جنيناً .وجميع الخواص التي تظهر في حياة الجنين تنتقل الى حياة البالغ . ففي دور الحمل ودور الصبوة عند كلا الانسان والشمبانزي وأشباه الانسان يكون الدماغ كبيراً والوجه صغيراً . ويلاحظ انه في هذين الدورين لا يستفيد الطفل من عمل دماغه ولا من وظيفة فكيه . ففي مدة الحمل الأم تموّن الجنين بالغذاء والدفء والحضانة.فالدماغ والفكان لا تعمل عملاً . ولا وظيفة لها لكي تستعملها . وفي مدّة الطفولة والصبوة يقوم الوالدان بحاجات المولود . فمدة الحمل والطفولة حتى الصبوة تعتبر مدّة الاستعداد للنموّ وإعداد البنية للعمل واستقلال [illegible] .

في القرد الهندي مدّة الاستعداد والاعداد قصيرة لا تتجاوز الثلاث سنين و ٨ أشهر . وفي الانسان مضاعف هذه المدّة ٦ سنين و ٩ أشهر ، يعني بعد هذه المدّة يستقل الغلام بالأكل واللبس والنوم الخ من غير معونة والديه . ولا يعتبر الغلام مهيأً لتحصيل الرزق قبل أن يبلغ سنّ البلوغ

يقول السير ارثر كيث ان هذه الاستعدادات والاعدادات مهيأة في الانسان منذ كان جنيناً . فيما هو جنين كان يُعَدُّ في بطن أمه لان يكون غلاماً ثمَّ فتىً . لذلك تجب العناية في حياة الأم منذ الحمل . فما أعظم مسؤولية مصلحة رعاية الطفل . والشكر لحكومتنا السنية التي أعطت هذه المصلحة حقها من العناية .

الموسوعة الاجتماعية العربية

الحمد لله . ولله الحمد

هي الأمنية التي طالما نشدناها وتحسرنا لعدم وجودها عندنا ، وطالما بكيناها .

الحمد لله حصلت اليوم وألف شكر والحمد لله . هي نعمة نزلت على العالم العربي من عند الله صدر العدد الأول من موسوعة عربية باسم « الموسوعة الاجتماعية » . ونحن لم نألف كلمة موسوعة فنضطر بكل أسف أن نفسرها بكلمة انسيكلوبيديا، لأننا نعرف هذه أكثر من تلك ، ولولا أن «موسوعة» لفظة واحدة لكنا نفضل عليها «دائرة معارف» ولكن كلمة موسوعة أقرب منالاً وأسهل مراساً في التصريف .

أجل صدر العدد الأول من « الموسوعة الاجتماعية » التي انبرى لها أربعة من كبار علمائنا الذين لم يقتصروا على الثقافة الجامعية العالية ، بل ألحقوا بها الثقافة الذاتية خارج الجامعة ، فصاروا أهلاً لأن يتصدوا لهذا العمل الجبار الذي لا يقوم به الا عدد عديد من فطاحل العلماء في الغرب .

وهؤلاء الأربعة الأعلام هم الاساتذة علي زين العابدين حسني المحرر ، وابراهيم زكي خورشيد (الذي يشرف على « تاريخ العالم » الذي يصدر تباعاً منذ عام ونصف العام) وهو يشرف على تحرير الموسوعة ، وأحمد الشنتناوي الذي يشرف على ادارتها ، ومحمود محمد شاكر مدير تحريرها

وانها لجرأة عظيمة أن يتصدى لهذا العمل الخطير هؤلاء الأربعة الأفذاذ فقط . وكان في نيتهم أن تكون موسوعة عامة شاملة كل نوع من المعارف علمياً واجتماعياً، ولكنهم رأوا أن المهمة عظيمة جداً قد تنوء بها نخوتهم . فاقتصروا على المعارف الاجتماعيـة ، وتركوا المعارف العلمية البحتة ، الى ما بعد الانتهاء من هذه ، فان توفقوا في هذه فليس ما يمنعهم أن يعودوا الى تلك .

وقد رأوا نموذجاً لها باللغة الانكليزية فاقتبسوه ، وكانت مهمتهم الاولى أشق المهمات في هذا العمل الجليل الخطير الشأن، فقضوا [illegible] بعض العام في ترتيب المواد في مواضعها الطبيعية بحسب الأبجدية العربية . ولا ريب أن القارىء يشعر معي بمشقـة هذا العمل . فقد تكون مادة اتحاد في الموسوعة الانكليزية في آخر مجلد ولكن في موسوعتنا تأتي في المجلد الأول . وقس عليه [illegible]وا كثيراً حتى رتبوا ستة آلاف مادة (إن صدقت ذاكرتي) في مواضعها وشرعوا يترجمونها عن الأصل طبق الأصل .

ولا يخفى أن موسوعة كهذه ، وأية موسوعة غيرها ، يكتبها مئات من فطاحل العلماء بل ألوف . والانسكلوبيذيا البريطانية (الطبعة الأخيرة) كتبها نحو ٤ آلاف عالم أميركي وأوروبي، فجاءت المثل الأعلى . وموسوعتنا هذه ستكون المثل الأعلى في لغتنا . وقد وقعوا في نهاية كل مادة اسم محررها ، وألحقوها بعنوانات المواد التي تمت اليها بصلة ، حتى إذا رام القارىء أن يستوفي الموضوع من جميع نواحيه أو يتوسع فيه اطلع على هذه المواد الأخرى في مواضعها من الموسوعة نفسها .

ثم ألحقوا كل مادّة بالمصادر الأجنبية التي استند المحرر إليها أو التي يفيد القارىء الاطلاع عليها ، من انكليزية ، وفرنساوية ، والمانية ، وإيطالية الخ .

« الموسوعة الاجتماعية » تتناول الآداب والأخلاق على الاطلاق والتاريخ والاقتصاديات وجميع أنواع السياسات . وبالاختصار كل ما يلوح في البال مما ليس علميًّا بحتاً . فهي من هذا القبيل تشفي غليل الخواص والعوام ، وكل قارىء يجد فيها ما يريد أن يعلمه من شؤون الحياة على الاطلاق .

ولذلك نعتقد ان نفقات هذا المشروع المالية لا تقع على كواهل هؤلاء الأربعة الأعلام وحدهم، فلا بدّ أن تصادف هذه الموسوعة اقبالاً عظيماً من المئة مليون عربي في الشرق والغرب . أفلا تجد أربعين ألف قارىء يحتضنونها فيقضون لبانتها . ولنا الأمل الكبير أن الحكومة تعضدها تعضيداً قويًّا بحيث لا تدعها تكبو فهي أولى بعطف الحكومة من كثير مما تنفقه بسخاء على طبعه ككتاب صبح الأعشى وغيره .

هي تصدر كل شهر في نحو مئة صفحة كبيرة على عمودين مطبوعة طبعاً جميلاً على ورق ثمين يليق بموسوعة . وثمن كل عدد ٢٥ قرشاً .

هذا مشروع عربي جليل هو محكٌّ لما بلغت إليه الحضارة العربية الحديثة والثقافة العربية من الرقي . فعلى قدر رواج هذه الموسوعة يقاس رقي الحضارات العربية .

ولا ريب أن اللجنة اتخذت كل الوسائل اللازمة للنشر والدعاية . بقي على تجار المطبوعات من كتب ومجلات وجرائد أن يساهموا في ترويج هذا العمل المبرور . وبالطبع لهم قسط وافر من نتاجه .

ان هذا العمل على قول بعض القائمين به يستغرق بين خمس سنين أو ست .

وهم والحمد لله في شرخ العمر . فالخمس سنين تنتهي وهمتهم لا تنتهي . فيشرعون بعد اتمام هذا المشروع الجليل أن يصدروا موسوعة علمية تتم بها موسوعتنا هذه . وعلى الله الاتكال .

مصيبة في ثروة

دخل على مأمور قسم ك . في القاهرة فتىً ناحل القوام مكفهرّ الوجه في نحو الثامنة عشرة من عمره وانقضّ على يديه يقبلهما وهو يبكي ويقول : بعرضك يا سعادة المأمور احمني . حياتي في خطر .

ومن حسن حظه كان مأمور ذلك القسم ذا ثقافة عالية، نبيل النفس، رضي الخلق، طيب القلب . فأقعده على كرسي الى جنبه وقال : هدىء روعك يا بنيّ : لا تخف ، ما هو اسمك

— اسمي بديع نصري

— ففكر المأمور هنيهة وقال : هدىء روعك . ما هي قصتك ؟

فقال الفتى وهو لا يزال « يقشعر » من الخوف : الى الآن لم أفهم ما هي قصتي . قضيت أكثر من أسبوع في حجرة تحت الأرض لا شباك لها ولا نافذة سوى باب موصد دائماً ، إلاّ حين يقدّم لي طعام تعافهُ النفس مرة في اليوم . وكنت دائماً تحت التهديد والوعيد وأنا لا أدري سبباً سوى أن حياتي مرهونة لقضاء مجهول .

فقال المأمور : حقاً ان قصتك غير مفهومة وربما كنت أفهمها أكثر منك . فأرجو أن تبسط لي كيف ادخلت الى ذلك السجن . أين كنت قبله . ثمّ كيف خرجت منه .

— كنت يا سيدي أشتغل كاتباً بسيطاً في مكتب شركة ك ... وخرجت مساء كعادتي مع سائر المستخدمين، وبينهم فتاة أرمنية تدعى أرميناك تقطن في ضاحية ش ... التي أقطن فيها . وبطبيعة الحال كنا نترافق أكثر الأيام . وفي المساء الأخير ماشيتها الى مقربة من منزلها . وكان الظلام قد سدل سجوفه . ولما ودعتها وعدت أدراجي استوقفني شخصان واقفان عند سيارة . وحملني أحدهما كما يحمل عصفوراً ووضعني في السيارة ، والآخر كمّ فمي بكمامة . ولم أستطع أن أستغيث لأني كنت مخمد الأنفاس بين جبارين . وما لبثت أن غبت عن الرشد . وما صحوت إلاّ وأنا في ذلك السجن المظلم هلع الفؤاد . ناديت فلا حياة لمن أنادي . استغثت فلا مغيث . بكيت فلا ترق لي الجدران القذرة . فهمت أني مدفون حيّـاً . ولكن لماذا ؟ لم أسيء لأحدٍ قط ؟

بعد حينٍ طويل انفتح الباب : ودخل عليّ جبار بمصباح كهربائي ضئيل النور، وبيده

شيء من الطعام الجاف ، وإناء من التنك مملوء ماء . وقال بصوت فظ جداً . خذ كل واشرب

فتراميت على قدميه وجعلت أتوسّل إليه أن يخبرني ما هو الذنب الذي أذنبته حتى حُبست هكذا . فانتهرني قائلاً : اخرس . لا تتكلم . كل واشرب والاّ أتركك بلا طعام .

فأكلت قليلاً اذ لم يبق لي الخوفُ شهوة للطعام .

وقد تكرر هذا الأمر نحو خمس مرات في خمسة أيام إن صدق تخميني وكنت كل مرة أتوسّل لذلك الطاغية أن يرحمني ويخبرني لماذا أنا معتقل . وما هو ذنبي . فلا أسمع إلاّ تهديداً ووعيداً بحيث لم يبق عندي شك أن المطلوب هو سل روحي من بدني كمداً . ولكن لماذا : لم أدر

فقال المأمور : وأخيراً كيف خرجت ؟

— في المرّة السادسة طلب مني ذلك الجبار أن أوقع على صك (حوالة بنك) بخمسين ألف جنيه . فني إبان يأسي وبؤسي ضحكت وقلت له : إنت غلطان يا سيدي : لست أنا الذي تقصد .

فقال اخرس . بل إياك أقصد . اذا كنت لا توقع على الصك لحياتك لا تبقى لك .

قلت : أوقع يا سيدي. ولكن ليس لي في بنك خمسون مليماً . ولا أملك شروى نقير ، وماهيتي ستة جنيهات في الشهر ، فمن يدفع لك الصك بخمسين ألف جنيه .

فنفر مني قائلاً : — إذاً ، مت كمداً هنا

وخرج موصداً الباب دوني بالرغم من استغاثتي به أن يتمهل الى أن نتفاهم .

بعد حين عاد وقال : ألا توقع على الصك

قلت — أوقع بكل امتنان .

قال : والدفع .

قلت — حبذا أن يكون عندي المبلغ فأشتري به حياتي عن طيب خاطر

قال : هب أن المبلغ تيسر لك بعد حين أفلا تدفع الصك .

— أدفعه بكل امتنان . ولكن من أين يتيسر لي مبلغ جسيم كهذا ، وأنا لو انقطعت عن الأكل والشرب مدة ٧٠٠ سنة وجمعت ماهيتي في هذه المدة لما تمّ لك المبلغ

فانتهرني وقال : — يظهر أنك لا تنوي الدفع فالأفضل أن تموت كمداً هنا

وولى ظهره فاستمهلته قائلاً : أنوي من كل قلبي أن أدفع يا سيدي حالما يتيسر المبلغ .

ففكر برهة ثم قال : — يحتمل أني لا أحصل على قيمة الصك، فالأفضل أن تتعهد كتابةً أن تعينني سكرتيرك الخاص بماهية مئة جنيه في الشهر .

فقلت في نفسي كما قال الشاعر .

الصدق أن ألقاك تحت العطب لا خير فيه فاعتصم بالكذب

فلأجارِ هذا المجنون على فكره . وقلت له : أعدك أن أفعل حالما أصير رئيس البنك

— صرت أو لم تصر يجب أن تتعهد هذا العهد على الورق .

سلمني ورقاً وقلماً وأملى عليّ نص العهد . فكتبته وأمضيته .

ثم كمّ فمي وعصب عينيّ وأخرجني ووضعني في سيارة درجت بي نحو ربع ساعة وأنا لا أدري أين سيدهورني ذلك الشرير ، الى أن هون الله ووقف بالسيارة . وحلّ العصابة عن عيني — وقال : — هذه طريقك سر فيها . وفي أحد الأيام سأريك ذلك العهد لكي تعلم أني أنا سكرتيرك . فان بدت منك أية بادرة تدل على سوء قصد منك فثق أن حياتك بخطر لا يقيك أحد منه .

وأطلق لسيارته العنان ، فمشيت قليلاً حتى أدركت أني أصبحت في طريقي الى منزلي . دخلت البيت وأنا لا أصدق اني فيه . علمت من حركة الشوارع أن الوقت في أول السهرة

حاولت أن أطمئن في سريري فازددت اضطراباً وقلقاً لأني كنت أتخيل ذلك الجبار ورفيقه يترصدانني ، وحياتي تحت رحمتهما . لذلك جئت استغيث بك يا مولاي راجياً أن تسمح لي بالمبيت هنا في القسم كل ليلة لقاء خدمة أقوم بها بعد الانتهاء من عملي في الشركة .

فضحك المأمور وقال : لا تخف . ولا تبت الآن في بيتك مطمئنّاً . أتأسف أن غريميك نجوا من يدي باطلاق سراحك ، ولكن ...

عند ذلك دخل الملاحظ وقال : ياحضرة البك « كبسنا » الفلاّ كبساً محكماً وفتشناها تفتيشاً دقيقاً فما عثرنا على الفتى ولا على أثر لسجين هناك .

فقال المأمور : ها هو الفتى . والظاهر أن الغرماء علموا « بالكبسة » فأطلقوا سراحه . من كان الخائن من رجالك :

فقال الملاحظ يستحيل يا حضرة البك أن يكون فيهم خائن لأنه لم يعرف أحد منهم بهذه الحملة السرية غيري . ما عرف رجالي أين هم مسيرون الى أن أحاطوا بالفلاّ

فقال المأمور : استدعِ المبلّغ لأتحقق منه أموراً .

ثم التفت المأمور الى الفتى وقال : هل تعرف فتىً يدعى جاك منصور .

— هو زميلي في مكتب الشركة

— هو الذي أبلغنا أنك مفقود وهو الذي وجه أنظارنا الى ذلك المنزل المنعزل على

ظن أن تكون معتقلاً فيه . فيجب أن نتحقق أموراً منه، فانتظر هنا الى أن يأتي .

***

بعد برهة دخل جاك المنتظر . ولما وقعت العين على العين ، رحب الرفيقان كلٌ منهما بالآخر ، وهنأ الثاني الأول على السلامة .

ثم قال المأمور لجاك : فهمنا منك أن صديقك بديع نصري معتقل في الفلاّ التي دللتنا عليها، وزعمت أن السبب هو علاقته مع الفتاة أرميناك ، لأن شخصاً آخر يحبها ، فغار من بديع ....

فقاطع جاك المأمور قائلاً : كذا ظننت ولكني لم أؤكد هذا الظن . فقد أكون مخطئاً كل الخطأ ، أليس هناك وجدتموه .

فقال المأمور : — لا . ولا نؤكد انه كان هناك . لأن معتقليه أخرجوه من تلقاء أنفسهم قبل أن تكبس الفلاّ . فهل ذكرت لأحد شيئاً من هذا القبيل فبلغهم خبر الكبس

— كلاً يا سيدي بقيت كاتماً السر كما أمرتني حتى الساعة .

— حسناً . وما هي الأدلة التي حملتك على الظن بأن بديعاً كان معتقلاً هناك لذلك السبب

— لأني كنت أعلم أن بديعاً يماشي الفتاة أرميناك أكثر الامساء الى مقربة من منزلها وكنت أرى أرميناك أحياناً تحيي شاباً أرمنياً ظننته قريبها .واستنتجت أنها حبيبته . ولما فقد بديع ، ولم نعد نعرف أين هو ، خطر لي أن ذلك الشاب سبب اختفائه . فترصدته مرتين الى أن رأيته يدخل الى تلك الفلاّ ، ورأيت للفلاّ بدروناً عميقاً . فكنت أتسمع في السهرة فيخيل لي أحياناً أني أسمع أنيناً في البدرون فرجحت هذا الظن وأبلغتكم.

ففكر المأمور هنيهة ثم قال : كانه يكلم نفسه : ان تعليل جاك لا يطابق رواية بديع ولا نستطيع أن نتحقق من رواية بديع المكان الذي كان معتقلاً فيه، هل كان بدرون تلك الفلاّ أو غيره . سنرى . أشكرك . يا مسيو جاك .

فخرج جاك وبقي بديع حسب ايعاز المأمور . فقال هذا له : إن روايتك عن صك الخمسين ألف جنيه وعن وظيفة السكرتير تحير يا سي بديع . هل لك أبوان في قيد الحياة .

— توفيا الى رحمة الله . أبي منذ عشر سنين . وأمي منذ ثلاث .

— ماذا كان اسمهما.

كان اسم أبي فهمي نصري وإسم أمي أندروماك .

— أندروماك ؟

— نعم . هي بنت أبوين أحدهما يوناني والأخرى رومانية وإنما هي ولدت في مصر وتربت فيها .

— ماذا كان يشتغل أبوك .

— كان يشتغل بتجارة القطن شريكاً للمسيو فرنندو الروماني . وقد أثريا . ثم انفصل أبي عن شريكه وتمادى في المضاربات بالبورصة حتى خسر كل شيء ومات من الغم . فربتني أمي بتدبيرها العجيب، رحمة الله عليها .

وهل بقيت لكم علاقة مع المسيو فرنند .

— الصداقة القديمة فقط . وقد احتاجت أمي مرة عشرين جنيهاً لنفقاتي المدرسية في المدة الأخيرة فاقترضتها منه . وماتت وهي توصيني أن أوفيه الدين . وأنا أذهب اليه في كل عيد كبير وأعايده وأرجو منه أن يمهلني بالدين . فيطيب خاطري ويقول : « لا تهتم به يا بني . متى تيسر لك تدفعه . فأعود شاكراً ممتناً .

— كم تقدر ثروة صديقكم الروماني .

أظن له من البيوت نحو مئة ألف جنيه، ومن الأطيان ما يقارب هذا . وأما من النقد، فلا أدري .

— أكتب لي عنوانه على هذه الورقة . وامضِ الى منزلك مطمئناً . ولا تخف فاني معين مخبراً سرياً يراقبك ويحرسك .

***

عاد بديع الى منزله فوجد جاك صديقه ينتظره في الطريق . ودخلا معاً . وبديع يروي ما جرى له في سجنه . فقال جاك أخيراً . لا ريب أن ارشادي البوليس لم يكن خطأ . فأنت كنت سجيناً هناك . وقرنت هذا الارشاد بذلك التعليل لكي لا يتردد المأمور في محاصرة الفلا .

فقال بديع : إذاً ، كان عندك دليل أكثر تأكداً من ذاك . فما هو .

— دعنا من هذا . لا يهمك إلا انك نجوت من عصابة الأشرار والحمد لله .

ولكني أود أن أعلم سر الصك ووظيفة السكرتير .

— أظن لا سر لذلك الا التمويه .

— ولكن لماذا أطلق الأشرار سراحي وهم لم يحصلوا مني فدية . يجب أن تقول لي من أنبأك اني معتقل هناك لأني أود أن أقطع ذيول هذه المكيدة الهائلة

— اعذرني يا بديع لأني أقسمت أن أكتم سرًّا .

فتبرَّم بديع وقال : أرى أن برك بوعدك، ومحافظتك على قسمك تسوّغ بقائي مهدَّداً بخطر هائل ؟ ألا ترى أن استئصال جرثومة ذلك الخطر تحلك من قسمك ؟ أوَلا ترى أن الخدمة الجليلة التي تقدمها لصديقك تكفر عن حنثك بيمينك ؟

وما زال بديع يلحف بالرجاء حتى باح له جاك : — ان ارميناك هي التي أسرَّت إليّ أنك معتقل في ذلك البدرون ، وأوعزت إليّ أن أبلغ البوليس مشترطة أن أكتم ذكرها بتاتاً لئلا تتعرَّض هي للخطر الوبيل .

فقال بديع شكراً لكِ يا أرميناك ، والله لولاها ... ولكن لماذا أطلق ذلك الجبار الشرير سراحي بلا انتقام : حتى ولا فدية ، أظنه هو الشخص الذي يحب أرميناك وغار مني

فقال بديع — لعله هو وارميناك تحبك .

—وأنا أحبها . ولكن هذا الحب جعلنا كلينا تحت خطر ذلك الوغد الشرير . اني براء من حبها اذا كنت لا أستطيع أن أدرأ خطر ذلك الطاغية . وانما ما رأيك بمسألة الصك الذي حاول ذلك الشرير أن يأخذ توقيعي عليه ، ثم أبدله بتعهدمني أن يكون سكرتيري بماهية مئة جنيه في الشهر . فماذا يعني ذلك الشرير بتعهد كهذا لا قيمة له، ثم يتهددني اذا لم أنفذه حين أصبح قادراً على تنفيذه ؟ . ألا يكون أن الرجل قد اعتقلني خطأً .

فقال جاك أظنه رام بهذا التعهد التمويه لكي يوهمك بالمبرر لاطلاق سراحك . لأنه يلوح لي أنه شعر ان قوة البوليس أزمعت أن تحاصره .

***

في اليوم التالي اجتمع بديع بأرميناك وقال لها — ألف شكر لسميك السري بانقاذي من براثن ذلك النمر .

فارتعدت أرميناك وقالت : ويحي ! هل أنبأك جاك الخائن بسر الخبر . ويلي لقد عرضني للخطر .

لا تنوحي ، ولا تلومي ، ولا تخافي . لم يكن جاك خائناً حين أبلغني بما فعلته لأجلي ، لأنه يجب أن يبلغني لكي أعلم كيف أتدبر لأتقي الخطر المقبل . ما زلت تحت التهديد والوعيد من ناحية ذلك الجبار الشرير . ولا تخافي ان افشاءه مصدر السر منك يعرضك لأقل خطر لأني لن أبوح بسرك . فأود الآن أن أعلم امرين : الاول : هل ذلك الوغد غار مني للعلاقة الودادية التي بيننا . فان كانت الغيرة هي سبب هذا الخطر عليّ ، فأرجو أن تعلمي

يا عزيزتي أني لست ممن يزرعون الحب بين أشواك المكايد والدسائس . فاذا كنت لا تستطيعين أن تقصي ذلك الرجيم عنا إقصاء أبدياً فأنا أقصي نفسي عنكما .

فقهقهت أرميناك وقالت : ان ذاك الرجيم زوج وأب فلا مطمع له بي . فما هو السؤال الثاني :

— كيف عرفت أني هناك مُعتقَل ؟

— ان لذلك الوغد صلة بعمي ، وشعرت أن عمي يستشير أبي بأمور سرية وأبي يحذره وينذره بشدّة وحدّة . فلما فُقِدتَ أنت ولم يعلم أحد أين اختفيت رأيت أبي يغضب غضباً شديداً على عمي . فأدركت أنك أنت موضوع المكيدة وان صاحب المكيدة ذلك الوغد مستعيناً بعمي . وتجسست حول المنزل المنفرد الذي جعل مستودع جرائمه ، فرجحت أنك معتقل هناك .

— ولكن لماذا اعتقلني ذاك الشرير ؟

— هذا ما لم أدره . وأظن أن ذاك الشرير ينفذ خطة آخرين بأجر كبير . فطمعه ليس فيك ، بل في من حرّضه عليك . فهل تعرف لك خصوماً أو أعداء ألدّاء .

— ويحي ولماذا يكون لي خصوم وأعداء ، وأنا لم أقف في سبيل أحد ، ولا قطعت الرزق من أحد ، وليس عندي اموال يطمع فيها الطامعون .

— مهما يكن من الأمر فحاذر أن تبوح باسمي في تحقيقات هذه المكيدة .

— معاذ الله ولكن لماذا أطلق ذلك الوغد سراحي وهو لم ينل مني سوى قصاصة ورق يعرف جيداً أن لا قيمة لها .

— اضطر أن يفعل قبل أن يقع في قبضة البوليس متلبساً بالجريمة — لأني أنا جعلت أبي يوهم عمي ان البوليس عرف بالمكيدة ، فأسرع عمي وأنذره ، واردت بذلك أن أنقذ عمي لئلا يمسك معه .

— ألف شكر لك يا ارميناك .

***

بعد يومين دعا المأمور إليه بديعاً وقال له : أظن أن مفتاح سر المكيدة مع صديق

والديك المسيو فرنندو الروماني، ولكنه مريض حتى الموت، فلم يمكن البحث معه. فلعلك تعوده. وتستطيع أن تفهم منه أموراً وتبلغني

مضى بديع الى المسيو فرنندو فوجده في حالة مرضية خطرة كما فهم من الطبيب. ولكن فرنندو بالرغم من سوء حاله طلب أن يدخل بديع اليه لما علم بقدومه. فدخل بديع وركع عند سريره وقبل يديه. ودعا له بالشفاء.

فقال فرنندو: اني أحبك ياولدي حبّاً جمّاً، والله أعلم بأسرار هذا الحب. لذلك كتبت نصف ثروتي لك والنصف الآخر للجمعيات الخيرية.

فصاح بديع: بعرضك يا سيدي. فهمت الآن سر اعتقال الأشرار لي، وأخذهم العهود مني. بربك مزق الوصية لأن عاتقي ضعيف جداً ينوء تحت حمل الغنى العظيم.

فقال فرنندو: ماذا تقول؟

فروى له بديع حكاية اعتقاله باختصار. ثم قال: لك يا سيدي ابن أخ هو أولى مني بفضلك.

فارتعد فرنندو وقال: لا تذكر اسم ذلك اللعين، فاني في فراش الموت بسبب مكيدته، حاول اغتيالي لكي يقبض مالي عاجلاً. فأنا حارمه منه لا محالة. وهو بين يدي النيابة الآن وسينال عقابه عاجلاً. لا تحسب حساب مكايده. فقد أوعزت الى دائرة البوليس أن تحميك من شروره وعينت بالوصية أجر البوليس لقاء هذه الحماية. فاطمئن.

وبقي بديع يؤاسي فرنندو في ساعة احتضاره الى أن أسلم الروح. وعلى الأثر سلمه المحامي الوصية لتنفيذها.

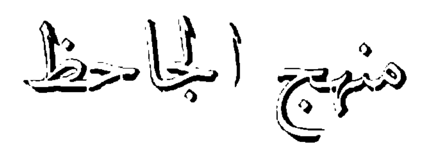
***

في اليوم التالي قابل بديع أرميناك وأنبأها أنه يود عقد زواجهما عاجلاً. ورجا من أبيها أن يساوم ذلك الوغد على مكافأة للكف من أذاه.

فقال له أبو أرميناك: لا تخف منه فقد وقع في يد القضاء في عدة تهم ولا أظنه يخرج من السجن قبل أن تخرج روحه من بدنه.

هكذا يكون مصير الأشرار.

وكذاك مصير الأبرار.



في كتابه « البيان والتبيين »

وإلى أي مدى هو مسئول عنه

الكتاب مرآة صاحبه، ومنهجه فيه صورة لعقله، ولقدرته على التصور العام لموضوعه، وبالاحاطة الشاملة به.

وحكم كتب الجاحظ في هذا حكم كتب غيره. ونظرة عاجلة سريعة في كتابه « البيان والتبيين » تخرج بصاحبها الى ان الجاحظ رجل لا يكاد يجد من نفسه الصبر على الوقوف الطويل أمام موضوعه، ولا يكاد يجد من نفسه جلداً على الاسترسال في النظرة الفكرية الواحدة من نظراته، حتى يستقصي جوانبها، ويشبعها درساً وتحليلاً، وبسطاً وتفصيلاً

والنظرة العاجلة السريعة في هذا الكتاب تنتهي بصاحبها الى أن الجاحظ لا يخرج من الفكرة الى ماهي أن يطرد اليه المنطق من فكر أخرى تتصل بها وتتعلق بسببها. وإنما هو مستطرد الى ما يحلو له، ولو لم يتصل بالموضوع اتصال إصالة، جانح الى ما يهوى، ولو لم يمت الى بحثه بما عسى أن يمت به القريب الى القريب، والشبيه الى الشبيه.

فهو يخرج من خطبة الى نحو، ومن نحو الى بلاغة، ومن بلاغة الى تاريخ، ومن تاريخ الى فلسفة. وهو يخلط هذا بذاك، ويضرب هذه بتلك، لا يسيطر عليه في ذلك الا الخاطرة تعن، والبادرة تبدر، والرأي يمثل له في غير كد، أو إدامة نظر.

ولما كان الجاحظ من أكبر كتابنا، ومن أسبقهم الى إطالة الكتب. ولما كان الجاحظ قد سبق الى هذه الطريقة في معالجة الأدب في لغتنا، فقد أصبح عند بعض المتعرضين لمثل هذه الأمور، مسئولاً عن فوضى التأليف في الأدب، وعن نقص المنهج العام في الكتاب. وأصبح عند آخرين منهم، ممن يريدون تقرير هذا الرأي وتقويته إرضاء عصبية خاصة، مثلاً لسقم العقل المشرقي، ودليلاً حياً على أن المفكر العربي لا يستطيع أن يقوم طويلاً للنظر في موضوع واحد، يتحرى أسبابه ووجوهه، ويتتبع أصوله وفروعه.

وإنما هو بالسليقة والطبع، مستطرد، مفرع، وبالجبلّة متنقل متغير، ذلك حتم عليه تركيباً وخلقة.

تلك هي النتيجة التي خرج بها بعض المستشرقين من النظر العاجل أو غير العاجل في كتب أدبنا القديم، وتابعهم فيها بعض مفكرينا اصطناعاً للجديد من الرأي، فان للجديد بريقاً يخلب، وألقاً يخدع.

على ان الأمر في مثل هذه الأحكام، يصدرها الناقد على الكتاب من الكتب، يجب أن يقوم على أساس من إطالة الوقفة عند الكتاب، وتعمق النظر فيه، حتى يتهيأ للناظر الاطمئنان السليم التام الى أن الكتاب قد صدر عن صاحبه كذلك، وانتهى إلينا على الصورة التي خطته بها يده، لم يصادف على الزمن الطويل، عبثاً مقصوداً، أو تغييراً لم يتعمده مغيّره، أو خرماً قد سببه له الأمد الطويل، والدهر الغادر، أو اضطراباً قد ابتلاه به جهل الناسخ، أو فداحة الفساد الذي وقع به إليه الكتاب.

يجب أن يتحقق الناقد، ومؤرخ الادب قبل أي حكم يصدره، أن الكتاب كما هو بين يديه، صورة أمينة من كتابة صاحبه له، أو على الأقل، قريبة من أن تكون أمينة حتى يقضي بهذا الرأي أو ذاك، في عقل صاحب الكتاب، وفي صحة تصوّره للموضوع، أو مرصد هذا التصور.

وكتب الجاحظ خاصة يجب أن ينظر إليها في هذا الضوء، وأن تعتبر في تقديرها هذه النواحي، فإن الحكم بتسفيه الرأي حكم خطير، وأخطر منه الاستدراج من الحكم على الفرد الى الحكم على عقلية أمة برمّتها، وشعب بكامله.

وكتاب «البيان والتبيين» قد ضاعت منه أشياء من غير شك، وحذفت منه عمداً أقسام من غير شك، واضطرب بعضه ببعض من غير شك، وأضيفت إليه أشياء ليست منه، فانتهى إلينا بصورة لا أتردد اليوم في القول معها بأنها لا تمثل بحالتها منهج الجاحظ العقلي ولا طريقته.

وإنك لتجد الدليل يتلو الدليل في الكتاب نفسه، فالجاحظ يرجو أن يضع لكتابه منهاجاً، ويرسم له طريقة قبل أن يتم كتابته، ثم يتأثر هذا المنهاج، ويترسم هذه الطريقة، ويأبى في ثنايا كتابه إلا أن يذكرك بأنه كتب لك كذا وكذا في الجزء الأول من كتابه، وانه سيكتب لك في كذا وكذا في الجزء الثاني أو الثالث من كتابه وأنه سيعود بك هنا الى ما بدأه هناك، وسيكمل هناك ما بدأه هنا، فتجد من ذلك أن أوله يتعلق بآخره، وأن كتابه يتماسك صدراً وعجزاً، ويتلازم أصلاً وفرعاً، وأنت عن طريق هذه المراجعة

والمذاكرة بحيث تقدر على أن تتمثل كتابه، وتتصوّر منهاجه.

وأنت عن طريق هـذه المراجعة والمذاكرة، قادر على أن تلمح الجزء من الكتاب إن كان سقط أو بقي، وإن كان قد نقل إليك نقلاً أميناً، أو عبثت به يد العابثين. فان كانت الأولى فبها، ولك حق الحكم، وإن كانت الثانية فلا أقل من التريث والحذر في القطع بأن عقل الجاحظ كان هكذا أو لم يكن كذلك.

وعن طريق هذه المراجعة والمذاكرة نستطيع أن نتحقق أن الكتاب قد ضاعت منه أشياء. ففي القسم الأخير من الجزء الأول (ص ٢٤٢ وما يليها) نجده يقول:

« قال أبو عثمان: وقد طعنت الشعوبية على أخذ العرب المخصرة في خطبها، والقنا.. بكلام مستكره نذكره، إن شاء الله، في الجزء الثالث.

ولا بدّ من أن نذكر فيه بعض كلام معاوية، ويزيد ... الخ.

ولا بدّ من أن نذكر فيـه أقسام تأليف جميع الكلام، وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور، وهو منثور، غير مقفى على مخارج الأشعار، والأسجاع، وكيف صار نظمه من أعظم البرهان، وتأليفه من أكبر الحجج.

ولا بدّ من أن نذكر فيه شأن اسماعيل ... الخ

ولا بدّ من ذكر من صعد المنبر فحصر وخلط ... الخ

ولا بدّ من ذكر المنابر، ولم اتخذت، وكيف كان الخطباء من العرب في الجاهليـة وفي صدر الاسلام، وهل كانت المنابر لأمة غير أمتنا؟ وكيف كانت الحال في ذلك.

وقد ذكرنا أن الأمم التي فيها الأخلاق، والآداب، والحكم، والعلم، أربع: وهي العرب، والهند، وفارس، والروم.

وفيما أنت تسير هذه السيرة، وتجري على هذا النسق، إذا بك تلمح فقرة قد أقحمت إقحاماً على السياق، وحشرت حشراً في هذا المكان، خاصة بمكانة الحبشة من هـذه الأمم حتى اذا عاد الجاحظ الى موضوعه، وجدته يبدأه هكذا:

« والدليل على أن العرب أنطق، وأن لغتها أوسع ... الخ » ثم لا تجد خبراً لما بدئت به العبارة، فإذا أنت عدت بها الى ماضي القول، وجد موضع كلمة.

« والدليل » هـذه إنما يجيء عطفاً على عبارته المتكررة « ولا بد من ذكرنا كذا وكذا »، « ولا بد من ذكرنا الدليل على أن العرب أنطق ... »

فيستقيم بذلك المعنى، ويتلاءم النسق. وليس الجاحظ بالذي يوقع نفسه في مثل هذا الغموض، بإهمال ذكر اللفظ الأساسي في بيان معناه، بعد ما فرق عنده بين المتعاطفات

مثل هذه الفقرة الطويلة ، وإنما وقع هـذا الإبهام في العبارة نتيجة لإقحام هذه الفقرة بين المتشابهات ، المشتبكات من معانيه .

فاذا أنت سرت سيرتك في إكمال ذلك الثبت للموضوعات التي عالجها في جزء من كتابه الثالث وجدتَ هذا :

« والدليل (أي ولا بدَّ من ذكرنا الدليل) على أن البديهة مقصورة عليها ، وان الارتجال والاقتضاب خاص فيها ، وما الفرق بين أشعارهم وبين الكلام الذي تسميه الفرس والروم شعراً ؟ وكيف صار النسيب في أشعارهم ، وفي كلامهم الذي أدخلوه في غنائهم ، وفي ألحانهم إنما يقال على ألسنة نسائهم ، وهذا لا يصاب في العرب الا القليل اليسير ، وكيف صارت العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة ، فتضع موزوناً على موزون ، والعجم تمطط الألفاظ ، فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن ، فتضع موزوناً على غير موزون » .

تقرأ هذا كله فتجد فهرساً واضحاً لبعض ما سيذكره الجاحظ في الجزء الثالث من كتابه ، ووعداً بيناً بتقديم الأدلة على ما يراه ويقول به .

فاذا نحن جئنا الى هذا الجزء من كتابه لم نجده يفي بما وعد ، إذا نحن اعتبرنا الكتاب على حاله ، وأخذناه على شكله وصورته .

وليس أكثر إثارة للشكوك ، وترجيحاً للريب من أن ما ورد في هذا الجزء ليس إلا أتفه ما ورد في هذا الثبت مساساً بالشعوبية ، وتحقيراً لمذهبها .

أما ما كان منه بحيث يقطع في أصول هذه الطائفة ، ويتناول مطاعنها ، ويصيب مقاتلها كمثل تفصيل هذه الفروق التي ترجع الى طبيعة المواهب في العقل ، وفي اللسان ، وإلى حظ كل من الأمتين من الثقافة ، والفارق بين جوهرها وجوهر الثروة الفكرية العربية ، فأمر قد رفع من الكتاب ، فلم يمسسه المؤلف قط ، أو مرَّ به مروراً تافهاً هيناً ، قد تكون الاشارة الموجزة اليه في هذه الفقرات أكثر لذعاً ، وأشد إيذاء لأصحابه العرب منه لأعدائهم من الشعوبية .

فهذه الاشارة الدقيقة المعجزة ، في الفقرة السابقة ، الى الفرق بين طبيعة اللغة العربية الصوتية ، وطبيعة هاتين اللغتين الآريتين ، وما ترتب عليه من مخالفة بين وزن اللحن الغنائي ووزن الشعر المتغنى به لم يرد عنها شيء في الجزء الثالث ، حيث أشار الى أنه سيعالجه فيه .

وكذلك الكلام عن شعر النسيب عند الفرس والروم ، وطبيعته عندهم وكيف يرد في هذا الشعر على ألسنة النساء ، وهو أشبه بأن يكون إشارة الى الدراما المنطوقة على

ألسنة أبطالها ، لم يرد عنه شيء في موضعه الذي أشار اليه .

إذا أنت نظرت في هذا ، وذكرت معه أن هذا الجزء الثالث من الكتاب خاصة ، قد وضع في الرد على الشعوبية ، بل إني أذهب الى ما هو أبعد من ذلك ، فأكاد أوقن بأن الكتاب كله قد وضع في الرد على الشعوبية رداً مباشراً ، أو غير مباشر ، إذا أنت نظرت في هذا تبادر اليك شيء من الأسباب التي دعت الى أن يعبث بهذا الكتاب عبثاً أدى به الى مغايرة بعيدة فيه لأصله . ولا أكاد أرتاب في انه كان قوياً قوة عقل الجاحظ ، فكان ثقيلاً عليهم ، وكانت الحرب ، والخصومة بين الشعوبية ، وبين العرب يومئذٍ على أشدها ، لحطموا من الكتاب تحطمهم من السلاح يوجه إليهم .

فالأجزاء الطاعنة على العرب من الكتاب ، قد بقيت فيه كاملة ، دون أن تمس ، كباب مطاعن الشعوبية على العرب (ج ٣ ص ٦) . والكلام في تفوق الفرس في الخطابة على جميع الأمم (في نفس المكان) مسوق سياقاً مبسوطاً مفصلاً ، على طريقة الجاحظ في الاسهاب والتفصيل . وكذلك القول في تمديد فضائل العقل اليوناني وثمراته (ص ٧) .

ولكن معالجة هذه الأمور من جهة نظر الخصوم ، قد حذفت ، ومعالجة الفضائل العربية في الخطابة قد حذفت ، وهي طبعاً أشبه بهذا الباب ، إلا ما اختص منها بفضائل العصا ، فانه يعالجها هنا ، ولكنها معالجة تافهة، لست أبرىء الجاحظ من انتحائها ، ولكني لا أشك في أنه ليس بالكاتب الذي يقف عندها .

فالجاحظ قوي العقل جداً ، يهتم لكل شيء ، ولا يكاد يترك أي خاطر من خواطره في موضوع يفلت منه ، فهو يرصد للقيم والتافه جميعاً ، ويحتفل بهما معاً ، ولكنه لا ينسى منهما نسياناً تاماً طرفاً ، أو يمر به مروراً ساذجاً .

والملاحظ في هذا الجزء خاصة ، أن معالجة هذه الأمور التي كانت تفخر بها الشعوبية على العرب ، على حالتها القائمة بها الآن في الكتاب ، أشبه شيء بإثبات الفخر لهم ، وتقويتهم على العرب (أنظر ص ١٤ ، ١٥)

ولقد كنا نقبل هذا لو أنا فهمنا الجاحظ فيه ، على مقتضى الصورة التي أراد بعض ناقديه أن يظهره عليها ، في كتابات له أخرى ، من جهة مناقضته لنفسه ، وتفضيله اليوم ما كان يطعن عليه بالأمس (وهذا أيضاً كلام لا سند له من حق إذا تعمق القارىء العلل التي يبينها الجاحظ لاتجاهاته تلك في كتاباته المشار اليها) . ولكن البقية من كلامه في هذا الموضوع لا تنبىء عن أي اتجاه من هذا الضرب في معالجة حجج الشعوبية. فان من يقول منهم في كتابه :

« فتفهم عني، فهّمك الله ، ما أنا قائل في هذا . واعلم أنك لم تر قوماً قطّ أشقى من هؤلاء الشعوبية ، ولا أعدى على دينه ، ولا أشد استهلاكاً لعرضه ، ولا أطول نصَباً ، ولا أقل غُنماً من أهل هذه النِّحلة. وقد شفى الصدور منهم طول جسوم الحسد على أكبادهم، وتوقد نار الشنآن في قلوبهم ، وغليان تلك المراجل الفائرة، وتسعر تلك النيران المضطرمة، ولو عرفوا أخلاق كل ملة ، وزي كل لغة ، وعللهم في اختلاف إشاراتهم وآلاتهم وشمائلهم، وهيئاتهم ، وما علة كل شيء من ذلك ، ولِمَ اختلقوه ، ولِمَ تكلفوه ، لأراحوا أنفسهم ، ولخفت مؤونتهم على من خالطوهم » .

إن من يقول منهم مثل هذا القول رجل موتور ، يشعر بالجرح في قلبه ، فليس عنده مكان لمهادنة ، وليس فيه محلٌ لمحاسنة ، وليس مثله ، في حالته تلك ، بالذي يستهين بالأمر، ليخلط فيه بين لهو المجادل، وغواية الهازل .

ثمّ إن الكتاب يظهر فيه اختلاط عجيب ، بعض أعراضه يتبين في تكرار بعض الفقر بنفسها في أماكن منه متفرقة ، فإن العبارة السابقة من كلامه (وهي مذكورة في ص ١٦ من الجزء الثالث) تعاد مرة أخرى بما يكاد يكون نصها (في ص ٥١ ج٣) مع تغيير تافه . وذلك إذ يقول :

« ولو علم القوم أخلاق كل ملة ، وزي كل لغة ، وعللهم في ذلك ، واحتجاجهم له ، لقلّ شغبهم ، وكفونا مؤونتهم » .

وتكملة الحديث بعد ذلك أشبه شيء بما مضى . (في ص ١٦) وأقرب الى موضوعه ، وأشبه بالدليل من قضاياه . وكأن ما جاء بين ما في هذه الصفحة ، والصفحة الحادية والخمسين حشوٌ زائد على الموضوع ، قد أضافه إليه غير المؤلف . ولربما كانت هذه الإضافات في موضوع العصا من عمل طالب من طلبته ، أو راوٍ من رواة كتابه . فاني يخيل إليّ أن الجاحظ لم يتركه على هذه الصفة .

وفي الجزء الثالث ، الصفحة السبعين بعد المائة يقول :

« وقد قلنا في ذئب أهبان بن أوس ، وغراب نوح ، وهدهد سليمان ، وكلام النملة ، وحمار عزير ، وكذلك كل شيء أنطقه الله بقدرته ، وسخره لمعرفته ومشيئته » .

وهي أشياء لم يتحدث عنها أي حديث فيما سبق من كتابه .

ومما كرّره أيضاً قوله (ج ٣ ص ٢٥٩) .

« كان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب ، وهم إليه أحوج ، لرده مآثرهم عليهم ، وتذكيرهم بأيامهم .

فلما كثر الشعراء ، وكثر الشعر ، صار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر »..... فقد ذكر مثل هذا من قبل (ج ١ ص ١٧٠) بإسهاب .

هذا فضلاً عن تفرق واضح في تماسك أجزاء الكتاب ، وتهافت في نسقه لا يكاد يكشف من شيء قدر ما يكشف عن محاولة سافرة لستر هذه الثغرات التي خلت بحذف ما حذف عمداً ، على يد غير الجاحظ من أجزاء الكتاب .

وقد يكون الجاحظ من أنصار التنويع في الكتاب إذا طال ، والخروج المتعمد من الموضوع ، هرباً من إسئام القارىء وإملاله ، وتخفيفاً عنه ، وحملاً له على متابعته ، وإنه لينبه على ذلك في مواضع كثيرة من كتابه الحيوان خاصة .

ولكنه كما يقول عن نفسه ، يفعل ذلك على ألا يخرج من الباب الى غيره ، أو الفن الى ما هو بريء منه .

وهو إذ يفعل ذلك ، لا يفعله استجابة لوافع عقلي محتوم ، لا فكاك له منه ، ولا مهرب منه الى غيره ، وإنما يفعله مؤثراً له ، مختاراً ، لأنه يعلم أن فيه إبعاداً لكد الذهن ، وشحذاً لهمة القارىء . فليس الجنوح ، بعض الجنوح ، منه ، طبعاً فيه ، ولا مركباً في تكوينه العقلي .

وإلا فما أبعد الفرق ، وأوسع الشقة بين نسق الجاحظ التفكيري في هذا الكتاب وبين نسقه التفكيري ، ومنهجه المنطقي في كتب غيره ، وفي رسائله خاصة ، لا يعود فيها التماسك الى موضوعها وحده قدر ما يعود الى بقائها على صورة تقرب من أصلها .

ولقد تقرر في ذهني ، من هذه الاضطرابات الغريبة أن الكتاب مجموع من صفحات كان ينقلها عن الجاحظ أحد تلامذته ، أو أنه خلط عجيب بين مذكرات تلاميذه ، عثر عليها الجامع بعد زمان ، فألف بينها تأليفاً لا يسأل عنه الجاحظ ، وهو بالتالي لا يصور منهجه ، وتفكيره .

وقد لقيت الكتب الكثير من العبث لما مرت به من هذه الأطوار . حدث ذلك لكتاب « طبقات الشعراء لابن سلام » ففيه أمثلة كثيرة من الخرم والنقص والخلط . وذلك ظاهر في جميع طبعاته حتى الأوربية منها .

وهو في صورته الأخيرة ، التي وقعت إلينا خلط بين الباقي من كتابين كتبهما ابن سلام أحدهما في طبقات الشعراء الجاهليين، والثاني في طبقات الشعراء الاسلاميين ، فجمع الكتابان معاً ، في عصر متأخر عن عصر صاحبهما ، وجعلا كتاباً واحداً . بل إن مقدمتي الكتابين جعلتا مقدمة واحدة ، يرى البصير فيها ما يميز به بين أجزائهما .

وكذلك وقع لكتاب ابن خلكان « وفيات الأعيان » من الثغر والخرم ما لا محل لتفصيله هنا .

ووقع مثل ذلك أيضاً لكتاب الأغاني ، حتى إن هذا ليدفع بياقوت الحموي إلى أن يتهم صاحبه بأنه يعد بالشيء في سياق الكتاب ثم لا يفي به . كما فعل في الكلام على أبي العتاهية لما وعد بأن يفرد له باباً فيما وقع بينه وبين صاحبته عتبة ، ثم لم يفعل . ولا شك عندي في أنه فعل،ولكن الباب سقط من الكتاب ، ولم يصل الينا ، كما سقطت منه في طبعاته الموجودة الآن بين أيدينا فعلاً ترجمة مسلم بن الوليد ، مع بقائها في غيره منسوبة اليه

وَلقد شهد الجاحظ بنفسه شيئاً من هذا يقع لكتبه ، ولم يكن أحد أشد سخطاً على فاعله منه اذا هو عرفه . فيقول ياقوت في مقدمة كتابه « معجم البلدان » :

« وقد حكى عن الجاحظ أنه صنف كتاباً ، وبوّبه تبويباً . فأخذه بعض أهل عصره، فحذف منه أشياء ، وجعله أشلاء . فأحضره وقال له :

يا هذا ! إن المصنف كالمصور، وإني قد صورت في تصنيفي صورة ، كانت لها عينان ، فعوّرتهما، أعمى الله عينيك ، وكان لها أذنان فصلمتهما ، صلم الله أذنيك ، وكان لها يدان فقطعتهما ، قطع الله يديك، حتى عدّ أعضاء الصورة . فاعتذر اليه الرجل بجهله هذا المقدار، وتاب إليه عن المعاودة إلى مثله » .

وهذه القصة دليل على ما كانت تتعرض له الكتب ، وما لا تزال تتعرض له الآن من التشويه ، والمسخ على أيدي طائفة الملخصين ، والمرتبين ، والمهذبين ، فضلاً عما يمكن أن يطرأ على الكتاب من عبث الزمان به حتى لقد لا يتبقى منه إلاّ صورة واحدة ، مضطربة ، مشعثة ، يرتبها اللاحق حسبما عنّ له وارتآه ، أو مخرومة ، لا يحس منها المراجع بالخرم ، فيؤديها الينا على أنها صورة كاملة صحيحة ، فتحمل من جيل الى جيل، وقد لازمها النقص،

وسَلمَ به فيها على أنه من خطأ المصنف ، لا من جهل الناسخين او الشارحين .

والاشارة إلى كتب الجاحظ بعينها ، في النص المتقدم ، جديرة بأن تمد رأينا في الكتاب بعد ما قدمنا من دلائل على اضطرابه ونقصه .

ولقد كان الجاحظ يحس بثقل هذا على كتبه ، وأثره على تصانيفه ، وإنا لنسمعه يجأر منه بالشكوى ، ونراه وهو يحاول الاحتياط لما عسى أن يصيب منه بعض رسائله ، بعد أن عرف ، دون ريب ، ما أصاب غيرها . فنجده يقول فيما يشبه أن يكون مقدمة لرسالة من رسائله ، وضعها في طبقات المغنين :

« فلما استتبّ لنا الفراغ مما أردنا من ذلك ، خطر ببالنا كثرة العيّابين من الجهّال رب العالمين ، فلم نأمن أن يسرعوا بسفيه رأيهم ، وخفة أحلامهم ، الى نقض كتابنا ، وتبديله ، وتحريفه عن مواضعه وإزالته عن أماكنه التي عليها رسمنا ، وأن يقول كلٌّ منهم في ذلك على حاله ، وبقدر هواه ومخالفته ، والميل في ذلك الى بعض ، والذم لطبقة ، والحمد لأخرى ، فيهجنوا كتابنا ، ويلحقوا بنا ما ليس من شأننا ، وأحببنا أن نأخذ في ذلك بالحزم ، وان نحتاط فيه لأنفسنا ، ومن ضمه كتابنا ، ونبادر الى تفريق نسخة منها ، وتصييرها في أيدي الثقات والمستبصرين للذين كانوا في هذا الشأن ، ثم ختموا ذلك بالعزلة والتوبة منه ، كصالح بن أبي صالح ، وكأحمد بن سلام ، وصالح مولى رشيدة .

ففعلنا ذلك ، وصيرناه أمانة في أعناقهم ، ونسخة باقية في أيديهم ، فان شيب به شوبٌ يخالفه ، وأضيف اليه ما لا يلائمه ، رجعنا الى النسخة المنصوبة ، والأصول المخلفة عند ذوي الأمانة والفقه » .

فهذه إشارة واضحة الدلالة من الجاحظ ، يعرّف فيها ما تعرضت له كتبه في حياته ومن أجل ذلك احتاط للأمر قدر احتياطه . ولكن ذلك لم يغنه مما أصاب كتبه ، بل مما أصاب هذه الرسالة نفسها بعد موته .

وليس الجاحظ إذن مسئولاً عن فوضى التأليف ، ولا عن منهج الاستطراد ، وليس من الانصاف إلقاء القضايا كالسهام ، تصيب من تصيب ، وتخطىء من تخطىء .

الدكتور نجيب محمد البهبيتي

قوة القنبلة الذرية

وكيف تنفجر

في مجلة « ليف » الأخيرة شرح بسيط لقوة القنبلة الذرية ربما كان أوضح وأقرب للافهام مما سبقه من الشروح المستخرجة فيما يأتي بتصرف، يضيف عليه زيادة بيان ووصف

قوة القنبلة الهائلة تأتي من عملية انشقاق الذرة . بهذا الانشقاق أو الانشطار أو الانفلاق تنشق نواة الذرة المؤلفة من كهارب (بروتونات) ايجابية الشحنة الكهربائية ، وذريرات أخرى لا شحنة فيها تسمى نيوترونات . وبانفلاق هذه النواة تنطلق القوة التي كانت تربط هذه الكهارب والذريرات — تنطلق بشكل ضويئات (فوتونات) .

كيف يحدث هذا الانشقاق

لا يحدث هذا الانشقاق (في قنبلتنا هذه) الا في العناصر الثقيلة (المشعة) التي تنحل ذراتها الى ذرات أخرى أصغر منها حين تصدمها نيوترونات شاردة ضالة قذفتها عملية خاصة مفتعلة يفعلها مخترعو القنبلة ، ولها شرح آخر . تنقذف بسرعة هائلة . ومتى كانت كل ذرة من ملايين الذرات التي في الكتلة تنفلق ، فقدر قليل من كتلتها الأصلية يتحول الى دفعة عظيمة من الطاقة بشكل نور وحرارة (هي الضويئات المشار اليها آنفاً) .

وفي نفس الوقت ينقذف من شذرات الانشطار أو الانفلاق (أي ذرات العناصر التي هي أصغر من الذرة المنفلقة) نيوتروناً أو ثلاثة نيوترونات (وهي لا سلبية ولا ايجابية) . وكل واحد من هذه النيوترونات تصدم ذرة أخرى وتفلقها . ومتى انفلقت صدرت منها نيوترونات أخرى تحذو حذو النيوترون الاول الذي فلق ذرتها، وتفلق بنوبتها ذرات أخرى ، وهكذا دواليك . وهذه هي العملية التي يسمونها سلسلة الانفلاقات، أي أن انفلاق كل ذرة يسبب انفلاق ذرتين . والذرتان تسببان انفلاق أربع ، والأربع تسبب انفلاق ثمان وهلم جراً . وهذه الانفلاقات المتوالية تحدث بسرعة لا يمكن تصورها، تحدث ملايين المرات في الثانية — هي سريعة كسرعة النور (٣٠٠ ألف كيلو متر بالثانية) . فمجموع هذه الانفلاقات التي تتفتت بها الذرات ، وتنطلق منها الطاقات (القوات) لا تستغرق ثانية من الوقت كأن ملايينه تحدث جميعاً معاً في نفس الوقت .

من المواد القابلة ذراتها الانشقاق عنصران فقط ، عنصر بلوتونيوم ، ونوع من ثلاثة أنواع من عنصر اليورانيوم أو (الأورانيوم) وهو الذي وزنه ٢٣٥ . وأما بقية أنواع اليورانيوم وهما بـ ٢٣٤ وبـ ٢٣٨ فلا تنشق. وأما بقية العناصر القسمين فلم يعالج منها للانفجار، سوى الهيدروجين. (وقد كتبنا عن قنبلته في عدد سابق من المقتطف) لأن تفجيرها صعب جداً . والى الآن لم يعالجه أحد . على أن الحصول على ذينك العنصرين صعب جداً ولهذا

أصبحا من العناصر الثمينة جداً . أما اليورانيوم ٢٣٥ فليس هو اليورانيوم المعروف الموجود في الطبيعة ، اليورانيوم المعروف في الطبيعة هو مزيج من الأنواع الثلاثة . والنوع الذي يهمنا أي الـ ٢٣٥ هو نحو جزء من ٢٠٠ من المزيج كله . يعني أن في المزيج الذي يزن مئتي جرام مثلاً يوجد جرام واحد فقط من صنف الـ ٢٣٥ وهو ما يسمونه نظيراً ، وجمعه نظائر ، وعزله عن رفيقيه صعب جداً ، وربما كان هذا العزل أهم شيء في اصطناع القنبلة

لمعظم العناصر التي في الطبقة نظائر كهذا النظير . لبعض العناصر نظيران كالهيدروجين ففيه الخفيف والثقيل . ولبعضها ثلاثة نظائر كاليورانيوم الذي نحن بصدده . ولبعضها أكثر كالكبريت الخ . والنظائر التي في العنصر الواحد متماثلة في الخاصة الكيماوية (في الألفة الكيمية) لأن التعبئة الكهربائية فيها جميعاً واحدة . وانما تختلف في الوزن فقط لأنها مختلفة في عدد ما فيها من النيوترونات التي لا تكهرب فيها

وهذا النظير (٢٣٥) الذي في اليورانيوم يصعب جداً فرزه عن رفيقيه . وإنما هناك وسيلة يمكن بها فرزه ، وهي الاستعانة بثقله ، فهو أخف من يورانيوم ٢٣٨ وأثقل من يورانيوم ٢٣٤ فاستنبط لنا طريقة لهذا الفرز عن طريق الثقل . هل تستطيع ؟ أن فرز اليورانيوم حيّر علماء الذرّة . ولكنهم نجحوا أخيراً .

أما البلوتونيوم فليس الحصول عليه أسهل من يورانيوم ٢٣٥ لأنه غير موجود في الطبيعة ولا هو أحد نظراء اليورانيوم ولا غيره . وانما هو يبتدع من اليورانيوم الطبيعي حين يصدم نيوترون منقذف من ذرّة يورانيوم صنف ٢٣٥ ذرّةً من يورانيوم ٢٣٨ . هذه الذرّة (٢٣٨) تمتص النيوترون أو تجتذبه إليها حين ينقذف نحوها ، فتتحوّل الى عنصر آخر لأن نيوتروناتها تزداد واحدة فيزداد وزنها فتصبح ذرّة جديدة باسم نبتونيوم . وهذه لا تلبث أن تستضيف بروتوناً جديداً في أثناء عملية القذف ، فتتحوّل الى عنصر البلوتونيوم الذي نحن بصدده . وهو عنصر لم يكن موجوداً في الطبيعة . بل نتج نتاجاً في اثناء عملية القذف . فهو عنصر مصطنع إذاً ، فزاد به جدول العناصر عنصراً . فصارت ٩٣ عنصراً . ولكي تنشىء قدراً كبيراً من البلوتونيوم من قطعة من اليورانيوم يجب أن تواظب على رفع قدر التفجير في اليورانيوم . ولهذه العملية وصف يعسر إيضاحه لما فيه من التعقيد

كلا البلوتونيوم واليورانيوم ٢٣٥ قابلان للانفلاق والانشقاق ، أو الانفجار بقدر معين من الكتلة . فاذا كان القدر دون الكيلو جرام الواحد أو المئة كيلو جرام فلا يحدث انفجار . وهنا نحوّل القارىء الى كتابنا « عالم الذرّة » وهناك يجد الشرح الكافي لهذه النقطة وغيرها .

(ند)

ابن خفاجة الاندلسي

احد الشعراء المغمورين

* الغزل * أما غزله فافنان يانعة ، وزهور نضرة ،ونسيم عليل ، دونه كأس التسنيم ، فمنه قوله يخاطب محبوبه :

يا رب ليل بته وكأنه من وصف شعرك
تنهل مزنة دمعتي فيه وينـدى نور ذكرك
اتبعت فيه وقد بكيت عقيق خدك در ثغرك
وشرقت فيك بعبرة قد وردتها نار هجرك
فكأنما ينفض عن حبب لها رمان صدرك
ولرب ليل قد صدعت ظلامه بجبين بدرك
ولهوت فيه بدرة مكنونة في حق خدرك
تندى شقائق وجنتيك به وتنفح ريح نشرك
وقد استدار لصفحتي سوسان جيدك طل درك
حيث الحبابة دمعة تجري بوجنة كأس خمرك
وتهز منك فتنثني بقضيب قدك ريح سكرك
وتعب من رجراج ردفك موجة في شط خصرك

* ندمه وأسفه وبكاؤه على الشباب * نظر في المرآة ، فبدت له شعرة بيضاء في عذاره، فشمله شعور غريب ، مزج بين الأسف على ذهاب الشباب ، والحزن على حرمانه من عطف الحسان ، فصوّر هذا الشعور بريشة مصوّر ماهر فقال :

أرقت على الصبا لطلوع نجم أسميه مسامحة مشيبا
كفاني رزء نفسي أن تبدى وأعظم منه رزءًا أن يغيبا
ولولا أن يشق على الغواني للاقيت الفتاة به خضيبا
فلم أعدم هناك به شفيعاً الى أمل ولم أبرح حبيبا

الى أن قال : وملت مع الشباب عن التصابي وكيف به وقد طلعت رقيبا

ولم يزل يسرد شعوره سرداً حتى قال :

فأحسن من حمام الشيب عندي غراب شبيبة ألف النعيبا
يطيب بنفسه عند الغواني فيغني عن فتيت المسك طيبا

﴿ شكوى الحال وفقد الاخوان ﴾ وتضيق نفسه بأفاعيل الدهر به مع فقد اخوانه فيقول:

بعيشك هل تدري أهوج الجنائب تخب برحلي أم ظهور النجائب ؟
فما لحت في أولى المشارق كوكباً فأشرق حتى جئت أخرى المغارب
وحيداً تهاداني الفيافي فأجتني وجوه المنايا في قناع الغياهب
ولا جار إلا من حسام مصمم ولا دار إلا في قتود الركائب
ولا أنس إلا أن أضاحك ساعة ثغور الأماني في وجوه المطالب

إلى أن يقول :

فحتى متى أبقى ويظعن صاحب أودع منه راحلاً غير آيب

﴿ زهده ﴾ ويستدل على زهده في الدنيا بقوله :

ألا قصر كل بقاء ذهاب وعمران كل حياة خراب
وكل يدان بما كان دان فثمَّ الجزاء وثمَّ الحساب
ولا خطة غير احدى اثنتيـن إما نعيم وإما عذاب
فرحماك يا من عليه الحساب وزلفاك يا من إليه المآب

﴿ حبه وطنه ﴾ ومما يدل على حبه وتعلقه بوطنه قوله :

يا أهل أندلس لله دركم ماء وظل وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد إلا في دياركم ولو تخيرت هذا كنت أختار
لا تختشوا بعد ذا أن تدخلوا سقراً فليس يدخل بعد الجنة النار

ولهذه الأبيات حكاية طريفة وهي :

قدم الخليل رسولاً إلى سلطان المغرب، فأنشد بحضرته هذه الأبيات . فقال السلطان : كذب هذا الشاعر — يشير الى قوله : جنة الخلد — فقال الخليل : يامولانا بل صدق ، لأنها موطن جهاد !! والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « الجنة تحت ظلال السيوف » فاستحسن السلطان قوله . ورفع عن الشاعر لومه ، وأجزل صلته .

فاعرف قدر هذا المغمور من هذا الطل ، ولا تنس الاغتراف من بحر هذا الشاعر الفحل كلمة كتبتها خدمة للأدب ، وهكذا يجب أن يرمي من كتب !

القاهرة محمد رضوان الاحمر

فهرس الجزء الاول
من المجلد السابع عشر بعد المئة

الديموقراطية : مسيرها ومصيرها « ملحق » : لرئيس التحرير

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد السابع عشر بعد المئة

١ يوليو سنة ١٩٥٠ — ١٦ رمضان سنة ١٣٦٩

اليهود

كسلالة او شعب[1]

للسير ارثر كيث

الشعب اليهودي يختلف عن سائر الأمم الكبرى بأن فكرة اتحاده ليست بناءً على الاقليم او الوطن ، وانما يتحد اليهود على يقين انهم نوع من البشر ذو تقليد متقادم العهد ، وذو عقيدة شعبية ودينية معاً . ان فكرة الجنسية عندهم مائعة تميل مع الريح ، حيثما يذهبون تذهب جنسيتهم معهم (أينما كانوا هم يهود ، اذا سألت واحداً منهم ما جنسيتك ، قال أنا يهودي) . ان فكرة الجنسية المبنية على الوطن أو الاقليم مرنة جداً هي عجينية قابلة للجبل

أما شعور اليهود بالاعتزال والانفصال عن الأمم الأخرى فهو شعور صلب . هو شعور «واق من المطر» فقد قضى اليهود ٢٥ قرناً في العاصفة . ان طبيعة جنسيتهم المائعة القابلة للتنقل والشديدة المقاومة والاجتهاد ، مكنتهم أن يفعلوا شيئاً لم يفعله أحد سواهم — مكنتهم أن يتغلغلوا بين جميع الأمم بسلام . لا تجد بلداً في أوروبا وغربي آسيا وشمالي أفريقيا أو في العالم الجديد خلواً من كنيس لليهود وطائفة يهودية مستقلة . وهكذا ترى

(١) نأخذ هذا المقال من كتاب «نظرية جديدة في التطور الانساني» الصادر حديثاً ، بتصرف قليل في أحد المواضع

أن اليهود يختلفون عن سائر الأمم بكونهم لاوطن لهم ولاجماعة متكتلة في مملكة واحدة، بل هم مشتتون جماعات شبه منعزلة . اليهود يخافون أن تغرق جنسيتهم في الجنسيات الاخرى ، بل يخافون أن تفنى في بحر الجنس البشرى .

كثيرون من البحاثة، يهوداً وغير يهود ، يترددون في اعتبار اليهود أمة . وصديقي المرحوم فليب مغنوس صرّح برأي كثيرين من اليهود الانكليز حين كتب « انهم جماعة دينية ذات ولاء للدولة كسائر الجماعات الأخرى الدينية . والمستر مونتفيور اليهودي العلاّمة الانكليزي أكد القول بأن اليهود يعزلون أنفسهم لأجل دينهم . وليس غرضهم أن يخلّدوا سلالتهم بل دينهم ، والذين كتبوا عن الشعبية Nationalism يذكرون لليهود صفة جماعة سلالية مختصة كأنها أمة بالمعنى الروحي . ودائرة المعارف اليهودية تسلّم بأن اليهود كانوا أمة، وأما الآن فانهم جماعة دينية . قال مستر ووسبان ولف سنة ١٩٠٤ أن اليهود جماعة دينية مربوطة بالزواج الداخلي » . وأما اختلاف الآراء بهذا الشأن فيفسر بأن الديانة اليهودية كسائر الأديان القديمة كانت ترمي الى سعادة الجماعة أو القبيلة وبالتالي الى بقائها . اليهودية تنص على المبادىء الدينية والاجتماعية والسياسية كما انها تنص على المبادىء الدينية . كتب جيبون في كتابه عن سقوط الامبراطورية الرومانية وزوالها : « يظهر ان دين موسى جُعل لقطر خاص ولأمة خاصة » . اليهودية شعبية National بمقصدها . والرومان كانوا هكذا بلا شك ؟ والنصارى طائفة مكونة من عدّة أمم . وكتب كستين يهودي في المانيا : « اليهود أمة سائرة في طريقها مستعدّة أن تضحي التضحيات اللازمة » .

ليس سهلاً أن أثبت أن اليهود أمة . فاذا اعتبرناهم أمة فهم أيضاً سلالة، فاعتبارهم سلالة يصدق على أول ظهورهم كسلالة . في سنة ١٥٧٠ ظهرت الجملة التالية في أحد المطبوعات « سلالة ابراهيم وشعبه » والمطران نورويتنش كتب : « التاريخ نفسه (التوراة) هو قصة غير تامة عن سلالة صغيرة » . فان كنت مخطئاً في كلامي عن اليهود كسلالة أكون مسبوقاً بهذا الشأن ولي ظهير . أن معظم زملائي الانتروبولوجيين في انكلترا وفي أوروبا وفي أميركا ينظرون الى السلالة نظرة عالم في علم الحيوان، ويعتقدون أن السلالة تتميز بعلامات خارجية ، في حين أني أعتقد أن العلامات الأولية يجب أن تكون سيكولوجية (عقلية).

ولليهود جميع الخواص السيكولوجية التي للسلالة ، فهم يشعرون بالتشابه الكلي فيما بينهم، وانهم يختلفون عن سائر الشعوب . وهم يصرّون على التزاوج الداخلي (فيما بينهم) ، يضحون بحياتهم في سبيل تخليد جنسهم . هم شعب مختار منعزل عن سائر الشعوب ، وقد أمنوا على رسالة إلـهية . وبحسب رأي كالدجي الذي كتب سنة ١٩٣٥ عن جهد الصهيونية في سائر العصور ، الاعتزال والتعصب وعدم التساهل هي عناصر جوهرية في اليهودية ، كلها صفات سلالية . والأستاذ هانكينز رأى أن لليهود جميع الصفات الأخرى التي للأمة ولهم وجدان السلالة الراقي ، أي الشعور بتفوق السلالة ونقاوتها .

الوسيلة الحساسة لتمييز سلالة من أخرى الاعتماد على النظر والسمع . ويزنبرغ الذي هو انثروبولوجي ويهودي يؤكد أن الروس يمكنهم أن يميزوا ٥٠ بالمئة من اليهود من مظهرهم . والروس اليهود يمكنهم أن يميزوا بعضهم من بعض في ٧٠ بالمئة من الأشخاص . واختباري في الجماعات البريطانية تجعلني أصدق في ٤٠ بالمئة من الأشخاص اليهود في التمييز بين اليهود وغيرهم . ولكني أخطىء نحو خمسة بالمئة في الناس الذين لم يبق منهم دم يهودي . ودهابرج عالم الحياة السويدي قدر الفرق بين اليهود الاوروبيين والعناصر الأخرى كالفرق بين السومريين والاسبان . والدكتور صلامان العالم اليهودي قال: أن يهود جنوب أوروبا المسمين السيفرديم يعرفون حالاً من مظهرهم . وسواء استعملنا كلمة سلالة كما يستعملها عالم الحيوان أو بمعناها الأصلي يعتبر اليهود سلالة .

القضية المهمة الآن هي أن نستكشف متى وأين عرف اليهود كسلالة تامة بحيث انها لا تحتاج الى اقليم تقيم وتعيش فيه . المصدر الأساسي لهذا الامر هو « العهد القديم » التوراة . التوراة والانثروبولوجيا الحديثة متفقتان في تعيين الوطن الأصلي لليهود . كان ابراهيم سوريًّا سليلاً من الشعب الذي وضع أساس الحضارة البابلية . ويجب أن نلاحظ ان قبيلة ابراهيم كانت جماعة تتزاوج داخليًّا ، أي انها لا تتزاوج مع قبائل أخرى ، ابراهيم تزوج أخته من أمه ، وناحور تزوج بنت اخته ، واسحق ويعقوب تزوجا بنتي عمهما . وأخيراً حين استوطن حفداء ابراهيم جنوب فلسطين أصبح امتزاجهم بالامم الأخرى خطراً على نقاوة السلالة ونلاحظ أن يهوذا الذي يجب أن نلاحظه على الخصوص ، تزوج إحدى

بنات البلاد (من غير قبيلته) وهكذا فعل ابنه

وكاتب التوراة المؤرخ يترك عدة نقط مهمة بلا تفسير، ولاسيما رحلة بني اسرائيل الى مصر ومن مصر . وهو يغفل أمر الاسرائيليين حين كانوا في مصر . وقد كانوا آخر حلقة من سلسلة الشعوب التي امتدت شمالاً أي غربي الاردن حتى حدود سوريا . فالمديانيون والعمالقة والادوميون والموآبيون والعمونيون يمثلون حلقاً في تلك السلسلة . كلهم يتكلمون لغات مختلفة مشتقة من لسان واحد كالاسرائيليين . والراجح ان الاسرائيليين دخلوا مصر لا كأعضاء أسرة واحدة ، بل كقوم متجمعين من أسرات عديدة . والقبائل الاعراب لايزالون يقيمون في ضواحي الدلتا المصرية، وبعد اقامة محدودة يرحلون . وكذا الاسرائيليون بعد ترحل طويل في مصر، يقدر عادة بنحو ٤٤٠ سنة، صاروا قوماً صحراويين (يترحلون) . وتنقيب جارستانغ Garstaing في أريحا أظهر أدلة على عبور الاسرائيليين نهر الاردن وفتحهم الارضين العليا في فلسطين في زمن تقرر انه منذ ١٤٠٠ سنة قبل المسيح . وهذا البحاثة نفسه يقدر ان بني اسرائيل لما دخلوا فلسطين لم يكونوا يعدون أكثر من ستة آلاف نفس او سبعة آلاف[1] . وان يشوع (الذي استلم قيادتهم من موسى لم يكن يقدر أكثر من الف نفس) . وكان اهالي البلاد حينئذٍ جماعات سلالات مختلفة . ومؤرخ الغزوات (في سفر يشوع الاصحاح ١٢) يذكر نحو ٣١ مملكة او ولاية وقعت في أيدي الاسرائيليين . واذا علمنا ان مساحة فلسطين نحو ١٠ آلاف ميل مربع أي نحو خمس مساحة انكلترا ، وان أكثر من نصفها قليلاً صالح للاقامة، فنعلم كم كانت هذه الممالك صغيرة . والقراء يعلمون حينئذٍ جيداً كم كانت أقاليم الاسباط الاثني عشر صغيرة .

ولما استوطن الاسرائيليون في فلسطين ألفوا « اتحاد قبائل » Confedration ولكي يصيروا أمة كان عليهم ان يحلوا نظام القبيلة . وقد تمّ ذلك تحت حكم شاول وداوود وسليمان أي بين ١٠٥٠ و ٩٥٠ قبل المسيح . وكان سبط يهوذا أول من أحدث هذا التغيير في القبيلة، وأقام حكومة مركزية . واذ نرى أن اليهود جاؤوا من صلب يهوذا يجب أن نوجه أنظارنا على الخصوص الى ذلك السبط . وكان اقليمه يمسح نحو ٢٥٠٠ ميل مربع

(١) والتوراة تقول انهم خرجوا من مصر ٦٠٠ الف ماش (سفر الخروج : الاصحاح ١٢ : عدد٣٧)

ونصف أرضه جبلي أو صحراوي . وفي عز قوة بني يهوذا ونجاحهم لم يزد عددهم على نصف مليون . وأرض يهوذا موّنت فلسطين بملوكها وكهنتها وأنبيائها . وكان بنوها عنداء وغلاظ الرقاب متعصبين .

أول نكبة نكب بها الاسرائيليون انفصال الأسباط الشمالية العشرة من اتحادهم سنة ٩٣٥ قبل المسيح عن شعب يهوذا . وبعد قرنين (سنة ٧٣٨ — ٧٢١ ق م) رأى بنو يهوذا أن الأسباط العشرة سيقوا أسرى الى بلاد أشور واحتلّ بلادهم قوم أغراب عنهم . وفي أقل من قرن رأى بنو يهوذا أنفسهم في نفس الحالة ، اذ سيق الجانب الأكبر منهم أسرى الى بابل (٥٩٦ — ٥٨٢) . وفي الأسر وجد ابناء يهوذا أنفسهم في عقلية أشد صلابة. وعناداً من اخوانهم الذين كانوا في المملكة الشمالية . واسرائيليو الشمال ذابوا في الشعوب الغريبة التي نزلت في أرضهم بينهم . والقوم الجنوبيون (الذين نتكلم عنهم الآن كيهود) حرصوا على ذاتيتهم . وحين كانوا بين البابليين ، حافظوا على لغتهم وعاداتهم . وهذبوا ديانتهم حرصاً على سلالتهم . وحافظوا على تقاليد سلالتهم بحيث أن ديانتهم تبقى نقية غير ملوثة . ويقينهم بأنهم مستقلون عُزلٌ عن الأمم الأخرى ، وانهم شعب مختار ، واحساسهم بأنهم سلالة قائمة بذاتها — هذا اليقين أقدرهم أن يصمدوا ضد قوّة الاندماج بالبابليين . وأخيراً وهم يشعرون انهم دخلاء في الامبراطورية الفارسية (بعد أن غزا كورش الفارسي بابل وامتلكها وأطلق سراحهم) كان شعورهم بأنهم سلالة مستقلة حفظهم كشعب قائم بذاته . ولطالما جاهد الأغريق والرومان والمصريون ضدّ عنادهم في تمسكهم بذاتيتهم فأخفقوا .

هنا لنا خبر حادث ممتاز في مجرى التطور البشري — خبر نشوء سلالة ذات نوع جديد . ولدت السلالة وترعرعت في اقليم من فلسطين ، كان حصة سبط يهوذا . وكان هذا السبط يحصر التزاوج في داخله . ولكن هذا الحصر في التزاوج لا يكفي وحده لنموّ شكل خاص للعقلية . فلا بدّ إنه كان في تكوّن هذا السبط رجال ونساء أغنياء بالشعور والاميال والاستعداد الطبيعي لهذه العقلية . هذا النوع من العقلية الذي أنسبه الى بني يهوذا الأولين القدماء ممثل في نحميا ساقي ملك فارس في قصر شوشان نحو سنة ٤٤٦ ق . م .

نقل الى نحميا أصحابه أخباراً سيئة عن حالة أورشليم . قال نحميا في سفره الاصحاح الأول عدد ٤ . — « فلما سمعت هذا الكلام جلست وبكيت ونحت أياماً وصمت وصليت أمام إلــه السماء » . والانسان الذي يفعل هكذا لا يكون ذا شخصية اعتيادية . ان أناساً كهذا يكرهون أن يتطرفوا . ولكنهم يودون أن يتطرفوا (في مثل هذا الظرف) فلا تنكر على نحميا عواطفه نحو قومه .

كان اليهودي في وطنه الأصلي فلاحاً . وكانت له مزارعه يزرع فيهـا القمح والشعير . ويهذب كرمته . ولكن الفلاح كان يقطن في مدينته . وحين انتشر في البلاد بنى مدناً لسكنه ، لأنه في المدينة يعيش مع قومه ، وينجو من الاندماج في أقوام أخرى . ولكن كيف نجح في التجارة ؟ في مراكش الاسبانية لنا مثل على كيفية صيرورته تاجراً وصرّافاً . نشأت سوقٌ على الحدود حيث تلتقي أقاليم بعض القبائل وحيث يحدث التقايض . ففي أول الامر أشغل تلك الأسواق يهودٌ . وقد جلبوا معهم الأحذية والملابس الجاهزة لكي يبدلوا بها بضائع أخرى من الأهالي . فكانت القبائل ترحب بهم لأنها تحتقر التجارة والتجار . فانتقل هذا الشغل رويداً الى يهود مراكش . فأدخلوا المعاملة بالنقد وأصبحوا صيارفة وذوي مصارف . بمثل هذا الأسلوب صار اليهود تجاراً في الأرض التي استوطنوها . ففي زمن ابراهيم كانت التجارة بين سوريا ومصر في أيدي الشعوب السامية . وفي الزمن القديم والزمن المتوسط كان الأعراب ينقلون البضائم ويبيعونها .

وهناك شعبان آخران الأرمن والفرس شاركوا اليهود في عقليتهم السلالية ، فكانوا يتاجرون في مدة تشتتهم . الأرمن محسوبون آريين واليهـود ساميين ، ولكن لكلا الفريقين سجايا في العقل والجسد يشتركان بها بحيث أن الانثروبولوجي الذي يحسب حساب هذا التشابه يشعـر انه مضطر أن يتقهقر الى الوراء ، فيرد الفريقين إلى تلك السلالة الموهوبة التي كانت في طليعة العناصر التي أنشأت حضارة ما بين النهرين . واني لأوافق الدكتور بار Dr. L. W. Parr في ما قاله بشأن سجايا الأرمن : « هم ذوو درجة عالية في الوحدة السلالية ، وسجايا خاصة اجتماعية واقتصادية حتى في دمهم وخواصهم الطبيعيـة . وعقلية الفرس من جهة أخرى لا تنسب إلى ميراث من شعب بين النهرين . كانوا فرساً من

أصل آري يؤمنون بعقيدة زوردستة التي كديانة اليهود تحرص على المبدإ الديني والقومي معاً . فالفتح الاسلامي سنة ٦٤١ بعد المسيح اضطر المتعصبين من اتباع زوردستة أن يرحلوا إلى الهند ويؤلفوا منهم جوالي مستقلة في مدن وقرى من بمباي، وشرعوا يتاجرون وهم يحرصون على ذاتيتهم وينتشرون جماعات في الهند وفي البلاد المجاورة . فعند الأرمن واليهود الدين والسلالة متلازمان .

* * *

في سنة ١٣٥ ب . م . شتت ادريان اليهود من فلسطين ودمر أورشليم إلى الحضيض ، وجعل يهوذا خراباً يباباً . ولكننا رأينا أن أسرى اليهود استقروا في بابل في القرن السادس ق. م. وكثيرون منهم فضلوا أن يبقوا هناك لا أن يعودوا إلى فلسطين . وفي القرن الخامس ق. م. انتشروا في أمبراطورية فارس التسعة حيث رفعت الحضارة السامية رأسها الأشيب لأول مرة . وفي القرن الثالث دفع الفرس اليهود أمامهم إلى الغرب وإلى الموانىء التجارية على البحر الأسود . وفي نفس القرن استقرت ألوف منهم في الاسكندرية . وبعض مدن مصر والأمبراطورية الرومانية مهدت لهم الطريق إلى قلب أوربا. وفي القرن الثاني ق.م رحلوا إلى رومه وإيطاليا . يقول جريتز المؤرخ اليهودي لم يوجد زاوية في رومه أو بارثيا ليس فيها كنيس وجالية يهودية ، ثم رحل فريق منهم الى شرق البحر الأبيض في وسط القرن الأول ق. م. وقد قدر عددهم في ذلك الوقت بنحو ١٠ آلاف في دمشق وبمليون في مصر ، وهكذا نرى أن اليهود كانوا يبتغون مواطن في الأماكن التي استقرت فيها جاليات منهم منذ أمد بعيد قبل أن يدمر أدريان وطنهم الأصلي . وفي القرن الثالث ب. م. وصلوا إلى وادي الرين . وفي القرن الثامن وجدوا في بولندا وغربي روسيا . وقد كتب جرايتز المؤرخ اليهودي «أن مصيراً قاسياً كان دائماً يدفعهم عن وطنهم المركزي . . . هذه ارادة الله » كان مصيراً قاسياً لهم على الخصوص بسبب جهازهم العقلي .

وكان يقال دائماً ان اليهود ليسوا سلالة، بل هم مزيج من عدة سلالات . ولهذا يختلفون في شكلهم الطبيعي . واليهود الجنوبيون الذين يقال لهم سفرديم Saphardim كانوا على الغالب

طوال الرؤوس وسود الشعور . وأما يهود الشمال فكانوا مستديرو الرؤوس وشعورهم سمراء أو صفراء أو وردية . فكيف نعلل هذا الخلاف بين الجانبين اذا كانوا كلهم من سلالات يهوذا . لا ريب أن اليهود الأولين هدوا كثيرين الى اليهودية : وبسبب الزواج المختلط من حين إلى حين ضموا جريثيمات Jins من الشعوب المختلفة التي كانوا يتعيشون معها إلى جريثيماتهم الخاصة . وبهذا البيان تفسر خواصهم الفسيولوجية. ولكن لعوامل «الانتخاب الطبيعي» عملٌ ما دامت تكوّن جالية بعد جالية . ونحن نعلم أنه حين تنقسم جماعة أو قبيلة تختلف الأقسام الجديدة عن القديمة بقوتها التوليدية . فحين ولدت الجالية اليهودية القديمة زمرة من الرواد لكي تؤلف جالية في بلدة مجاورة ، فالرواد يختلفون في بعض الصفات عن الجالية الأم . وحيث هذه الجالية الجديدة تعمل لتأليف جالية ثالثة ، فالثالثة تختلف أكثر فأكثر عن الأم والجدة . والراجح أن اليهود الذين بلغوا الى بولندا قادمين من حوض الرين كانوا الحلقة العشرين أو الثلاثين من سلسلة الجوالي المتوالدة من الجالية الأم التي نشأت في الرين ثم هجرته . هكذا نتوقع ان اليهود الذين بعدوا جداً عن مركز التشتت يجب أن يختلفوا جداً عن طابع يهوذا أو طرازه .

* * *

فعملية التطور التي احتملها اليهود لم تنحصر في صفاتهم الجسمانية بل جهازهم العقلي . السمة الجوهرية التي يتسم بها اليهودي هي إحساسه الحي بأنه حلقة من سلسلة سلالته ، وإنه غير متصل بالأمم الأخرى Jentiles · بغير هذا الاحساس يغرق في بحر الأممية . فكر لحظة في التجارب التي تعرض لها اليهود والغربلة التي قاسوها وعملية الانتخاب التي احتملوها في الـ ٢٥ قرناً التي تفصلهم الآن عن جدودهم الذين كانوا في الأسر كانت خواص اليهود الاجتماعية قد تطورت كما تطورت خواص الأممي . وكان دائماً تغريه جواذب مضيافه الاجتماعية. حتى إذا كان ضعيفاً أصبح فريسة لها . الاثم الذي لا تغتفره جماعته هو شروده عن عقيدته وسلالته وعلى الرغم من حرمه من جماعته وجحدها له. قد يقع في هوى مرأة من إحدى الأمم ويتزوجها. وهكذا يجلب دماً أممياً الى سلالته . والنسل المختلط من زواج كهذا مع الزمن يؤول الى

التلوث بالقوم الذين اختلط بهم . فاذا لم تكن عقلية اليهودي السلالية موروثة فالنسل يغرق في الأمم ويضل عن السلالة وينفصل عنها . وفي أثناء ثمانين جيلاً كان اليهود يقاسون حملة الانتخاب العقلي القاسية . ولو لم يكن الاحساس السلالي راسخاً فيهم لغرقوا في بحر الأممية . وبدلاً من أن يضعف شعور اليهودي بالاستقلال عن الأمم كان ينمو أقوى فأقوى مع الزمان . وبين الأمم صار الشعور بالقومية أكثر طغياناً وعدائيّاً .

* * *

كانت لي فرصة حسنة أن أتكلم عن عقلية نحميا كطابع لعقلية اليهود ، على أني أزيدها برهاناً إذا كنت أقتبس شجبه للزواج المختلط (السفر ١٤ العدد٢٣) « في تلك الأيام أيضاً رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودي ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودي بل بلسان شعب وشعب . فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم أناساً » وكان النبي عزرا يعتقد أن هذا الزواج المختلط جلب عليهم غضب الرب على شعبه المختار (سفر عزرا الاصحاح العاشر عدد ١٠ و١١) .

وكان كلما عنفت الأمم مواطنيها اليهود زادوهم حرية دينية واجتماعية ومدنية . وسقط العدد الأكبر من اليهود فرائس لعملية الاندماج بالأمم . ومن جهة أخرى كانوا كلما تحاملت الأمم عليهم ، وكلما اشتد الاضطهاد ونشطت نعرة الروح المقاومة للسامية اشتد التحام اليهود وصاروا أكثر تعصباً ، واليهود الذين لم يبالوا بديانتهم بل أهملوها وصاروا على شفا أن يهجروا الجهاد السامي كانوا إذا أصبحت سلالتهم تحت خطر ينضوون تحت لوائها للدفاع . تكفينا شهادة يهودي واحد على صحة هذا القول . هي أن الفيلسوف برغسن اليهودي الفرنساوي لما اشتد الاضطهاد على اليهود في المانيا سنة ١٩٣٧ قال تعليلاً لهذا الاضطهاد « ان تفكيري قادني شيئاً فشيئاً الى الكثلكة التي كنت أرى فيها اتفاقاً مع اليهودية ، كدت أعتنقها لو لم أتوقع الموجة الهائلة ضد السامية . أود أن أبقى مع هؤلاء الذين سيضطهدون غداً » . هذه هي روح اليهودي السلالية ، لا تخور .

[وفي العدد القادم تعليق على مقال الدكتور السير كيث]

منابع النيل

حسب عقيدة قدماء المصريين وتقاليدهم

لأنطون زكري

تتمة المقال

قال صاحب الأقاليم السبعة إن النيل يخرج أصله من جبل القمر من عشر عيون، خمس تجتمع في بطيحة، وخمس في بطيحة أي مكان منبطح من الأرض ثم يجتمع بعد ذلك الماءان، وذكر صورة جبل القمر، وإنه مقدس وعلى رأسه شراريف (شرفات عالية)

حكى ذلك عنه الشيخ العلامة « شهاب الدين بن عماد » رحمه الله تعالى في جزئه الذي جمعه في النيل، وهو جزء لطيف جداً. وحكى فيه عن المسعودي أنه قال في كتابه (مروج الذهب) وأصل النيل ومنبعه من تحت جبل القمر، ومبدأ ظهوره من إثنى عشر عيناً. وجبل القمر خلف خط الاستواء، يعني الذي يستوي فيه الليل والنهار، وأضيف إلى القمر، لأنه يظهر تأثيره فيه عند زيادته ونقصانه بسبب النور والظلمة والبُدْوي والمحاق.

قال المسعودي فتنصب تلك المياه الخارجة من الاثنى عشر عيناً إلى بحيرتين هناك، وهو معنى كلام صاحب الأقاليم في بطيحة.

قال: ثم يجتمع الماء منها جارياً. فيمر برمال هناك وجبال ثم يخترق أرض السودان مما يلي بلاد الزنج، فينبع منه خليج ينتهي إلى بحر الزنج[1]. انتهى ما أردته منه.

وممن قال إنه ينبع من جبال القمر السرج الكندي، كما نقله عنه ابن عماد في جزئه المذكور، فظهر بذلك أن أكثر المؤرخين على هذا القول، كما أشار اليه صاحب الأصل بقوله فيما تقدم ذكر غير واحد من المؤرخين.

وقال صاحب « الكردان »: وفي أصل النيل أقوال للناس حتى ذهب بعضهم إلى أن مجراه من جبال الثلج، وهو بجبل (ق)، وأنه يخرق البحر الأخضر[2] بقدرة الله تعالى ويمر على معادن الذهب والياقوت والزمرد والمرجان، فيسير ما شاء الله الى أن يأتي بحيرة الزنج.

(١) ويقيم الزنوج في الجزء الشرقي من أفريقيا للمعروفة باسم زنزيبار.

(٢) دعا جغرافيو العرب النيل الشرقي تارة البحر الازرق وتارة البحر الاخضر.

قال الحاكي لهذا القول ولولا ذلك يعني دخوله في البحر الملح ، وما يختلط به منه ، لما كان يستطاع أن يشرب منه لشدة حلاوته .

وقال قوم : مبدؤه من خلف خط الاستواء باحدى عشرة درجة . وقال قوم مبدؤه من جبال القمر ، وانه ينبع من اثني عشر عيناً . انتهى ما أردته منه .

وقال ابن عماد في جزئه المذكور ، وذكر بعضهم أن سائر مياه الأرض وأنهارها يخرج أصلها من تحت الصخرة[1] بالأرض المقدسة ، والعلم عند الله تعالى . انتهى . ولم يبين قائل ذلك ، وقد بينه في موضع آخر من جزئه المذكور فقال :

وذكر الثعالبي في قصص الأنبياء أن جميع مياه الأرض يخرج أصلها من تحت الصخرة . انتهى ، ويدخل في اطلاق هذا القول النيل وغيره .

وذكر ابن عماد في جزئه المذكور عند كلامه في الاستدلال على أفضلية النيل على غيره من الأنهار ، ان النيل يخوض في البحر الملح ، ولا يختلط به ، بل يجرى تحته متميزاً عنه كالزيت مع الماء ، قال ولهذا يظهر لركاب البحر في بعض النواحي فيستقون منه للشرب وذلك في اماكن معروفة . انتهى .

ورأيت في مناقب امامنا الامام الأعظم والحبر المحترم الشافعي رضي الله عنه لأبي القاسم ابن غانم المقدسي حكاية عنه تدل على أن النيل يمر ببلاد الهند .

وكان ابن طولون قد سأل شيخاً كبيراً من علماء القبط عمره مائة وثلاثون سنة عن أشياء في أحوال مصر أين منتهى النيل في أعلاه ، فقال البحيرة التي لا يدرك طولها وعرضها وهي نحو الأرض التي الليل والنهار فيها متساويان طول الدهر ، وهي تحت الموضع الذي يسمى عند المنجمين الفلك المستقيم . قال وما ذكرت فمعروف غير منكور . قلت قد اختصر صاحب الأصل هذه الحكاية ، وقد نقلها الشهاب بن عماد في جزئه المذكور عن المسعودي فقال : قال المسعودي : « وكان أحمد بن طولون في سنة نيف وستين ومائتين بلغه أن رجلاً بأعلى مصر من الصعيد له ثلاثون ومائة سنة ، من الأقباط ، ممن يشار إليهم بالعلم ، وإنه علامة بمصر وأرضها في برها وبحرها وأجنادها وأجناد ملكها ، وأنه ممن سافر الأرض ، وتوسط الممالك ، وشاهد الأمم في أنواع البيضان والسودان ، وأنه ذو معرفة بأنواع هيئات الأفلاك واحكامها . فبعث إليه أحمد وأخلى له نفسه ليالي وأياماً كثيرة يسمع كلامه وإيراده وجواباته فكان فيما سأله عن طول الأحابش على النيل وممالكهم

---

(١) معبد الصخرة في جامع سيدنا عمر بمدينة أورشليم .

قال : لقيت من ملوكهم ستين ملكاً في ممالك مختلفة ،كل منهم ينازع من يليه من الملوك. وبلادهم حارة يابسة . قال فما منتهى النيل في أعلاه . فقال البحيرة ؟ الى آخر ما ذكره عنه صاحب الأصل . والله أعلم .

وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد الاسواني في كتاب أخبار النوبة من أخبار النيل ، وما شاهدت منه ومن تشعبه وتقسيمه على سبعة أبحر من بدء علوه واجتماعه ببلدة مقره ، وتعطفه تعطفاً عجيباً قبلي مدينتهم وافتراشه ، وإنه يجري بجري « دنقله » حتى يكون ما بين شرقيه وغربيه نحو اربعين فرسخاً ، ويتضايق بعد ذلك حتى يكون عرضه دون الخمسين ذراعاً ، وتكون الجنادل معترضة في غير موضع منه حتى يكون انصبابه في بابين أو ثلاثة أبواب .

قال : وقلعة أصفوف أول الجنادل الثلاثة وهي أشد الجنادل صعوبة لأن فيها جبلاً معترضاً من الشرق الى الغرب في النيل ، والماء ينصب من ثلاثة أبواب ، وربما يرجع الى بابين عند انحداره ، شديد الخرير عجيب المنظر لشخور الماء من علوّ الجبل وقبليه مرسى حجارة في النقل نحو ثلاثة أبرد الى قرية تعوق بيسير وهي آخر قرى ميرس وأول بلاد مقره .

« قال أبو محمد عبد الله بن محمد الاسواني في كتاب اخبار النوبة عند ذكر ناحية يقرن مانصه » :

« وما رأيت على النيل ناحية أوسع منها وقدرت ان سعة النيل فيها من المشرق الى المغرب مسيرة خمس مراحل [١] الجزائر تقطعه والأنهار منه تجري بينها على أراض منحطة وقرى وعمائر حسنة . انتهى »

قلت وطريق الجمع بين هذا وبين ما تقدم نقله من صاحب خزانة التاريخ أن عرضه مختلف بحسب بلاد النوبة أيضاً . ففي بعضها كما قاله صاحب خزانة التاريخ أعني ثلاثة أميال فما دونها . وفي بعضها كما قال الاسواني أعني خمس مراحل وهذا جمع حسن ، ولا مانع من ذلك لأن سبيله المشاهدة والله أعلم .

قالوا ومن وراء مخرج النيل الظلمة [٢]

---

(١) أي عبارة عن مائة وخمسين ميلا .

(٢) قبل الوصول الى سلسلة القاف الخرافية توجد جهة مظلمة تمنع الناس المرور وربما قصد المؤلف هذه البلدة القريبة .

قال ابو الخطاب: وخلف الظلمة ضياء. فسبحان العليم. وفي تاريخ ملوك مصر ان الوليد[1] أحد ملوك مصر من العمالقة كان يعبد القمر، وهو أول من تسمى فرعون وأقام بمصر مدة ثم عنّ له أن ينظر مخرج النيل ويعرف مَن بتلك الناحية من الامم، فأقام ثلاث سنين يستعد لذلك، ثم جمع جميع ما يحتاج اليه واستخلف على مصر عوناً، وتوجه فمرّ على أمم السودان ومرّ في طريقه على ارض الذهب[2]، وفيها أمة عظيمة ينبت الذهب في تلك الأرض كالقضبان. ثم سار حتى بلغ البطيحة التي ينصب فيها ماء النيل من الأنهار التي تخرج من جبل القمر وراء القصر الذي عمله هرمس[3]، وصعد على جبل القمر ووراء البحر الزفتي الأسود. ورأى النيل يجري عليه كالأنهار الرقاق، وأتاه من ذلك البحر روائح منتنة هلك بسببها كثير من أصحابه، وذكروا أنهم لم يروا هناك شمساً ولا قمراً الا نوراً أحمر مثل نور الشمس، ثم توجه راجعاً الى مصر وأقام بها مدة، ثم ركب يوماً الى الصيد فظفر به أسد فقتله، ودفن في بعض الاهرام وملك بعده الريان وهو فرعون يوسف عليه السلام.

قال الشيخ عماد الدين بن كثير في تاريخه الكبير. وأما مايذكره بعضهم من أن منبع النيل من مكان مرتفع اطلع عليه بعض الناس فرأى هناك هولاً عظيماً وجواري حساناً وأشياء غريبة، وان الذي اطلع على هذا لم يمكنه الكلام بعد هذا فهو من خرافات المؤرخين وهذيانات الأفاكين

قلت هذا الذي قاله الحافظ بن كثير رحمه الله لعله أشار به الى ما حكاه ابن زولاق في تاريخه عن بعض خلفاء مصر، أنه أمر قوماً بالمسير الى حيث يجري النيل فساروا حتى انتهوا الى جبل عالٍ والماء ينزل من أعلاه له دوي وهدير لا يكاد يسمع أحدهم صاحبه، ثم ان أحدهم تسبب في الصعود الى أعلى الجبل لينظر ما وراء ذلك، فلما وصل الى أعلاه

---

(١) ان الوليد هو ابن سالس الذي ذكره غوغوريوس أبو الفرج في تاريخه المختصر من الاسر وأنه من ذرية الملك ابن اللبقاز وحفيد الاساير الذي جعل أولاده يقيمون في أدومية المجاورة لارض مصر وقبل عصر الوليد وفي عصر أبينا ابراهيم كان ملوك مصر يلقبون بالفراعنة.

(٢) روى الشريف الادريسي: كان أهالي تكرور بلدة واقعة في نهاية أفريقيا الغربية يعتقدون أن الذهب نبات. وروى أحد كتاب العرب حادثة غريبة في بابها وأثبت أن الذهب نبات في غير أفريقيا. ففي سنة ٣٩٤ هـ. كان محمود بن سبكتكين السلطان الاول من الاسرة الجارنفندية يتنزه مرة في بلاد سجستان التي قهرها، فوجد في أحد جبالها شجرة من الذهب الخالص وان طولها يمتد ثلاثة أميال تحت الجبال، ولكن في عصر حكم ابنه السلطان مسعود حدثت زلزلة فقلبت هذا الجبل وزال المنجم الذهبي. اهـ.

(٣) يعتقد الشرقيون وجود ثلاثة أشخاص معروفين باسم هرمس وعاشوا في عصور مختلفة، وان هرمس المذكور هنا ظهر بعد أبينا آدم بألف سنة ومشهور ايضاً باسم ادريس. اهـ.

رقص وصفق وضحك ثم مضى في الجبل ولم يعد اصحابه يعرفون ما شأنه، ثم ان رجل منهم صعد لينظر ففعل مثل الاول، فطلع ثالث، وقال اربطوا في وسطي حبلاً فاذا أنا وصلت الى ما وصلا اليه، ثم فعلت ذلك فاجذبوني حتى لا أبرح من موضعي، ففعلوا ذلك. فلما صار في أعلى الجبل فعل كفعلهم فجذبوه اليهم فقيل إنه خرس ولم يرد جواباً فمات من ساعته، فرجع القوم ولم يعلموا غير ذلك. انتهى.

قال: وقلعة أصفون أول الجنادل الثلاثة وهي أشد الجنادل صعوبة لأن فيها جبلاً معترضاً من الشرق الى الغرب في النيل، والماء ينصب من ثلاثة أبواب، وربما يرجع الى باين عند انحساره، شديد الخرير عجيب المنظر لاندفاق الماء عليه من علو الجبل. وقبليه فرش حجارة في النيل نحو ثلاثة أبرد الى قرية تعرف بيسير، وهي آخر قرى مرسين وأول بلاد مقره

قال الوطواط الكتبي في كتاب مباهج الفكر إن طول مسافته ثلاثة آلاف فرسخ ونيف. وقيل إنه يجري في الخراب أربعة أشهر، وفي بلاد السودان شهرين، وفي بلاد الاسلام شهراً. قلت هذا القول موافق لما جزم به ابن زولاق في تاريخه.

وذكر صاحب درر التيجان أن من ابتدائه الى انتهائه اثنين وأربعين درجة وثلثي درجة كل درجة ستون ميلاً، فيكون طوله ثمانية آلاف وستمائة وأربعة وعشرين ميلاً وثلثي ميل على الفصل والاستواء، وله تعويجات شرقاً وغرباً فيطول ويزيد على ما ذكرناه. وقال صاحب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق «وبين طرفي النيل مما ثبت في الكتب خمسة آلاف وستمائة ميل وثلاثون ميلاً».

وذكر صاحب خزانة التاريخ: ان طوله أربعة آلاف وخمسمائة وخمسة وسبعون ميلاً، وعرضه في بلاد الحبشة والنوبة ثلاثة أميال فما دونها، وعرضه ببلد مصر ثلثا ميل، ليس يشبهه نهر من الأنهار. وفي تاريخ ابن زولاق ليس في الدنيا نهر أطول مدى من النيل، يسير مسيرة شهر في بلاد الاسلام، وشهرين في بلاد النوبة، وأربعة أشهر في الخراب حيث لا عمارة، الى أن يخرج من جبال القمر خلف خط الاستواء. قلت ما حكاه صاحب الأصل في تاريخ ابن زولاق، ادعى أبو قبيل الأجماع عليه ولفظه كما حكاه بن عماد في جزئه المذكور ما نصه: «وأجمع أهل العلم على أنه ليس في الدنيا نهر أطول مدى من النيل يسير مسيرة شهر في الاسلام الى آخر ما تقدم ذكره، وزاد فقال: وليس في الدنيا نهر يصب في بحر الروم والصين غير نيل مصر. انتهى والله أعلم.

انظروا تذكرى

موسم العجائب

الطبل (مطاوع طبّل) لبنان في الشهر الماضي بالثرثرة الطنانة الرنانة بأعاجيب القديس «شربنل» أو شاربل الذي مات منذ نصف قرن ثم ظهرت من قبره نبعة لم تكن معروفة من قبل . فلما فتحوا القبر وهو في الكنيسة أو عند الكنيسة على قول آخرين ، ظهرت جثة القديس ولمّا يفعل فيها البلى بعد . وما لبث المشاهدون أن رأوا الجثة تنضح عرقاً حتى ابتلّ كفنه وثوبه . وأحياناً كان يظهر العرق ، ممتزجاً بدم . وكانوا يغيرون قميصه مرتين أو ثلاثاً في اليوم ، ولا يزال يعرق وينضح دماً من حين إلى آخر . هذا مجمل الرواية عن جثة هذا القديس بعد نصف قرن من وفاته — شيء عجيب .

ومن لا يسرع لكي يرى جثة هذا القديس وهي لا تزال كما فارقتها روحه منذ خمسين سنة . ومن يرى هذه الأعجوبة ولا يقول أن شربل هذا الذي كان راهباً وكاهناً قديس عجائبيّ . وكيف لا يكون عجيباً أمره ودمه لا يزال حيّاً يسيل أحمر قانياً كما كان منذ خمسين سنة قبل أن يموت . أجل انه عجيب وعجيب — كذا تدفقت الروايات عنه في لبنان وسوريا ومصر والعراق إلى كل بلد يسمع الاشاعات باللغة العربية .

ولماذا لا يقال أن الراهب أو القسيس شربل هذا كان قديساً في حياته المطوقة بقصص التقوى وحولها هالة من القداسة . ولماذا لا يقال انه قديس لا يذعن لسنن الطبيعة ، بل سنن الطبيعة تخضع له وتأتمر بأمره وتفعل ما توحي جثته لها ناهيك عمّا يشفيه عرقه من الامراض وما يمسحه دمه من الأدران وما يغسله من الخطايا والآثام .

فلذلك جعل كثير من المصابين بالأمراض العقامة والمشوّهي الأبدان يتوافدون اليه للتبرك والاستشفاء . توافدوا من جميع نواحي لبنان حتى من سوريا ومصر والسودان . واللغط في سوريا ولبنان حتى في بيروت على قدم وساق ، اللغط بما فعل شربل القديس

من المعجزات فذاك كان أعمى فأبصر، وذاك كان أصم فسمع، وهذاك كان أحدب فاعتدل، وهذاك كانت إحدى رجليه أقصر من الأخرى فطالت حتى ساوتها . وذاك كان مصدوراً فطاب، وتلك كانت عاقراً فاذا بها حامل ، إلى غير ذلك من الأقاويل العجيبة المدهشة.

وأغرب عجائب هذا القديس أن شيخاً يدعى يوسف حنون قضى حياته يعمل اسكافاً، وكان دميم الخلقة ، وقد وهن عظمه ، واشتعل رأسه شيباً ، إذ بلغ من العمر عتيّا . يقال انه الآن في الثمانين ولكنه لا يزال نشيطاً بعض النشاط ولم يتزوج ، دخل الى مقام هذا الراهب وركع وكان يصلي ، ويقول يا رب لماذا تحرمني حظي من شباب الحياة . امنحني نصيبي من شباب الحياة ومسراته . يا سيدي القديس شربل تشفع لي عند ربنا . الخ

وخرج الشيخ يوسف حنون فاذا هو معتدل القامة حالك الشعر ، وقد اندمج لحم وجهه، وانصقل عضل خديه، وزالت كل تجعدات محياه. وصارت الفتيات يتغامزون عليه. وقال أحدهم : من هذا ؟ أليس هذا ابن يوسف حنون ؟ فقال آخر يوسف حنون لم يتزوج .

ومن يستطيع أن يكذب القائل وهو يقول لقد ذهبت بنفسي ورأيت بعيني . وأعرف فلاناً بعين عوراء وقد رأيته أخيراً بعينين كاللؤلؤ . وأعرف فلاناً كسيحاً وأخيراً رأيته يمشي أمامي ثم يركض معي . وأعرف فلاناً أعقد اللسان أو أبكم وإذا به اليوم يبز شيشرون في الخطابة . أجل لا يجسر أحد أن يقول أن هذه الأقوال المنقولة كلها أكاذيب ، والذين يروونها رأوا بأعينهم وسمعوا بآذانهم . وان قلت إني لا أصدق ما لم أرَ بعيني. فيقولون لك اذهب الى ذلك المقام القدسي وانظر بعينيك .

قالوا إن الحكومة أوفدت لجنة من الأطباء ومعظمهم من أساتذة الطب الممتازين لكي يفحصوا الجثة ويحققوا ويشاهدوا العجائب بأعينهم وقيل عنها أن منهم الدكتور يوسف الحتي الأستاذ في الجامعة الأميركية ، ومتى عادوا من التحقيق نشروا تقريرهم .وها نحن منتظرون نتيجة التحقيق .

أما أنا العبد الفقير نقولا الحدّاد لا أصدق أن الدكتور حتي العالم الكبير ،ولا غيره من الأطباء يرضون أن يذهبوا الى مقام ذلك الوليّ لكي يحققوا في خرافة أو يعلنوا تقريراً في سخافة . ان علمهم يصدهم ونفسهم الأبية تترفع عن صغارة كهذه .

ويظهر أن هذا الربيع ربيع العجائب، فقد وردت لنا من شوف لبنان أخبار معجزة ليست معجزات شربل أمامها شيئاً . وتحرير الخبر أن قرب دير المخلص قرية وفي السهل الذي تحتها كنيسة صغيرة (كابيلا) بناها مطران في ملك له هنـاك ثم دفن فيها منذ سبعين سنة . وفي ٢٥ من شهر مايو كل سنة يقدّس خوري القرية قداساً فيها تذكاراً لذلك المطران . وفي الميعاد الأخير فيما كان الخوري يقدس وأهل القرية يسمعون القداس واذا مياه انبثقت من أمام باب الـكنيسة وجعلت تجري صعداً (لا نزولاً) حتى صارت تصب فوق في حديقة الى جنب كنيسة القرية الـكبرى . وكان الناس مدهوشين من هذا الينبوع العجيب ، وجري مائه الى فوق . وذاقوا ماءه فاذا هو زلال . ثم جعلوا ينبشون ذلك القبر الذي في الـكنيسة الصغرى . فما لبث النبع أن انقطع — واستمروا ينبشون حتى بلغوا الى مقرّ المطران ، واذا هو لا يزال جالساً على كرسيه كما أُجلس حين دفن (لأن العادة أن يدفنوا كبار الاكليروس جلوساً على كراسيّ) ولم يبلَ منه شيء . فعادوا وغطوه كما كان. فعاد النبع يجري جرياً ضئيلاً وصار الناس يستشفون بذلك الماء .

هذه أخبار أعجوبة المطران فلابيانوس . وهي أعجوبة تبز جميع أعاجيب شربل وأعاجيب كبير الرسل .

ولـكن هناك أعجوبة أعظم من عجائب القديس شربل وعجيبة المطران فلابيانوس . وهي ان أهل لبنان الذين يتبجحون بأنهم أرقى البلاد العربية ثقافةً وعلماً وعندهم كلـيتان للطب وكليات أخرى فيه — يصدقون هذه الأخبار ويتداولونها ويذيعونها حتى ملأوا بها جرائد بيروت وسوريا والعراق ومصر الى سائر البلاد العربية . يتداولونها ولا يخجلون . أليس هذا عجيباً ؟ . وبعض جرائد مصر ومجلاتها تزعم أنها أوفدت من قبلها مراسلين يدرسون أعاجيب مار شربل. ولا تخجل هذه الجرائد أن تنشر تقارير لفقها مراسلوها استهواء للقراء وهي تعلم ان عامة الشعب يصدقون ماتنشره الصحافة حتى ولو كان ضلالاً وتضليلاً . واذا قال لك القارىء : ياسيدي هـذه أخبار حققتها الجريدة أو المجلة وأرسلت رسلاً اخصاء لتحقيقها أفتكذبها ؟ فماذا تقول له ؟

اقول أن كثيراً من ضلالنا وجهلنا وغباوتنا ناشىء عن جريمة صحافتنا في النشر من

غير تحقيق قانوني . وما نكسبه من الثقافة الحقة نخسره ونكسب أكثر منه الخرافات والترهات عن يد جرائدنا ومجلاتنا. فرفقاً يا قوم بناشئتنا التي تتثقف الآن على الاسس العلمية اليقينية، ورحمة بسمعتنا وشرفنا . أن يذاع عنا أننا منغمسون بهذه الترهات والخزعبلات لعارٌ علينا وعلى اولادنا ولسوف يُعيَّر به جيلنا القادم

يا قومي — ان الله لما خلق هذه الاكوان جعل لها سنناً ونواميس أبدية تسير عليها . فمنذ نشأ الكون الأعظم حتى الساعة لم تحد أجزاؤه عن هذه السنن قيد شعرة. ففي كل ٢٤ ساعة تدور الارض على نفسها دورة كاملة، فيأتي الصباح في ميعاده والمغرب في حينه ، وتدور الأرض حول الشمس كل عام مرة ، فيأتي كل فصل من فصول السنة في ميعاده . وهكذا دواليك: فلا يمكن أن يتخلف حادث عن ميعاده ثانية واحدة. وهكذا ينبت من حبة الحنطة سنابل قمح لا شعير، ويثمر التين تيناً والعنب عنباً . ولا ينبت من العوسج تين – يستحيل ان يتغير هذا النظام الذي عمله الله . ولا يمكن ان يخضع نظام الله لمشيئة القديس شربل، ولا يستطيع القديس شربل لا في حياته ولا روحه بعد مماته ان يغير شيئاً من سنن الله ولا أن ينقض قضاء الله، ولا يمكن الله ، ان ينقض حرفاً من ناموسه لأجل خاطر شربل . كذا سنَّ . وكذا يكون . ولا يستطيع كائن على الارض او في السماء او في الكواكب والنجوم أن يرد قضاء الله . أو يغير سنة الله في خلقه

فحاذروا ان تشركوا الموتى في قضاء الله . فهذا الاشراك اثم عظيم لا يغتفر

لا أظن شربل أقدر من سيدة لورد على عمل الخوارق . ومنذ بضع سنين ارسل معهد ركفلر بعثة من العلماء على اختلاف انواعهم الى باريس لكي يدرسوا حقيقة أعمال سيدة لورد ..فذهبوا وحققوا واطلعوا على السجلات وقابلوا بعض الأشخاص الذين زُعم أنهم شفوا على يد سيدة لورد فاذا ما قيل بشأنهم أولاً وآخراً افك . وثبت للبعثة ان سيدة لورد اداة نصب ، وان عملياتها خزعبلات.

ولا يخفى ان فرنسا تعتبر بلاد الثقافة العالية وفيها هذا الافك فلا بدع ان يكون لبنان ندًّا لها في الثقافة والافك وقد تثقف على يدها كما تعلمون

العزلة في رأس الجبل

نقاش بين ناسك وصحفي

٦ — دلة ما انقطع

من ينتفع من الحرب

في صباح اليوم الثالث بعد أن تناولنا الفطور وجلسنا مجلسنا المعتاد . قلتُ : لم أنم هاجلاً لأني لم أتعوّد النوم قبل الهزيع الثاني من الليل ، فأرقت نحو ساعة كانت فيها فكرة الحرب تجول في خاطري .

قال : الحرب ؟ الحرب . وقى الله المدنية منها ، انها انتحار المدنيـة السكرانة بخمرة انتصارها على الطبيعة .

قلت . يقولون : الحرب احتدام تنازع البقاء . فهي إذن سنة طبيعية لا بد منها .

قال : نعم . هي سنة طبيعية فقط . لا سنة اجتماعيـة أيضاً . بل تلك نقيض هذه . ولم تزل الحرب تحـدث الى اليوم على الرغم من تقدم النوع البشري اجتماعيـًّا . لأن غريزة التنازع لا تزال غالبة فيه . لا يزال الانسان وحشي الطبع أكثر مما هو انساني الخلـق . وعلى الرغم من أن الحـرب كانت قديماً حرفة الشيوخ والأمراء والملوك لأجل الـكسب ، فما كانت في زمن من الأزمان مكسبة بل كانت خسائرها على الغـالب أكثر من أرباحها . كان كدر لعومر الملك البابلي يغزو كل سـنة أمة من الأمم . فغزا نحو ٢٥ غزوة . وكان يفرض الجزية على البلاد التي يغلبها . فـكان هو شخصيـًّا يتنعم بأرباح النصر . ولـكن شعبه لم ينل من انتصاراته ما يساوي خسائره في الحرب . ونابوليون اجتاح أوربا في مدة بضع عشرة سنة وسيطر عليها . فهل حسنت حال الشعب الفرنساوي من جراء انتصاراته؟ ما كانت حروب نابليون الاّ فتكاً بالشبيبة الفرنساوية وسائر الشبيبة الاوربية .

ادرس جميع حروب التاريخ تجد أنها كانت تفضي الى نفس هذه النتيجـة . خسارة

فظيعة للغالب وللمغلوب جميعاً . هي جنون بشري مطبق . تنازع الحيوانات رحمة إذا قورن مع حروب الانسان ، لأنه بقدر ما ارتقى الانسان ارتقت فنون تنازعه نحو قمة الهلاك والفناء .

قلت : ترى ، ألا يفهم الناس ولا سيما ساستهم هذه الحقيقة الناصعة التي تفضلت بتبيانها

قال : طبعاً السواد الأعظم منهم يفهمونها . ولكن الذين يثيرونها هم الآلهة — الآلهة الذين خلقهم ابن آدم . راجع ميثولوجيا اليونان والرومان حتى العبران تجد أن الحروب كانت بين الآلهة وجنودها البشر . ولا تزال كذلك حتى اليوم .

استغربت قوله هذا وقلت : أجل كانت بعض آلهة اليونان والرومان وغيرها تحارب بعضها بعضاً . ولكني لا أرى صلة بين حربها وحروب البشر .

قال ، بلى . حتى آلهة العبرانيين والمصريين والفلسطينيين والكنعانيين وغيرهم كانت تتحارب حروباً عنيفة وتقع ويلاتها على اولئك الشعوب . لا تجهل أن موسى لم يخرج بني اسرائيل من أرض مصر الا بعد أن حارب إلهه آلهة المصريين وضربهم عشر ضربات . لم تستطع آلهة المصريين ردها . فكان موسى مندوب رب اسرائيل وكهنة مصر وسحرتها مندوبي آلهة مصر . فغلب الهه موسى آلهة فرعون . ولما دخل الاسرائيليون ارض الميعاد كان يهوه (اله اسرائيل) رب الجنود المتقلد رتبة جنراليسيمو يحارب آلهة الفلسطينيين والكنعانيين والحثيين الخ . وكان كلما غضب يهوه على بني اسرائيل لسبب زيغانهم عنه سلط عليهم هؤلاء ، حتى إذا تابوا عاد فأنجدهم . وحكاية سقوط اريحا وايقاف الشمس يوماً وغير ذلك ترينا كيف أن يهوه كان يحارب مع اسرائيل .

ولما غلب الفلسطينيون بني اسرائيل غنموا منهم تابوت العهد وأودعوه في هيكل إلههم داجون . ولكن يهوه رب جنود اسرائيل أقوى من داجون ، فلم يسمح بأن يكون تابوت عهده بين أيدي أعدائه . ففي صباح اليوم التالي وجدوا تمثال داجون واقعاً عند أرجل تابوت العهد . فأوقفوه ثم وجدوه في اليوم الثالث واقعاً محطماً . فخافوا من قدرة إله اسرائيل الذي غلب إلههم ، فردوا تابوت العهد الى أصحابه .

فترى من هذه الأساطير العبرانية أن الآلهة منذ القديم كانوا يتحاربون بجنود رعاياهم

ولهذا كان الاسرائيليون يلقبون إلههم « رب الجنود » أي إله حرب يقودهم في جميع حروبهم .

قلت : طبعاً هذه ميثولوجيا أي أساطير قديمة . أما الآن ...

فقاطعني قائلاً : الآن كـكل زمان ، لا تزال الآلهـة تحارب حروباً شراً من الحروب القديمة . راجع تواريخ الحروب القديمة والحديثة تجد معظم أسبابها دينية مباشرة أو غير مباشرة ، أي انها صادرة من شهوات نفسانية ، ولـكنها كانت تتوارى وراء غايات دينية ظاهراً أو باطناً .

لطالما شبّت الحروب لأجل العقائد الدينية . وكانت أشهرها الحروب الصليبية . وحتى العصر الأخير ما زال الهلال والصليب يتحاربان . ففي حرب البلقان كان ملك اليونان يطوف في مركبته في الشوارع وأيقونة المصلوب على صدره يستفز بها الشعب للقتال

ولما فترت النعرة الدينية عند أمم الغرب أنشأ آلهة العصر ديناً جديداً تتفانى لأجله الأمم هو دين « الوطن » ، فكان شراً من الديانات السموية في تضحية شبيبات الشعوب على مذابح آلهته .

ومع ذلك لا يزال الـكهنة حتى الآن يرافقون الجيوش ، حتى الـكهنة الذين يمثلون الإله القائل : « لا تقاوموا الشر بالشر بل من لطمك على خدّك الأيمن حول له الأيسر » . ولا يزال رجال الدين الروحيون يصلون الى الله أن ينصر جنودهم على أعدائهم . مع أن إلههم الآن يختلف عن إلـه اسرائيل يهوه رب الجنود بأنه إله عمومي لجميع الأمم على السواء . ولذلك يضعون الله الآن في مأزق حرج لم يضع بنو اسرائيل يهوه في مثله . لأن الله العام أصبح لا يدري أي العدوين يستجيب صلاته

***

وبعض المؤمنين الذين يستهجنون هذا المنطق المتناقض يذيعون دعاية السلم ضد الحرب حتى ولو كان بالتسليم للعدو عملاً بقوله « أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم » ، على أن أحدهم أخذ إذناً من الله رب الجميع أن يترك سياسة « حوّل خدك الأيسر » ويعود الى دستور يهوه رب الجنود .

فقد روي ان اكليريكيًّا ويلسيًّا كتب لسجينٍ سُجن بسبب دعايته للسلم ضد الحرب يقول له : —

« تسألني : هل المسيح إله حرب ؟ فأجيبك : اقرأ سفر يشوع الاصحاح الخامس عدد ١٥ [١] والاصحاح السادس [٢] فترى أن يسوع جاء الى العالم لكي يكون قائداً حربيًّا على شعب اسرائيل . وصفات يسوع لم تتغير حتى اليوم . وعظة يسوع على الجبل انما هي دستور للمملكة الجديدة . ولكن لما رأى الله أن الناس رفضوا هذا الدستور الجديد اضطرّ أن يرجع الى دستور العهد القديم [٣] بصفة كونه يهوه رب الجنود لكي ينصر شعبه على أعدائه » . انتهى كلام الا كليريكي الويلسي .

فأي الخصمين هو شعبه الخاص الذي ينبغي أن ينصره ؟

وبقيادة يهوه يثير الحرب الآن آلهة ميثولوجيا العصر الذي أشرنا إليهم سابقاً مثل اسكندر ، وهانيبال ، وقيصر ، وجنكيزخان ، وشارلمان ، ونابوليون ، وغليوم ، وموسوليني ، وهتلر . الخ . كل هؤلاء كانوا آلهة يتعبدهم الجيش ويعظمهم الجمهور . وبعد دهر من الزمان يصبحون آلهة كجوبيتر ومارس ونبتون .

قلت : ولكن ما غرض هؤلاء القواد الحربيين الذين تسميهم آلهة من هذه الحروب المضنية التي تربو خسائرها على أرباحها ، وما المحرّض لهم عليها ؟

قال : الغرض والمحرّض شيء واحد هو اشباع شهوة السؤدد في أنفسهم . هي أقوى شهوة في الانسان . متى شبع الانسان من غذائه الجسدي جاع الى غذائه النفساني وهو هذا السؤدد الذي يشمل المجد والقوة والجبروت .

قلت : ولكن حروب اليوم لم تعد تجدي كحروب الأمس . أفلا يفطن هؤلاء الآلهة الشهوانيون أن حروبهم خاسرة على كل حال ؟

---

(١) فقال رئيس جند الرب ليشوع إخلع نعليك من رجلك لان المكان الذي أنت واقف فيه مقدس . ففعل يشوع كذلك

(٢) الاصحاح السادس : كانت أريحا مقفلة بسبب بني اسرائيل لا أحد يخرج ولا أحد يدخل . فقال الرب ليشوع . أنظر قد دفعت الى يدك اريحا وملكها جبابرة البأس . تدورون دائرة المدينة جميع رجال الحرب . . . الى آخر حكاية سقوط أريحا بمعونة رب الجنود

(٣) دستور عين بعين وسن بسن

قال : الى الآن لم تزل شهواتهم تعمي أبصارهم . فهم مغترون بمدنيتهم التي تغدق عليهم من حسنات علومها آلات الحرب الجهنمية المفنية . ان الحيوانات العجماء علمت ـ والانسان لما يعلمْ بعد ـ ان المدنية الانسانية جاءت حاملة بين أذيالها أسباب فنائها . فاسمع حكاية الحيتين

حرب التفاني

كانت الحدأة مطلة من عشها في الشجرة فأبصرت أفعى تحتها تتحين الفرصة للتسلق على الشجرة وغزو فراخ ذلك العش . فالحدأة ربطت جأشها وقالت للأفعى : أظنك حديثة العهد في هذه الناحية يا هذه والا لما جئت الى هنا ، لأن أفعى أخرى سبقتك وغزت جميع العشوش التي يمكن الوصول اليها . فليتكِ تعبرين النهر الى العبر الآخر حيث تستقلين بتلك المنطقة البكر وحدكِ فهي غضة الأشجار . وأشجارها ملأى عشوشاً . أطير الى هناك وأرشدك الى حيث يكثر صيدك ، فاتبعيني عبر النهر .

فشكرت لها الأفعى هذه النصيحة وقالت : أخاف أن أتعب قبل أن أصل الى الشاطىء الآخر

فقالت لها الحدأة ، أرافقك فوق الماء فكلما شعرتِ بتعب انذريني فأمسك ذيلك بمنقاري وأجرك مسافة ترتاحين فيها .

وما بلغت الأفعى الى الشاطىء حتى كان التعب قد أنهكها ، وأما الحدأة فما لبثت أن عادت أدراجها وقصدت الى الأفعى المستوطنة في الغابة الأولى وقالت لها : — أود أن أقدم لك خدمة جليلة جزاء عفوك عن عشي .

فقالت الأفعى الأخرى : ماذا ؟

قالت : اسرعي عبر النهر الى الغابة الأخرى حيث قد عبرت اليه أفعى أخرى غريبة لكي تتمتع بالعشوش التي فيه . ولعلها وصلت منهوكة القوى لأنها ضعيفة وصغيرة . وأما أنتِ فتسطيعين أن تسبقيها وتطرديها وأنا أساعدك كلما تعبتِ فأمسك ذيلك بمنقاري وأجرك الى أن تبلغي الى الشاطىء .

— شكراً . على بركات الله .

وكان ما اتفقتا عليه . والتقت الأفعيان عند الشاطىء . ولما وقعت العين على العين وثبت كل منهما على الأخرى ثمّ التفت كلٌّ منهما على الأخرى فاغرتين شدقيهما فقالت هذه لتلك :

دعيني . هذه منطقتي

— بل هي منطقتي . وأنتِ دخيلة هنا . ترجعين من حيث أتيتِ أو آكلكِ قبل أن تأكلي رزقي .

وفي الحال انحلت احداها عن الاخرى وطفقت كلٌّ منهما تبلع ذيل الأخرى فأصبحتا كلتاهما كدائرة . وما زالتا تبتلعان كل منهما الثانية والدائرة تضيق الى أن صارت الدائرة نقطة . ثم اختفت النقطة اذ اختفت كل منهما في بطن الأخرى . ولم يبق شيءٌ منهما .

وكان نسر فوقهما يشاهد هذه المعركة الغريبة الى نهايتها العجيبة ، فالتفت الى الحدأة اذ كانت تشاهد المعركة على شجرة أخرى وقال لها ، لقد خدعتني يا ماكرة اذ دعوتني لوليمة على أشلاء هاتين الأفعيين . ولكن انتهت المعركة بفنائهما جميعاً . كيف يمكن هذا؟

فقالت الحدأة : لو لم أشاهد معارك تنتهي بمثل هذا الفناء لما حرَّضت الأفعيين على القتال :

— كيف ذلك ؟

— ألا ترى معركة البشر الآن تنتهي بالفناء . فاذا كنت تنتظر أن تتغذى من أشلاء قتلى الناس تخيب أملاً . الأفضل أن نجد لنا يا صاحبي مسترزقاً آخر .

***

قال الناسك : هذه حقيقة عرفها الطائرات ولم يعرفها الانسان —

هكذا انتهت معركة الحيتين كما تنتهي حروب هذا الزمن بالفناء لا غالب ولا مغلوب. والسبب فيها هو غرور آلهة العصر الذين تألهوا وسيطروا على سذاجة الجماهير .

قلت : يقولون ان الحروب لازمة للتوازن بين دائرة العمران وتكاثر السكان حتى اذا ضاقت الدائرة وازدحم فيها السكان خففت الحروب هذا الزحام .

قال : عذراً . هذه نظرية . لله ما أسخف عقل قائلها . الرزق موفور للإنسان أكثر منه للحيوان . والعلم الحديث يستطيع أن يحوّل صخور الجبل الى بشر ما دامت هذه الصخور تحتوي على الكربون، وهواء الجو يحتوي على الأوكسيجين والكربون والنيتروجين، وماء البحر يحتوي على الأوكسجين والهيدروجين، وسطح الأرض لم يزل يسع ويغذي عشرة أضعاف ناسها . وعلم الكيمياء يستطيع أن يبتدع من هذه المذكورات أحياء يغذي بعضها بعضاً

فوجمت برهةً وأنا أفكر وهو يلقي نظرةً على مزرعته الى أن قلت : لله ، أما من وسيلة لرد هذا الانسان الأحمق الى عقله وصوابه وتفكيره ببلايا الحروب، عسى أن يتوب عنها ويعدل الى السلام بنظام عادل ؟

قال : يظهر أن الآلهة الصالحين يئسوا من اصلاح الجنس البشري الآن . فاليك خبر ماذا كان من مؤتمرهم بهذا الشأن . .

مدفعية النباتات الفطرية

لبست للحرب بل للاستعمار

ما من اختراع اخترعه الانسان الاّ سبقته الى مثله أو ما يشابهه الأحياء الأخرى من نباتات وحيوانات. وأغرب الاختراعات في ظني اللاسلكي أو الراديو. وقلَّ من يعرف أو يخطر له ان كثيراً من الحشرات سبقت الانسان اليه. فان ذكورها تهتدي الى اناثها عن بعد سحيق بحاسة لا تزال مجهولة. وقد اختبر هذه الظاهرة الحشَرية عالم مدقق في علم الحشرات اذ جمع طائفة من اناث نوع من الحشرات الطائرة من غابة وعاد بها الى منزله على بعد بضعة أميال من الغابة وحبسها في قفص كبير من الأسلاك الدقيقة. وفي اليوم التالي رأى عشرات من الذكور رابضة على أسلاك القفص. فطرد هذه الذكور. ثم نقل قفص الاناث الى ناحية لا تهب الريح منها الى الغابة بل بالعكس تهب من الغابة الى القفص على ظن أن الذكور تهتدي الى اناثها بواسطة رائحتها التي تنقلها الريح. فكانت النتيجة واحدة اذ جاءت الذكور من الغابة وتجمعت حول القفص. فبقي سر الاتصال بين الذكور والاناث على ذلك البعد أغمض من سرّ الراديو. والراجح عندي ان لهذه الحشرات جهازاً عصبيًّا كهربائيًّا كما للانسان، فتصدر منها ومضات غير منظورة أو موجات كهربائية قصيرة جدًّا يتلقاها الذكر ويهتدي بها الى الأنثى. وما يسمونه توارد الخواطر في البشر Telepathy هو من هذا القبيل فان دماغ الانسان راديو لاسلكي. ولهذا بحث خاص قد أعود اليه في حين آخر

والطيران ؟؟ فقد سبق الطيرانُ الانسان اليه كما سبقه في الارتقاء من ذوات الفقار من زحافات وغيرها

والغوّاصات ؟؟ وقد سبقت الانسان اليها حيتان البحر التي تدمر المراكب والسفن الصغيرة. وهناك حيوانات بحرية وبرية معاً

والنور الكهربائي ؟ فقد سبقت الحشرة المسماة « سراج الليل » (وهي الحُباحِب) وبعض اسماك البحر الانسان اليه أيضاً. ثم ماذا ؟

والصبيدج حيوان بحري معروف انه ينفث حبراً اسود يعكر صفو الماء بحيث يضل عنه خصمه، كما تنفث بعض أنواع المدافع دخاناً يكدر صفاء الجو فلا يعود الخصم يرى خصمه

وهل كنت تعلم ان هنـاك بعض أنواع النباتات الفطرية قد سبقت الانسان بضرب المدافع وقذف القنابل الى مسافات مختلفة من بضعة قراريط الى بضع عشرة قدماً ؟

واخالك تسأل على الفور كيف ذلك ؟ امجازٌ هذا القول ام حقيقة ؟ أجل هو حقيقة. يوجد نوع من الفطريات من طائفة « المشروم » Mashrom ليس له اسم عاميّ عندنا وانما اسمه العلمي Sphalorobdus وتحته صنوف مختلفة . وهو معلوم ان هذه الاحياء الفطرية تعيش على بقايا المواد العضوية الميتة، وتأخذ منها المواد النشائية والسكرية اللازمة لتوليد الطاقة فيها، ولذلك لا تحتاج الى الخيضور Chlorophyll الموجود في النباتات الأخرى وهو الذي يستخدم نور الشمس لتركيب المواد السكرية والنشائية في النبـاتات . ولذلك ليس للفطريات اللون الأخضر الذي لسائر النباتات

لهذا الفطر المدفعي جهاز خاص لقذف قنبلة أو « كبسولة » منه تحتوي على الوف بزيرات. هذه القنبلة كروية الشكل قطرها نحو ملليمتر وربع. تـقذَف من اسطوانة عمقها نحو ٤ أو ٥ ملليمترات وقطرها كذلك . هي المدفع . وكلا المدفع والقنبلة هما ثمرة هذا الفطر . والخيوط Myceliums والبذيرات Spores التي فيها ميكروسكوبية الحجم

ليس لمدفع هذا الفطر بارود أو أية مادة منفجرة لقذف قنبلة . وانما له جهاز من نوع الأجهزة القديمة لقذف القذائف، كالمنجنيق لقذف الحجارة الضخمة، وكالقسي لرمي السهام. فاذا مشت حشرة على هـذا النبـات الفطري المذكور آنفاً باسم سنيروبولوس ، أو اذا دغدغته بقشة أو بأي شيء مهيج، برزت ثماره الى سطوحه كما تبرز المدافع من الحصون. وفي كل ثمرة مدفع محشو بقنبـلة . ثم ينقلب غلاف الثمرة الى الوراء بحيث أنه يترك فوهة المدفع بشكل نجمي تظهر من خلال القنبلة . وما هي الا ثوانٍ أو دقائق حتى تنقذف القنبلة على بعد سنتيمترات أو اقدام .

قبل الانفجار أو الانقذاف ترى القنبلة جيداً بشكل كرة غائصة في سائل في قعر اسطوانة المدفع الذي يُرى بشكل كأس . واذا فحصت هذه الكأس بالمجهر (الميكروسكوب) وجدتها مبطنة بنسيج متصل الحواشي بشفة الكأس من فوق . فكأن هذا النسيج كيس مبطن للكأس . والقنبلة والسائل المحيط بها مودعان في هذا الكيس .

فالأمر الذي يحدث حين حدوث الانفجار أو القذف هو أن هذا الكيس المبطن المدفع من الداخل ينكمش أو ينقلب فجأة على نفسه الى الخارج بسرعة لا تقاس بحيث يصبح باطنه ظاهره . فتقذف القنبلة والسائل الى الخارج ، ويبقى هذا الكيس وقعره كقبة فوق فوهة المدفع . يحدث هذا الانقذاف بصوتٍ مسموع كصوت « زنبلك » أفلت من قيده : وقد قرر رجينلد بوللر الذي كان يبحث في هذا الفطر ان هذا الانقذاف يستغرق من الوقت نحو جزء من ألف من الثانية بسرعة عظيمة جداً .

ان الذي يتحرك هذه الحركة السريعة انما هو ذلك النسيج الكيسي كأنه مادة مرنة فلتت من قيدها . وبعد الانقذاف ترى هذا الكيس كأنه قبة محدبة على فم الاسطوانة المدفعية . لكل مدفع قذيفة واحدة فقط .

ما الذي يقلص هذا الكيس بهذه السرعة ؟ وما هو ميعاد تقلصه ؟ هذا سؤال لا بدّ أن يخطر على بال كل قارىء .

متى قاربت الثمرة دور النضج برزت الى سطح نباتة الفطر . وربما كانت الدغدغة بالقشة أو بمشي حشرة على النباتة ضرورية لتحريض هذه البزور لكي يتم النضج النهائي فيها . متى تمّ النضج حدث القذف السريع على نحو ما تقدم . فاذا لم يقترب نضج الثمرة أي اذا لم يصل الى الحد المقرر فلا تبرز الثمرة الى السطح . واذا لم يتم النضج نهائياً فلا يحدث القذف ، لأن الطبيعة جعلت تمام النضج الوسيلة الفعالة لانكماش الكيس أو تقلصه ، كما أن بلوغ عقرب الساعة الى تمام الساعة يؤذن لزنبلك القرع أن يقرع أرقام الوقت مثلاً .

ولا بدّ أن يسأل القارىء ما الغرض من قذف هذه القنابل ؟ أو لماذا تقذف النباتة بزوراتها الى مكان بعيد ؟

الغرض هو استعمار بقعة من الأرض غير البقعة التي تكون الأم فيها ، وإلاّ لسقطت البزورات كلها حول أمها وزاحمت بعضها بعضاً فلا تنبت منها إلاّ بضع كانت أسعد حظاً من غيرها بالانتفاع من البيئة . ولكل فعل سبب وحكمة ، هذه حكمة مدبر الكون .

لم يُنْتَبَهْ الى هذا الفطر العجيب الفعل الاّ حديثاً ، فاستلذ علماء النبات والزراعة البحث والتجارب فيه ، فجعل بعضهم يربونه ويحسنونه حسب أصول التربية الزراعية ،

حتى استطاع بعضهم أن يحصل منه على فطر تندفع قذائفه بضعة أمتار .

وأول من اشتغل فيه الدكتور مولر من كندا فبلغت قذيفة فطره خمسة قراريط واشتغل « ماس » في انكلترا فيه فبلغت قذيفة فطره قدماً . وبعض علماء الألمان أبلغوا القذيفة نحو متر . ولكن بولر اختبر هذا الفطر في كنيورا (كندا) فبلغت القذيفة نحو ١٥ قدماً أي خمسة يردات .

واشتغلت في هذا البحث الآنسة ليفا ووكر من جامعة نبراسكا في الولايات المتحدة فيما عثرت عليه من فطر السفيروبولس المذكور وربته هناك فاستطاعت أن تحصل على قذائف عمودية ، أي قذائف تنقذف الى فوق على ارتفاع ١٤ قدماً وخمسة قراريط . وإذا كان زرع منه موضوعاً على مائدة ترى القذائف منه تتناثر الى السقف وتصدمه على ارتفاع ٧ أقدام

ووضعت الآنسة ووكر وضعاً أفقيًّا على زرع هذا الفطر حيث يتجه مدفعه اتجاهاً أفقيًّا . فكانت القذيفة تصيب جدار المكان الداخلي على بعد ١٧ قدماً ونيفاً وما تجاوزت قذيفة منها فم المكان . وفي الوضع العمودي حصلت على قذيفة على ارتفاع ١٤ قدماً وخمس قراريط . ولكن الدكتور بولر الكندي وهو في جامعة نبراسكا أيضاً كان يحصل على قذائف عمودية على ارتفاع ١٧ متراً و٣ قراريط .

وكان نباتيٌّ هاوٍ اسمه بترا قد اكتشف طريقة صناعية لتحريض السفروبولس على قذف قنابله من غير انتظاره المحل ساعة أو ساعات للقذف الطويل. فاستعمل الدكتور بولر هذه الطريقة فنجحت في قذف القذائف على ارتفاع ١٧ قدماً .

وفي المدة الأخيرة كانت تربية الفطر هذا موضوع مباراة بين نباتيي انكلترا وكندا والولايات المتحدة . فقد فاز الاميركان المتسابقون منهم فيها بالأسبقية . أليست الولايات المتحدة سابقة في كل شيء بالضخامة والاتساع والارتفاع والسرعة والقوة ؟ فلا بدع أن تسبق في مضمار الفطر المدفعي .

* * *

وهنالك أنواع من الأشجار الصغيرة أو الأنجم تقذف بزورها الى مدى بعيد . وقد دلَّ النباتي النمساوي الشهير فون باريلون الى أربعة منها بالأسماء اللاتينية من طائفة واحدة ، والى أربعة أخرى من طائفة أخرى تقذف قذائفها من ٤٩ الى ٥٠ قدماً ، أي نحو ١٥ متراً . ولكن هذه النباتات كبيرة جدًّا بالنسبة الى الفطر سفروبولس . ولهذا يعتبر هذا الفطر أقدر منها على القذف بالنسبة الى الحجم . وانما تلك تمتاز بأن بزورها أكبر وأثقل .

وكاتب هـذا المقال شاهد في احدى نواحي لبنان نباتاً سنوياً يرتفع نحو متر عن الأرض وينتج ثمراً بحجم بيضة العصفور وشكله . وهو يحتوي على عدد كبير من البزور في سائل أصفر شديد المرارة . والأهالي يسمون هذا الثمر « خيار الحمار » وبعضهم يظنه الحنظل . ولكن شكله وخصائصه لا تطابق وصف الحنظل الطبي المعروف . فليس هو إياه .

هذا النبات يقذف ثماره بزخم شديد الى مسافة عدة أمتار . فاذا وقفت في الحقل بين هذه النباتات (الانجم) في زمن نضجها ترى الثمار تتقاذف كل هنيهة بعد أخرى هنا وهناك . حتى إذا أصابت احداها يد انسان مثلاً آلمته قليلاً . تقذف هذه النباتات قذائفها بقوة (غاز) بخار يتولد في بطن الثمرة نفسها فتنفتح به ، حتى متى كثر البخار في باطنها اشتد ضغطه فيدفع المشيمة العالقة بأصلة النباتة فتفلت الثمرة من المشيمة وتندفع بزخم شديد وتندلق البزور في نهاية الانقذاف على الأرض حيث تتهيأ للتفريخ في الفصل التالي من السنة . هذه القذائف الثمرية تشبه القنابل المنفجرة أو قنابل اليد المسماة «رمانات منفجرة» أو « قنابل رمانية » .

فهذه النباتات الفطرية وغير الفطرية قد سبقت الانسان في اصطناع المدافع والقذائف منذ دهور ، ولكنها لا تقصد بها محاربة غيرها حتى ولا الدفاع بها عن نفسها . وانما هي تقصد المنافسة في الاستعمار فتبعث بنيها (بزورها) الى مواطن أخرى تستعمرها لكيلا تهلك جميعاً وهي متزاحمة في مستعمرة واحدة غير كافية لاعالتها

اذن فالاستعمار سنة الله في خلقه . فلا ينكر الاستعمار على النبات ، حتى ولا على الحيوان والانسان وانما ينكر على الانسان أن يحتل شعبٌ منه بقعة من الأرض ويُهلك أهلها أو يطردهم منها الى حيث لا مقام لهم ويستغل أرضهم، أو انه يستعبدهم ويشغلهم كما يشغل البهائم

النباتات اجتماعية عاقلة لكي تتفق على تدابير يشترك فيه الجميع على تحصيل أود الحياة. وانما البشر عاقلون يستطيعون أن يتفقوا على تدبير يمكنهم أن يعيشوا به جميعاً عيشة راضية من غير أن يقتل بعضهم بعضاً ويفني جانب منه جانباً آخر، أو أن يستعبد فريق منهم فريقاً آخر. فأين الحكمة البشرية إذن . يلوح لنا أن للنباتات الفطرية أعقل من الانسان

بلوطارخوس اليوناني

وكتابه التراجم والسير

هذا كاتب كان خقيقاً أن يذهب صمه بيننا كل مذهب ، وأن يبلغ اسمه من الذيوع مبلغ الذين طارت شهرتهم من كتّاب العرب الامجاد ، وكتّاب الغرب الأفذاذ ، فيكون على ألسن الأدباء منا والمتأدبين مذكوراً ، وفي مجالس العلماء ومذكرات المتعلمين معروفاً معدوداً وان كتابه (التراجم والسير) كان جديراً أن لا يكون معاشر المترجمين والناقلين لاسفار الأولين والمحدثين من نوابغ وعباقرة الغرب بطاء في نقل هذا الكتاب الجليل ؛ وانه كان ينبغي أن يتبوأ مكانه في صفوف خزائن الكتب العامة والخاصة في ديارنا ؛ وانه كان ألزم ما يلزم ذكره من بين ما نذكر من أسامي الكتب ، عيونها وبدائعها التي ينشرها الناشرون ويطبعها الطابعون .

ولعمري انه لدرة عالية السناء لألاءة الضياء في عقد جلائل المصنفات ، هو حريٌ بأن يقتنى وان يحصى في الذخائر والنفائس . فما أحوجنا الى امثال هذه الكتب التي نتلو فيها ذكر العظماء ، وسير النبغاء ، فيجد فيها رجالنا ، ولا سيما فتياننا ، الأسى الطيبة ، والمثل العالية ، فيحتذون حذوهم ، ويقتدون بحسن بلائهم ، وعجيب صنيعهم ، ومجيد مآثرهم ، وشدة اخلاقهم ، وعلو نفوسهم .

ولد بلوطارخوس المؤرخ الكبير والكاتب الأخلاقي الذي يعد بألف من الكاتبين ، في مقاطعة بيؤتيا Béotie في بلاد اليونان في ما بين عامي ٤٥ و ٥٠ م . في عهد الامبراطور كلود الروماني . ومن فجائع الدهر بالكتب أن بلوطارخوس كتب سيرته بقلمه في كتاب فقد في المفقودات .

تلقى مبادىء علومه في مسقط رأسه كيرونيه احدى مدن بيؤتيا ، ثم شخص الى أثينا فدرس الطب على اونيزوكرات ، وعلوم اللغة والبلاغة على اميليانوس ، والفلسفة على امونياس

حتى اذا نقع من هذه العلوم غلته ، رحل الى مصر ، فأقام فيها زمناً غير مديد ، وغادرها الى روما عاصمة الأمبراطورية الرومانية . وهنالك عرف الرومانيون قدره ، وجَلَت فيهم منزلته ، ونفعهم علمه وأدبه ، فلمع في الآفاق نجمه وعلا ذكره، حتى ارتفع به شأنه الى أن اتخذه الامبراطور ادريانوس استاذاً له ومؤدباً .

وقد مكث في روما زهاء عشرين عاماً ، كان فيها أوفى العاملين لمصالح بلاده ، وأحسنهم سفارة عنها لدى حكومة الامبراطورية الرومانية ، ولدى وجوهها وعظمائها ، وهو مع هذا ليس بالسفير المعين ، ولا المندوب الرسمي . ولم يصرفه هذا عن القاء المحاضرات ، وتدريس العلوم ، وارتياد المكتبات المختلفة يذوق ما اعذوذب وطاب من نفائس الأسفار وذخائر المدونات ، فتزوّد ماشاء أن يتزوّد منها في تصنيف مؤلفاته الكثيرة . وقد اتخذ له اصدقاء كثيرين من فلاسفة الرومان في ذلك العهد . وتوثقت بينه وبينهم عرى المودة وأسباب الألفة والتزاور .

ولما قفل الى موطنه عرف له قومه ماقدم من العمل الصالح ، والخدمة الخالصة لبلاده ، فأجلوا استقباله ، وأحلوه أرفع منزلة فيهم ، فجعلوه حاكماً على ولايتهم .

وكان بلوطارخوس غزير المادة ، جم المعرفة ، وافر الكتابة . فهو أكثر كتاب عهده تصنيفاً وتحبيراً . بلغت مؤلفاته الثلاثين كتاباً بعد المائة ، في شتى المناحي ، وشُعَب المعارف ، في التاريخ والفلسفة ، والنقد ، واللغة ، والبلاغة ، والأخلاق ، فقد أكثرها فأمست خبراً من الاخبار

وقد كان لبلوطارخوس في كتاب فرنسا في القرن الخامس عشر ، ولا سيما كتّاب القرنين الثامن والتاسع عشر ، نفوذ كبير ، وأثر بليغ ، فالفيلسوف مونتسكيو كان كثير الرجوع اليه ، والفيلسوف روسو شديد الولوع به ، جم الانتجاع في الاطلاع على صنوف ماخلف من مصنفات . أما كتّاب القرن العشرين ونقّاده فما قصرت بهم جهودهم عن درسه ، ولا تخلفوا عمن سبقوهم في الاعجاب به والتواصي بالعناية بما حبر وصنف ، ولكنهم لم يفرطوا ولم يتغالوا ، بل كانوا عند حد القصد والاعتدال في وزنه وتقديره ، فأحلوه في الطبقة الثانية بين كتّاب زمانه .

وكان بلوطارخوس مُعظماً لشأن روما ، مكبراً لمآثرها ، معجباً بحضارتها، وبازغ مجدها ؛ ولكنه مع هذا كان مدلهاً بحب وطنه ؛ لبلاده من قلبه الموضع الأسنى ، ومن اجلاله المحل الأسمى . يحز في نفسه أن تتبدل بعد بز العز والمجد أثواب الذل والهوان ، ويعلو ما بين ضلوعه أسى ولوعة أن يجدها في أصفاد الرق قد أذل أعناقها نير الاستعباد للحكم الأجنبي الروماني . ويعد بلوطارخوس آخر فلاسفة اليونان ، والفرع الأخير من شجرة حكمائها ، وأحبهم لديهم ، وادناهم الى قلوبهم .

* * *

وأشهر كتبه ، وذؤابة مصنفاته كتابه في (التراجم والسير) أو حياة مشهوري اليونان والرومان Vie des hommes illustres de la Grèce et de Rome وهو خليق أن يسمى (التراجم المقارنة) اذ هو كتاب ضخم قد ضم بين جلدتيه تراجم وسير نحو الخمسين عظيماً من أولئك الذين كانوا في التاريخ شموساً وكواكب ، من كل عصامي أو عظامي طار بأجنحة النسور شهرة ومجداً ، بين فاتح وقائد وخطيب ومشرّع وسياسي وعالم عامداً فيه الى المقارنة بين عظيمين عظيمين من اليونان والرومان ، فسرد سيرتهما ، وأتى على ذكر أعمالها وآثارها ، وذكر فيما يتشابهان ، وفي ما يختلفان ، ثم يستخلص من ذلك رأياً ويخرج بحكم فيه فصل الخطاب في ذينك الرجلين . مثال ذلك مقارنته بين سيرتي تيزن أقدم ملوك اليونان ، ورومولوس أقدم ملوك الرومان ؛ ومقارنته بين حياة لو كورج المشرع الاسبرطي ، وتوما بومبليوس ثاني ملوك روما ، وبين دموستين أشهر خطباء اليونان ، وشيشرون أشهر خطباء الرومان ؛ وبين اسكندر القائد والفاتح اليوناني ، وقيصر القائد والفاتح الروماني . ولا يزال آخذاً بيدك يوالي عليك عرض هذه الصور لأولئك العظماء مطنبا مفصلاً ، مدققاً محللاً حتى تخرج من تلاوة هذا السفر العظيم بعلم كثر عن آثار العبقرية ومجال النبوغ في حياة الرجال ، وعوامل العظمة في مراحل التاريخ واطواره ، وشأن الأخلاق في تصرفات الأمم وأحوالها . وتأهيلها بذلك عبرة وفائدة ترجح في الوزن على نفيس الجوهر

أحمد أبو الخضر منسي

معجزات الزراعة

العصرية وآلاتها

(لن تدخر الحكومة وسعاً في تشجيع استيراد الآلات الزراعية. وهي حاجة لتدبير النقد الاجنبي اللازم لشرائها من الخارج، للمكان الاول من اهتمامها. كما انها لن تني عن رقابة تجارة هذه الآلات رقابة دقيقة فعالة حتى يتمكن الزراع من اقتنائها بالاسعار المعتدلة في حدود ما يجيزه نظام تحديد الارباح. ولذلك رأينا، إبقاءها في نطاق هذا النظام. وسنطالب الى قناصل مصر وملحقيها التجاريين في الدول الاجنبية المشهورة بانتاج الآلات الزراعية موافاتنا بالبيانات، عن كل ما يستحدث من هذه الآلات وأسعار بيعها. وسنعمل على نشر هذه البيانات أولا فأولا)

من بيان معالي وزير التجارة في وسائل مكافحة الغلاء، الذي ألقاه في مجلس النواب في مساء ٢١ / ٣ / ١٩٥٠

جدير بزراعنا الاغتباط بهذه البشرى التي زفها إلينا معالي الوزير في بيانه البليغ الخطير المسهب المشار إليه في صدر هذا البحث. ولا يسعنا إزاء ذلك، إلا التضرع الى الله تعالى لتحقيق هذه الآمال عاجلاً. ومما يذكر في هذا الصدد، أن كلية الزراعة في مدينة دافيز وهي إحدى كليات جامعة كليفورنيا بولاية كليفورنيا، قد سبقتنا في هذا المضمار. وشعارها في هذا الميدان، على الدوام «ليس لدينا أي عمل مستحيل في سبيل تحسين الزراعة في كل آن. ولابدّ لنا من اختراع الأدوات والآلات التي تفي بالمرام»

وتحتوي في ذلك عندهم، المعامل الكيماوية والمستنبتات الزجاجية الواقية للنباتات، فالحقول الأنيقة الخاصة بتجارب المزروعات، ثم عناية علمائهم بها. لأن العلماء متى تبينوا أن الطبيعة لا تتعاون مع عصر الآلات، عمدوا الى تغيير الطبيعة، وفيما يلي أمثلة لذلك:

(١) — «آلات لجني الأقطان»: قالت إحدى المجلات الأمريكية الفنيـة، في هذا الباب، ما يأتي: —

لا تستطيع الآلات الميكانيكية المستخدمة الآن في جني الأقطان جمع اللوزات القطنية التي توجد في الأجزاء السفلية من عيدان القطن. لذلك جعل علماء فلاحة البساتين في تلك

الكلية ، لا يدّخرون وسعاً في تربية نبات قطن لا ينتج لوزاً في العقد « البوصات » الست السفلية من ساقه . كما إنهم يسعون سعياً حثيثاً في سبيل إنتاج نبات قطن يسقط ورقه ، حالما يحين جني ثمره .

وهذا مما يحول دون تلوث شعر القطن بفتات الأوراق الذي يلتقط حينما تجرد الآلة الميكانيكية الجانية ، لوز القطن ، من محتوياته .

(٢) — ﴿ فرّازة تفرز البرتقال الذي يتلفه الصقيع ﴾ — واخترعت في أمريكا آلة ، قوامها أشعة رنتجن . تفرز البرتقال ،الذي يتلفه الصقيع ، فرزاً أوتوماتيكيًّا ، فتنبذه قصيًّا . إذ المعروف أن التلف الذي يلحق البرتقال ، من الصقيع ، قلما يفطن له الناظر الى السطح الخارجي للبرتقالة . فلا مندوحة إذن للزارع ، عن فحص قلب البرتقالة ليثبت له تلفها . فيتسنى له الاستغناء عنها . ولهذه الآلة الكهربية ، سيران من الجلد ، لا نهاية لهما . ينقلان البرتقال ، كل واحدة في قدح خاص . فتمرُّ البرتقالة في جوف الآلة . ومتى تدخل فيها البرتقالة ، تمرُّ تجاه آداة تزن حجمها لكي تضبط أنبوب جهاز الأشعة بحسب ثقل البرتقالة . ثم تمرُّ البرتقالة فوق أنبوب الأشعة ، حيث يلقى جزؤها المؤوف ، صورته المعتمة . فتتلقى هذه الصور أربع علب معدنية تعجل مسيرها ، إذ تدفع البرتقالة في أحد مخارج الآلة الثلاثة،طبقاً لدرجة سلامتها من التلف ومقدار ثقلها . وتستطيع هذه الفرّازة في ساعة واحدة فرز ٣٦٠٠٠ برتقالة .

(٣) — ﴿ آلة لتقليع شجيرات الطماطم وجني محصولها ﴾ : المعروف عند الزرّاع أن جني محصول الطماطم ، عمل من الأعمال الزراعية العسيرة . لأن ثمارها لا تنضج في وقت واحد. فيضطر زارعها الى جنيها بالأيدي بعدة مرات في موسمها. فيكلفه هذا العمل نفقات باهظة.

لذلك عكف علماء الزراعة في كليفورنيا ، على تحسين نوع من نبات الطماطم ، لتنضج ثماره جميعها في آن واحد .

كما عمدوا الى صنع آلة تقوم بتقليع النبتة بأجمعها من تربتها. ثم تهزها هزًّا جيداً حتى تنفض ثمارها كلها في صندوق معدّ لها .

(٤) — ﴿ شجيرات خروع مهجّنة وحصّادات لها ﴾ : يستورد الآن صناع البوية

في بلاد الولايات المتحدة الأميريكية ، نحو ٣٠٠ مليون رطل انكليزي من بزور الخروع في كل سنة ، وذلك من الأقطــار الشرقية . وتستعمل الزيوت التي تعصر من هاتيك البزور ، في صنــع دهان اللاكيه ، لوقايته من سهولة التفتت والتشقق . كما تُجعل وسيلة لتجفيف أنواع البويات الأخرى وتعجيل تثبيتها في السطوح التي تُدهن بها .

وهذا النبات النفيس الذي يُزرع في ولاية كليفورنيــا ، كما ينبت في بلاد قارة آسيا ، يبلغ ارتفــاع شجرته ثلاثين قدماً . وتنضج قرونه نضجاً غير منتظم . ثم تتفتح فتتساقط منها بزورها . وفي الأقطــار الشرقية حيث تكون أجور العمال بخسة ، يجني الزراع بزور هـذا النبات التقاطاً بأيديهم ، حينما تسقط على الأرض . أما في بلاد الولايات المتحدة الأميريكية ، حيث ترتفع أجور العمال ، فيتعذر اتباع هذه الطريقة الهينة ، وذلك لفداحة نفقاتها هناك .

وقد حلّ ذوو الشأن الأميريكيون هذه المشكلة ، بتوليد بزور خروع تُنبت شجيرات لا يزيد ارتفاعها على ست أقدام أو سبع أقدام . وتنتج قرونها نضجاً متساوياً ولا تسقط بزورها من القرون . ثم مالبثوا أن صنعوا في جامعة نبراسكا ، محصدة لتجرد القرون من بزورها . أعني آلة لتفريطها . فتقوم هذه الآلة بتفريط البزور . ثم تدفعها الى عصارات لتعصرها . فكان هذا الحلّ خير الحلول للتخلص من فداحة أجور العمال . وتدلّ أحدث الأخبار أنَ هذه النباتات المهجّنة وحصاداتها ، قد انتشرت واستعملت تجاريًّا من أواخر السنة الماضية :

(٥) — ﴿ تلقيح ملكات النحل تلقيحاً صناعيًّا لا كسابها أنفع المزايا . واختراع جهاز يدوي لذلك العمل ﴾ : ولم يتوانَ العلماء في تكييف طريقة تلقيح أزهار الفواكه ، بوساطة النحل ، تكييفاً من شأنه ، تعجيل ذلك العمــل . فتراهم اذا ما ثارت العواصف في موسم الازدهار ، فاختفى النحل ، ليتقي شرها ، « وهـذا مما يضعف محصول هاتيك الفواكه » طفق العلماء يسدون ذلك العجز .

ومن العلاجات التي يلجؤون اليها وقتئذٍ التوسل بالتلقيح[1] اليدوي وذلك بوضع بضع

(١) الكاتب، راجع مقالنا في « وسائل تحسين الزراعة ، الذي نشر في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٤٩ »

ذرات من اللقاح على كل زهرة ، بوساطة فرشاة صغيرة. بيد أن هذا العمل يقتضي مجهودات جمّة . لأن رجلاً واحداً لا يستطيع في اليوم، جمع اكثر من أواقٍ قليلة من ذلك اللقاح. على حين يكون في وسع نحل خلية واحدة ، جمع رطلين انكليزيين ، من اللقاح عينه كل يوم . فلا بدّ إذن من جعل النحل يؤدي هذه الوظيفة وحده أي (جمع اللقاح) ثم أخذه منه لاتمام سائر العمل على أيدي الزراع المختصين . لذلك لم يفتر علماء فلاحة البساتين وزملاؤهم علماء الحشرات، في اختراع شَرَك صغير يُنصبُ في مدخل خلية النحل، ليجرده من اللقاح المنشود ، حالما يهم بولوج خليته . كما غدا النحل نفسه يتلقى من علماء الحياة عناية تامة، مما يجعله يستفرغ جهده في عمله . فيعمر طويلاً وينتج انتاجاً سريعاً ، ويقاوم المرض مقاومة شديدة ، ويلسع لسعاً قليلاً . فينجم عن هذه الوسائل جميعها ، انتاجه عسلاً جزيلاً أكثر من المألوف . ويتاح الظفر بهذه الأمنية بطريقة واحدة هي « انتخاب الأصلح من أنواع النحل » التي تتوافر فيها تلك المزايا برمتها. ثم استعمال عناصرها التناسلية ، في تلقيح ملكات النحل بها ، تلقيحاً صناعيًّا. ولذلك اخترع العلماء المتخصصون في هذا الفنّ ، جهازاً دقيقاً محكماً ، مؤلفاً من أسلاك معدنية وتروس صغيرة جدًّا وميكروسكوب. وهو المعروف عندهم باسم « جهاز لايدلو اليدوي لتلقيح ملكات النحل به » نسبة لمخترعه الدكتور ه . ه لايدلو الصغير . وهذا العالم هو الذي يزاول تجارب النحل في الكلية المذكورة آنفاً .

(٦) – « أشجار تنتج لوزاً صغير الحجم لحشو الشكولاطة » : ثم إن الكلية تتعاون مع المصانع على تنفيذ مطالبها الفنية . ومثالها : إن صناع الحلوى والشكولاطة والفواكه المسكرة والملبس والبسكويت، شرعوا في إنقاص ثخانة مصنوعاتهم ، وذلك عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، حتى صارت أخف مما يلزم لتغطية لوز كليفورنيا الكبير الحجم. فطلبوا الى علماء الكلية ، توليد شجر ينتج لوزاً صغير الحجم . فلبوا طلبهم إذ أنتجوا الاشجار المنشودة ، انتاجاً جزيلاً فأصبحت شائعة للغرس التجاري . ولكن العقبة التي نشأت فيما بعد فحالت دون انتشار هذا النوع من اللوز ، هي استئناف أرباب مصانع الشكولاطة ، صنع قوالبها كبيرة الاحجام ، كما كانت أصلاً .

(٧) — ﴿ فرازات تفرز الفواكه طبقاً لأحجامها وألوانها وسلامتها من التعطيب ﴾
وكثيراً ما يتحد مهندسو الكلية اتحاداً وثيقاً مع صناع الأطعمة، في اختراع آلات جديدة للانتفاع بها في إعداد مصنوعاتهم. ومن أحدث هاتيك الآلات، جهاز كهربي لفرز الفواكه لأجل صناعة الموالح. وقد تمّ في فصل الصيف الغابر، إنتاج طائفة كبيرة منه للأعمال التجارية. وفي إمكان هذا الجهاز تقسيم الليمون ستة أنواع مختلفة بحسب أحجامه، وذلك بمعدّل ٢٤٠ ليمونة في الدقيقة، كما إنه يستطيع فرز البرتقال وغيره من الفواكه، على هذا النمط، إذا كانت من الأصناف العسيرة التعطيب. وتدور هذه الآلة بالطريقة الآتي بيانها: —

تفرغ أحمال البرتقال في جوف الآلة. ثم ترص الواحدة بجانب الأخرى، على شكل صف طويل مفرد، حيث تنقل على سير دوّار لا نهاية له. وفي نهاية دورة السير، يتساقط البرتقال في شعاعة من الضوء موصلة الى باب عمومي في أسفل الآلة، حيث تتلاقى سائر أجزاء الآلة. وحينئذٍ تقوم كمية الضوء التي تعترضها البرتقالة، كبيرة كانت هذه الكمية تجاه البرتقالة الكبيرة، أو صغيرتها بازاء الصغيرة، بتحريك الصمامات الكهربية للقيام بوظيفتها. وهي ادارة مجددات التيار الكهربي. فتفتح أية واحدة من البوابات الخمس المختلفة الاحجام لتدفع البرتقالة الى السير المتحرك الذي ينقلها الى مستودع التعبئة. وكل برتقالة تعجز عن المرور في البوابات، تدفع الى نافذة في طرف البوابة العمومية التي تتلاقى عندها أجزاء الآلة. وثمة وحدة آلية تتفق مع هذه الآلة، فرازة الاحجام، وهي على وشك الظهور في الأسواق، تقوم بترتيب الليمون وغيره من الفواكه طبق ألوانها. ويأمل المهندسون أن الخطوة الأخيرة في هذا الميدان، ستكون ضم تينك الاداتين، إلى آلة التعبئة. وذلك بوساطة مشابك. وحينئذٍ يمكن الزارع القاء فواكهه مختلطة حابلها بنابلها، في طرف، الآلة، فتبرز من طرفها الآخر، صفوف من العلب معبأة بالفواكه، تمهيداً لنقلها بالسفن الى البلاد الأجنبية.

(٨) — ﴿ حصادات للبصل تقوم بتقليمه ورفعه وتشذيبه وتعبئته في أكياسه ﴾
وستحوّل عما قريب التصميمات الخاصة بحصادات البصل الجديدة، الى صناع الأجهزة في

أمريكا . ومحصدة البصل هذه آلة يجرها جرار ، لتؤدي أربعة أعمال : هي التقليع والرفع والتشذيب والتعبئة في الأكياس . وللمحصدة سلاح ماض يغور في التربة مثل سكة المحراث حيث تقطع جذور البصل . ولها أيضاً أيد من الكاوتشوك تقبض على شواشي البصل ثم تلقمها لطاقتين لاقطين من السيور الدوارة . حيث تقبض عليها قبضاً وثيقاً . على حين تقوم مدية بتقطيع الشواشي من اللب . ثم تنقل الشواشي الى مؤخر الآلة . وذلك على جهاز من السيور . ثم تكوّم على الأرض . بينما تنقل سيور أخرى لباب البصل الى زنبيل . ومنه تنقل إلى الأكياس . وحينما يمتلىء الكيس بالبصل ، تقوم الآلة باغلاق فتحته وتنسيقه على سطح الحقل ، تمهيداً لنقله بعربات النقل .

(٩) — ﴿ بطيخ صغير حلو جداً ﴾ وظهرت حديثاً في أسواق بلاد الولايات المتحدة الأمريكية ، بزور جديدة للبطيخ تنتج بطيخاً ، سهل المنال ، يلائم العائلات المتوسطة الأفراد عدداً . وحجمه لا يزيد على نصف حجم البطيخ الأمريكي المألوف . إذ يبلغ وزن البطيخة منه ١١ رطلاً انكليزياً . وهذا مما يسهل وضعه في الثلاجات المنزلية وضعاً محكماً . حيث تقدم البطيخة كمادة حلوة للتحلية عقب تناول الطعام المعتاد . فتستهلك العائلة البطيخة بأجمعها من دون إبقاء أجزاء منها لتؤكل فيما بعد . وربما لا يتيسر أكلها في الميعاد الصالح لتناولها . فتصير تافهة الطعم أو فاسدته فتلقى في صندوق القمامة . وهذا النوع الحديث من البطيخ أحلى من سابقه . كما إنه يفضل أغلب الأنواع التي تباع الآن في الأسواق الأمريكية . ولذلك يتوقع العليمون . أن الزراع سيؤثرون زراعته على غيره . لأنه يقاوم مرض الذبول . فضلاً عن كونه تسهل تعبئته في الأقفاص كالسلطاوي والقاوون . فيقل تعرضه للتلف عند نقله من مكان الى آخر .

(١٠) — ﴿ مزرعة للنباتات الطبية والتجارب العلمية ﴾ – وفي جامعة شيكاغو ، مزرعة صغيرة يزرع فيها كثير من أنواع النباتات . ومنها زهر الكشاتبين foglove المستعمل لاستخراج الديجيتال ، وكذا نبات الخشخاش ومنه ينتج المورفين ، وغيرها من النباتات الطبية . وذلك في تربة مشبعة بغاز الحامض الكربونيك الذاتي الاشعاع وبهذه الوسيلة قد شرع علماء الولايات المتحدة الأمريكية ، يدركون كيفية تأثير العقاقير . وأسفر هذا البحث عن نتيجة نافعة ، وذلك عند ادخال قليل من ملح الطعام المشع في غذاء بعض الناس . اذ كان علماء جامعة شيكاغو جميعاً يزعمون أن الملح يذوب في الجسم ذوباناً بطيئاً الى حدٍّ ما . فثبت لهم أن الملح المشع يتصبب من مسام آكله عقب تناوله اياه بدقيقة واحدة .

عوض جندى

السنونو

زفت إلى الدنيا البشا رة بالربيع مزغرده
فاهتزّت الأفنان تهتف للبشير معربده
وتشوّفت مقل مسهدة وجاشت أفئده
والنهر صفق للصباح بنشوة المتهجده
تلقى الطبيعة في الربيع استيقظت متمرده
والأرض بستان تضوّع بالشذا والريح لحن

***

أرأيتها حين اعتلت متن الغمام محلقه
راحت كلمحة بارق تطوي الفضاء مصفقه
تنداح في الأفق الفسيح كموجة متدفقه
وتهيم تضرب بالجناح ذرى النسائم محنقه
والريح أسلست القياد لها وأغضت مطرقه
والفجر من خلل السحاب كأنه ـ إذ لاح ـ جفن

***

نشرت جناحاً خاله الرائي لرقته غماما
دقت طرائقه لحاكى في طرائقه الحساما

وتجهمت جنباته فكأنه ادّرع الظلاما
وطوت جناحيها نخلت ملاءةً طويت لماما
والرأس شابه حلمة الـ ثدي التي انتفضت هياما
عصفت بها الادواء فاختلجت كما — لو ماس — غصنُ

***

هتفت فصفق مرهقٌ لطلائع الفصل الجديدِ
والقلب حلق من حميَّا الـوجد في أفقٍ بعيد
تهتاجه فتن الشباب تشع من مقل وجيد
فيصوغ من وحي الجمال وفنه فتن القصيد
ألحانه فيضٌ من الآمال تزخر في نشيدي
وبكل قافية له من معجز الابداع فنُّ

***

من أنتِ حين شدوت للسمار في الليل العميقِ
قد شام قومٌ في محيَّاك الوسيم سنا الشروق
ورآك قوم منهلاً عذباً تسلسل كالرحيق
وأراك أمنية الخليع وفتنة القلب المشوق
أعربتِ للمشتاق حين شدوتِ عن معنى دقيق
وانزاح عن صدر المعنى غيهب وأنجاب دجنُ

(دمشق) عدنان مردم بك

العروبة الجبارة

شيخ العرب مع جمال باشا

حدث هذا الحادث في آخر الحرب الكبرى الأولى، وكان اسم جمال باشا قائد الجيش العثماني في سوريا يرهب الناس لما كان يأتيه من الظلم والشنق في من يقال انهم أعداء الدولة، كان اسمه كافياً لأن يلقي الرعب في قلوب الناس . ففي أواخر الحرب حدث ما يأتي :

دخل الأميرالاي حمدي بك الى مكتب فخامة جمال باشا قائد الجيش العثماني في سوريا يصطحب الى جانبه شيخاً من مشايخ العرب ، نفيس البزّة من أفخر ما لبسه أمراء العرب الكبار ، طويل القامة ، معتز الهامة ، عريض المنكبين، كبير الرأس ، طلق المحيّا ، مشرق الطلعة ، متورد الوجنتين، عريض الشاربين ، كثيف الحاجبين ، ممتلىء الساعدين والكفين ، وكل ما فيه يدل على أنه من جبابرة العصر، تكاد عيناه تقدحان شرراً لصولته ، ومقلتاه تشعان أشعة الذكاء الساطع . وتكسو ذقنه لحية عريضة طويلة تغمر عنقه وأعلى صدره ، وقد وخطها الشيب قليلاً . وفي نظراته وقار يذل لديه جبروت الملوك والقواد .

لما دخل قال : « السلام على فخامة القائد الكبير جمال باشا » فما شعر جمال الا وهو يقف مأخوذاً بوقار هذه الهيبة . ثم قعد تواً . ورأى الشيخ الى يمين مكتب جمال باشا مقعداً فاستوى عليه . فاستغرب جمال باشا كل الاستغراب أن الشيخ قعد من غير أن يؤذن له ، وما قعد أحد في حضرة جمال ، فكيف يجسر هذا الشيخ أن يقعد . بل قل ما من أحد من الناس مهما كانت صفته ورتبته وقف لدى جمال باشا أو واجهه الا ارتعد فرقاً . لا لأن هيبته رهيبة ، بل لأن ما سمع عن جبروته في التنكيل والشنق وقسوة الاضطهاد قد اشتهر في جميع الأقطار التي تحت سلطانه وتجاوزها الى غيرها . فكيف جسر هذا العربي أن يقعد غير مبال بجبروت جمال . ولكن هنا هيبة العربي تغلبت على الجبروت المصطنع . لذلك لم يجسر جمال أن ينتهر الشيخ ويسأله كيف يقعد من غير اذن . ولكن جمالاً قال للضابط حمدي بك المترجم بالتركية : « قل له : انها لقلة أدب منه أن يقعد من غير استئذان » .

فارتبك حمدي بك واستصعب أن يترجم هذا القول للشيخ الوقور . على أن جمال انتهره بحدة وقال : «لماذا لاتقول له؟» .

فقال حمدي بك بالعربية للشيخ : « لم تجر العادة أن يقعد أحد في حضرة القائد الأعظم قبل أن يأذن له »

فقال الشيخ : «ولكن العادة عندنا أنه متى دخل علينا أي انسان مهما كان وضيعاً نرد له التحية ونشير اليه في الحال أن يقعد : أما قائدك فلم يرد التحية »

فترجم حمدي بك هذا الكلام بحروفه . فقال جمال موجهاً الخطاب الى الشيخ : «ألا تعلم انك معتقل» ؟

فباغته الشيخ بالتركية ، لأنه يعرفها جيداً منذ كان طالب علم في الاستانة : « لا لست معتقلاً » وما جئت الا لأن أحد الضباط قال لي أن جمال باشا يريد مقابلتك ، فأسرعت الى جمال باشا لأرى ماذا يريد مني . ولو قال ذلك الضابط اني معتقل ما ترددت في المجيء أيضاً.

فقال جمال : «إذن علمت الآن انك معتقل » .

الآن علمت انك تبتغي اعتقالي . ولكن اعلم انه لا يستطيع أحد أن يعتقلني . فأنا هنا أدخل وأخرج بكل حرية .

فقال جمال : لا تظن اننا نحسب حساباً لهذه العنجهية العربية .

فقال الشيخ : « نحن لانعتمد في معاملة القواد والأمراء والملوك على العنجهية بل على القوة الحقيقية لا الوهمية »

وكان جمال ينظر فيه وكل هنيهة يغض نظره لأنه لا يستطيع أن يصد القوة النفاذة التي في عينيه. فقال له — « ماذا تعني؟»

— أعني أن عندي الوفاً من المقاتلين ، كل واحد منهم بعشرة من جنودك . وعندي من البنادق الحديثة الطراز الوف كل بندقية منها تحطم عشراً من بنادقك. وعندي مئات من المدافع الضخمة كل مدفع منها يحطم عشرات من مدافعك القديمة . وعندي ...

فصاح به جمال وكاد يفهم ما يقول : صه ، صه كفى تهويلاً . هذا التهويل لا يقلقل قدمي في موطئها . ما اسمك ؟

— اسمي زعيم العرب الا كبر

قال محتداً : — اسمك . اسمك . اسمك ؟

— ألا يعجبك هذا الاسم ؟ ماذا يهمك ان كان اسمي علياً أو محمداً ما دام هذا الثوب يشمل شيخ العرب كلهم ؟ ألم تفهم بعد أنك تخاطب أمير جميع أمراء العرب ؟ والا فقل :

كيف تعتقل شخصاً لا تعرف من هو ، حتى اسمه لا تعرفه.

فحمي غضب جمال حتى كاد ينتفض مسدسه ولكن يده خانته ولم تلبه . فقال للميرالاي حمدي : خذه الى البهو الآخر ينتظر فيه الى أن أدعوه

فأبلغ حمدي الى الشيخ هذا الامر وأشار اليه أن يقوم فقال الشيخ : ان كانت مهمة جناب القائد قد انتهت فأخرج نهائيـا . والا فلن أخرج من هنا حتى ينتهي غرض جمال باشا مني

فقال حمدي : يريد فخامة الباشا أن يختلي ببعض الأشخاص هنا

– فليختل بهم حيث هم منتظرون لا هنا .

فنظر فيه جمال نظرة حادة وما لبثت نظرته ان تكسـرت لدى نظرة الشيخ . ثم نهض متغيظـاً وخرج الى بهو آخر واستدعى بعض الأنصـار الكبار من العرب وسألهم : ما ذا تعرفون عن هذا الشيخ الذي عندي الآن ؟

فقالوا نعرف انه زعيم الوحدة العربيـة . وقد جمع كل امراء العرب فانضموا تحت زعامته مغتبطين .

فسألهم عن اسمه : فقال أخدمهم يقال أنه يدعى الأمير سطـام الأعظمي.

وفيما كان جمال لا يزال يسائل الأنصارعنه قام الشيخ من مكانه واتجه الى شباك يشرف على الميدان الذي أمام القصر دار القيادة العليا . فاعترضه حمدي وقال له: ان يقعد في مكانه لئلا يأتي جمال ويراه يطل فيغضب . أما الشيخ فلم يبال بل اطل من الشباك وأجال نظره في من يتمشون في الميدان وأبدى اشارات لم يفهمها حمدي

ثم دخل جمال وغضب اذ رأى الشيخ لدى الشباك . وقعد كلٌ في مكانه . وقال جمال : اعلمت لماذا أنت معتقل ؟

– قلت لك اني لست معتقلاً . لا يستطيع وزيرك ولا رئيس وزارتك ولا سلطانك أن يعتقلني . فأقلع عن هذا الزعم الموهوم . وقل ماذا تريد مني ؟ كفى دعاباً يا باشا

قال جمال . الست أنت الذي جمع جميع قبائل العرب في اتحاد عربي عام :

– نعم . أنا هو . نعم جمعتهم في اتحاد عربي شامل جميع العرب.

وعرب الحجاز أيضاً ؟

– نعم وعرب نجد واليمن وتهامة وحضرموت والبحرين ، وبعـد ذلك عرب سوريا والعراق ، وبعد ذلك مصر وفلسطين ، وبعد ذلك مراكش وتونس والجزائر . فماذا بعد ؟

– إذاً لا تنكر خيانتك للدولة .

-- معاذ الله . ليست هذه خيانة للدولة بل هي أمانة للعرب .

وكان جمال يكفهر وهو يسمع كلام الشيخ سطام الجريء ويكاد يرتعد لدى شدّة عزمه. فهذا الذي كانت ترتعد فرائص الناس لدى نظراته القادحة شرر التهديد كاد ينتفض جزعاً من جراء كلمات الشيخ التي كانت تصور له جميع قوات العرب التي تناهز الثمانين مليوناً متألبة على الترك، وكادت تقضي على حلم كان يحلمه . فأجاب بتؤدة — ماذا تريدون من اتحادكم هذا؟

فقال سطام بعناد منطق — هذا حلف عربي واسع النطاق نريد به استقلالنا لاصلاح أحوالنا لأننا أصبحنا على شفا انقلاب عظيم في هذه الحرب التي تضع أوزارها غداً . فنود أن نرتب أمورنا منذ اليوم . نحن متحدون عام الاتحاد . فاذا رامت الدولة العثمانيـة أن تنتفع من اتحادنا فنشد أزرها وإلا فنهتم بشؤوننا مستقلين .

فقال جمال منتمشاً ، إن مصيبة « الدولة العلية » جاءت عن يد العرب .

فأجاب الشيخ بحدّة وجف لها قلب جمال الصلب : لا ، بل مصايب العرب والأتراك أيضاً جاء من نفس الدولة التي تنعتونها « بالدولة العلية » . لو أحسنت الدولة للعرب وجميع رعاياها وعاملتهم بالعدل وحسنت الأحوال الاجتماعية والاقتصادية وقصرت عملها على الاصلاح لكانت اليوم تحل محل الامبراطورية الرومانية ، وكانت سيدة الدول . فكانت الدولة العثمانيـة تملك أكثر مما كانت تملك الامبراطورية الرومانية في إبان عزها . وكانت الامبراطورية البريطانية تخشى الآن سؤددها، وكان الفخر الذي للانكليزي والتبجح الذي يمتاز به لك ولي . . .

وفي تلك اللحظة دخل ضابط وقدم للقائد العظيم تلغرافاً ورد من خط القتال . فلما قرأه جمال امتقع لونه . فأدرك الشيخ سطام أن التلغراف ينذر باخفاق الجيش في القتال . وبقي جمال برهة متجهماً يضرب أخماساً بأسداس . ثم قال — لقد تماديت في القحة وأنت معتقل . خذه يا حمدي الى السجن .

فتقدم حمدي بك الى الشيخ لكي يصطحبه . فانتفض الشيخ ونزق وقال : كفى ما أنتم فيه من غرور وعنجهية وحسبكم هذا الهذيان . عد الى مكانك يا حمدي . اني حر أخرج متى أشاء وأدخل متى أشاء .

وكان قد قارب الى الباب . فالتفت الى جمال كأنه يودعه : فرأى في يده مسدساً فارتد راجعاً إليه ووقف أمامه وألقى مرفقيه على المكتب العريض الى أن صار على قاب قوسين من المسدس، حتى دهش جمال لجرأته العتية ولم يطاوعه أصبعه أن يضغط على الزناد . وقال الشيخ بالتركية الفصحى : حاذر أن تكون جباناً غادراً يا جمال . ما هذا الغدر شيمة القائد الكبير

أنت تعلم أن بعض رجالك جردوني من سلاحي قبل أن أدخل إليك . فلم أمانع احتراماً لمقامك، ولأني كنت أعتقد أن للقائد الكبير الشرف العسكري الذي يعصمه عن الغدر . والآن أنبهك الى سوء مصيرك إذا مددت لي يداً بسوء . ففي مدة ست ساعات اذا لم أرجع الى رجالي سليماً يدخلون هذه المدينة على جثث قتلى رجالك ويحيطون بهذا القصر . وفي ساعة واحدة يدكونه الى الحضيض بمن فيه، ثم يعرفون أني هنا الآن، ويعرفون أن نقاشنا أصبح متحرجاً، فتأخري عنهم يقذف بهم الى هنا لا محالة، ولا تستطيع قواك الضئيلة أن تقف في سبيلهم لحاذر

فقال جمال : كيف يعرفون أنك هنا وأنت لم تكن هنا قبل ساعة

— أجل أنا هنا أفتكر وأتكلم وهم هناك يفهمون . رد مسدسك الى مكانه . عندنا الوف مثله، لا تجازف بحياتك وحياة جيشك المهزوم

فضاق جمال ذرعاً بهذا الشيخ وفكر طويلاً مضطرب البال، والشيخ لا يزال مسنداً مرفقيه على المكتب منتظراً . ثم ردَّ جمال المسدس الى مكانه وقال : اجلس ياشيخ سطام، لي كلام معك خطير

فقعد الشيخ على المقعد الى جانبه . وقال جمال : — لا ألومكم اذا جمعتم شملكم ...

وقاطعه دخول ضابط اليه بتلغراف . ففضه بيد مضطربة وقرأه مكفهراً، ثم قال : نعم اذا جمعتم شملكم ايها العرب ونشدتم استقلالكم، فالاستقلال أمنية كل أمة، والاتحاد هو الطريق الوحيد اليه . واذا كنتم متحدين على هذا النمط الذي أرى فلا ريب انكم تحصلون على الاستقلال . لذلك لي اقتراح عليكم خطير الشأن فيه ضمانة لقضيتكم . فما رأيك ؟

— اسمعني الاقتراح لكي يكون لي رأي فيه

— حسناً . أود أن أعرض على الدولة العلية مشروع استقلالكم الداخلي . وأكون أنا فيه والياً أعلى ويكون شاملاً . شاملاً جميع الامم العربية التي سنحرر منها ما وقع في أيدي دول أجنبية

وهنا تبسم الشيخ واستمر جمال يتكلم : — وتكون وظيفتي أن أرعى دستوركم الذي تسنونه لهذا الاستقلال . ولا اتدخل في شؤونكم الداخلية. فتكون للدولة العلية السيطرة على البلاد العربية سيطرة اسمية كما كانت سيطرتها على مصر قبل الاحتلال الانكليزي. وأظنه يكون من مصلحتكم أن يكون هذا الاستقلال مسنداً الى قوة الدولة بعد خروجها من هذه الحرب منتصرة ان شاءَ الله

وهنا تبسم الشيخ سطام ابتسامة عريضة واستمر جمال يتكلم : — والدولة في مقابل

ذلك اتاوة سنوية منكم ومنذ الآن تتقدمون لشدّ أزرها في الميدان المصري. فما رأيك الآن؟
فأجاب الشيخ: مشروع حسن جدًا يجب أن أعرضه على زملائي أمراء العرب
— متى يمكنك أن تعرضه وتجاوبني ؟
— غداً مساءً
— حسن جدًا. سأرسل معك وفداً من رجال السياسة عندي إذ لا بدّ أن نحتاج الى خبرتهم وعلمهم في تقرير بعض النقاط. أنت تدعو الأمراء الى أول « الغوطة » بعيدين عن الرقباء إذ لا يخفى عليك أن المشروع قد يحرك تنبه بعض الأفكار ويوقظ الظنون السيئة. وسأرسل وفداً آخر يعود معكم عند عودتكم لئلا يتعرض لكم بعض جنودنا الذين يجهلون تدبيرنا هذا.
وركب الشيخ سطام مع عشرة فرسان من رجال جمال باشا.

***

في مساء الغد عاد الشيخ سطام ووراءه الفرسان السياسيون، وصعد بجواده تواً على درج القصر العريض حتى بلغ الرحبة التي فوق الدرج. فخرج جمال على قرقعة حوافر الجواد ودهش إذ رأى الشيخ أمير الاتحاد العربي يكاد يدخل بجواده الى البهو وقال بحدة، ماهذا الذي فعلت. أيها الشيخ؟ ما الخبر؟.
فترجل الشيخ سطام وترك عنان جواده والجواد لا يتحرك في مكانه ولا يتزحزح في موقفه وقال: متجهماً: — كنت أعتقد أنك تصدق الصدق العسكري وتحترم شرف ثوبك الجندي.
— احترمه طبعاً
— إذاً فما معنى أن ترسل طابوراً من جنودك لكي يتصيدوا زملائي الأمراء جميعاً؟ انها لخيانة خبيثة لا مثيل لها يا جمال
فقال جمال ماكراً: لا علم لي بما تقول:
— أظن ضباط ذلك الطابور نزل عليهم وحيٌ بأن مئتي أمير من أمراء العرب قادمون الى الغوطة فتصدّوا لهم بناء على هذا الوحي. أليس هو وحي جمال؟ لم نرهم حين كنا ذاهبين ولما عدنا رأيناهم ثابتات يهاجموننا. فأوعزت للأمراء أن يرجعوا حالاً وألاّ يحتكوا بهم بتاتاً. جئت مع رجالك لكي أبلغك خبر خيانتك. فاعلم أنه بمثل هذه الحيل لا يحدث اتفاق بيننا يا هذا. ولا سيما لأن الهزيمة أمامكم عند حدود فلسطين. وقد شعرتُ بها من قراءتك للتلغرافين.

وهمّ الشيخ أن يركب فأمسك جمال بيده قائلاً: مهلاً لا تعجل. ولا تحكم بلا تحقيق. ليس لي علم بهذا الطابور سوى أني أرسلته في « دورية كشافة » ولم أعد أعلم أين هو، ونسيت خبره إذ لم ترد لي منه أخبار. فكن واثقاً أن ما حدث كان خطأ. وسأرسل معك وفداً آخر عسكرياً كبيراً يحول دون حدوث خطإ كهذا. أيها الشيخ ان مستقبلكم ومستقبل الدولة يتوقف على تنفيذ هذا المشروع. وقد أرسلت رسالة برقية بهذا الشأن الى رئيس الوزراء، واني لمؤكد انه سيهتم بتحقيقه. فأرجو أن تعود حالاً وتفاوض الأمراء ثم ترجع إليّ ببشارة سارّة

والظاهر أن أخبار الحرب التي كانت ترد الى جمال باشا من ميدان سيناء كانت تنذر بانهيار الجيش العثماني أمام جيش الحلفاء. فافتكر جمال أن يغنم مساعدة العرب وهي آخر سهم في الكنانة

***

بعد يومين عاد الشيخ سطام صاعداً بجواده الى أعلى الدرج فتلقاه أحد الضباط الوطنيين. فسأله عن جمال باشا. فقال الضابط لقد فرّ جمال فرار اللص. لأن جيش الحلفاء احتلّ الآن فلسطين ودخل في صباح اليوم حدود الشام لأن جنودنا كانت تفرّ أمامه فرار الأرانب

فقال الشيخ: إن كنا رجالاً نستغل هذا النصر الأجنبي لأنفسنا. وإلاّ فالسبب الذي اتحدنا لأجله قد زال وسنحل هذا الاتحاد ويضمحل ذاك الاستقلال الذي منينا النفس به لقد صار في خبر كان.

***

هذا ما كان يجب أن يكون فعلاً لا قصة على الورق. ولكن بعد « خراب البصرة » اجتمع كبار العرب وألفوا الجامعة العربية ثم جاءت الحرب الصهيونية فكانت امتحاناً لها فما نجحت في الامتحان.

ترى هل يمكن أن ينجح العرب في اتحاد جديد يصد عنهم العدو اللدود العنيد؟

ترى هل يقوم فيهم شيخ كالشيخ سطام الموهوم فيجمع كلمتهم ويقود حركتهم ويخرس ألسنة الخونة منهم. إن الله على كل شيء قدير. (ند)

مصر
في واقع التاريخ

دأب المؤرخون والباحثون الغربيون على تفسير تاريخ مصر بعد العصر الفرعوني تفسيراً يقوم على فكرة ضخمة أساسها أن مصر ظلت خاضعة للسيطرة الأجنبية منذ انقضاء العصر الفرعوني حتى اليوم .

ويذهب السير ارثر كيث الى أن مصر بعد الفتح الأشوري عام ٦٦٥ ق . م أمعنت في عصرها الطويل الذي خضعت فيه للسيطرة الأجنبية ، فما ابتداه الأشوريون تداولته الدول الأخرى : الفرس ، فالاغريق ، فالرومان ، فالعرب ، فالترك ، وأخيراً بريطانيا . وفي هذه البرهة الأخيرة (١٩٤٦) تجري المفاوضات في موضوع جلاء بقية الجنود البريطانية عن أرض مصر .

ويمضي السير كيث زاعماً أن مصر استعادت سيادتها بعد ٢٥ قرناً ، وصارت أمة ذات سيادة على نمط العالم الحديث !

وليس هذا القول من هذا الباحث جديداً عن الباحثين الغربيين ، خاصة الانجليز ، الذين تولوا كتابة تاريخ مصر .

* وواضح من آراء هؤلاء القوم أنهم يقصدون هدفاً معيناً هو اشعار المصريين بأنهم كانوا في هذه الحقبة الطويلة من الزمن التي تبلغ ٢٥ قرناً خاضعين لحكم أجنبي ، وبذلك لا يكون خضوعهم للنفوذ البريطاني مما يثير في نفوسهم حمية تدفعهم الى السعي الى استقلال افتقدوه منذ خمسة وعشرين قرناً .

وقد كان أثر هذه الدعوة القاتلة واضحاً في برامج تعليم التاريخ في مصر . وكان أصحاب النفوذ البريطاني يخضعون لها الخطوط الرئيسية الواضحة في كتب التاريخ التي تعلم في المدارس المصرية ، حتى يشب المصري المتعلم موقناً أن وطنه كان مستعبداً في معظم فترات تاريخه . وبذلك يصاب بيأس قاتل يجعله أداة طيعة في أيدي المستعمرين .

ولم تكن هذه الدعوة وحدها مما يبعث اليأس والاستسلام في نفس المصري المتعلم ،

بل تبعتها دعوات أخرى كان أهمها تلك الخرافة الضخمة التي بذرها الانجليز في مصر ، وزعموا في كل كتاب ، وفي كل صحيفة ، أن مصر بلد زراعي لا يصلح للصناعة .

ولست أبغي مناقشة هذه القضية التي أثبت الزمن — وهو كفيل بقتل هذه الجرائيم — أنها كانت تخدم أغراض السياسة الاستعمارية البريطانية في مصر .

ويهمني في هـذا المقال أن أتحدث عن تاريخ مصر التي لم تكن خاضعة طوال خمسة وعشرين قرناً لسيطرة أجنبية كما يزعم كيث وغيره من غلاة المستعمرين — (كيث لا يدافع عن المستعمرين ولا عن بريطانيا بل يتكلم الرجل كعالم انتربولوجي — [المحرر]

وإنه ليؤسفني وأنا ممسك بقلمي أن أقرر حقيقة مؤلمة ، هي أن معظم تاريخ مصر لم يتول كتابته حتى الآن مصريون ، كما لم يكتبه غربيون منصفون يقررون الواقع مجرداً عن الهوى .

فنحن نرى مثلاً أن السير كيث يقرّر أن مصر حفظت شخصيتها في تاريخها الطويل ، وأن السيطرة الأجنبية المزعومة لم تقتل في المصريين روح الاستقلال . ولـكنه رغم ذلك يتناقض مع نفسه ويزعم أن مصر خضعت لسيطرة أجنبية طوال ٢٥ قرناً .

والشعب المحتفظ بشخصيته ، المحافظ على روح استقلاله ، لا يمكن أن يخضع لسيطرة أجنبية ٢٥ قرناً ، ولا يجوز لباحث أن يصمه بهذه الوصمة في غير احتياط .

وشواهد فساد هذه المزاعم الاستعمارية كثيرة نجملها فيما يلي :

أولاً — أن قيام دولة البطالسة في مصر كان من مظاهر الاستقلال الكامل ، إذ أن بطليموس بن لاجوس مؤسس هذه الدولة كان يونانيًّا حقًّا . ولـكنه كان يحكم بلداً له كل مظاهر الاستقلال . وليس قيام ملك أجنبي على عرش شعب ، مما يجعل هذا الشعب خاضعاً لشعب الملك . ويكفي أن نعلم أن ملوك انجلترة ليسوا من الانجليز .

ثانياً — ان مصر في عهد الدولة الطولونيـة والاخشيدية والفاطمية والأيوبية . وفي عهد المماليك ، كانت دولة مستقلة وهو أمرٌ لا يمكن انكاره .

ثالثاً — ان مصر قاومت الحملة الفرنسـية في مطلع هذا العصر الحديث ، ثم قاومت الأتراك ، وولت محمداً عليًّا عليها بارادة شعبها . وظلت تنعم باستقلالها حتى شبت في البلاد نيران الثورة العرابية وتبعها الاحتلال البريطاني .

وقد استغلَّ الباحثون الغربيون قيام ملوك من دم غير مصري على عرش مصر استغلالاً سيئاً ، فجعلوا مصر تابعة لأمم هؤلاء الملوك . والواقع أن الملوك في أكثر الأمم وفي مختلف

عصور التاريخ لم يكونوا من أهل تلك الأمم إذا أنت تقصيت مولدهم .

كما أن كبار القادة والحكام ليس من المحتم أن يكونوا من جنسية الشعب الذي يقودونه ويحكمونه ولقد كان نابليون بونابرت غير فرنسي . ولكنه رغم ذلك قاد فرنسا نحو المجد ونحو الهزيمة على السواء .

وكذلك المبادىء والآراء ، فان باحثاً بعينه قد لا تستقر آراؤه ومبادئه في وطنه، ولكنها تستقر في وطن آخر. وليس أدل على ذلك من استقرار آراء كارل ماركس في روسيا، وعدم استقرارها في وطنه المانيا .

ومقياس الاستقلال لا يخضع لشخص بعينه أو مذهب بعينه ، ولكنه يخضع للشعب نفسه .

ولا خلاف بين الباحثين على احتفاظ مصر بشخصية واضحة متميزة ، تهضم غيرها من شعوب ، ولا يبتلعها شعب آخر مهما أوتي من قوة وسيطرة .

ولا خلاف بينهم أيضاً على أن روح الاستقلال من سمات المصرية في أجلى صورها ومعانيها . فمصر لا ترضى وما رضيت قط بسيطرة أجنبية ، ولكنها تخضع فترة لتثور وتسترد حقها الطبيعي في الحياة الحرة المستقلة

وليس معنى احتلالها بقوات من جيوش فارسية أو اغريقية أو رومانية أو عربية أو فرنسية أو انجليزية ، أنها خضعت واستسلمت ، ولكن معناه انها تسير في تيار الحياة العالمية كما تسير الشعوب جميعاً ، تكبو ثم تنهض .

وما من شعب عريق في حضارته لم يستهدف لما استهدفت له مصر من غزوات . وليس في هذا ما يقدح في شعب بعينه ويصمه بتلك الوصمة التي شاء الباحثون الغربيون أن يصموا بها شعب مصر .

وان مظاهر القوة الغالية تنتقل من شعب الى شعب ، ومن شرق الى غرب ، وفقاً لتيارات عامة تسير الحياة البشرية بأسرها .

وقد عاشت مصر عمرها المديد في خضم هذه الحياة دون أن تزول شخصيتها أو يمحى استقلالها

ولكننا نعرف شعوباً كثيرة في العالم القديم ظهرت على مسرح التاريخ ، ثم أمحت من الوجود

عبد المنعم شميس

تقدم الطب

في عهد الفاروق المعظم

الستربتوميسين

(يتبع لما سبق)

وبعد ذلك توصلوا الى اكتشاف مادّة نباتية طبيعية تنبت في حقول القمح والشعير وتُدعى الاكتينوميتش البنية Actinomycesgriaus استخلص منها العلماء واسكان وودروف وهورننج مادّة سموها الستربتوميسين وذلك في المعهد الزراعي في نيوجرسي. وقد نجح الستربتوميسين في حالات عجزت البنسلين عن شفائها وهو أكبر مقاوم للعفن الميكروبي ومقاوم لباشلس السل والميكروبات المختلفة التي في الأرض والتي شوهد انها تلاشت أمام هذه العشبة. وهذا ما أوصل هؤلاء العلماء إلى بحثها واستخلاص الستربتوميسين منها. وقد كثرت الابحاث فيها ودرس هذا العلاج درساً مستفيضاً، وهو عبارة عن بودرة بيضاء مائلة إلى اصفرار خفيف تحل بسرعة بالماء ولا تحل بالكحول والايثر والكلوروفرم وتحفظ بدرجة حرارة ٢٥ وتحتمل حرارة ٦٠ مع المحافظة على فائدتها. وتفيد جداً بوسط قلوي وليس حمضي. و مليجرام واحد يحتوي على ١٠٠ وحدة، والعلاج الموجود الآن فيه ٣٠٠ وحدة بالمليجرام وهو بخلاف البنسلين أنه يقاوم الميكروبات التي تتلوّن بالجرام « مادة ملونة » وبالاختبار في المعامل تقاوم الميكروبات الآتية: الكولوباسيل والتيفوئيد والباراتيفوئيد وباسيل الدسنتريا والبيوسيانيك وباسيل فريد لندر وبفيفر وباشلس السل وغيرهم.

وتأثيره بالجسم ليس يحتوى تأثيره بالتجربة بالمختبرات ولا يؤثر كثيراً إذا كانت حموضة الدم زائدة، وإن وُجدت في خلايا الجسم مكروبات أخرى غير مقصودة بالعلاج ولذلك يجب زرع هذه الميكروبات لمعرفة نوعها. ويحقن الستربتوميسين داخل العضل

وهو بخلاف البنسلين لا يمتص بغشاء الامعاء. ولذلك يفيد باصابات الأمعاء الغلاظ وضد الجراثيم داخل السائل النخاعي الشوكي بشرط أن يكون بغاية النقاوة ويؤثر في خلايا البلغرا وفي البريتون ويتحوّل ببطء عن طريق البول ويتركز قليلاً في عضل القلب وأقل منه في أغشية المخ والسائل الشوكي ولا يتجاوزغشاء الدماغ إذا كان هذا سليماً، ويكثر وجوده في الصفراء والكبد وداخل العين. ويظهر بالبول بعد ٢٤ ساعة ويتحوّل بمعدل ٦٠ إلى ٨٠ بالمائة. غير أن الكلى المريضة تخفف كثيراً من إفرازه. ويطول بي الشرح إذا استوعبت كل هذا الموضوع. وقد عالجوا به السل الرئوي، ولكدمان وهرشنو اختبراه بسل الفار الذي احتمل بعضهم كميات من ميكروب السل فـ ٣٠ منهم شفوا بفعل الستربتوميسين بتكلس اصاباتهم الدرنية. وقد نفع في السل السريع الحبيبي Granulie فتحسنت حالة المريض بعد شهرين ونجح ضد سل أغشية الدماغ Muigite Aubereuleme وبعد ثلاث أسابيع زال الصداع والميل الى النوم وتصلب عضلات الرقبة وزالت الحمى وكل تحوّل بالسائل الشوكي. وقد تستمر بعض الكريات البيضاء فيه أو حالة زلالية. وقد شاهدوا على أثره حالة طرش وأوجاع في مؤخرة الرأس وضعف بالسمع والنظر. وكل هؤلاء المرضى استعمل لهم ١ الى ٣ جرامات يومياً مدة ٦ أشهر

* * *

اما في السل الرئوي فرغماً عن تخفيف حدة المرض وبطء سيره لا يمكن التأكيد انه يشفي هذه العلة فان الاختبار ضد ميكروب السل أعطى نتائج مشجعة اما عملياً عند المرضى فأعطى نتائج جزئية تساعد على الاستمرار باستعماله في مقاومة هذا المرض الذي يعد من أخطر الأمراض والشفاء التام لا يتجاوز لحد الآن الامل وقد توصلوا الى ايجاد الكلوروميستين الذي أدى نتائج باهرة بالحمى التيفوئيد والباراتيفوئيد والتيفوس الخطر الوبائي. وأخيراً توصلوا أيضاً الى تحضير مركب مشتق منه يسمى الاورميستين وهذا يعطى من الداخل مثل الكلوروميستين وهو يشفي الدسنتيريا المزمنة والحادة والاصابات بالكوليباسيل. وهذه نتائج باهرة حقاً في أمراض كنا بحيرة من أمرها والتغلب عليها.

وقد تقدم الطب تقدماً كلياً بمقاومة تجمد الدم ومقاومة السدة القلبية التي تصيب

جزءاً من الشريان التاجي وتسبب أوجاع مُبرحة عند ضعاف القلب، وهي أقسى نوع من الذبحة الصدرية المخيفة. وفي حالة السدة الرئوية التي لا تقل عنها خطورة أحياناً كثيرة وذلك بفضل علاج حديث يسمى الهيبارين وهو غير سام وسهل الاستعمال. ويمتاز كثيراً عن الديا كومارول الشديد التأثير على الكبد والكلى والدم. وهذا العلاج يستعمل حقناً داخل الاوردة بكمية ٢٥٠ الى ٦٠٠ ملجرام كل أربعة ساعات ليل نهار. ولكي نقرر نجاح الهيبارين يجب أن تكون المدة التي يؤخر فيها تجمد الدم ٥٠ دقيقة على الأقل اذا حُقن المريض كل أربعة ساعات. وقد ظهر أن تكرار هذه الحقنة مضايق وغير عملي ففكر لوف ومساعديه باستعمال الهيبارين البطيء Heparine retard ولم يتوفقوا بأول تركيب ثم مزجوه مع السّيدوزان فنجح . ان حقنة ٢٠٠ ملجرام من الهيبارين البطيء داخل الأنسجة الخلوية كافية لمدة ٣٦ الى ٧٢ ساعة وللوقاية كمية ١٠٠ الى ٢٠٠ ملجرام كافية للحصول على النتيجة ذاتها أي تأخير تجمد الدم من ٣٠ الى ٥٠ دقيقة .

* * *

ويستعمل الهيبارين البطيء عند النساء بعد سن الأربعين المعرّضات للسمنة والتهاب الأوردة وعندهن عجز في عمل القلب والشرايين والمعرضات لالتهاب الشرايين على أثر جراحة أو ولادة ويحقن تحت الجلد ثم يبحث عن مدة تجمد الدم فان كان ٤٠ الى ٦٠ دقيقة فتكون النتيجة حسنة . ويجب تجدد هذه الكمية بعد مدة من الوقت . وعند تناقص مدة تجمد الدم

وأعظم نجاح الهيبارين هو في السدة القلبية هذا المرض المخيف التي ضحاياه لا تعد ولا تحصى فيجب اعطاءه عند أقل انذار وبدون تأخر. ويمكن اعطاء الهيبورين العادي مترادفاً مع البطيء وبهذه الطريقة كانت الوفيات بالسدة القلبية معدومة . وميري لم يشاهد في ٣٧ حادثة وفي ١٤٠ سدادة رئوية وفاة واحدة، وبود شاهد وفاتين فقط في ٤١٣ حادثة وسليا كس لم يشاهد في ٢١٧ حادثة إلا وفاتين حصلتا لأن الهيبارين استعمل متأخراً وبجرعات غير وافية .

وقد تقدم الطب كثيراً في علاج الذبحة الصدرية العادية التشنجية الشديدة الخطر

والكثيرة الحدوث خصوصاً بمصر . وهذه يجب استدراكها قبل حدوثها لأنها لا تأتي عفواً كما يتخيل كثير من الناس . بل ان ما يساعدها هو تحول بأغشية الأورطي « الشريان الرئيسي بالجسم » فيتأثر رويداً رويداً ويفقد مع الزمن نعومته ومغناطيسيته إذن صح هذا التعبير، فيقسى وتخشن أنسجته وتحل في غلافه الداخلي حبيبات ولطع مركبة من أملاح الكولستيرين والاكتلات والايرات والمواد الدهنية التي تتكلس مع الزمن فيصبح غلافه الداخلي خشناً يفقد نعومته، وهذا ما نسميه بالاتروم أي بداية التصلب. وهذه الحالة تزداد رويداً رويداً مع الزمن ثم تمتد هذه الحالة إذا أهملت الى الرئة المجاورة . وأول شريان يصاب هو الشريان التاجي أول شريان ينفصل عن الأورطي ويغذي عضل القلب ويلتف حوله. وهذا الشريان رفيع وضيق فان خشنت أنسجته وأصابها الاتروم فيسهل انسدادها ولو ربع دقيقة . وهذه هي الطامة الكبرى وقفلها السريع العابر يسبب الذبحة الصدرية التي تحدث بصورة خفيفة عابرة وحالات أقسى وأهم حالات متوسطة وصعبة وشديدة وخطرة ومميتة فيتخلل بين الواحدة والأخرى زمن طويل أو قصير حتى حالات تترددي يومياً أو يوم بعد يوم أو ساعة بعد ساعة حسب شدة تصلب الأورطي أو التاجي . ولنصرح هنا أنه بين ظهور أعراض الذبحة الصدرية وبين بداية تحول الأورطي ثم التاجي يمر زمن طويل وطويل جداً يعد بالسنين. فهذا الوقت لا يستفيد منه المريض في أعظم الأحوال ليقي نفسه منها حسب اقتدار الطبيب وامتثال المريض للسير بالعلاج الصحيح والحمية اللازمة للتمتع بحياة هادئة رضية لا يقدرها إلاّ المرضى المساكين الذين يتحسرون وأي تحسر على فقدانها ولكن بعد فوات الأوان .

* * *

ولا يحتمل هذا البحث ذكر طريقة معالجة الذبحة الصدرية المتشعبة النواحي الدقيقة الشرح وليكون نجاح علاج الذبحة ذا فائدة تجب ملاحظة وظيفة الكبد وحالة افراز الكلى وهاتان الحالتان تؤثران تأثيراً كبيراً في نجاح معالجة الذبحة الصدرية (لها بقية)

الدكتور يوسف كميل

-٢٣-

نظرات ثاكري

وليام مكبيس ثاكري القصصي الانجليزي الشهير . قد أتهمه بعض النقاد بسوء الظن بالنفس الانسانية . والنفوس إذا وصف كاتب سيئاتها اتهمته بسوء الظن والعداء لأن هذا الاتهام أسهل من التخلص من سيئاتها التي سببها الغرائز والشهوات المتمكنة من النفوس . وقد رأى بعض المفكرين ان هذه الغرائز والشهوات لن تتغير ولن تتبدل وان النفس إذا استطاعت أن تتخلص منها أو تلطف من حدتها أصابها الضرر والعجز . ومع ذلك فان المفكرين من قديم الزمن يصفون عيوب النفس البشرية أملاً أن تتخلص منها أو تلطف من حدتها . ولا أذكر أكان مينكين الأمريكي هو الذي وصف الانسان فسماه القرد الأبدي لعجزه عن التخلص من الحماقة والشهوات وحب التدمير والأذى،ولقصوره عن الأخذ بأسباب تعميم نتاج العلم وتعميم الاستفادة منه . ولولا أن الكاتب يؤمن في صميم نفسه أن الانسان وهب القدرة على تلطيف عيوبه وتهذيبها والتخلص منها كلها أو بعضها ما كلف نفسه مؤونة وصفها . وبالرغم من أن ثاكري قد يؤلم مبضعه في شرح صفات النفوس كما يؤلم مبضع الطبيب اذا فصد الدمّل فانه كثير الحنان والعطف على النفوس ، فهو يجمع بين السخر والحنان وهو بين الانجليز من هذه الناحية مثل أناتول فرانس بين القصصيين الفرنسيين . وكما اشتد ثاكري في نقد سخر سويفت في كتابه المسمى (كتاب الفكاهة) اشتد بعض الكتاب في مؤاخذة ثاكري. ولكن شتان بين سويفت وثاكري فليس في سويفت حنان ورقة وعطف كما في ثاكري فان سخر ثاكري مقرون الى رقة وسماح وصفح جليل ، ولو أنه قد يشتد في بعض قصصه ورسائله ويعنف. وبعض قصصه لا ترى فيها ما يسمى في اصطلاح المؤلفين أبطالاً . ولا يغيب عنا أن ثاكري وزميله ديكنز من كتاب العصر الفيكتوري،أي عصر الملكة فكتوريا وهو عصر مشهور بمظاهر

التزمت والكبر في التزمت. ولكن ثاكري لا يعني ذلك العصر من سخره ولا يعني ما فيه من نفاق وتجبر وقسوة. كما لم يُعفِ المحتالين والمغامرين والأفاقين الذين خرجوا على سنة العصر الفكتوري. وبعض النقاد يرون أن قصة (سوق الغرور) هي أعظم قصصه. وقد تكون كذلك من الناحية القصصية الفنية. ولكن عندي ان اعظم قصصه هي قصة (هنري إزموند) التاريخية. وقد فضلها الناقد الكبير الأستاذ سينتسبري فإن لها سحراً عجيباً. والفن الذي يقتضيه وصف بياتركس وأمها من غير زلل فنٍّ من أعجب الفنون. ثم ان عظم موضوع القصة اذا أضيف الى عظم الفن يزيد في قدر القصة، ولو إن إجادة صاحب الفن لا تقتضي موضوعاً كبيراً كي يجيد. ومن قصصه الأخرى قصة (باري لِندُن) و (الفرجينيين) الخ الخ. ومن كتبه كتاب (الرسائل الدائرة) وهي أشبه بما يتخلل قصصه من رسائل قصيرة وكلمات في وصف الناس وكتاب (الادعياء) الخ الخ.

وفيما يلي بعض نظراته مع الشرح والتعقيب: —

(١) كثيراً ما ينتقص النساء من عقل المرأة وذكائها (أو من أخلاقها) اذا كانت أعظم منهن جمالاً وأتم حسناً ولم يستطعن انتقاص حسنها كأنما يردن بانتقاص عقلها ان لا ترجحهن بمجموع ما وُهِبَتْ من ذكاء وجمال. وهذا عكس ما يفعله الرجال فان ذات الوجه الجميل والعينين الفاتنتين تغتفر لها حماقة كثيرة، وقلة عقلها تكتسب فيهما رشاقة وحلاوة تغطيان على قلة عقلها — والواقع أن الانسان كثيراً ما يخدعه انتظام التقاطيع فَيَحْسَبُ انه مقرون دائماً الى انتظام العقل والعكس بالعكس

(٢) في سوق الغرور التي هي الحياة قلما يتألم الانسان من وخز ضميره اذا عمل شراً. وانما هو يتألم لا من الندم على عمل الشر بل من الندم لافتضاح أمره وانكشاف سره وشره فيخلط ضميره عمداً بين نوعي الندم كي يظهر بمظهر الأبرار، أو كي يقال أنه كفَّر بالندم ووخز الضمير عما ارتكب من الشر. وقد يكون الرجل نفسه مخدوعاً بما يخدع به غيره، فان الشعور يُلَبِّسُ على صاحبه حقيقته فيخال من تأنيب الضمير وهو من ألم الأثرة وحب الذات.

(٣) لو فَطِنَّا الى ما قد يخالط أنبل الأخلاق وأسماها من نقص او دناءة لتركنا

التفاخر والتباهي بالفضائل. ووصلنا النفوس بالعطف والرحمة .

(٤) ان الكذب الذي يقوله المرء في اغتياب الناس أكثر ذيوعاً من الصدق الذي يمدحهم به، فهل ذلك من أجل أن قلوب الناس تربة حجرية لا تنمو فيها بذور أقوال الخير الرقيقة. ومما لا شك فيه أن اغتياب الناس وذمهم يصادفان من الانشراح والإقبال والائتناس والاشتهاء اكثر مما يصادفه مدحهم بالخير، كأنك في الحالة الأولى تطهيهم بتوابل تدعو النفس الى أكل لحومهم .

(٥) أيُّ الصفات نالت أعظم مدحٍ منذ عهد حرب تروادة الى اليوم ؟ أليست هي الشجاعة والجرأة والاقدام؟ فقد طالما أشاد بها الشعراء والكتاب وأغفلوا الصفات الفاضلة الأخرى، ولم يعيروها اهتماماً كاهتمامهم بهذه الصفات. ألا يجوز أن يكون السبب أن الانسان جبان بطبعه يجنح الى الخوف والفزع اكثر من جنوحه الى قلة المبالاة والاقدام صيانة للحياة واعتزازاً بها ، فيغطي على ذلك بمدح الشجاعة كي يقال انها صفته الغالبة ويطري الشجعان كي يقال عنه انه منهم . ولعل من أسباب مدحه الشجاعة أيضاً انه يريد أن يحمل نفسه عليها ، ويغطي عنها مخاوفها ، كما غطاها عن الناس .

(٦) بعض النساء لهنَّ ولع بان يضعنَ من يحببنَ في مكانة العبادة وهي مكانة تشبه مكانة آلهة الوثنيين في المعبد فتتقدم له البخور والمدح والثناء سواء أكان ذلك عن عقيدة فيه أو حيلة، وهذا يضايق الرجل لانه يلزمه صفات الكمال دائماً وهو لا يستطيعها . فيمل كما مل (الدايلي لاما) في التُّبتِ ويتثاءب من عبادة عباده

(٧) قلما يهم الناس كبر عقل الرجل أو عظم فضائله قدر ما تهمُّهُم آدابه المريحة في معاشرتهم اياه وسلوكه في إرضائهم لان كل انسان يأنس الى ما يريحه. واما رجاحة تفكير المعاشر وعظم فضائله فكثيراً ما تضايق عشيره. ولذلك كثيراً ما يحكم الناس على عقل الرجل وفضائله بما يريحهم او بما لا يريحهم في سلوكه معهم — أو حتى بما يتخيلون انه يريحهم أو لا يريحهم .

(٨) ان بعض الناس لا ينالون الاطمئنان في الحياة حتى يغالطوا أنفسهم ويخادعوها ويحملوها على أن تعتقد ان العدل يطرأ في الحياة ويعم — فهل يطرد العدل في حياة الناس ؟؟ هل كل راكب فاضل وكل ماشٍ مفضول ؟ وهل الأول عادل والثاني ظالم . وهل الفضل دائماً مُفضَّل والنقص دائماً مؤخر ؟. وهل المرائي المنافق دائماً مخذول ؟. وهل ينصرف الناس عن التهافت على ما لا قيمة له من الكتب والأشياء والأمور ؟. وهل هم لا يقبلون على الخطيب المهرّج الماهر ؟؟ وهل لا يُرقى الرجل ولا يُقدَّم ولا ينجح إلا بما له من

عقل وفضل وهمة وكفاية ؟. وقس على ذلك أسئلة أخرى كثيرة . وخليق بالمرء أن يكون أشجع وأقوى من أن يعجز عن تحمل الحياة إلاّ بالأكاذيب .

(٩) قلما ينال الانسان خيراً إلاّ وهو يرى أنه يستحقه ويستحق أكثر منه. ومن أجل ذلك نشأت قلة الشكر وظهر غمط المعروف وجحد الجميل المصنوع إذ قلما تعد نعمة المتفضل تفضلاً منه، بل حقاً واجباً لمن نالها – : وفي بعض البيئات المنحطة لا يكتفي نائل المعروف بغمطه وجحده. بل يتعاظم على من صنع المعروف أو يحقد عليه في سريرته كي يظهر له إنه إنما أخذ بعض حقه وإنه أكبر وأعظم من أن يقرّ لأحد بفضل عليه .

(١٠) لو اختار بعض العلماء المؤرخين أن يتتبع جرائم الفضلاء، وان يكتب كتاباً في تاريخ الشر والضر الذين صنعهما أهل الفضيلة أو من يرون أنفسهم من أهل الفضيلة لكان كتاباً عجيباً ممتعاً واعظاً للناس ... فمن الذين أحرقوا البروتستانت ؟ انهم فضلاء الكاثوليك . ومن هم الذين أحرقوا الكاثوليك ؟ انهم فضلاء البروتستانت. ومن الذين يضطهدون الناس في الحياة الاجتماعية وينشرون عنهم أخبار السوء ويصفونهم بصفات السوء ويدعون الناس الى اضطهادهم وايذائهم ويجدون لذة في ذلك ؟ هم الذين يرون أنفسهم أو يريدون أن يقنعوا الناس انهم أفضل من غيرهم. ومن هي التي تتبع جيرانها لاستخراج ما تعتقد من سيئاتهم، أو ما لا تعتقد، ولتستخرج سيئات أجدادهم الى الجد الرابع أو أكثر وأبعد من الجد الرابع لكي تؤذيهم بنشر السوء عنهم ؟ انها السيدة الفاضلة – أو التي تعتقد أو تريد أن يعتقد الناس أنها سيدة فاضلة . وهي اذا عثر الحظ السيء بانسان وجندله دامياً أمامها في الوحل رفعت أنفها إلى السماء تعاظماً وتعالياً وجمعت ثيابها كي لا يلوثها العاثر المسكين – وإن كان من المحال أن يلوثها وهرولت صارخة باشمئزاز من حظه العاثر السيء مبتعدة عنه .... حقاً اننا في حاجة الى كتاب في تاريخ جرائم الفضلاء!

(١١) ان الاحسان طعام عسر في المضم . ومن أجل ذلك قد يختلق من ناله مذمة للمفضل إذا لم يجد فيه مذمة كي تكون عذراً له إذا فك عن نفسه ما يعده أغلالاً وأصفاداً للمعروف ... ترى هل كان المسافر الذي نجاه السامري من اللصوص — في قصة الكتاب المقدس – شاكراً لمن نجاه من اللصوص ؟ أم أنه كان يجد غضاضة في أن يكون مديناً لانسان بفضل عليه ؟ وهل هذه الغضاضة جعلته يتذكر أن كل سامري عقيدته فيها انحراف في نظره ؟ وهل اتخذ من انحراف عقيدة من نجاه عذراً له كي يجحد ما أداه اليه من معاونة وكي يتقحم عليه بالذم كي يفك عن نفسه أصفاد المعروف وأغلاله ؟

ع . ش

الحرب ضعف[1]

لا أدري — يا أستاذي الكبير — كيف أن مثقفاً يظلم انساناً ، أو يغتصب حق مسكين ، ولا أدري كيف ان انساناً يسعى بالشرّ وبالمكروه الى أخيه الانسان إلاّ إذا كان ذا قلب رخامي وعقل جامد بليد ، ان هـذا الانسان الطاغي المستبد مظلوم مسكين ، غرّرت به الأيام فتاه في دروبها وحار في أزقتها الحالكة ففقد الايمان بنفسه وفقد الايمان ربّه ، وظنّ أن تحطيم المصابيح المادية في قرارة نفسه سيكسبه ضوءاً يتطلع بوساطته الى المستقبل بشيء من الزهو وشيء من الكبر . فأتت عليه النار وا كتنفه الظلام فتنكر لنفسه وأهمل ذاته ، وأمات فكره وقسى على الناس وأهمل الخير ... تعساً لهذه الحياة ان كانت غايتها الحرب ، وتعساً لهـذه المدنية التي شادها الانسان على جماجم أخيه الانسان ، انها حياة زائفة بغيضة ، ومدنية باطلة خاوية ... أتعادل تلك الأرض التي تُكتسب في الحرب وتلك الأموال التي تسلب في القتال ، وتلك الأسواق التي تفتح لتصريف البضائع وأخذ الغلاّت ومواد الخام من المستعمرات ، وتلك الأنفس التي تسخر وتستذل بعد حريتها في الغزو . أيعادل هـذا كله ثمن هذه الدماء المسفوحة ، والأشلاء المتطايرة ، وهذا الخراب الشامل والجاعة القاتلة المميتة .

إن هؤلاء الأساتذة الذين لقنوا هـذا الشاب هذه العلوم التي تفتك بالأرواح بغير عد او حساب ، وان هذه المدنيـة التي عاش الانسان في جوّها وتنفس هواءها المشبع برائحة البارود وشواء الأشلاء كل هؤلاء أعداء للإنسان .

فلو أن الأب علّم ولده وهو طفل صغير ، لو علم نفسه وآمن بروحانية هـذا التعليم

(١) كتب هـذا المقال بعد قراءة مقال الاستاذ الكبير الحداد الذي كتبه في منتصف يناير (جدال بين الحرية والعبودية) .

— لو علمه وعلم نفسه أن يحترم حق سواه وأن يجل أخاه الانسان ، لو أمات في فكره وفي نفس ولده نزوات الطائفية ، وحماقة العنصرية ، وخرافة الاستعمار ، لو أمات هذه كلها في نفس ابنه الناشىء الصغير — ما رأيت هذا الابن قد مال الى الشر أو فكر في الحرب ولوجّه هذا العقل الذي وجد كي يعمل الخير ، ولوجّه هذه القوى الهائلة الى إزالة الذلة والمسكنة ، والى محاربة المرض والفقر والجهل في العالم .

لو أنّ هذا الأستاذ فهم الشباب والحقوق والواجبات ، لو أمن الأستاذ نفسه بهذه العلوم التي يدرّسها ، ثم سعى لتفتح براعم التفكير في الشباب فعلمهم الخير وعلمهم العطف والرحمة والحنان والوفاء ، لو علمهم روح هذه الكلمات لا حروفها وفلسفتها لا ظواهرها ، لو حدّثهم بأن الحرب أعمال وحشية وأفعال تخريبية وانها من أعمال رجال الغاب ومن تفكير الانسان الأول ، وأن على الجيل الحاضر أن يكون سامياً في تفكيره مميزاً عن الإنسان القديم بأعماله ، لو علمهم أن على الجيل الحالي تحطيم أصنام الماضي وتكسير أغلال العادات وسلاسل التفكير .. وان العقل في تطوّر مستمر وان الفكر في تجدد وارتقاء وما كان مألوفاً ومستساغاً قد لا يكون اليوم .

لو أن هؤلاء الأساتذة فهّموا الشباب بأن الحرب وسيلة مشوّهة للمطالبة بالحقوق ، وان في العجز وفي الضعف الالتجاء لطريقة كهذه في تطبيق رأي أو نشر فكرة — فكما أن الحيوان الأعجم لا يجد وسيلة يلجأ إليها للحصول على قوته أو للدفاع عن نفسه غير الهجوم على الفريسة أو مقاتلة الخصم — وهو لو علم طريقة غيرها لالتجأ إليها — كذلك هذا الانسان يلجأ الى الحرب ان عجز عن الرأي الصائب ... ألم نقرأ أن الحيوانات التي وُجدت غذاءً وافراً والتي اطمأنت على فراخها في الأكل والاقتناص والتي عاشت مع الانسان — هذه القرون الطويلة — فاستأنست به قد غيرت من طباعها الوحشية كثيراً أو انها نسيت تلك الطباع التي لا تحتاجها في معيشتها الجديدة ، فالدجاج نسي الطيران لأنه وجد الحب واعتمد على الانسان ، والكلاب ارتقت عن فصيلة الذئاب ، فما بال هذا الانسان لا يزال على انسانيته الأولى لم يشذب من طباعه القديمة ولم يرتفع بفكره عما ألف آباؤه وأجداده ، فعاش في مستنقع من الخرافات وقيد من أثقال العادات . . . أرأيتم عالماً تخاصم مع زميل له في رأي أو تحاورا وتناقشا في مسألة في اختصاصهما فلجأ كل منهما الى السلاح يستنصره على الخصم ويستعين به في التغلب على رأي زميله ؟! .

الحرب عجز والحرب ضعف وان كانت بنت الموت وتُظهر القوّة وتنشر الرعب ، الحرب سخرية من تفكير الانسان ، وهزؤه بأعمال العقل ، في الحرب يتساوى الانسان

والحيوان الغريزي الأعمال . . ليس هناك مشكلة الا وبالامكان وبالسهولة حلها بالرأي الصائب وبالمنطق الصادق والايمان الثابت ، ليس هناك حرب إذا تعلمنا التسامح في الرأي والحرية في العقائد، لو تعلمنا أن اختلاف الرأي لا يفسد الوداد أو يأتي على المحبة ، لو أن هؤلاء علموا الشباب بهذا كله لنبذوا الحرب وعاشوا اخوة ولأسكتوا نقيق الضفادع ونعيق الغربان الداعية الى الحرب ، ولو أن هذه المدنية التي أنشأها الانسان وغذاها الفكر كانت كما أريد لها أن تكون — لا كما هي اليوم — لعاش فيها الناس آمنين مطمئنين منعمين بكل هذه الخيرات التي أسبغها الله على خلقه والتي تفي بحاجات الناس وتشبع أهواءهم ...

أهكذا — وسريعاً أخرس أنصار الحرب وشياطين الموت أصوات السلام المتناثرة بأزيز مدافعهم وعربدات قنابلهم .

أهكذا — وسريعاً يحصل زبانية الجحيم وأبالسة الشر على النقاط فيكتسحون فريق السلام أمامهم يملكون الذرة[1] ويملكون قنبلة الهيدروجين وصواريخ الموت واشعاعات الهلاك فتوارى أنصار السلام وتساقطوا دفاعاً عن مبادئهم كتساقط الفراش على مواقد النيران . . .

لا لا أنا لا أصدق أن الباطل ينتصر على الحق ، ولا أصدق أن المنكر يقوى على صدّ الخير والاحسان ، اني أرثي لهذا الانسان الذي وجد الخير في الحرب . ان هؤلاء الذين استساغوا حياة الحرب ورائحة البارود أنانيون يريدون أن يحجبوا نور الشمس بالأكف يريدون أن يستأثروا بضوء القمر ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم . يريدون أن يستأثروا بالحرية وبالحياة وبكل شيء ... الويل لمن أراد أن يشاركهم حق العيش وحق الحياة سيثورون ويحطمون كل شيء ، وسيقتلون النساء ، والشيوخ ، والأطفال ، والعجزة ، سيفعلون كل هذه الأفاعيل باسم السلام وباسم الحرية ...

مع هذا كله فأنا أرثي لهم وأعطف عليهم انهم مساكين بؤساء فقدوا الاستقرار النفسي، وفقدوا الثقة بأنفسهم، وأبطلوا أعمال العقل فتدافعوا وراء غرائزهم، وتزاحموا وراء عواطفهم، سيندمون على ما اقترفوا من آثام ، وسيقولون ليتنا عملنا صالحاً ، وفعلنا لأخينا الانسان احساناً، سيشقون بأعمالهم، وسيندمون ولات حين مندم .

العراق — الناصرية عبد الكريم الامين

....

(١) أصبحت القنبلة الذرية بعد التفكير في القنبلة الهيدروجينية وسيلة قديمة من وسائل الحرب

الكون الموجي

« يجب علينا أن نحترم ذلك الستار الكثيف الذي حجب الله به عنا أسرار الكون » (بولتير)

استنفدت الفزياء الحديثة جهدها في سبيل الوصول الى نهائيات الأشياء وباتت تتقصى كل ظاهرة من ظواهر الكون علها توفق يوماً الى سر المادة السابحة في الفضاء المنطوية على جوهرها الحقيقي تائهاً في الخلاء. وكانت المادة مثار ظنون أسطورية تناقلها فلاسفة اليونان على لسان طاليس وزمرته حتى عهد أمبدقليس الصقلي الذي قال بتكوينها من أربعة أركان متفاوتة النسب : هي الهواء والماء والنار والتراب تعمل فيها قوتان متعارضتان هما قوة التجاذب وقوة التنافر، وتظهران في البشر على صورتي الحب والكراهية . وكان أول من قال بالذرة هو ديمقريطس الذي أعلن في شفافية وصفاء أن ليس ثمة حلاوة ومرارة وسخونة وبرودة وسواد وبياض انما ثمة ذرات وخلاء ». فكان صوته أول صوت أعلن حقيقة الجوهر الفرد الذي قطع على الفلاسفة حدسهم وتخمينهم ، حتى جاء دالتن وأفوجادرو ليخرجا لنا معاً بالمعنى العملي للذرة والجزيء ، ولكنهما احتفظا للذرة بأحاديتها وبأنها الدقيقة الصماء والجرم الصلد الذي لا ينقسم ولا يتهشم . وكشف رذرفورد وزمرته بعد ذلك عن أسرار الذرة وتتبعوا العمليات الفزة التي قام بها طومسون ففتحوا معقل الذرة الحصين على ما نتلمسه اليوم فيها من جسيمات دوارة ذات شحنات كهربية تترامى في التاريخ البشري على أنها لبنات الكون الأولى التي تتألف منها مادته وتشتق صورته . وكلنا بات يعلم أن الكهيرب (الالكترون) كان أول ما نم عن خبيئة الذرة، ودل على أسرته المتفلتة في معارج أهليليجية من الدوران الدائب الذي لا يتوقف ، قفزة في فضاء واسع يتخلل هذه الهباءة التي لم يتصورها العقل البشري دون تجريد صرف ، ثم توالت غزوات الذرة وانفسحت هذه المتناهية في الصغر لارتياد العلماء وطوافهم حتى عثروا على الأويل (البروتون) والعويطب (النوترون). ثم رصدوا بعد ذلك المويجب (البوزيترون) وهو شحنة موجبة كتلتها قدر كتلة الكهيرب ثم السويليب (الميزوترون) وهو الكهيرب الثقيل مما أثار في الأذهان صورة الكون الواسع الرهيب ومجموعاته السابحة في فضاء متمدد محدود بلا حدود . ولقد تداعت الصور الى الأذهان فأطلقوا على الذرة الوليدة اسم المجموعة الشمسية المصغرة وبدا لهم أن يربطوا

بينها وبين الكون المتناهي في الروعة والجلال ليطبقوا على كليهما قوانين واحدة. وكان رائدهم في ذلك عقيدة ابناء العصور الوسطى في أن الطبيعة كلٌ عاقل وانها مقيدة بقوانين وأن كل حادث مهما تضاءل يمكن رده الى ما سبقه بطرق محددة تنبىء عن قواعد عامة وقوانين ثابتة. وكان الكون حينئذٍ محل أنواع متعددة من الهندسة الاقليدية وغيرها حتى ظهرت الهندسة اللااقليدية على أيدي منكوفسكي وريمان واينشتين أثناء تجولهم في كون كروي بعقول نفاذة وضاءة، ففسروا الجاذبية وغيرها من ظواهر الكون وعلاته تفسيرات رياضية عالية ارتقت بالذهن البشري الى مقام سامٍ من التفكير المنزَّه عن الآلية المحضة والنماذج المصنوعة، وقاوموا التغلغل المريع الذي انساقت به بعض النظريات المتناقضة في طبيعتها كنظرية الأثير الى أذهان الناس وعقولهم ليزيدوا أبعاد الكون الثلاثة وهي الطول والعرض والعمق بعداً رابعاً هو الزمان الذي أدمجوه في المكان في متصل طرح صفحة الكون لتنبي عما نسجته يد القدرة الجليلة من ابداع محكم ورسمته من رشاقة وجمال.

ولكن هل انطبقت هذه النظريات الجذابة المبدعة على المادة في صورتها النهائية كما انطبقت عليها وهي مكدسة في مقادير كبيرة من الكواكب السيارة والأجرام. الحقيقة انها لم تنطبق تماماً انما تفاوتت في الدقة والحبكة وقصرت في التفسير والتعليل، ولولا مصادفة عارضة أتاحتها الأقدار لماكس بلانك سنة ١٩٠٠ أثناء بحثه في تشتت الطاقة الحرارية من سلك متوهج في موجات قصيرة وطويلة ومتوسطة خرج على أثرها بنظريته الرائعة في الكم أو المقدار لما تكشفت المادة عن حقيقتها الزائفة، ولما أفضت بهذا التنبيه الذي باتت تعانيه الانسانية بعد تشككها في طبيعة أصدق الأشياء في يدها وأقربها الى احساسها وتفكيرها ألا وهو المادة.

وتلخص هذه النظرية في أن الطاقة لا تنبعث في سيال انبعاثاً متصلاً بقدر ما تنبعث في قفزات أو كميات Quanta أوحت إلى الأذهان بذرية الطاقة مثلها كمثل المادة المكونة من ذرات. ولقد رجع ذلك بالتفكير إلى الضوء ونظرية نيوتن في تكونه من جسيمات لها مسارات مستقيمة مما أوقع العلماء في حيرة من أمرهم جعلتهم يرنون الى الضوء كدقائق ويصدقونه في سلوكه كموجات. والعجيب أن العلم يتوسل بالنظريات لحل مشكلاته ويعممها على كل عقدة بات يتلمس لها حلاً. وكان هذا هو ما حدا بنيلز بوهر ليطبق نظرية الكم على الذرة عسى أن يكشف القناع عن بعض التعارض الذي نشأ عن تطبيق القوانين القائمة على الذرة وأطفالها. وكان المسلم به حسب القوانين المعترف بها وقتذاك أن الكهيربات التي تدور في الذرة تقترب من النواة شيئاً فشيئاً حتى تندمج فيها لتبعث ومضة اشعاعية

تتحرر هي الضويئة أو العبيب (الفوتون) تفنى الذرة على أثرها . ولكن نيلز بوهر قال إن كهيربات الذرة لا تتحرك كجسيمات أو أجرام في غير مدارات معينة على مسافات محدودة من النواة يدور فيها الكهيرب ولكن لا يدور خلال الفضاء الفاصل بينها ، وبذلك لا يستطيع أن يقترب من النواة أكثر من مدارها الجواني فلا يتعداه .وهذا هو وجه الخلاف بين النظرية القديمة التي تقول أن الكهيرب يشع ومضاته أثناء الدوران ، ونظرية بوهر التي تقول أنه لا يشع طاقته إلاّ عند ما يقفز من مدار براني الى آخر جواني . ولكن نظرية بوهر لم تصمد أمام تقديرات رياضية مختلفة جعلتها تتوارى لتحل محلها نظرية لويس دي بروي في الميكانيكا الموجية ، وهي تقول أن الكهيرب ليس إلاّ شحنة كهربية له من خواص الجسيمات بعضها كالقصور الذاتي له من سلوك الموجات أكثره إذ أنه يتنقل ضمن مساحات مضطربة شديدة الاتصال به ترشده في مساراته وتجعل الاحتمال في تعيين منطقة وجوده أقرب من التأكيد مما جعل الفزيائيين يسمونها موجات احتمال اندفعوا على أثرها للبحث التجريبي لاثبات ثنائية المادة بقياس أطوال الموجات وحيود الكهيربات وتصوير الومضات الناشئة عن اصطدام الجسيمات المنطلقة على حاجز حساس . ولقد ترتب على هذا تفلت الكهيرب وهو من بدائيات المادة من أيدي العلماء إذ بات أصعب الأشياء في دائرة بحثهم وأبعدها عن قدرتهم لأنه لا يمكن التعرف عليه في حالة انفراد بغير أن يكون في حالة تعامل مع أجزاء أخرى من الكون يتأثر بها مهما صغرت وتناهت في الضآلة .

وكان لهذه النظرية أثران شرحنا أحدهما في مقال « مأساة تنتالوس » الذي نشرته الأهرام الغراء وهو زوال الايمان بالسببية وتداخل نظرية اللاحتمية ، في التفكير العلمي الحديث . أما الأثر الثاني فهو ما اعتور الكون الذي يصوره العلم الحاضر وهو في أبهى عصوره وعنفوان مجده من غموض لم يكن عليه أثناء التفكير البدائي الأول مما يجعلنا نتساءل ونحن في نهاية الطريق عما كنا نتصور أننا أجبنا عليه ونحن في أوله . ولو أيقن الناس وتمعنوا لأبصروا أن الطبيعة تلعب بنا في مفازات يظهر كل شيء فيها بمظهر السراب يتفلت ويتلاشى كل ما أحسسنا أننا قد تمسناه. وها نحن لا ندرك هل نحن موجات تتشمع إلى فناء، أم نحن نعيش في كون من الامتثال الصرف تربطنا قرابة تنفذ اليها بصيرتنا خلال هذا التلاطم الموجي. وسبحان علاّم الغيوب .

دكتور عبد الملك عبد الرحمن أبو عوف
كلية طب قصر العيني — قسم الكيمياء

المصطلحات العلمية ترجمة الدكتور عبد السلام الكرداني بك والاستاذ محمد أحمد الغمراوي في كتاب (أسرار الفطرة) طبع لجنة الترجمة والتأليف والنشر » .

من المسؤول؟
ترومان ام ستالين

كانت جريمة مستر والاس الذي كان وكيل رئاسة أميركا، الجريمة التي استقال بسببها، انه كان ينصح لمستر ترومان الرئيس أن يصالح ستالين رئيس روسيا وبعبارة أصح كان رأيه أن أميركا وروسيا يجب أن يعيشا في وئام حرصاً على السلام العام. ولكن ترومان الذي انفجرت القنبلة الذرية في هيروشيما بأمره وأفضت الى استسلام اليابان بلا قيد ولا شرط، ركبه الزهو والغرور كأنه هو الذي صنع القنبلة الذرية أو هو الذي اخترعها. ودفعه هذا الغرور الى استفزاز روسيا للحرب. وما زال منذ ذلك الحين الى اليوم يتبجح ويفاخر بالقنبلة الذرية ويتهدد بها الى أن عرف أخيراً واعترف أن روسيا صنعتها. ومع ذلك ما زال عرق غروره ينبض الى أن وقعت الواقعة في كوريا وأرسل جنده إليها. والى الآن روسيا لم ترسل جندياً واحداً الى كوريا. وبكل أسف لم نقرأ حتى كتابة هذه السطور إلا أن الجنوب الاميركي ينهزم أمام الشمال الشيوعي.

الى الآن لم أفهم لماذا قاسمت أميركا روسيا السوفياتية النفوذ في كوريا، فأخذت على عاتقها حماية كوريا الجنوبية، وكوريا في جوار منشوريا الروسية الشيوعية، وهي على طرف من الكرة الأرضية وأميركا على طرف آخر. وترومان يجند الآن كل شبان أميركا تجنيداً اجبارياً لكي يحارب روسيا. فيمكنه أن يضم ١٥ مليوناً تحت السلاح لهذا القصد. فما الذي ندبه لهذا العمل الهائل الفظيع. ولماذا يرسل هؤلاء الشبان الأميركان الى كوريا وغير كوريا لكي يموتوا؟ ولأجل خاطر من يموتون، ولمصلحة من يموتون؟ أهكذا يخدم السلام؟ لو طاوع والاس يوم نادى والاس بوجوب مصادقة روسيا لما اضطر الآن أن يثير الحرب العوان وأن يهدد بالقنبلة الذرية والقنبلة الهيدروجينية وغيرها. وعهدنا به وبغيره من الساسة انهم يسعون لعقد ميثاق لتحريم الأسلحة الجهنمية ضناً بأرواح العباد أن تنقرض عن الأرض

يقول لك ترومان ومن انجرّ وراءهم (ومعظمهم يهود) اننا مضطرون أن نفعل هكذا

لـكي نصد الشيوعية وإلاّ جرفت الشيوعية العالم كله فنحن ننقذ العالم منها . اذا كانت الشيوعية كما سمعنا عنها في روسـيا فاني أستغرب أن يعتنقها جميع العالم . هل جنَّ جميع الناس حتى يعتنقوا الشر الذي يؤدي بهم الى سوء المصير . اذا كانت الشيوعية في روسيا كما شاع في العالم عنها فجميع العالم يشجبها وينفر منها . ولـكن الذين يبشرون بها في غير روسيا يعنون اشتراكية ماركس المعتدلة، وخطاؤنا نحن أن نسميها شيوعية وهذه الـكلمة رديئة يعنى بها الاباحية . وأصلها الاشتراكية . والاشتراكية ليست اباحية ولا شيوعية انما هي نظام اقتصادي يقصد به أن يتسنى لـكل شخص أن يتمتع بنتاج عمله ولا يسمح لأحد أن يبتز شيئاً من تعبه . ربما كان الضمان الاجتماعي في انكلترا اخير نموذج لهذا النظام الاشتراكي المعتدل . هذا هو النظام الذي سيقبله العالم ويعم فيه . وأما الشيوعية كما شاع عنهـا في روسيا فلا يخشى أن تعم أو أن تنتشر ، لأن العالم لا يطيقها . وإذا بحثت في كل شيوعية قامت في بلاد أخرى ليست تحت سيطرة روسيا وجدت انها ليست شيوعية روسية ما هي إلا اشتراكية معتدلة عادلة حقة .

فاذا كان ترومان يريد أن يتقي شر الشيوعية الروسية فليقم في اميركا النظام الاشتراكي الحقيقي مبتدءا كما ابتدأت انكلترا بالضمان الاجتماعي . ولسوف تتوسع به حتى يصير اشتراكيـاً بحتاً بلا ضجة ولا ضوضاء ولا اخطار اجتماعية .

الاشتراكية حتى الشيوعية لا تحتاج الى دعاية ولا إلى قوة دفاع . لـكي تنشر هي مبدأ عام اجتماعي طبيعي يدافع عن نفســه ويدعو الى نفســه . هي عدوة الاستعمار والرأسمالية المستفحلة ومصيبــة ترومان التي ستجلب له الخذلان انه خاضع للرأسمالية المستفحلة . وتحت نفوذ طبقة من اليهود يضحون بكل شيء حتى بأميركا نفسها في سبيل استفحال الرأسمالية والاستعمار . وأي حرب في القرن الأخير لم يقدح اليهود شررها ؟

بقيت لي كلمة موجزة في مسألة طلب ترومان من الأمم العربية ولا سيما مصر أن تؤيد قضية أميركا في حركة كوريا في هيئة الأمم . ويأبى على مصر أن تصر على حيادها، ويتهددها بأن يحرض اسرائيل عليها لـكي تحاربها إذا كانت لا تؤيد أميركا في هيئة الأمم .

لا يخجل هذا الحلاحل المحلحل والملحلح أن يطلب من مصر ومن الأمم العربية جمعاء أن تؤيده في هيئة الأمم وهو الذي كان عدوها الألد في قضية مصر وفي قضية فلسطين . أبعد كل ذلك الطغيان يطلب من العرب تأييداً ؟ سبحان الله .

ثم نسأل فخامة الرئيس ترومان : إذا زارتنا القنابل الذرية الروسية وما جرى مجراها باعتبار أننا خصومها فـكيف نتـقيها ؟؟؟

الى خالي الراحل

للشاعرة الصغيرة
نور نافع

مهلاً ذكاء وذي الدنيا تراقبه ... نور الصباح ونفح الزهر هائبه
يا أيها الراحل الماضي إلى سفر ... وبالأزاهير قد حفت ركائبه
إذاً وداعاً لمن كانت مطيته ... ظهر المقادر والدنيا ملاعبه
إذاً وداعاً وقد خلفتنا أبداً ... وزين الركب واهتزت جوانبه
اليوم قد قام أزر الدهر معتدلاً ... إذ راح منذ انفلات الأمس (غالبه)
اليوم قد ركن الربان وانفرطت ... حبات محب ونى في البحر قاربه
ونام في الرمس من كانت وسائده ... لف الحرائر في عطر يداعبه
كيف استعاض عن الدنيا وآثره ... هذا الصغير الذي حمت غياهبه
وكيف يمضي عن الدنيا ويهجرها ... من عاش رغداً وقد ضنت متاعبه
بعمره كم تغنى الناس في زمن ... لم ينله البعد أو تأتي مغاربه
كان الصغار تغنيها صبيحتهم ... وفي المساء تغنيها كواعبه
فكان أن أعمل السيف الذي حملت ... يمينه مزق العادين صائبه
يا خال: والترب حال بين رؤيته ... وبين جلسته. والأنس صاحبه
فالصبح لابثه والليل لابسه ... حتى يشيح متى غابت كواكبه
حتى استحال سواد الليل أبيضه ... ونومه قرب ما تدنو غواقبه
بين الأصيحاب في بشر وفي طرب ... والدهر ملآن قد عيت مناكبه
ألداء أبدلها والموت أطفأها ... واليوم بالأمس قد دارت عقاربه
حييت والبعد ما بيني وبينكم ... لم يعد صدري وما ضمت ترائبه
حييت من كبدي إن كان يا كبدي ... قد ظل منك ذماء أو ذوائبه
أبقت عليك الليالي وهي باقية ... بعد التجني على الأطلال ناعبه
والله ما الصبر إلا في سواسيه ... في الناس عن سيد هذي رغائبه
وثوب غرو إذا ما المرء يلبسه ... ما يلبثن بأن تبلى جلاببه

* * *

يا دهر كل دفين أنت كاشفه ... مني وكل ثمين أنت غاصبه
أسقي ربيعي مشتاقاً فتسبقني ... يداك بالقصف إذ دانت مطايبه



مكتبة المقتطف

بين السطور

الأستاذ محمد عبد الغني حسن شاعر مطبوع وأديب موهوب وله جولات أدبية في بعض المجلات والجرائد فضلاً عن نفحات شعرية تدل على عبقرية ممتازة . وقد صدر أخيراً له كتاب من دار الفكر العربي درس فيه نقد بعض الكتاب العرب الحديثين وهم ساطع الحصري . عبد الوهاب عزام . أمين الخولي . احمد الشايب . قسطنطين زريق . فؤاد صروف . محمد صبري . عبد المجيد نافع . عزيز سوريال الخ .

فطاف بين الأدب والنقد وفي عالم التربية والفكر بين التربية والتعليم والوعي القومي والتعليم والسلام الاجتماعي والفكر العربي بين ماضيه وحاضره . ثم سار مع الفلاسفة في التصوف وفريد الدين العطار وشخصيات ومذاهب فلسفية مختلفة وأهمها محمد عبده . وتمشى مع بعض المخطوطات المنشورة . ورسالة الامام الشافعي . وتصويبات في الذخيرة لابن سيام وقوانين الدواوين . وديوان منسوب للمعري . ثم جنح الى دنيا التراجم . فذكر أبا تمام الطائي والبحتري وأبا نواس . ثم مطالعات شتى عربية وأجنبية . فجمع هذا الكتاب محاسن الأدب الحديث حفظه الله مسجلاً لهذه المحاسن .

دنيا الناس

في هذه الدنيا روائع القصص وهي مجموعة تحتوي على ٢٥ قصة محلية وطنية ضرب بها الاستاذ نقولا يوسف سهاماً صائبة في الحياة الأدبية والأخلاقية . وقد قرأت منها قصتين البهلول والشمرور . فاذا كانت سائر القصص كهاتين فهي جديرة بأن يضيع القارىء ساعة

أو أكثر في قراءتها حين يملّ شؤون الحياة ويتعب منها فهي قصص تنفس عن كربه ويريح دماغه من هموم الحياة

وقد قدّم هذا الكتاب الى قارئيه أميرُ القصة في مصر الكاتب الكبير الأستاذ محمود بك تيمور صاحب الروايات والقصص الرائعة . ولولا اعجابه به لما عني بتقريظه

والأستاذ نقولا يوسف فياض نابغ في التأليف والترجمة وله عدّة كتب بمواضيع مختلفة وله قلم سلس العبارة متين اللغة فصيحها بليغها . وله تفكيرات فلسفية قيّمة وجولات في الحياة الدنيا . ولعله ينفحنا يوماً صوراً في الحياة الآخرة، وفقه الله .

من السماء

هذا هو الشخصيتان المتباينتان الطبيب والشاعر . كيف اجتمع الطب والشعر في شخص واحد . هو الشاعر المطبوع والطبيب العلاّمة الدكتور أحمد زكي أبو شادي . أعرف هذا النابغة منذ كان يصدر مجلة « أبولـون » الشعرية معظمها من منظوماته وبعضها من منظومات أصدقائه . وأعرفه وهو يشتغل في معامل الطب والكيمياء ، وله كتاب ضخم بعنوان الطبيب والمعمل . لله كيف يجول ويصول في المعمل والمعمل يغوص في أعماق المادة حتى الذرة وهذا الغوص يستلزم ذهناً أوسع من السماء لكي يحتضن ما في السماء والأرض . ولله كيف يجول ويصول في الشعر والشعر يستلزم عقلاً فياضاً في الخيال، والخيال من مخترعات العقل المتفاعل مع الكون . لله العجب كيف اشتبك العلم والخيال ، والخيال من مخترعات العقل المتفاعل من الكون . لله العجب كيف اشتبك العلم والخيال وهما في غير اتصال .

صدر أخيراً ديوان « من السماء » للنابغة الدكتور أحمد زكي أبي شادي جمع فيه ما نظمه في سبع سنين بين سنتي ١٩٤٢ و١٩٤٧ وهو بين مصر ونيويورك فقد انفعل عقله بتقاليد الشرق العربي وبمستنبطات الغرب الأميركي ، فطرق مواضيع أخلاقية واجتماعية وعصرية مختلفة في ١٦٥ صفحة جميلة الطبع ونفيسة الورق وصريحة الحروف ، حروف اللينوتيب في مطبعة جريدة الهدى اليومية لصاحبها العلاّمة الصحفي القدير الأستاذ سلوم مكرزل . اثابهما الله خيراً جزاء هذا الجهد العلمي الفني .

فهرس الجزء الثاني

من المجلد السابع عشر بعد المئة

الديموقراطية : مسيرها ومصيرها « ملحق » : لرئيس التحرير

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد السابع عشر بعد المئة

١ اغسطس سنة ١٩٥٠ — ١٧ شوال سنة ١٣٦٩

بين الغريزة والعقل

يتعذر على النشوئي Evolutionist أن يضع أصبعه على حلقة معينة في سلسلة النشوء والارتقاء ويقول : « هنا الحد الفاصل بين الحيوان والانسان » .

الانسان كما صار الآن لم يبقَ ملتبساً بالاحياء العليا أشباه الانسان وأنسابها . لأن فرعه بسق وشمخ عالياً جدًّا عن فروع الأحياء الأخرى ، وامتاز برقيّ لا مضارع لهُ في عالم الحياة . ولكن الانسان كما كان حين انفصل عن سائر الأحياء واتجه في خط الانسانية لا يمتاز عن الفروع التي بسق من بينها بمزايا واضحة تفصله عنها . ولذلك يتعذر على أي عالم من علماء الحياة والعقل والاجتماع أن يُعرّف الانسان الأول

قد تقول : انه يُعَدُّ « انساناً » منذ صار منتصب القامة يمشي على قدميهِ . ولكن الجوبون وبعض الأحياء العليا تمشي منتصبة على القدمين . ناهيك عن الطيور التي تمشي على أقدامها . أو لعلك تقول : يعد « انساناً » لما صار يتفاهم بالنطق . ولكن لكثير من الأحياء ولا سيما اشباه الانسان اصواتاً قليلة للتفاهم فيما تقتضيه أحوالها الاجتماعية البسيطة . مع ذلك لم يصر الانسان الأول ناطقاً بالمعنى الذي نفهمه الآن . أي أنه يركّب جُمَلاً من

ألفاظ الا" بعد أن شرع يتحضر بزمن طويل . فقد حصل على كثير من مزايا اجتماعية قبل أن حصل على مزايا النطق . حتى التحضر نفسه لم يكن المزيّة (لا الميزة) الخاصة به بل سبقه اليه النمل والنحل وكلب البحر Beaver وكثير من الحيوانات الاجتماعية كما سنلمع اليه فيما بعد

أو لعلك تقول انه يُسمّىٰ « انساناً » منذ صار عاقلاً ، أي صاحب القوى العقلية الأولية - الذاكرة والاستدلال والاستنتاج - . ولكنك لا تستطيع أن تجرد الأحياء العليا من بسائط هذه القوى بتاتاً . فهي تحرزها كما يحرزها الانسان، وانما بقدر أقل جداً، حتى بعض الحيوانات الأخرى كالفيلة والكلاب تحرز جرائيم منها

لا نستطيع أن نمين الحد الفاصل بين العاقل والبهيم . فلا انتصاب القامة ولا النطق ولا التعقل ولا الاجتماعية حتى ولا التحضر تعتبر خواص للانسان دون الحيوان . وانما ربما نشأ الحد الفاصل بينهما منذ شرع العقل ينفصل عن الغريزة ويستقل عنها في الجهاد ولأجل البقاء . ومع ذلك لم يحدث هذا الانفصال فجاءة لكي يعد حداً بين الانسانية والحيوانية . وانما استغرق عهداً طويلاً كغيره من سائر عمليات التطور

* * *

وهنا قد يلوح لك أن تسأل : كيف يتميز العقل في أول نشوئه عن الغريزة ؟ فأظن أن التمايز الوحيد بينهما هو في كيفية ملاءمة البيئة . أو بعبارة أصح هو في كيفية التفاعل مع عوامل البيئة الطبيعية . فالغريزة (التي هي نتيجة سنن التطور الرئيسية : الانتخاب الطبيعي، والانتخاب الجنسي، والوراثة، وملاءمة البيئة) تجعل الحي مرناً ينصاع لمقتضيات عوامل البيئة العتيدة . وبفعل هذه السنن لتكيف اعضاء الحي بمقتضى هذه العوامل لكي يتسنى للغريزة أن تحتال على الطبيعة وتبتز منها خيرها في كنف ذلك الانصياع

وأما العقل فيحاول أن ينتزع من البيئة حقه في الحياة باخضاعها له ، لا بخضوعه لها كما تفعل الغريزة . فهو لا يصطبر على عوامل البيئة الطبيعية الى أن تكيف أعضاء جسمه لكي تصاقب البيئة بل يختلق الحيلة لمقاومة عوامل الطبيعة أو لتطويعها . فاذا لم يكن لجسمه

خياشيم وزعانف تقدره على خوض المياه اصطنع الارماث ثم الزوارق للخوض . وان لم تكن له قواضم ومخالب للحفر استخدم النبوت فالمعول الخ

الغريزة تحتال من داخل الجسم لمصاقبة البيئة . والعقل يحتال خارج الجسم على جعل الطبيعة مصاقبة له . والغريزة تعمل ببطء . والعقل يعمل بسرعة . لهذا سبق الفرع الإنساني وشمخ في سلسلة التطوّر بسرعة هائلة . اذن يمكنك أن تقول أن الانسان شرع ينفصل عن الحيوانية منذ شرع يخترع . لأنه منذ ذاك الحين أخذ يحتال والحيلة أم الاختراع كما يقال . والحاجة تفتق الحيلة . والحيلة كما تفهمها بنت العقل لا بنت الغريزة .

اشتقاق العقل من الغريزة

اذا تعمقنا في استكناه سر الحيلة فربما أدركنا أن المكر هو نواتها . ولا ريب ان الانسان الأول كان يتخذ ضروباً عديدة من المكر في صيد الحيوانات والطيور والاسماك كالكمون لها والاغراء بالطعم ونحو ذلك . ولكنه لم ينفرد وحده بالمكر . فقد سبقه اليه بعض الأحياء الدنيا بواسطة الغريزة لا بواسطة العقل . والشواهد على مكرها عديدة لا تحصى كنسيج الرتيلاء لاصطياد الذباب . ولبعض أنواع النباتات ضروب من الغريزة كالنبات القانص من نوع دروزاريا Droseria فان لهذا النبات زهراً ذا فلقتين كأنهما شفتان وبينهما رحيق يستطيبه الذباب . فاذا جعل الذباب يمتصه أطبقت الزهرة جفنيها عليه وخنقته واهتضمته .

ومن أغرب أنواع المكر الغريزي مكر حيوان بحري له خرطوم طويل ممتد من فوق فكه الأعلى وفي طرفه هنة تضيء كأن فيه جهازاً كهربائياً لهذا الغرض . فمتى كان ذلك الحيوان مصطاداً يفتح شدقيه ثم يقنطر خرطومه من فوق فكه الى أن يصبح مصباحه المضيء بين شدقيه المنفرجين . فتتجمع أسماك صغيرة حول ذلك المصباح منجذبة إليه بضيائه حتى متى وثق ذلك الماكر من حومها حول مصباحه أطبق فكيه بسرعة عليها وازدردها وسلّ مصباحه لتكرار الحيلة مرة أخرى .

فهذه حيلة غريزية لا يقل مكرها قيمة عن دهاء حيلة عقلية . لذلك نضرب صفحاً

عن المكر ولا نحسبه مزية خاصة للانسانية . ونتخطاه الى سلاح الدفاع . فالانسان الاول شرع يستعين في القتال بسلاح يبلغ الى عدوه قبل أن تبلغ أنياب عدوه وبراثنه ومخالبه إليه . يقاتله من بعيد بالمراوات والنبابيت والقذايف من عصي وحجارة . ولا يخفى أن هذه الأسلحة أجنبية عن الجسم اخترعها العقل، خلافاً للأنياب والبراثن والمخالب والأنياب السامة والحمات القارصة والأشواك الواخزة الى غير ذلك مما تستعملها الضواري والكواسر واللواذع واللواسع بحكم الغريزة

* * *

نجنح الآن الى المأوى . فلا ريب أن الانسان الاول كان يصنع من الأغصان مأوى يأوي إليه تارةً بين فروع الشجر المتشابكة وطوراً على الأرض بين جذوع الشجر كما تفعل الغورلاّ والشمبانزي والأوران أوتان . ولا بد انه تفنّن أكثر من هذه في بناء مآويه الشجرية . وما لبث أن زاد مبانيه إحكاماً واتقاناً بما أضافه إليها من طين وحجارة تمكيناً لها، وزيادة امتناع بها من زعازع الرياح واقلاقها له، واتقاءً بها من الحر حيناً والقر حيناً آخر وماصار يحتمي بها من هجمات الضواري إلاّ لما صار يبتنيها من ضخام الحجارة ولذلك كانت تلك المآوي على الغالب في أول أمرها تصنع بين فروع الشجر حيث لا تصل إليها الضواري

على أن ابتناء المآوي الاولية لم يختص به الانسان الأول، بل سبقته إليه بعض أنواع الحيوانات . فأوكار المناجذ (جمع خلد) والفئران وخلايا النحل وأوكار النمل وعشوش الطيور وأوجارها هي ضروب من المآوي . وأعجب منها المنازل التي تبتنيها كلاب الماء Beaver في مجاري المياه وشواطىء الأنهر وفي قعورها . فنها ما يمنع تجلد المياه في صقيع الشتاء . ومنها ما يقي ذلك الحيوان من عدوان الأعداء . تندهش لرؤية تلك المنازل العجيبة كأنها مدينة متعددة الابنية . فهي مبنية من الطين الدلغاني ولها أبواب ومنافذ وأروقة تصل بعضها ببعض كأن هناك عقلاً هندسها على قواعد فنية . ولكن ليس مهندسها إلاّ الغريزة التي تمهد السبيل للعقل . ولعلّ الإنسان الاول اقتبس صناعة البناء من أبنية كلاب الماء هذه فانتحل العقل ما اخترعته الغريزة . فما هو سارق حق غيره، بل هو وارث ملك أمه الغريزة .

نتقدم الآن الى وسائل الاسترزاق لعلنا نجد هناك ما ينفرد به الانسان ويمتاز به على الحيوان . أما الصيد والقنص وما اليهما فهي خلال شائعة في جميع الأحياء بلا استثناء . والانسان قد ورث الضراوة من جدّه الحيوان . وانما متى رأيناه لا يتكل على وجود الطبيعة له بالرزق متى شاءت وتفضلت ، بل هو يعده لنفسه متى شاء ، علمنا أن العقل قد طلق الغريزة وجعل يعمل عمله مستقلاً . ولكن الغريزة لم تطلقه بقي لها عمل معه .

رأى الانسان الأول أن الطبيعة تنبت الحب كالحنطة والقطاني في فصل الربيع وتجود به في آخر الصيف . وبعد ذلك لا حب فريكاً ولا جافاً فيقضي فصلين يجاهد في تحصيل الغذاء من بين أعطاف البخت والحظ في الصيد والقنص ، فيجوع أحياناً ويتخم أحياناً . فأرشدته حكمة العقل الى فضيلة الادخار . فاصطنع الأهراء لخزن الغلال . وفي هذا الاختراع أيضاً لم يكن منفرداً فقد سبقته اليه طوائف النمل والنحل ، ولعله تعلمه منها وأخذه عنها ، ولكنه ما اكتفى أن اقتبس منهما اختراع الاختزان ، بل جعل ينتهب من خلايا النحل ما اختزنه النحل .

* * *

ولما اهتدى الى فائدة الادخار توسع بها ، وجعل يدخر الحيوانات التي يصطادها أو يقتنصها ويتغذى بلحومها كالابل والأبقار والأغنام وما اليها، مما كان يستطيع التغلب عليه من الحيوانات . فكان يحصرها في حظيرة مسورة لكيلا تشرد منه ، وكان مضطراً أن يغذيها بالنبات والقش والتبن مما اعتادت أن ترعاه . وعلى التمادي أصبح يختزن العديد منها على مدى السنة . فكانت تتوالد وهي تحت رعايته . وعلى مرور الزمان ألفت تلك الحيوانات سيدها الانسان ولم تعد تنفر منه فصار يعدون لها المراعي ويخصها بها . وصار إذا انتقل من اقليم الى اقليم يسوقها معه من مرعى الى مرعى . وهكذا اخترع الانسان دواجن الحيوان

ومما يحسن ذكره وقد ساق الحديث اليه أن أحد أدوار الانسان الأولى يسمى « دور الأيائل » لأن الانسان كان في ذلك الدور يربي الأيائل كما يربي انسان اليوم الأنعام وسائر الماشية .

يالله ! حتى في هذا الاختراع لم يكن الانسان مبتكراً فقد سبقته اليه طائفة من النمل

تدعى علمياً « فورميكا سنجوينا » . فهذه الطائفة دجنت طائفة من البعوض تدعى Aphides والعلماء يسمونها « بقر النمل » لأن هذا النوع من البعوض يفرز رحيقاً يستلذه النمل . لذلك جعل النمل المذكور يعنى بتربيته لأجل رضاعة رحيقه، كما يربي الانسان الأنعام لاحتلاب لبنها . وقد ألف ذلك البعوض سيده حتى انه لم يعد يستطيع أن يفرز رحيقه إلاّ اذا دغدغه النمل بخرطومه . ومن العجيب أن النمل متى شاء الرحيل الى بيئة أخرى نقل بقراته هذه معه . فكأن اختراع الانسان في تربية الماشية ليس من مبتكراته . فقد سبقه النمل إليه.

ومن غرائب الطباق بين اختراعات العقل واختراعات الغريزة أيضاً أن الإنسان روّض بعض الحيوانات كمطايا له كالخيل والجمال والفيلة . وهناك حيوان بحري لا يعيش إلاّ على ظهر حيوان آخر من غير نوعه ، لحيث يجول حامله انتجاعاً لرزقه يكون هو صائباً رزقه . والرزقان مختلفان فلا محل لتنازع الحيوانين (ومن سوء الحظ أني نسيت اسمي هذين الحيوانين) .

عجباً إذاً . الى متى نبحث عن اختراع للإنسان لم يسبقه إليه حيوان فلا نجد ؟

قلنا آنفاً إن حكمة العقل أرشدت الإنسان الى فكرة اختزان الغلال. على ان الاختزان هذا صار يحرم الأرض من البذار الذي كان في الحالة الطبيعية الأولى يتساقط بعد النضوج على الأرض ، ويبقى مخزوناً فيها الى الربيع التالي حيث ينبت ويفرخ من تلقاء نفسه . فلما رأى الإنسان أن النبت قلّ بعد الحصد والخزن فطن الى أن النبت الربيعي هو في ذلك الحب الذي استغلّه واختزنه . فعاد يبذر قسماً منه لكي يستنبته ويستغله . وهكذا كان الزرع والبذر من جملة اختراعات الانسان الأولى . وكان ذلك الانسان القديم يتعهد الزرع كما كان يتعهد الماشية ويعنى بهما جميعاً . فهل كان مختصاً بهذا الاختراع أو سبقه إليه غيره من الأحياء كما سبقته بعضها الى اختراعاته الأخرى التي أشرنا إليها آنفاً ؟

أجل لطائفة من النمل هذه الغريزة أيضاً — غريزة الزرع . فهي تزرع نوعاً من النباتات الفطرية Fungus وتعني بها لكي تتغذى بها . ان الزرع ليس من مبتكرات الانسان الأول ولا هو من مختصاته . [في العدد القادم أعظم اختراعات الانسان الأول]

هلم نقتل الذئب
الذي في الانسان

يرينا رجال الدين في مواعظهم باب الجحيم مفتوحاً على مصراعيه. وقلما يرونا الفردوس تجري من تحته الانهار ومن كل فاكهة فيه زوجان . بعد أن طرد آدم وحواء من الجنة صارت هذه الجنة عند الانام نسياً منسياً . ولم يعد الاب والمعلم والمؤدب يذكرون للطفل الا نار جهنم لكي يرهبوه من عاقبة الخطيئة . وعلى الرغم من هذا النذير نرى الناس لا يرتدعون عن الاثم، بل لا يزالون يتمادون في الشر حتى أنهم صاروا يستنبطون مبررات لمعاصيهم وشرورهم . وفي زمن الحرب يستعين رجال الحكم بالدين في الدعوة الى التجنيد للقتال .

من ذلك أن ملك اليونان كان في حرب البلقان يضع أمامه في المركبة صورة المصلوب ويطوف في الشوارع يحرض الناس على التقدم للجندية . وفي زمن الحرب يصلي رجال الدين الى الله السلام أن ينصر دولتهم ويهلك أعداءهم حتى ان الله تعالى لم يعد يعلم من هم الجديرون بنصره ومن هم الخليقون بالهزيمة

الناس يذكرون جهنم للارهاب والتخويف من الخطيئة والشر . ولكن لم يكن هذا التخويف يردع الناس عن شرورهم ، لا تجد واحداً بالالف منهم يتجنب المعصية خوفاً من جهنم حتى ولا خوفاً من الله ، وأصبحت العبادة عندهم حصانة من عذاب الجحيم ومناعة من الدينونة . لا أكثر من واحد في الالف من الذين يصلون ويسجدون ويصومون يحسبون السجود والصلاة والصوم كافية لمغفرة خطاياهم . فيكثرون منها لكي يتاح لهم أن يرتكبوا غيرها . يصلي الواحد منهم في الصباح ويرتكب موبقة في الظهر ، ثم يصلي العصر لكي تغفر له خطيئة الظهر . وهكذا يظل يأثم ويستغفر الى يوم الدين واذا هو لا له ولا عليه (كيت) . وفيما هو يصلي يفكر بمكيدة ينصبها لجاره أو لصديقه أو لعدوه ، حتى اذا نجحت المكيدة حمد الله واستغفره عنها . ثم شرع ينسج غيرها ويستغفر ، وهكذا دواليك

إذن فنار جهنم لم تكن لتردع الانسان عن شروره . فهو يجرم ويرتكب والرحمان واسع الرحمة يغفر: «اذا كانت خطايا كم كالقرمز أبيّضها كالثلج». هكذا قال الرحمان الرحيم بلسان أحد الأنبياء . أعني أن التخويف بعذاب الجحيم لا يردع الطبع البشري عن الشر ما دامت المغفرة ميسورة والجحيم غير منظور ، وعذابه بعيد الزمن ، فلا يخوّف . وبين ذلك العذاب والأجل رحمة الله الواسعة . فقد ينجو من الجحيم أشر الأشرار اذا أتيح له أن يستغفر الله قبل انتهاء الأجل . وربما كان المحكوم عليه بالشنق أضمن لرحمة الله من غيره لأنه يعرف قرب أجله فيتوب الى الله وتذهب روحه الى باريها مغفورة لها خطاياها

يقولون انه لابد من التهديد بعذاب النار لكي يرتدع الأشرار عن الشر، والا أكل الناس بعضهم بعضاً . وأي فناء أفنى لهم من هذا الفناء بكوارث القنابل الذرية والسهام الصاروخية والطائرات المدمرة .

أما بلغ اليهم نذير النار في سقر ؟ فلماذا لم يرتدعوا ؟ ام انهم يعتصمون بحبل رحمة الرحمان الرحيم ! ام انهم يشركون الله بشرهم (اللهم غفرانك) حين يصلون اليه أن ينصرهم على اعدائهم . وبهذا الأشراك يحصلون على غفرانه

وكأني بكم تقولون: ماذا تريد؟ أتريد أن نضرب بانذار الكتب المقدسة عرض الحائط؟ اذا لم نقل للناس خافوا نار جهنم التي هي عقاب للخطيئة ، وابتعدوا عن المعصية والا فعذاب الجحيم لكم في المرصاد — اذا لم ننذرهم بهذا النذير أفلا يتمادون في غيهم ؟

وأنا أقول لكم اذا كانوا لا يخافون الله فهل يخافون النار ؟

لعمري أن نمنيهم بسعادة الجنة لخير لهم من أن نتهددهم بعذاب النار وسوء المصير . على أنهم يقولون أننا نشعر بمسرات هذه الدنيا ولكننا نعدك بسعادة الآخرة فلنتمتع بما هو حاصل من السعادة ونضرب صفحاً عما لم يحصل بعد

وحاصل القول انه لا التهديد بالنار، ولا الاغراء بجنات تجري من تحتها الأنهار تكفي لأن تقتل في الأنسان ذئب طبعه الشرير الحيواني

ما حدث في دير يسين وطبريا في فلسطين من التفظيع كشف عما في قلب الانسان الحيوان من الشر . فلم يعصمه عن الاجرام اللوحان الحجريان اللذان كتب الله فيها بأصبعه

« لا تقتل . لا تسرق . لا تشهد بالزور » . ولم يسمع هذا الانسان الأفعوان من قوله تعالى الا ما زعمه يشوع النبي قوله تعالى : سلمتكم اريحا . « صرّموا بحد السيف كل نفس فيها : الرجل والمرأة والطفل والطفلة والشيخ والشيخة ، وأخيراً أحرقوا المدينة بالنار . »

كذب الذين كذبوا عن لسان يشوع . الله لم يقل هكذا

ماذاً . كيف نحارب شرّ هذا الانسان الحيوان الافعوان ؟

يجب أن نقتل حيوانيته ، ونربي انسانيته ، ونُدمِّث خلقه لكي يرتدع من نفسه عن الشر

إذا كان هذا الإنسان الحيوان يبرر جرائمه بنص من الكتاب المقدس فكيف نتوقع أن يهذب حيوانيته ويدمِّث طبعه ويقتل الذئب الذي فيه ؟

هذا الإنسان لا يزال حيواناً ضارياً ، وقد ورث ضراوته من سلفه الحيوان الأعجم وأضاف إليها الجشع والخبث واللؤم . فاعتداؤه على غيره طبع فيه . ولكن لما ارتقى الى الانسانية واستنبط هيئته الاجتماعية بغية التعاون والتكافل والتعاضد في تحصيل الرزق ودرء الضرر واتقاء عوادي الزمن ، صار يحاول أن يقتل الذئب الذي فيه بأن يقلل من شرّه ويرتد عن طغيانه قليلاً . ولكن بكل أسف لا يزال حيواناً ضارياً في كثير من الأحوال ، لا يزال دنيئاً يفترس . لا يزال أفعواناً يلدغ لكي يصرع قرينه ويلتهمه . فكيف ننزع منه هذه الطبيعة الحيوانية .

لم يعد ينهش خصمه مباشرةً بل صار يقتله بقوّة القانون . قبل أن اخترع آلات التدمير اخترع شيئاً اسمه القانون . فهو لا ينهش مباشرةً وانما ينصب أحبولة للتهلكة . وهذه كالموت تقضي على الخصم . ان لم تقضِ فبالسيف ، وان لم تكفِ فبالمدفع ، وان لم تكف فبالطائرة المقنبلة ، فبالقنبلة الذرية . وهكذا هو يترقّى في الشر أكثر من ترقيه بالمدنية .

رأينا أن التهديد بنار جهنم لا يردعه ، والوعد بسعادة النعيم لا يغريه ، والطبيعة الحيوانية لا تزال متغلبة فيه . فما العمل ؟

نحن نرى في الانسان حتى الحيوان أخلاقاً طبيعية حسنة يمكننا أن نستغلها فيه ونستعين بها في تدميث اخلاقه .

في الانسان خلة العادة وهي خلة في الحيوان أيضاً . اذا تعوَّد الانسان أمراً صعب عليه أن يعدل عنه .

رأيت مرَّة جوادين يخرجان من الاسطبل بدعوة من صاحبهما . وإذا هما من تلقاء أنفسهما يقتربان الى المركبة ويقفان أمامها الى جانبي العريش لكي يشدهما صاحبهما الى المركبة ويلقمهما اللجامين ، فيفتحان فكيهما له من غير امتناع بل برضى ، لأنهما تعوَّدا أن يُشَدَّا الى المركبة .

وكان كلبي اذا رآني أحمل بساطه القديم الى مكان راحته يتبعني الى أن أفرشه له فيبرك عليه ، ثم أرد عليه حاشيته كغطاء . وكان اذا رآني أتهيَّأ للخروج في ميعاد معين يأتيني بالرسن لكي أقوده به . وكنت أرى الدجاجات متى غربت الشمس تأوي الى سكنها من تلقاء نفسها فيوصد بابها عليها حتى الصباح .

والرضيع متى عُوِّد أن يُلقَمَ ثدي أمه في ميعاد معين فلا يطلبه إلاَّ في ذاك الميعاد والطفل إذا عُوِّد أن يمضي الى المدرسة فلا يمكنك أن ترده عنها مهما كان فيها من ملل واجهاد عقلي . لأن العادة تسلطت عليه ، ولذلك قيل « العادة خامس طبيعة » . فاذا عُوِّد الأطفال والأحداث العمل الصالح والصدق والأمانة صارت هذه الفضائل طبيعة فيهم .

ثمَّ في الانسان مزية عزَّة النفس والشمم والكرامة . فاذا أُفهم الغلام ان الكذب مثلاً أمرٌ قبيح وعار وشين فيكفي أن تقول له : « أليس عاراً أن تكذب ؟ عيبٌ عليك أن تكذب أو تسرق . الكذب أو السرقة رذيلة . والرذيلة توسِّخ النفس وتشوِّه السمعة » . اذا أُنبته هكذا كان هذا التأنيب أفعل فيه من أن تقول له . « ان كذبت أو سرقت تذهب الى جهنم النار » . وهو لا يعلم ما هي جهنم وأين هي . وما دامت جهنم بعيدة عنه وميعادها بعيداً فلا يجزع لها .

قل للطفل أو الغلام : « تصوَّر أن رفيقك سرق منك قلمك أو دفترك فهل تبقى راضياً ؟ ألا تغضب عليه ؟ وقد تشتمه أو تضربه . إذن اذا سرقت قلمه يغضب ويشتمك وقد يضربك . فما لا تريد أن يفعله بك فلا تفعله به » . هذه الآية الذهبية تؤثر في نفس الغلام أو الطفل أكثر من التهديد بنار جهنم . ومتى تعوَّدها استحكمت فيه وكانت خير

رادع له عن الخطيئة . وتكرار تذكيره بها يجعلها خلقةً فيه .

اجتهد أن تثير في الانسان عزة نفسه وشممه وكرامته لكي تردعه عن الأذى والدناءة، واما أن تخوفه بنار جهنم وبعذاب الجحيم فلا يرعوي ما دام بينه وبين الجحيم عمرٌ يظنه طويلاً ، فضلاً عن رحمة الله . وكثيرون من الناس يحسبون جهنم خرافة أو هي أسطورة قديمة من زمن الجهل . فلا يمكن أن نستغلها في تربية الأخلاق .

والانسان مغرم باعتبار الناس له وبالشهرة بينهم ، ويلذ له أن يتحدث الناس بمحاسنه ومحامده . فلنستغل هذه الرغبة فيه . والانسان يأسف أن يحتقره الناس لفرية ارتكبها . فاذا نسبت إليه منقصة حاذر أن يرتكبها . فاذاً نذكر له مناقبه ونتحدث بمحامده أكثر منها ونتحاشى ذكر النقائص . فهو لا يحسب حساباً لنار الجحيم كما يحسب حساب لغط الناس، بموبقةٍ تنسب إليه فاذاً يجب أن نربي في الطفل هذا الشعور بعزة النفس والنخوة والكرامة لكيلا يفرط بها

التربية منذ الصغر على هذه الأخلاق السامية هي التي تنمو مع الطفل الى ان يشيخ . ولهذا قيل « من شب على خلقٍ شاب عليه » .

روى لي صديق قال : كنت نزيلاً في بيت في لندن واذا طفلة البيت وهي في السابعة من عمرها تبكي .فسألتها لماذا تبكين ؟ قالت كسرت إناء ثميناً فستغضب أمي عليَّ . فقلت : قولي لها اني أنا كسرته وسأدفع ثمنه . قالت : لا أكذب . قلت : حسناً . فأتشفع بك عند أمك وأدفع لها الثمن . قالت : لا تقبل أمي الشفاعة ولا الثمن .

هكذا يتربى الصغار على الصدق والأمانة وسائر الفضائل .

فلكي نقتل الذئب في الانسان يجب أن نثير فيه منذ الصغر ما عنده من كرامة النفس وعزتها والشمم والنخوة . وإذا ربي على هذه القاعدة فلا يشب حتى يصير رجلاً صالحاً

وإنما هناك عوامل تناهض هذه التربية الصالحة السديدة وتفسدها وأهمها العشرة . فاذا كان معشر الفتى أو الفتاة فاسداً فهو يهدم ما تبنيه التربية .

ولاصلاح هذه المفسدة يجب أن تكون التربية عامة تشمل جميع الأسرات فتلطف جداً حدة هذه المفسدة .

أظن أن سر تفوق التربية الانكليزية هو انها عامة شاملة لجميع الطبقات والعناصر. ولكن يظهر أن شدة اختلاطها أخيراً بالأمم الأخرى شرعت تفسدها.

تبتدىء التربية الصالحة في البيت ثم في المدرسة ثم في المعشر.

يجب أن يكون الأبوان أولاً صالحين فاضلين يسلكان لدى أولادهما السلوك الذي يفرضانه عليهم. وإلاّ فعبثاً أن يربيا. فاذا كان الأب يكذب على الأم وعلى الأخ فهم الولد أن الكذب سنة الأسرة وان المكر شطارة وان الخداع حكمة. وانه إذا كان لا يعرف كيف يحتال بالكذب والخداع كان «عبيطاً» وإذا كان لا يعرف كيف يخدع فلا يعرف كيف يرتزق. فاذا شبّ الولد على هذه العقيدة وجد نفسه في مستقبله مجاهداً جهاداً عسيراً في سبيل الرزق، لأنه يفقد ثقة الناس فيه فتصعب جدّاً معاملته لهم.

وإذا كان كل من الأب والأم يهين الآخر ويشتمه ويتلفظ الألفاظ البذيئة والنابية فلا يعجبا إذا جعلا الولد يهينهما ويشتمهما متى بلغ أشده. وإذا صار البيت بؤرة عربدة وخصام بين الوالدين والأولاد فأي عيشة هذه؟ وكيف يشب الأولاد في هذا الوسط الجهنمي! وكيف يمكن الولد في بيئة سلام وبين الأنام؟.

يكفي أن يكون سلوك الوالدين قويماً حتى ينمو البنون قويمي السلوك من غير زجر أو تأنيب أو اهانة. فاذا شب الولد في بيئة صالحة كهذه شعر أبواه أنه خير صديق لهما مخلص في طاعتهما، أمين في معاملتهما، صادق في حبهما، وهو يشعر أنهما أقوى سند له. وكانوا جميعاً في غبطة ليس أعظم منها في السماء.

ومتى كانت العشرة في البيت هكذا سهل على الوالدين أن يمنحا أولادهما خير النصائح والتعليم، وأمكن البنون أن ينتفعوا جدّاً من نصائح والديهم وتعليماتهم. وكان النجاح للبنين مكفولاً.

روي أنه كان وليم جايمس الفيلسوف الاميركي طالباً في إحدى الجامعات الألمانية. فورد اليه خطاب بأن أباه في مرض الموت. فكتب وليم إلى أبيه: وداعاً يا أبت. لقد كنت الشخصية المركزية في حياتي العقلية والعاطفية. إن ما لك عليّ من دين يتجاوز كل تقدير. فقد كان أثرك في نفسي مدة حياتي كلها (نقلاً عن الأستاذ سلامه موسى).

فانظر ماذا كان تأثير هذا الرجل في ابنه وهو نتيجة تربيته له .

لما انتهى ابن ركفلر الثري المشهور من الدراسة وحصل على الرتبة الثقافية اللازمة له تقدم الى أبيه وقال له : لقد انتهيت يا أبتاه من الدراسة وحصلت والحمد لله على الشهادة التي كنت توجهني اليها . فأشكر عنايتك عظيم الشكر بتربيتي وتثقيفي . والآن صار يجب علي أن أعمل عملاً أستطيعه . فأرجو منك أن تعينني رئيس دائرة من دوائر أشغالك .

فقال ركفلر الأب مبغوتاً : رئيس دائرة ؟

– نعم رئيس دائرة حسابات الزيت مثلاً .

فهز ركفلر رأسه ضاحكاً وقال : أجل . اعلم أنك برعت بالحساب التجاري ، ولكن الأشغال مهما كان نوعها لا يمكن الوثوب الى مناصبها وثوباً بل لا بدّ من الصعود اليها درجة درجة . يجب أن تبتدىء كما ابتدأت أنا . تبتدىء من تحت حتى تصل إلى فوق ، الى رئاسة مكتب .

ففكر الابن هنيهة . ثم قال : حقاً ما تقول . وليني العمل الذي تريد .

فقال له الأب . لا ، كلا . لاتصلح للعمل عندي . ابحث عن وظيفة عند غيري . ومتى صرت عند غيري رئيس دائرة فعد اليّ . والآن كل ما أستطيع أن أفعله لك هو أن أعطيك كتاب توصية .

فخرج ركفلر الصغير من لدن أبيه شبه يائس . ثم قلب صحيفة ومرّ على الاعلانات المبوبة التي فيها وهي مئات وألوف . فلفت نظره اعلان معمل يريد كاتب حسابات . فقدم اليه في البريد برسالة يعرض نفسه للخدمة . وفي اليوم التالي ورد اليه خطاب استدعاء الى المحل الذي كتب له . فما تردد أن تقدم اليه بنفسه شخصيًّا وجرت بينهما السين والجيم . وقدم له شهادته المدرسية . وطلب مدير المحل منه كتاب توصية من أحد الناس المعروفين، على الرغم من أنه عرف أنه ابن ركفلر .

فعاد الفتى الى أبيه وقال وعدتني بكتاب توصية فأرجو أن تبر بالوعد . فما تردد الأب أن أعطاه كتاب التوصية، فمضى به الى مدير المحل وأخذ الوظيفة بماهية عشرة دولارات في الاسبوع . وهي أحقر ماهية يتمناها موظف في ذلك العهد .

وما لبث أن جعل يرتقي تدريجاً في المحل الى أن صار رئيس القلم . بعد ثلاث سنين استعفى من هذا المنصب وأعطاه صاحب المحل شهادة حسنة . فمضى بها إلى أبيه قائلاً : « لقد صرت رئيس مكتب » . ودفع اليه الشهادة .

فقال أبوه : حسناً . الآن تليق أن تكون رئيس دائرة عندي . فتولى الوظيفة وبرهن عند أبيه على جدارة عظمى . وشاخ أبوه . وأورثه عشر ثروته البالغ مئتي مليون جنيه . ووقف الباقي على معهد ركفلر لكي ينفق على الثقافة العامة في جميع أنحاء العالم .

بعد ذلك الزمن الف ركفلر الشيخ لجنة وضع تحت يدها مئة وثمانين مليون دولار وسميت « معهد ركفلر » ورصده لعمل الخير . ولا تزال الى اليوم تعمل الأعمال الصالحة ، وابن ركفلر نفسه رئيس هذه اللجنة

فلو كان ركفلر قد ولى ابنه أعماله أو بعض أعماله منذ خروجه من الجامعة لما كان يعلم غير الله ما ذا يكون مصير ثروة ركفلر . على هذا النمط ربى ركفلر ابنه منذ الصغر وجاء ابن ركفلر رجلاً صالحاً

* * *

أجل أن تربية البنين الصالحين تستلزم أن يكون الوالدون صالحين أولاً . ولكن اذا لم يكن الوالدون هكذا فكيف يمكن أن نربي النشء وليس عندنا أب ولا أم يصلحان للتربية ؟. لا أعني انه ليس عندنا والدون صالحون على الاطلاق . عندنا جانب عظيم من الآباء والأمهات يصلحون لتربية الأولاد ولهم أولاد يفتخر بهم من حيث الأخلاق ولا أقصد بكلامي فئة دون فئة وطبقة دون طبقة وطائفة دون طائفة . بل أريد الكلام عن جميع الطوائف والطبقات . ولا أظنكم تجهلون أن عندنا في الشرق نقصاً كبيراً في التربية وقلة في الوالدين الصالحين للتربية . فاذا لم يكن عندنا جميع الوالدين صالحين للتربية . لا أب ولا أم فمن يربي . ومن يربي الأب والأم . واذا تقدمت الأمة ضعيفة الأخلاق من جيل الى جيل بسبب قلة المربين من والدين ومعلمين فما العمل . هذه مشكلة صعبة لعل بعض القراء يرشدون الى حلها

الام وحدها مسؤولة عن تربية الاولاد

لقد ألقت الهيئة الاجتماعية على كاهل المرأة قسماً من العمل يعده السواد الأعظم من الناس واجباً خفيفاً لطيفاً . فقالوا ماهو الا ولادة الأولاد وحضانتهم وتربيتهم تربية جسدية الى أن تستلمهم المدارس . هذه مهمة لطيفة تليق بالجنس اللطيف فلا تستلزم عناء ولا جهاداً ولا مشقة . ولذلك لم تعط العناية اللازمة لها . فكان هذا الحسبان علة ضعف التربية عندنا . وهذا خطأ . ان قسم المرأة من العمل في المجتمع الانساني ليس بالواجب الخفيف اللطيف ولا هو بالثانوي كما يظن كثيرون . إن العمل الذي هيأته الطبيعة والسنن الالهية للمرأة ليس ولادة الأولاد وحضانتهم وتغذيتهم فقط . لأن الولادة وملحقاتها سنة طبيعية تشمل جميع الأحياء . الحيوانات تلد أولاداً وتربيها أيضاً . وإنما قسط المرأة من العمل أعظم من ذلك وأسمى غاية وأكثر ضرورة ولزوماً . قسطها من العمل أن تقدم للأمة أفراداً صالحين للاندماج في جسم المجتمع وأن تمد هذا الجسم بحيوية قوية . نصيب المرأة من العمل أن تقدم للوطن شباناً وشابات أقوياء جسداً وعقلاً وأخلاقاً لينهضوا بالبلاد

فمهمة الوالدة الرئيسية ليست أن تلد أولاداً فقط، بل أن تلد أمة . مهمتها الأساسية ليست أن تحتضن بنين، بل أن تحضن وطناً . ليست مهمتها أن تربي أطفالاً ، بل أن تربي هيئة اجتماعية مترعرعة في القوى العقلية والأدبية والجسدية معاً . مهمتها أن تسبك الأمة في قالب الأخلاق والآداب العالية . مهمتها أن تهيء الناشئة لحياة اجتماعية راقية، أن تقدم للوطن رجالاً يدافعون عنه، وأن تعد الرجال للاستقلال الحقيقي . اذاً استقلال البلاد في يد أمهاتها . مهمة المرأة الرئيسية على العموم أن تلد الجنس البشري كله وأن تربيه وتدفعه في سلم ارتقائه الى العلى

هذا هو عمل المرأة فانظروا ما أعظمه عملاً وما أنبله غاية . هذا هو نصيبها من العمل مع الرجل وهو نصيبها وحدها . وقلما يشترك الرجل معها فيه . لا يستطيع الرجل أن يقوم مقامها فيه لأن نصيبه من العمل شيء آخر وهو الجهاد لاجل اعالة الأسرة . نعم إن الله

خصَّ الرجل بالقوة ففي إمكانه أن يعمل كل شيء تقريباً ولذلك ينسب له كل عمل حتى اذا عملت المرأة عملاً خارجاً عن دائرة اختصاصها نسبوه له لا لها. فاذا كتبت أو ألفت أو نظمت في شرقنا قالوا الرجل هو الذي كتب وألف ونظم. وإذا اخترعت قالوا الاختراع له لا لها. واما في الغرب فاعترفوا بأن مدام كوري هي التي اكتشفت الراديوم، وعندنا إذا المرأة ساست قالوا الرجل ساس من وراء الستار. وكم كان هذا الاعتقاد سبباً ليأس النساء. ولكن هذا الاعتقاد قد انقضى الآن وصار النجاح في الكتابة والنظم والسياسة ميسوراً للمرأة، وصار عندنا والحمد لله كاتبات وناظمات ومعلمات ومديرات مدارس ومفتشات في المعارف. فاذا نزلت المرأة عندنا الى مضمار السياسة والقضاء أفلحت كما أفلحت في المحاماة والطب. ليس قط ما يمنع المرأة أن تنافس الرجل في أي عمل من أعماله

أما الرجل فلا يستطيع أن يباري المرأة في فن التربية والتأثير على الأولاد لأنه لم يعط المواهب اللازمة للتربية والتثقيف. يستحيل عليه أن يصبر ويسهر ويحتمل ويبذل من قواه العقلية والنفسية والروحية لكي يصوغ عقول أولاد ويكوّن أمةً أو شعباً. هذه مواهب خصَّ الله بها المرأة وحدها. فتربية الأولاد هي العمل الذي تمين للمرأة في كل زمان ومكان.

وقد رأيت أهمية التربية في بناء الأمة والمجتمع. وحينما أتيح لهذا العمل مرأة مستعدة له الاستعداد الكافي كانت الأمة قوية في كل شيء ومتفوقة. وحيث لم يتح له مرأة تامة العدة والسلاح كانت الأمة ضعيفة. قال رسكن: « ان سلاح الرجل يسقط اذا لم تقلده إياه المرأة »

هذه حالنا في الشرق ولا سيما الشرق العربي. مهما بحثنا في أسباب تأخرنا وضعفنا وجدنا السبب الأساسي هو تجرد الأم من عتاد التربية. ومهما بحثنا في تدارك هذا التأخر وتفننا في وسائل معالجة هذا الضعف وجدنا أنفسنا أخيراً أمام الأم وحدها. فنحن في حاجة الى أمهات كأم وشنطن محرر اميركا. كانت أرملة وربت ابنها فقاد الأمة الأميركية في حرب التحرير حتى انتصرت واستقلت. ولما انتخبه الشعب رئيساً قال: يجب أن أشاور أمي أولاً. فذهب الى أمه مع وفد من البرلمان الاول وسألها هل توافق أن يتولى رئاسة حكومة الولايات المتحدة. قالت: لماذا لا؟ لهذا ربيتك: قال: ربيتني لقيادة الجيش. قالت ولقيادة الشعب أيضاً، فامض على بركات الله. الشعب انتخبك وصوت الشعب من صوت الرب

نحن في حاجة الى أمهات كهذه تقود الشعب عن طريق تربية قواد الشعب. الحياة البشرية كالسفينة في اوقيانوس الاجتماع المتلاطم الأمواج. والرجل هو القوة الدافعة لهذه

السفينة ، والأم هي ربان السفينة الذي يدير الدفة . فاذا لم يحسن الربان ادارة الدفة فالقوة التي تدفع السفينة تدفعها الى الصخور فتتحطم . والبرهان : —

إذا كان محتوماً بحكم السنن الالهية والطبيعية أن يبقى الطفل في عهد طفولته تحت سيطرة أمه وتأثيرها في نفسيته ، وإذا كان يتعذر جداً أن يكون للأب أقل سيطرة أو تأثير على الطفل ، وإذا كان دماغ الطفل في عهد الطفولة والحداثة كالشمع اللين تنطبع فيه المؤثرات انطباعاً يبقى مدى الحياة،فالخلق الأول الذي يتخلق به الطفل هو الذي يعين له وجهة مسيره في الحياة . فمهما تراءى لنا عمل الأم في بدء الأمر بسيطاً فهو يعين مستقبل الطفل إن صالحاً أو طالحاً . وكذلك يتعين مستقبل الأمة كلها بحسب تأثيرات أمهاتها في أخلاق أطفالها .

فتأمل اذاً ماذا تكون ناشئتنا إذا كانت معظم أمهاتنا كما نعلم من الجهل وسقم العقل ؟ يتكل الكثيرون في تربية أولادهم على المدارس ويعتقدون أن ما فات الطفل من تربية الأم يناله في المدرسة . وهذا الاعتقاد من جملة أسباب اعتبار تربية الأم شيئاً ثانوياً وتقليل أهمية نصيب المرأة من العمل . ونحن في حاجة الى أمهات يربين مربين أيضاً

ترى أن نصيب المرأة من العمل عظيم وشاق جداً . ولكن الله منحها خمس مواهب رئيسية ليس للرجل مثلها الا ظل لها . وبهذه المواهب تستطيع المرأة أن تقوم بهذه المهمة العظمى وهي : —

أولاً : جلدها وصبرها في زمن الحضانة

ثانياً : تناهيها في المحبة الوالدية الى حد التضحية حتى تضحية النفس

ثالثاً : مقدرتها على إعداد الغذاء والكساء

رابعاً : حفظ النظام وحب الأدب والحكمة

خامساً : الحرص على الجمال للارضاء والمسرة وجعل البيت جنة

وهي خصائص للمرأة ليست ميسورة للرجل الى حد أن يستغنى بها عن المرأة . وهي التي جعلت نصيب المرأة من العمل شاقاً من جهة ، وخطير الشأن من جهة أخرى ، وعظيم القيمة

وسأعود إن شاء الله في حين آخر الى شرح هذه المواهب النسوية

روز (انطونيه) حداد

المعتزل في رأس الجبل

نقاش بين ناسك وصحفي

٧ — صلة ما انقطع

الايمـــان

وهنا استأذنني أن يتعهد الماشية ويعد الطعام كالعادة . وقال: لك أن تفضّ الجرائد التي جاءتني وان تطالع فيها ريثما أنتهي من مهمتي . تجدها على المائدة .

* * *

ودخلت الى الغرفة أبتغي الجرائد فرأيت ثلاثاً من جريدة واحدة وكتاباً موضوعه « تعاون الحيوانات » وكنت قد اطلعت عليه منذ عام حين صدوره . ثمّ لمحت الخطاب الذي كان سبب تجهمه وعنوانه « من يد سيادة رئيس الدير ... للمعتزل في رأس الجبل». فحدثتني نفسي أن أفضّه وأطّلع عليه . ولكني ما لبثت أن ارتدعت لأني رأيت أن اطلاعي عليه خيانة، بعد ما جرى بيني وبينه من الأحاديث والنقاش . فيجب أن يكون لي رادع من نفسي .

— وهل يمكن أن يعلم أني اطّلعت عليه ؟

— اذن أكون لصّا .

— لعله يريد بتركه على المائدة أن يمتحن أمانتي .

— اذن لا أطّلع عليه .

وخرجت بالجرائد وجلست أطالعها تحت الشجرة الوارفة الظل وقضيت بقية النهار أكتب مذكراتي .

* * *

ولما انتهى من تعهّد الماشية خرج من الحظائر يقود حَمَلاً صغيراً وهو يقول:

سنأكل الآن لحماً مشوياً رخصاً جداً لا أظنك ذقت مثله . وهو في الشهر الثالث من عمره
قلت : رُحماكَ لا تذبحه . نحن اثنان لا يمكننا أن نأكل نصفه . ناهيك عن أني أشفق على هذا الطفل وعلى أمه

قال : ما أنت أكثر شفقة مني . وما كنت مزمعاً أن أطعمك لحمه إلاّ لشدة اكرامي لك. ندع هذا الحَمَل وأمه يتمتعان بطفولته . وليتمتع هو بصباه وشبابه . متى صار كهلاً ينتهي عمره بحق . انما هو جاء الى العالم لكي يكون فداءً للعالم . فقد كان منذ القديم غذاء للكهنة الذين كانوا يضحّون به للآلهة . وليس للآلهة مِعَدٌ تهضم لأنهم أعاروها للكهنة .

ثم ردّ الحمل الى أمه . وذبح دجاجتين حوليتين وطبخهما حين كنت أدوّن مذكراتي بعد القيلولة سألته : أما أرسلت رجائي لحضرة المحترم رئيس الدير أن يرسل لي بغلاً لكي أعود ؟ إني مستبطىء المكاري (لأنه كان قد ردّ البغل الذي جاء به مع المكاري الذي جاء بالأمس)

قال : لا تهتمّ بالعودة . أحد جوادي يوصلك الى الدير بأمان . وهو لا يضل الطريق والطريق مطروق ليس طريق غيره . اذا أصررت على العودة فغداً إن شاء الله .

– شكراً جزيلاً . أيهذا الصديق الذي لا تثمن صداقته . أرجو قبل أن أبرح من عندك أن تسمح لي بسؤال قد لا يحق لي أن أسأله لأنه خاص بشؤونك الشخصية .

فنظر فيّ متجهماً وقال : ماذا ؟

قلت : رأيتك أمس قد تجهّمت وعبست حين فضضت الخطاب الذي جاءك به المكاري. هل بلغ إليك خبرٌ سيّئ ؟ وهل يمكنني أن أخدمك خدمة بشأنه ؟

فابتسم وقال : شكراً ، ليس للخطاب شأن خطير . هو من سيدة لا أعرفها . اطلعك عليه .

ودخل في الحال الى مخدعه وعاد بالخطاب وألقاه في يدي . فقرأت : —

« سيدي الناسك في رأس الجبل

« تلقيت ردّك الكريم على خطابي ، فأشكره لك عظيم الشكر على الرغم من اقتضابه . لماذا

لا تسمح لي بمقابلة ساعة في رائعة النهار في يوم تعينه أنت؟ لأني أود أن أستفهم منك عن بعض نقط في كتابك النفيس « المجهودات العشر » . أكرر رجائي . فلا تقل « لا » . وألف شكر المخلصة ....

قلت : لا أظنك تبخل باستقبالها

قال . كتابها الأول انطوى على تقريظ لذلك الكتيب المجهول العاثر الحظ . وقد أطنبت بالمدح والثناء . ولأني لا أعتقد أن الكتاب يستحق شيئاً من ثنائها، حسبت الثناء مداهنة وطبعي ينفر من المداهنة . وطلبت اليَّ أن تزورني فرجوتها أن لا تكلف نفسها الزيارة ، لأن المزور لا يستحق ذلك الثناء فكيف بالمزيد منه

قلت : وماذا ترد على خطابها هذا ؟

قال : عدم الرد هو رد

قلت : أرى أن عدم الرد لا ينطبق على أخلاقك

قال : من شرَّين أختار أهونهما . عدم الرد شر وتبادل الردود بيني وبينها الى ما لا نهاية له شرّ آخر . فالأول أهونهما

قلت : تعني أنك لا تقبل زيارتها بتاتاً

قال : بل لا أقبل زيارة أحد البتة . ولولا توصية سيادة الورع رئيس الدير ما قبلت زيارتك . على أني ما ندمت عليها . بل أشكرها لسيادة الرئيس

— اذاً لا تأبى أن أكررها

— بالعكس أود تكرارها . لأني أنستُ بمن أفهم علمه ويفهم جهلي

قلت : هذا تناهٍ بالتواضع ياسيدي . ما ذا يمنع أن تقبل زيارة هذه السيدة لعلها جميلة تصلح شريكة لك في هذه الوحدة هنا (قلتُها مازحاً ضاحكاً)

قال : وي . وي . وي . لاريب أنها جميلة لأن خطابها ينم عن معرفة وذكاء وهما منتهى الجمال . ولكن ما ذا تنتظر هذه المرأة مني وقد أشرفتُ على أرض الميعاد التي رآها موسى الكليم من بعيد ولم يدخلها ، لأنه مات قبل الدخول اليها كما دعا عليه الرب

— كيف ذلك وأنت في أول الكهولة

— لست تحسن الفراسة . أفي سن السبعين يكون المرء كهلاً ؟

فدهشت وقلت . سن السبعين ؟ ؟ لا أصدق أنك تجاوزت الخامسة والاربعين . هذه السحنة وهذه العافية وهذه الهمة لا تضمر أكثر من الشبيبة وطالع الكهولة

— الفضل في هذه المذكرات لهذه الطبيعة ولهذه الأسرة المباركة

* * *

بعد سكون هنيهة فيما أنا لا أزال أقلب خطاب السيدة قلت : هنا تنويه بكتاب ، بقلمك أتأسف اني لم أقرأه بل لم أسمع بخبره

قال : هو بيضة الديك . لا تأسف لأنه لو كان يستحق أن تسمع بخبره لسمعت . هو كتيب حقير في موضوع جاف . ولهذا لم ينتشر ولم يعبأ به أحد ولم تكتب الصحف عنه ما يلفت النظر اليه . ولعلّ ما كتبته الصحف عنه ينفر القرّاء منه . لأنه مَن مِن الناس يكترث بالمجهولات العشر وهم قلّما يعبأون بالمعلومات

قلت . لقد أصبحت شديد الشوق الى الاطلاع على هذا الكتاب . سأبحث عنه في المكاتب

— لا تجده الاّ في مكتبتي . لأن المكاتب لم تقتنه

ودخل في الحال الى البيت وعاد بنسخة من كتيب صغير لا تتجاوز صفحاته السبعين فقلّبته واطلعت على فهرسته . فاذا المجهولات العشر هي : —

« ١ » — المبدأ الأول — « ٢ » الروح — عالم الأرواح — « ٣ » السرمدية — « ٤ » الخلق والخليقة — « ٥ » العدم — « ٦ » السببية — « ٧ » الحياة — « ٨ » سر العقل وصلته بالجسد — « ٩ » القوة القصوى والحركة — « ١٠ » مصير التطور

وقلت : لا أصبر عن قراءته دقيقة

قال : إذن أتركك معه وأنا أنضم الى إخواني

* * *

انتهيت من مطالعة الكتاب قبيل غروب الشمس على الرغم من أن مباحثه عويصة تدل

على تعمق صاحبنا بالعلوم. (وقد ألحقت في هذا الكتاب فصلي الروح والخلق منه كنموذج له ، ولما فيهما من سهولة التعبير ووضوح الموضوع ومن العلاقة بالحوار الذي دار بيننا)

* * *

بعد العشاء جلسنا عند مرتفع الجدار العالي المشرف على الوادي وقلت له : ترى هل اطلع سيادة رئيس الدير على هذا الكتاب ؟

— لا أدري . ربما اطلع عليه

— لا أظن ، والا ّ لما سمح بأقل صلة بينك وبينه، بل لحرمك الاتصال بالمؤمنين، لأنك ظهرت ملحداً في بعض فصول الكتاب، ولا سيما القصيدة الملحقة بفصل الخلق والخليقة

قال : لا أظنه كان يحرمني أو يغاضبني لأنه لاهوتي عالم يفهم ما أعني . ولو ناقشني لأبنت له أني أشد منه ايماناً بالله الذي جعلته في أعلى مقام في الخليقة

قلت : غريب قولك هذا . فصل الخلق لا يفيد ما تقول .

قال : بلى . اللاهوتيون الذين حاولوا أن يثبتوا وجود خالق غير مخلوق هم أنفسهم خلقوا الله على صورتهم ومثالهم . أما أنا فلم أخلق الله بل هو خلقني من طين الأرض ونفخ فيّ نسمة الحياة .

قلت : لم أرَ في كتابك هذا القول .

قال : لم ترَه وإنما يمكن أن يفهم من فصل الحياة جيداً أن الحياة نشأت أولاً مادة هلامية من تآلف كيماوي بين عناصر بسيطة. ثم تحركت بقوى التجاذب المختلفة . جاذبية الثقل والجاذبية الكيمية وجاذبية الالتصاق وجاذبية الملاصقة والجاذبية الشعرية وجاذبية الامتصاص الى غير ذلك ، مما يجعل جزيئات المادة تتجمع وتتفرق فيما تتحد وتنحل بفعل الألفة الكيمية . هذا موضوع لا يكفيه فصل في كتاب ، بل يقتضي كتاباً قائماً بذاته يتصدى له من هو أغزر علماً مني[1] . وحاصل القول أن الحي نشأ من التراب . وسر الحياة فيه صادر من القوة القصوى المنظمة الكون . فأصحابك اللاهوتيون بحثوا عن الله بالمجهر (الميكروسكوب) لأنه عندهم شبه انسان فكبروه . وأما أنا فبحثت عن الله في

(١) تراه في كتابي « فلسفة الوجود »

بالمنظار (التلسكوب) لأنه عظيم مالئ الكون ، فقربته إليّ أو أنا اقتربت اليه . أنا وصفت الالهي بأنه القوة العظمى مصدر جميع القوى – القوة القصوى الموجودة في كل مكان وزمان المسيرة هذا الكون . وأماهم فوصفوا الالههم بصفات انسانيتهم . جعلوه انساناً عظيماً ، نعتوه بالرحيم الغاضب المنتقم النادم المحارب الغافر الخ . فالالهي أعظم جداً من الالههم .

قلت : وما قولك بالوحي ؟

قال : قولي نفس ما قاله داود النبي الشاعر الكبير : «السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه . يوم الى يوم يذيع كلاماً ، وليل الى ليل يبدي علماً . لا قول ولا كلام . لا يسمع صوتهم ، في كل الأرض خرج منطقهم . والى أقصى المسكونة كلامهم الخ » . (المزمور التاسع عشر) . فهل وحيهم أصدق من وحي الطبيعة .

قلت : وما قولك بالرسل والانبياء .

قال : أعظمهم وأمجدهم كلهم لأنهم اهتدوا الى سر الألوهية الحقيقية في المحبة والفضيلة والصلاح ، وهدوا الأمم الى هذه الألوهية التي بها يسعد البشر ويقوم السلام بين الأنام . وهل تحسبني متعصباً أو متشيعاً إذا قلت أن تعليم يسوع الناصري هو أعظم فلسفة اجتماعية أدبية تصان بها المدنية من الانهيار . وإذا كان الجنس البشري لا يتخلق بأخلاق الناصري وأخلاق غيره من الرسل والأنبياء الذين كانوا يدعون الشعوب الى التوبة والصلاح — فلا يضمن اطراد رقيه واقترابه الى ملكوت السلام . لأنه متى صار كل واحد يحوّل الخد الأيسر لمن يلطم خده الأيمن فلا تعود تجد أحداً يلطم خداً البتة . ومتى صار كل واحد يحب أعداءه ويبارك لاعنيه فلا تعود تجد عدواً لأحد ولا أحداً يلعن أحداً . متى عمل جميع الناس بهذا التعليم صاروا اخوة يعطفون بعضهم على بعض . وهناك فئة من الفلاسفة والحكماء يستحقون التعظيم مثل كنفوشيوس وسقراط وغيرهما من حكماء الشرق . أيكفيك هذا الاعتراف مني اقناعاً لك بأني مؤمن بالله الحقيقي المجرد من جميع الترهات والخرافات ، ومبجل الرسل والأنبياء الذين دعوا الناس الى الصلاح

قلت : نعمّا هذا الايمان القوي

* * *

بعد سكوت هنيهة : قلت يلوح لي أن حادثاً خطير الشأن قضى باعتزالك هنا

قال : لم يحدث لي أخطر مما يمكن أن يحدث لغيري من الناس . وإنما ليس كل الناس تتحمل أعصابهم صروف الزمان

قلت : ان صروف الزمن عديدة ومتفاوتة الضرر والايلام . فأيها ضغط على أعصابك يا ترى ؟

فقال ضاحكاً : يالله ! أليس فيما تناقشنا بهِ من شرور البشر كفاية لسحق الأعصاب ؟ ماالجأت الى هذه العزلة الا ّ لكي أبتعد عن لؤم الناس ودسائسهم ومكرهم ورذائلهم وأنعم بصداقة هؤلاء البهائم الذين أعيش معهم

قلت : يقال أنك نُكبت بفقد أسرتك في حادث صاعقة إذ كنت متغيباً عنها فسلمتَ فلعلّ هذا الحادث كان سبب زهدك

قال : هذا حادث أليم جدًّا طبعاً . وما من إنسان يسلم من فواجع الزمان فيسلّم أمره لله . ما فقد أسرتي بقضاء الله أو بحادث طبيعي بأفجع لنفسي من معاملات الناس الرديئة

أخلصت للاصدقاء فخانوني

صدقت مع عملائي فخدعوني

خدمتُ القصّادَ اليّ فنهبوني

كنت حرّ الضمير فعوقِبت

كنت أميناً فاتُهِمت

كنت مؤاسياً للمصابين فتُركت بلا مؤاسٍ في مصيبتي

فاذا أقول لك غير أني وجدت نفسي أنني لست من هذا العالم فنبذني العالم الى هنا.

قلت متأثراً جدًّا من مرارة نفسهِ : سأبرهن لك أن في العالم واحداً مخلصاً لك

* * *

ودّعته في صباح اليوم التالي على أمل زيارة أخرى اذا سمحت الاحوال

حرية الطبيعة

بين الحصان والاوتومبيل

كان الحصان يعدو في الحقل الرحيب،لا يلوي على شيء،يكاد يسابق ظله،لا تبصره الا لمحاً،فلا تمتلىء عينك منه ، يتمنفص كأنه معجب بخفة روحه.

واذ أوتوموبيل مندفع في الطريق المحاذي للحقل ، وإذا الحصان يراكضه حتى وقف لدى مدخل الحقل الى دار المزرعة . فما كان من الحصان الا أن رفسه رفسة مرح وبطر.

فقال الأوتوموبيل : آسف جداً يا صاح : — فالتفت الحصان قائلاً : العفو يا أخي. الحق عليّ لأني أنا رفست . فأعتذر لك .

فقال الأوتو.. ولكني لم أوجع،بل أنت وجعت،فعسى أن يؤاسيك خادمك ويعالجك

فقال الحصان : أجل ان خادمي يحبني حبًا جمًا ويعني بي عنايته بعينيه.فهو بَسْطُ البنان معطاء اللهى،غمر الندى . يغدق عليّ البرسيم الطيب المضاغ،ويجرعني الشراب الطيب المنزعة . وتترفـع يداه عليّ بالعلف الغني بالشعير

فقال : الأوتو ... صه . صه . لمـاذا كل هذا التقعير في التعبير ؟ فهمت أنه يعطيك بسخاء ، وكفى

— أجل ويسكنني إصطبلاً ضخم العتبة رحب الفناء ركز فيه القنا الذبل

— كفى كفى فشخرةً

— لا تقل فشخرة،فما هي من لغة البادية قل عنجهية أو تبجحاً

فقال الأوتو... : طيب . ولا بد أنك تكافىء خادمك هذا خير مكافأة على هذه العناية الصادقة

— بالطبع أهتز حين يمتطي صهوتي . . . . فنزق الأتوموبيل وقال مقاطعاً : يمتطي

صبهوتك؟ ألا تعرف أن تقول «أحمله على ظهري» . ؟ نحن ياهذا في عصر الكهرباء عصر السرعة والاقتصاد والتسهيل . ألا تزالون أيها الخيل تلتفتون الى عصر الجاهلية فتتكلمون بالألفاظ المهجورة التي لا يفهمها مخاليق هذا العصر . ياأخي سايروا العصر

— ولكنك فهمتها أنت .

— ليس كل الخلائق مثقفين مثلي

— بماذا تثقفت ؟

—تثقفت في كلية الميكانيكيات وهي أعظم كلية في هذا العصر . وأنت هل تثقفت

— أجل . أنا تثقفت في جامعة الطبيعة ، ولا أزال أدرس الأدب والشعر والفن حين أجوب الجرباء . . .

— إهْ . إهْ . ماذا تقول؟ تجوب الجرباء؟ ألا تعرف ياأخي أن تقول أطوف الأرض؟ هذه ألفاظ ثقيلة مهجورة فلا تثقل على مسامع الخلق بها . أهذا ما أوحته لك الطبيعة من الفن والأدب والشعر

— بالطبع حين أسبح خَبَباً بين الأطواد والكثبان وأتغلغل في الخمائل والرياض ...

فقاطعه الأوتو... قائلاً : يا أخي . ياأخي . ألا تعرف أن تقول : حين أجول بين الجبال والتلال وأعبر الأحراج والغيطان ...

— نحن ياصاح من أهل البادية فلا نتكلم الا الفصحى، ولسنا كالحضر نمسخ اللغة مسخاً

— فقال الأوتو . . . وبهذه الفصحى المقمرة تتعنجهون ؟

— ليس في اللغة فعل عنجه وإنما فيها الاسم عنجهية

فقال الأوتو ... ألا يمكننا أن نبني فعلاً من هذا الاسم كما بنوا تمنطق من المنطقة ومن المنطق أيضاً، وتمدرع من الدرع، وتمندل من المنديل ؟

— لا يبنى الفعل من الاسم الا من هذه الأسماء الأربعة فقط ، وفيما سواها يشتق الاسم من الفعل ولا يعكس . هذه أصول لغتنا . فلا تتحذلق أيها الحِذْلِق

— حسن . نحن الحضر لا نحتاج الى هذه الحذلقات في اللغة . الى الآن لم تقل لي ماذا ثقفتك كلية الطبيعة

قال الحصان : حين أرعى في المروج والرياض أقول

ذهبٌ حيثما ذهبنا ودرٌّ حيث درنا وفضةٌ في الفضاء

– والله أنه لشعر جميل . أعد أعد

– وأقول في المرجة الخضراء وقد وُشّيت بالأقاحي الصفر والبيض

بساط زمرد نثرت عليه دنانير تخالطها دراهم

– وهذا والله أبدع

قال الحصان وإذا مررت بغدير والريح تلعب في وجهه أقول

وتحدث الماء الزلال مع الحصى وأتى النسيم عليه يسمع ما جرى

فكأنّ فوق الماء وشياً ظاهرا وكأن تحت الماء دراً مضمرا

فقال الأوتو ... وهذا أبدع وأبدع . لله درك يا أخي . انك متمتع بالطبيعة تمتعاً لا أمرنه . فكأنَّ الطبيعة خُلقت لك

فقال الحصان : إذاً بماذا تتمتع أنت ؟

لا أعرف التمتع الا بالجري وبما يقضيه لي عبدي من الخدم اللازمة لهذا الجري، فهو يغذيني بالبنزين ويتفقد أعضائي،فان رأى فيها علة عالجها .

– وهل تنطلق حيث تشاء

– كلا . لا أستطيع أن أنطلق الا في الطريق المستوي المعبّد . وعلى خادمي أن يمهد الطريق لي

– اذاً لا تستطيع أن تصعد الى الجبل

– بلى . لأن خادمي يمهدالطريق في الجبل متلوياً تلوي الأفعوان، بحيث يكون انحداره قليلاً جداً فأدرج في عرض الجبل يميناً،ثم شمالاً ثم يميناً ثمّ شمالاً، صعداً صعداً . الى أن أبلغ الى القمة .

– اذن إذا كنت أنا صاعداً الى الجبل يمكنني أن أنام في طريقي الوعر ساعة من الزمن ثم أبلغ الى القمة قبلك . هل تستطيع أن تطلع على الدرج

– لا يستحيل

— أنا أطلع على الدرج الى العتبة العليا الى الايوان الى السطح مهما كان مرتفعاً . أسير في الوعور في الأدغال في الصحاري في الجبال في الوديان . وأنت لا تستطيع . إذاً فما فضلك عليَّ، ولماذا فضّلك عبيدنا عليّ؟

— أنا أسرع منك. أقطع الجبل في دقيقة .

— وأنا أقطعه

— أقطع ألوف الأميال ولا أتعب وأنت تتعب بعد بضعة أميال . واذا جاريتني فبعد بضعة أخرى تنقطع أوتار قلبك . وزد على ذلك أن أخي « البص » يحمل من الأثقال ما تنوء أنت به

— البركة في البغل وابن عمي الجمل يحملان من الأثقال ما ...

فقال الأوتو ...

— ما لا تحتمله النعامة طبعاً . ولكن لو جمعت جميع الجمال والبغال والحمير في قافلة واحدة ما استطاعوا أن يحملوا ما يحمله قطار حديدي واحدٌ من أولاد عمي .

واني لأستغرب ان عبدنا الانسان لا يزال يثقل على الخيل والجمال والبغال والحمير، وقد صار يمكنه أن يقضي حاجات النقل في السيارة واللوري والقطار أضعافاً بأسهل وأسرع من غير أن تتعب هذه الناقلات أو تتألم أو تجوع ما دام في الدنيا بنزين وفحم . أفما كان جديراً به أن يرحمكم أيها الأسياد الأحياء وينقذكم من هذا الجهاد المضني

فقال الحصان : ان عبدنا الانسان مهما استنبط من وسائل النقل فلا يمكنه أن يستغني عن سادته الأحياء . فهو لا يزال يحتاج الى الحمار والجمل والبغل والجواد، ولا يزال يستغيث بها ويستنجد حتى اليوم والغد . على اني أراك أيها الأوتو ... فاقد الحرية بتاتاً، اذا رام عبدك أن تنقله سقاك بنزيناً والا تركك في اصطبلك سجيناً عطشاناً يوماً أو شهراً أو عاماً. أما أنا فعبدي مضطر أن يزرع الحقل لي برسيماً ويدعني أتبختر فيه وأشبع منه على هواي . أنا حرٌ . أنا حرٌ . وأنت عبد عبدك .

— قل هذا متى وضع عبدك الشكيمة بين فكيك ، والسرج على ظهرك ، والركاب في خاصرتك .

— اني أستلذ هذه القيود فهي تستفز حماستي ونشاطي . فهذه الثلاثة تقرن ارادتي بإرادة عبدي . وأما أنت فلا ارادة لك . وارادة عبدك في الآلات التي تدفعك . فهو مقيد مثلك . كلا كما عبدا الآلة

فقال الأوتو ... عجباً . وهل نسيت أنت . أن ارادتك فانية في ارادة عبدك . وارادة عبدك في لجامك وفي ركابك . يكزخاصرتك بسن ركابك فتنطلق . يكبح جماحك بلجامك فتقف . فما أنت أكثر حرية مني

— بلى : أنا أجمح اذا شئت في الغيط وأنطلق حيث أشاء . ثم أعود الى حظيرتي متى أشاء . أما أنت فلا تستطيع أن تتحرك وحدك من مكانك قيد أنملة . اسمع يا صاح إنك وعبدك الانسان أصبحتما في عصر الميكانيكيات الذي تفاخرانني به عبدين للآلة . بل هو أصبح أكثر عبودية منك لها ، فهو يفرح انه بالآلة استطاع أن يستغني عن الحصان واخوانه ...

فقال الأوتو . بالطبع . لأن مطامحه لم تقف عند حد ومطاليبه تجاوزت كل حد . فلم يعد الحصان واخوانه يكفونه للتحرك والانتقال . فاضطر أن يخترع السيارة والقطار والطيارة الخ

فقال الحصان : أجل يا صاحبي أجل إن مطامعه ومطالبه تجاوزت الحدود ، ولذلك تجاوزت عبوديته كل حد أيضاً . لقد أصبح الآن تحت رحمة عدده وآلاته ، مقيداً باختراعاته . لا يمكن أن يسافر اذا تأخر عن ميعاد القطار ربع دقيقة . لا يمكن أن ينام قبل منتصف الليل ما دام ضوضاء الشارع يقلق راحته . ولا يمكنه أن يأكل اللحم ثلاثة أيام في الأسبوع . وإذا تأخرت أنت عن ميعاد فتح الكبري نصف دقيقة فلا تستطيع أن تثب الى الشاطىء الثاني . ولا يقدر عبدك أن يأكل العيش إذا لم يعان السنين في الاستعداد درساً وتمريناً للحرفة التي يسترزق منها . ومع ذلك يجد في سبيل استرزاقه عقبات كثيرة من اخوانه العبيد . فهناك متمول يسابقه في الاثراء . وهناك نظام يقيده عن العمل الحر . وهناك الف عقبة وألف « عرقولة » تضيق صدره وتخمد أنفاسه . إن عبدك الانسان هذا أصبح أضيق حرية من الجندي في الجيش مهما كان ثريًا وفي سعة .

فقال الأوتو مفحماً مكابراً : ألستم أنتم مثلنا مقيدين بقيود المعيشة ؟ وهل بقيت لكم حرية .

فقال الحصان : نحن أحرار . مطالبنا محدودة كافية لمعيشتنا الهنيئة . ونتنقل بين الرياض والغياض . ونحمل معنا خيامنا وأدواتنا البسيطة ، ونجتني ما جادت به الطبيعة بقليل من التعب وحياتنا مغمورة بالحرية . فابقوا أنتم مقيدين فيما تتوهمونه من البذخ والترف ، ونحن أحرار في ما نتمتع به من بساطة المعيشة في خير الطبيعة .

عند ذلك جاء صاحب الأوتوموبيل يصحبه صاحب الحصان وركب كل منهما ركوبته وانطلقا والأوتو يقول للحصان : إن كنت تدعي أن لك فضيلة عليَّ فاركض معي ، إن كنت تستطيع أن تجاريني . هلمَّ

وتجاريا والصاحبان الراكبان يتحادثان في الطريق . وبعد مسافة طويلة قفز الأوتوموبيل الى حفرة كانت مجهولة فانقلب الى الترعة الصغيرة بعد ان وثب الراكب منه . وأصبح ظهراً تحت بطن . والترعة قليلة الماء بعرض بضعة أذرع .

وأما الحصان فلما رأى الأوتوموبيل ينقلب في الترعة وثب فوق الترعة وثبة صيرته الى الجنب الثاني وقال للأوتو : هل رأيتَ اني أجاريك وأنك لا تستطيع أن تثب . وثبتَ فوقعتَ في الترعة وأنا سليم .

وربط الرجلان السيارة بالحصان وانتهراه ، فشد السيارة فانقلبت على بطنها وجرها الحصان الى الطريق .

وحينئذٍ قال الحصان للأتوموبيل : أرأيت أنك وقعت وأنا رفعتك . فاذا وقعت أنا فلا تستطيع أن ترفعني . مهما تفننتم أيها الحضريون فلا تستغنون عن البدو . البدو أكثر حرية منكم ، وأقرب للسلامة ، وأقل تعرضاً للهلاك .

* * *

عودوا الى عصر البداوة أيها المتحضرون المجددون تسلموا وتعيشوا أحراراً .

مدهشات
الجراحة الحديثة

تبديل القلوب والكلى

هل أغرب على السمع وأدعى الى الدهشة من قولهم ان قلب فلان قد تعطل من حؤول أو ضمور فأبدلهُ الجراح بقلبٍ سليم ، أو أصاب كليته التهاب حتى عجزت عن تأدية وظيفتها فأبدلها بغيرها كما يُبدَل زنبلك الساعة اذا تعطل ؟ إنها أمنية يتمناها الناس من قبيل تمني المستحيل ، ويتعللون بإمكانها كما يتعللون بأضغاث الاحلام . على أن بعض الأطباء يشتغل بتجارب يرجو أن يتوصل بها الى هذه الغاية أو ما يقرب منها . وقد نشرت مجلة مكلور الانكليزية تجارب من هذا القبيل . وهذه خلاصتها :

اهتم الدكتور كارل منذ كان طالباً في جامعة ليون باستخدام أعضاء الحيوانات السليمة للتعويض بها عن أعضاء عليلة في الانسان ، وكان يرى ذلك ممكناً ، فجاء سنة ١٩٠٥ الى الولايات المتحدة بأميركا ، وتعين في جامعة شيكاغو ، وألحق في السنة التالية بمعمل روكفلر ، فأخذ يشتغل باخراج فكرهُ المشار إليه الى حيز العمل . فاستنبط في خياطة الشرايين والاوردة طريقة جديدة بإبرة رفيعة وخيوط حريرية دقيقة وبرع فيها حتى توصل الى قطع الأورطي أي الشريان الأكبر على مسافة قريبة من القلب وخياطته بدقة بحيث يعود الى أصله . وقد جرب طريقته هذه في الحيوانات فأتى بالغرائب بنقل الأعضاء أو بعض أجزائها من حيوان الى آخر .

فنقل اورطي كلب وخاطه بأورطي كلب آخر ، وقطع أجزاء من جدران أورطي في القطط والكلاب وخاطها في غير أمكنتها بسهولة تحت البنج الثقيل ، فكان يبنج الكلب تبنيجاً تامًّا ويجري فيه ما يريده من قطع وخياطة والكلب لا يشعر بألمٍ ما في أثناء العملية ولا بعدها ، والجروح تلتئم بسرعة ولا يحدث نزف أو التهاب ، فلا يلبث الكلب أو الهر أن يفيق من البنج حتى يعدو ولا يدري أن دمه يجري في وعاء ليس له . وكان عند الدكتور كارل هرَّة صحيحة الجسم وشريانها السباتي منقول إليها من كلب له في منزله ونقل قطعة شريان من ركبة أحد الناس وخاطها في أورطي كلبه ، ونقل بعض معاونيه قطعاً من شرايين الارانب والقطط الى الكلاب .

وقد اتصل بتجاربه المذكورة الى استخدام الأوردة في ترقيع الشرايين ، لأن الشرايين إذا تعطل أحدها وأُريد ابداله بشريان آخر لا يتأتى ذلك،اذ لا يمكن الاستغناء عن شيء منها بدون خطر على الحياة — بخلاف الأوردة فان منهـا جانباً كبيراً يمكن الاستغناء عنه بسهولة ، فيرقع به ما تعطل من الشرايين ، وترقيع الشرايين على هـذه الصورة ، يرى الدكتور كارل ، انها تعيد الحياة الى الميت . قال صاحب المقالة :

« يعترف الكثيرون منا أن القلوب والكلى يمكن اعادة الحياة إليها بحيث ترجع الى عملها بعـد ان تكون قد توقفت ومات أصحابها . فاذا استطعنا نقلها وغرسها حالاً في جسم حي يمكن رجوعها الى عملها ، وهـذه حقيقة طبية ثابتة . فقد استخرجوا قلباً بعد موت صاحبه بثلاثين ساعة وأعادوا إليه عمله ، أي الانقباض والانبساط، ونقل الدكتور كارل قلب أحد الكلاب ووضعهُ في قلب كلب آخر، ووصل بين أورطى الكلب المنقول والشريان السباتي من هذا الكلب بالخياطة الرفيعة . وكذلك بين الوريد الأجوف والوريد الوداجي فأصبح الكلب وله قلبان يشتغلان معاً أحدهما ينبض ٨٨ نبضة في الدقيقة ، والآخر مئة.

وعند الدكتور صندوق التبريد يختزن فيه قطعاً من الشرايين والأوردة لاستخدامها في الترقيع عند الحاجة ، وقد استخدم بعضها لهذه الغاية بعـد حفظها ثلاثين يوماً في الصندوق فأتت بالغرض المطلوب كأنهـا قطعت بالأمس ، كأن الطبيعة تترك بذلك فترة للانسان يفرق فيها بين موت الشخص وموت أعضائه، إذ قد يموت الإنسان وأكثر أعضائه سليمة . كأن يموت من علة في القلب مثلاً وتكون كبده وكليتاه سليمة . أو يموت بعلة في الكبد وقلبه سليم . فاذا نُزعت الأعضاء السليمة ساعة الموت يمكن حفظها في الجليد مدة طويلة لحين الحاجة ، وقد تظهر القلوب بعد موت أصحابها ذابلة جافة ، ولكنها حالما توصل بالحيوان الحي تعود الى الحياة وبقايا صاحبها الأول صارت تراباً .. »

ويرى الدكتور كارل ان دفن الميت برمته اسراف ، والأولى في اعتباره أن تحول المدافن الى مخازن مجلدة تحفظ فيهـا الأعضاء سليمة بعد موت أصحابها . وقد أخذ في الانتفاع من تجاربه فعلاً فشفى بعض فقراء الدم من الأنيميا الخبيثـة بنقل الدم الى أحد شرايينهم من شريان بعض الأصحاء ، ويتوقع أن يشفي الأنوروزما névryame\ (توسع يصيب الأوعية : شرايين وأوردة) بإبدال الشرايين المهترئة فيها بشرايين سليمة .

ولا يزال الدكتور المشار إليه يشتغل بهذه التجارب النافعة في معمل روكفلر ومعه المعاونون التلامذة ، وأكثر تجاربه على الأرانب والقطط والكلاب ، ولا يشعر حيوان منها بأذى لأنه يجري التجارب عليها بعـد التبنيج ، وإذا مات أحدها فيموت مبنجاً لا يشعر بالألم ويذهب ضحية الخدمة للإنسانية .

الدكتور هيره رزق



ذكرى خليل مطران

بمناسبة ذكرى وفاته فى أول يوليو من السنة الماضية

قم بعدنان وردد : ههنا مأتم الفصحى ومنماة البيان
ههنا مثوى إمام كان في دولة المنظوم رب الصولجان
شقت العرب عليه جيبها وعليه اليوم ناح المشرقان
جزع النيل عليه وبكى ورثاه بردى والرافدان
ملهم يستنزل الوحي ويستودع الألفاظ أسرار المعاني
ويحار الفكر في آياته أشذور هي أم عقد جمان
معدم الا من الأخلاق وال مال عرض زائل شبه الدخان
ثروة الأخلاق أبقى والغنى ليس بالديباج أو بالارجوان
قد يغر المال قوماً طمعوا وارتضوا في جمعه كل هوان
ماذا الرمس دعائم أدرجوا فيه بالأكفان لا بالطيلسان

***

مات من لو سألوا عن ناثر أنزلته الضاد في أسمى مكان

وإذا ما سألوا عن شاعرٍ أومأ العُربُ إليه بالبنانِ
خُلُقٌ سمحٌ وذكرٌ عطِرٌ في سدادٍ ووفاءٍ واتزانِ
وخيالٌ يتحدّى حُجُبَ الـ غيب يسري طارحاً طلقَ العنانِ
شادَ للفصحى بناءً شامخاً خفقَت رايتهُ فوقَ العَنانِ
واستقرّت بيعةُ الشعر له وروى الحكمةَ عنه الثقلانِ
من ضفاف النيل في مصرٍ له جلّق الفيحا الى وادي عُمانِ
كلما أنشدَ شعراً خِلْتهُ سجعةَ الورْقِ وشدْوَ الكروانِ
دررٌ تبقى على الدهر وقد يخلُدُ الذكرُ ويفنى المَلَوانِ
خلَعَ المجدُ عليها ثوبهُ واستمدّ الخُلدَ منها الفرقدانِ
بين نجواه وتجلى وحْيه تسجعُ الطيرُ وتهتزُّ المثاني
يسمعُ السامرُ منهُ طُرُفاً من فنون الشعر والآي الحسانِ
طُرُفاً تبْعثُ فيه نشوةً ربَّ صاحٍ ثمِلٍ تبتِ الجَنانِ
ليس يدري ما الذي يُسكِره نفثةُ الشيطانِ أم بنتُ الدنانِ

***

تعصفُ الأحداثُ بالمرء وكم تهدمُ الأيامُ ما يبنيه بانِ
قد سقاني الدهرُ من أكؤسه ويحَ هذا الدهر مما قد سقاني
إنما الانسانُ ظلٌّ زائلٌ وخيالٌ قدَّ من فيءِ الدخانِ
لا يغرّنّك يومٌ ضاحكٌ طيّبات العيش لا تعدو الثواني
أيها المغرقُ في آماله ليس للعاقل الا الأصغرانِ
ليس للعاقل في الدنيا سوى جَسَدٍ فانٍ وذكرٍ غير فانِ

***

ما عسى الأيامُ أن تفعل بي أنا والأيامُ في حربٍ عوانِ
لستُ أخشى الدهرَ لكني لدى فرقةِ الأحباب ذو قلبٍ جبانِ

أنا أبكي من مضى من رفقتي لست أبكي ما تولى من زماني
أسكت الموت خليلاً فاذا صمته أبلغ من كل بيان
حكم الداء عليه فقضى رب محكوم عليه غير جاني
أيها النازح عن أحبابه موعد الشمل بدار الخلد داني
كل أحبابك خل مخلص الـود لا يثنيه عن ذكرك ثاني
هل لقيت الصحب ممن سبقوا الـ ركب يستجلون أسرار الكيان
وهل استقصيت أنباء هوجو وشكسبير ودنتي وابن هاني
وهل الرفقة كالعهد بهم أم قد استهوتهم حور الجنان
مهرجان الشعر ولى وانقضى يا رعى الله ليالي المهرجان

***

أخفق الآسي وأعيا طبه فنعاه وهو معقود اللسان
ما عسى أن يفعل الآسي اذا خانه الداء وخانته الأماني
هذه الدار سراب خادع ولكم نحمل منها ونعاني
لا تهنئ من يقيمون بها الألى يمضون أحرى بالتهاني
إنما أخيارنا أسبقنا ولعمري كلنا خيل رهان
مقبل آت وغاد رائح ونزيل مسرع أو متوان
مكثر الآهات باك نائح واكف المدمع بادي الخفقان

***

ما عسى ترجون أن أسمعكم والأسى قد نال مني وبراني
مزهر مقطوعة أوتاره ورباب زهدت فيه اليدان
صادحات الروض ما أسكتها وأنا علمتها نظم الأغاني
ومغاني الأنس ماذا انتابها خلت؟ لهفي على تلك المغاني
طويت أيامها واستبدلت بدموع الغيد أعواد القيان
رب أمس كنت ترجو غده بت ترجو عوده في كل آن
انها الدنيا نعيم وشقا ليس للإنسان فيها من أمان

سليم عبد الاحد

الفكاك

عُمُرٌ ينقضي برُشْدٍ وغيٍّ ... وحياةٌ تشرَّبت كلَّ حيّ !
يا أخي ! أنت بعض نفسي ، فرفقاً ! ... لا تحاول إرهاقَ قلبي الأبيّ
أو تلُمني على وفائيَ للحقِّ ... وذَوْدِي عن الغبين الشقيّ
ذا كياني ، وذا شعوري ، فما لي ... حيلةٌ في شعور قلبي الوفيّ
لم أكن مَنْ يغادر (النيلَ) لولا ... هُ طريداً ، وإنْ أكنْ كالنبيّ
باكياً عِزةَ (الكنانة) هانتْ ... وتوارتْ كمنها العبقريّ
آسياً ، عانياً ، وقد حرَّمَ الخلـ ... ـقُ عليه السلامَ في كلّ شيّ
ألجموهُ ، وقيّدوه ، وراحوا ... يُعلنون الفكاكَ أفظعَ غيّ !
رُبما كان لأمي مَنْ افديـ ... ـهِ بروحي ، كما أفدّي نبيّي
مَن تغرَّبتُ كي أُدوِّي بما يَرْ ... جُو ، وقاسيتُ في كفاحي العتيّ
تَرجماناً له ، وحيناً دليلا ... وحميماً في بؤسهِ الأزليّ
أقبَلَ الرّجمَ راضياً وهو يشكو ... ني ، كأني غريمُ شعبٍ غبيّ !
فاتهُ لاهياً جهودي وآلامي ... دفاعاً عن حقهِ المنسيّ
وغدا سانداً نِكايةَ حُسادي ... وباغٍ بدا بثوبِ الوليّ
إنّ طعنَ الحميم أقسى وأنكى ... من شماتِ المضلّلِ الجاهليّ
وجُحود الذي نخُصُّ به الحُبَّ ... لأمضى من كل داءٍ عَييّ ! (1)

* * *

سنواتٌ خمسٌ تكادُ بها تمْـ ... ـضي أماني المعذَّبِ المَنفيّ
إنْ أكنْ قد ظَمِرتُ في جوّيَ الطلـ ... ـقِ بعُمْرٍ مجدَّدٍ ألمعيّ
ففؤادي ما زال يبكي على قو ... مي ، كحال اليهودِ و (المبكيّ) (2)
ليتنا مثلهم ، وقد أصبحوا السا ... دةَ في الدار والغِنى السرمديّ
حينما نحن يرشُقُ الحُرُّ منا ... نِدّه ، عابثاً بكل فريّ
إنّ هدمَ (الاهرامِ) أهونُ عُقبى ... من زوال التضامُنِ الوطنيّ !

أحمد زكي أبو شادي

(1) داء عيي : داء مكتوم لا يعلن عن نفسه كالسرطان الخفي
(2) ملكهم القديم الذين ينوحون عليه عند حائط المبكى (بفتح الكاف) في بيت المقدس

نظرات في النفس والحياة

-٢٤-

نظرات ناكري

(١٢) ان ألفاظ السباب اذا صارت سنة جارية في البيئة وتعوّدها الانسان وكانت أمراً مألوفاً ، فكل إنسان يشتم غيره ويقبل الشتم من غيره،فيصير تبادل المزاح بأشد أنواع السباب والشتم في مثل هـذه البيئة نوعاً من السماحة والكرم الحاتمي ودليلاً على الألفة والمودّة — ولكن من الغريب ان المشتمين في هـذه البيئة قد يتبادلان السباب وأشد أنواع الشتم بالبشاشة والسماحة في مجلس وفي مجلس آخر قد تؤدي الكلمة الهينة أو الكبيرة من السباب الى اراقة الدماء والقتل .

(١٣) ليس من السهل أن نعرف الحد الذي عنـده ينتهي باعث احترام المرء نفسه بإخفاء حقيقـة حاله وتجمّله صوناً للناس عن الاطلاع على حاجته وسوء حاله، وهو الحد الذي يبتدىء عنده النفاق المرذول،فكم من أناس ينفقون في المظاهر ويبذلون للكماليات ما هو أحق بالانفاق على الضروريات — ويرون سعادتهم في هذه الخطة كي يستطيعوا الزهو والكبرياء ، وتعيير من لا يستطيع الانفاق في سبيل الكماليات،وليحسب الناس أنهم انما ينفقون في الكماليات عن سعة في الرزق،وكي يستطيعوا احتقار غيرهم ممن ضاقت به الحال أو ممن كان أعقل من أن يلتزم هذه الخطة في الانفاق على الكماليات وهو محتاج الى الضروريات والناس أولى بأن يعطف كل على أخيه بدل الزّهو والمباهاة المؤسسة على الباطل .

(١٤) ان نصف آلام الحب اذا زهد فيه من يحبه وجفاه ناشيء من الغرور والعُجْب بالنفس ، لا من الرقة والحنان وطيب القلب . ولـكنه يخلط بين أثرته وطيب قلبه وحنانه. وقد يفعل ذلك مخدوعاً بإحساسه وهو لا يدري كما يُخدَع به القصصيون الذين يصفون أمثال هذا العاشق المهجور فيكون في انخداعهم وخداعهم للقارىء شيء من السماجة اذا فطن القارىء .

(١٥) بعض الناس قد تغيظهم سعادة أصدقائهم إذا طالع هؤلاء طالع يُمن . ولـكنهم

بالرغم من ذلك اذا أصاب صديق سوءًا وحلّت به كارثة يعطفون عليه ويظهرون الاشفاق عليه من شقائه الذي حلّ به بعد ان كانوا يحسدونه على سعادته ونجاحه . فالنفس الإنسانية قد تجمع بين مرارة الحسد وحلاوة العطف ، وبين أحقاد المنافسة والمشاركة في الحزن والمصاب . فإن احقاد المنافسة قد تختفي في نفس المرء عند ما يعثر الحظ بمُنافسيه، فيظهر له كرم المشاركة في الحزن (امّا خالصاً واما ممزوجاً بشيء خفي من التّشفي والارتياح) فرأفة الشهامة وخسة الدناءَة قد تجتمع في النفس الواحدة وقد تمتزج فيها .

(١٦) قد تعارف أكثر الناس على أن لكل منهم الحق في أن يغتاب صديقه ثمَّ يتصافحان ويتعاشران ويتزاملان بطلاقة وابتسام وإظهار للود اذا اجتمعا -- (وقد يسمع كل منهما بأذنه حتى ساعة اللقاء أو قُبيلَه شتم الآخر له ، فيدعي انه لم يسمع — ومن يحاول من الناس حملهم على تغيير هذا الطبع يلاقي مقتاً وعداءً كأنه يريد أن يحرمهم من حق لهم مقرَّر مفروض معروف ، ألاَ وهو حقهم في اغتياب معاشرهم وزميلهم. وكأنهم يخشون إذا تنازلوا عن حقهم طوعاً أن لا يتنازل غيرهم فتلحقهم الخسارة، ويحل بهم الغبن، وينقلبون بالغيظ على من يريد حملهم وحضهم على التنازل عن حقهم المقرر المفروض في اغتياب معاشريهم وزملائهم ويعدونه ظالماً لهم أو قليل الإنصاف .

(١٧) ان المرء قد يزول حبه أو تفنى مودته لانسان، فلا يرى في زوال حبه، وفناء مودته، خيانة منه لذلك الانسان ولا غدراً به ، ولا نقصاً في نفسه . أما اذا زالت مودة انسان له فانه يدهشه زوالها ويعد ذلك الزوال غدراً ونقيصة وخيانة، حتى انه قد ييأس من صلاح الناس والحياة وقد يبخع نفسه بالحزن والضيق مع انه كان لا يرى في تغيره للناس مضايقة لهم ويتألم. وكان لا يرى في تبدُّلِهِ للناس أبدالاً آلماً لهم ، ولا يفطن الى أن ذلك الخلق منه من الأثرَة وحب الذات الذي يبيح لنفسه ما لا يبيح للناس ، وينعي ويعيب على الناس ما لا ينعَى ولا يعيب على نفسه .

(١٨) كثيراً ما نخطىء فنظن أن عهدي الطفولة والصبا هما عهدا البراءة والطهارة والخلو من الكذب والخداع . وعندي أن كثيراً من الكبار لا يتقنون خداع الناس وتكلف غير الحقيقة لهم كما يتقنه الصغار . وهؤلاء الصغار يخدعون أنفسهم ويخدعون الناس بأمور ينبغي أن لا تجوز عند أحد أو تنطلي أو تختفي أو تلتبس . وكلما كبر الانسان تعلم كيف يقدّر الحق ، وكيف يميل الى البساطة الاّ إذا ظلّ المرء أشبه بالطفل في كبره ، وكم من كذبة من صغير السنّ أججت نار عداء بين الكبار ،والكبار

ينسون ما كانوا عليه في صغرهم من استساغة الكذب وسهولته لديهم ، ولا يصدقون ان صغيرهم الطاهر البريء كاذب، فيقبلون قوله على علاته، ويمعنون في المداه بسببه. ولعل عجز الصغار امام إلحاح رغباتهم أو خيالهم أو أهوائهم وقلة خبرتهم بأمور الحياة أمور تدعوهم الى عدم المبالاة اذا اعتزموا الكذب وتهيء لهم وسائل استثمار ثقة الكبار بهم. وأمثال هذه الأمور هي التي تحملهم على سلوك ما ينافي سذاجة الصغر وما يجافي طهارته — ثمّ هم اذا فوجئوا في هذا المسلك أنكروا سلوكه بدهشة وحِدّةٍ. وهذه الدهشة وهذه الحدّة يشتبه فيها البريء وغير البريء .

(١٩) مما يزيد المرء اعتقاداً في عظمته ، ويسهّله لديه ويمكنه منه خضوع من حوله وتملقهم إياه فيلبس لباس العظمة التي يلبسه إياه من حوله، وهم اذا أقنعوه بعظمته لنيل مأرب من جاهه أو مرتبته أو ماله أقنع نفسه وأقنعوا هم أنفسهم بعظمته على الأقل الى أن ينالوا ما يريدون ، والرجل المتواضع الذي لا يرى في نفسه عظمة إذا عُرض لهذا التأثير فانه قد ينتهي بأن يظن في نفسه العظمة. والمشاهدون لامثال هذه المحاولات ينتهي بهم الحال الى الاقتناع بعظمة هذا الإنسان من طريق العدوى أو الطمع الأشعبي في خير يصلهم عن طريق هـذه العظمة التي يتوسمونها لغيرهم. ولولا هذا الانخداع الأشعبي ما اشترك أكثر الناس في الاعتراف بعظمة إنسان أو تأسيس بنيانها .

(٢٠) من الغريب أن اثنين من الناس قد يشعران بميل كل الى الآخر أو بنفور كل من الآخر من غير سبب ظاهر وجيـه معروف،وكما أن بعض الناس قد ينفر من رائحة يحبها غيره أو يتأذى ويمرض من طعام يصح به غيره. فكذلك قد ينفر إنسان من مودة انسان آخر ويصيبه مرض اذا ذاق مودة هـذا الإنسان ، بينما يذوق غيره تلك المودّة ويستطيبها فيلتهمها التهاماً ويصح على ذلك . ولا تدري سبباً ظاهراً معروفاً لهذا الأمر .

(٢١) كما أن عبّاد الشيطان يعبدونه،ولكنهم يحرمون ذكر اسمه. كذلك بعض الناس يتصفون بصفات السوء،فيطلونها بطلاء يخفيها ، ويرون انه ليس من الكياسة واللباقة ، والآداب وصف أخلاقهم، حتى ولو كان وصفاً عامّاً ، ولكنه كالحز في المفصل . ويعدون ذلك من كره الواصف للانسانية المعذبة ومن قلة الرحمة بالناس،وهم يأبون هذا الوصف إذا خشوا أن يلحظ الناس فيه تعريضاً بسيئاتهم ... أما إذا كانوا يريدون الأذى لانسان زال تحريم ما كانوا يحرمونه من وصف السيئات ولا يفطنون الى أن هذا أيضاً تعريض بسيئات نفوسهم .

(٢٢) ان حكمة الله الخفية قد تقضي أن يقهر أهل الخير والفهم، وأن يذلهم وأن يرفع أهل الاثرة والحماقة والشر، ومن أجل ذلك ينبغي أن يتواضع صاحب النجاح والسعادة، وان يخشع أمام ارادة الله وقسمة الحظوظ التي تقضي بذلك وأن لا يغتر بنصيبه من الحياة فانه أشبه بما يسمى (اليانصيب)، فالحياة كثيراً ما تكون كالاقتراع هذا ينال الدمقس والحرير والقصور المشيدة، وذاك نصيبه الخرق البالية، ومعاشرة الكلاب الضالة . ولكن الانسان قلما يؤمن بذلك، بل يرى أن كل انسان نال ما يستحقه من الطيبات، فمن حرم منها كان حرمانه دليلاً على نقص وعيب، ومن لم يحرم منها بل كان نصيبه من طيبات الدنيا جزيلاً دلت جزالة نصيبه على خلوه من النقص والعيب . ولقد رأيت من مظاهر النجاح وعرفت من أسبابه ما زهدني في الهتاف للناجحين ومن السير في ركابهم . وسواء أرأيت محافظ المدينة ذاهباً الى وليمة في قصر المحافظة أم رأيت سجيناً يقاد الى المشنقة فاني لا أغتر بظواهر الأمور، بل أنظر في نفسي، وأنظر في نفوس الناس، فأرى أن محافظ المدينة ليس أعظم مني نفساً، ولست أعظم نفساً من الآثم الذي يسار به الى الهلاك، وان الأول لو رُبي كما رُبي الثاني لكان مثله .

(٢٣) يقول بعض المتكالبين على النجاح : (النزاهة أحسن وسيلة للنجاح) ولو اطمأن الرجل غير النزيه الى أن قلة النزاهة أحسن وسيلة للنجاح لما تردد في أن يكون غير نزيه، وبعضهم يرددها وهو غير آخذ بسنة النزاهة كي يظن من يعامله أنه أخذ بها، ولعله يرددها كي يأخذ الناس بها، فيربح من نزاهتهم ثم يحرمهم الربح من نزاهته.

(٢٤) ما أعجب رشاقة المرأة إذ تنافق وترائي، وما أحب وألطف خفتها ولباقتها إذ تُدَاهِن وتداجي من غير تَعَثُّر أو ارتباك — : ذلك لأن الضعيف المغلوب على أمره يحاول أن يتقن هذه الصفات، وأن يكسبها جمالاً ومحبة . وقد مرت المرأة في عصور طويلة كانت فيها في حاجة الى أن تتعلم رشاقة الرياء وجمال المداهنة

(٢٥) قد يستسيغ المرء الناس وعشرتهم على مضض وألم، وهو يحاول اخفاء ذلك كمن يشرب الدواء المُر للضرورة في هدوء واستسلام . ولكن تقلص وجهه يدل على ما يعاني من مضض، وإن أنكر ذلك، وقد يستعين بقطعة من السُّكر ليزيل به مرارة الدواء كما يستعين الأول بما هو شبيه بقطعة السكر كي يزيل مضاضة عشرة الناس من نفسه .

ع . ش

تقدم الطب

لعهد جلالة الملك فاروق

الفيتامينات

لقد عُرفت الفيتامينات وازدهرت وبُحِثت علمياً في عهد ولاية فاروقنا المحبوب لكنها كانت معروفة معرفة غامضة من عهد الاغريق في أيام بركلس. وعند ما اكتشف بردي ابنستن الشهير ظهر فيه تلميح بعيد عن وجودها. وذكروا قديماً « وجوب التغذية المختارة المنقاة » وكانوا يظنون قديماً « أنه يوجد بالجسم اجزاء تساعد على توازن الجسم ونشاطه » ثم عادوا الى الحيوانات الداجنة وعملوا تجارب عديدة بالفيران والفراخ وقد جوّعوها أو حرموها من بعض مواد غذائية ليشاهدوا الاضطرابات التي تظهر عندها على أثر هذه التجارب. وفونك هو أول من ذكر عام ١٩١١ « ضرورة وجود أجزاء بالتغذية متممة ومعوضة، وقال « ان اللبن يحتوي عوض عن الكازيين والمواد الدهنية والسكر والملح أجزاء أخرى لاغنى عنها » . وزاد على ذلك « أن واجبنا أن نبحث في اللبن والبيض عن حقيقة هذه الاجزاء »

وروشتين هو أول من اكتشف الفيتامين C ك ت عام ١٩٣٥ وكاد الفيتامين ٢ C ك ت اللاكتوفلافين أو الاريبوفلافين، وبعد ثلاث سنوات الفيتامين E توكوميزول .

ولنذكر هنا باختصار أسماء العلماء الذين ساهموا بهذه الابحاث : هبكنس وفنك الذي أشار الى بعض الأمراض الناتجة عن نقص بعض أجزاء بالتغذية. وجاء بعده ماك كُوريم وجربني وشيدل وبُلم وهُبكنتش ومالدل وأسبورن وزنهيم ولنسير وبُوردلليون الخ

وكل واحد من هؤلاء وضع حجراً أساسياً في درس هذه الفيتامينات المختلفة . ومن المؤكد أن الفيتامينات مثل المواد الخميرة والهرمونات تساعد على نشاط الجسم وحيوته

وبدونهــا كان رجال البحر والجيوش البرية والشعوب تُـصاب باضطرابات وعِلَـل جاء ذكرها بالتاريخ العـابر بدون معرفة أسبابها . وقد زالت الآن تقريباً ولنذكر أهم هذه الفيتامينات بايجاز

الفيتامين A « الف » : — عمله الفسيولوجي انه يقوي نمو الغشاء المخاطي ويقـاوم الأمراض التعفنية ويساعد البصر لاحتمال الظلام ويُعطَى في الأمراض الجلدية عند نشوئها وقساوة الجـلد وفي اضطرابات الأغشية المخاطية

الفيتامين ب١ B_1: — يُساعد هضم المواد السكرية ويُـنظِّـم حركة الأعصاب والعضلات. وهو مُـسكن ومقوٍّ للجهاز العصبي ، ويساعد في بعض اضطرابات تغذية « متابولبستيم » المواد السكرية والماء .

ونقصه بالجسم يُـعرِّض لأوجاع الرأس وهبوط القوى واحساس زائد بالجـلد وقلق وورم بالجفون ونزف داخل العين مع قلة شاهية وامساك ، ويبطىء بحركة العضلات و « نهجة » عند أقل مجهود وخفقان وتمدد بالقلب إذا قاوم فعل الديجتال وفي الأوجاع العصبية بالأرجل

الفيتامين B^2 ب٢: — أملاح مبلورة نخلية مصفرة تحل قليلاً بالماء وأقل منها بالـكحول. تقاوم فعل الهواء خصوصاً عند التفاعل القلوي وتمتزج بالحامض الفسفوريك ويدخل في الحمض الأميني وغيره من الحوامض الأمينية . وبمزجه مواد تخمرية يساعد على هضم وتحويل المواد السكرية ويحول الحوامض الأمينية والسكر الى مواد دهنية. وله تأثير خاص في حدة البصر، ويكثر إفراز البول والتحويل الملحي عن طريق الـكلى . وهو فوق ذلك يعطى للفراخ لتكثير البيض . والامتناع عن أخذه يعرض للاضطراب في العيون وفي الغشاء المخاطي والجلد وارتباك في هضم المواد الدهنية ويسبب تيبُّس مع قشور في زوايا سقف الحلق واحمرار بالحنجرة وصعوبة بالتبلع ولُـطَـع حمراء في الجلد وانتفاخ خفيف في غدد الأنف والغدد الجلدية

ويفيد عند توقف نمو الجسم وهبوط القوى وفي حالات في المعدة والامعـاء وسوء هضم المواد الدهنية والتهاب الجفون وتقرُّح في حدقة العين .

وبعده يجيء النيكوتيلاميد وهذا فيتامين لم يتركز لحد الآن . وهوَ مِـلح مُـبلورلا

لون لـه ،مرّ المذاق مالح يُحلّ بسهولة بالماء ويوجد بكثرة بالقمح والشعير والفاكهة والخضرة

يَدخل في جملة مواد تخميرية،ويساعد على هضم المواد السكرية والحوامض الدهنية في النبات والحيوان . والحامض النيكوتيك يُساعد نمو بعض الميكروبات كمكروب الدفتيريا والدسنتيريا والستافيلوكوك المذهّب والحمض المككتيك اللبني .

ونقصهُ في الجسم يعرض لمرض البلاجريا عند الانسان والحيوان ويُحدث تهيج في غشاء الحنجرة والفم وورم واحمرار باللسان وقلة قابلية للطعام وقيء وإسهال واضطراب كبدي،ويعرض لقروح وقشور بالجلد خصوصاً في الأيدي والأرجل والوجه وتهيج عصبي وضعف بالذاكرة وأحياناً هذيان هذا عند الانسان عدا الحيوان

الفيتامين B 6 ب ٦: ـ « الأدرمين » وهو مَلح مبلور طعمه مالح يحل بسهولة بالماء . يساعد انتظام خلايا الكبد والاعصاب والجلد ويزيد في نمو بعض الميكروبات،ويساعد كثيراً على شفاء البلجريا يستعمل في الأمراض العصبية والمفصلية وفي الشلل وفي الرجفان الباركنوني وأورام الدماغ وفي ضعف العضلات

الفيتامين.ش H ١ : — يوجد بكثرة بالخميرة وردّة الرُز والمِيلاس . وهو يوجد في الكبد والكلى والمخ وسائل اللبن وصفار البيض

يساعد نمو الأنسجة الفطرية وتحويل المواد الدهنية بالكبد،ونقصه بالجسم يسبب أوزيما جلدية خفيفة مع افراز دهني وقشور بالجلد خصوصاً بالأطراف،وينفع الحيوانات ، وقلته تساعد سقوط الشعر وأعراض جلدية

الفيتامين BC ب ث : — الحمض الفوليت وفيتامين م

يوجد بالكبد والكلى وعضلات البقر والعُجول وفي اللبن والجبن ، وبكثرة بالسبانخ

يقاوم فقر الدم الخبيث وفقر الدم الناتج من مرض السنبرو والبلاجريا وفقر الدم عند الحبالى،أو الناتج عن قلة التغذية .

الفيتامين ث C :— يستعمل بكثرة زائدة ضد مرض الاسكربوت والنزف الدموي والتهاب اللثة.ونقصه بالجسم يسبب هبوط القوى وضعف الأسنان وضعف مقاومة الجسم للأمراض

الحادة خصوصاً وتزداد حاجة الجسم اليه عند الحبالى والرُضّع وفي الشيخوخة وفي أثناء الأمراض الحادة خصوصاً الأمراض الصدرية

الفيتامين د D : — يوجد بالكبد وزيوت أسماك البحار ويوجد في سمك الانشوزة والسردين ولبن البقر وصفار البيض وهو يساعد امتصاص وتركيز الكلسيوم بالجسم والحمض الفسفوريك، ويركز الكلسيوم بالعظام ويوازن بين كلسيوم الجسم وفوسفات الدم. وأخذه يساعد تركيز الكلسيوم بالعظام خصوصاً بأطراف العظام الطويلة وضروري في الكساح وأمراض العظام.

ونقصه بالجسم يعرض للخوف والكدر والبكا عند الأطفال وتأخير تغطية نافوخ الرأس بالغلاف العظمي ويؤخر ظهور الأسنان وعدم متانتها وانتظامها. ويسبب الهزال ونقص في تركيب عظام الصدر والحوض والأطراف.

والفيتامين E : — يكثر بالقمح والشعير وفي زيت القمح وبزرة القطن والفول السوداني يساعد على نمو الغشاء المخاطي ونمو الجنين ويثبت توازن الفيتامين A الف يستعمل بالاضطراب العصبي والعضلي وضعف السمع وضعف حاسة الشم وفي مرض السكر وعند الحبالي ليمنع السقط.

الهرمونات

وهذه الهرمونات هي خلاصة افراز الغدد الصماء واستخلاص المادة الجوهرية الفعالة منها. وقد درست درساً وافياً عميقاً في العشرة السنوات الأخيرة والتي رغم ملابساتها ونجاحها لم يزل بعض الغموض يكتنفها. وافرازات هذه الغدد تساعد بدرجة قصوى توازن الجسم وانتظام وظائفه الفسيولوجية وكل غدة ترتبط بعمل عضو أو أكثر. وقد درست هذه الافرازات في حالتها الطبيعية السليمة وفي حالات اختلالها وزيادة افرازها عن الحد الطبيعي أو نقصه وكل حالة من هذه الحالات يترتب عليها نتائج كثيرة بين اضطراب وتهيج عصبي وعجز عن العمل في عضو معين أو أكثر وأعراض هضمية ونقص بالقوى العامة ومنها ما يتوقف عليه مهمة الأمومة والأنوثة وسلامة الوظائف التناسلية والقوة والنشاط

والاقدام عند الرجال . وهذه أعراض الغدة الدرقية المرتبط عملها بغدة الأليبوفيز في الدماغ ، والتي بفعلها الطبيعي ينتظم جميع احتراق الجسم واتزانه وتحولاته البيولوجية وهدوء الأعصاب وراحتها، وتيسير حركة القلب وضرباته أو اضطرابها وزيادة افرازها الذي يجلب عكس الأعراض المذكورة مع القلق والخوف والرجفان . وهذه موضوعات كبيرة بعيدة الغور عميقة الأثر يحتاج الى شرحها مجلدات . وهذه الغدة فوق الكلوية مع غلافها هي التي تثير الأبحاث الحديثة عن عجائب فعلها وأهميتها في حالتها الطبيعية التي تهيء للجسم النشاط والقوة والاتزان والشباب . وان ضعفت وذبلت وقل إفرازها أو اعتل فتجلب هبوط القوى والتعب وانحطاط الجسم والتراخي وشحوب الوجه واصفراره . وهذا مصل جونوميتز الروسي الذي ذاع صيته منذ أكثر من سنة لاطالة حياة الانسان والذي دوى ذكره بالآفاق وأحيا آمال الانسان واستبشاره بطول العمر وابعاد شبح الشيخوخة وتعاستها اذا استخلص هذا المصل من افراز الغشاء الخلوي بالجسم . وجاء بعده أخيراً الكورتيزون العظيم أو الكنبولند E الذي مكث كندال الأميركي ثمانية سنوات يوالي البحث والدرس والاختبار كي يستخلص من غلاف الغدة فوق الكلوية وافرازها هذا العلاج العجيب، وبعد السنين الأخرى يجد في أملاح المرارة كمية زائدة عما وجده فيها . ولم يتركز معه هذا العلاج إلاّ عام ١٩٤٧ إذ أصبح تحضيره يحتاج إلى أقل مشقة وجهد. وهذا العلاج قد استعمل بنجاح مدهش في اصابات المفاصل الحادة والذي فعله يمتد الى كل الأمراض التي مصدرها النسيج الخلوي Tissu Conjonctif مثل الروماتيزم الحاد الخطر النتائج والنقرس والقرحة الجلدية الاريماتية وأمراض الجلد الخاصة وتيبس وتكلس الجلد سكليرودرما. والشائع أن استعماله لخلاف هذه الأمراض يطيل الحياة كثيراً ويمد في عمر الانسان ويبقي له نشاطه وقوته ورجولته ويبعد عنه شبح الشيخوخة المخيف المحاط بالتعاسة والانحطاط وتراخي الاعضاء والعضلات. وهذا ما يبعث أعظم الامل عند الانسان الذي تهلل بشراً عند النبأ عن هذا العلاج العجيب. غير أن هذا الامل العظيم المحبب الى النفوس يحتاج الى الوقت والتجارب والامتحان ليتحقق تحقيقاً علميًّا ثابتاً إن شاء الله قريباً .

وكيف يمكننا استيفاء هذا الموضوع الجسيم عن تقدم الطب في عهد الفاروق أمد الله بحياته بدون أن نذكر باختصار الوثبات الجبارة التي قطعتها الجراحة في جراحة المخ والدماغ. هذه الجراحة الخطيرة الشاقة المضنية للجرّاح والمريض والتي ابتكرها كوشن الأميركي العظيم ومساعديه الأمجاد، والتي امتاز بها دي مرتل وكلوفيلس فنسان العبقري الذي توفي أخيراً وبتي دي تيللي الافرنسيين. وجراحة القلب والشرايين وجراحة الأورطي الجريئة بالذبحة الصدرية التي لحسن الحظ خرجت من المهد، وجراحة الأعصاب والغدد العصبية الجامعة ، وجراحة العصب السنباتيكي كي يساعد الشرايين على الغدد كي لا يحرم جزء من الجسم، خصوصاً الأطراف، من الدم الوافي لتغذيته بسبب انكماش الشرايين . وقد خطت الجراحة خطوات عظيمة بجراحة المعدة واستئصال نصفها أو أكثره أو أقل .وهذه عملية تحدد أصولها اليوم في الحالات التي يجب القيام بها وجراحة الصدر في السل الرئوي وغيرها وغيرها مما يصعب حصره .وقد جئنا فقط على أهم المستحدثات في هذا الباب .

وقد امتاز بعض اخواننا المصريين ببحث علاج خاص استخلصوه بعد الامتحان والتجارب المنتجة من بزر «الخلة» وهو يساعد على تمدد الشرايين، والذي نجح نجاحاً صحيحاً بمقاومة أعراض الذبحة الصدرية الخطرة ويرجع الفضل الكبير الى الدكتور محمد رجب أستاذ العقاقير في القصر العيني والدكتور كرم سمعان أستاذ المواد الطبية اللذين أوصلا هذا العلاج الى المقام الممتاز الذي اجتازه بنجاح لحد الآن والذي سيسير به بعيداً في الآتي إن شاء الله وقد امتاز بعض الأطباء المصريين كثيراً ببحث البلهارسيا والانكلستوما .

ولنا هنا أمنية عزيزة علينا صادرة عن اخلاص ووفاء وهي أن اخواننا الأطباء والعلماء المصريين لديهم وسائط كبرى جزيلة واسعة ومختبرات مجهزة أوفى تجهيز يحسدهم عليها علماء البلاد الغنية والتي هي أفقر منا ولديهم المادة البشرية متوفرة أي توفير ، كذلك الحيوانات الداجنة التي تصلح للتجارب والبحث والاختبار ،فنرغب أن يتجرد عدد كبير منهم للبحث والاكتشاف العلمي الطبي البحت، بعيدين عن معاطاة المهنة ليباشروا أعمالاً دقيقة مبتكرة — والمجال رحب واسع أمامهم بثبات وجرأة وتجلد كي يتبوأوا المكان اللائق باكتشافاتهم -- القليلة لحد الآن — وبذكائهم وكفاءتهم وبعظمة بلادهم وعظمة الفاروق مليكنا المحبوب أعزه الله وأيده بروح من عنده .

الدكتور جوزيف كميل

معجزات العلوم والفنون

في النصف الماضي من القرن الحالي

١ — ﴿ تقدم العلوم ﴾ كانت الناس تظن أن القرن التاسع عشر ، لا نظير له على الاطلاق. لانه كان حافلاً بالمخترعات التي تمت في خلاله . ولا غرو فهو العصر الذي اخترعت فيه الآلات البخارية والكهربية والتلغراف اللاسلكي « غير المتقن » والعربات الخالية من الجياد ، ثم التليفون والتلغراف .

ومن ثمة خيل لهم أنه لم يبق اختراع يستحق الاهتمام في مستقبل الايام . أما الآن وقد انقضت خمسون سنة من القرن الحاضر ، فقد أصبح في وسعنا ، أن نصف بايجاز ماتم ظهوره من المخترعات في هذه الحقبة .

٢ ﴿ السيارات ﴾ ومما ينبغي ذكره في تاريخ السيارات ، إن عربات بنز Benz ودايملر Daimler « الخالية من الجياد » كانت تسير في شوارع المدن الاوربية بعد سنة ١٨٨٠. وقبل ١٨٩٠ كان لدى بعض الشجعان من الامريكيين ، وهم إلوودهاينز ،والكسندرونطون وهنري فورد ، وفئة أخرى غيرهم ، عربات تنطلق في شوارع المدن ، مقعقعة متمتمة .

ومن غريب ما يُروى في هذا الصدد أن هاينز تلقّى في سنة ١٨٩٥ من أحد رجال بوليس مدينة شيكاغو ، انذاراً يحظر به عليه تسيير عربته الخالية من الخيول ، وذلك في شوارع المدينة. وفي نحو ذلك العهد نفسه ، ألقى القبض على رجل اسمه كورتلندفيلدبيشوب لمخالفته نظام سوق العربات ، إذ قاد سيارة في سنترال بارك في مدينة نيويورك .

٣ - ﴿ هنري فورد ﴾ وكانت المعاونة الكبرى التي أسدتها بلاد الولايات المتحدة الامريكية ، الى حرفة النقل والانتقال الميكانيكيين على الطارق ، هي النجاح في تعجيل ضم أجزاء السيارة بعضها الى بعض . وهي الحرفة التي حذقها « هنري فورد » وذلك عن طريق كبس السلع . ثم حسنها تحسيناً كبيراً . فأتيح لرجل واحد في سنة ١٩١٢ تركيب سيارة

من طراز فورد في مدة ١٤ ساعة عمل، وذلك من أجزائها المختلفة . وكانت نفقات تركيبها ثمانية دولارات و ٧٥ سنتاً . وبعد مضي ما بين انخفض متوسط الزمن الذي يقضيه الصانع في التركيب نفسه ، فصار ساعتين . وهبطت المصروفات الى دولار واحد وربع دولار .

وكان خرّاط المعادن الذي اخترع لفورد تلك القاعدة ، عامل من أهل أوهيو اسمه ولتر فلندرز Walter Flanders فأضحى خرط قالب الاسطوانة بأجمعه ، وتوسيع ثقوبه من الداخل ، ثم تخريم ثقوب المسامير « المقلوظة » وسنفرة قواعد الصمامات ، وكشط القاعدة والرأس ، ومجموعها ٢٨ عملية ، تستغرق ٤٠ دقيقة فقط . فأحدثت هذه القاعدة انقلاباً في انتاج السيارات ، مما يسّر لكل امرىء من خمسة أشخاص أمريكيين اقتناء سيارة .

٤ — ﴿ تاريخ اختراع الطائرات ﴾ ومما لاريب فيه ، ان الشيء الوحيد الذي أدهش العالم في العقد الأول من القرن الحالي ، هو الطائرة . وكان مخترعوها حتى سنة ١٩٠٠ يعدون مخبولين لا ضرر منهم . ومع ذلك ففي سنة ١٩٠٣ أعلن الأخوان رايت ، وكانا من صانعي الدراجات ، الخاملي الذكر ، من أهالي دايتون بولاية أوهيو ، أنهما تمكنا من الطيران بسرعة ٣٥ ميلاً في الساعة ، إذ مكثا في الجو زهاء دقيقة واحدة . فلم يصدقهما أحد . ولكن عصر الطيران كان قد بزغ فجره . فحدث قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى ، أن استطاعت الطائرات المقاتلة قطع مائتي ميل في الساعة . وفي الحرب العالمية الثانية تفاوتت سرعة الطائرات في الساعة بين ٣٥٠ ميلاً و ٤٠٠ ميل . ثم أصبح في وسع طائرات أخرى مجاوزة هذه السرعة ، الى أكثر من ٦٠٠ ميل في الساعة . وتعدّ الآن سرعة ٣٠٠ ميل في الساعة متوسطاً لما تقطعه طائرة الركاب التجارية . غير أن بعض طائرات التجارب قد فاق في طيرانه سرعة الصوت أي ٧٣٠ ميلاً فوق سطح البحر .

ويتحدّث المهندسون في هذه الآونة في السرعات التي تبزّ سرعة الصوت أي ألف ميل في الساعة . ومعنى هذا أن الانسان سوف يصبح في مقدوره قبل نهاية هذا القرن ، مغادرة شيكاغو مثلاً الى لندن صباحاً . ثم العودة منها في الليلة نفسها .

٥ — ﴿ تاريخ اختراع الطائرات اللاسلكية ﴾ وقد كانت النداءات الخاصة . بزيادة السرعة ، تتردد دائماً بين القوات العسكرية في الدول كافة . بل كانت هذه الاستغاثة

المطردة ، مما تستحيل تلبيتها بوساطة المحرّك المعتاد ذي المكبس . ثم انقضت عدة أعوام في البحث ، حتى وفق السير فرانك هويتل القائد البريطاني الجوي ، لطريقة صالحة للفوز بتلك الأمنية ، وذلك في الحرب العالمية الثانية . ونعني بها التحريك الغازي بالمحركات النفاثة أي الاستغناء عن المراوح المألوفة. ومع ذلك لم يتيسر حتى بهذه الوسيلة الجديدة بلوغ سرعات تفوق الصوت . لذلك وجه علماء الطبيعة التابعون لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها ،اهتمامهم الى الصواريخ الكثيفة الأجنحة، قصيرتها ، ذات الزاوية الحادة الواقعة بين خط الميل والمحور الجانبي للطائرة .وقد تمّ صنع الطائرات الصاروخية وتطييرها بضع دقائق . ولتصميم هذا الطراز من الطائرات ، كان لا بدّ من اعداد قواعد جديدة . لأن سرعة الطيران متى زادت ووصلت الى سرعة الصوت ، تتعرض الطائرات العادية للدفع وتتهدد لتمزيق أوصالها من مقاومة الهواء لها . ولما كان المحرك الصاروخي يدفع نفسه دفعاً الى الأمام ، ولا يحتاج الى الهواء من الخارج ، لذلك لا يسوغ لأي امرىء كان أن يسخر ممن يزعمون أن في وسعهم الطيران الى الكواكب . وهم أولئك الذين يفكرون في التحليق بطائراتهم الى القمر أو الى المريخ أيضاً .

٦ — ﴿ الآلات الميكانيكية بدلاً من الخيول ﴾ وهذه السرعات الجديدة العظيمة تجعل الناس تقدر القوتين الميكانيكية والكهربية حق قدرها ، في الثقافة العصرية .والدليل على ذلك ،إنه كان في بلاد الولايات المتحدة الأمريكية في سنة ١٩٠٠ نحو ٢٧ مليوناً من الخيول . وكان أكثرها يستخدم في الأعمال الزراعية . فغدونا اليوم قلما نرى جواداً واحداً حتى في الأقاليم القروية ، حيث تقوم المحاريث بهاتيك الأعمال جميعها . وتساعدها في أدائها عربات الجيب Jeep والسيارات الضخمة التي حلّت محل الجياد في المزارع . وهذا عدا المحركات الثابتة التي تدور بالبنزين فتنشر الخشب وتطحن العلف للمواشي وتقوم بمعظم الأعمال الزراعية اليومية الهينة .

وهذا مما جعل الفلاح الأمريكي يعنى أشد العناية بالطاقة الميكانيكية،فضلاً عن اهتمامه بالشؤون العلمية .

٧ ﴿ قوانين مندل في الوراثة ﴾ وفي سنه ١٩٠٠ أعيد اكتشاف قواعد الوراثة

التي كان قد وضعها الأب جريجور مندل ونشرها في نشرة نباتيـة خاملة الذكر . وذلك بعد اغفالها في زوايا النسيان مدى ٤١ عاماً . ومن ثمة أخذ علم الوراثة في التقدم . فأضحى بوساطته يتيسر ايجاد النباتات والحيوانات الجديدة ، بحسب مشيئة الانسان في أغلب الأحيان . فاستخدم الفلاح هذا العلم الجديد فتمكن من جعل أبقاره تدرّ لبناً أغزر من المألوف، وتنتج زبداً أكثر من المعتاد . وكذلك صارت عجوله تنتج لحماً بقريـاً أجود مما كان يحصل عليه من قبل. وصار القمح الذي يزرعه ، يقوى على مقاومة العواصف كما إن الذرة المهجّنة تغل محصولات ضخمة . وإن تكن المزارع الأمريكية قادرة على تغـذية الشعوب الأمريكية بأسرها ، بل إن محصولاتها تفيض على حاجاتهم الغذائية ، مع مهـاجرة سكان القرى ، الى الحواضر ، فهذا يرجع أولاً ، الى استخدام الفلاحين الأمريكيين، للآلات الزراعية الميكانيكية المتقنة . وثانياً الى تطبيقهم قوانين مندل الخـاصة بالوراثة .

٨ — ﴿ القنبلة الذرية ﴾ وكنا الى سنة ١٩٤٥ نقدر الطاقة الميكانيكية وفقاً للوقود الذي نحرقه في الفرن المولد لها . حتى حلّ العام الأخير من أعوام الحرب العالمية الثانية، فأعلن خبر فحواه، إن فريقاً من علماء الطبيعة اخترع قنبلة ذرية كلفتهم بليونين من الدولارات وذلك بشطر ذرة اليورانيوم ،على النمط الذي اكتشفه العالمان الألمانيان «هان وستراسمان» في آخر سنة ١٩٣٨ . فأمكنهم اطلاق بعض الطاقة العظيمة التي توثق دقائق الذرة بعضهـا ببعض . فولدت نتائج مروعة في بلاد اليابان ، التي ألقيت عليهـا . وقد تبيّـن أنه يسهل تسخير هذه الطاقة في توليد طاقة ميكانيكية تستخدم على البرّ أو في السفن [1] التي تمخر عباب البحر . وذلك قبل أن ينتهي القرن الحالي .

وغني عن البيان أن الانسان منذ عصر التوحش ، من ملايين السنين، عند ما اكتشف طريقة صنع النار واستخدامها ، لم يظفر بظفر صناعي رائع يشبه اختراع القنبلة الذرية .

٩ — ﴿ نظرية النسبية ﴾ ولم يكن هذا الاختراع ابن يومه ، بل نتيجة مباحث تليدة ، أشار اليها قدماء العلماء . فما كاد يحلّ القرن الحالي ، حتى شرع علماء الطبيعة يقولون للعالم إن في كوب من الماء طاقة كافية لتسيير باخرة من عابرات المحيطات. إذ نبغ في سويسرا

(١) الكاتب — راجع مقالنا على تسيير السيارات والطائرات بالطـاقة الذرية المنشور بمقتطف مايو سنة ١٩٤٦

شاب من الباحثين في العلوم هو البرت اينشتين . فأعلن سنة ١٩٠٥ نظريته الخاصة بالنسبية وبهذه المعادلة الكيماوية البسيطة، تيسر لكل طالب من طلبة المدارس العليا تقدير ما يوجد من الطاقة في بقعة من الطين مثلاً فيحصل على جواب مؤلف من أرقام مدهشة .

وكذلك أدرك العلماء قبل وصولهم الى هذه الحقيقة، أن الذي كان يقع في المعمل الكيماوي كان يحدث مثله في الكواكب أيضاً . ولكنه في الكواكب أعظم مقياساً. وإن الذرات عينها موجودة في الكون بأسره. بيد أن الحرارة في الكواكب ترتفع ارتفاعاً عظيماً جداً يبلغ ملايين الدرجات كما ترتفع الضغوط الى ملايين الاطنان. وكانت الذرات ، وما زالت تتمزق بوساطة هاتيك القوات الهائلة ، ثم يعاد تأليفها . وبهذه الطريقة كانت المادة تتحول طاقة، والطاقة الى مادة . ثم أدركوا أخيراً لماذا تضيء الكواكب . وذلك إنهم عرفوا هذه المعلومات جميعها من خطوط الطيف الضوئي للكواكب ، بانحلال النور الى ألوانه الأصلية ، بانعكاسه على موشور زجاجي وغيره. ولكن هذا البلاغ العلمي لم تستطع الناس ادراك كنهه في حينه كما يجب الا عند ما علموا أن الذرة مؤلفة من دقائق أصغر منها .

١٠ – ﴿ التلسكوب الأعظم ﴾ التليسكوب – هو المقراب في فقه لغة مجمعنا المصري الموقر، للغة العربية، وكان انشاء التليسكوبين العظيمين وهما – تليسكوب ويلسون البالغة قطر مرآته العاكسة للضوء ١٠٠ قيراط . وتلسكوب بالومار الذي يبلغ قطر مرآته العاكسة ٢٠٠ قيراط ٦ أمتار في النصف الأول من القرن الحالي . والغرض من اقامة ذينك المقرابين اللذين يعدان أكبر ما في العالم ، أولهما على قنة جبل ويلسون ، وثانيهما على قة جبل بالومار، تسهيل جمع مقدار من الضوء يفوق ما تجمعه منه المراصد الفلكية القديمة ، ليتاح تحليل ذلك الضوء الى بلاغات طيفية .

١١ – ﴿ تحطيم الذرة ﴾ أما تحطيم الذرة فيرجع تاريخه الى ١٩١٩ إذ اكتشف إرنست روذرفورد أن بعض العناصر المعدنية يمكن تحويله الى عناصر أخرى . ومنذ ذلك العهد تيسر فعلاً تحويل ذرات دقيقة جداً من الزئبق الى مثلها من الذهب ومن ثمة ثبت أخيراً ثبوتاً جلياً أن علماء الكيمياء القديمة لم يكونوا معتوهين كما كنا نظن . ولم يقتصر الامر على ذلك . بل إن العلماء استطاعوا انتاج عناصر معدنية جديدة لم تكن معروفة في الطبيعة قط . وهي النبتونيم والبلوتونيم وغيرها [1]

---

(١) الكاتب – راجع مقالنا على « انتفاع الزراعة بالذرة » المنشور في مقتطف فبراير سنة ١٩٥٠ ثم مقالنا على الذرات المشعة – في مقتطف دسمبر ١٩٤٣

وبعد أن تم تحطيم ذرات أنواع العناصر بأسرها ، وذلك بمساعدة الدقائق الفائقة السرعة ، ثبت أن أغلب العناصر مؤلف من أخلاط ، هي التي نسميها توائم أو نظائر كيماوية . فالرصاص مثلاً يحوي ستة أصناف من هاتيك التوائم . وهذه يتسنى تمييز بعضها من بعض ، بالوزن . ويوجد من هذه النظائر عدة مئات . وبعضها ذاتية الاشعاع . وبعضها الآخر مجرد من الاشعاع . وهذان الصنفان ، يمكن استخدامهما كأدلة يسترشد بها الأطباء الى كل ما يحدث في الجسم البشري من التقلبات ، عندما يهضم بيضة أو قطعة من شريحة لحم بقري مثلاً .

فلا بدَّ إذن من تنقيح المذهب القديم بأجمعه . ونعني به الخاص بكيفية انتفاع الناس بالمواد البروتينية والشحمية التي يتغذون بها . لذلك شرع العلماء في تغيير علمي الفسيولوجيا والتغذية القديمين . كما استخدموا بعض التوائم الكيماوية التي سلف ذكرها ، علاجاً لداء السرطان .

١٢ ﴿ اكتشاف الكهيرب ﴾ وكانت هذه المخترعات كلها التي تمت في طبيعيات الذرة ثمرة منطقية من ثمار اكتشاف الكهيرب ، وذلك في أواخر سنوات القرن التاسع عشر . إذ ثبت أن ذرة الهيدروجين التي هي أخف الذرات عامة ، أثقل من ذلك الكهيرب ١٨٤٠ مرة . وبديهي أن الذرة ليست هي أصغر وحدة مادية لا يمكن تقسيمها من المواد التي أخذ الكيماويون على عاتقهم القيام بتقسيمها إذ فتتوها وجعلوا يدرسون فتاتها .

وفي سنة ١٩١٩ استنتج روذرفورد ، من دراسة ذلك الفتات ، ان الذرة تشبه المجموعة الشمسية . لأن لها نواة تضارع الشمس . وتدور حولها كهيربات سيارة . أجل إن هذا المذهب قد عدل فيما بعد تعديلاً كبيراً . ولكن الحقيقة الأساسية وهي كون الكهيرب دقيقة كهربية ، كما إنه دقيقة مادية ، ما زالت قائمة . فومضة البرق مثلاً هي ومضة كهيربات . والتيار الكهربي الذي يسري في سلكه ، هو فيض من الكهيربات .

وفي القرن التاسع عشر الذي زخر باختراع مولدات الكهربا وبالتليفونات والتلغرافات لم يعرف كنه الكهربا . أما في هذا القرن العشرين فقد أصبحت أسرار الكهربا معروفة كل المعرفة . وهي توصف بمصطلحات ، هي الكهيربات أي الذرات الكهربية السالبة

١٣ — ﴿ بناء الذرة ﴾ وقد تفرع من هذا العلم الجديد الخاص بتركيب الذرة ، فن آخر هو الهندسة الكهربية المسمى Electronics إلكترونيكس أي دراسة خواص الكهيربات وسلوكها في الأحوال كافة ، ولا سيما الخاصة باستخدامها في الأعمال الفنية والصناعية .

هو صبه جبري

مؤتمر دولى

لتسوية الخلاف بين الشيوعية والرأسمالية لتلافي الحرب

يقولون الآن أن هـذه الحرب هي حرب مبادىء لا حرب فتح واستعمار. فاذا كان هذا القول صحيحاً، وهو صحيح، أفلا يمكن التنويه بين المبدئين المتناقضين ؟

روسيا تقول نحن نريد أن نجعل العالم كله شيوعيًّا بحيث يتمتع كل فرد بما تجنيه يداه، ولا يتمتع أحد بتعب غيره. فمن يشتغل يأكل. ومن لا يشتغل يجوع. ومن لا يستطيع العمل فحقه في الحياة على الجماعة. هذه هي نواة المبدإ الاشتراكي. وروسيا تقول أيضاً: نحن نناهض الرأسمالية لأنها نقيض هذا المبدإ على خط مستقيم. فهناك فريق من الناس يتمتعون بجني فريق آخر بحسب نظام الرأسماليـة. والاستعمار هو فرع من الرأسمالية، بل هو أضخم منها. ونحن نريد هدم الرأسمالية. وسحق الاستعمار. ولذلك يؤيدنا من الناس معظمهم أو أكثريتهم الساحقة، وأينما اتجهنا وجدنا أنصاراً. ولذلك لا نحتاج الى دعاية، لأنَّ مبدأنا يدعو لنفسه. هو في قلب كل انسان.

هذا ما يقوله الشيوعيون.

وأما أعداء الشيوعية فيقولون ان عمران العالم منذ القديم الى اليوم قام على الرأسمالية، فاذا قتلت الرأسمالية قتلت العمران. ولـكن السواد الأعظم من الناس يؤيدون الاشتراكية. بيد أنهم يتجنبون الشيوعيـة لأسباب ليست خافية. فأولاً يفهمون من الشيوعيـة إنها إباحية، تبيح لأي انسان أن يعاشر أية انسانة. ولذلك لا يبقى وجود للأسرة، وهو أمرٌ ينفر منه جميع الناس لأنهم تعوَّدوا العشرة القانونية، أي العشرة بحسب قانون الزواج والأسرة الخ، فينفرون من هذه الإباحة. ثم ان كثيرين من الناس يفهمون أن الشيوعية تبيح للعامة أن يتقاسموا أملاك الملاَّك.

ثمَّ ثانياً : ان الشيوعية الروسية ألغت الدين وأجازت الالحاد، بل جعلته شرطاً للشيوعية. فمن لا يجاهر بالحاده يعتبر عدوًّا للشيوعية ، وفي مدَّة الحرب العالمية الثانية اضطر ستالين وأعوانه أن يدعو الاكليروس الروسي الذي كان مطروداً من كنيسته ومضطهداً ، أن يعود الى كنيسته ويمارس طقوسه . وكان غرض ستالين وأتباعه من هذه الحركة أن يكسبوا عطف سائر الامم التي لا تزال تتمسك بالدين . وبهذا العطف يقل خصومهم ولاسيما خصومهم من الروسيين ، لان كثيرين من الروس بقوا متدينين . والانتصار في الحرب يحتاج الى هذا العطف . ولعلَّ هذا كان من أهم أسباب انتصار روسيا

ثم ثالثاً : ان الحكم في روسيا بحسب ما يبلغ إلينا خبره ، لم يعد ديموقراطيًّا، بل هو دكتاتوري محض . والدعاية البالغة ضده صوَّرته لنا همجيًّا وحشيًّا ولم يعد للحرية فيه من أثر . ولهذا ينفر أكثر الناس منه جدًّا ، حتى أن العامة والمتوسطي الحال الذين يقدسون الاشتراكية صاروا ينفرون من شيوعية روسيا

فترى مما ذكرناه أن الخلاف بالحقيقة خلاف على المبدإ أولاً ، وخلاف على كيفية اجراء المبدإ ثانياً .

سواد الناس يحبذون الاشتراكية حتى الماليين منهم لأنهم يرون أن هذا النظام عادل ولا يرتاح المجتمع من الخصام الاَّ به . ولكن أية اشتراكية ؟ التكافل الاجتماعي (كالذي في انكلترا) هو خطوة بالغة فيه . ومتى عمَّ في انكلترا وشمل جميع المرافق وصارت المرافق الكبرى جميعاً مؤممة (أي ملك الأمة) بلغ ذلك النظام حدَّ الاشتراكية القويمة ، وصارت البلاد اشتراكية بمعنى الكلمة ،

فاذا كانت الحرب بين الشيوعية والرأسمالية لا بين قوم وقوم ، ولا بين أمةٍ وأمة ، ولا بين بلد وبلد ، فلماذا لا يعقد مؤتمر عام من الروس والذين يلفون لفهم من الدول المنتمية للشيوعية الروسية (حتى من الأحزاب الشيوعية التي في الدول الأخرى) . ومن الدول التي تناهض الشيوعية كانكلترا وأميركا وغيرهما من دول أوروبا والشرق ، يتباحثون في ما هي الشيوعية التي يحاربها هؤلاء ، والشيوعية التي تدافع عنها روسيا وأنصارها . ثمَّ يتفقون على المبدإ ليجعلوه واحداً ويجعلوا له نظاماً واحداً تتخذه كل أُمة وكل دولة

لنفسها وتجربها في بلادها اجراءً قانونيًّا . فيزول هذا الخلاف ، ولكن اذا استمرّ هذا الخلاف وبقيت الحرب كوسيلة للتسوية ينسحق معظم الجيش البشري وتتهدّم الدول والممالك وتتقوّض الحكومات ولا يبقى الاّ الشيطان حاكماً على سطح كل الأرض .

بقي أن نسأل هل يمكن التوفيق بين المبدئين ؟

نرى أن بين المبدئين خلافاً شديداً ، المبدإ الواحد يجيز للمتموّل أن يثمر ماله على حساب العامل ، حتى يصبح قطباً ايجابيًّا صاحب الملايين والبلايين ، والعامل قطباً سلبيًّا حتى يصبح على شفا الفناء . ذاك إيجابي وهذا سلبي ، ولهذا سمّينا هذه المباينة الاستقطاب الاقتصادي كالاستقطاب الكهربائي .

لهذا نرى صعوبة في الجمع بين المبدئين . ولكنه ليس مستحيلاً فهو موجود في الطبيعة . فاذا انضم الكترون سلبي الى بروتون إيجابي اتحدا وزال الاستقطاب . ونشأ الضوء لا سلبيًّا ولا إيجابيًّا بل هو متعادل . هو نور وطاقة — وهكذا يكون انه اذا اتفق الجانبان الشيوعيون والرأسماليون نشأت الاشتراكية المتعادلة وكانت طاقة ونوراً لجميع الأمم والأفراد .

فاذا عقد هذا المؤتمر الذي نحن بصدده من رجال معتدلين مخلصين ويحبون السلام على الأرض أمكنهم أن يقرروا مبادىء الاشتراكية المعتدلة ونظامها النافع الذي يقبله جميع الأمم ، وبذلك يرتاح العالم من شر الحروب ويأمن فظائع الحرب القادمة التي ستكون أفظع من الحرب الماضية مئة مرة . وقد تكون بها نهاية العالم ولا يمكن أن يكون فيها انتصار إلاّ لإبليس الرجيم .

وهب أن هذا الخاطر خطر لغير كاتب هذه السطور ووافق الخصمان على عقد هذا المؤتمر يخشى أن ينبري العنصر الذي اعتاد أن يستغل كل حرب والذي له يد في كل حرب فيعرقل هذا المؤتمر ، الاّ إذا استطاع أن يتولى هو إدارة هذا النظام الاشتراكي بنفسه لينتفع وحده من محاسنه كما يفعل الآن في ادارة الشيوعية في روسيا . وقانا الله شر الحرب وشر الاشتراكية التي تديرها تلك الطغمة .

صوت من عالم الخلود

فضائل الحرب والسلم

بقلم العلامة الكبير الدكتور يعقوب صروف

[الفضائل التي يدعي أهل الحرب أن الحرب توجدها أو تمكنها في النفوس كالشجاعة الوحشية والجرأة والاقدام وتحمل المتاعب والمصاعب والصبر على المكاره وعدم المبالاة بالخسارة مهما كبرت وعظمت — كل هذه وغيرها ليست أعظم من الفضائل التي يوجدها السلم

فالشجاعة الأدبية لا تقل منزلة عن الشجاعة الوحشية . والاقدام على الأعمال الكبيرة أوقع في النفس من الاقدام على خوض ميادين القتال . لأن الانسان يكون مدفوعاً في الأول بعامل التعقل والتبصر وفي الثاني بسورة النزق والطيش .

ولا يقول أحد أن الجنون خير من العقل . وروّاد الحضارة الذين يجتابون البلدان المظلمة لنشر لواء الحضارة . ويعانون المشاق والأهوال في سبيل ذلك خير من الجنود الذين ينفقون أعمارهم في خوض ساحات الحرب وميادين القتال . والعالم الذي يحاول حل سر من أسرار الطبيعة أو اكتشاف دواء لداء قتال قاضياً ليله ونهاره في البحث والتنقيب بالتجربة والاختبار صابراً على فشل أمانيه مرة وخيبة مساعيه أخرى لأرفع مقاماً وأعظم منزلة في عيون الناس من أي قائد كان . فذانك الاسكندر وأرسطو ونابوليون يسكنون القبور ووجه التفاضل بينهم لا يخفى على أحد] .

العلّامة الخالد بعلمه وفضله

في التاسع من يوليو سنة ١٩٢٧ اخترمت المنون الفيلسوف الكبير بعد عمر طال على الجهاد في سبيل نشر العلم والمعرفة . وقصر على الفضيلة والاحسان . فقد ظل سخيًّا على العالم بعقله وروحه وقلبه جواداً مخلصاً في العمل على بث أنوار العلم وتحرير الفكر . وأفاض على العالم من فيض ما أفاض الله عليه به . فهذب النفوس . ورقى المدارك . وتفانى

في النهوض بالبشرية من كبوتها . فعزز شأنها . ورفع مرتبتها . بهمة عالية وعزيمة ماضية .
وكان لسان حاله يقول : —

أليس من الخسران أن لياليا تمر بلا نفع وتحسب من عمري



الدكتور يعقوب صروف

رحل « يعقوب صرّوف » الى عالم السكينة والسلام بعد أن أنفق عمره حتى ساعاته

الأخيرة مكبًّا على التحبير والتأليف . في شتى العلوم والفنون لا يشغله عنها شاغل من مشاغل الحياة وملاهيها . فحمل مشعال النهضة الفكرية في الشرق العربي وسواه من الأقطار سبعة وخمسين عاماً ونيفاً . قضاها كلها في سبيل العلم والتعليم . بالدقة والصبر والمثابرة والتضحية والاخلاص .

وقد ترك بعده فيما تُرك من التراث العلمي — سبعين مجلداً من «المقتطف» . هي كنوز علمية خالدة يستفيد منها الناس مدى الأدهار . لأن جواهرها لا تتغير بتغير الزمان والمكان . فهي دائرة معارف حية يتيمة يرجع اليها الباحثون ويهتدي بهديها المحققون

وكان مما كتبه في أخريات أيامه الفصل الموجز الذي صدَّرنا به هذه الكلمة . اخترناه لمناسبة ما يكتب الباحثون والكتاب اليوم عن الحرب التي يلوح شبحها في سماء السلام. والفصل على ايجازه تضمن آراء سامية في الحرب والسلم . وهو مثال بسيط على طريقة بحثه ومبادئه التي يبني عليها آراءه . وعلى أسلوبه الانشائي الممتع المعجز البليغ .

أما « المقتطف » فقد انشأه في بيروت بالاتحاد مع زميله وشريكه في جهاده العلامة الكبير الدكتور فارس نمر باشا — أمدَّ الله في حياته — وصدر العدد الأول في مايو سنة ١٨٧٦ في اثنتين وعشرين صفحة واحتوى على سبع مقالات في مواضيع شتى علمية وفلسفيه وتاريخية . وبعض الانباء العلمية . وكانا إذ ذاك استاذين في كلية بيروت وفي ريعان شبابهما . وقد اعترضت طريقهما عقبات كأداء . ولكنهما ذللاها بالصبر والحكمة والثبات .

ولظروف خاصة هبط العلامتان الكبيران القطر المصري في سنة ١٨٨٥ فلقيا من رعاية حكامه وأقطابه وزعمائه يومئذٍ ، وفي مقدمتهم المغفور له الخديوي توفيق باشا والمرحومان شريف باشا ورياض باشا ، ما حبب لهما الاقامة الدائمة في مصر ونقلا المقتطف اليها.

وفي سنة ١٨٨٨ أنشأا « المقطم » بعد أن انضم اليهما المرحوم شاهين بك مكاريوس . فظلوا ثالوثاً في آلــه واحد . هو الوفاق والاخلاص والمحبة مجتمعة متكتلة :

وكان الفيلسوف الراحل على خلق عظيم . لا يعرف الغل والحقد أو نحوهما من العيوب سبيلاً الى نفسه الصافية . وكان طيب القلب حلو اللسان . يسدي المعروف والجميل . ويبسط

بد المعونة والاسعاف لمن يستحقها .

وقد عرفت « مصر » البلد الطيب الكريم — للفقيد فضله . وكان اجماع عظمائها وكبار افطابها وعلمائها على تكريم « المقتطف » في عيده الخمسيني برعاية جلالة الملك الراحل أكبر دليل على اعترافها بتقدير الفيلسوف العلامة الكبير الذي غرس في أرضها الخصبة حدائق العلم والعرفان فأينعت أشهى الثمار .

حفلة تكريم « المقتطف »

اما الحفلة العلمية التاريخية المشار اليها فقد أقيمت في دار الأوبرا الملكية بعد ظهر ٣٠ أبريل سنة ١٩٢٦ وكانت في عظمتها دليلاً ساطعاً على تقدير مصر للعلم والعلماء العاملين على رفع شأنه واعلاء لوائه . حضرها مئات من عظماء مصر وعلية رجالها وعلمائها وممثلي هيئاتها تقدمهم المرحوم محمد توفيق نسيم باشا مندوباً من قبل المغفور له الملك فؤاد .

وخطب المرحوم توفيق رفعت باشا (ناظر المعارف) . ومما قاله :

« نشأ المقتطف في بيروت . وما « بيروت » في أيام العهد القديم الا احدى مدن فينيقية مملكة الملاحة والتجارة والاستعمار . وفينيقية هي التي أسست مدينة قرطاجنة الشهيرة على العبر الشمالي من افريقية . قرطاجنة التي أقامت الرومان وأقعدتهم فباتوا يحسدونها ويحرقون عليها الأرم ودهموها بقضهم وقضيضهم ثم استولوا عليها فكبت . وما هي الا ان نهضت بعض النهوض حتى حملوا عليها حملة شعواء ساحقة فدمروها تدميراً .

ان الناشئين في أرض الفينيقيين الذين توارثوا خلالهم ونسجوا على منوالهم هم اخواننا السوريون السباقون للغايات . الناشطون فما استجموا . والمستعمرون للعلم والعمل بأي أرض ألموا . نعم انهم أسسوا بيننا بمقتطفهم قرطاجنة « للعلوم زاهية » زاهرة لا نخاف منها خطراً ولا نوجس ذعراً . . وانه وان اتيح لبيروت ان كانت مهد طفولة المقتطف ومبزغ قرن شمسه ، فان لمصر ان تفخر بأنها مهد ايناعه بايفاعه . ومرقاة اكتماله باكتهاله

* * *

وأنشد شاعر الأقطار العربية المرحوم خليل مطران بك قصيدة رنانة بليغة قال منها :

تلك المنارة في المكان العالي ترمي الدجى بشعاعها الجوال
أنشأتماها للعلوم مجلة كسيت بدائعها فنون جمال
سهرت عيونكما على اتقانها فمن السطور بها سواد ليالي
ومن المدام دم اريق وان بدا متنوع الألون والاشكال

«يعقوب» في احياء مجد بلاده وبقاء تالدها من الابدال
هو فيلسوف سيرة وسريرة متطابق الاقوال والافعال
اخلاق جدٍ لا تتم بغيرها في العالمين جلائل الاعمال

* * *

وخطب سعادة الدكتور محمد حسين هيكل بك (باشا) ومما قال :

« ظل المقتطف كمجلة يتقدم كلما تقدمت واياه السنون . فبدأت فيه حركة الانشاء والبحث بعد سنوات قليلة وازدادت الاقلام التي تحرره تنوعاً وكثر الكاتبون فيه . فكان الميدان الأول الذي التقى عنده الكتّاب لنشر المعلومات والآراء والأفكار الغربية. كذلك كان أحد الميادين لنهضة التفكير والأدب العربي . ثم نشأت فكرة نراها ماثلة على صفحات المقتطف أيضاً . هذه الفكرة هي كيفية التوفيق في نفس أهل الشرق العربيـة بين ثمرات الحضارة العربية القديمة وبين الحضارة الأوربية الحديثة . . . »

* * *

وأنشد شاعر النيل المرحوم حافظ ابراهيم قصيدة عصماء قال في مطلعها :

شيخان قد خبرا الوجود وأدركا ما فيه من علل ومن أسباب
واستبطنا الأشياء حتى طالعا وجه الحقيقة من وراء حجاب
خمسون عاماً في الجهاد كلاهما شاكي اليراعة طاهر الجلبابِ
لا تعجبوا ان خضبا قلميهما وبياض شيبهما بغير خضاب
فلكل حسنٍ حلية يزهى بها وأرى اليراعة حلية الكتّاب »

الى أن قال : —

«يعقوب» انك قد كبرت ولم تزل في العلم لا تزداد غير تصابي
لاحت برأسك هزّة ولعلها من وقع فكرك لا من الاعصاب»

تأبين الفيلسوف في المدفن

وحين أودعوا الفيلسوف تلك الحفرة الضيقة المظلمة . في ذلك القفر البلقع — الذي يمر به الشجاع فيفزع — ودّعه عدد من عارفي فضله ومقدري علمه بكلمات صادرة من قلوب حطمها الاسى .

ومما قاله الدكتور فريد رفاعي بك : « نواري الساعة الأخلاق مجتمعة . والوفاء ممثلاً . والعلم ناضجاً . والفضل باسقاً . نواري قبساً قدسيًّا من ملكوت الحكمة والرحمة . ومماء

النبوغ والعبقرية . نواري قائدنا الكمي . وشيخنا الحكيم . من قاد لمصر والشرق كتيبة العلم والتحرير والفلسفة » .

* * *

ومما قاله الأستاذ لطفي جمعه بك :

« اذا كان لكل إنسان كتاب يتقدّم به لدى البعث والنشور فهذا الحكيم الراحل يتقدّم بكتابين — يتقدّم وفي يمينه سبعون مجلداً من العلم والحكمة والتاريخ والأدب تمثل خمسين عاماً من الجهاد العقلي المستمر . وفي يساره كتاب آخر هو كتاب الخلق المستقيم والارادة القوية والثبات والنشاط والدأب على العمل في غير هوادة ولا جمود ... »

* * *

ومما قالته نابغة الجيل الخالدة المرحومة « الآنسة مي » (وهو سحر حلال) : —

« مات صروف يا أبناء الجيل القديم !! فتعالوا واشهدوا الجيل الجديد على التفوق فيكم . وأعلنوا بأجرإ بيان وأفصح لسان ان في مثل صرّوف أعلى مثل يحتذى في الكفاءة والجد والتسامح والاستقامة .

مات صرّوف يا سوريا ! فهل بين أحرارك الذين شردهم الظلم والضغط والاضطراب والشقاء من هو أطهر جناناً . وأعف لساناً . وأسمى امتيازاً . وأحصف فكراً . وأصدق نظراً وحكماً ؟!

مات فتاك يا لبنان ! فتعال بقممك وغاباتك وأرزك وهدير أنهارك وقف حيال هذا النعش متسائلاً بأصواتك المختلفة « أليس بين أفذاذ الأمم مكان لهذا الذي أنجبت ؟! »

مات صرّوف يا مصر ! مات هذا الذي حلّ منك في وطن هنيء كريم بعد وطن على المتنورين ضنين . فقولي « هل بين الذين رحبت بهم وحبوتهم بنعمتك الحسية والأدبية من هو أسخى لك من عقله وروحه منحاً ؟ وهل بين العاملين لليقظة والتقدم من كان أجود وأخلص في العلم والنور والتحرير الفكري عطاء ؟! »

آراء الفقيد في معاملاته

كان في معاملاته « قانون نفسه وضميره » .

وقد قال : « لديّ محكمة غير المحاكم الأهلية والمحاكم المختلطة . وهي محكمة الضمير . محكمة الوجدان . محكمتي أنا !! هذه المحكمة تحكم بأن أعمل كيت وكيت !! » .

وكان يعيب الآراء التي تثور بعنف على بعض المعتقدات الدينية والمذاهب الاجتماعية :

وفي ذلك قال » اذا كنت ساكناً في منزل لا ترضاه فهل تهدمه وتظل في العراء أو تبني غيره أولاً !! «

وقال « أيهما أحرى اذا دخلت قصراً من القصور ، أن تنزه نفسك في محاسن بنائه ومشتملاته ، أو أن تقف بجانب مرحاضه متأففاً !! لماذا لا تنظر الاَّ مساوىء الناس دون محاسنهم ؟ يجب ألاَّ تذكر المساوىء إلاَّ للعبرة بها والتنفير منها . أما ذكرها وحدها للحطة من أقدار أصحابها وتسويء سمعتهم ، والتشفي منهم فليس من الصواب في شيء !! «

ومن أقواله « إنني أعرف طريقين لعبور التيار . احداهما أن تقطعه من شط الى شط في خط مستقيم لا تنثني أمام عقبة ولا تحيد عن قوَّة مانعة، فتصل . أو لا تصل، والأخرى أن تماشي التيار حتى تصيب منه منفذاً الى سبيلك فأنت بالغ الى غايتك من سبيل طويل ولكنه مأمون !! «

معجزة الحياة وعالم الأرواح

بحث الفقيد بواسع علمه — معجزة الحياة والموت وحاول أن يكشف سر الوجود والكون . وشغلته نظريات الحياة بعد الموت وعالم الأرواح .

وكانت فكرة الموت تساوره في شتى مراحل حياته . ولا شك انه استقبله باسم الثغر منشرح الصدر راضياً مطمئناً . فليس الموت لدى أمثاله العظماء سوى الانتقال الى عالم الخلود والسكينة والسلام حيث يحل لغز الكون العظيم !!

وقد أعلن رأيه في ذلك اللغز فقال :

« انه ليس من المعقول أن تكون نهاية الانسان بعد هذا التطوُّر والرقي — الفناء المطلق !! لا . وان قصور وسائلنا عن ادراك ما بعد الموت لا ينفي وجود تطور آخر للانسان كروح ذلك الوجود الذي يقتضيه النظر الفلسفي . وكثيراً ما كانت الفلسفة رائد العلم الى الحقائق !! «

وعندي ان هذا الرأي أشبه بمياه اقيانوس عظيم تجتمع كلها في قدح . أو أبحاث عويصة استفاضت بها مجموعات ضخمة — اجتمعت في كلمة !!

***

وبعد — فما أطيب حياة الفيلسوف «صرُّوف» . لقد ساد بتعاليمه من على ظهر الأرض وهو في بطنها !! وترك كنوزاً علمية عالمية . سيظل بها حيًّا وان مات . طيب الذكر طائر الصيت في مشارق الأرض ومغاربها .. وبآثاره يطاول الدهر عمراً

ابراهيم عطايا

الحرية تجاه السلطة

ماهي الحرية التي كانوا يحاربون لأجلها ؟

بعد أن سمعنا مراراً من الجانبين المتحاربين أنهم يحاربون لأجل حرية الشعوب والأفراد في جميع العالم ،وانهم يُمدون للامم نظاماً يكفل سعادتها على أساس هذه الحرية، صرنا نود أن نعرف ماهي هذه الحرية التي يقتتلون لأجلها . أهي الحرية التي جاهد الجنس البشري ألوف الأجيال لأجل الحصول عليها ؟ أم هي حرية جديدة من مستنبطات الفلسفة العسكرية التي لم نعرفها بعد

أما الحرية التي عرفتها جميع الأمم الراقية الى الآن فهي التي كانت أقوى العوامل في الجنس البشري . فاذا استعرضتَ التاريخ منذ تحضّر الانسان وصار يسمي نفسه « متمدناً » وجدتَ انه حيث كانت الأمة أو الامم مقيّدة في تصرفاتها أو قليلة الحرية فيها كان رقيُّها بطيئاً ومناسباً لما فيها من الحرية ،وحيث كانت الحرية الفردية والجماعية مطلقة ضمن حدود النظام والقانون العادل كان الرقيُّ سريعاً بالنسبة نفسها

لما بدأ المجتمع يتكوّن والجماعة تتحضّر كان الفرد مقيّداً بتقاليد ناسه وعاداتهم وعقائدهم ، فلا يستطيع أن يميل عنها قيد شعرة، والا عُوقب عقاباً شديداً كما نرى الآن في بقايا القبائل المنحطة حتى عند الأمم التي لا تزال تقدّس التقاليد . وكان هذا التقيد في تلك العهود القديمة ضرورياً لسلامة الجماعة وحفظ كيانها، لأنّ سنة « تنازع البقاء » الحيوانية كانت لا تزال قائمة بين القبائل والطبقات، حتى بين الأفراد . فلم يكن بدٌّ من عنف سلطان الزعيم أو زمرة الزعماء على الأفراد لأجل الدفاع عن الجماعة ضد اعدائها من ناحية ، وضد قوات الطبيعة من ناحية أخرى ، وحرصاً على وافر الرزق أو كفايته

فتقييد الحرية هذا كان العامل الأقوى في بطء الرقيّ البشري الاجتماعي والعقلي والأدبي والعرفاني . فاذا كان الفرد يُعاقَب عقاباً شديداً اذا شذّ عن عقيدة قومه وتقاليدهم أو

خالفها لما فيها من غير المعقول أو لما فيها من مناقضة لما اكتشفهُ من أسرار الطبيعة ، فلا يرجى أن تتقدم الجماعة في المعرفة والتعقُّل وتهذيب النفس ، لأن النابغ الذي أُوحيَ اليهِ أن يكتشف سرًّا أو ناموساً في الطبيعة أو ترَّهةً في عقائد قومهِ أو سخافة في عاداتهم ، لا يجرأ أن يتمادى في التفكير والاستنتاج والابداع والاختراع لئلاَّ يقع تحت طائلة العقاب واذا كان جزاء العالم المفكر كجزاء غاليليو على اكتشافه دوران الارض وغيره فلا ينتظر أن يقوم عالم آخر يجرأ على اذاعة حقيقة علمية أخرى كهذه . ولذلك كانت العلوم والفلسفات تمشي الهوينا في طريق التاريخ أو تتوقف وتجمد في مكانها كلما اضطُهِد عالم أو حكيم أو فيلسوف من عهد سقراط وقبل سقراط الى العصور الأخيرة

لذلك بقي الجنس البشري متأخراً بضعة آلاف من السنين بسبب تقيُّد الحرية . والأمم التي ارتقت كثيراً أو قليلاً في الماضي انما ارتقت بسبب رفع الضغط عن الحرية حتى اذا عاد الضغط عليها انحطت ودالت دُوَلها .

فدول مصر وبابل وأشور الخ عاشت طويلاً في درجة واحدة من الرقيِّ بسبب قيود الحرية . ولما اشتدت هذه القيود سقطت تلك الدول . وقس عليها دول اليونان والرومان وما عاصرها وما خلفها . وما سادت الظلمة السياسية والاجتماعية والعرفانية في القرون الوسطى في أوربا الاّ بسبب اضطهاد الحرية .

ولما تمكنت الجماعات في القرون الأخيرة من أن تنفض عن عواتقها نير العبودية وتتمتع بالحرية شرعت تترقى بسرعة عجيبة . فالعلم نشط نشاطاً عظيماً حتى انه ازداد نحو ٩٩ ضعفاً عما كان عليه من قبل القرن الخامس عشر . والاختراعات الآولية تدفقت في دور العمل حتى انها لم تترك ليدي الانسان عملاً . والعلاقات الأممية من كل قبيل اتسع نطاقها أي اتساع ودرجة المعيشة والرفاهة ارتفعت ارتفاعاً عظيماً . ولا ريب ان هذا الرقي السريع كان بفضل اطلاق الحرية للفكر والقول والعمل . وما استطاعت أوربا أن تسيطر على القارات الأربع كثيراً أو قليلاً الاّ بفضل تمتعها بالحرية هذه

وأول أنواع الحرية التي بسطت ظلها على الجنس البشري هي الحرية الفردية التي خلفت العبودية بعد استحكامها بأفراد القبائل والأمم مئات الأجيال . فقد كان الرقيق نظاماً رسمياً

يتحكم بمقتضاه فرد بفرد، وتتحكم طبقة بطبقة ، كما يتحكم الانسان بالحيوان . ولم تسلم من وصمة هذا النظام أمة من أمم التاريخ حتى الدول الراقية كروما واليونان وغيرهما ، الى ان جعلت الدول الكبرى الأوروبية في القرن التاسع عشر تلغي الرقيق والنخاسة في بلادها وفي أملاكها البعيدة الى أن أبادتها تماماً . ولم يبق من بقايا هذا النظام الا القليل في بعض البلاد الأفريقية التي لم تقع تحت سيطرة أجنبية

وكان نظام العبودية من أفعل عوامل البطء في الارتقاء ، لأنه كان يقتضي أمرين متعاكسين ومعاكسين لحركة التقدم العمراني : الأول ، ان المستعبدين يعتمدون في أعمالهم على الأرقاء، وينصرفون الى لهوهم وبطرهم وترفهم، فلا يضطرون الى التجديد والتحسين والتفنن في كسب الرزق ، وبالتالي لا يُعملون عقولهم في هذا التجديد . والثاني ان الأرقاء والعبيد كانوا في ضنك من شدة وطأة العمل وقيود الحرية وسوء المعيشة واستحكام الضغط على أجسادهم وعقولهم . فلا ينتظر أن يبدو منهم تجديد في صناعة أو فن أو معرفة ولا سيما لأنهم لا يتوقعون منفعة لأنفسهم من جرّاء اهتمامهم بالتجديد والتفكير والاستنباط . ولهذا كانت عقبات الرقي قائمة من جانبي الطبقتين المستعبدة والعبدة . ولكن لما ألغي نظام العبودية وصار الفرد يملك عقله وجسده . وصار يحق له أن يستثمرهما لأجل منفعته الشخصية، شرع الارتقاء العمراني يعجل مرافقاً لانتعاش الحرية الفردية .

ولم يكن قيد الحرية مقصوراً على هذه الحرية الفردية، بل شمل أيضاً حرية العمل . فمنذ القديم لم تكن الأعمال موزعة بحسب رغبة الأفراد وأهليتهم، بل كانت معينة لفئات الناس بحيث لا يجوز لفرد أن يحترف عملاً ليس من اختصاص فئته وطبقته . فكان على ابن الفلاح أن يكون فلاحاً ، وابن الصانع صانعاً ، وابن الجندي جندياً ، وابن الكاهن كاهناً الخ . وبقي هذا التخصيص حتى عهد الاقطاع الذي كان الفلاحون فيه عبيداً أو أشباه عبيد .

ولا يخفى أن هذا النظام لم يكن أقل عقبة في سبيل الرقي العمراني من نظام العبودية الفردية الذي تقدّم الكلام فيه لنفس الأسباب التي أوردناها . فزوال هذا النظام المعروف أطلق قوى الجماعات في العمل لاستغلال الأرض الزراعي والمعدني الخ ، ووضع

دوائر الصناعات والفنون ، ومدّ طرق التجارة في جميع انحاء العالم . فتدفقت الثروات في القرنين الأخيرين ولا سيما في الثاني منهما تدفقاً لم يكن له مثيل في القرون الغابرة. ولولا هذا التدفق لما أمكن هذا الاسراف الحربي الهائل الذي نراه الآن

ولم تكن العبودية الفردية وتقييد العمل وحدهما من أسباب تباطؤ الرقي العمراني بل كانت هناك عوامل أخرى فيه ليست أقل شأناً منهما بل ربما كانت أشد وطأة على الحرية وأصعب عقبة في سبيل الرقي وهي قيود العوامل النفسية : قيود الفكر والقول والرأي والاعتقاد والنشر والنقاش في المجتمعات الخ . وهو معلوم انه اذا لم تكن حرية القول والنشر مصونة بحمى القانون فلا يرجى تقدم ولا رقيّ . وقد كانت هذه الحرية مفقودة أو كانت مخنوقة بين كفي السلطات الدينية والتقاليد المستحكمة التي كانت تجريها الحكومات. فانقضت مئات الأجيال في عراك عنيف مستمر بين تلك العقائد المتصلبة والعقول النيِّرة الحرّة ، الى أن انتصرت هذه الحرية النفسية في القرن التاسع عشر بعد نجاح الثورتين الأميركية والفرنسية . وبسبب انطلاق العقول الثاقبة من عقالها نشط العلم نشاطه الحديث العجيب الذي مكّن الانسان من اعتقال قوى الطبيعة والسيطرة عليها واستخدامها في هناءته وراحته .

ولا نغفل حريةَ الاتصال التي سهلت انتشار التمدن والترقي في العصر الأخير. فلقد كانت الأمم تقيم حدود الخفارة فيما بينها علاوة على الحدود الجغرافية والطبيعية المختلفة بغية الحرص على سلامتها، ودفع الغريب عنها مخافة أن يكون خطراً عليها ، واحتفاظاً بما فيها من الخير لنفسها . وقد بقي هذا التحوط في اليابان والصين حتى القرن الأخير . ولكن وسائل الاتصال والانتقال التي تعدّدت وقرّبت الابعاد بفضل الاختراعات العلمية الحديثة هدمت تلك الحدود بين الأمم وتدفقت فيما بينها معالمُ المدنية ، ولمعت أنوار المعارف في كل صقع ، وطاردت ظلمات الجهل . ولولا تهدُّم حواجز الاتصال هذه لبقيت اليابان والصين وغيرهما من الأمم القديمة المدنية غارقة في بحار جهالاتها وخابطة خبط عشواء في ظلمات ترّهاتها . فاليابان التي تحارب الآن ديموقراطية هذا العصر مدينة لهذه الديموقراطية بنجاحها وفلاحها وسلاحها .

وعلى الرغم من تهدُّم الحواجز بين الأمم وترعرع الحرية في هذا العصر الذي يُعَدُّ ذهبيًّا،لولا ما شابهُ من سواد الحروب ، عادت معظم الدول تقيم حواجز حصينة فيما بينها . فالدول المستعمرة منعت مهاجرة الاسيويين الى المستعمرات الشرقية الباسيفيكية لكي تحول دون تدفُّق الأمم الصفراء إليها واستغراق المستعمرين البيض . وبعد الحرب الكبرى الأولى أقامت دول أوروبا حواجز فيما بينها فنعت المهاجرة منها وإليها، حتى أن الولايات المتحدة الأميركية التي كانت فاتحة باب المهاجرة إليها على مصراعيه عينت لكل أمة بعد الحرب الكبرى عدد المهاجرين السنوي إليها . ولعلَّ للدول فيما فعلت من هذا القبيل في العهد الأخير عذراً أو بعض العذر . وإنما يمكن تلافيه إذا أمكن الاتفاق على اتحاد أوروبي عام ، ليس هنا محل البحث فيه .

تتوج هذه الحريات التي أشرنا اليها حرية السلطات الحكومية وانحلال قيود الاستبداد عن يديها . فلقد تطاول الزمن قرناً بعد قرن . وسلطة الحكومة بيد الفرد يتصرف بها كيف شاء بمطلق ارادته من غير رقيب أو مشير أو وازع . وهيهات أن يكون هذا الفرد طيب القلب حكيماً لكي يحسن قيادة شعبه الى الخير . ولطالما شب النزاع بين ذوي السلطة المطلقة والشعوب المحكومة لانتزاع السلطة من يد المستبد، ذلك لأن الحكم المستقيم النافع لا يمكن أن يدار بالقوة المستقلة المطلقة، بل بقوة التعقل . ولا تستقيم ادارة الحكم باملاء ارادة الفرد ، بل بقرارات شورى الشعب . ولا تصيب أحكام الحاكم المطلق بمجرد ما يلوح في خاطره ، بل تصيب الاحكام مصلحة الأمة بمناقشات رجال الأمة لأنهم أدرى بمصالحها .

والمظالم التي تعاقبت على الأمم قدحت زناد فطنتها فأدركت أن ادارة شؤون الشعب هي من حقوق الشعب . ولذلك كانت الأمم منذ أجيال تنازع حكامها هذا الحق . فكانت تنجح قليلاً وتفشل كثيراً . وفي القرن الاخير تمَّ لها النجاح . ولم يبق من آثار الاستبداد القديم الاّ قليل ، وصار ممكناً أن يقال أن الحكومات أصبحت ديموقراطية حرة .

على أن بعضهم يردون هذا القول بأن الحرية والسلطة ضدان لا يجتمعان . فلا يمكن ان توجد مع السلطة حرية ، والاّ انثلمت السلطة أو ضعفت أو انحلت نهائيًّا، وعقبتها

الفوضى . ودليلهم على ذلك أن الديموقراطية كادت تفشل . ولولا نهوض الدكتاتورية لاستلام زمام الحكم لسقطت الديموقراطية وورثتها الفوضوية .

وردنا على هؤلاء أن السلطة ليست خصماً للحرية البتة بل هي حامية لها، اللهمَّ إذا كانت السلطة نفسها حرة مستمدة من قوة الشعب ومسندة الى رضى الأمة، وعاملة بمشورة نواب الأمة، وحائلة دون استبداد الحاكم الأعلى . فالحكومة الحرة على هذا النحو تؤيد جميع أشكال الحرية التي بسطناها آنفاً .

والدكتاتورية لم تقم بسبب فشل الديموقراطية التي نحن بصددها . وإنما قامت بسبب أن الحرية لم تتأصل بعد في نفوس الجماهير تمام التأصل، بل لم تزل مزعزعة بعض التزعزع، لأن فكرة العبودية القديمة ما زالت تجول في خواطر الجماهير كأنها سنة طبيعية ، حتى إذا حدثت أزمة سياسية أو اقتصادية ولم يتسنَّ للحكومة تداركها في الحال ، ارتبك الجمهور وذعر وخاف سوء المغبة ، لأنه لا يدري كيف يمكن تدارك الأزمة، ولا يمنح الحكومة صبراً لتداركها ، أو انه لا يعود يثق بها ، ويلتمس منفذاً في ابان محنته ، ويتمنى زعيماً أو منقذاً ينقذه من ورطته، يتمنى سيداً يقوده حتى ولو استعبده . فينبري الشخص الداهية لاغتنام هذه الفرصة ويتوسل بجميع أساليب الدعاية لاقناع الشعب بأنه هو ابن بجدتها . فينقاد له الشعب انقياد الأعمى لمن يأخذ بيده . ولا يلبث أن يصبح الحاكم بأمره . وتحل سلطته المطلقة محل الحكومة الديموقراطية .

فالدكتاتورية الروسية نهضت على أثر خيبة الحكم القيصري في ادارة الحرب (الحرب العظمى الأولى) . والدكتاتورية التركية قامت على أثر تداعي تركيا وسقوطها في نهاية الحرب . فأوقفتها الدكتاتورية على قدميها . والدكتاتورية الايطالية قامت على انقاض الثورة الاشتراكية الرعناء التي فشلت عاجلاً . والدكتاتورية الألمانية نشأت بسبب ارتباك حكومة الجمهورية عند عجزها عن الاستمرار في وفاء الغرامة والتعويضات بحسب شروط الصلح .

فهذه الدكتاتوريات كتمت أنفاس الحريات التي نحن بصددها وعطلت الديموقراطية بقدر ما خافت من تذمر شعوبها منها . والدكتاتورية التي كانت أكثر اكتساباً لرضى شعبها ، كانت أكثر اطلاقاً لحريته كالدكتاتورية التركية . والدكتاتورية التي كانت

أكثر من غضب شعبها كانت أكثر اضطهاداً لحريته كالدكتاتورية الألمانية .

وقد اتضح جيداً أن دكتاتورية هتلر وستالين هما أعسف دكتاتورية في التاريخ لم نضارعها في العسف والاستبداد دكتاتورية الملوك والحكام والأمبراطرة والسلاطين الذين اشتهر ظلمهم واستبدادهم . فهتلر (وموسوليني مثله) وستالين مثلهما انتهك حرمة كل نوع من أنواع الحرية . فحرية الفرد انقلبت الى عبودية مطلقة حتى أصبح الشخص الواحد لا يدري كيف يتحرك وكيف يتكلم وكيف يعمل لكي يسلم من الاعتقال . وقد أصبحت المحاكم الجنائية لغواً لأن المغضوب عليه يسجن أو يقتل بلا محاكمة . وأما حرية العمل فقد قضي عليها تمام القضاء، إذ أصبح كل فرد ملزماً أن يعمل العمل الذي ترسمه له النازية أو السوفياتية سواء أعجبه أو لم يعجبه، واستطاعه أو لم يستطعه بالاجر الذي يفرض له، كفاه أو لم يكفه. وأما حرية القول فانقلبت الى كمامة في الأفواه في كل ظرف من ظروف الحياة حتى في المدارس والجامعات فلا يستطيع الأستاذ أن يلقي على طلبته الا ماكان يعليه عليه هتلر أو زعانفه . ومن أغرب أمثلة ذلك أنه طلب الى أستاذ السلالات البشرية (انثولوجي) في جامعة برلين أن يلقي محاضرة موضوعها ان اليابانيين من سلالة آرية أو نوردية (Nordica) فهزىء الأستاذ بهذا الاقتراح السخيف ولم يعمل به . فأعيد عليه ثانية ثم ثالثة . ولو لم يوعز إليه صديق له أن يفر من المانيا لخسر حياته . ففرّ الى سويسرا ومنها الى انكلترا .

وإنما تكتم الدكتاتورة هذه الحريات لا لأن مصلحة البلاد تقتضي هذا الكتم ، بل لأن الدكتاتور نفسه قلق كل حين على منصبه ، وخائف من ثورة الشعب عليه ، لأنه لم يعمل لمصلحة الشعب أو لم يستطع أن يعمل لها ، بل حصر همه في العمل لمصلحته ولحفظ حياته وسيادته . ولو كان يعمل لمصلحة الأمة فعلاً لما حنقت الأمة عليه . ولا يعقل انها تحنق عليه بل لكانت تتعبده . فإذاً لماذا يضطر أن يكتم حريتها ، ويكم أفواهها ؟ ان اضطهاده لحرية الشعب برهان دامغ على انه غير حائز لرضى الشعب، لأنه لم يعمل لمصلحة الشعب ولا بمشورته .

فاذا كانت هذه الدكتاتورية المضطهدة الحرية ستخلف الديموقراطية الحرة فهل يمكن ان يستمر التقدم العمراني في طريقه ؟ لقد اتضح من بحثنا السابق في هذا المقال ان العمران لا يمكن أن يتقدم ما لم تكن حرية الفرد والجماعة مطلقة تمام الاطلاق . فاذا كانت الحرية معدومة والأفراد والجماعات مقيدة على نحو القيود التي وضعتها الدكتاتوريات، فالمدنية الحالية تنحط وتسفل الى أن تغرق في لجة الاستبداد وتختنق وتهلك أخيراً

فهرس الجزء الثالث

من المجلد السابع عشر بعد المئة

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد السابع عشر بعد المئة

١ نوفمبر سنة ١٩٥٠ — ٢١ محرم سنة ١٣٧٠

وداع وترحيب

حالت أعمال الأستاذ نقولا الحداد دون الاستمرار في الاشراف على تحرير مجلتنا المقتطف . وادارة المقتطف لا يسعها إلا أن تشكر الأستاذ الحداد على الجهود التي بذلها خلال توليه الاشراف على المجلة ، وترجو لحضرته اطراد التوفيق في جميع أعماله .

ولقد عهدت ادارة المقتطف الى ابن من أبرّ أبنائها هو الأستاذ اسبيرو جسري رياسة تحريره نظراً لما عهدته فيه من العلم والمقدرة وللنشاط والهمة التي بذلها خلال أكثر من ربع قرن في خدمة هـذه المجلة ، التي وقف كل لحظة من حياته في سبيل معاونتها أصدق معاونة على بلوغ أهدافها ، وتحقيق رسالتها ، التي نرجو أن تزدهر على يديه ، وأن تصل حاضر عهدها بجليل ماضيها ، فتساهم في خدمة رسالة العلم والأدب والفن والمثالية الرفيعة التي يتطلع إليها الشرق العربي ، وهو على أبواب نهضة جديدة مباركة :

إن شاء الله .

عهد جديد

أحيي قرّاء المقتطف أطيب تحية ، ويسرني أن ألتقي بهم على صفحات هذه المجلة ، التي حملت مشعل العلم والأدب والفن نحو أربع وسبعين سنة ، وهي تناضل في سبيل الفلسفة والعلم والأدب دون أن يعتريها كلل أو ملل

ولقد شاء سيدي العلامة الجليل الدكتور فارس نمر باشا أن يسند اليّ رياسة تحرير المقتطف ، أنا الضعيف بنفسي والقوي بهم — وهذا تقدير من سعادته وحسن ظن بي ، سأعمل ان شاء الله على تحقيق آماله الكبيرة ، وثقته الكريمة ، التي وضعها في شخصي الضعيف .

وعليه فقد اتكلت على الله سبحانه وتعالى وقبلت الاضطلاع بهذا العبء الكبير مع ما فيه من مسؤوليات جسيمة، وخاصة في هذه الظروف العصيبة، مسترشداً بآراء وتوجيهات سيدي الوالد الجليل الدكتور نمر باشا ، ثم بمعونة اخواني وزملائي الكرام الذين قبلوا أن يعملوا معي

واني أعاهد القرّاء الأعزاء بأني سأكون عند حسن ظنهم ، وسأعمل على رفع المستوى العلمي والأدبي والفني للمجلة بما عرف عن عهدها السابق ، فلا ينشر فيها الا كل ما هو محقق بحثاً وموضوعاً ، فأكون عند حسن ثقتهم بي ، وسأبتعد كل البعد عن المهاترات والمجادلات التافهة ، وسائراً على خطى مؤسسي المجلة ، وهو الابتعاد عن السياسة والدين ، فالسياسة مجالها في الصحف اليومية ، والدين له مجلاته الدينية .

ونظراً لما يشغله العلم في العالم من المكانة الرفيعة ، وهو أحد الأغراض السامية ، التي قامت عليها هذه المجلة منذ انشائها ، فقد رأيت أن أتابع نشر أحدث التطورات العلمية ، وارتقائها في الغرب ، فأقدمها الى قراء المقتطف بأسلوب المقتطف العلمي الذي اشتهر به

وإذ أن العدد المديد من المشتركين والقراء الكرام من الجنس اللطيف، فسأوجه اهتماماً الى شؤون المرأة ، وتدبير المنزل ، وسأنشر من وقت الى آخر كل ما يهم المرأة وربات المنازل معرفته ، من تربية الأولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ، وسير شهيرات النساء ونهضتهن ، ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل أسرة ويربي فيها الذوق العام

ولا يفوتني كذلك أن أتابع نشر أشهر حوادث التاريخ وآراء أكبر العلماء، وسير وتراجم أعاظم الرجال في الشرق والغرب من الذين خدموا العلم والأدب ، لكي تكون في نشر سيرهم بعض الحوافز التي تدفع بشبابنا الى الاقتداء بهم والسير على مناهجهم ،وقديماً قال الشاعر :ـ

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكرام فلاح

وسأوجه اهتمامي كذلك الى دراسة التيارات الأدبية المعاصرة في الشرق والغرب بأقلام نوفر أصحابها على التخصص في هذه الموضوعات ، وهدفي من ذلك أن تكون أقطار العروبة على اتصال دائم بالاتجاهات الفكرية فيها .

والله نسأل أن يلهمنا الحق ويسدد خطانا ويحقق لنا الآمال .

دار المقتطف في أول نوفبر سنة ١٩٥٠

اسكندر جبيري
رئيس تحرير المقتطف



تكريم المعلمين

ألقى حضرة صاحب المعالي الدكتور طه حسين بك وزير المعارف العمومية كلمة خالدة في الحفل الذي أقامه لتكريم رجال التعليم مساء يوم الجمعة ٢٠ أكتوبر ١٩٥٠، تكليلا لما أحرزوه من نجاح في الموسم الدراسي الحاضر. نقتطف منها النبذ الآتية —:

أيها الزملاء الأعزاء

لكم أخلص التحية وأصدق الشكر على ما تفضلتم به من الاستجابة لهذه الدعوة، والحق إني حين دعوتكم الى هذا الاجتماع العائلي كما يقال في هذه الأيام، لم أرد إلا إلى شيء واحد، هو أن أبلغكم شكر الحكومة على ما قمتم به جميعاً من جهد وما احتملتم من مشقة، وتهنئة الحكومة على ما انتهيتم إليه من نتيجة، وما أتيح لكم من ظفر لا أعرف أنكم قد سبقتم إليه في الأعوام الماضية، ولا أريد أن أخص منكم بالشكر والتهنئة أحداً، فأنتم جميعاً من حضر منكم هنا، ومن لم يتح له أن يحضر، من كان منكم في مناصب الاشراف على التعليم في الوزارة والمناطق، ومن كان منكم مباشراً لشئون التعليم من أقرب مناهجه ووسائله، كلٌ منكم قد بذل الاخلاص الذي لم يكن ينتظر من رجال العلم غيره. وكلٌ منكم قد بذل الجهد الذي يكافيء هذا الاخلاص، وكل منكم قد شارك فيما أتيح لنا من هذا الفوز، الذي يراه غيرنا عظيماً، ولا أراه إلا متواضعاً يسيراً، ولأنه ليس إلا الخطوة الأولى، والخطوة



معالي الدكتور طه حسين بك

وزير المعارف العمومية

القصيرة ، والخطوة التى ينبغي أن تتبعها خطوات طوال أوسع في شئون نشر العلم وانقاذ مصر من الجهل ، وتمكينها من أن تكون بلداً له حقه في الحرية الكاملة ، وحقه في الشرف الذي يلائم قديمه ، ويلائم مستقبله السعيد إن شاء الله .

أيها الزملاء

إنا نحن جماعة المعلمين ينبغي أن نكون أول من ينتفع بالعلم ، ننتفع به قبل أن ننفع به تلاميذنا ، وأول ما ينبغي للمعلم الذي يريد أن ينفع وأن ينتفع هو ألا يزدهيه الغرور وألاّ يشغله الفوز اليوم عن الجهد الذي ينتظره غداً ، وألاّ يطمئن إلى ما يتاح له من بلوغ الغاية فنحن لم نبلغ بعد غاية وإنما ابتدأنا الطريق ، والطريق أمامنا طويلة بعيدة شاقة ، ولا بدَّ لنا بإذن الله أن نمضي الى أمام حتى تبلغ مصر غايتها ، إن لم يكن بلوغها في عصرنا ففي عصور أقرب وأدنى إلينا مما كان الناس يظنون قبل أن يختم هذا الصيف .

عود الى الماضي

إني لأذكر وفي نفسي — ولا أقول على شفتي — أذكر وفي نفسي ابتسامة ليس فيها سخرية، وليس فيها غرور، وليس فيها اعتداد، بما بذلنا جميعاً من جهد ، أذكر ذلك الكلام الذي كان يقال منذ عام ، حين كان المصريون يشكون أزمة المدارس وأزمة القبول فيها، وحين كان اللوم يساق عنيفاً شديداً الى وزارة المعارف ، وحين كان المشرفون على وزارة المعارف يعتذرون بأن الأمة تطلب الى الوزارة فوق ما تطيق . أذكر هذا ، وأذكر الفصول التي كنت أكتبها من قمم الجبال ، كما كنت أكتبها من سواحل البحر ، أبيّن فيها أن الوزارة قادرة على أن تواجه أزمة التعليم إن خلّصت النية وصفت القلوب وروعيت المصلحة العامة وحدها ولم يراع معها شيء آخر ، ولست أخفي عليكم أني حين نهضت بشئون وزارة المعارف كنت أشفق على نفسي من هذا الكلام الذي أرسلته من قمم الجبال، كنت أشفق على نفسي من أن أكون قد أسرفت عليها وعلى الوزارة في حسن الظن ،

ولكنكم حميتموني من هذا الاشفاق ، وصدقتم ما تقدمت به من وعد ، وأتحتم لي أن أكون راضياً مبتهجاً مرفوع الرأس ، أقول للمكابرين : انظروا ، فهذه أزمة التعليم قد حلت في هذا العام ، وحلها في هذا العام دليل على أنه لا ينبغي أن توجد في مصر أزمة تعليم .

حلت أزمة التعليم

لكم أنتم جميعاً الشكر على انكم قد أعدتم الي ثقتي بنفسي ، ومكنتموني من أن أعد وأنا مطمئن الى أن وعدي لن يسقط في الهواء ، والى أن كلامي الذي أرسله من قمم الجبال لا يذهب مع الريح ، وإنما تتلقاه آذان تحسن الاستماع ، وقلوب تحسن الفهم ، ونفوس تحسن الاتعاظ بما مضى والتفكير فيما هو مقبل ، وعزائم لا تحب الكلل ولا الكسل إلا أن تضطر اليهما اضطراراً .

أيها الزملاء

لا تنتظروا مني أن أقول لكم إطمئنوا وارضوا ، فلست أبغض في الحياة شيئاً كما أبغض الاطمئنان والرضى ، وإنما أنا قلق دائماً ، مقلق دائماً ، ساخط دائماً ، مثير للسخط من حولي ، أعتقد أن الذي يرضى ويطمئن انما هو الكسل الوكل الذي لا أمل له في مجد ولا في عزة ، وإذا أتيح للأشخاص أن يتواضعوا وأن يزهدوا في المجد ، فلا ينبغي أن يتاح هذا للأمم ، ولا ينبغي للأمم أن تتواضع ولا أن ترضى ولا أن تطمئن ، وإنما يجب أن تمضي دائماً الى امام ، وكلما بلغت أملاً وجب عليها أن تطلب أملاً آخر ، وكلما حققت غاية وجب عليها أن تحقق غايات أخرى ، فحياة الأمم على هذا النحو أشد أعدائها الرضى وأعظم خصومها التواضع . والشعب الراضي المطمئن القانع بما أتيح له انما هو الذليل الذي قد تم نضجه للاستعمار والاستعباد ، وما أشك في أن واحداً منكم يحب لمصر الاستعباد والاستعمار .

أحبب إلي أيها الزملاء بهذا الاجتماع الذي إن صور شيئاً ، فانما يصور الاخاء بين الوزير

وزملائه وأعوانه من المعلمين ورجال التعليم ، وان صوّر شيئاً فانما يصوّر التعاون بين الحكومة والذين يعاونونها على خدمة المصلحة العامة ، هذا الاجتماع الذي يصوّر أن الوزارة ليست أمراً ولا نهياً ولا تسلطاً، وإنما هي تعاون وتآزر على البر والتقوى وعلى خدمة الشعب.

لست آمراً ولا ناهياً

أيها الزملاء

ثقوا بأني ما دمت لكم وزيراً فلن أكون عليكم آمراً ولا ناهياً ، وإنما أنا ممثلكم في مجلس الوزراء ، وممثلكم في البرلمان ، أعينكم على تحقيق آمالكم ، أدافع عنكم ان احتجتم إلى من يدافع عنكم ، أنصف منكم من ألح عليه الظلم حتى أصبح شديد الظمأ للانصاف ، انصفه بالارادة الصادقة والنية الخالصة والجهد في انصافه ، حتى أبلغ ما أريد من انصافه بالفعل

وإذا تحدثت اليكم في هذا كله،فاني لا أتحدث به عن نفسي وحدها ، وإنما أتحدث به عن الحكومة كلها ، عن رئيس الوزراء وعن زملائه جميعاً ، فهم لا يتولون أمور الناس ليحكموا أو ليأمروا أو لينهوا ، وإنما يتولونها ليصلحوا ما وسعهم الاصلاح ، وليدفعوا من الشرّ ما لا بدّ من دفعه ، ويجلبوا من الخير ما لا بدّ من جلبه ، لا يستعلون ولا يستكبرون ولا يتسلطون.هم منكم وأنتم منهم ، تقولون لهم فيسمعون، ويقولون فتسرعون الى المعونة وبذل الجهدالصادق .

أحب اليّ بهذا التجاوب بين الحاكين والمحكومين كما يقال ،أو بين الذين وكلت اليهم الديمقراطية أن يقودوا السفينــة ، وبين الذين كلفتهم الديمقراطية أن يعينوا قادة السفينة،أحبب اليّ بهذا التعاون بينكم وبيني وبيننا جميعاً ، وبين رئيس الوزراء وزملائه ، على ما كلفنا أن نعمل له ونجد فيه ، وهو انقاذ مصر من الجهل ما امتدت لنا الأسباب ، وما اتسعت لنا القوى ، وما أتاحت لنا الظروف . أحبب اليّ بهذا التعاون . ها أنتم هؤلاء في وزارتكم ، لستم في حضرة الوزير ، وإنما الوزير هو الذي أقبل يسعى اليكم، ويقدم اليكم

الشكر خالصاً . لستم في حضرته وإنما هو في حضرتكم، هذه لغة لا أفهم غيرها ، ولا أحب أن أفهم غيرها ، ولا أريد لكم أن تقبلوا غيرها من الوزراء مهما يكونوا . قد استجبتم للحكومة حين دعتكم الى النشاط في تيسير التعليم ، وقد يسّرتم التعليم كما استطعتم بمقدار ما سمحت لكم ظروف الميزانية ، وبمقدار ما سمحت لكم الظروف كلها . والنجح الذي أتيح لكم اليوم سيتاح لكم أكثر منه في اليوم المقبل وستمضي الأمور على هذا النحو حتى نستطيع — ولا أقول أن نرضى عما نجحنا — وانما نرضى عما بذلنا من جهد ، ونعتقد مخلصين أننا لم نخيب الآمال ولم نكذب الظنون ، ولم نخدع الشعب وإنما وعدناه ، فوفينا ، وقلنا له فصدقنا ما قلنا له .

كرامة المعلمين

ولست أستطيع أن أختم هذه التحية وهذا الشكر ، دون أن أتحدث إليكم عن بعض شئونكم ، ومن شأن واحد منها بصفة خاصة ، وهو كرامة المعلم — لا أقول كرامة المعلم على نفسه — وإنما أقول كرامة المعلم على الدولة التي تأتمنه على أبناء الشعب ، وتكل إليه مستقبل الأجيال، وكلكم يعرف رأيي في حقوق المعلمين .

وأقسم لو استطعت ألاَّ أترك من المعلمين مظلوماً إلاَّ أنصفته ، ولا متأخراً إلاَّ قدمته، ولا طالباً إلاَّ أجبته إلى ما يطلب،ولا ساخطاً إلاَّ أرضيته ، لكنت أسعد الناس في هذه الدنيا

* * *

واختتم معالي الوزير كلمته الخالدة بأن عاهد نفسه والحاضرين على تحقيق الآمال، داعياً لجلالة الملك المعظم .





عرفت المقتطف

منذ ٥٠ عاما

للأستاذ سلامة موسى

في بداية هذا القرن كان لي صديق ريفي يزاملني بالمدرسة الابتدائية بالزقازيق . ودعاني ذات مرة لزيارته في داره بالقرية التي كانت تبعد عن الزقازيق بنحو ثلاثة كيلو مترات . وقصدت اليه فوجدت عنده نحو مائة عدد من المقتطف استعرت منها عشرة وعدت بها الى بيتنا . وشرعت أتصفحها وأقرأ بعض المقالات ، وكان كثير منها يشق عليّ فهمه ، إذ لم تكن سني تزيد على ١٣ أو ١٤ سنة . ولكني وجدت فيما فهمت منها انها شيء جديد على ذهني

واتفق لي بعد ذلك بقليل انني عثرت على اعداد من مجلة الجامعة التي كان يصدرها فرح انطون فكنت أشتريها وأقرأها الى جنب المقتطف ، الذي قرأت جميع ما كان منه عند صديقي من الأعداد القديمة

وكانت الجامعة تحيي روحاً جديداً في الأدب ، وتحاول المزاوجة بين الأدب العربي والأدب الغربي . وكان المقتطف ينزع نزعة علمية ولكن في غير جفاف أو مشقة الا حين كان ينقل مقالاً لأحد العلميين في أوربا ممن كان يرتفع تفكيرهم فوق رءوسنا . ومن ذلك الوقت لم ينقطع اتصالي بالمقتطف . ولما قصدت الى انجلترا اشتركت فيه وكتبت أول مقال صحفي لي في أحد أعداده في ١٩٠٩ . وكان عنوانه : « نيتشه وابن الانسان » . وكان هذا المقال يحوي ايماءات كافرة دعت الدكتور يعقوب صرّوف الى أن يرد عليّ في مقال افتتاحي في العدد التالي . وكنت واقعاً في ذلك تحت تأثير نيتشه ودعوته الى اخلاق القوة وإبادة الضعفاء وكنت أجد من نظرية داروين التي أخذت مني مكان العقيدة الدينية وقتئذ ما يؤيد مذهب نيتشه، وخاصة فصوله هو وتلاميذه عن تنازع البقاء وبقاء الأصلح . وكنت مخطئاً

وكان الدكتور يعقوب صرّوف عميقاً في اطلاعه في الآداب العربية . وكان حين يحلل كلمة عربية يكاد يأتي بالمعجزات . وكان يرى أن تعريب الكلمات الأوربية الجديدة خيرٌ من

ترجمتها باختراع اسماء لها لم تكن في لغتنا من قبل وأذكر أنه نشر لأحمد زكي بك مقالاً دعا فيه الى تسمية الاتومبيل والبسكليت بالسيارة والدراجة . فردّ عليه الدكتور يعقوب صرّوف ردّاً موجعاً اختتمه بقوله اللاذع إنه يجب أن يعيبنا أن يخترع الاوربيون الاشياء ثم تقصر هممنا عن منافستهم فنقتصر على اختراع الأسماء فقط . وكذلك اعترض على كلمة منطاد لترجمة البلون . فقال إن الأغلب ان هذه الكلمة أي منطاد قد اشتقت من الطود أي الجبل الراسخ . وهو مع أنه راسخ فهو شاهق . فليس المنطاد كل ما ارتفع لأنه يطير ، بل لأنه شاهق كما تشهق الجبال الراسخة وزاد ان الطور هو تحريف الطود .

وما زلت أنا على هذا الإحساس الفني اللغوي . وما زلت أوثر استعمال الاتومبيل والبسكليت الصحيحين على استعمال السيارة والدراجة المخطأتين . كما أني دعوت الحكومة المصرية قبل أكثر من ثماني سنوات الى انشاء كلية هندسية خاصة لدراسة الموط أي المحرك الذي يحتاج إليه الاتومبيل والطائرة والدبابة والجرارة والغواصة والباخرة . والعبرة هنا إني رأيت كما كان يرى الدكتور يعقوب صرّوف الخير والمصلحة في دراسة المخترعات وفي اختراع الأشياء وليس في ايجاد أو اختراع الكلمات لأسمائها الأوربية .

وقد تأثرت بأسلوب المقتطف العلمي وإيثاره الدقة على البهرج . كما تأثرت بأسلوب الجامعة الأدبي بإيثار التفطن على التبذخ . ولغتنا غنية بالبذخ فقيرة في الفطنة . ومعاني السيكلوجية والفلسفة التي نحس أكبر الحاجة إليها هي معاني الدقة والفطنة وليست معاني البذخ والاسراف والتميع .

ولم يكن المقتطف يمينياً أو يسارياً في الثقافة، وكذلك لكن حتى عصرنا في الأدب وعندما أتأمل أعداده في السبعين من السنين الماضية لا أجد مقالاً واحداً مشيراً من الحركات الأدبية الجديدة في أوروبا . فانه أهمل أو كاد يهمل القصة الروسية ومسرح إبسن وأدب أناطول فرانس. ولم يجد ولز أو برنارد عنده الترحيب الذي يستحقانه . ولكنه كان في الثقافة العلمية عصرياً بل مستقبلياً . فانه دأب في شرح نظرية داروين . ومع أنه كان يرحب بمقالات شبلي شميل اليسارية فقد كان يرحب أيضاً بمقالات مصطفى صادق الرافعي التميلية . ولكن انحيازه الى شبلي شميل كان واضحاً على الرغم من ستار رقيق من المعارضة والإنكار . وكان شبلي شميل يدعو دعوة العلم . أما في الدين فكان يرى رأي بول سارتر زعيم الوجودية ...

ولم يكن الدكتور صرّوف يتعمق الفلسفة أو يهواها . فقد كان علمي المزاج والذهن

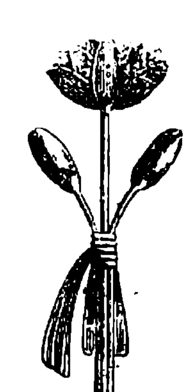
وأذكر أني قعدت إليه حوالي سنة ١٩١٤ وناقشته عن مذهب القوة الذي كان يدعو إليه نيتشه . فقال إن الأسد أقوى من الفأر ولكن هل هو أسعد منه . وأسكتني بهذا الرد . ولم أكن على كفاءة فلسفية وقتئذٍ كي أرد وأقول إن الانسان أكبر قيمة من حياته وأسمى مقاماً من سعادته .

وعقب وفاة يعقوب صروف تولى الرياسة للمقتطف الاستاذ فؤاد صروف . فأحاله الى مجلة علمية صرفة . وجعل البحوث العلمية المدروسة تحتل الجزء الأكبر منه . ولم يكن المقتطف كذلك أيام عمه . فاني أذكر أني قرأت حوالي سنة ١٩٠٤ مقالاً عن بسمارك نقله الدكتور يعقوب صروف نفسه الى العربية وبلغ نحو عشرين صفحة . واعتقادي أن فؤاد لم يكن ليجيز لمقال كهذا الظهور في المقتطف أيام رياسته لتحريره .

ولكل مجلة بؤرة كما أن لها جوًّا معيناً . وعندي أن بؤرة المقتطف كانت ولا تزال التفكير العلمي المبسط الذي لا ينخفض الى الاغراء بالسخف ولا يرتفع الى الرطانة الخاصة بالعلميين . وقد كانت لنا مجلة تعمل للادب مثلما عمل المقتطف للعلم هي مجلة الكاتب المصري . وكانا يشتركان في الرصانة والبعد عن التبذل . وحبذا المقتطف يضطلع بالرسالة التي أراد طه حسين أن يضطلع بها في الكاتب المصري بحيث يعود مجلة رصينة للعلم والأدب معاً .

إن الكاتب العظيم يستطيع إيجاد القارىء العظيم الذي يجد في المجلة أو الكتاب الصلة الروحية ، كدت أقول الدينية ، التي تصل بينه وبين شئون هذا العالم ، بل هذا الكون . فاننا حين نفهم الكون بهدي اينشتين ، أو ندرس مشكلة البروتين ازاء القحط في مصر أو الصين ، أو ندرس الديمقراطية الخيرية التي تكافح الثراء الفاحش في سويسرا ونروج وسويد ودنمارك ، أو نعرف الخسة الفلسفية التي ينحدر اليها بول سارتر ، أو نتحسس على النفس البشرية من خلال أحلامها بارشاد فرويد أو ندرس حوافز الحرب في الاقتصاد ، أو نتأمل حياة القديسين المصريين مثل البيرت شفيتزر ، أو برنارد شو ، أو غاندي حين نفعل ذلك نحس أن قلوبنا تصلي وأن ألسنتنا تدعو لخير البشر .

وفي سبيل هذا الخير يجب أن يعمل المقتطف وأن يعقد الصلة الروحية بيننا وبين العالم ، وأن يعلمنا ويثقفنا كي تزداد عقولنا ذكاء بالعلم ، وقلوبنا احساساً بالأدب .





للأستاذ حسن كامل الصيرفي

خَلِّ العَذَارى من بناتِ الخيالْ

يرْقُصْنَ حولي يا سَرِيَّ النَّغَمْ

فقد تدلَّلْنَ وطال الدلالْ

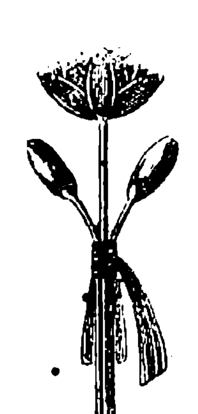
وكاد أن يطوي الصباحَ الحُلُمْ

***

في أبعد الأعماق من نفسي

خواطرٌ تهفو إلى حسِّي

وكلَّما حامت على كأسي



ثارت عليها نَوْبةٌ من كلالْ

فأغرقتْها في خِضمّ العَدَمْ

وأورثتني حقبةً من مَلالْ

وطوّحتْ بي في فيافي السأمْ

***

غسلتُ بالصمت خداعَ الدُّنى

وجُزتُ بالصمت سرابَ المُنى

وعدتُ منه قانعاً مؤمنا

والصمتُ يُوحي سحرُه بالجلالْ

ويغمر النفس بعذبِ النَّغَمْ

فأرجعي لي ياعذارى الخيالْ

صدى لُحوني من وراءِ العدمْ !

نظرات في النفس والحياة

— ٢٥ —

نظرات بلزاك

للأستاذ ع . بيش

قال ستيفان زفايج إن الصفة الغالبة على أبطال قصص أونوريه دي بلزاك القصصي الفرنسي الشهير هي صفة الطمع والوصول إلى الغاية حتى ولو أدت الى الخيبة. وهذه الصفة ربما عمت في نفس بلزاك لأنه عاش في شبابه في عهد امبراطورية نابليون بونابرت الذي حاول أعظم محاولة، وكانت له أطماع تحدوه الى أقصى غاية، ثم خسر كل شيء في سبيل الوصول إليها . ومن الجائز أن يكون الأمر كما ذكر زفايج، كما يجوز أن يكون بلزاك بطبعه يميل الى ذلك . وقد حاول أن يصل الى أقصى غاية في تأليف القصص واستيعاب العالم والنفوس في قصصه، فضحى حتى بالحب في هذا السبيل. وكان يشتغل في كثير من الأحايين أكثر ساعات يومه في تأليفها ، فهو راهب من أجل الفن : وكان يلبس لباس الراهب وقد أحب مدام هنسكا سنين طويلة ثم تزوجها . ولكنه مات بعد زواجه منها بأشهر قليلة .

وبالرغم من ميل بلزاك الى الإطالة في الوصف أو في البحوث القانونية أو العلمية فان له قدرة عجيبة في قصص المأساة. وقد أجاد في القصص القصيرة كما أجاد في القصص الطويلة. ويصح أن يسمى أبا الفن القصصي الحديث ، فمنه أخذ فلوبير ، وعن فلوبير أخذ جي دي موباسان وغيره .

ويصح أن يسمى أبا الفن الواقعي، وذلك لأن آحاد قصصه كما قال بودلير كانوا مثل المدافع المحشوة بذخيرة المتفجرات، فهم أيضاً كان حشوهم الحيوية والعزيمة .

وقد يدهش القارىء من كثرة قصصه ومن كثرة اجادته في الكثير منها ولا نظن أن أحداً صنع مثل ذلك غير شكسبير في شعر القصص التمثيلية .

ومن قصصه الشهيرة قصة (الأب جوريو) و (قطعة من جلد الحمار الوحشي) و (الأحلام الضائعة) و (البحث عن الحق المطلق) و (سيزار بيروتو) الخ ...

ومن قصصه القصيرة قصة (الجلاد) الفردوجو ، وقصة (غرام في الصحراء) ، و(آية فنه) ، و (مأساة على شاطىء البحر)، و (المرانا) الخ ...

وكان بلزاك يعيش مع آحاد قصصه كأنهم وكأنهن أحياء ويقاسمهم مسراتهم وأحزانهم، ومسراتهن وأحزانهن . فقد زاره صديق فوجده مهموماً وابتدره بلزاك قائلاً : لقد قتلت المسكينة نفسها، فذعر الزائر حتى عرف انها احدى بنات الخيال في قصصه .

وهذا يذكرنا فلوبير فانه عند ما وصف هلاك (مدام بوفاري) بالسم ظهرت عليه أعراض التسمم . وقد خسر بلزاك مالاً كثيراً بالرغم من دقة وصفه لطرق التمول والاغتناء في قصصه .

عاش بلزاك للفن، ولا نظن أن أحداً فعل فعله . إن السير والتر سكوت كان يقضي أكثر وقته في كتابة القصص حتى أوقات المرض والألم، ولكنه تزوج وخالف خلفاً واتصل بالأمراء وأولم الولائم فلم يعش مترهباً كما عاش بلزاك . ومع ذلك فان بلزاك الراهب في الحب والحياة ، والذي قال لجوتيبه إن المرأة تلهي صاحب الفن عن فنه ، هو الذي وصف النساء أدق وصف كما وصف الرجال من طبقات مختلفة ، ووصف أعمالهم وخواطرهم وأفكارهم .

وفيما يلي بعض نظراته مع قليل من التعقيب : —

(١) قد يفقد الانسان كل إيمان بنجاح أمله ومع ذلك يظل متعلقاً بالأمل متشبثاً به بالرغم من فقدان الإيمان بنجاحه، وإنما تعلقه بالأمل بعد أن يفقد الثقة به توقع منه لفرصة غير منظورة تجلبها له الحياة وهذا التشبث يعينه على تحمل كثير من مكاره الحياة

(٢) ليس لكل حادثة أثر واحد وعاقبة لا تتغير مهما تغير الذين تقع بهم الحادثة ، فان المسبة التي قد تستبعث قوى العبقري وملكاته وان ارهقته قد تقضي على رجل آخر وتردي ذوي العزيمة الضعيفة في الحضيض، كما انها قد تكون فرصة كسب وربح للرجل المستيقظ الذهن لوسائل الكسب وحيل الربح .

(٣) اذا كان نسيان العاجز ضعفاً ونقصاً، فان من النسيان ما هو قوة في النفوس العظيمة المبتكرة فان نسيانها مثل نسيان الطبيعة التي تنسى كي تستجد الأمور وكي تبتكرها

(٤) إن من أخطاء الشبان انهم يشعرون ان كل انسان مهما كان عمره ينبغي ان تكون عند حيويتهم ونشاطهم وآمالهم وثقتهم بالأمور وهم لا يستطيعون الا ان يشعروا بهذا الشعور ، لأنهم يرون الحياة ووهج الشباب منعكس عليها .

(٥) إن النساء اللواتي يكتسبن بصيرة بالمستقبل انما يكتسبنها من وعيهن للحاضر من الامور وتنبؤهن ناشيء من دقة جهازهن العصبي التي تمكنهن من بحث وتفسير مظاهر الفكر والاحساس وهن باستدلالهن على المستقبل من الحاضر ، انما مثلهن مثل الملاح الذي يستطيع برؤية السماء أن يرى ما هو مخبوء عن غيره من مطر أو إعصار أو صحو

(٦) كل عصر له ميول وكل بيئة نزعات،ويستطيع الرجال الماهرون الذين عندهم ملكة الربح والتيقظ لوسائل الكسب والاستعداد النفسي له ، أن يتاجروا بميول عصرهم ونزعات بيئتهم مهما كانت نبيلة تستدعي التضحية .

(٧) اذا انحرف حظ الرجل وساءت حالته فانه قد يصير لعبة لأحقاد الناس وأهوائهم ومن الخطأ أن يتعرض لتلك الأعاصير الانسانية ، وأن يجعلها تدفعه كل مدفع كما تكون الريشة في مهب الريح . وإذا أراد السلامة فليقبع كما يقبع المنكب على الارض كي يتجنب شدة الريح وعصفها حتى تمر الإعصار، واذا وقف قائما ينبغي أن يقف كي يعرف من أية جهة تهب الاعصار ليستطيع تجنبها .

(٨) اننا دائماً نخيب ونخفق من الجانب الذي أضعفناه من أنفسنا ، أو استرسلنا في ضعفه ،ان كان خلق معنا الضعف .

(٩) يخطيء من يظن أن الحيوانات لا تشعر بالذعر والألم شعوراً شديداً كالانسان، فان الحيوانات المنزلية قد تصرخ من الفزع صراخاً شديداً اذا اصابها انسان بألم هين عقوبة لها بينما هي إذا أصابها جرح من حركاتها فقد لا تصرخ ولا تصيح .

(١٠) إن القوة التي تستنفد نفسها بمجهود عنيف مباغت، تحدث أثراً مؤقتاً أقوى في نفوس الناس وخيالهم من قوة في مثل مقدارها تؤثر أثراً بطيئاً طويلاً . وهذا يصدق سواء أكانت القوة من قوى الإنسان أم كانت من قوى الطبيعة . ومن أجل ذلك صار الانسان الذي يبذل مجهوداً عنيفاً يستهلك قوته بسرعة ومباغتة يؤثر في نفوس الناس تأثيراً مؤقتاً أكثر من تأثير الرجل الذي يبذل مجهوداً مثله بطيئاً طويلاً ، أو مجهوداً أطول وأكبر .

(١١) في بعض الناس نوع من الكبر وهو كبر النفوس التي تفضل أن تخوض معارك الحياة وخصوماتها وحدها ، ولا تظهر إلا بعد الظفر والانتصار — وهناك نوع آخر من الكبر وهو كبر النفوس التي توهم الناس أنها تخوض معارك الحياة وحدها،وتعمل في خفية

عن أكثر الناس في اكتساب من يعينها على الانتصار وهذا الكبر أكثر شيوعاً لأن أكثر الناس يجبنون بطبعهم عن خوض معارك الحياة وحدهم ويهمهم الانتصار أكثر مما يهمهم أن يقال إنهم خاضوا معارك الحياة وحدهم .

(١٢) لا يدرك أثر الأمور التافهة في إحداث الحوادث الهامة الكبيرة الا الذين تعدوا السن التي قبلها يسرفون في بذل قوتهم الحيوية كيفما اتفق وفي أية غاية سواء أكانت كبيرة أم صغيرة، ولعلهم يدركون ذلك أكثر من ادراك غيرهم لبعد ما بين هذه الأمور التافهة الصغيرة وبين عظم المجهود الذي بذلوه كي يحدثوا حوادث أقل من تلك الحوادث التي أحدثتها الأمور التافهة الحقيرة .

(١٣) إن المجادلة والمحاجة التي يراد بها توضيح الأمور اذا لجت بها اللجاجة ، فانها قد تكسب الأمور العظيمة شيئاً من الحقارة .

(١٤) قد يعمر الحزن النفس الانسانية فيجعلها أشبه ببهو يرف فيه صوت مقدس يستدعي الخشوع .

(١٥) إن الانسان في عدله قلما يستطيع التخلص من مخاوفه على نفسه وعلى المجتمع. ولذا يستطيع أن يقدر الاحساسات الخفية والعوامل المستترة . فلا يكون عدله مثل عدل الله الذي يعرف خافية الأنفس وهو مبرأ من المخاوف فأحسن ما يكون عدل الانسان كالعدل الله قد حور وغير كي يكون مناسباً لنفوس الناس ومخاوفها وجهلها .

(١٦) يعتقد الرؤساء دائماً انهم يستطيعون أن يخلقوا الكفاية لمن ينحازون اليهم ويرشحونهم للمناصب لاشرافهم على عملهم — وهذا كما قال لويس الرابع عشر لابن لوفوا الصغير عندما جعله وزيراً في وزارة لا يدرك أمورها وطلب الشاب الاعفاء فقال لويس سأخلق لك الدراية والكفاية .

(١٧) كل نفس في حاجة الى أن تحرث في بعض الاحايين كما تحرث الارض ، والحوادث التي تحرث النفس تفيدها ، وان قلبتها كما تفيد التربة الخصبة الزراعية من حرث الحارث لها .

(١٨) بعض الناس يريدون أن يصنع لهم الفن ما لا تستطيع أن تصنع الطبيعة ، فهم يريدون أزهاراً من غير بزر ، وفواكه من غير ثمر ، وهذا شأن كثير من الناس فانهم يريدون أن يصلوا الى الغاية من غير وسائلها .

(١٩) اننا نخطيء إذ نظن أن الندم على الخطيئة أو الذنب دائماً معناه التوبة، وهو كثيراً ما لا يكون مصحوباً بالتوبة ، بل قد يكون ندماً عقيماً يؤدي الى معاودة الذنب. وهذا الندم

قد يكون مصحوباً بلذة في ذكرى موافقة الذنب الماضي ، ولذة في الأسباب التي دعت الى موافقته بالرغم مما بالندم من آلام، وهذا يذكرنا قول الشاعر : —

هل الله عاف عن ذنوب قديمة أم الله إن لم يعفُ عنها يعيدها

(٢٠) إن السعادة والشقاء والملل والانشراح ، أمور نسبية فقد يمل الانسان الحياة الرتيبة الهادئة ، ويمل تردد الحوادث اليومية الصغيرة يوماً بعد يوم، حتى يصير شعوره بالملل شقاء ، بينما أولئك الذين أرهقتهم أعاصير الحياة ، وكافحوا عواصفها ، قد يرون كل السعادة والهناءة في تلك الحياة اليومية والحوادث الصغيرة الرتيبة .

(٢١) كثيراً ما يتسامح الناس في الحكم على فضل ذوي النقص، بينما يشتدون في الحكم على نقائص ذوي الفضل . ولعلَّ ذلك لأن فضل ذوي النقص أمر غير معتاد ، فيفاجىء بالانشراح ، ويتوقعون من ذوي الفضل التام في الفضل، إن لم تكن شدتهم في الحكم على نقصهم حسداً لهم . وهذا يذكرنا قول المتنبي : —

ولم أرَ في عيوب الناس نقصاً كنقص القادرين على التمام

(٢٢) إن احترام الناس نفوسهم باحترام غيرهم سواء أكانوا من الأكابر ، أم الأصاغر ، إنما هو مانع وحاجز من الحواجز الاجتماعية التي تحمي العظيم ، كما تحمي الصغير ، فيستطيع كل منهم ان يواجه الآخر باطمئنان .

(٢٣) قلما يستطيع الانسان أن يحكم على معاشر الا باحساس واحد ، إما الاحترام ، وإما الاحتقار . وان وجد في نفسه ما يستدعي كليهما ، فانه من الصعب أن يحترم الانسان معاشراً لصفة وان يحتقره لأخرى . والاحترام هو الضمان الذي به يستطيع الناس ان يتعاشروا ، اذا فقدت حتى مظاهره ما استطاع الناس التعاشر .

(٢٤) بعض النفوس كالماء الضحل القريب الغور، وهذه النفوس لا تستطيع ان تعرض علينا مآسي الحياة ، وان كانت آلامها شديدة في تلك المآسي : —

وقد ذكر مثل هذا المعنى ستيفان زفايج في ترجمة حياة ماري انطوانيت اذ قال : إن الرجل العبقري قد يتعذب بالمآسي، فيزداد قدرة على التعبير عن الحياة. ولكن من سخر القدر ان يزج في المآسي بالرجل الذي ليس عنده قدرة على استنباط ما فيها من عبر ، أو فن ، أو حكمة ، فيتعذب من غير ان يفيد عذابه ومن غير ان يجد سلوى في عبقريته أو معيناً منها.

كيف نعلمُ أبناءنا اللغة

العربية الفصحى
تعليماً يمكنهم من الكتابة والتكلم بها

للأستاذ عبد الله بن عبد الله ...



أما لغتنا الكتابيّة الآن فهي اللغة العربيـة الفصحى بألفاظها وأساليبها وبما تجري عليه من قواعد مطّردة وهي محفوظة في أدمغة المعنيين بها منا معاشر العرب في جميع الأقطار العربية وهي ككل اللغات الراقية شعر ونثر وتجري شعراً ونثراً على أسنة أقلامنا كما كانت تجري في شعر العرب الخلّص من الفصحاء ونثرهم ، بل لقد فاق نثر الفصحاء منا وشعرهم نثر فصحائهم وشعرهم بتنوع المعاني وسموّها وبارسال النثر وطوله .

وأما لغتنا الشفوية فهي لغتنا الكتابية عينها بألفاظها وأساليبها تجري هي الأخرى على أسلات ألسنتنا في جميع الأقطار العربيـة أيضاً مع شيء من الاختلاف فيما يأخذ كل قطر من ألفاظ اللغة وما يدع ، ومع تحريف قليـل جداً في بعض الأساليب،وتحريف قد يكون كثيراً في الألفاظ ومع إحلال بعض الألفاظ الأعجميّة محل نظائرها من العربية .

وما نستعمله من ألفاظ هـذه اللغة وأساليبها في لغتي الكتابة والكلام كما هو أو محرّفاً وما لا نستعمله منها محفوظ في أدب العرب وأخبارهم ونوادرهم وقد امتلأت بها الكتب الأدبية واللغوية وهو باقٍ ما بقينا وبقي الدهر .

والمراد بلفظ أدب المعنى المتفق عليه وهو كل شعر ونثر بني على ركنين — الأول معانٍ سامية شريفة — والثاني ألفاظ وأساليب فصيحة رصينة.وكان مع استيفائه هذين الركنين ذا تأثير في النفوس يثير ما كمن فيها من عواطف كالفرح والحزن والرضا والغضب وغيرها، والمراد بلفظ لغة الألفاظ المفردة الواردة في الأدب بقسميه الشعر والنثر،والواردة وحدها على ألسنة الرواة وأقلامهم.وقد دُوّن في هذا وذاك كتب لا تحصى

فاللغة العربية الفصحى هي لغتنا الكتابية وهي لغتنا الكلامية بشيء من التحريف.

وقد بذل علماؤنا الأعلام الأولون كل ما يملكون من أوقات ومواهب وجهود لصيانة هذه اللغة من التحريف وحفظها كما وردت عن العرب الخُلَّص وذلك باستنباط قواعد مطّردة يراعيها المحدثون فيما يقولون ويكتبون ويقرءون.

وإذْ كان لحروف هذه اللغة الشريفة الحبيبة وألفاظها وأساليبها صفات وقواعد تسير عليها سيراً قويماً مطرداً لا تجد فيه عوجاً ولا أمتا ما زالوا يجدّون ويكدّون حتى استنبطوا لكل من الحروف والألفاظ والأساليب طائفة من العلوم وهي : —

ا — طائفة مختصة بحروف اللغة وهي علمان (١) أحدهما يبحث فيها من ناحية النطق والتلفظ وهو علم الحروف أو علم التجويد أو علم الصوت (٢) والآخر يبحث فيها من ناحية الرسم والكتابة الخطيّة وهو علم رسم الحروف أو علم الإملاء.

ب — طائفة مختصة بكلماتها من ناحيتي معانيها ومبانيها وهي أربعة علوم (١) ما تعرف به مدلولات هؤلاء الكلمات وضبط حروفها ما عدا أواخرها وما عدا المشتقة منها وهو علم اللغة (٢) ما تعرف به طرق وضع هذه الكلمات لمدلولاتها وهو علم الوضع — وكأني بهذا العلم قد وضع مَيْتاً وإني لأرجو له الحياة (٣) ما يعرف به ما في حروف هذه الكلمات من زيادة وحذف وتسكين وقلب وإبدال صرفيين وإدغام وهو علم الصرف (٤) ما تعرف به نسبة بعضها إلى بعض وأصولها وفروعها وطرق صوغها وهو علم الاشتقاق.

ج — طائفة مختصة بتراكيبها من ناحيتي معانيها ومبانيها وهي أربعة علوم أيضاً (١) ما تعرف به علاقة بعض معانيها ببعض وما تقتضيه هذه العلاقة من حركات أواخر الكلمات التي تدلّ على هذه المعاني وهو علم النحو (٢) ما تعرف به أحوال اللفظ العربي التي يطابق بها مقتضى الحال فتختلف صور الكلام لاختلاف الأحوال ويسمّى علم المعاني (٣) ما يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة وخفائها وهو علم البيان (٤) ما تعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ومقتضى الحال ووضوح الدلالة على المراد من علمي المعاني والبيان وهو علم البديع.

وللشعر مع هذه العلوم علمان مختصان به وهما (١) ما يبحث عنه من ناحية أوزانه وهو علم العروض (٢) ما يبحث عنه من ناحية أواخر أبياته وهو علم القافية.

هذه هي علوم العربية أو فلسفتها .

أما كيف نعلم أولادنا هذه اللغة تعليماً يكفل براعتهم فيها كلاماً وكتابة شعراً ونثراً فليس أمامنا إلا طريقة واحدة لامصرف لنا عنها الى غيرها، وهي الطريقة الفطرية التي سلكتها جميع الامم الحضرية والبدوية القديمة والحديثة منذ نشأة البشر إلى الآن، وستسلكها جميع الأمم حتى تقوم الساعة لأنها هي الطريقة الفطرية ، ومن يتنكب هذه الطريقة يشقى ويكدى وهو هي في تحصيل ملكتي الكلام والكتابة

ففي لغة الكلام فلقّن أولادنا الألفاظ وندربهم على النطق الصحيح بها وندلهم على مدلولاتها ثم ندرّبهم على تركيب الأساليب من هذه الألفاظ ليؤدوا بها أغراضهم، ولا نجد ولا يجد الأطفال في هذه الطريقة عسراً ولا مشقة بل يجد كلٌ منا مُتْعَةً ولذةً

وفي لغة الكتابة نتبع هذه الطريقة نفسها فيعمد عشاق الكتابة الى كتب الأدب القديمة والحديثة وإلى المطبوعات الراتبة كالصحف والمجلات يدرسونها ويحفظون ما يستجيدونه منها ويتدرّبون على محاكاته بغير مشقة ولا عسر بل بكثير من الشهوة واللذة . وعشّاق الشعر يكبّون على دراسته وحفظ ما لا يحصى من القصائد والأبيات ثم يعالجون الشعر مقلدين ما يستجيدونه وزناً وقافية

وهكذا كان يفعل العرب الخلّص أنفسهم وما كانوا يعرفون شيئاً من قواعد اللغة أو فلسفتها التي استحدثها العلماء المولّدون . سئل أعرابي مرة أتهمز الفأرة ؟ قال : السنّور يهمزها : كأنه لا يدري ما الهمز في الحروف فأحال على الهمز بمعنى الوخز والغمز وما كان أدباؤنا المعاصرون كتاباً وشعراء بدراستهم فلسفة اللغة وانما كانوا كذلك بدراستهم اللغة نفسها في أدبها ، فقد كان حافظ ابراهيم وشوقي من أعيان الشعراء، وأحمد فؤاد صاحب الصاعقة والمويلحي صاحب مصباح الشرق من أعيان النثار رحمهم الله جميعاً كانوا كذلك بدراستهم الأدب لا بدراسة شيء من علوم اللغة التي كانوا يجهلونها علماً ويجيدون مراعاتها عملاً بالسليقة الفصيحة التي طبعتهم عليها دراسة الأدب وحفظه .

فاذا أردنا أن نيسّر لأبنائنا تحصيل ملكة اللسان العربي الفصيح في الكلام والكتابة وجب علينا أن يكون جل عنايتنا منصرفاً الى دراسة اللغة نفسها من شعر ونثر وألفاظ

وما يتصل بها من نوادر وأخبار لا فلسفة اللغة وذلك في جميع مراحل التعليم العام من أولها الى نهاية المرحلة الثانوية وأن نسير في تدريسنا اللغة في هذه المراحل في الطريق التي نسلكها في البيئتين الآخريين وهما المنزل والمجتمع فتكون دراسة اللغة في المدارس امتداداً لدراستها في هاتين البيئتين .

وذلك بأن نجعل موضوع الدراسة في مدارس هذه المراحل جميعاً النثر والشعر في كتب الأدب الحديثة والقديمة وما يتعلق بها من شرح وتحليل ونقد وقصص، على أن تكون هذه الكتب في جميع هذه المراحل مشكولة شكلاً كاملاً، وأن يكون شكلها مع مطابقته لعلوم الصرف والنحو واللغة مطابقاً تمام المطابقة لعلم التجويد (الصوت) الآتي ذكره، وأن يكون رسم حروفها مطابقاً لفن الرسم، وأن يلزم الطلبة حفظ مقادير كبيرة مما يدرسون من جيد الشعر والنثر ومن الألفاظ المفردة المرادفة للعامي والدخيل وصواب الألفاظ العربية المحرفة في لغة الكلام، وأن يكون قياس تحصيل التلميذ بما فهمه وحفظه من هذا الأدب وهذه الألفاظ . ويجب مع ذلك أن يدربوا على الكلام والكتابة باللغة الفصحى تدريباً حازماً توضع أساليبه بعد البحث والدرس والتشاور

أما علوم اللغة أو فلسفتها فإننا في هذه المراحل العامة لا نحتاج إلى تدريسها تدريباً علمياً نظرياً بقدر ما نحتاج إلى تدريب تلاميذ هذه المراحل على قواعد هذه العلوم عملياً ولذا يجب : —

١ — أن يؤلف في علم التجويد (الصوت) كُتَيِّبٌ موجز جامع محرر خالٍ من الأغلاط مزين بالصور التي تبين حركات الفم والشفتين عند النطق، وأن تبين أحكام هذا العلم في جميع الكتب المدرسية في جميع المراحل مع الشكل على نحو ما بُيِّنت في المصحف المطبوع في مصلحة المساحة بالجيزة بمصر سنة ١٣٤٢ هـ على عهد المغفور له الملك فؤاد

٢ — أن يؤلف في فن رسم الحروف أو فن الاملاء كتيب موجز جامع محرر محكم خالٍ من اختلاف الآراء وأن يكون رسم حروف جميع الكتب المدرسية في جميع مراحل التعليم العام مطابقاً لما في هذا الكتيب تمام المطابقة

٣ — وأن تضبط الألفاظ اللغوية الواردة في جميع الكتب المدرسية ضبطاً دقيقاً

ونشرح شرحاً دقيقاً محدوداً واضحاً مع بيان الأصلي والفرعي والحقيقي والمجازي منها للمعلمين ولكبار المتعلمين .

٤ – وأن تؤلف كتب متقنة محررة لبيان مرادف العامي والدخيل من الألفاظ العربية وصواب الألفاظ العربية المحرفة في لغة الكلام وللالفاظ الحديثة التي تضعها الجماعات العلمية العربية الموثوق بها .

٥ – وأن يلزم مدرسو اللغة العربية في جميع مراحل التعليم العام تدريب تلاميذهم على:

ا – مراعاة قواعد التجويد المذكورة في الفقرة الأولى وعلى وفق الكتيب المدون فيها في قراءاتهم

ب – مراعاة قواعد رسم الحروف الواردة في الفقرة الثانية وعلى وفق الكتيب المدون فيها تدريباً عملياً في أثناء تدريبهم على القراءة والكتابة، وذلك في كل ما يكتبون

ج – أن يكلفوا التلاميذ حفظ الكلمات اللغوية المذكورة في الفقرة الثالثة

د – وأن يكلفوهم حفظ مرادف العامي والدخيل وصواب الخطأ والكلمات الحديثة التي تضعها الجماعات العلمية الموثوق بها المذكورة في الفقرة الرابعة. أما ما يمكن تدريسه من هذه العلوم في المراحل المدرسية العامة تدريساً علمياً نظرياً مع التدريب العملي إشباعاً لشهوة عشاق هذه الدراسة وأنا منهم واستعانته ببعضها على فهم الأدب العربي فهو : —

علما الاشتقاق والصرف على أن يؤلف في كل منهما كتيب موجز محرر سهل يشتملان على ما لا بدّ من معرفته من هذين العلمين وهو الوارد منهما في كتب النحو المصرية المقررة الآن وما قد يحتاج اليه أفرادها في الكتيبين من مباحث هذين العلمين . وعلى أن يدرس هذان الكتيبان في السنة الأولى الثانوية، كتيب الاشتقاق في النصف الأول من السنة وكتيب الصرف في النصف الثاني منها .

وعلم النحو على أن تدون مسائله المحررة المختارة الآن للمدارس الثانوية في كتيب واحد بعد حذف ما هو مدون من قواعد الاشتقاق والصرف في كتابيهما وبعد اختصار ما فيهما من تمرينات على أن يدرس في السنة الثانية الثانوية .

وعلوم البلاغة على أن يدون علما البيان والبديع في كتيب يدرس في السنة الثالثة، وعلم

المعاني في كتيب آخر يدرس في السنة الرابعة . أما مشتملات هذين الكتيبين فهو ما في الكتب المدرسية المقررة الآن مع حذف المباحث الآتية من كتاب المعاني وهي : —

١ — البلاغة — ٢ — مراتب البلاغة — ٣ — أمثلة لمطابقة الكلام لمقتضى الحال ٤ - أمثلة للكلام البليغ وتحليل ذلك ونقده — ٥ — تمرين من النثر وتمرين من الشعر — ٦ — الأسلوب — ٧ — مطابقة الأسلوب لمقتضى الحال — ٨ — صفات الأسلوب الجيد وقد شغلت هذه المباحث خمسين صفحة كاملة من الكتاب

وحذف المباحث الآتية من كتاب علم البيان وهي — ١ — التعبير عن المعنى الواحد بأساليب كثيرة — ٢ — بلاغة التشبيه — ٣ — اختلاف الذوق في تقدير التشبيه باختلاف البيئة والعصور — ٤ — السرّ في جمال الاستعارة — ٥ — موقع الاستعارة متى يحسن ومتى لا يحسن — ٦ — اختلاف الأذواق في تقدير الاستعارة باختلاف العصور والبيئة — ٧ — السرّ في بلاغة الكناية — ٨ — اختلاف الذوق في تقدير الكناية — ٩ — توليد الصور — ١٠ — تجدد صور البيان — ١١ — تراكم صور البيان وقد شغلت هذه المباحث هي الأخرى من كتاب البيان صفحات كثيرة

إني لا أرى للتلاميذ فائدة مطلقاً من ذكر هذه المباحث فحذفها لا يمس جوهر العلم بسوء وهي متكلفة تكلفاً ظاهراً قليلة الغناء وان لم يكن من بعضها بدّ فإنما موضعه بعد دراسة البلاغة على أن يترك درسه للطالب نفسه، فانّ ذكرها قبل قواعد البلاغة نفسها كاعراب البسملة في أول كتاب الكفراوي في النحو من باب بناء البيت قبل الأساس

ويجب أن يراعي في تأليف هذه الكتيبات المدرسية الموجزة الطريقة الاستنباطية فتذكر الأمثلة أولا، ثم القاعدة ثانية على نحو ما في كتب النحو الواضح والبلاغة الواضحة لحضرة صاحب العزة مصطفى بك أمين وزميله المرحوم علي بك الجارم مع مقدار متوسط من الأمثلة، فقد كثر عدد التمارين في الكتب المدرسية الحديثة كثرة صرفت عنها المعلمين والمتعلمين جميعاً، وما كانت كثرتها إلا رد فعل لقيام كتاب قواعد اللغة العربية للمرحومين حفني بك ناصف ورفاقه عشرات السنين في المدارس وهو خالٍ من التمرينات

وأرى أن تكون كتيبات هذه العلوم كلها (١) التجويد و (٢) الرسم و (٣) الاشتقاق و (٤) الصرف و (٥) النحو و (٦) البيان والبديع و (٧) المعاني صغيرة بمقاس كتاب قواعد

اللغة العربية المذكور وفي حجم عنوان الظرف في فن الصرف، وعنوان النجابة في قواعد الكتابة المدرسية القديمة الملغاة وأن تجمع هذه الكتيبات السبعة في مجلدة واحدة وتوزع على طلبة السنة الخامسة التوجيهية، فان وجود هذه المجموعة في أيديهم ومراجعة حضرات أساتذتهم لهم فيما قد يعرض في كتب المطالعة والنصوص الأدبية مطابقاً لقواعدها ما يحملهم على مراجعتها فيها والاستفادة منها .

هذا ما أراه في تدريس علوم اللغة العربية وتوزيعها على مراحل الدراسة، والجديد فيه هو فصل بعض هذه العلوم عن بعض. ولقد جنحت الى هذا الفصل من زمن طويل مضى لا يقل عن ثلاثين سنة لأنه من أكبر مظاهر التقدم العلمي وأسبابه، فالعصر الحديث عصر التخصص في فروع الفروع الدقيقة والمدنية الحديثة وليدة هذا التخصص .

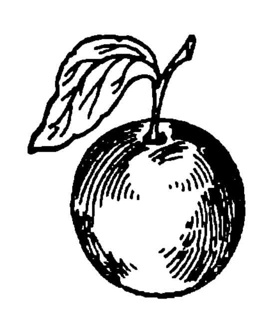
فقد كانت العلوم كلها منذ نشأتها الأولى كتلة واحدة تسمى الفلسفة . فلما أخذت المباحث العلمية تتقدم وتزداد قواعدها ونظرياتها أخذت تنفصل وتستقل علماً فعلماً .فكان الحساب والهندسة والجبر والطبيعة والكيمياء والطب والفلك وغيرها من العلوم. ثم لما ازدادت العلوم تقدماً تفرع منها علوم أخرى . فكان علم الضوء والصوت والكهربا والمغنطيسية والحرارة ، وكان علم وظائف الأعضاء ، وعلم التشريح ، وعلم الصحة ، وعلم الصيدلة، وعلم الجراحة . ثم صار لكل حشاً من الأحشاء وعضو من الأعضاء أطباء متخصصون فنهم المتخصص للقلب أو للصدر أو للأنف والأذن والحنجرة وغير ذلك .

وما حدث ويحدث في هذه العلوم وغيرها من الانقسام والانفصال والتفرع كان يجب أن يحدث في علوم اللغة العربية وفقاً لسنة النشوء والارتقاء. لقد بدأ هذا الانقسام والانفصال يحدث في عصر النهضة العربية الاسلامية بعد الكتاب الأعظم كتاب سيبويه الذي جمع خليطاً من علوم العربية، غير أن عصر الازدهار والتقدم لم يمتد بالمدنية العربية العباسية امتداداً كافياً لتمام هذا الانفصال والتفرع،ولو أنه كان قد تم وفقد بما ابتليت به الأمة العربية وتراثها القديم من تدمير لظهر له أثر فيما نجا وسلم من الكتب التي وصلت إلينا .

ولو أننا في نهضتنا الحديثة لم نقف بفلسفة اللغة العربية عند الحد الذي وصل إليه أسلافنا الأقدمون. لكنا عنينا بهذا الانقسام والانفصال عناية تليق بالعصر الحديث،عصر النهضة العامة، عصر الجامعات والتخصص. فإن من أعجب العجب أن تغفل الجامعات المصرية من هذا ، وأن يظل تدريس علوم العربية فيها يعتمد على طريقة كتاب الأشموني وهو على غرار الكتاب الأعظم يجمع بين النحو والاشتقاق والصرف مع تقصير كبير في الاشتقاق والتصريف وبعض التقصير في النحو نفسه .

ما يهمك أن تعرفه عن : —





في خواص الفاكهة ومنافعها

للأستاذ سمير وجيري

بحث الانسان البدائي في مختلف أدوار حياته الأولى عن غذائه قبل أن يبحث عن مأواه أو كسوته ، فكان يقتات بما يصطاده من لحوم الحيوانات

وعلم التغذية هو العلم الذي يدلنا على أن نأكل غذاء كاملاً شاملاً لكل الضروريات الغذائية،ومحتوياً على كل ما يحفظ الصحة ، ويحدث الحرارة الطبيعية للجسم ، وينشطه لتقوم الأعضاء المختلفة بأعمالها ووظائفها ويساعده على النمو .

وأهم المواد التي يتكوّن منها الغذاء هي : —

١ — ماء — وهو يوجد على الحالة الطبيعية كما يوجد كجزء هام في كل أنواع الغذاء وتكثر نسبته وتقل حسب النوع .

٢ — مواد بروتينية — وهي تكثر في اللحوم وتوجد بنسبة مختلفة في غيرها

٣ — مواد كربوايدرائية — وتوجد بكثرة في القمح والحبوب الغذائية والفاكهة .

٤ — مواد دهنية — وهي تكثر في المواد الدسمة كالسمن ، والزبد ، والزيوت الغذائية ، ودهن الحيوانات والحبوب الزيتية كالسمسم .

وهذه المواد الثلاث الأخيرة (بروتين — كربوايدرات — دهنيات) تقوم بوظيفة وقودية لأنها تتأكسد وتكسب البنية الحرارة الطبيعية [1] اللازمة لها فتضفي عليها النشاط

(١) كلمة سعر وضعت لكلمة Calorie وهي وحدة القياس للحرارة والنشاط التي تعطيها المواد الغذائية. والوحدة هي مقدار الحرارة اللازمة لرفع درجة حرارة لتر من الماء درجة مئوية . ويحتاج الفرد البالغ ذكراً كان أو أنثى — الذي يعيش معيشة عادية في طقس معتدل بدون أعمال جسمانية الى ٢٤٠٠ سعر حراري يومياً ، والمفروض ان هذه الكمية تكفيه لكل احتياجاته.

والعمل، وتحتوي جميعها على كربون وايدروجين وأوكسجين بنسب مختلفـة في كلٍّ منها ، وزيادة على ذلك ففيها كبريت ونتروجين

فالجرام	الواحد	من	المواد	البروتينيـة	يعطي	حرارة	قدرها	٤	سعر تقريباً
«	«	«	«	الكربوايدرائية	«	«	«	٩	سعر تقريباً
«	«	«	«	الدهنية	«	«	«	٤	سعر تقريباً

٥ — أملاح معدنية — وتوجد بكثرة في الخضر والفاكهة

٦ – فيتامينات — وهي مواد مساعدة ومنظمة وضرورية للنموّ والصحة والنشاط ، لأنه وجد بالتجربة أن خلوّ الغذاء منها يسبب أمراضاً غذائية شديدة، مع أن مقدار هذه الفيتامينات قليل جداً .

وقد ثبت أن هناك علاقة متينـة بين الفيتامينات[1] والهورمونات [2] وإن هذه الهورمونات تتحرّك وتنشط اذا كانت الفيتامينات متوافرة في الجسم .

٧ — فضلات لا تهضم : يقصد بها امتلاء الأمعـاء لضرورتها لتنبيه عضلاتها ، وأهم هذه المواد ألياف النباتات المكوّنة من مادّة السليولوز .

وبما أن الغذاء الكامل للجسم هو الغذاء المحتوي على المواد الغذائية بكل مشتملاتها بما فيها من الأملاح المعدنية والفيتامينات على أن يكون ٧٠ ٪ من مجموع مواد الغذاء مواد خضراء وفاكهة ، فقد آثرنا مقالنا عن الفاكهة لما تحويه من خواص ومنافع عديدة .

( ) الفيتامينات هي مركبات كيماوية على أعظم جانب من الاهمية لنمو الانسان والحيوان ، والمحافظة على صحتهما ونسلهما، وهي موجودة في أغذيتنا ولكنها لا تشترك مع بقية مواد الطعام في امداد الجسم بما يلزمه من حرارة وبنيان ووظيفتها انها تسهل للجسم الاستفادة من مواد الطعام ، وهي كثيرة الانواع ولا يمكن لاحداها ان تحل محل الاخرى في وظيفتها . (فهناك فيتامين ا وفيتامين ب ١ وفيتامين ب ٢ وفيتامين ح وهو المسمى فيتامين C ، وفيتامين د او D ، وفيتامين هـ وهو المسمى فيتامين E الخ ...)

(٢) الهرمون مادة كيميائية تفرزها بعض الغدد الصم التي في الجسم ، وهي التي ليس لها قنوات خاصة بل تتصل مباشرة بالدم وبذلك يحدث تأثيرها بواسطة الدورة الدموية فتؤثر في أجزاء الجسم المختلفة وتحفظ توازنه وحيويته وكل اختلال ولو كان يسيراً في افرازات تلك الغدد يؤثر تأثيراً سيئاً في الجسم وهي أيضاً تقرر لنا الصحة أو المرض والذكاء أو البلاهة والطول أو القصر .

الفاكهة

خواصها ومنافعها والتداوي بها

لا حاجة الى شرح الفوائد التي تنجم عن الاكثار من أكل الفواكه ولا سيما في فصل الصيف ، ويقول الأطباء إن الاكثار من أكلها يلطف الطباع ويدمثها ، أما الاكثار من أكل اللحوم فإنه يزيد في شراسة آكلها ، وفي تخشين طباعه ، ومما لا ريب فيه أن أكل اللحوم بقية باقية من آثار الحيوانية في الإنسان ، وإنه ورث هذه العادة عن جدوده في أيام همجيتهم ، ولذلك فكلما ارتقينا في سلم المدنيـة أقللنا من أكل اللحوم وانصرفنا إلى أكل الفواكه والأطعمة النباتية .

وقد يستطيع الانسان بغير ضرر على صحته أن يعيش على الخضر والفواكه دون الأطعمة الحيوانية على الاطلاق ، ولكنه لا يستطيع أن يتغذى على اللحوم فقط فانه يمجها سريعاً وتسبب له اضطرابات هضمية وتترك متخلفات سامة تضر بالجسم وتقصر حياته . في حين ان الأطعمة النباتية تقاوم أسباب التعفن واختمارات الامعاء بفضل املاحها الغزيرة .

ومن المعلومات الاولية أن الصحة والقوة لا يستقيمان للانسان إلاّ إذا تناول في غذائه مقداراً كافيـاً من الخضر والفواكه لسد حاجة جسمه الى الأمـلاح المعدنية وأنواع الفيتامينات والمواد النشوية ، وبنوع خاص السليولوز الذي يرطب المعى وينظفهـا من الفضلات .

ولا ريب في أن للفواكه خواصاً ومزايا عديدة كان الأقدمون يعرفون بعضهـا أو معظمها . فقد كانت النساء المصريات يكثرنَ من أكل الرمان ، واليونانيـات يكثرنَ من أكل التفاح .

وللفاكهة منفعة كبيرة في علاج بعض الأمراض ، لأنهـا تنشط الوظائف الطبيعية في جسم الانسان بما تحويه من قيمة غذائية ومن عناصر غنية ، لأنها تضم نسبة لا بأس بها من أنواع السكريات ، والأحماض العضوية ، وكمية طيبة من الأملاح المعدنية ، أهمها البوتاسيوم والصوديوم والحديد ، غير أنها فقيرة في أملاح الجير ، ولذا كانت الفواكه عامة من الاغذية

القلوية التي يتخلف بعد هضمها وتمثيلها (١) رماداً قلويًّا في الجسم . أما الفيتامينات التي بها فهي تشفي الأمراض الناتجة من سوء التغذية أهمها الأمساك وفقد الشهية والتهاب الأعصاب والعشى (٢) الليلي والبلاجرا الخ . . .

* * *

ولكي ننتفع من أكل الفواكه ونستفيد من خواصها يجب أن نعرف متى نأكلها ، لأن منها ما لا يصلح أكله مع بعض الأطعمة . فالمصابون بعسر الهضم لا يوافقهم أكل الفواكه مع الخضر . والمصابون بكثرة افراز العصارة المعدية لا يجوز لهم أن يأكلوا الفواكه الحامضة مع الحبوب كالفول والحمص والعدس وغيرها ، لأن حموضة الفواكه تجعل هضم النشا الموجود في الحبوب صعباً .

اما حموضة الفواكه فتفيد في أمراض كثيرة لأنها تساعد على تحليل بعض الفضلات وافرازها بوساطة الكليتين . ولا يغيب عن بالنا أن بعض الأمراض ومنها داء النقرس تتولد من تجمع هذه الفضلات بشكل حامض بوليك ، فالاكثار من أكل الفاكهة يساعد على خروج هذه الفضلات وينبه الكليتين .

ويتناول بعض الناس عصارات الفاكهة الحمضية كالبرتقال مثلاً قبل الفطور كمنشط للدورة المعدية

والفاكهة الحمضية والسكرية والخضر النيئة منظفة للفم ومعينة على وقف فساد الاسنان ، ولهذا ينصح الأطباء بأن تختتم بها وجبات الطعام .

وقد دلت البحوث على أن المواد الكربوايدرائية مثل النشويات والسكريات تورث الأسنان التلف والبوار .

وللفواكه تأثير مفيد في إزالة الامساك وتقوية الامعاء ، ويتم تأثيرها إذا أخذت بكثرة قبل الطعام كالتفاح والخوخ والمشمش والتين والبرتقال والبرقوق .

---

(١) التمثيل الغذائي هو تصرف البنية في المواد الغذائية واستساغة الخلايا لها وأخذ اللازم منها ورد الزائد مع الفضلات الى الدم وقد تسمى أيضاً بالتبادل الغذائي

(٢) عدم القدرة على النظر عند دخول الظلام

﴿ عصير الفاكهة ﴾ عصير بعض الفواكه أفضل شراب للمرضى في حالات الحمى، وكثيراً ما يشير الأطباء في مثل هذه الحالات بسلق الفواكه الجافة في قليل من الماء واعطاء مائها للمريض.

وعصير البرتقال والعنب والتوت يضاف الى الماء ويُعطى للمريض بالحمى فيشربه لمساعدة الفضلات السامة على الخروج من الجسم، كما انه مدرّ للبول، ولذلك يشيرون باعطائه للمصابين بأمراض الكلى.

أما التمر هندي فان عصيره يصنع منه شراب قليل الحموضة مزيل الامساك

وليس شرب عصير الفواكه في الصيف وحده مفيداً للصحة والنشاط ورونق الوجه، بل مسح الوجه بعصير الفواكه — إذا تيسر — مفيد مثل فائدة تناول العصير، وفي الشتاء عندما تقل الفواكه يحسن أكل الجزر نيئاً ومشويّاً ومطبوخاً. وهريسة الجزر — أي الجزر مدقوقاً ناعماً جدّاً — من أفضل أنواع المنعشات للبشرة — وإذا وضعت السيدة مقداراً منها على وجهها لمدة خمس عشرة دقيقة ستلاحظ تطوراً في اشراق وجهها وجماله

والفواكه المرغوب أكلها مطبوخة يجب تسويتها إما على البخار بأن توضع في مصفاة فوق الماء الذي يغلي ويغطى الأناء، واما أن تطبخ في الفرن في كمية مناسبة من الماء حتى تؤخذ البقية الباقية من الماء مع الطعام عند تناوله فلا يفقد ما يكون قد ذاب فيها من الفيتامينات التي تذوب في الماء.

* * *

﴿ التفاح ﴾ من أمثلة الغربيين أن أكل تفاحة في اليوم تبعد الطبيب An apple a day Keeps the doctor away ولاينفرد التفاح بهذه المزية، فكل أنواع الفاكهة لها مثل فعله وتأثيره لكنها تختلف في الفوائد اختلافاً يسيراً.

والتفاح ملك الفواكه لاحتوائه على كل الاملاح المعدنية المنشطة والمقوية للجسم ففيه ٩ر٣٦ ٪ من أملاح البوتاسيوم + ٦ر٨ ٪ من الحديد + ٩ر٢٤ ٪ من الكالسيوم + ٣ر١ ٪ من الفوسفور + ٢ر٤ ٪ من المانيزيا + ٢ر٦ ٪ من السيليكون + ٢ر٤ ٪ من الألياف + ٧ر١٣ ٪ من الكبريت.

كما يحوي كذلك حمض الطرطير الذي يتحول في المعدة الى قلويات فيخفف من وطأة حمض الهيدروكلوريك الذي تفرزه المعدة . وهو يساعد على تنشيط الامعاء . فعلى المصابين بعسر الهضم أن يكثروا من أكله ناضجاً .

والكيلو الواحد من التفاح يعطي الجسم حرارة قدرها ٤٤٠ سعراً ويحتوي على العناصر الآتية : — ٦ر ٨٤ ./٠ من الماء + ٢ر١٤ من السكر + ٤ر٠ ./٠ من البروتين + ٥ر٠ ./٠ من الزيت + ٣ر٠ ./٠ من الأملاح المعدنية كما يحتوي على فيتامينات ا ، ب ، ح

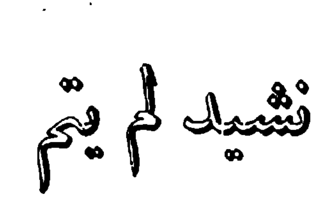
وإذا مضغ التفاح جيداً فانه يهضم في مدة تتراوح بين الساعتين والساعتين والنصف ساعة ، وإذا تناوله الانسان طازجاً نظف الأسنان وقواها ، سيما إذا قضم بها بدلاً من السكين. وكلما كان التفاح صلباً كان أكثر فائدة للاسنان ، كما انه مرطب ومنشط ومساعد على نمو الأطفال ويلطف من حدة داء المفاصل وعسر الهضم وإزالة الامساك .

والتفاح له فوائد أخرى فانه يهدىء أصحاب المزاج العصبي وينقي البشرة ويجمل الوجه كما يساعد على النوم إذا أكل قبل النوم ، وإذا أكلته المرأة الحامل يمنع عنها القيء والغثيان «الوحام» والدوار . ومغلي التفاح أو مغلي قشوره يفيد في حالات التهاب الحنجرة والمصابين بالأمراض الجلدية بشرط ألا يضيفوا اليه السكر .

وكان أطباء اليونان ينصحون الناس بالاكثار من أكل التفاح والعنب لاعتقادهم أن هذين النوعين من الفاكهة يكثران الدم وينقيانه . واليونانيون أول من أشار على النساء بأكل التفاح من دون تقشيره . وكان بائعو العطور عندهم يستخرجون من بزره زيتاً لزينة الشعر .

(البحث بقية)





An Unfinished Ode

للدكتور أحمد زكي أبو شادي

لم يحصرْ الفنُّ في ذهن وانسانِ ... حتى يمجدَ شِعري فوق حُسباني

لكن هو النبل صنو الحب مذ خلقا ... وكم يُجَسِّم إحساناً باحسانِ

ومَنْ أكون لأحظى مِنْ محبتكم ... بما يجدِّد وجداني وإيماني ؟

وما يُضاعفُ في عمري، ويسعفهُ ... بكل حلم يُغَذي رُوحَ فنَّانِ ؟

دُنيا من الشعر تَحيا في قصائدِها ... وما تَحَجَّبَ منها غيرُ عنوانِ

جازتْ روائعها الأكوان، وازدحمت ... في كل شيء، وجازت كلَّ إمكانِ

مَنْ شاء مُتعتَها لم يثنهِ تعبٌ ... ومَنْ تبرَّمَ عاش الآسفَ العاني

كأنَّني مِنْ نداكم صرتُ مالكها ... وصرتُ كانزَها في طيِّ وجداني !

* * *

نوابغَ الأدبِ الوضَّاء في وطنٍ ... أغلى مَعانيهِ تحرُرٌ لانسانِ

وافى (الربيع) بكم عِطراً وأغنيةً ... وساحراً ينتشي منه الجديدان

يُسدي الأياديَ، لا منٌّ ولا عددٌ، ... مثل المَلْكِ في جَاهٍ وسُلطانِ

لم يَسأمْ الخلقُ جدواهُ مردَّدةً ... أو عِيدَه، وهو عندي اليوم عيدانِ

أقصَى أماني أن أحيا شذًى وسَنىً ... بعدَ الحياةِ، إذا التذكارُ أحياني

والآن جُدتمْ على نفسي بما عَشقتْ ... كأنَّ عُمْرِيَ بعد اليومِ عمرانِ

مِن أيَّ نبع رحيقُ الشكر أنهلهُ ... نَخْباً لكم، حين أسقيهِ بألحاني ؟

(١) قصيدة ألقاها الدكتور احمد زكي أبو شادي في الحفلة التكريمية التي أقيمت له في نيويورك

وكيف أجزي شعوراً لا كِفاءَ له[1] ... واستقبلْ بتعبيري وميزاني ؟
من يَبْذُلُ الحبَّ لا يجزي عوارفَه ... إلا صدًى في حنايا قلبه الحاني
أكْرِمْ بكم من أُساةٍ في عواطفهم ... ومن حُماةٍ لآدابٍ وعرفانِ
خفّوا سراعاً لتكريمي كأنّ بهم ... يومَ المروءةِ ثأراً عند أحزاني !

***

تركتُ مصرَ وقلبي لوعة ولظًى ... لجنّة ضُيّعت في نوم جنّانِ[6]
عاثَ اليرابيع فيها وهو في شُغُلٍ ... عنها بأضغاثِ أحلامٍ وبُهتانِ
إذا أفاقَ تعالت صيحةٌ كذَبَتْ ... فلم تُعقّب بمجهودٍ ليقظانِ
بذلتُ عُمْري لأرعاها وأوقظَه ... فكان سُقْمي وتعذيبي وحرماني
فِدًى لها لو أباحتْ كلُّ ما ملكت ... نفسي، وما وهبت في حُبِّها الجاني
تركتُها وبودّي غيرُ ما حكمت ... به المقاديرُ في أشجانِ لهفانِ
وقلتُ علّي - على بُعدٍ أشارفُها ... وأنفخُ الصورَ إن فاتَتهُ نيراني
في بيئةٍ تُنْزِلُ الأحياءَ منزلَهم ... ولا تُحاولُ تخليداً لأكفانِ
فلم يُخيّب رجائي في نوازعها ... ولم تكن هجرتي من (مصرَ) هجراني !

***

هل يعلم (الهدسن) المحبوب ما شغفني ... بحسنه وكأنّ (النيلَ) نيلانِ
وما غرامي بشطآنٍ يغازلها ... تصوفتْ فوقَ أحلامٍ لشطآنِ ؟
وكيف يجتمع الشوقانِ في وطنٍ ... أسلا المديدينَ أشواقاً لأوطانِ ؟
وفي محبتكمْ غنيانُ ذي أدبٍ ... وفي ما آثركم أضعافُ غنياني ؟
قد أدركَ[2] الخلقَ حينَ الغيثُ جانبهم ... وبرّ بي حينَ أصفى الأهلِ جافاني

(١) لا كفاء له : لا نظير له (٦) الجنان : حارس الجنة ، كناية عن الشعب المصري !
(٢) أي نهر الهدسن ، إشارة إلى أزمة الماء الخطيرة بنيويورك في نهاية سنة ١٩٤٩ وأوائل سنة ١٩٥٠ ، وكان اعتماد نيويورك على المطر وحده في نيل كفايتها من الماء .

شفتْ مراثيه أوصابي كرؤيتكم وحينَ ناجيتُه عن (مصر) ناجاني
لم أحيَ في قربه روحاً ولا بدناً بل فكرةً فوقَ أرواحٍ وأبدانِ !

***

إثنانِ خُلدتْ الدُّنيا لأجلهما الحبُّ والنبلُ مُذْ كانا بإنسانِ
قد طوَّقاني بدينٍ من فضائلكم وإن توارتْ ،وإن باهتْ بديواني
وليس فيه سوى أصداء عاطفةٍ ذبيحةٍ بين آلامٍ وأشجانِ
أنسيت موجِع أتراحي، وقد غمرت تلك الألوف الضحايا[1] نارُ شيطانِ
يا ليتَ لي حظُّ حكامٍ فأنقذهمْ فالموتُ والذلُّ للاحرارِ سيَّانِ
وَاهاً لهم في الصحارَى لا غذاء لهم ولا كساء سوى ألفاظِ منّانِ
كأنهم في الضنى، والسقمُ يحصدهم محاصرين ، زرافات لجرذانِ
أينَ البساتينُ كانوا زينَ نضرتها؟ أين الضياع بكت في دمع غُدرانِ؟
ضاعتْ وضاعوا بلا ذنبٍ لأمتهم وأصبحوا عبراً تروى لأزمانِ
فان بخلنا ببعضِ البرِّ يُسعفهمْ فأيُّ معنى وعيناهُ لأديانِ ؟
وما التشدقُ بالأوطانِ نخذلها وما الوفاء تجلى شرَّ كفرانِ ؟!

***

شكراً لكم سادتي، شكراً، فقدوتكم كالشمس تطلعُ إلهاماً لحيرانِ
إن تُكرموني فقد أنصفتمو أمماً عانتْ وضحتْ وما زالتْ بأرسانِ
فُكُّوا القيودَ وأحيوها بحكمتكم وجنّبوها عِباداتٍ لأوثانِ
لا خيرَ في الشعر تطريباً وتطريةً ومحضَ زهوٍ بألحانٍ وألوانِ
وما الخلودُ لفنٍّ لا تسودُ به روحُ الجمالِ دنايا العالمِ الفاني !

---

(١) اللاجئين العرب .

معجزات العلوم والفنون

في النصف الماضي من القرن الحالي

— ٢ —

للأستاذ عوض جندي

١٤ — ﴿ الصمامات الكهيربية ومنافعها [١] ﴾ — تسخر هاتيك الكهيربات في مماتها المجردة من الهواء لأعمال جمة . وفي كل بلد منها ألوف تؤدي أعمالاً شتى لمستخدميها . وهي تتوهج في كل جهاز من أجهزة الراديو ، حيث تلتقط الموجات اللاسلكية من محطات الاذاعة اللاسلكية أو من الشمس أو من أم النجوم [٢] . وهي أيضاً قلب الرادار [٣] — الرائد اللاسلكي . وهو الجهاز الذي يتيح اكتشاف الطائرات النائية في الجو ، والسفن السابحة ليلاً في البحار . كما يظهر النيازك (الأحجار التي تسقط من الجو في ريع النهار) ويبين الطيور الطائرة في الأجواء .

والصمامات الكهيربية هي التي تجعل دبيب الذبابة ، يحدث دوياً كأنه موكب فرسان . كما تقوم باحصاء الأشخاص والأشياء ، وفرز المواد ، مميزها من غثها، وصالحها من فاسدها . وتفرز كذلك القوارير غير المملوءة جيداً بصلصة الطماطم وغيرها مثلاً . وتقيس أيضاً كثافة الورق عندما يصنع على آلاته . وتطبخ الطعام وتفتح الأبواب وتغلقها عندما ندنو منها ونبتعد عنها . ثم تولد الحميات الصناعية التي تعجل برء العليل من علته . بل هي قوام أحدث الآلات الحاسبة إذ تحتوي كل منها على ٢٠٠٠ صمام كهيربي . وبمعونتها تستطيع تلك الآلة المدهشة أن تحل في نصف ساعة عويص المسائل الحسابية التي لا يتسنى لفوج من علماء الرياضة حلها في أقل من شهر .

١٥ — ﴿ التلغراف والتليفون اللاسلكيان ﴾ كان شاب إسمه « وليم ماركوني »

(١) الكاتب — راجع مقالنا — على الصمامات الكهيربية — المنشور في مقتطف مارس سنة ١٩٤٦

(٢) أم النجوم — خط مضيء يحيط بالسموات ، مؤلف من الكواكب السحيقة والسدم التي تخفى عن العيون المجردة ، عند النظر الى كل منها على حدته . (٣) الكاتب — راجع مقالاتنا الاربع على الرادار في مقتطف مايو سنة ١٩٤٨ ويونيو سنة ١٩٤٨ ويوليو سنة ١٩٤٨ وأغسطس سنة ١٩٤٨

يرسل الرسائل البرقية الى الطبقات الجوية البعيدة عن مدى البصر . وذلك في السنة الاخيرة من القرن التاسع عشر . ولكن لم يستطع أي مخترع كان ، اختراع الصمام الخالي من الهواء ، الثلاثي الأقطاب الكهربية الموصلة للتيار ، حتى حلت سنة ١٩٠٦ فاخترعه « لي دي فورست » فوضع الشيء في نصابه . فغدا المستمعون يسمعون وهم في غرف جلوسهم ، أصوات رؤساء حكوماتهم ، ويتحادثون تليفونيًّا مع أقاربهم وأصدقائهم عبر المحيط الأطلنطي ، وذلك بتسخير الكهيربات .

١٦ — ﴿الراديو المصور [١]﴾ إن قاعدة الراديو المصور ، قديمة العهد مثل التليفون ، وإن يكن بين التلغراف والراديو المصور مباشرة بون شاسع جدًّا . ذلك إن الصور الفوتوغرافية الأولى ، كان لا بدّ من نقلها ، بالاسلاك الكهربية . وكان الأستاذ « الفريد كورن » أول مخترع قام بذلك في سنة ١٩٠٤ . وكانت الوسيلة التي اتبعها هو وغيره من الذين أعقبوه واحتذوا مثاله ، هي تحليل الصورة الفوتوغرافية ، الى خطوط ، يرسل كل خط منها بشعاعة من الضوء . إذ تقوم المُبَصِّرَة الكهربية [٢] بتحويل الأضواء والظلال المؤلفة للخطوط نفسها ، الى نبضات كهربية . وفي الطرف المستقبل ، تتحوّل هاتيك النبضات الكهربية ثانياً الى خطوط كأصلها وتستغرق هذه الطريقة بضع دقائق . ولا بدّ من انجازها في كسور ثانية من الزمن . وليس الأمر مقصوراً على تحليل الصورة الى خطوط ، بل تجزئة هذه الخطوط ، الى نقط تبلغ الملايين عدًّا . وهذه ترسل كنبضات كهربية ثم تحشد مرة أخرى . وتتم هذه الطريقة بأجمعها ، سريعاً جدًّا بحيث لا تستطيع العيون البشرية تتبعها .

وكان أول مخترع أمكنه صنع جهاز ناقل للراديو المصور ، شاب اسكتلندي اسمه جون بارد وذلك في سنة ١٩٢٥ . ولكن طريقته الميكانيكية بطل استعمالها الآن . وأصبح الجهاز المستعمل الآن للراديو المصور ، يرجع معظم الفضل في اختراعه الى فلاديمير زوورِيكين [٣] لأنه هو الذي أثبت أن شعاعة من الكهيربات ، يمكن استخدامها مثل فرشاة مضيئة لرسم صورة ضوئية بسرعة ومضة البرق .

١٧ — ﴿الميكروسكوب الكهيربي [٤]﴾ وزووريكين هو الذي اخترع الميكروسكوب

---

(١) الكاتب — راجع مقالنا على « الاذاعة اللاسلكية المصورة المنشور في مقتطف ابريل سنة ١٩٣٨ .

(٢) الكاتب — راجع مقالنا على « المبصرة الكهربائية » المنشور في مقتطف ديسمبر سنة ١٩٢٧

(٣) الكاتب — راجع مقالنا على « المجهر الكهيربي » المنشور في مقتطف مايو سنة ١٩٤٧

(٤) الكاتب — راجع مقالنا في عجائب الالفزة في مقتطف يناير سنة ١٩٣٤

الكهربي . الذي في استطاعته تكبير الأشباح المرئية الى اكثر من مائة الف مرة تكبيراً نظريـًا . وذلك على حين يصلح الميكروسكوب المعتاد الفاخر لتكبير المرئيات ٥٠٠ ضعف لا غير . وقد تيسر بأنفع أصناف الميكروسكوبات المعتادة تكبير الأشياء من ١٠و٠٠٠ مرة الى ١٥٠٠٠ مرة . واذا تساءلنا : لماذا لا يستطيع الخبراء المتخصصون في علم البصريات ، أن يصنعوا ما هو أقوى من هاتيك الميكروسكوبات ، أجابنا العلماء قائلين « إن السبب في قصورهم ، راجع الى كون الجسم المراد تكبيره ، اذا كان أصغر من طول موجة الضوء ، فلا معدى من اختفائه . ومثله حينئذٍ مثل زورق مجذيف يختفي عن النظر في مجرى موجتين ضخمتين من أمواج البحر . فلا بدّ إذن من استخدام أي شيء كان ، أدق من موجة الضوء ، لتكبير المرئيات من ٣٠٠٠٠ مرة الى ٥٠و٠٠٠ مرة أو ١٠٠و٠٠٠ مرة . وكان هذا الشيء المنشود ، هو الكهيرب .

وبالميكروسكوب الكهيربي أتيحت رؤية أدق انواع الميكروبات . وهو الأمر الذي كان مستحيلاً بلوغه بوساطة أية مجموعة كانت من العدسات الزجاجية . ولا غرو فخلايا داء السرطان يكشفها الميكروسكوب الكهيربي فتبدو لنـاظرها ذات ملامس تغور في نسيج الجسم البشري . وهذا مما يسهل تفسير مصدر الأورام السرطانية وصعوبة استئصال شأفتها .

١٨ — ﴿ المصابيح الكهربية الأصلية والباردة الضياء ﴾ وبعد اكتشاف الكهيرب ، شرع المهندسون يدركون كنه ما يدور في باطن المصباح الكهربي العـادي .

والمعروف في شأنه أن اديصون صنع فتائل المصابيح الأصلية من الـكربون . وكان ذلك عقب عجزه عن صنعها من المعادن . ومع أن اختراعه هذا حاز الاعجاب ، فقد كان يستند الى القاعدة القديمة التي فحواها : — إنه كلما اشتدت حرارة أي جسم ، عظم سناه . فمعدن الطنجستن يتوهج توهجاً أشد منه في الـكربون . لأن الأول يحتمل التسخين أكثر من الثاني . ولكن عيب الطنجستن ، التفتت . فقام الدكتور و . د كوليدج ، بمزج الدقائق بعضها ببعض فتمكن من صنع سلك من الطنجستن يتيسر سحبه سحباً هديداً جداً حتى يصير أرفع من الشعرة . فغدا هذا السلك مصدراً لفتيلة المصباح الحالي . بيد أن مشكاته قابلة للاسوداد ، مثل مشاكي المصابيح كافة .

وسبب ذلك التعتيم ، أن فتيلة الطنجستن قابلة للصهر . ولا يمكن منع هذا الانصهار الا بالضغط . فقام إيرفنج لانجميور ، بتحويل مصباح الطنجستن الى نوع مثل الأوعية المغلقة المرتفعة الحرارة بالضغط . إذ أدخل في المصباح مقداراً من غاز النيتروجين أو

غاز الأرغون المضغوط . فصارت مصابيحه المملوءة بالغاز تضيء الشوارع عشرات الأعوام. وظلت هذه القاعدة تعد من الوسائل العتيقة . إذ كان قوامها ، إحماء الحديد إحماء شديداً حتى يبيض ، فيولد ضياء أكثر من المعتاد انتاجه منه عند تسخينه الى درجة الاحمرار . ثم لجأ العلماء الى محاكاة الكواكب ، إذ تبينوا فيها الطريقة المثلى للاضاءة . ففي الشمس مثلاً تنفصل الكهيربات من الذرات ، ثم تدور مندفعة ، ساعية في تعويض ما فقدته . فتنجح في هذا المسعى هنيهة . وتتوهج في خلال تهيجها فتخسر مرة أخرى . وتستخدم هذه القاعدة نفسها فيما يسمى الآن بالمصابيح المشحونة بالغاز .

وفي المصابيح الكهربية الباردة الضياء « الفلوريسنت[1] » التي نراها تتلألأ في كل شارع من كبار شوارعنا .

* * *

ولعل القارىء يستنتج مما أسلفنا ذكره ، ان هذه التحسينات جميعها التي تمت في الآلات المحركة والطائرات والصمامات الكهربية والمصابيح ، إنما هي ثمار سيطرة العلم والهندسة سيطرة جديدة على البيئة أولاً ثم على الطبيعة ثانياً . غير أن مطمح العلم قد يكون تهيئة الفرصة اللازمة للطبيعة لتقوم بوظيفتها . وكثيراً ما يحدث هذا في الطب . إذ لا يوجد طبيب يظن أنه يستطيع بعلمه وحده علاج الأمراض . بل الواقع أنه يتيح الفرصة للطبيعة لتعمل عملها .

١٩ — ﴿ الفيتامينات[2] وتاريخها[3] ﴾ ويؤيد ذلك ، تاريخ الفيتامينات . ففي سنة ١٩٠٠ كان العلماء يتباحثون في وحدات الحرارة كأنهم يمثلون الانسان بآلة متحركة حية لا غير ، تتلقى قدراً معيناً من وقودها على شكل غذاء لها . ثم ظهر اكتشاف الفيتامينات. ولفظ فيتامين — كلمة نحتها كازيمير فنك في سنة ١٩١٠ إذ شاهد موائد الطعام تكتظ بما يقدم عليها من أصناف الأغذية المختلفة . ومع ذلك ربما يظل آكلوها عرضة للموت جوعاً من شدة احتياجهم إلى الفيتامينات .

فغدونا نرى الأطباء يصفون الفيتامينات للمرضى علاجاً لأمراض « سوء التغذية

---

(١) الكاتب — راجع مقالنا على « منافع مصابيح الفلورسنت » في مقتطف يوليو سنة ١٩٤٩

(٢) و (٣) الكاتب — راجع مقالنا على الغدد والفيتامينات في مقتطف اكتوبر سنة ١٩٣٥ ، ومقال الغذاء والحياة في مقتطف اكتوبر سنة ١٩٤٠

أو نقصها [١] ، وبتعبير آخر ، إنهم يتيحون الفرصة للطبيعة لتعمل عملها . وذلك بأن يضاف إلى الأطعمة ، العنصر أو العناصر التي سلبها منهـا الناس بالوسائل المختلفـة ، كالصناعة والطبخ والتعبئة في العلب .

٢٠ — « الهورمونات » وهذا هو التصرف عينه الذي تمّ في الهورمونات . وقد وضع هذا اللفظ نحتاً سـنة ١٩٠٢ عالمان انكليزيان من علماء الفسـيولوجيا — هما وبليم م . بايليس وإرنست هـ . ستارلنج . وأشهر أنواع الهورمونات هو الأنسيولين . وكان استخراجه أول مرة من البنكرياس سـنة ١٩٢١ . وذلك على أيدي ثلاثة علماء كنديين هم ـ ف ـ ث ـ بانتنج و ، ث هـ . بست ، ج . (g) ب . كولليب . وهو الهورمون الذي يرجع إليه فضل معاونة الملايين من المرضى بداء البول السكري ، على مقاومة ذلك المرض العياء . وبيان هذه المقاومة إن في الجسم البشري عشرين غدة أو ما يقرب من ذلك من الغدد الصم . وكل غدة منها تفرز هورموناً خاصّـاً بها . فإذا قلّ إفرازها عما يحتاج إليه جسم الإنسان من أي نوع كان من الهورمونات ، ساءت العواقب إلى درجة مفزعة ، كما هي الحال عليه في استهداف البدن لداء البول السكري . ثمّ من واجباتِ الطبيب حينئذٍ أن يقدم للمريض بالبول السكري ، الهورمون المعدوم أو الناقص من جسده ليسـدّ ذلك النقص الجوهري . وعلى هذا النمط تُـعطى الطبيعة الفرصة اللازمة لتعيد الصحة والسلامة الى الجسم البشري .

٢١ — « الـكيمياء في الطب » وفي النصف الخالي من القرن الحالي اتجهت أميـال الأطباء أجمعين الى الـكيمياء . وكان أول عالم استخدم العلاج [٢] الـكيميائي هو پول إيرليخ Paul Ehrlich الباثولوجي الألماني الذي اكتشف في سنة ١٩٠٢ دواء السّلفرسان . فاشتهر هذا الدواء في سـنة ١٩١٠ بكونه علاجاً لداء الزهري . وقد كان ايرليخ نفسه أول من باشر علاج مرض النوم الأفريقي وغيره وذلك بالأدوية الـكيميائية .

---

(١) هي الامراض التي تنجم عن نقص بعض العناصر الغذائية الضرورية للجسم ، أو من عدم وجوده فيه نتيجة تناول الاغذية غير المستوفية للعناصر الجوهرية . ويسميها الاطباء avitaminosis أفيتامينوزيس ، ومنها البلاجرا والكساح والاسقربوط وغيرها .

(٢) Chemotherapy هو علاج الامراض عن طريق تطهير الاعضاء والنسج المصابة تطهيراً كيميائياً ولاسيما باستعمال العقاقير المركبة بالتأليف الكيمياوي مثل السلفانيلاميد واخوته من الادوية التي تؤثر تأثيراً حاسماً في بعض الميكروبات الدقيقة جداً التي تولد الامراض . وهي أدوية غير سامة للمريض .

٢٢ — ﴿ المواد الكيميائية التي تعوق نمو البكتيريا ﴾ فصار الناس يتعالجون بعقاقير السلفا ومشتقاتها . وكان أولها السلفانيلاميد الذي اكتشفه سنة ١٩٠٨ ب . جيلمو ، كما استنبط سلسلة بأجمعها من العقاقير المسماة antibiotics ومعناها المواد الكيميائية التي تعوق نمو البكتيريا . وهذه تشتق من العفن [١] وأنفع تلك المواد وأشهرها (البنيسيلين) الذي اكتشفه مصادفة سنة ١٩٢٨ السير الكسندر فلمنج . ثم عقار الاستربتومايسين الذي نجم من المباحث التي بدأها الاستاذ س . أ . واكسمان ، بزمن مديد قبل ظهور فلمنج في ذلك الميدان . وكانت هذه المواد الكيميائية المقاتلة للبكتريا سلاحاً فتاكاً توسل به الأطباء الى قمع الأمراض المعدية قمعاً لم يكونوا يحلمون به في سنة ١٩٠٠ .

٢٣ ﴿ الكيمياء الصناعية ﴾ [٢] وبدأت شهرة الكيمياء الصناعية ، على هذا المنوال في القرن التاسع عشر . فظهرت قبل سنة ١٩٠٠ ألوف من العقاقير المصنوعة بالتأليف الكيميائي ، وذلك عدا الصبغات المستخرجة من قطران الفحم الحجري ، علاوة على عطوره وطيوبه . ولكن الملابس كانت الى ذلك العهد تنسج من الخيوط الطبيعية التي تنتج إما من النبات وإما من ظهر الحيوان . وهذا على حين كان إيليردي شاردونيه [٣] منذ سنة ١٨٩١ يصنع نسيجاً هو الذي نسميه الآن « الحرير الصناعي » . ولم يكن ذلك الحرير أكثر من سلولوز محول خيوطاً بطريقة كيميائية

٢٤ — ﴿ النيلون وتاريخه ﴾ وكان النيلون أول خيط صناعي محض تم تركيبه بالتأليف الكيميائي وقام بتحسينه في سنة ١٩٣٨ مصنع دي بون . وذلك وفق طريقة فنية اخترعها المرحوم ولاس كاروزرس . ثم أعقبته خيوط كيميائية بحت أخرى ليس لها نظائر في الطبيعة .

٢٥ — ﴿ الكاوتشوك الصناعي ﴾ [٤] وأحرزت الكيمياء الصناعية في خلال الحرب العالمية الثانية ، نصراً حربيًّا باهراً . وذلك بوساطة ما يسميه الكيميائيون « إيلاستومر » Elastomer ويسميه السوقة ، الكاوتشوك الصناعي . وكلمة ايلاستومر ، تدل على طائفة من المركبات التي تتألف بضم الجزيئات الصغيرة ، بعضها الى بعض ، لتؤلف جزيئات كبيرة . وتتميز هذه الطائفة بخواصها المشابهة للمطاط الطبيعي . ومنها الكاوتشوك الصناعي والعجائن الكيميائية المختلفة . والمعروف أن الكاوتشوك لم يسبق قط صنعه بالتأليف الكيمياوي

---

(١) الكاتب — راجع مقالنا على « العفن غذاء ودواء » المنشور في مقتطف مارس سنة ١٩٣٣
(٢) الكاتب — راجع مقالنا على الكيمياء الصناعية — المنشور في مقتطف ابريل سنة ١٩٥٠
(٣) الكاتب — راجع بمقتطف مايو سنة ١٩٤٠ « ملدوحات المستقبل » : بقلمنا
(٤) الكاتب — راجع مقالنا على المطاط من البطاطس — بمقتطف يوليو سنة ١٩٤٢

صنعاً متقناً ليضارع المطاط الطبيعي . إذ حاول علماء الكيمياء منذ منتصف القرن الماضي صنع مطاط صناعي يحتوي على الصفات الكيميائية جميعها المساوية لخواص الكاوتشوك الطبيعي فلم يفلحوا .

وفي سنة ١٩٣١ نجح الأب يوليوس - أ. نيولند ، راعي كنيسة نوتردام ، وذلك في صنع مادة جديدة من كل الوجوه سماها chloroprene كلوروبرين . ومن هذه المادة صنعت شركة دي بون النيوبرين neoprene فأضحى هذا الصنف الناجح بديلاً من المطاط الطبيعي ، بل مثيلاً أصلح منه في بعض الحاجات .

٢٦ - « والنيلون والنيوبرين » كلاهما معروف لدينا الآن باسم « العجائن الكيميائية » وجميعها ثمرة من ثمار التأليف الكيميائي . وربما كان السلولويد أول عجينة كيميائية خالصة . ومنها كانت تصنع في القرن التاسع عشر ، كرات البلياردو ومفاتيح المعازف وياقات القمصان وأكمامها وأدوات الزينة . أما الحلقة الأولى من السلسلة الكيميائية الجديدة فكانت « الباكليت »[1] وهي المادة التي اشتق اسمها من اسم ليوبايكيلند مخترعها .

وتوجد الآن في السوق مئات من العجائن الكيماوية . ومنها تصنع المنسوجات والأمشاط وعجلات قيادة السيارات وأدوات غرف الاستحمام والأدوات التي تحل محل الخشب الطبيعي[2] والمعدن . فاذا ما أراد مهندس معماري مثلاً الاستغناء الكلي في بناء منزل ، عن الخشب ، والطوب والحجر ، استطاع أن يستبدل بهذه المواد جميعها — عجائن كيميائية . هذا إذا لم يكترث لفداحة أسعار هاتيك العجائن الكيميائية .

وهذه المواد المصنوعة تدلنا على خفايا المستقبل ، إذ هي نذير سوء لأنها ستجعلنا نتجاهل الطبيعة . الا إذا آثرنا قمعها (أي العجائن الكيميائية قمعاً أشد مما فعلنا الى اليوم) .

وإن شاء الله سنصف في جزء يناير سنة ١٩٥١ من المقتطف ، المخترعات التي يتوقع العلماء ظهورها أو تحسينها في النصف الثاني من القرن الحالي .

(١) الكاتب — راجع مقالنا على « الباكليت — المنشور في مقتطف يونيو سنة ١٩٣٧

(٢) الكاتب — راجع مقالنا على « البلوتكس أو الخشب الصناعي المنشور في أجزاء مقتطف يناير سنة ١٩٢٣ وفي ابريل سنة ١٩٣٧ ومايو سنة ١٩٣٧

وليمة

من ولائم مصر القديمة

للعالم بالآثار المصرية سير جون جاردنر ولكنسون

١٧٩٧ — ١٨٧٥

للأستاذ مبارك ابراهيم

كان لهذا العالم أثر أي أثر في دراسة الآثار المصرية القديمة .

وقد تخرج في كلية إلستر بجامعة اكسفورد . وذهب الى مصر عام ١٨٢١ حيث ظل هناك اثنى عشر عاماً مسح فيها أرض البلاد . وجاء منها بمجموعات ضخمة من الكتابات والأشياء ذات القيمة الأثرية .

ونشر في عام ١٨٢٨ كتاباً في الكتابة الهيروغليفية . كما نشر بين عامي ١٨٣٠ - ١٨٣٥ كتابين في تخطيط مدينة (طيبة) ووصف أماكنها .

ولكن أشهر مؤلفاته هو كتابه الذي سماه « أخلاق وعادات المصريين القدماء » (١٨٣٧ - ١٨٤١) وهو كتاب في ستة أجزاء . وقد زينه بتسعمائة صورة نقلها عن الرسوم المنقوشة على قبور المصريين .

وقد نقح ما كتبه أسلافه من العلماء وزاد عليه .

وقد صيرته كتبه ودراساته في الصف الأول من علماء الآثار العالميين من أمثال (بركش) و (إرمان) الألمانيين . و (ماسبرو) الفرنسي . و(فلندرس بتري) الانجليزي .

وقد كان يرى أن مصر في حضارتها الأولى قد أثرت في الحضارة اليونانية . كما أن ذكر مصر غير مرة في الانجيل يدل على أن صلة وثيقة كانت تقوم بين المصريين وبين بني اسرائيل كما تدل على ذلك الرسوم التي خلفتها العصور الفرعونية .

واليك مقاله الذي سماه : « وليمة من ولائم مصر القديمة » . قال : —

بينما كان الضيوف يستمتعون بالموسيقى والرقص ، كان الغداء يجهز ويعد . ولكن المائدة لم تعد إلا بعد وقت غير قليل . ذلك لأن الطعام كان متعدد الأصناف ، مختلف

الالوان ، ولأن الذبيحة كانت قد ذبحت لوقتها وساعتها . وهو ما يجري به العرف في البلاد الشديدة الحر .

وكان ما ذبح ثوراً ، وجدياً ، وظبياً ، وعدداً من الأوز ، والبط ، والسماني، ومن الطيور الأخرى .

والموائد في (طيبة) لا تقدم فيها لحوم الضأن . فالنعاج يضن بها على الموائد والمعابد وذلك للولاه وللانتفاع بأصوافها . وبخاصة في الأقاليم المجاورة لمدينة (منف) .

وكان القطيع من النعاج يتكوّن أحياناً من ألفين على الأقل . وفي أحد القبور القائمة في وادي الأهرام سجل المسجلون تسعمائة وأربعاً وسبعين كبشاً . ومن النعاج مثلها كجزء من ثروة صاحب القبر . وذلك منذ أربعة آلاف سنة .

والغذاء الحيواني في جميع أنحاء مصر كان يقوم — في الأعم الأغلب — على الثيران والأوز . وقد رأى المصريون — وقد كانوا في هذا بعيدي النظر — أن يجعلوا البقرة مقدسة حُرم عليهم أكلها . وذلك لأن بلادهم تقل فيها المراعي . وتقل الماشية تبعاً لتلك القلة .

واستتبع ذلك أن خصصت الثيران للذبح . ولأغراض الزراعة . كما استتبع الخوف من نقص النعاج التي ينتفع بأصوافها أن تفضل لحوم العجول والأوز ؟ ولو أن لحوم هذه أقل دسومة . وأقل فائدة من لحوم الضأن ؟ . وفي مثل تلك الولائم كانت تقدَّم اللحوم بكثرة . وكان يدعى إليها الغرباء . وهي العادة التي ما زالت متبعة عند الأقوام الشرقيين إلى أيامنا هذه .

وعلى الموائد الخاصة في البيوت كانوا يكثرون من ألوان الخضر . وكانوا يفضلونها على شرائح اللحم . ولا تستثنى من ذلك موائد الأغنياء .

وقد اعتاد الاسرائيليون هذه العادة ، عادة الاكثار من أكل الخضر ، وذلك لمخالطتهم المصريين وطول إقامتهم بينهم . حتى لقد حنوا إليها . وإلى لحوم مصر وسمكها . جاء في الأصحاح الحادي عشر من سفر العدد : (واللفيف الذي في وسطهم اشتهى شهوة ، فعاد بنو إسرائيل أيضاً ، وبكوا وقالوا : من يطعمنا لحماً . قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً . والقثاء ، والبطيخ ، والكرات ، والبصل ، والثوم الخ ...) .

وكانت طريقة جلوس المصريين إلى الموائد لا تختلف عن طريقة جلوس أحفادهم اليوم في مصر وفي أنحاء الشرق كله . إذ كان المدعوون كلهم يجلسون حول مائدة مستديرة .

ويغمس كل واحد منهم لقمته في الصحفة أو القصعة التي تقوم في وسط المائدة . ثم ترفع الصحفة أو القصعة ويؤتى بغيرها وذلك بإشارة من المضيف .

وتكثر عدد الصحفات أو تقل وفقاً لما يكون عليه عدد الضيوف ، وتبعاً لمكانتهم ،

وقد جرت العادة ولا تزال تجري في مصر وفي غيرها من بلاد الشرق ذات الطقس الحار أن توضع اللحوم في القدور لتنضج فور ذبحها وذلك ليكون اللحم طريباً على خلاف، ما يصنعه أقوام الشمال الذين يبقون اللحم حتى يدب الفساد اليه . وهذا يفسر لنا ما أمر به يوسف الصديق أن يعد الطعام ليتغدى هو وإخوته ظهيرة اليوم الذي ذبحت فيه الذبيحة .

وعند ما تعد الشرائح وتقسم أجزاء الذبيحة تدبّ المطابخ وقد قامت فيه على قدم وساق حركة نشيطة ، وبدأ الطهاة يعملون ، كل في دائرته ومحيطه ، وقام الخبازون ، وصانعو الحلوى بإعداد خبزهم وفطائرهم وحلواهم .

وقد تكون عادة تقديم الطعام عند الظهيرة موروثة عند المصريين منذ أيام يوسف . وقد يكونون في اتخاذهم الظهيرة موعداً لغدائهم . والغروب ساعة لعشائهم قد نحوا نحو الرومانيين .

والخوان الذي يوضع عليه الطعام هو أشبه بالخوان الذي يضع المصريون عليه طعامهم في عصرنا هذا . وهو كرسيّ صغير . تعلوه صينية مستديرة . توضع عليها الصحاف والقصاع وهو يختلف عن كراسي هذا العصر ذلك بأن عموداً في شكل رجل ، يكون في العادة من الرجال الأسرى ، يتوسط ذلك الكرسي ويضع ذلك الأسير فوق رأسه قطعة من البلاط تعلوها الصينية . وكل أولئك — في العادة — من الحجر أو الخشب الجاف ، وحول الصحاف والقصاع ترص الأرغفة . ولم يكن من عادة القوم أن تغطى المائدة بغطاء من النسيج ولكنهم كانوا يمسحون المائدة بعد رفع الصحاف بقطعة من الأسفنج أو بخرقة مبللة كما يفعل الأغريق .

وقد يجلس إلى المائدة ضيف أو ضيفان وقد يجلس اليها أكثر من ذلك ، ومهما يختلف العدد قلة وكثرة ، فأنّ هناك مكاناً مخصصاً لضيف الشرف . وهي عادة ما زالت متبعة في مصر

وقد يجلس الضيوف على الأرض ، وقد يجلسون على مقاعد أو كراسي ، وهم لم يكونوا يعرفون الشوكة والسكين . ولذلك فأنّ أصابعهم كانت تقوم لديهم مقام الشوكة والسكين . مثلهم في ذلك مثل الآسيويين في هذا العصر . وهم دائماً يأكلون باليد اليمنى .

ولما عرفوا الملاعق . اختصوا بها المرقة والألوان الأخرى من السوائل . وكانت الملاعق المصرية مختلفة الأشكال والحجوم . وكانت تصنع غالباً من العاج والعظم والخشب والبرونز والمعادن الأخرى . وكان كثير منها يحليه صانعوه بنقش على مثال زهرة اللوتس .

والمصريون القدماء كانوا يغسلون أيديهم قبل الطعام وبعده . وهي طريقة لم ينلها التغيير والتبديل أبداً عند أقوام الشرق كلهم

وقد كان من عادة المصريين القدماء أنهم بعد الفراغ من الطعام يضعون بين أيدي الضيوف صورة خشبية على هيئة « أوزيريس » (وهو — كما تقول الأسطورة المصرية — من أعظم الآلهة شأناً . وهو القاضي الذي يتولى حساب الموتى . وهو المسيطر على مملكة الأشباح . وهو إله النيل . وهو العدو اللدود لأخيه (أو ابنه) « سيت » منبع الشر ومصدره . وهو زوج « إيزيس » . وهو يمثل الشمس الغاربة . وتمضي الأسطورة تقول : إنه قتل . ثم بعث حيا . و « أوزيريس » يصور عادة في شكل مومياء تلبس تاج الوجه القبلي) .

نقول إنهم يضعون بين أيدي الضيوف صورة من خشب على هيئة « أوزيريس » يختلف ارتفاعها من قدم ونصف قدم إلى ثلاث أقدام ، وهي في شكل مومياء آدمية ، وهي إما منتصبة ، أو راقدة في نعش من النعوش . ثم يراها كل ضيف من الضيوف ، وكأنها تذكره بالموت ، وبأن كل حال ٍ محول ، وبأن كل نعيم لا محالة زائل . وكأنها تذكر الضيف بأنه لا بد صائر يوماً إلى ما صارت إليه . وكأنها توحي إليه بأن يجعل رائده حب الخير للناس . واجتناب الأذى والشر . توحي إليه بأن الموت غاية كل حي ، وبأن أيام الحياة قصيرة ، فعلامَ يكثر عتبنا ويطول ؟

وبينما كانت الشعوب الأخرى تتخذ من هذه الأشياء حافزاً لانتهاب اللذات ، كان المصريون يتخذون منها عظة تعظهم بأن هذه الحياة الدنيا عارية » مستردة ، وانها قنطرة يعبرها الأحياء الى دار البقاء ...

وكان المصريون بعد عرض هذه المومياء يعودون الى الاستماع إلى الموسيقى . وإلى الاستمتاع بالغناء ...

(عن الانجليزية)

العلم الروحي

وطب العقل

Psychics & Psychiatry

كبير من أطباء العقول يقول :

« يوجد حتماً عنصر روحي »

للأستاذ أحمد فهمي أبو الخير

بدأ رجال العلم الذين يبحثون في العقل ، وهم أولئك المختصون ببحث المسائل العملية للشعور (الوعي) — ونعني بهم أطباء العقول والأمراض العصبية — بدأوا يعلنون صراحة اهتمامهم بالعلم الروحي .

ويقول الكاتب الأميركي الروحي جيمس كرنشو James Crenshaw في مقال نشرته مجلة « سايكك أوبزرفر Psychic Observer الأميركية إنه قد لفت نظره الى ذلك حديثاً كبير من أطباء العقول هو الدكتور فيكتور باركن Victor Parkin M. D أحد أطباء لوس أنجيليس النابهين ، وهو الطبيب الذي استدعته المحاكم غير مرة للاستشارة برأيه في بعض القضايا . وكان الطبيب قد أدلى إليه بقصة ، وقدم إليه نسخة من مجلة معروفة تبحث في طب العقول لكي يقرأها وقد ثبت لكرنشو من القصة ومن المجلة أن بحث العلم للظواهر الروحية قد بدأ ، وأنه صار الحدّ الجديد العظيم للعلم الحديث . ومضى كرنشو يقول : —

« كان الدكتور باركن قد قرأ كتابي الجديد (تليفون بين العالمين) فبعد أن حدّثني عنه حديث المعجب به قصّ عليّ هذه القصة : »

« قال إنه زار في زيلندا الجديدة منذ سنين أحد وسطاء الغيبوبة هناك ، وكان قد قرأ كتاب (قانون الظواهر الروحية) الذي ألفه هدسون J. L. Hudson ولكن هذا الوسيط أتى من الأمور المعجب العجاب ، فهو يتكلم . بجملة أصوات ، وظهرت عليه ملامح شخصيات مختلفة عديدة ، وتحدّث لا كشخص واحد معروف بل كجملة أشخاص — كل

في دوره ، فاتخذ مثلاً شخصية ذلك الرجل اللندني الذي قال إنه كان مهندساً بالسكة الحديد وإنه فقد حياته إثر حادث . ولكنه لما عاد الى القطار لم يشعر به الوقاد ، وكذلك لم يشعر به أفراد أسرته حين عاد إلى منزله . وقال إنه بقي مجهولاً من هؤلاء الذين كانوا يعرفونه ويعرفهم في حياته ، وظل كذلك إلى أن سمع صوتاً يناديه ، وكان صوت سيدة حسناء ، أخبرته أنه مات وسألته أن يصحبها . وعرف إذ ذاك فقط ما حدث له . وقال إنه الآن يساعد غيره ممن صاروا في مثل حالته ليتفهموا حقيقة الحال .

« وقال الدكتور باركن إنه تذكر هذا حين قرأ كتابي ووجد فيه أحداثاً مشابهة ومعلومات مماثلة كنت تلقيتها خلال وسيط الغيبوبة الكاليفورني رتشارد زينور Richard Zenor

« والأمر الغريب هو أن التقارير التي يدلي بها الوسطاء عن الحياة الأخرى متشابهة في كثير من الأمور . وهي أشبه بتقارير النازحين إلى بلد أجنبي عن هذا البلد ، فقد تتنوع التقارير وتختلف حسب شخصية الكاتب ولغته ، ولكنها تجمع كلها على بعض نقط رئيسية . ومن ثمّ نستنتج أن هذا البلد ليس بلداً وهمياً أو بلداً خلقته أخيلة العقول الضالة التائهة .

« وكذلك نستنتج أن كثيرين من شهود العالم الآخر الذين أدلوا بشهادات تتضمن أحداثاً متشابهة لا بدّ أن يكونوا قد شاهدوا فعلاً أشياء حقيقية مهما كان في بياناتهم الفردية من الانحرافات والخلافات .

« وأهم من هذا أن هذا الذي يدلي به شهود العالم الآخر يؤكد الحاجة الى فهم طبيعة هذه الحياة الأخرى ونواميسها تجنباً لما يسببه الجهل عادةً من عناء ونصب . والأمر بالنسبة لقصة الدكتور باركن أهم من هذا وذاك . فالرجل قد تأثر بالتجربة الاولى التي أجراها اختباراً لوساطة الوسطاء الروحيين لأنه كما قال : « ذهبت لأسخر وأهزأ فعدت وأنا في حالة عقلية تهذبت وتأدبت دون شك » .

إسم مجهول

« وبعد ذلك بعدة حمل أحد أصدقائه على أن يصحبه الى دائرة روحية لتنمية الوساطة وسرّه نظام العمل فيها وكيف كان يقاد ، ولكن صديقه كان يتهرّب من الذهاب مخافة أن

تتأثر مكانته في المجتمع (فقد كان من ذوي المكانة المرموقة) لو عرف عنه أنه من المهتمين بالاتصال بالأرواح ومخاطبتها .

« ومع ذلك فقد ذهب بعد إلحاح عليه ، وخصص له مكان مع الدكتور وآخرين لحضور جلسة تحضير للكتابة التلقائية في الظلام ، وكان قد طلب الى الحاضرين أن يستحضروا معهم أقلاماً من الرصاص وورقاً ، وأن يكتبوا كل ما يعن لهم أو يصفوا ما يرون من الأحداث .

« وجلس الجميع ساكتين . وأخيراً سمع الدكتور باركن صوت قلم صديقه وقد بدأ يكتب فوق الورق . وحينما أضيء النور وجدوا أن ما كتب كان بخط غير خطه المادي ، وأنه يتضمن مقالاً فلسفياً رائعاً بأسلوب أدبي رائع غريب عنه كل الغرابة وكان المقال بامضاء (تجليوني Tiglioni) وهو اسم يجهله كل الجهل .

غير مؤمن

«هذا الرجل لم يستطع أن يفسر هذا الامر الغريب الذي حدث له، وقال كأن ذراعه ويده قد أمسك بهما شخص آخر يختلف معه في التفكير وأسلوب الانشاء والخط . وبرغم أنه كان من غلاة المعارضين للروحية مضى يدرِّب نفسه على وساطة الكتابة التلقائية ، وبلغ من التدريب أنه كان يتحدث في أمور كثيرة وهو يكتب — نهاراً أو ليلاً — بيده رسائل ومقالات وشروحاً وأشعاراً لا يعرف من أمرها شيئاً إلاَّ بعد أن يقرأها .

« وقوّى عدا ذلك وجهاً آخر من أوجه هذه الوساطة هو الرسم التلقائي . وكان أول مثل قدّمه صورة بالقلم الرصاص لفارس من فرسان القرن السابع عشر ، أتمّ تصويرها في لحمة الظلام . وحضر الطبيب هذا الشق الثاني من التدريب ، وإذا بالصورة كاملة في كل تفصيلاتها . حتى لقد ظهرت فيها التخطيطات الدقيقة على الزيق (الياقة) وعلى بقية الملابس التي تزيى بها ذلك الفارس . ويلاحظ أن الأضواء والظلال لم تتم بالتنقيط بل بخطوط إهليلجية متدرجة تدرجاً مدهشاً — الأمر الذي لا يمكن أن يقوم به أي فنان . وكان الرسم تمّ عن طريق ترسيب الرصاص فوق الورق كلما مرّ القلم فوقه في خطوط منحنية . ولم يكن الزي نموذجياً وتامّاً فقط ، بل أن الوجه كان رائعاً — كان كأنه وجه أحد الفرسان الانجليز في عصر الملك المنكود الحظ شارل الأول الذي قتله شعبه .

حالات مهمة

« بعد هذا المثل المدهش لهذا الفن الذي لم يكن صديق الدكتور باركن يعرفه عن نفسه كشف الرجل أيضاً انه يستطيع في الظلام أن يرسم تلقائيّـا صوراً ملوّنة بالأقلام الملونة .

« وتملأ قصص الكتابة التلقائية صفحات من الكتب الروحية بل كتباً برمتها . وفي هذا ما يؤكد مرة أخرى ذلك الرأي القائل بأن المسئول هو شخصية ما أوعي منفصل عن الكاتب كل الانفصال . وهذا الرأي لا محيص عنه .

« وفي السنين الأخيرة صار الدكتور باركن علماً بين زملائه ، فقد وجد في صميم عمله الطبي ما يدعو الى التفكير من جراء ظواهر أخرى شاهدها ، ونادى برأي غير مادي عن العقل وبوجود عالم غير فيزيقي (مادي) ..

« فمثلاً بينما كان يفحص المخمورين المصابين بهذيان السكارى وجد في حالات متتابعة أن هؤلاء السكارى أجمعوا على أمر واحد هو رؤيتهم حيوانات تكون عادةً من الزواحف المختلفة الأنواع ، وكثيراً ما وصفوا كائنات غريبة وصفاً تفصيليّـا . فلماذا يرى هؤلاء السكارى المصابون بالهذيان نفس الشيء ؟ ولماذا لا توجد فروق ذات شأن بين أوصافهم ؟ وقد لاحظ الدكتور أن السكير من هؤلاء كثيراً ما يشير الى الهواء الصافي ويتبع حركات الأفاعي والحيوانات الشبحية التي يدعي أنه يراها . وفي بعض الأحيان يصيح صياح الفزع الخائف — الامر الذي يدل على أن المصـاب بالهذيان خائف حقيقةً من حيوان يتمثل أمام عينيه .

غير كاف

« ويقول الدكتور إن الأمثلة التي من هذا الطراز كثيرة جدًّا فلا يمكن اعتبارها مجرد مصادفات . والصورة التي تظهر للجميع واحدة دائمـاً . وكلمة « هلوسة » ليست تفسيراً كافياً وهي في معناها لا تني بأي شيء .

« وليس هناك إلاَّ اعتبار واحد (هو الذي يتفق وتعاليم علماء العلوم الغامضـة) وهو : إن ضحية هذا الهذيان قد أثاره تعاطيه المشروبات الكحولية باطراد حتى أصبح

متزنماً مع اهتزازات جزء من العالم غير الفيزيقي تقيم فيه أرواح الحيوانات .

« وتقول الأرواح المرشدة إن هذا حقيقي ، فهناك أقسام كثيرة للحيوانات في الطبقات الدنيا من عالم الروح ، وأن هذه الطبقات قريبة نسبيًّا من مستوى الأرض من حيث المكان وسرعة الاهتزاز .

« ويقال إن الكحول يؤثر في الغدة الصنوبرية (التي يقال عنها أحياناً إنها مقر العين المبصرة بأكملها) في المخ بحيث تستجيب لاهتزازات الحيوانات في عالم الروح . ويبدو أن الكحول يسبب الاستجابة في حالات كثيرة الى اهتزازات أنواع خاصة من الحيوانات كالأفاعي .

الوسطاء « الراؤون في وضوح »

« وعلى ذلك فالمريض ، وكأنه جهاز تلفزة آدمي ، يعطي حقيقة صورة لجزء من عالم الروح المليء بأنواع الحيوان — فهو لا يكون عرضة لتصور كاذب (هلوسة) بالمعنى المفهوم لأنه يكون في الواقع مبصراً شيئاً موجوداً فعلاً ولكنه غير مرئي من الشخص العادي الذي لا يتمتع بوساطة الجلاء البصري ، أي أنه يكون متزنماً مع اهتزازات أعلى (كما هو الحال مع وسطاء الجلاء البصري)

« ونكتفي بهذا القدر من التجارب الشخصية التي قام بها هذا الطبيب الأميركي الشهير من أطباء العقول هناك .

« ولقد أراد أن يعرف شيئاً من تفكير القادة من زملائه الأطباء فسلمني نسخة من رسالة للاسوشيتد برس من بلتمور Baltimore بتاريخ ٢٦ مارس سنة ١٩٥٠ ، وقد تضمنت هذه الرسالة آراء الدكتور ويلدر بنفيلد Dr. Wilder Penfild أستاذ الأمراض العصبية في جامعة مكجيل بمنتريال ، ومدير معهد منتريال لجراحة الأعصاب Neuro-Surgery

« ولم يكن ما قاله الدكتور بنفيلد جديداً ولكن الجديد المهم أنه قاله ووكده في مستشفى جونز هوبكنز أمام الأطباء . فعند تكلمه عن « لوحة المفاتيح المركزية » الخاصة بعمل المخ وتعدد دوائره ومناطقه الكهربية قال ما يأتي :

ميكانيكية العقل

« ما هي الصلة الحقيقية بين هذا التكوين الآلي والعقل ؟ أقول لعلنا دائماً مضطرون الى تخيل وجود عنصر روحي ، وهذا العنصر الروحي هو الذي يستطيع الهيمنة على هذا التكوين الآلي » .

« ترى ما الذي يستطيع أن يقوله جراح من جراحي المخ بصدد الرأي الروحي أكثر من هذا القول ؟ إن علماء الفيزيقا الذين يبحثون فيما يسميه الدكتور پنفيلد «جغرافيا المخ» قد صاغوا مصطلحات جديدة مثل "feed-back mechanism", "cybernetics" لتوضيح الفعل الكهربي للخلايا العصبية والقشرة ، « ولكن العالم الفيزيقي ليس في وضع يفضل وضع زميليه العالم الفسيولوجي والعالم السيكولوجي – أو حتى الجراح – لكي يفسر لنا كيف يصبح فعل العصب فكرة ، أو كيف يتحوّل الفكر الى ذلك الفعل العصبي الذي نسميه اختيارياً » .

« وقال الدكتور بنفيلد انه قد يتأثر بالكهربائية جزء من مخ مريض مسجى فوق منضدة العمليات بحيث يحدث رد فعل ما . ولكن المريض قد يحدث نفس رد الفعل – كأن يحرّك ذراعه أو ساقه اختيارياً – وبعبارة أخرى قد يحدث ذلك بفعل ارادته هو .

« وقد وجد الدكتور پنفيلد ان المريض الواعي يعرف دائماً الفرق بين الحركة الاختيارية الارادية وبين تلك الحركة الصناعية التي يدفع إليها فينتج رد فعل أوتوماتيكي أو آلي .

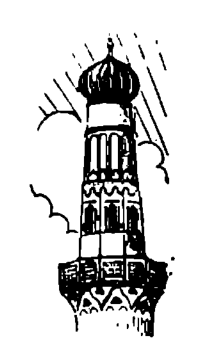
ومن يعمل الفهم والمعرفة ؟

« والسؤال : منْ هو الذي يعمل الفهم والمعرفة ؟

« أحياناً تعمل لوحة المفاتيح المخية تلقائياً من جراء تأثير صناعي خارجي . وأحياناً يحدث التأثير اختيارياً من صاحب المخ . فهل المخ وصاحبه متطابقان ؟ هل العقل اسم آخر للمخ ؟ .

« واضح ان الدكتور پنفيلد لا يقول بذلك . بل يقول لا بد إذن من وجود عنصر روحي . ومرة أخرى يتخلص العلم وهو قامة الآلية (الميكانيكا) من التأويل الميكانيكي للحياة » .

المؤذن



للأستاذ عدنان مردم بك

هاج للنفس تباريح شجاها ونفى عن مقلتي طيب كراها

كبّر الله فشاعت نشوة في السما رددت الأرض صداها

نغمٌ حلوٌ تعالى داوياً فأعارته الدنى السمعَ انتباها

ذعر الليل له فانتثرت بدداً أسدافُه مما دهاها

وهوت ناكسةً أعلامُه حينما الفجر عن الأفق طواها

* * *

قام والظلماء لجٌّ صاخب جاش ملءَ الأرض اعجاباً وتاها

وكأن الأفق عين أغمضت تحت ستر الليل تستوحي مناها

أي سحر نفث الداعي الذي هبَّ في جنح الدجى يدعو الالٓها

التسابيح التي ردّدها في الدجى فاح مع الصبح شذاها

فتن الدنيا فهبت تبتغي من غمار الناس ثأراً في هواها

كشفت للناس عن فتنتها حينما صاغ لها الفجر حلاها

وبدت كاسية عارية تخلب الألباب في زاهي صباها

هاج بي شجواً قديماً لحنه خلته النار إذا شبت لظاها

كشف الوجد الذي ساورني لجبه من ظلمة طال دجاها

وجلت نار الهوى عن ناظري حجب الشك وعن عيني قذاها

فرأيت الحق بالعين التي أنزف الشوق إلى الحق بكاها

وتجلى الله للقلب الذي تابع الدنيا على نهج خطاها

رب عين سفر الحق لها فأماحت عنه من ليل عماها

ودقيقات من العقل خفي أمرها لكنما القلب وعاها

كم وراء القلب من عين إلى حجب الغيب استشفت ما وراها

***

باسمك اللهم نادى هائم عائذاً من حرقة طال أساها

ودعتك الطير لما روعت من عدو عاث شراً في حماها

هتفت عند الضحى صارخة فشجت معنى وإن عيت لغاها

دمشق



اللغة الفرنسية وأدبها

كيف نشأا وتطورا

ووصلا الى حالتهما الحاضرة

للاستاذ جورج نيقولاوس

قال رينان في كتابه « المستقبل والعلم » إن درس تاريخ الأدب من شأنه أن يعوض في أكبر حيز مستطاع عن مطالعة مؤلفات النفس البشرية بطريقة مباشرة

ويرى بعض علماء الأدب الفرنسي تخطئة هذه النظرية ، على الرغم من مكانة قائلها الأدبية ، إذ يجدون فيها نكرانا بيناً للأدب ، لأن تاريخ الفن مثلاً مهما عظم قدره ، لا يغني عن مشاهدة القطع الفنية مثل اللوحات والتماثيل، ودراستها ، واستيعاب محاسنها ، واستجلاء روائعها . ومثله في ذلك مثل تاريخ الأدب سواء بسواء !

ونرى نحن ان تاريخ الأدب يكاد يكون تتمة للأدب نفسه ، لأنه يضم بين ثناياه تاريخ اللغة ، في أصولها ومناحيها ، ومصادرها وخصائصها ، وغناها وثرائها ، في كل أطوار حياتها . منذ البداية ، حتى النهاية ، إذ لا يكفي الانسان أن يقرأ مؤلفات الكاتب ، ويستوعب دقائقها ، ويجتلي محاسنها ، بل يحتم عليه ، في الوقت نفسه ، ليكون له رأياً تاماً في الكاتب ، ان يلم الماماً كلياً بتاريخ حياته ، وبالبيئة التي أثرت عليه ، والوسط الذي عاش فيه ، والجوانب التي أحاطت به ، وكان لها أكبر الأثر في تكييف شخصيته ، وتوجيهه الى المكانة التي تبوأها ، والمركز الذي وصل اليه ، لأن هذا كله يعينه على تفهم ذاتية الكاتب ، ومعرفة مقدرته ، والوصول الى دخائل نفسه ، وإدراك مصنفاته بشكل أتم ، ووجه أعم .

وقد عهد الينا رئيس تحرير المقتطف ، بموالاة الكتابة في الأدب الفرنسي الذي يكاد يكون أدباً عالمياً ، لا يقتصر على الفرنسيين أنفسهم ، بل يتعداهم الى سواهم من بني البشر ، لأنه تناول الحياة الانسانية من جميع نواحيها ، فأبدى مكنوناتها ، وعبّر عن خوالجها ، وحلل العواطف النفسية ، ونزعات الافئدة ، ودفائن القلوب ، وعالج الأخلاق التي تتلامس

في جميع الأمم ، معالجة خبير بنزعاتها ، عليم بنزواتها ، عليم بما يبدو منها ويضمر ، حتى أصبح الأدب الفرنسي ، أغنى الآداب في لغات المعمورة بأسرها .

ولذلك رأينا قبل أن نعمد الى نقل روائع هذا الأدب ، أن نأتي بنبذة من تاريخه ، نظهر فيها كيف بدأ وتكوّن وتطور وسار والنشر ، الى أن وصل الى ما هو عليه الآن ، وذلك لثلاثة أسباب ، الأول أن يُلمّ القارىء الكريم بأصوله ، واتصال هذه الأصول باللغة الفرنسية ، وتطوره بتطورها . والسبب الثاني سرعة نموه وسيره الحثيث في مراقي الكمال حتى بلغ ذُروتها ، في مدة من الزمن تعد وجيزة إذا قيست بعمر الأدب العربي وعراقته في القدم ، وعدم إدراكه جزءاً من الشأو الذي أدركه الأدب الفرنسي . والسبب الثالث لكي يكون هذا الأدب نبراساً لنا ، نهتدي بهديه ، وننهج نهجه ، لعله يُتاح للغة العربية من يأخذ بيدها ، ويخرجها من وهدة الجمود التي وقعت فيها ، دون أن يجد من الذين يدعون الغيرة عليها ، تلك النعرة التي تأبى إلاّ أن تبقي القديم على قدمه ، من غير أن تعير تطور الزمن التفاتاً ، حتى وقف سير اللغة نيفاً وثمانية قرون ، فوقف فيها أدبها ، كما وقف فيها أهلها وذووها ، هذا إذا لم نقل تقهقرت ، فتقهقر معها الأدب والأهل ، لأن اللغة والأدب ، كما هو معلوم ، يسيران جنباً الى جنب مع الأمة ، فهما ظلها ووجهها المنعكس في المرآة .

اللغات التي كوّنت اللغة الفرنسية

كانت فرنسا تسمى قبل الفتح الروماني « الجول » وكان سكانها يتخاطبون بلغة لا حروف لها ، أي انها تقال ولكن لا تكتب ، فهي والحالة هذه أشبه باللغة التي يتكلم بها النوبيون في وقتنا الحالي ، واتسعت لغة الجوليين بما دخلها من لغة السيلت عند ما أغارت القبائل السيلتية على القبائل الجولية ، ومن اللغة الفينيقية على إثر احتلال القرطجنيين لسواحل الجولية ، الممتدة على بحر المتوسط . حتى إذا فتح الرومان بلاد الجول كلها ، طفقوا يدخلون اليها عوائدهم ولغتهم بل لغاتهم اللاتينية ، التي تغلغلت في اللغة الجولية عقب الاحتلال .

وتوالت السنون والرومان مسيطرون على الجول ، واللاتينية تنتشر فيها رويداً رويداً ، مكتسحة لغة البلاد ، التي كانت تتقهقر أمامها ، ويتقلص ظلها من المدن ، وتنكمش في

القرى وأطراف البلاد ، حتى إذا كان القرن السادس المسيحي ، أفاق الجوليون على لغة لاتينية مشوهة ، ظلت طيلة مدة الاحتلال الروماني تتغير وتتبدل حتى فقدت تقريباً كل صلة لها بأصلها اللاتيني ، فهي جافة بتعابيرها ، خشنة في نطقها ، مختلفة اختلافاً تاماً عن أمها ، ولا سيما في أواخر كلماتها ، وقد ازداد اختلافها عن أصلها بالكلمات القليلة التي أضافتها إليها لغة الفرنك عندما احتل هؤلاء البلاد ، غير أنهم ما لبثوا أن هجروا لغتهم ، وتكلموا لغة البلاد التي اكتسحوها وأقاموا فيها ، وغدوا يتخاطبون باللغة اللاتينية العامية ، أو بالحري باللغة الفرنسية التي ولدت لكنها ما زالت طفلة تحبو ، وظلت اللغة اللاتينية الأصيلة لغة الحكومة والدين والصلاة والمخاطبات الرسمية ، لا سيما بين الاكليروس وبعضهم ، وبينهم وبين الكرسي البابوي في روما .

كيف نشأت اللغة الفرنسية

بدأ الأدب الفرنسي حياته بالشعر قبل النثر ، كما هي العادة في سائر آداب الأمم ، وذلك بقصيدة قصيرة عن آلام السيد المسيح ، ثم بقصيدة طويلة عن حياة القديس ليجيه ، تصل الى أكثر من ثلاثمائة بيت ، كانتا الأساس الذي شيد عليهما صرح الأدب الفرنسي .

ومع أن القصيدة الأخيرة إنشاء بسيط ساذج ، غير أنها صافية الروح ، شفافة الأديم ، رقيقة الحواشي ، دقيقة في تعبيراتها الجافة اليابسة ، وهي أفرنسية بكل معنى الكلمة ، لا تشوبها شائبة ، لا لغةً ولا روحاً .

وأتى النثر عقب الشعر ، وأول ما كُتب باللغة الفرنسية « أيمان ستراسبورج » وهو اتفاق مدعم بالقَسَم ، جرى في مدينة ستراسبورج عام ٨٤٢ للمسيح ، ما بين لويس الجرماني وشارل الأصلع من جهة ، وبين أخيهما لوتير وجنده من جهة أخرى ، تلاه « ترتيل القديسة إيلالي » عام ٨٨٠ المأخوذ بنصه وفصه من نشيد لاتيني كان يُرتّل في الكنائس وقتئذٍ .

وبهذا ظهرت اللغة الى عالم الوجود بمعناها ومبناها ، وأصبحت كفيلة بأن تحمل أدبها ، ولكنها كانت جديرة فقط بشعب بدائي ، يعبّر بها عن حياته اليومية ، وحاسياته الجسدية ، فهي لغة الجنود الخشني الطباع ، الجافي الأخلاق ، والقرويين السذّج ، ذوي الحاجيات القليلة ، والأفكار الضيقة ، دون أن يكون ثمّ آراء أو تخيلات ، حتى إذا

ما تفتحت أمام الشعب آفاق التفكير ، وأخذ المستنيرون يستعملون اللغة العامية ، تبين للأمة أن مجموع الكلمات التي تدور على الألسنة ، لم يعد كافياً للتعبير عن جميع آرائها ومشاعرها وإحساسها وحاجياتها ، فعمدت الى اللغة اللاتينية الغنية ، التي هجرتها وشرعت تغترف من بحرها الفياض، ما هي في حاجة إليه فأخذت الكلمات العلمية تضاف الى الكلمات الشعبية ، الأولى بإشراف الكتبة ، والثانية بألسنة الأمة وشفاهها ، مع صقل الكلمات ، وإزالة صبغتها اللاتينية ، فتسنى للفرنسويين ، بهذه الوسيلة ، إيجاد لغة لهم ، أغنى متناً ، وأسلس قياداً ، وأرق لفظاً،وأدق تعبيراً ، من خليط اللغات الذي كانوا يتكلمون به ؟؟

ولكن تفرّق كلمة الأهالي ، وانقسامهم الى دويلات تخضع كل منها الى سيد أو أمير، أدّيا الى تعدد اللهجات ، وتباين التعابير ، واختلاف الاصطلاحات ، ثم الى إيجاد لغتين احداها تسمى لغة « أوك » والأخرى لغة « أويل » . الأولى في جنوب فرنسا حتى نهر اللوار . والثانية في شمالها حتى بحر المانش . وقد اشتقّ إسما اللغتين من كلمة « ويّ » الفرنسية أي « نعم » لأن أهل الجنوب كانوا يلفظونها « اوك » وأهل الشمال يلفظونها « اويل » فأطلق كل فريق على لغته اللفظ الذي كان يستعمله ، بينما ظلت باريس والمقاطعات التابعة لها ، والخاضعة لسلطة ملك فرنسا ، تستعمل اللغة الفرنسية الأصيلة التي كانت لغة البلاط ، ولغة المثقفين من الأهالي .

وكانت سلطة الملك تتسع بفتوحاته ، في اثناء قيامه بحملات لكسر شوكة الأمراء الاقطاعيين ، وضم بلادهم الى مملكته ، فتسير اللغة في ركابه ، وتنتشر في جميع الأنحاء التي يستولى عليها ، حتى عمت اللغة الفرنسية أرجاء فرنسا من أقصاها الى أقصاها ، وتدفقت الى الخارج ، متخطية الحدود الى بلجيكا وسويسرا والتيرول وموناكو وغيرها من البلدان التي أخذت تتكلم بها .

الأدب الفرنسي بين الارستقراطية والبورجوازية

عند ما ولد الأدب الفرنسي لم يكن المجتمع في فرنسا متجانساً، فقد قسمته التفرقة الأولى الى طبقتين ، وهما الاكليروس والعالميون، ولم تبدُ أهمية الاكليروس في الحياة الوطنية جيداً، كما لم يمثلوا كما يجب في الأدب الفرنسي ، على الرغم من تقديمهم له تحفاً تعد في المقام الاول ،

وشكلاً لا مثيل له في الآداب القديمة ، كالخطابة الدينية ، والفصاحة الاكايركية ، وما ذلك إلاّ لأن الأكليروس ، بما له من التقيد بحالات وواجبات ، لا يُنتج الأدب إلاّ استناداً لمناسبات خاصة ، إذ لديه أمور أخرى يقوم بها ويؤديها ، أدعى عنده وأهم من الكتابة في العاطفة والأفكار والجمال وسائر الشؤون الدنيوية ، التي لا تمت بصلة إلى الأمور الدينية

علاوة على أنه في القرون الوسطى ، كانت للكنيسة لغتها الخاصة ، وهي غير اللغة الفرنسية ، إذ كانت تتخاطب باللاتينية ، وتتراسل بها . ولم تعر اللغة الفرنسية إلاّ أهمية ضئيلة ، حتى أنها كانت في بعض الأحيان تترجم الى اللاتينية ، ما تكتبه باللغة الفرنسية ، ولذا لم يحتو الأدب الفرنسي ، إلاّ على ظل من شأن الكنيسة وقوتها ، ومن التأثير الذي طبعت به الفكر البشري ، مما أدى الى جعل الفلسفة واللاهوت ، في غير متناول الفرنسويين لدرجة أنه في مدى ثلاثمائة سنة ، وهي المدة التي كانت أشد خصباً في القرون الوسطى ، لم يمثل تاريخ الأدب الفرنسي ، حركة الفكر في البلاد إلاّ تمثيلاً جزئياً ، فهو لم يعرّفنا إلاّ تغلغلها في نفوس العوام الجهلة ، أما تأثير هذه الحركة في نخبة الأمة المختارة التي تعي وتفكر وتأثيرها في الصيغ العليا في الحياة العقلية ، فلم يوجد لها حيز في المؤلفات الأدبية الفرنسية إلاّ عرضاً .

وكان المجتمع العالمي الفرنسي ، يتألف بدوره من طبقات متفاوتة ، وهي الارستقراطية والقروية والبورجوازية التي نطلق عليها اسم سكان المدن ، فالارستقراطية — أي طبقة الاشراف — وهي وقتئذ اقطاعية تسود في مقاطعات فرنسا حيث تأمر وتنهي ، كانت في بدء الأمر فظة الاخلاق ، خشنة الطباع ، لا همّ لها إلاّ شن الحروب والقيام بالغارات ، ثم أخذ ذوقها يتلطف ، وطباعها تسمو ، وأخلاقها تدمث ، فأدّى ذلك بأدبها الى السموّ في التعبير ، والرقي في اظهار المشاعر والاحساسات .

والقرويون كانت حياتهم بائسة ، وآلامهم شديدة ، ومعيشتهم ممضة ، وإذا كانت لهم أفراح فلم تخرج عن حد الاحساس الجسدي ، والتنعم الجسماني ، فلم يكتبوا ، ولم يهتم أحد بتدوين حالتهم ، وتبيان أخلاقهم وعواطفهم .

وأما البورجوازية فقد ظهرت بعد ظهور الطبقتين المذكورتين . وأبدت نشاطاً ملموساً في ميدان الأدب ، أسوةً بزميلتها الارستقراطية . وظلت هاتان الطبقتان القوة الوحيدة للآداب الفرنسية عدة قرون ، لكن كل منهما كانت تختلف عن الاخرى في حالتها وصفاتها وأخلاقها وعوائدها ، ووسائل تعبيرها وطرق تفكيرها .

(للبحث بقية)



شرط التقدم

حرية الصراع

للأستاذ الياس يعقوب

غاية الغايات عند الانسان أن يتقدم . وفعلاً ، فإنه قد حقق تقدماً عظيماً في نواحٍ كثيرة خلال مراحل حياته ، وإن كان هذا التقدم ليس شاملاً ، بل يختلف بين جماعة وأخرى، وبين بيئة وبيئة ، حسب أن يكون الانسان فاعلاً ومؤثراً بالطبيعة ، أو منفعلاً ومتأثراً بها . ولا أدل على تقدمه ، من تكاثر عدده ، وارتفاع مستوى حياته بالنسبة الى الماضي ، وتعقد عواطفه ، ودقته وقدرة وسائل عمله . وستظل غاية التقدم واحدة : رفع مستوى الحياة ، وتنمية القليل ليصبح كثيراً وميسوراً ، قصد أن يتحلل الانسان من عوامل الخوف والقلق على المصير . وليس المهم أن نعرف الوسائل التي يعتمد عليها الانسان في كفاحه ، بل المهم أن نعرف الغرض الذي من أجله يكافح ويصارع . فقد تكون الحرب خيراً اذا كانت ترمي الى صيانة الحضارة من التدمير على يد جماعة أخرى لا تفقه معنى الحضارة . لكن الحرب تنقلب شراً خالصاً إذا ما كانت غاية في حد ذاتها ، كأن ترمي إلى إحداث الهياج ، وثورة العواطف وروح العداء ضد الشعوب الأخرى . وهكذا تتعطل قوى الابداع في الفكر البشري ، لتتيح لقوى الشر أن تنطلق.

ما دام التقدم غاية ، فانه لا يمكن أن يحدث إلا على جسر من المتاعب ، ويتطلب أعظم قسط من حرية النشاط الفردي . ولكثرة ما تجرعنا من ويلات الحروب في الماضي ، وما يمكن أن يتمخض عنه المستقبل ، بتنا نخشى كل تعب وكل صراع . ان كل حرب صراع ، وليس كل صراع حرباً . وكثيراً ما أسأنا فهم واستعمال اصطلاح تنازع البقاء ، لاننا سرنا على مبدأ المقايسة ، وفرضنا أن الصراع بين البشر لا يمكن أن يكون إلا على غرار الصراع الذي يقع في عالم الحيوان . ان انتزاع أمثلة من صميم الحياة الحيوانية محاولة فاشلة وناقصة ، لأنها تقضي أن الانسان تسيره نفس النواميس التي تسير وتهيمن على الحيوان .

إن الصراع بين الحيوانات يستهدف الابادة والتفاني . ويعتمد الحيوان في صراعه على ما تجمع في بدنه من القوى ، وعلى ما زود به من الغرائز . وبما أنه لم يتطور في أساليب نضاله . فان الدائرة تدور على الأنواع الضعيفة ، ولا تسلم من الفناء إلا تلك التي مهرتها

الطبيعة ببعض الخصائص ، كالتفوق في السرعة ، أو التكيف وفق البيئة . وهو في صراعه لا يرمي إلى أبعد من البقاء .

أما الصراع البشري فانه لا يتعرّض لمجرد البقاء فقط ، وإن وسائل الكفاح لدى الانسان قد تطوّرت وتنوّعت . إنه يصارع ليبلغ الأفضل والأجمل من حاجات الجسد والروح . ولهذا نراه يدأب لتجنب ويلات القوى الطبيعية ، ويكافح الأوبئة ، ويهبط الى أعماق الأرض والبحر باحثاً عن الثروة .

ليست الغاية منه أن تتفانى السلالات البشرية والأمم ، وأن تتصادم الهيئات السياسية والمؤسسات الدينية ، أو يستحكم العداء بين أفراد الجنسين ، أو بين الشيوخ والشباب ، ولا أن يكون بين طبقة وأخرى ، أو بين الأفراد . وليس القصد من حرية الصراع إزالة القوانين ، والسماح للأفراد والجماعات أن تلجأ إلى القوّة والعنف والقتل لفض كل خلاف ، أو للتعدي على النظام . إن حرية الصراع ترمي الى انتصار القيم في المجتمع الانساني لتصح قواعد للسلوك ، وهذا الانتصار لا يمكن أن يتم إلاّ بوساطة الصراع ، ولا يكون الصراع خيراً وحقاً كله إلاّ في ظلّ الحرية . وليس من حق المرء بل من واجبه أن ينتقد عادات الجماعة ومعتقداتهم والقيم السائدة لاقصاء الفاسد وتقديم النافع .

للتنازع سبب واحد وعنه تتفرّع أسباب عديدة : هو التفاوت الكائن بين الخير المحدود ورغبات الانسان التي لا تحصى ولا تشبع . بل ان هذه الرغبات تتزايد بتكاثر الجنس البشري . وتتنوّع طرداً مع درجة التمون . وبالاضافة إلى محدودية الخير ، فان هناك تفاوتاً هائلاً في امتلاك الامكانيات . فانعدم التشابه بين ما يمتلك الأفراد ، وعظم الفرق بينهم . وهذا التفاوت في حيازة الامكانيات يحول حتماً دون حصول منافسة صحيحة بين الأفراد والنظام الذي لا يعنى بتوزيع وإقرار العدل الاجتماعي ، يعمل على صيانة العناصر المالكة الهرمة ، ويبقي العناصر الفتية المعوزة في ظلام الفاقة والحرمان . وهذه الأنظمة التي لا تحرص على منع المرء من السقوط ، ولا تهتم برفعه من مكانته إلى مكانة أسمى ، أنظمة ظالمة غير مشروعة . ولا يجوز لنا أن نطلق عليها نعت الديمقراطية لأنها تعرقل الخطط التي تعمل لكي يبلغ الناس مستوًى عاماً يتناسب مع المواهب والمؤهلات . ومن الظلم أن يولد شخص فقيراً ويحيا فقيراً ، بدون ما سبب ، ويولد الآخر غنياً ، ويحيا غنياً ، بدون ما تعب .

إن الجماعة التي تعيش من عرق جبين الغير تتلاشى فيها الحيوية ، وتضمر المواهب ، وتهرم سريعاً في ظلّ البطالة والكسل ، واللهو والمجون . والجماعة التي تكد سحابة عمرها

ولا تعرف طعماً لراحة الفكر والجسد ، تغيض مواهبها في بيداء العمر . لأن الفاقة تعطل جزءاً كبيراً من طاقة الناس ، وتضع المعوزين على شفير الهاوية . والنظام الذي يقضي بنشدان الضرورة ، واعتبارها مطلباً رئيسياً ، لا يمكن أن يؤدي إلى التقدم بل يسبب التقهقر

إذا كان تنازع البقاء في عالم الحيوان يعمل على بقاء الأنسب ، فإن نظام المنافسة غير المقيدة لا يساعد على بقاء الأنسب من الناس لأنهم لا يملكون بالتساوي فرصاً للنجاح ، ولا يوجد تكافؤ فرص بين المتصارعين . من شأن الحرمان أن يكثر من الصعوبات التي تتراكم في طريق المعوز ، وتعوقه عن الانطلاق الحر . وما دامت القيود تثقل رجليه ، فمن المعقول ألا يحرز تقدماً يذكر، ان كثيرين يسقطون من الأعياء، وتتصرم أعمارهم في الجري وراء الضرورة . والجموع الغفيرة الفقيرة الجاهلة ليست مصدر قوة على الأطلاق في أي مجتمع وجدت . وانها تتميز غيظاً وحقداً ، وتنظر بعين الحسد إلى من يفوقها في حيازة الامكانيات . وانصراعها ، إذا ما ثارت ، لا ينصب إلا على إزالة الطبقة التي بالغت وأمعنت في حرمانها وازدرائها مدى أجيال. وهذا الصراع الذي ينبثق عن الحقد، وتغذيه الضغينة، لا ينشأ عنه إلا التدمير. وهذه الجموع التي كبّلها العوز تكون نقطة ضعف في الأمة ، ولا تستطيع المساهمة في بناء أمجادها . وعندما تتكافأ الفرص بالنسبة للجميع ، دون أن يكره المرء على التضحية بحريته الشخصية ، والمعاني السامية لحياته الاجتماعية ، تزول العوائق ، ويتوفر الجو الصالح لازدهار الكفاءات ، إذ يتوفر لكل امرء من الفرص ما يمكنه من النجاح ، ولا تعني الفرص جمع المال فقط ، بل ترمي إلى الاستفادة من الخدمات التي تسهر الدولة على تأسيسها وتنميتها .وإذا ما أبيحت حرية ممارسة كل الأعمال لجميع الناس على السواء ، فان ثمة تغيراً يطرأ على حالة المجتمع : انه لم يعد يتألف من طبقات متعددة ، متنابذة ، بل يرتكز على أعمال متنوعة .

كانت النتيجة المباشرة للثورة الفرنسية- إقرار المساواة أمام القانون والضرائب . وبذلك تكون حلت مشكلة رئيسية ، عظيمة الأهمية بالنسبة لعصر الثورة . لأنها أزالت مبدأ التعالي والتفاضل بين المواطنين ، إذ قضت على امتيازات رجال الدين والأشراف ، مشكلة العصر وقتذاك . لكن هذه المحاولة الفذة لم تجتث الداء من جذوره ، ولم تكن كاملة من جميع نواحيها . ذلك لأن مجتمعاً آخر ولد في أعقاب القرون الوسطى ، ولا ترسو أصوله على الاقطاع ، وملكية الأرض ، والحق الآلهي المقدس في الحكم ، بل انبثق عن الثورة الصناعية التي جاءت وليدة للتقدم العلمي والآلي . وبعد أن كانت المشاكل سياسية في قلبها وقالبها ، والنزاع يدور بين أشراف ورجال دين من جهة ، وعامة الشعب من جهة

ثانية ، أصبحت اقتصادية إجتماعية تقع بين العمال والرأسمالي ، ولا تطالب بالمساواة بالضرائب أو أمام القانون ، بل تطالب بارتفاع الأجور ، وتقليل ساعات العمل . ولئن كانت الثورة الفرنسية حققت عدلاً سياسيًا لكنها لم تحقق عدلاً اقتصاديًا ، يؤمن للكثرة من الشعب قسطاً من السعادة والهناء . والديمقراطية الحقة ، كنظام في الحياة ، ليست كائنة فقط في نوال الحقوق السياسية والمدنية ، بل انها لا تكمل الا بتحقيق عدل اقتصادي . ان الحياة لا يمكن أن تكون هنيئة بدون تحقيق الركن الأخير ، ومع ذلك فيظل الانسان محتاجاً إلى أمور أخرى تجعل للحياة قيمة ونكهة . انه يحتاج إلى فراغ ينصرف فيه لأعمال شخصية كمزاولة الفنون ، أو الاستقصاء العلمي ، أو يحلو له أحياناً أن ينطلق سائحاً مغامراً . ومع ان العزلة منافية للخصائص البشرية ، لكنه يسر أحياناً إذا ما انفرد واعتزل الناس لكي يقيم علاقات ودية بينه وبين نفسه .

هل ننشد مساواة اقتصادية تامة على غرار المساواة أمام القانون ؟ وهل يكمن العدل في المساواة الاقتصادية المطلقة ؟ ان المساواة الاقتصادية لا تعني غير جعل حق العمل حقاً للفرد ، وواجباً على الدولة التي تتسلم جميع المقدرات ، ومن وظائفها الأساسية ان تساعد الأفراد ليعيشوا أفضل عيشة . ولا تعني غير توفير تكافؤ الفرص ، وفتح أبواب النجاح أمام كل طارق . ليس عدلاً أن نساوي بين الأفراد في المكافأة ، وليس عدلاً أن نحمل الناس على ممارسة عمل واحد لا يتناسب مع الميول والقدرة . ان الحرية السياسية تعني الخلاص من ربقة الامتيازات والظلم والجور التي كانت تحيق بالطبقة الدنيا ، والحرية الاقتصادية التي ننشدها لا تعني الا تحرر الانسان من العوز والفاقة . وان الحرية السياسية لا تكتمل إذا لم تكلل بالتحرر من العوز . لأن من يقبض على المال يضع يده على معظم المقدرات ، ويوجهها ان شاء ، بالأرغام أو الأغراء .

إن مبدأ حرية الصراع لا يسلم من الانتقاد حرصاً على بقاء الطبقة المعوزة ، وخوفاً من زوالها بسبب الحدة التي تنشأ عن الصراع الناشب . إذا كان للمنافسة من فضل ، فلأنها تشحذ الهمم ، وتفسح المجال للمواهب أن تنمو بحرية . وهي ليست نوعاً من التفاني في سبيل العيش ، بل هي سعي حثيث يبذله المرء للتفوق على أقرانه في ميادين الحياة . ولا يكون الصراع فقط في سبيل اللقمة ، بل في سبيل أمور لا تبدو ضرورية في المجتمع البدائي والمتأخر ، وان كانت من مستلزمات كل مجتمع على نصيب من الحضارة . وليست النقمة نازلة على الصراع كمبدأ لا يعدو أن يكون ضرباً من السباق ، بل على التفاوت في حيازة الامكانيات المادية ، ووسائل الكفاح . وهذا المحذور لا يمكن أن يقع إلا في البلدان التي

انعدم فيها كل تنظيم اقتصادي ، وكل توجيه وإشراف على القوة الاقتصادية التي يمكن أن تتمركز ، إذا ما تركت وشأنها ، في أيدٍ قليلة تبيح لنفسها أن تتصرف كيفما شاءت ، وتغالي في استغلال حاجة الطبقة العاملة . من الخطل معالجة الشؤون الاقتصادية وفق الاسلوب القديم الذي كان يكرز بسياسة « حرية العمل وحرية المرور » التي اتخذت علاجاً للأزمة الاقتصادية والمالية في فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر . إن التطور الصناعي في العصر الحديث ، والانتقال في الحضارة الزراعية الى الحضارة الصناعيـة ، والاعتماد في الانتاج على البخار والـكهرباء ، وانتقال مراكز الانتاج من البيت الى المعامل التي تضم آلاف العمال ، كل هذه الأمور أوجبت أن لا يظل النشاط الاقتصادي بدون تشريع يقي استبداد رب العمل ، ويصون حقوق رب العمل من طغيان القوة العددية التي يمثلها العمال ، لـكن التشريع وحده لا يفيد ما لم يتحقق ، ولا خير في حرية الصراع ، ما لم يعترف للفرد بحق العمل مثلما تمّ الاعتراف له بحق الحياة وحق الحرية .

وهناك من يخشى انتشار الفقر في أوساط الطبقة العاملة فيما إذا ساد مبدأ المنافسة . في ظل الحضارة الصناعية تسري حمى الانتاج ، وتتسع وتتعدد حقول الاختراع ، حتى يمكن تلبية الرغبات الـكثيرة وارواء النزعات المتقلبة مما يساعد على استثمار كل الأيدي العاملة ويخفف عنها وطأة الفقر لـكثرة ما يتيح من فرص النجاح . وإن الدولة ، إزاء التناحر الذي قد تتمخض عنه المدنية الصناعية ، تحاول أن تنسق العلاقات على ضوء قوانين تستحدثها ، ولا تنفك تتطوّر وتتكامل لتقلل ، ما أمكن ، من حدّة الأذى .

ولا ينبغي أن يسهى عن البال أن الفاقة التي تقض مضاجع الـكثيرين ، لا تعود الى النظم الاقتصادية فقط ، بل قد تعود الى مساوىء اجتماعية واخلاقية وطبيعية . ففي الهند يموت أفراد طبقة ما جوعاً دون أن يتنازلوا ويتناولوا القوت الذي تقدمه لهم أفراد طبقة أخرى . والهندي لا يؤاكل أيّاً كان ، ولا يأكل كل ما تيسر له . فالعقيدة الدينية ، كما ترى تضيق نطاق المباح من الأطعمة وتقلل مصادر الغذاء . وان القضاء على هذا العملاق ، المجاعة لا يتطلب اصلاحاً اقتصاديّاً ، بقدر ما يتطلب إصلاحاً اجتماعيّاً ، يرمي إلى نسف الـكثير من المفاهيم الفاسدة . فالعقائد الدينية تشجع الزواج الباكر ، وتبارك الاكثار من النسل وتحرم الهجرة ، مما يساعد على اكتظاظ البلاد بالسكان . ومن ناحية أخرى فان الدين يطبع الاقتصاد بطابع خاص ، إذ يحرم على البرهمي بيع الخمور والعطور واللحم والحليب والملح والأقمشة الملونة ، وإذا كان المبدأ يقضي بتحريم الاتجار بهذه المواد ، فمن البديهي أن يقضي بعدم انتاجها خوفاً من تسرب الرجس إلى الصانع . ويحتقر البراهمة

الصيادين والحلاقين والدباغين والصباغين والغسالين . ويضمون الحياكين والصباغين والحدادين والصاغة في مرتبة الخصيان والسكارى والعاهرات .

وقد تنشأ الفاقة عن صفات التربة والعرض الجغرافي ، وتذبذب المناخ ، وانتشار الحشرات ، وتأخر الشعب في نواحي الثقافة الزراعية . وتحدث الفاقة في زمن الحروب بسبب فقدان اليد العاملة ، وتدمير مرافق الثروة ، وفقدان الأسواق الخارجية بسبب انقطاع المواصلات . وان عادات المرء وطرائق سلوكه تؤثر في حالته الاقتصادية . فالمبذر ليس كالمدبر ، ومن يدمن تعاطي المسكرات والمكيفات ليس كمن يزهد فيها ، ويقي جسمه من سلطان عادتها ، ويتجنب الانفاق في سبيلها .

ومن الغريب أن المجتمع أكثر ما ينمو من تحت . فالزيادة في العدد لا تأتي إلاّ من جانب الطبقات الكادحة . انها تتكاثر بدون حساب ، وتبني قواعد تصرفها لا على ما بيدها من امكانيات ، بل على ما ينطوي عليه الغيب من آمال نرجو تحقيقها . فاذا اتخذنا التكاثر في العدد كمقياس رئيسي للتقدم نلاحظ أن كفتها الراجحة . لكن فساد هذا المقياس ظاهر . فعيش الكفاف ليس بالعيش الكريم ، والقوت الذي يحفظ من الموت لا يولد السعادة والهناء . ولا بد من أن يتطور غرض المجتمع في المستقبل ، ويصبح الاكثار من السكان محظوراً وممقوتاً ، لأنه يؤدي الى فقدان النسبة بين طاقة الاستهلاك ، وطاقة الانتاج وما بال الحكومات لا تضبط التناسل كما ضبطت ، أو تحاول أن تضبط شؤون الاقتصاد؟ فالمهم ليست الزيادة المطردة بدون روية ، بل أن يصل العدد الراهن من السكان الى أقصى مستوى راقٍ من المدنية . وهذه المرحلة لا ينبغي أن تكون وقفاً على نفر قليل كما كان الأمر في العصور الماضية ، ولا يبلغها الجميع في وقت واحد ، بل تتاح الفرصة للجميع أن يبلغوها . شأنهم في ذلك شأن الخيول التي تروّض على نسق واحد ، وتطلق في نقطة واحدة ، وفي وقت واحد ، وصوب هدف واحد . ومع ذلك فانها تبلغ المحجة تباعاً ، ويكون بينها المجلي والمصلي ....

إن بعض المذاهب الاجتماعية المتطرفة تردّ كل مظاهر النزاع في المجتمع الى تطاحن الطبقات المتمثلة في العامل والمتموّل . وترى كل مجتمع ينشطر الى هاتين الفئتين ، وان مصلحة الطبقة المعوزة لا تؤمن إلاّ بزوال الطبقة المالكة من الوجود . وهذا ما يحملنا على الاعتقاد أن مصلحة البروليتاريا تمثل كتلة متماسكة مستقلة تماماً ، وانها على تناقض مع مصلحة الفئة المتموّلة . والمنافسة في مثل هذه الحال لا تكون بين الأفراد بل بين الطبقات .

إن مبدأ الصراع الطبقي يقضي على فكرة القومية التي تقول بالولاء للأمة ، ويقضي على فكرة التجانس بين أفراد الأمة الواحدة وانصهارهم في بوتقة واحدة ، واعتبارهم يكوّنون هيئة اجتماعية واحدة . وهذا الصراع الطبقي يضع مصلحة الطبقة فوق مصلحة الأمة التي تعلو على كل مصلحة أخرى جزئية . وان مهمة الدولة في العصر الحديث ليست حفظ الأمن في الداخل أو منع الاعتداء من الخارج فقط ، ولا أن تكون طبقية في وسائلها وغاياتها تقوم على أنقاض طبقة زالت قسراً ، بل ان صفاتها اجتماعية. إن مهمة الدولة الأساسية أن تحفظ الفرد وتحول دون سحقه تحت رحى الجماهير ، وان توفر له ، جهد الاستطاعة ، فرص النجاح والهناء . ولئن كانت حقوق الفرد الشخصية من حرية فكر وعبادة ، والسعي لاكتساب المعارف والجهر بها ، مقدسة في المجتمعات الراقية والتي تهدف إلى اطراد التقدم ، لكن هذه الحرية تنقلب ضرراً في الميدان الاقتصادي ، وتتمخض عنها مساوىء اجتماعية . ووظيفة الدولة في الشؤون الاقتصادية أن تتخذ موقف الحكم في النزاع الذي يمكن أن يقع بين العمال وأرباب العمل ، ولا يكون لها سوى هدف واحد لا تحيد عنه ، وهو مصلحة الأمة التي يجب أن تكون محترمة ومقدسة من قبل كل مواطن مهما كان عمله ، ومهما كانت ثروته ومنزلته ، لأن مصالح الأفراد لا تصان ما لم تكن مصلحة الأمة في مأمن من كل أذى . إن تدخلها ضروري بسبب تعقد المشاكل الاقتصادية لسن قوانين تبغي من ورائها انصاف العمل وتنظيم الاقتصاد القومي . وصيانة مصلحة الأمة والدولة ، لا أن تقبض على حرية النشاط وتستبد بالشئون الاقتصادية . وتعتبر الانسان كائناً اقتصادياً فقط . لأن السير على مبدأ الاقتصاد الطليق الحر من كل قيد ، ينتهي بتكدس الثروة في أيد قليلة . فمتى ضمنت القوانين ، نصاً وروحاً ، حقوق الفرد الأساسية كحقه في الحياة والحرية والتملك والعمل والعلم ، ووقفت كالحاجز الواقي بين الفريقين المتنازعين ، حفظت الفرد من التلاشي تحت عجلة الدولة أو الجماعة ، وصانت مصلحة الجماعة من طغيان الأفراد وأنقذت البلاد من أخطار الفوضى والانحلال ، وأوجدت الجوّ الملائم لاطراد التقدم لأنها أمنت حرية الصراع .

بلاغات النصر

في عهد الملك رمسيس الثاني

للدكتور تاجهور لبيب

كان من أهم ما يعنى به ملوك مصر القديمة بعد قيامهم بحروبهم التي سجلوا بها في التاريخ أروع الانتصارات أن يبادروا حال عودتهم الى مصر ظافرين بإذاعة أخبار تلك الحروب وما دار خلالها من المعارك،وما أحرزوه في تلك المعارك من انتصارات على الشعب المصري بمختلف الطرق .

وكانوا على وجه الخصوص يبادرون إلى تدوين هذه الأخبار بتفصيلاتها الدقيقة على جدران المعابد المقامة في مختلف أنحاء الوادي معززة بالصور والنقوش التي بلغت من الروعة حداً ما زلنا نعجب به ونندهش مما فيه من دقة وروعة حتى اليوم .

وكان الملوك يتوخون من وراء نشر بلاغاتهم في المعابد ، أن تقع تحت أبصار أكبر جانب ممكن من الشعب الذي يؤم هذه المعابد في كل أنحاء القطر . فكانت والأمر كذلك بمثابة الصحف السيارة في هذه الايام . عاملين بذلك على رفع الروح المعنوية للشعب وبث روح الجندية فيه وتشجيعه على المساهمة في الحروب المستقبلة بما يزيد من قوة الدولة ويعلي من شأنها .

وكان يمتاز عصر الوحدة الثالثة (من سنة ١٥٨٠ . الى سنة ١٠٨٥ قبل الميلاد) على العموم بالروح الحربية التي كانت شائعة بين ملوكه الذين عرف عنهم شغفهم الشديد بخوض غمار الحروب . وكان الملك معتبراً هو القائد الأعلى للجيش فكان باعتباره كذلك هو المشرف على المعارك فكان يقود القتال في مقدمة جيشه ويوجه المعركة طبقاً لما يرسمه من الخطط الكفيلة بالنصر،وذلك لأنه لم يكن لديهم الوسائل الحديثة التي تمكن القائد الأعلى من

الاتصال بجيشه من مكان بعيد عن ميدان القتال ، كوسائل الراديو واللاسلكي والرادار وما شابه ذلك من الوسائل الحديثة التي تمكن القائد الأعلى اليوم من ادارة المعارك على مسافات بعيدة جداً .

أما شعب مصر فقد كانت تأصلت فيه هذه الروح الحربية كذلك بعد ذلك الكفاح المرير الذي تحمله بشجاعة وصبر تحت لواء محرره ومليكه الشاب أحمس الاول ، بطل أول حرب استقلال وكفاح من أجل الحرية ، مما جعل روح الوطنية الحقة والقومية الناضجة تسري في دم كل مصري وجعل التضحية من أجل وطنه إيماناً راسخاً في قلبه .

ومما يكشف لنا مقدار هذا الحب الذي اشترك فيه ملوك مصر مع همها نحو الفتح والغزو ما وصل إلينا من تفصيلات موقعة عظيمة تلاقى فيها الملك رمسيس الثاني في السنة الخامسة من حكمه أي حوالي سنة ١٢٨٦ قبل الميلاد) مع ملك الحيثيين وحلفائه وهي الموقعة المعروفة بمعركة قادش والتي تعطينا أحسن مثال لما كان يبادر إليه ملوك الفراعنة من تدوين نشراتهم الحربية في المعارك وانتصارهم فيها ، على ما أوردنا في صدر هذا البحث .

بل لم يكن الملوك يقتصرون على نشر بلاغات انتصاراتهم في أنحاء وادي النيل وحده ، وإنما كانوا عندما يغزون أرضاً من أراضي العدو يبادرون الى أن يشيدوا فيه ، تخليداً لنصرهم ، إما مدينة كالتي شيدها رمسيس الثاني في الشام ، وإما معبداً لأحد الآلهة المصرية ، وإما نصباً تذكارياً ينقشون عليه أخبار وصولهم الى تلك الأنحاء وتغلبهم على أهلها

ولعل من أظهر الأمثال لما كان يعمد إليه الملوك من نشر أخبار حروبهم ومعاركهم وانتصاراتهم تلك البلاغات التي دونها الملك رمسيس الثاني على أغلب المعابد في مصر والنوبة ، تخليداً لما قام به من غزوات ، وما انتصر فيه من معارك ، وخاصة هذه المعركة التي نقرأ حتى اليوم تفصيلاتها على جدران أغلب معابد هذا العصر الباقية في وادي النيل ، مثل معبد العرابة المدفونة ومعبد الكرنك ، ومعبد الأقصر ، ومعبد الرمسيوم . كما دونت أخبار هذه المعركة في النوبة على جدران معبد أبي سنبل .

ومما يلفت النظر أن أخبار النصر في هذه المعركة قد كتبت في قالب شعري جذاب

واصطلح على تسميته بقصيدة بنتاؤور، وإن كان أغلب العلماء يفهمون خطأ أن بنتاؤور هذا هو إسم مؤلف القصيدة حين أنها من تأليف شاعر مجهول، وأما بنتاؤور فهو الذي نقلها ودوّنها .

وإلى جانب الوصف التفصيلي لمعركة قادش وأخبار النصر فيها المدوّنة على جدران المعابد المذكورة، نجد رسوماً مصورة تبين مراحل هذه المعركة والنصر فيها، وخاصة على البرجين الأيمن والأيسر لمعبد الأقصر .

وإلى جانب تفصيلات هذه المعركة وأخبار النصر فيها المدونة على المعابد، لدينا بردية معروفة ببردية ساليبه رقم ٣، تذكر لنا الكثير عن أخبار النصر في هذه المعركة، ولعلها هي الأصل الذي نقلت عنه النقوش التي نجدها على جدران المعابد والتي ربما كانت تحفظ في مجلدات خاصة تشبه أقلام الحفظ في وقتنا الحاضر باعتبارها المستندات الرسمية لما أذيع على الشعب والتي تمّ تدوينها أولاً بأول أثناء سير العمليات الحربية . ومما يؤيد ذلك حوليات الملك تحتمس الثالث التي كانت تدوّن يوماً بيوم .

أما أسباب هذه المعركة فيمكن اجمالها، أنه في أواخر أيام الملك سيتي الأول والد رمسيس الثاني كانت مستعمرات مصر الأسيوية محفوفة بالمخاطر من جراء ما يهددها من خطر الحيثيين الذين أصبحت لهم مملكة قوية على حدودها .

فلما تولى رمسيس الثاني عرش مصر، اتبع نفس الطريقة التي اتبعها من قبله احمس الأول وتحتمس الثالث وهي تطبيق المبدأ القائل إن « خير وسائل الدفاع هو الهجوم » فبادر الى إعداد حملة لاخضاع الحيثيين وحلفائهم، وكسر شوكتهم .

وفي هذا السبيل بدأ رمسيس الثاني باخضاع الشاطىء البحري لفينيقية كي يتخذ منه قاعدة حربية لحركاته المقبلة، فلما تمّ له السيطرة على هذا الشاطىء، أقام له لوحاً تذكارياً من الحجر الرملي على نهر الكلب بالقرب من بيروت في السنة الرابعة من حكمه، سجل عليه انتصاراته حتى تلك السنة على ضفة هذا النهر .

وكانت هذه الحملة انذاراً كافياً لملك الحيثيين المدعو ميتالا، فأخذ يجمع قواته، ويؤلب الولايات المحيطة به كي تتحالف معه في حربه ضد مصر

فعندما علم رمسيس الثاني بأن ميتالا ملك الحيثيين كوّن ضده حلفاً ضمّ اليه رؤساء الولايات الآسيوية ، بدأ في إعداد قواته لمهاجمتهم في عقر دارهم ، واضعاً نصب عينيه ما أصبح للحيثيين وحلفائهم من قوة حربية لا يستهان بها ، بلغت في ذلك العصر درجة لم تبلغها من قبل في عهد أي ملك من أسلافه .

ولذلك فقد بادر رمسيس الى حشد قواته في نفس القاعدة الحربية التي استعملها تحتمس الثالث من قبل في تمهيده لموقعة مجدو ، وهي حصن ثارو ، الواقع على الحدود الشمالية الشرقية من مصر بالقرب من مدينة القنطرة الحالية ، في المنفذ المؤدي الى شبه جزيرة سينا ومنها الى القارة الآسيوية .

وعمد رمسيس في هذا السبيل كذلك الى الاستعانة ببعض الجنود المرتزقة من بعض البلاد الأجنبية ، وهم المعروفون باسم الشردونيين .

وبدأ رمسيس بعد ذلك في مهمة تنظيم الجيش فقسمه تقسيماً قريباً من التقسيمات الحديثة إذ فصل فيه قوات المشاة عن القوات الراكبة المكوّنة من العجلات الحربية المدرّعة . كما جعل فرقة خاصة للبحارة ، وفرقة أخرى للمرتزقة من الشردونيين .

وقد قسّم رمسيس قوات المشاة ، تعززها الفرق الراكبة الى أربعة فيالق ، وأطلق على كل فيلق منها إسماً من أسماء الآلهة ، وهم : آمون ، ورع ، وبتاح ، وسوتخ . وكان قوام كل فيلق نحو خمسة آلاف مقاتل . أما رمسيس ، ففضلاً عن قيادته العامة للجيش بما تستلزمه من حرس خاص يحيط به ، فانه تولى قيادة فيلق المقدمة وهو المسمى بفيلق آمون .

ولم يأل رمسيس في هذه الاثناء جهداً في تدريب جيشه وتسليحه وتعزيزه بأحدث المعدات المعروفة في عصره كما جمع له المؤن اللازمة من كافة أنحاء البلاد .

وتدل الوثائق التي وصلت الينا عن هذا العهد ، على أن الحراسة في هذه الاثناء في ثارو كانت شديدة ومحكمة الى حدٍّ بعيد ، وكذلك كانت المراقبة عظيمة على الطرق الرئيسية الى آسيا . بطريقة قريبة الشبه جداً بما يتبع في العصر الحديث لتأمين حدود البلاد . فكان من اللازم تدوين أسماء كل الداخلين الى البلاد والخارجين منها ووظائفهم وسبب دخولهم أو خروجهم ، مع الاطلاع على التصريح الذي يحمله مخولاً له الدخول أو الخروج

وفي يوم ١٧ ابريل سنة ١٢٨٦ قبل الميلاد تحرك الجيش المصري من ثارو متجهاً نحو آسيا ولا يفوتنا أن نلاحظ هنا أن ميعاد قيام هذه الحملة قد توخى فيه الملك نفس الظروف الطبيعية والجغرافية التي توخاها من قبل الملك تحتمس الثالث إذ كان ذلك في فصل الجفاف الذي يساعد على سرعة التنقل كما أنه في فصل وفرة المحصول الذي يدعو الى الاطمئنان من جهة التموين

وكان الملك حين قيام الحملة في طليعة حرسه الخاص يتبعه على مسافة قصيرة فيلق آمون وعلى أحد الجانبين سارفيلق رع . أما فيلق بتاح، وفيلق سوتخ فقد تبعاه على مسافة غير قصيرة

واستمر الملك في تقدمه على رأس جيشه طاوياً السهل الساحليّ في غير صعوبة نظراً لما توفر له في حملته السابقة التي طهر فيها الطريق الى آسيا من دراسة وافية لجغرافية تلك المنطقة، ومن طاعة أصبح يدين له بها كل أهاليها الذين أخضعهم من قبل .

واستمر تقدم رمسيس شمالاً على امتداد الطريق الساحلي حتى وصل الى لبنان حيث توقف بالقرب من بلدة رمسيس التي كان قد أنشأها في السنة السابقة لقيام الحملة عند مصب نهر الكلب . حتى يجعل منها قاعدة أمامية بعد ثارو التي كانوا قد ابتعدوا عنها كثيراً في حين توخى الملك ألاّ يطيل بخطوط مواصلاته .

وقد راعى الملك في اختياره هذه المنطقة على مصب نهر الكلب لكي يجعل منها قاعدة ثانية له أن تكون على شاطىء البحر ليسهل تموينها عن طريقه ، كذلك وعند هذه القاعدة أقام لوحته التذكارية التي سبق أن أشرت اليها .

فلما أتم رمسيس تأمين قاعدته الحربية الثانية وكان قد مضى عليه تسعة وعشرون يوماً منذ أن غادر ثارو قام على رأس جيشه ويمم شرقاً مخترقاً وادي الاورنت في شمال سوريا دون أن يلتقي في ذلك أي صعوبة ودون أن يلتقي بالحيثيين حتى أشرف في نهاية الوادي على آخر قمة التلال الواقعة عن شماله وتسمى «تلال قادش» فعسكرت القوات المصرية هنالك وكانت ترى على مرمى البصر مواقع العدو مرابطاً حول مدينة قادش التي لم تكن تبعد عنهم سوى مسيرة يوم واحد ويفصلها عن تل قادش الذي عسكر فيه المصريون مجرى نهر الاورنت .

وفي الصباح المبكر من اليوم التالي استأنف الجيش المصري سيره الى الشمال حتى وصل

الى مدينة « ربله » جنوبي مدينة شابتونا وعبر عندها النهر مراغماً في الجهة المقابلة لها حتى يضمن لنفسه سلامة العبور قبل الاشتباك بالعدو .

وبذلك حقق رمسيس لنفسه حرية المناورة على الشاطىء الغربي الذي كان العدو معسكراً ناحيته مما يساعد الجنود المصريين على مفاجأة العدو دون أن يترك له فرصة رد هجومه .

وهنالك كلف رمسيس ضباطه بجمع المعلومات عن العدو وتقديم تقاريرهم اليومية اليه عن تحركاته .

سير المعركة

قام رمسيس بناء على معلومات مدسوسة عليه من بعض جواسيس الأعداء بالتقدم على رأس حرسه نحو الشمال يتبعه فيلق آمون . أما باقي قواته فقد تركها تتبعه ببطء يتيح لها بعد ذلك أن تدخل المعركة موفورة النشاط . فلما وصل إلى غرب قادش عسكر هناك في الشمال الغربي من المدينة ، وهو المكان القريب من الشاطىء ، في حين ظلَّ فيلق بتاح بعيداً عن فيلق آمون بنحو ميل ونصف وكذلك كان جيش سوتخ بعيداً في جهةٍ أُخرى . ولا شك أن الملك كان يتوخى بهذا التوزيع للجيش كما قلنا أن يتيح لفرقه أن تدخل الميدان واحدة بعد الأخرى تطبيقاً لمبدأ ضمان سلامة الجيوش وتوفير النشاط اللازم لكل منها .

وكان ميتالا ملك الحيثيين قد جمع في هذا الوقت كل قواته في الشمال الشرقي من مدينة قادش مختبئاً من قوات المصريين ، وجاعلاً من المدينة فاصلاً بينهم وبينه . وفي هذه الأثناء وقع في يد المصريين جاسوسان أدليا بعد ضربهما بحقيقة مواقع الأعداء مما دعا رمسيس الى الاسراع في طلب فيلق بتاح. وأمر وزيره (وهذا هو الموضع الوحيد الذي نجد فيه أحد وزراء الملك يصاحبه في ميدان القتال) . بأن يسرع في استدعاء الجنود المصريين الذين كانوا لا يزالون معسكرين في جنوب شابتونا ، وأن يقودهم لينضموا إلى فيلق آمون وفيلق رع اللذين كانا قد اقتربا من منطقة القتال . أما فيلق سوتخ فلم يأمر الملك باستدعائه لينتفع به بعد حين .

إلا أنه حدث أن ملك الحيثيين وهو أحد الأعداء أسرع بعبور نهر الأورنت جنوب قادش وأمكنه مفاجأة فيلق رع الذي كان لا يزال في طريقه الى مواقع فيلق آمون وعلى الرغم من أنه أفلح في اختراقه وشطره الى شطرين وتطويقه كما أوهن من عزيمة الجنود المصريين، الاَّ أن الأخبار سرعان ما بلغت الملك رمسيس الثاني، غير أن ذلك الملك الذي كان في ريعان شبابه أظهر في تلك اللحظة للملأ وأمام التاريخ عظمته الحقيقية، إذ لم يظهر عليه أي اضطراب رغم دقة الموقف، ورغم ما حاق بقواته بل تمالك نفسه واحتفظ بكل اتزانه وشجاعته وانتهز فرصة جشع جنود العدو في السلب والنهب وقبض على ناصية الموقف من جديد ممسكاً بدرعه وممتطياً عربته وأسرع قابضاً على ناصية فرسه مخترقاً جيش الحيثيين وحلفائه وهجم وحده دون أن يصاحبه في عربته من يمسك الدرع كالعادة المعمول بها في ذلك الحين وشق طريقه بين صفوف أعدائه ومحاصريه بشجاعة خارقة للعادة وبأس يبلغ حد الاعجاز وبقوة وعنف لا عهد بمثلهما لقوات المتحاربين حتى ألقى بأعدائه مدحورين في مياه الأورنت على مرأى من ملكهم بعد أن تبعه جيشه الذي سرعان ما اخترق الصفوف خلفه وأثخن صدور جنود الأعداء بوابل من السهام بعد أن أدركه المدد المصري .

وبهذا النصر العظيم الذي أحرزه ملك مصر وجيشه الباسل على قوات العدو التي كانت تفوقه في العدد أتيح للمصريين إبادة جيوش الحيثيين وحلفائهم . وأما ملك الحيثيين فقد هرب إلى داخل أسوار مدينة قادش حيث أرسل من هناك في طلب الصلح مع الملك رمسيس الذي فرض عليه معاهدة أعتبر بها قاهراً للحيثيين .

وبعد عودة الملك رمسيس الثاني الى مصر قام بتدوين أخبار إنتصاره على المعابد في كل مكان من مصر وفي أحد معابد النوبة كما ذكرنا في صدر هذا البحث .

وإنا وان كنا قد اقتصرنا في هذا البحث على إيراد هذا المثل من أخبار الانتصارات عند قدماء المصريين وذلك لأن رمسيس الثاني كان يتبع خطة ثابتة في اذاعة انتصاراته فكان لا يعود من حرب من حروبه الاَّ بادر الى تدوين أخبارها معززة بالصور على أكثر ما يمكن من معابد وادي النيل، مما يدل على أن الملك أراد نشر أخبار النصر على الشعب، الاَّ أن مثيلاتها كثير في تاريخ مصر القديم، إذ أن الفراعنة سجلوا من أعمال البسالة في ميدان المجد والشرف المثل الأعلى في الاقدام والشجاعة تلك التي بعثت من جديد على يد حفيد محمد علي الكبير حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فاروق الأول — القائد الأعلى للجيش أعزه الله وأيد ملكه .

فضيلة الصبر

قال الله تعالى : « إن الله مع الصابرين » ولا يعقل أنه يوجد مقام أرفع من هذا المقام . وقد صدق الحسن البصري رضي الله عنه إذ قال : « وجدت الدنيا والآخرة في صبر ساعة » .

وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما : « احتمال الصبر عند البلية . أسلم من اطفائها بالمشقة » .

نقول : هذا كلام يوهم أن من ابتلى بنازلة وجب عليه الصبر عليها ، وألا يعمل لدفعها ، وليس هذا مراد علي بن الحسين ، وإنما مراده أن يعلم الناس أن الصبر صفة يجب أن يحرص عليها مهما تكن شديدة على النفس ، فقد تكون أخف عليها من التوفر على دفع البلية نفسها . وإنما يطلب الصبر في المواطن التي لا يجدي فيها غيره ، فالصبر في وطيس الحرب من الضرورات ، وإلا انقلب الدفاع الى هزيمة منكرة ، والهزيمة يتبعها الوقوع في أسر العدو . ويحسن الصبر في المرض ، لا بترك العلاج ، ولكن بترك الجزع الذي تكون نتيجته زيادة اعداد البنية لقبول أفاعيل الداء .

فالصبر معناه توطيد الحالة المعنوية للنفس للصمود للبلايا التي لا مفر منها في الحياة ، لا استشعار البلادة إزاء كل بلية ، وتركها تفعل ما تشاء .

فضيلة العفو

كان المأمون بن هارون الرشيد غاية في العفو حتى إنه قال : « لو علم الناس حبي للعفو ، لتقربوا إليّ بالجرائم » . وقال هو أيضاً : « والله اني استلذذت العفو استلذاذاً أظن أن الله لا يأجرني عليه .

نقول : العفو من كرائم الخصال ، وقد حضّ الله عليه ، ولكن في الحال التي يغلب الظن فيها أنه يكون أنفع للمذنب وللناس من العقوبة ؛ أما إذا كان العفو مجرّد هوى للنفس يضمه الانسان حيث يفسد الأخلاق ، ويُشيع الرذيلة ، ويُزعج الأمن ، انقلب العفو الى جريمة .

☆



[قصة]

سر الخلود ..!!

للأستاذ ميشيل سليم يمين

ورث عن والده وكان مقتراً بخيلاً : المال الكثير ، والخير الوفير ، فبسمت له الحياة بعد عبوسها وانقادت له مسراتها بعد شرورها ، فرأى أن ما أصبح فيه من نعيم الحياة يحبّب إليه الخلود في الحياة فأخذ يقدح زناد فكره في حلّ مسألة قرأ بالأمس عنها وكان قد خاض غمار البحث فيها كثير من العلماء والمفكرين الذين يضارعونه علماً ومعرفة ولكنهم عادوا بخفي حنين خائبين .

كان يلوح لهذا الوارث أن تلك المسألة سهلة ، وفاته أنها عقدة الحياة ومشكلتها الكبرى على أن نتيجتها في ذهن كل إنسان حاضرة وأمام عينيه ماثلة يراها مرأى العين كل يوم ويلمسها لمس اليد ، ولكنه ركب عقله وأخذ يغالط نفسه ولم يرد أن يصدق حقيقة واقعة يقيناً منه أن نظرية التركيب والتحليل في معمل الطبيعة تقول بعدم فناء المادة . فعاد الى كتب الأقدمين يستشيرها سعياً وراء حلها فلم يصل إلى نتيجة لأن ما كان قد سمع عنه وما قرأه في بطون الكتب مدوّناً كان وهماً باطلاً لاوجود له إلاّ في مخيلة قائله الجرداء ، أو كاتبه الضيق العقل المحدود الفهم والإدراك ، وعلى الرغم من كل ذلك ما فتيء هذا الوهم غاية كل انسان ومطمح بحوث العلماء في كل عصر ومكان .

قيل لهذا الفتى ان تلك المسألة هي عبارة عن اخلاط كيميائية من أعشاب ونباتات برية إذا مزجت بعضها ببعض بنسب ومقادير خرج منها المركب المنشود الذي يسعى إلى اكتشافه العلماء أصحاب فكرة الخلود ، فأنشأ لهذا الغرض في قصره معملاً كبيراً حشد فيه نخبة من علماء عصره الأفذاذ في علمي النبات والحياة ووضع تحت تصرفهم ماله الوفير وعلمه الغزير ، فعكف أولئك العلماء على البحث والدرس في نطاق الخطة التي رسمت لهم

وبعد ما قضوا السنوات الطوال في عمل التجارب ووضع المعادلات عادوا بصفقتهم خائبين خاسرين . ذلك لأن المعادلات الكيميائية التي توصلوا الى اكتشافها كان ينقصهـا بعض أخلاط من الأعشاب عرفوا اسمها دون رسمها لأنهم لم يقفوا لها على أثر في مملكة النبات التي أودعت الطبيعة فيها سر الحياة فكانوا كلما أمعنوا بحثاً ودرساً في هذا الصدد ازدادوا غموضاً وجهلاً لأن معالم الحقائق ونواميس الطبيعة وما يحيط بالكون من الأسرار التي تفوق ادراك البشر لبست بإزاء المجاهل الشاسعة التي تكتنف عالمنا إلا كزهو هباء في وسط صحراء واسعة الرقعة مترامية الأطراف .

كان الفتى الذي حدثتك عنه أيها القارىء الكريم يقطن مدينة صور من أعمال فينيقية وكان لأهلها في ذلك الوقت ولع خاص بركوب البحار واقتحام الأخطار وكان والده قد جمع ثروة طائلة من التوغل بالأسفار بأطراف البلدان للاتجار حتى تجاوز حدود بلاد الصين . وكانت على مبلغ عظيم من الحضارة والعمران في الزمن القديم ، وكانت شرائعها وقوانينها التي استنها لها فيلسوفها الكبير كنفوشيوس مضرب الأمثال في بساطتها وعدالتها فاستفاد الوالد عدا ما كسبه من الأموال أحوالاً شاهدها وعادات اطلع عليها كان يحدث أهله وذويه عنها في كل مناسبة تعرض له فكان لتلك الأحاديث الأثر الأكبر في حياة نجله وتوجيهه التوجيه العلمي الذي حصل عليه فبعد ما باءت تجاربه بالفشل الذريع لم يعد يطيق المكث في مدينته بين قومه وعشيرته فشحب لون وجهه ونحل جسمه وانطوى كتاب شبابه أو كاد قبل أن يتم آخر صفحة من صفحاته نتيجة إجهاده الفكري .

استعرض فتانا المعيشة في مدينته من جميع نواحيها وقلبها على جميع وجوهها فوجدها صورة قاتمة كئيبة ، لا تنفرج عن بارقة من أمل تحيي روحه فأشفق على بقية رمقه وربط بخيط من الوهم حبل حياته الواهي وباع ما تبقى له من متاع وعقار ، وشد رحاله مع أول قافلة من التجار كانت وجهتها بلاد الصين الذي سمع بالأمس عنها وعن المدنية الزاهية الزاهرة فيها فأخذ يذرع معهم بلاد الله عرضاً وطولا ويضرب في منفسح آفاقها يميناً وشمالاً لعله يجد علاج نفسه بسبب فشله في تجاربه حتى حل ركابه أواسط آسيا فترك القافلة وحدها تسير ، وأخذ يصعد بمفرده في جبل يناطح السحاب في علوه الشاهق الى أن ألقى عصا الترحال بين قوم يعيشون على الفطرة ويتخاطبون بلغة لم يكن فتانا يفهمها .

لاحظ الفتى بعد أن تجول بين أولئك القوم أن السواد الأعظم منهم شيوخ مسنون ولكنهم في أثواب الشباب وفتوته ، وظل على هذه الحال بضعة أيام ينتقل من حي الى حي

حتى طوَّح به التجوال الى كوخ منفرد في ظاهر تلك القرية قد احاطت به حديقة غناء خط وسطها مجاري الماء ورأى على بابه عجوزاً لم يفقدها كبر سنها ملاحة محياها وكان بجوارها شيخ مسن قد جاوز الستين. فأخذ فتانا يتحدث معها بالاشارة فمراه الدهش وأخذه العجب عند ما علم ان ذلك الشيخ هو ابن المرأة العجوز وقد زادت دهشته وتعاظم اعجابه عندما حضر عجوز آخر يتهادى في مشيته وهو يحمل على منكبيه غير ثقل السنين التي جاوزت المائة والعشرين شيئاً كبيراً قد ملأه بمنتجات أراضيه وقيل له أنه جده

أقام الفتى في تلك القرية مدة غير قصيرة تعلَّم في أثنائها لغة القوم وتوصل في النهاية الى التخاطب معهم بلغتهم وقد لاحظ عليهم انهم يغدون إلى أعمالهم وهي الزراعة والطير في وكناتها ويذهبون الى مخادعهم بذهاب الشمس عنهم ، ويقتاتون بالحشائش والاعشاب ولا يأكلون لحوم الحيوانات التي يربونها للبنها وصوفها لا للحمها ، اعتقاداً منهم أنها مخلوقات مقدسة لا يجوز قتلها .

وقلما كان اولئك القوم يفكرون في هذه الحياة وما يكتنفها من أكدار وما يحيط بها من متاعب بل روح المرح كان رائدهم والقناعة في كل شيء كانت غايتهم وفي قناعتهم كانت سعادتهم وكان غنائم .

لاح لفتانا بصيص من شعاع من الأمل وأيقن في نفسه أنه قد أصبح على قاب قوسين أو أدنى من حل عقدة الحياة التي أقلقت باله وأقضت مضجعه ردحاً طويلاً من الزمان وأفنى زهرة شبابه في البحث عنها وأنفق ثروة والده الطائلة التي جمعها من التقتير وركب متن السفر سعياً وراءها فشعر عندئذ بسكون في نفسه وبهدأة في أعصابه الثائرة الحائرة .

تلك المسألة التي حدثتك عنها أيها القارىء الكريم في سياق كلامي وزعم فتانا أنه وجدها هي اكسير الحياة الذي يطيل حبل الحياة .

قال الشيخ ابن العجوز للفتى .

أنظر الى ذلك الجبل الاشم الذي يكتنف قريتنا من كل جانب ، أنظر الى الأشجار الباسقة التي تحيط به وتظلل قممه العالية بأغصانها الوارفة هناك توجد أكمة لا يستطيع أحد أن يذهب اليها أو يدنو منها .

— أجاب الفتى — عجباً — مع أن الطريق المؤدي اليها سهل والمسلك ليس وعراً .

— ليست المسألة يا صاحبي بسهولة الطريق أو وعورة المسلك فهناك يقيم عملاق بشع الصورة هزيل الجسم غائر العينين ومقوّس الساقين ونحيل اليدين عظمه باد وفي يده

منجل حصاد يطل من حين من وراء تلك الأكمة وينادي من يقع اختياره عليه من السكان فيترك ذلك الشخص كل شيء ويلبي النداء وهو لايلوي على شيء . الى أين يذهب؟ فلانعلم .

— ولكن ألم يكتشف أحد ما وراء تلك الأكمة ؟

— إن وراء الأكمة ما وراءها يا صاحبي وا كتشاف أمرها سرٌ قدعاصر الدهور ومشى مع قافلة الانسانية في طريق الأبدية جنباً الى جنب منذ أن وجد الانسان حتى وصل الى حلقة خطيرة من حلقات الكون فهبت اعاصير الطبيعة الهوجاء فذهبت بمعالمها وتلك الحلقة هي التي يعبر عنها بالحلقة المفقودة واعلم ياصاحبي ان هذا الجبل ليس جبلاً بالمعنى المعروف إنما هو إله جميع الآلهة،وكان ماء البحر يغمره يوماً من الأيام فارتد عنه عقاباً له عندما شمخ بأنفه وداخله روح الكبرياء،ثم انه كان قبل وجود الانسان جزيرة خضراء مغطاة بالحشائش والأعشاب التي أودعت فيها الطبيعة سر الحياة

— سر الحياة ؟ أجاب الفتى بتلهف وشوق

— نعم سر الحيـاة واعلم أن هذا الجبل واقف على أسرار الكون ومطلع على دخائل الاحياء وهو يعلم بوجودك بيننـا وسيناديك العملاق الذي يقطن وراء اكمته في ساعة لا نعرفها،وأنت لا يسعك إلاّ تلبية النداء

— أنا لا أذهب عند ما يناديني

— لا تذهب ! ! غيرك قال هذا القول

هنا شغل بال فتانا مسألة أخرى ماكان اغناه عنها وهي العملاق وسر أكمته والأعشاب التي أودعت فيها الطبيعة سر الحياة فرجع الى كتبه يستشيرهـا وأخذ يضع لذلك الحلول السنين الطوال حتى هرم وشاخ ولم يكتشف سرّ الأكمة ولا أعشابها

وفي غفلة من غفلات الزمان وإذا بالعملاق يخرج من وراء أكمته ويجيل الطرف في ساكني القرية كعادته ، فشاء القدر أن يقع اختيارة في هـذه المرّة على فتى الأمس وشيخ اليوم نزيل القرية المفتون بحب البقاء أثناء انهماكه في البحث عن إكسير الحياة ، فناداه فلم يسعه إلاّ تلبية النداء،وبذلك سقطت آخر ورقة من أوراق حياته وبسـقوطها كانت خاتمة ذلك المسكين الذي قضى عمره وراء البحث من اكسير الحياة ليخلد في الحياة وينعم فيها.

تلك هي خاتمة كل إنسان مهما طال الزمن على لبد وامتدّ به العمر إذ لا بدّ أن يأتي اليوم الموعود الذي كتب على كل مولود ليدفع فيه صاغراً ذليلاً ضريبة الحياة ، وهي عدم الخلود .

التحليل السيكولوجي

لشعر ناجي



للأستاذ حليم مشرقي

الأدب الحديث بما يحوي من شعر ونثر مدين إلى حدّ كبير لأصحاب المذاهب النفسية وفي مقدمتهم العالم الكبير « سيجموند فرويد » فإلى نظرياته عن العقل الباطن والتحليل النفسي والغريزة الجنسية يعزى التفسير السيكولوجي لحياة الانسان ولدوافعه ولطريقة تفكيره ولاتجاهاته. ولقد تأثر الأدب الحديث وبخاصة النقد الأدبي بالأصول العلمية التي قامت عليها أسس المذاهب النفسية. فالمنحى التفكيري للأديب أو للشاعر أو للناقد وتحليل عواطفه الاجتماعية وميوله وتبيان فكره ودوافعه هي بعض ما فرضته السيكولوجية على الأدب. وأسلوب الكاتب أو الشاعر هو شخصيته المكوّنة من عواطفه التي تحفزه للتفكير، ومن عاداته الذهنية، والشخصية، كما يعبر عنها الكاتب الكبير في النفسيات روبرت . س . وودورث Robert.S. Woodworth هي مجموع الصفات الخاصة بسلوك الفرد

Personality is the total quality of an individual's behaviour.

أو هي مجموع الفروق التي تميز الشخص عن غيره. ويقول الدكتور ماكدوجل Mc Dougal (١) إن العوامل التي تعين الشخصية هي المزاج أو الطبع Dispositon or Tmperament (٢) أو الخلق Character والذكاء Intellect (٣) والسجية أو الطبع Temper (٤) والجاذبية (٥) والشجاعة والتفاؤل (٦) والثقة بالنفس (٧) وقوة البيان.

وإذا كان الشعر كما يقول أرسطو — ما يتصل اتصالاً وثيقاً بطبيعة النفس — فاني واجد في شعر ناجي ما يحدد شخصيته ويظهرها كما هي دون تكلف أو صنعة في بضعة أبيات من قصيدة ليالي القاهرة إذ يقول.

لقد أقفر المحرابُ من صلواته ... فليس به من شاعر ساهر بعدي

---

(١) الكلمة التي ألقاها الكاتب بمنزل سعادة ابراهيم دسوقي أباظه باشا في حفل تكريمه للشاعر الدكتور ابراهيم ناجي.

أو كما يقول :

إذا كان في لحظيك سيف ومصرع فنك الذي يحيي ومنك الذي يردي

إذا جردا لم يفتكا من تعمد وإن أغمدا فالفتك أروع في الغمد

هنيئاً لقلبي ما صنعت ومرحباً وأهلاً به إن كان فتكك عن عمد

إلى أن يقول :

أقبل في قلبي مكاناً حللته وجرحاً أناجيه على القرب والبعد

وإلى أن يقول :

دموع يذوب الصخر منها فان مضوا فقد نقشوا الأسماء في الحجر الصلد

وهـذه الأبيات تفيض بما يحسه الشاعر من وجوب بذل التضحية في سبيل هيبته والاستهانة بما قد يترتب على هذه التضحية من جهاد وهو يعتز في شجاعة ملموسة بهذا الأثر الذي يتركه البعد أو التخلف أو الهجر « ويتخلف عن الظلام المتجاوب والحلوكة التي تجثم على الصدور» أليس يقول :

أقبل في قلبي مكاناً حللته وجرحاً أناجيه على القرب والبعد

واسمعه عندما يناديها نداء من به ثقة بنفسه تفيض على قلبه لتخرج واضحة على لسانه فيقول:

بعينيك أستهدى فكيف تركتني بهذا الظلام المطبق الجهم استهدي

بوردك استشفي فكيف تركتني لهذي الفيافي الصم والكثب الجرد

بحبك استشفى فكيف تركتني ولم يبق غير العظم والروح والجلد

وهذي المنايا الحمر ترقص في دمي وهذي المنايا البيض تختال في فودي

وأسير مع الشاعر في رحلة فيما بينه وبين نفسه فأراه قد فارق المدينـة ليذهب الى الصحراء ،وهذا قد يرينا شيئاً من انطوائيته وعزلته» Introversion والمرء في خلوته يتباعد عن التفكير الواقعي ليعيش في كنف الخيـال ويضرب في بيدائه . والشاعر دوماً يرسل نفسه على سجيتها وهو يقول ويفعل ما بدا له وما تسوقه إليـه رغباته فهو يتجرد من طمأنينته بل من إيمانه بحبه ،بل هو يحس إنه يتجرد من كل شيء خلا قلبـه وهو في هذا ثائر وثورته الفكرية مبعثها قلبه وعاطفته وحبه . وإليك بعض ما يقول :

كم أناديك في التنائي فترتد بلا مغنم لي الأصداء
وأناديك في دمائي فتنساب على حسرة لديّ الدماء
وأناديك في التداني وما أطمع إلا أن يستجاب النداء
باسمك العذب إنه أجمل الأسماء مهما تعددت أسماء
لفظة لا تبين تنطلق الأقدار عن قوسها ويرمي القضاء
وهي بين الشفاه نايٌ وتغريد وطيرٌ وروضةٌ غناء
صدفةٌ ثم وقفةٌ فاتفاقٌ فاشتياقٌ فوعدٌ فلقاء
فقليل من السعادة لا يكمل فيه ولا يطول الهناء
فحنينٌ فلوعةٌ فاحتراقٌ فجحيم وقوده الشهداء
ما بقائي وأجمل العمر ولّى وانتظاري حتى يحين الشتاء
يَطلُعُ الفجر مرهقاً شاحب النور عليه الكلال والاعياء
وبنفسي دبّ المساء وحلّ الليل من قبل أن يحين المساء

ويزحف الليل مسرعاً قبل أن يحين المساء ويلف الظلامُ الشاعر في شملته وتلطمه الريح وتدفعه وترده من خطاه كأنما تريد اتعسده عن هولها ويعود كبعض ذراتها لا تراها العين ولا يحسها أو يحفل بها كون ولسان الشاعر يتعثر في القول بما ينضح به خياله « ليت من تخدعهم الحياة وتنسيهم ضآلة أقدارهم يخرجون ليلة الى الصحراء »

ثم يقول والقلق تفيض به نفسه

مرّ يومي كأمسه مسرحاً تعرض فيه الحياة والأحياء
آدم كالقديم قلباً وتفكيراً ولكن تبدّل الأزياء
لم يحل طبعه ولا ذات يوم لبست غير نفسها حواء
والنضار المعبود قدسٌ وقربانٌ وربٌ والشهرة الجوفاء
والحطام الفاني عليه اقتتالٌ والأماني بريقها إغراء

الى أن يقول : —

ذاك نجم الحبيب مني له الشوق ومنه الوميض والايماء

كم أغنيه بالحنين كما غنت على فرع غصنها الورقاء
وذراعي في انتظار وصدري فيه بالضيف فرحة واحتفاء
موقداً للغريب نارَ ضلوعي فعسى للغريب فيه اهتداء
لِمَ خليتني وباعدتَ مسراك وما لي الى ذراك ارتقاء
بالذي فيك من سنا لا تدعني فيما هذا المطال والابطاء
ما تُراني وقد ذهبت بحظي أخطأتني من بعدك النعماء
وانتهى بعدك الجميلُ فلا فضل لمُسدٍ ولا يدٌ بيضاء
ومشى الحسن في ركابك والأحـ ـشان طراً والغرّة السمحاء
حسنات كانت يدَ الدهر عندي فانطوت بانطوائك الآلاء

ثم نعود الى صحراء « روحه » لنتحدث عن الليل الطاغي العاتي ويدور به الألم ويلف كما يسعده الخيال بل التفكير ويتلمس قلبه شعاعاً من أمل يضيء به جوانب نفسه فيقول :

مرّ يومي كأمسه وأتى ليل بهيج تزف فيه السماء
قد جلت فيه عرسها كلُّ نجم قدحٌ يستحم فيه الضياء
لم تزل تسكب السلاف وللأقداح فيها تجدد وامتلاء
لم تزل..حتى هوّم الحانُ نعسان وأغفى البساطُ والندماء
غير نجم في جانب الليل يقظان له روعة بها وجلاء
ذاك نجم الحبيب مني له الشوق ومنه الوميض والايماء

وفي صحراء « الروح » ينفض الشاعر فوقها غبار الحياة وينضو عندها كل ثوب حقيقي أو مستعار ويراجع نفسه فيما أوضحته فيه الظروف ويحتال والتفكير يرهقه والقلق يأكل قلبه والوجد يضنيه وألمح في ثنايا تفكيره ورغبته في أن ينسى أنه سعى وفاز أو خاب ، وأن عليه أن يعود كرته إلى خوض عباب قديم

وفي قصيدة الصحراء — وكما يبدو في الكثير من القصائد المودعة في الديوان — يرى الناقد تحقيقاً للتجديد المعنوي في الشعر العربي. فهنا وحدة القصيدة تتجلى بوضوح بينما تتوارت وحدة البيت، وفي ملحمة الأطلال من الارتباط الفكري ما لا يتحقق معه

استقلال البيت الواحد إلا قليلاً، ولقد ذخر الأدب العربي بهذا اللون الذي يقوم به البيت من الشعر محل القصيد وتنتهي عنده أغراض الشاعر . ومن هنـا لا تجد فيه « ارتباطاً بين المعاني التي ينتظمها القصيد الواحد فلا تلاحم بين أجزائها ولا مقاصد عامة تقام على أبنيتها وتوطد بها أركانها . وربما اجتمع في القصيدة الواحدة من الشعر الذاخر بالمعاني والأحاسيس ما يجتمع في أحد المتاحف من النفائس ، ولكن بلا صلة ولا تسلسل ناهيك عمـا في الغزل العربي من الأغراض الاتباعية التي لا تجتمع الاّ لتتنافر وتتناكب في ذهن القـارىء . . »

والأطلال الملحمة العاطفية القوية النابعة من قلب الشاعر متسمة بالشجن ممتزجة بالدموع وأغلب الآثار العظيمة في حياة الشعراء الخالقين وأحبها الى النفوس وأسيرها ذكراً ما اتسمت بالشجن وامتزجت بالدموع ، وفي هذا يقول الشاعر العظيم شللي « علمتنا الأحزان نظم القصيد فأهدينا للناس في نغمات الشعر ما تلقيناه على ضربات الألم والشقاء » وهذه القصيدة أو الملحمة تضع ناجياً في صفوف العبقرين، والعبقريون يحسون بما فيهم من نقص ويحتالون لإكمال هذا النقص عن طريق الثقافة . وقد قيل عن « بايرون » إن الشعر عنده كان بعض الأسباب التي أكمل بها ما كان يحسه من نقص، والعبقري في الكثير من حالاته قلق النفس نافر الطبع تارة يستفزه الغضب وتارة أخرى تراه رازحاً تحت أعباء الاحزان الثقال، فأحواله متناقضة وميوله متضاربة وهو ولوع بالحياة حريص عليها . ولكنه أبداً يشكوها ويتبرم بها ، بل ويتبرم بالناس. تراه جوّال الفكر واني لأجد ناجياً في ملحمة الأطلال رجلاً شديد الاحساس فياض المعاني ذكي القلب جبار النفس قوي العاطفة رقيق الشعور وهو في هذه المعاني الرائعة في ملحمتـه ينقل حركة احساسه بالحياة كأصدق ما تنقل آلة رصد من الآلات الحديثة ، وما يعبر عنه من ألم وسخط وما يعبر عنـه من أحاسيس تصور الواقع الذي يشعر به أوما قد يتخيل وقوعه هو بالذات ما يصدر عن الشعراء الشديدي الاحساس الصادقي الشعور . والأثر التحليلي للدوافع العـاطفيـة والانسانية في الأطلال تنبىء عن صورة ذاتية مكتملة لشعور ناجي. وإذا كان الشعر صادراً بطبيعة الحال عن الذات الشاعرة كما يقول في هذا المعنى « اناتول فرانس » فان الأطلال قطعة موضوعية مجردة من واقع الحياة بل أكاد أقول من حقائقها . والخيال الذي يبعث التفكير لا بد أن يكون له أصل في صميم الواقع . والأساس في هذه الملحمة ان الشاعرية أصل وان من أدواتها الوزن والقافية .

والقارىء للاطلال يتأثر لهذا التسلسل المقبول وهذا ميزة الشعر الابداعي . أساسه «أن الشاعر يعبر عن خواطر متناسقة في ذهنه وعن عاطفة متمشية في صدره» . ومن هنا كانت وحدة القصيدة في شعر الابداعيين أظهر شيء . والذي يذكي خيال ناجي ويدفعه الى تبيان شحناته العاطفية وتكوين الفكر هو البيئة التي يعيش فيها والمحيط الاجتماعي الذي يضمه والتجديد الذي أصابه ناجي في شعره استند فيما استند الى أساس من الاحتفاظ بأصول اللغة وأساليبهـا في حرية وحقيقة كما قال هو أنه يحتفي باللفظ — ولـكنه اللفظ المختار الذي هو أقرب الى البساطة منه الى التقعر . والعصر الذي نعيش فيه محتاج الى التبسيط لا التعقيد . وهو يقول أيضاً عن الشعر إنه (موسيقى واقناع وخيال وصور) . والشعر الذي ينتظم ديوان « ليالي القاهرة » يمثل صاحبه خير تمثيل فهو شعر خفيف الظل عميق الأثر ينفذ الى نفس القارىء دون إعمال أو إجهاد وهو على خفتــه معجز مليء بالرنين الموسيقي . حقيقة انه يمثل روحاً قلقاً حائراً وهذا الروح يستمد قلقه وحيرته من قلق المجتمع وحيرته فكلنا يعرف أن عواطفنا نستمدها من مجتمعنا ومن الأسلوب الذي يتكون منه هذا المجتمع ونحن في مصر نتطور تطورات اقتصادية واجتماعية وسياسية لها الأثر كل الأثر في الطابع الأدبي والشعري والنقدي . ويقول في هذا المعنى أستاذنا الـكبير سلامه موسى « الاتباعية بتقاليدها وسننها والاتباعية باقتحاماتها وثوراتها تـكادان تكونان مزاجين مختلفين في كل منا تبدوان في الأخلاق والسلوك والمثليات والمعيشة . وأخيراً تتبلور كل منها في أسلوب الأديب . لأن الأدب هو البؤرة التي تتجمع فيها الاتجاهات أو الآمال الاجتماعية فيشتعل فيها الخامد ويضيء فيها الغامض » . ويمتاز ناجي انه يشعر بالحياة شعوراً قويـاً ومن شعـره القوي هذا تتفجر نظراته النفسية والفلسفية مما يفيض به ديوانه وهو يحس احساساً صادقاً كما قلت فعاطفته قوة عميقة صادقة لا زيف فيها ومبعث تفكيره الخيال الذي ترسمه العاطفة وهذا التفكير مرتب لا عوج فيه لأنه ينبع من نفس صافية والفرق بينه وبين كثير من الشعراء أن عاطفته تسبق تفكيره لأنه شاعر قبل كل شيء فهو يعيش لقلبه ولعاطفته وكم شقي في سبيل قلبه وعاطفته . إلاَّ أن ناجياً تزيده ثقافته الشاملة ألواناً عديدة من التفكير العلمي المنظم . فهو دائب الاطلاع في الأدب والعلوم والفنون . وهو قرّاء كبير لا يفوته كتـاب جديد ولا رأي جديد لا في مهنته الأصيلة « الطب » ولا في هواية الأدب وهو يدرس دراسة كاملة للنماذج والألوان التي تشيع في أدب وفن الغرب ، لكنه لا ينقل أو يترجم أو يصور نماذج من هذه الألوان في شعره . فالمعرفة التي اكتسبها في حيـاته الفكرية قد أعدته للخلق وكوّنت منه عقلاً موسوعي الثقافة ، فهو عندما يكتب عن أدب . ﻫ . ج . ولز لا تصدر

عنه الآثار الكثيرة التي تلقاها من دراساته العميقة عن ولز، وإنما يكتب عنه من وحي نفسه ومن « مفهوم » موضوعاته واتجاهاته . وكذلك عندما ينظم الشعر فانه ينسى أو كما يقول بعضهم – يتناسى كل ما طالعه من شعر وأدب ويسلم احساسه الى سجيته فلا تلمح غير شخصيته وغير وحيه يبتكر ويجدد حرًّا بعيداً عن التقليد وأوضح ظاهرة فيه انه ينظم الشعر كما يتكلم ويعبر بهذا الشعر عما يحس .

وهناك لون شعري من الألوان النفسية في شعر ناجي وهذا اللون هو « السخر »

والشاعر عندما يسخر يتناول بعد ما بين الاشياء والطبيعة ويركض في حلبة يتقابل عند طرفيها الواقع من ناحية ومثل الكمال من ناحية أخرى. وقد يفعل ذلك جادًّا أو متفكهاً او مداعباً. أي أنه قد يستوحي إرادته ومشاعره أو يستملي عقله. فان كانت الاولى فهو هاج منتقم، وان كانت الثانية فهو ساخر يركب ما بدا له بالدعابة . والسخر على العموم مبعثه مقابلة الواقع باعتبار ما فيه من نقص بصورة الكمال باعتبارها أسمى الحالات التي ينبغي أن يكون عليها الواقع . ومن هذا السخر الذي عثرت عليه في « ليالي القاهرة » .

قفا صاحبي اليوم من عجب قفا ... قفا نبك أو نضحك على أي حالةٍ
غوانٍ كستهن المحاسن مطرفا ... كأنَّ صحاف الدار في عين صاحبي
وناجته عن بعد وأبدت تعطفا ... أشار لإحداهنَّ إذ برزت له
وهل بفتى مثلي على حاله خفا ... تسائلني من أنت وهي عليمة
قنوعٌ إذا ما الخير جاء تفلسفا ... سأخبرها من أنتَ انك شاعر
أتيحت وتأبى مثلها متقشفا ... ومن أنت حتى ترفض النعمة التي
وخطته عريٌّ ومشروعه الحفا ... فتىً حاله غلبٌ وآخره الطوى

وهو يقول أيضاً هاجياً « الشاعر عبد الحميد الديب رحمه الله »

سبحان من بعبيده حشره ... رجلٌ أرى بالله أم حشره
وخلاصة النظرية القذره ... يا فخر داروين ومذهبه
ما قال داروين وما ذكره ... عبد الحميد اعلم فأنت كذا
ولدتك أمك وهي معتذره ... يا عبقريا في شناعته

والآن فاني أقول مع القائل ما هو المعنى الساحر الذي يأتي من القلب والفكر معاً ؟ إنني لأسمع همساً يردد ان هذا المعنى لا يأتي إلاّ ليحدث شيئاً من الخلق في هذه الطبيعة ! وليس الخلق المقصود إلاّ ذلك النتاج الرفيع الذي يصدر عن القلب والعقل معاً . إنه الشعر الذي يصدر عن وجدان الشاعر . ولقد لمسته كثيراً في « ليالي القاهرة » .



رغد العيش

للجميع

للاستاذ شكري شعشاعة باشا

عاش الناس مختلفين ، إلاّ في شيء هو هذا الشوق من الجميع الى رغد من العيش للجميع، فأنت تراهم في أشياء دنياهم على غير وفاق ، وفي أشياء أخراهم كذلك على غير مذهب ، فما تؤمن به طائفة لا تؤمن به طـائفة ، وما تأخذ به أمة لا تأخذ به الأخرى ، وان نهض مصلح برأي نهض من يردّ عليه ما يقول . ولعلك ، حين ترجع بعلمائك الى طبيعة النحو الذي فطر عليه الانسان ، لا تجد في اختلاف النـاس هذا من عجب ، ولا في شوقهم ذاك الى إنسانية خيّرة .

ولكن العجب اكبر العجب في أخذ الناس هذا الأخذ بالجد،لا ليرفق أحدهم بالآخر ، ولا ليهدي بعضهم بعضاً وإنما ليطمس الانسان أثر أخيه !

وتتلفت نحو الجانب الخيّر النيّر ، فترى النـاس إذ يذكرون شوقهم الى بسطة من العيش يحيون عليها في سلام آمنين ، فانما يمرون بهذا الشوق مرورك بالبؤس يعترضك أو بالشقاء فيهزك أو تهتز له إن قليلاً وإن كثيراً على مدى لحظات تقصر أو تطول،ثم يشغلك بأمر نفسك ما يشغل الناس بأمور أنفسهم ، بعضهم عن بعض ، كأن لم يتحدث اليك ذلك البؤس أو ذاك الشقاء بشيء .

على هذا النحو ، وبهذه السرعة وهذه الهزّة العابرة يطوف بالصدور ما يطوف، ويراود الاحلام ما يراودها من الشوق الى انسانية سليمة من الشقاء . ثم إن رأيت شيئاً على طول ما مرّ الانسان القادر المترف بالمعذبين المحرومين في الارض ، فأنت إنما ترى هياكل هزيلة

من المؤسسات أو المعاهد يُراد بها الدعاوة للصوت أكثر مما يراد لها أن تكون مرهماً للجراح الدامية .

واليوم وقد أخذ الناس يرقصون على هنفير الهاوية ، أخذ شوقهم الى ضمان السلامة للعيش يزداد ، وأخذنا نسمع في الشرق وفي الغرب بطائفة من العلماء يبحثون الى إلتماس السلامة للجميع على إدماج العلم في أغراض الروح والخلق . وعندي انهم بهذا الجنوح إنما يعبرون عن ان هذا القلق ما زال بالناس يحيون عليه اكثر مما كان لا بدّ له أن يكون ، لو أنه عولج بغير الأشواق والمواعظ .

أريدك أن تصغى معي الى حديث عالم من علمائنا ، فهو يقول :

« والذي يخشاه كبار الفلاسفة والحكماء ان الحكمة البشرية إذا أفلست في النهوض بعبء إدماج العلم وقواه العظيمة في أغراض الروح والخلق ، اتجهت هذه القوى الى التدمير والتخريب والتقتيل بدلاً من الاتجاه الى البناء والانتاج والاثمار والخير والجمال .

« لقد أصبح شعار هذا العصر (المادية فوق كل شيء) . طغى هذا الشعار وتضاءلت أمامه قوى الناس المعنوية ، وتلاشت بها الروابط الأدبية ، وانكمشت الرحمة والعطف والشفقة في صحف الأديان ، وأشاحت الفضيلة بمزاياها عن الناس ، فاذا هو في غمار من الزهو والغرور بجزأ من العفة والاستقامة والفضيلة والصلاح ، ولا ينظر الى الحياة إلاّ من ناحية المتع والمسرات ، لهذا لا عجب إذا قام المفكرون في سائر الانحاء يدعون الناس إلى حركة إصلاحية غايتها الحصول على عيش رغيد يتجه نحو المعنويات والاهتمام بتكوين الخلق ، وجعل الحضارة قائمة عليها ، لينقذوا الانسانية من الشرور المحيطة بها ، ويضعوا حدّاً للمشاكل العديدة التي يعانيها المجتمع »

لست أدري كيف يمكن أن يوجه العلم ليقوم على أغراض الروح ، وهو ما زال يجهل سرها ، ويجهل المنافذ اليها ، ولا يعرف غير المادة وغير التجربة وغير النتيجة طريقاً ، أو

يؤمن إلاّ بما يحس ويرى ؟ حتى هذه الأديان السماوية فان الذي جاء فيها عن الروح لا يدخلها في دائرة الضوء، فهي ما زالت شيئاً غامضاً مبهماً، لم يسكن اليه العلم حتى الآن، وإن سكنت اليه قلوب المؤمنين.

جرّب الناس من قبلنا، وجرّبنا نحن احياء هذا العصر، وما زلنا نجرب هداية البشرية الى اخلاق الملائكة بالمواعظ، ونشر تلك الفضائل والمعاني الروحية والخلقية، فما صنعوا وما صنعنا من شيء.

ما ذا في قدرة معاني الخير والجمال هذه التي نتلمّظ بها ؟ ماذا فيها مما يرد الجائع الى شبع، والحاقد على المستغلين والمحتكرين والمتأمرين والمترفين الى رضا ؟

أنت أدرى بما في دنيا العرب خاصة من فساد ظاهر، واستغلال شره، واحتكار هو أشد مرارة على النفوس من العلقم، ودع ما ترى من مناظر الاستئثار البشع، والترف المعمود، والنفاق الثري، فهل من المستطاع دفع هذه الشرور، حتى وان بُحّ صوتك واعظاً ومبشراً بالفضائل والمعاني ؟

ليس بي أن انكر على التربية الخلقية فضلها، ولا على المفكرين في أخذ الناس بالمعاني الروحية طيبة قلوبهم، وانما أنا في سبيل هذه « المادية الطاغية » وعلاج المادة عندي انما يكون بالمادة نفسها وليس بغيرها، فما يفلّ الحديد إلاّ الحديد. وما أحسب صوت الشاعر كان إلاّ صادقاً مصيباً حين قال عن علم أو عن غير علم : « وداوني بالتي كانت هي الداء ».

دعك مما يقول الشاعر أو يقول المثل، فان العلم الحديث قد وصل بالطب الحديث الى اتخاذ طائفة من الامصال تحتوي على بعض الجراثيم وقايةً من امثالها، أو علاجاً لأمراض تأتى من أمثالها.

وبعد فما ينبغي ان يعالج البرد إلاّ بالدفء، والجهل إلاّ بالعلم وحده، والمرض إلا بالعلاج الناجع، والعري إلاّ بالكساء، والجوع إلاّ بالطعام، والحقد والنقمة والقلق إلاّ بالوقوف في وجه الاستغلال والاحتكار وامتصاص الدماء. ولن يستقيم هذا الشعب بقول: آمين ودائماً آمين.

النبات الطبي

عند العرب

للأستاذ محمود مصطفى الدمياطي بك



١ — ﴿ الابْهل ﴾ : Juniperus Sabina L وبالانجليزية Savin والفرنساوية Sabine والألمانية Sadewachholder من الفصيلة الصنوبرية Coniferae — نبات مدر للطمث وطارد للدود .

٢ — ﴿ أزْرارُ الفاسُول أو الغَاسُول ﴾ : Mesembryanthemum nodiflorum L وبالانجليزية Egyptian Fig Marigold والفرنساوية Ficoïde Nodiflore والألمانية Aegyptisches Kali — من الفصيلة المسمبريانثيمية Mesembryanthemaceae — ينبت في مصر وقد استعمل في قديم الزمان منظفاً ومدرًّا للطمث .

٣ — ﴿ الأسارون ﴾ : Asarum europaeum L وبالانجليزية Asarabacca والفرنساوية Cabaret والألمانية Gemeine Haselwurz من الفصيلة الزراوندية Aristolochiaceae — يستعمل جذر هذا النبات مقيئاً ومُعطِّساً .

٤ — ﴿ الاسراس أو الرصراس ﴾ : Asphodelus ramosus L وبالانجليزية Asphodel والفرنساوية Bâton Royal والألمانية Kaiseraffodill من الفصيلة الزنبقية Liliaceae — تستعمل بصلة هذا النبات مع أشياء أخرى ضد الجرَب وإذا خلطت بالخل ودلك بها الجلد أفادت من القوباء والجرَب وغيرها.

٥ — ﴿ الإسْفِنْد ﴾ : فارسي معرب وهو (الحَرْمَل) : Peganum Harmala L. وبالانجليزية Syrian Rue والفرنساوية Harmale والألمانية Gemeine Syrische Raute من

الفصيلة السذابية Rutaceae ينبت في مصر وينفع من أوجاع المفاصل طلاء بعسل ويدخل في أدوية العين وضعف البصر.

٦ — ﴿ الأصفر ﴾ : ويراد به (الاهليلج الأصفر) : Terminalia citrina Rox[b] وبالانجليزية Hara Nut Tree والفرنساوية Myrobalan citrin من الفصيلة الكومبريتية Combretaceae ينبت في جزر الهند الشرقية والملايو وثمرته المجففة تحدث ليناً خفيفاً .

٧ — ﴿ الأمير باريس أو البرباريس ﴾ : Berberis vulgaris L. وبالانجليزية Barberry والفرنساوية Epine-vinette والألمانية Gemeiner Sauerdorn من الفصيلة البربريسية Berberidaceae حبه الأحمر قابض يطفىء الالهيب والعطش في الحميات الحارة وغليان الدم ويقوي المعدة جداً وينفع المحرورين ويهضم الطعام .

٨ — ﴿ الاكر أو الوج ﴾ : Acorus Calamus L. وبالانجليزية Sweet Flag والفرنساوية Acore Odorant, ou Roseau odorant والألمانية Echter Kalmus من الفصيلة القلقاسية Araceae — ينفع المعدة والكبد والطحال وأوجاع الأرحام وأرياحها ويدر البول والحيض واللبن ،وينفع من وجع السن وثقل اللسان والبهق والبرص الى غير ذلك .

٩ — ﴿ البردي ﴾ : Cyperus Papyrus L. وبالانجليزية Nile Papyrus والفرنساوية Souchet à Papier والألمانية Aegyptisches Cyperus من الفصيلة السُعدية Cyperaceae كان ينبت بكثرة في عهد المصريين القدماء ورماده يقطع نزف الدم ويدمل الجراح وإذا ذر على ختان الصبيان نفع .

١٠ — ﴿ البرنجاسف ﴾ : Artimisia arborescens L. وبالفرنساوية Armoise en Arbre والألمانية Portugisischer Wermuth من الفصيلة المركبة Compositae — ينبت في مصر وهو نبات مقوٍ مدر للطمث طارد للدود.

سمات المدنية الحديثة

للأستاذ إميل توفيق

— ١ —

لعلّ الفوارق التي يدركها أو يستشعرها إنسان مثقف عصري ، إذا تأمل حياة إنسان متأخر بدائي ، تقرب من فهمه معنىً عامًّا للمدنيـة . لـكن هذا المعنى غامض وليس محدوداً ، وهو لغموضه قد حدا بعض رجال العلم إلى تحديده وتمييز عناصره . وقد فكر بعضهم في طريقة علميـة لوضع معايير معينة تختبر بها درجات المدنية للمجتمعات المتباينة والشعوب المختلفة . وقد اتجه نظر بعض الباحثين إلى المقاييس الإحصائية ، ولا سيّما بعد أن ازدهرت الظاهرات الاجتماعيـة وانتظم عقد الجماعات في معيشة تـكاد تكون ثابتة ، وذلك بسبب ثبوت مراكز الإنتاج والعمل ، والاستقرار العائلي ووفرة أسباب الطمأنينة المادية والمعنوية في المدن .

وفي طليعة الرّوّاد الباحثين العالم الإيطالي نسيفورو Niciforo وهو خبير في تطبيق علم الإحصاء في ميادين العلوم الاجتماعيـة والطبيعية وفي ميدان الفنون والآداب ، وقد عالج هذا العالِم وضع معيار إحصائي لقياس مدنيات الشعوب ، كما أنه اهتم باختبار صدق هـذا النوع من القيـاس ، وقد تحدّث من قبله أحد المفكرين ويدعى بواسجلبرت Boisguilbert عن إمكانية عمل مقياس سماه (بارومتر الرخاء العام) يقام على الفكرة القائلة إن درجة المدنية تقاس في مجتمعٍ ما بمقدار ما يخص أكبر عددٍ من أفراده من خير ويسر ورفاهية .

على أن جوتليه Guetelet كان أول من استخدم الإحصاء الاجتماعي كوسيلة من الوسائل العلمية للبحث والاستقراء . لـكن لهذه الطريقـة عيوباً جمة ، ومآخذ عديدة ،

منها : أن طريقة الإحصاء نفسها تختلف من مجتمع إلى آخر ، وأن الشعوب تتباين فكراً وخلقاً ومزاجاً ، وأن الظروف التي تعمل فيها التجارب الإحصائية في عديد المجتمعات ليست ظروفاً متماثلة ، ولا هي ثابتة العوامل حتى يمكن أن نقطع بصدق الأرقام التي نحصل عليها . ومن ثم تترتب عليها المقارنات والنتائج - كما أن على رأس هذه المآخذ عدم تحديدنا للقيمة التي ينبغي أن تسبق القيم الأخرى أهمية واعتباراً .

وكلمة المدنية في القاموس الفرنسي تحمل معاني تثقيف السلوك وخلق الاهتمام الاجتماعي والتأدب أو التلطف أي تلك الصفات التي تولدها المعيشة في المدن . وينبغي أن نلاحظ أن فكرة المدنية فكرة نسبية ، فلكل مجتمع بل لكل جيل حضارته ومثله العليا . ومع هذا فإن هنالك معنىً يكاد ينعقد عليه الاجماع ، وهو المعنى الذي ساقه نسيفورو وهو أن فن المدنية تصوغه مكونات ثلاث : ماديّة . وفكريّة ، وخلقية سياسية .

أما المكونات المادية للمدنية — التي يسهل قياسها — فتشتمل على المسائل المهمة الآتية وهي : عدد السكان وتوزيعهم الجغرافي ، وانتاج الثروات ، واستهلاك المواد الغذائية ، والكماليات ، ومستوى المعيشة . أما المكونات الفكريه فتتضمن مدى انتشار التعليم في الأمة ومقدار النشاط الابتكاري الذي يؤديه عباقرتها .

أما المكونات الخلقية فتتضمن سيادة الشرف والعدالة والرحمة والتضحية الذاتية كما تتضمن مركز المرأة ورعاية الأطفال .

هذه جميعاً تعتبر في مقدمة القيم التي توزن بها المدنية في أمة من الأمم ، وقد أوضح فولتير بأن الرحمة والعدالة هما دعامتا المجتمع ، كما ذكر أفلاطون ، في جمهوريته أن العدالة أساس التوازن والاتساق في الحياة الخارجية والداخلية على السواء . كما أكد نفس هذا المعنى الفيلسوف شادورث هودجسن Shadworth Hodgson فان جماع فن الحكم يتركز في العدالة . واتجه بحث نسيفورو الى المقارنات الاحصائية لبعض الظواهر الاجتماعية متوقعاً أن يجد منها دلائل تقارن بها درجات المدنية بين الأمم . فمثلاً كان موضوع انتشار الجريمة في المجتمع أول ما استرعى نظر الباحث المقارن إذ أنه اعتبر أساساً لاختبار المدنية في مظهرها الأخلاقي وهو أسمى مظاهر المدنية . فالجريمة هي التعبير المتطرف المباشر الأثر

للشكل الذي يؤدي اليه الانهيار الخلقي والاستهتار بالقيم والحريات ، وهي انحراف جامح عن المستوى السوي للأخلاق والآداب . من أجل هذا نبتت الفكرة القائلة بأنه كلما قلت نسبة وقوع الجرائم في مجتمع ما ، كان ذلك دليلاً على رقيه وعلى سمو مدنيته . ولكن هذه الفكرة والأحكام المترتبة عليها تتعرض كثيراً لبعض المآخذ والنقدات التي تضعف من قيمتها . ففضلاً على أن المجتمعات المتعددة تتباين من حيث النظر الى الجريمة ، واعتبارها والكشف عنها ، وطرق معالجتها ، فمن المؤكد أيضاً أنه كلما كثرت القوانين زادت المخالفات ومن ثمّ تصبح المقارنات الاحصائية لنسب وقوع الجرائم — مع اختلاف التشريعات في الدول المختلفة ، ليست بذات قيمة .

وحتى إذا اعتبرنا الجرائم الأخلاقية وحدها هي الجديرة بأن تقع في نطاق الحسبان فان وقوع الجريمة في مجتمع معيّن إنما هو نتيجة طبيعية لطاقاته النشاطية أو مجموعة أنواع السلوك العملي ، فالجريمة إخراج سام ، والاخراج دائماً مقياس لعملية البناء الحيوي — كما إننا لا ننسى أن هناك من الجرائم الاجتماعية أو السياسية ما يجيء نتيجة متوقعة لدوافع التطوّر الاجتماعي أو السياسيّ فهي لا تدل على انحراف خلقي بقدر ما هي تدل على تطوّر نجائي معارض .

ومن الدلائل الفكرية دليلان هامّان هما نسبة انتشار التعليم ، وعدد العباقرة البارزين في الأمة خلال زمن معين — وقد اتخذ نسيفورو هذين الدليلين ضمن الأسس القياسية للمدنية ، كما اعتبر أن كلاً منهما يؤثر في الآخر ويسايره باطراد . ولكن هذه الفكرة تلقى اعتراضاً هامّاً يشكك بأحكامها . حقيقةً إن انتشار التعليم يساعد على إبراز النبوغ ؛ ولكن ظهور العبقرية ليست في كل الأحوال رهناً بهذا الانتشار ، لأن هناك ظروفاً كثيرة تعمل على بزوغها . ومن أهم هذه الظروف روح المقاومة التي يختص بها بعض الأفراد الملهمين . فالضغط المادّي أو الاضطهاد الفكري أو السياسي ، أو مختلف المحن والشدائد والآلام — قد تعمل على بعث الأفكار الملهمة ، والآراء الخلاّقة ، وعلى الإيحاء بالاتجاهات الإنسانية والفلسفات المناضلة — وهذه كلها تتركز في العبقرية . فما كان ظهور الفلاسفة اليونان الأولين إلاّ وليداً لما كانوا يمثلون به الروح المعارضة للمزاج الشعبي ، وكان سقراط ،

وأفلاطون يلاقيان كل ازدراء واضطهاد بسبب دعوتهما بالحكمة والاعتدال . كما أن أزهى عصور الفن ابتكاراً وأروع عهود الأدب والقصة والموسيقى إبداعاً — في روسيا — كان عهد العبودية القاسية ، والاضطهاد العنيف . ففي غضون هذه الأوقات العصيبة التي ديست فيها كرامة الأهلين تحت مواطىء الأقدام تفجرت منابع الثورة والفن والحرية ، وبزغت عبقريات فذة على نحو لم تعرفه روسيا بعد أن تحررت وغيرت من أوضاعها السياسية .

بقي أن نبين أن نسيفورو بحث بعض الدلائل الأخرى ، وقد رأى أن رقيّ المدنية يساير نقص نسبة المواليد (إلى نسبة الوفيات) وزيادة نسبة استهلاك المواد الكمالية كالكحول والطباق ، وزيادة نسبة المنتحرين — وأن المقارنات الإحصائية لهذه النسب تصلح لاختبار المدنيات . ولكن النتائج المترتبة على هذه المقارنات نتائج متناقضة ففي حين يكون بعضها متمشياً - في جانب — مع التقدم الحضاري ، إذا بها — في جانب آخر تدل على التأخر . فالنقص المتطرف في نسبة المواليد معناه القضاء على المدنية نفسها . والزيادة المتطرفة لاستهلاك المواد الكمالية قد لا يدل على وفرة النشاط بقدر ما يدل على الخمول والكسل . والزيادة في نسبة الانتحار إذا دلت على التمسك بالقيم والمستويات الاجتماعية وبالآمال الكبار ، فهي تدل كذلك على الهروب والفشل واليأس من الحياة . فالمقارنات الإحصائية من هذه الوجهات لا تصلح إذن للقياس .

على أن النتيجة التي استخلصها هذا العالم هي أن المدنية ليست مجموعة من المغانم والمكاسب ولكنها مجموعة من القيم الإيجابية والسلبية . ولعلّ هذا القول يتلاءم مع قول چورج صاند بأنه ينبغي أن نميز بين الكم والكيف . فقيمة الأشياء لا توزن بكثرتها ولكن بجوهرها .

— ٢ —

إن الحضارة الإنسانية في هذا العصر الحديث اتجاهات ومقومات يكاد ينعقد عليها إجماع آراء المفكرين في كل الأمم . وهي الاتجاهات التي تساير التحرر العقلي والتسامي بالعاطفة وتبادل الإخاء الإنساني على أساس الأخذ بمنطق العلم في أساليب السياسة

والحكم . انطلاق الطاقات البشرية نحو غايات الانتاج والتعاون ، والابتكارات الفنية الرفيعة . والحضارة الحديثة في أي مجتمع تبدأ بغزو ثقافي شامل منطلق ، تأتي بعده مرحلة تتفاعل فيها الثقافات تفاعلاً متطوراً حتى تبلغ الثقافة مبلغاً عظيماً من حيث تطبيقها العملي ، وتأثيرها في حياة الأفراد والجماعات ، وانعكاسها في أفكارهم وفلسفاتهم . وعندما تتجه الطاقات البشرية إلى استيعاب الثقافات المتباينة تنتقل إلى مرحلة تالية هي مرحلة الفن ، وفي هذا الانتقال لب الحضارة وثمرتها . فإذا استنفدت هذه الطاقات الابتكارية أخذت المدنية في الذبول . وهذا يوافق فكرة العلامة سبنجلر Spengler القائلة : إن المدنية هي المرحلة الختامية للثقافة — ولكن ما تكاد تأخذ في الأفول حتى تشرع مدنية أخرى تحل محلها وتبدأ من جديد .

فالمدنيات التي نشأت خلال التاريخ أشبه الأشياء بموجات البحر ، تبدأ الموجة منها تتقدم فتعلو وترتفع ، حتى إذا بلغت قمة علوها بدأت تهبط وتنحدر وهي لا تكاد تفعل ذلك حتى تكون موجة جديدة آخذة في العلو والارتفاع ، وهكذا :

ويحدثنا السير فلندرز بتري (Flinders Petrie) بقوله : إن ظاهرة المدنية مماثلة في أطوارها للظاهرة الطبيعية — فهي تبدأ حياتها ، ثم تنمو وتنتعش ، ثم تزدهر وتنضج ثم تذبل وتموت ، لتخلف ظاهرة شبيهة بها تمر بنفس أدوارها . ويقول : لقد تكونت ثمان مدنيات خلال الأحقاب المتعاقبة — وقد اجتازت كل مدنية منها نفس المراحل التطورية التي اجتازتها الأخرى ، مع تباين أشكالها وصورها .

وحقيقة المدنية تتمثل في صفوة الأمم الممتازة من قادة الرأي والعلم والفن ، أي من العبقرية المسئولة عن دفع المدنية وقيادة موكبها والتأثير في طبقات الشعب بما توحي إليه من اتجاهات وما يلهمه من أفكار ، وما تفيد به من إنتاج وابتكار . والواقع أن المدنية عند هؤلاء الأصفياء هي « حاسة للقيم الانسانية » Sense of Values في أرفع مراتبها . أي حساسية للمعرفة في صورتها العلمية المنطقية ، وحساسية للمعرفة في صورتها الوجدانية ومتعاتها العقلية الراقية ، وحالاتها الذهنية المتسامية Higher states of mind كتعشق الجمال والحق والحرية . وهي التي تصبح في حد ذاتها غايات فكرية بجانب كونها وسائل للإبداع الفني . وليست المعرفة وحدها بذات قيمة ، إنما المعرفة القيمة هي تلك التي يتناولها الخيال بأنامله ، ويلعب فيها دوره الهام ، فيخلق منها صوراً رائعة من الفن والابتكار . وهذا ما تفعله العبقرية ، فنها يتولد اتجاه يمثل روحية العلم وشعورية الفن ، وهذا الاتجاه يتوازن مع الاتجاه العكسي الذي تتمثل فيه مادية العلم ومادية الفطرة ، وآلية

الانتاج والحياة الرتيبة المملة التي تحياها الجماعات. ومن هذا التوازن يسير الركب الحضاري سيره الحثيث.

ويبدو هذا التوازن جليًّا في المجتمع، في الصورة التي تؤول إليها الحرية في هذا المصر، فالمجتمع الحضاري اليوم يقر الفردية ولكن على أساس أن يكون لها ضمير جماعي، كما أنه يقر الجماعية ولكن على أساس أنها تتيح الفرص المتكافئة لبزوغ الفرديات النابهة وتألق مواهبها وإعمالها. فالمدنية تتمثل في هذه الحرية: توازن بين الصفوة والجماعات، أو بين الفردية والجماعية.

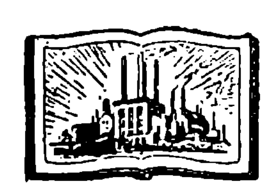
وهناك شكل توازني آخر تتمثل فيه المدنية، فهي تتمثل في الروح المعارضة للطابع الذي يخلقه أي جانب من جوانب النشاط الانساني، وفي تطور الطابعين المتعارضين والارتفاع بهما إلى مرتبة فنية تجمع بينهما. فالعلم مثلاً يقوم على الأسلوب التجريبي المنطقي، وهو إذن يخلق طابعاً تطبيقيًّا آليًّا هو طابع القوة والجفاف. فالمدنية تقتضي أن تقاوم تيار المعرفة للقوة، لترجع بها إلى طابعها الأصيل وهو المعرفة للمتعة أو طابع العلم للحب. وقيام الطابعين معاً — مستقلين أو مجتمعين — كفيل أن يحقق التوازن بين القوة والحب، وبين قيم المادة والقيم المعنوية، وحقيق أن يتطور إلى مرتبة فنية يكون فيها كل منهما إطاراً للآخر.

كذلك يمتاز الطابع الذي يخلقه العمل في المجتمع العمالي الحديث بالآلية والجمود، وبالحياة المنظمة تنظيماً يخرج بها عن روح المغامرة والاستمتاع وحرية الاختيار، والمدنية تقاوم الجمود والاغلاق، كأن تشجع مبدأ الاستزادة من ساعات الفراغ، والاكثار من إنشاء الملاعب وجمعيات الهواة وأنواع التسليات، وأن تتكون صحيفة عمالية تعكس آراءهم وتعبر عن آمالهم وتحقق ذاتياتهم. وفي مثل هذا الجو يمكن أن تبزغ فرديات مستقلة تحطم قيود الآلية، وتجعل من العمل إطاراً للمغامرات والابتكارات الفنية. وقل مثل ذلك في الطابع الذي تتسم به التقاليد الموروثة من حرفية ضيقة وتزمت بليد، وما تعمله المدنية من موازنة بطابع التحرر، لتخلق منهما نظرة تجمع بين الحرية والنظام، وفلسفة تلائم بين القديم والجديد وفق مقتضيات التطور الفكري.

إن مرتبة السمو بالتيارات النشاطية المتعارضة هي الفن بل هي المدنية. لأن في الفن تصاغ الغايات الروحية والمادية معاً في صور متنوعة ابتكارية تستروح فيها البشرية نفحات الخلود.

المرجعان: — 1. The Dance of Life : Havellook Ellis 2. Civilization : Cilive Bell.

صناعة الصابون



للأستاذ حسن محمد ان التركي

﴿ تعريف الصابون ﴾ يمكننا أن نعرف الصابون العادي الذي يذوب في الماء ، بأنه الملح الناتج من اتحاد الزيوت (بمعناها الواسع الذي يشمل الأحماض الدهنية الموجودة بالزيوت النباتية والحيوانية والدهون والشحوم) مع القلويات مثل الصوديوم والبوتاسيوم حسب المعادلة الآتية :

قلوي + زيت = صابون

وأما أنواع الصابون التي لا تذوب في الماء ، وتستعمل في الأغراض الصناعية أو الطبية ، فهي التي تتكوّن من تفاعل الزيوت مع معادن أخرى مثل الكالسيوم أو الزنك أو الألمنيوم .

﴿ مكونات الصابون ﴾ يتكوّن الصابون العادي من المواد الآتية : —

(١) زيوت (٢) قلويات (٣) مواد إضافية (٤) لون ورائحة .

﴿ خامات الصابون ﴾ فيما يلي أهم الزيوت والدهون المستخدمة في صناعة الصابون في القطر المصري بوجه خاص .

زيت بذرة القطن — اقتصادي ويستخدم صنعه المسمى بالفرنساوي في أنواع الصابون الجيد . وأما الزيت الخام أو الفضلات الباقية من عمليات تنقيته فتستعمل في صابون المطابخ ، أي الزفر . وزيت القطن المجمد ومن مسمياته التجارية عندنا (النباتين) و (الفيتولين) فهو بديل جيد للدهون والشحوم . ويلاحظ أن له خواص تفوق الزيت السائل أحياناً ، في تحسين قوام الصابون . ولكن يجب ألاّ تزيد نسبته في مجموع الزيوت السائلة عن ٢٥ ٪ ، حتى لا يكون الناتج صلباً جدّاً .

زيت جوز الهند — أو زيت الكوبرا . وهو يعصر بمصر . ويعتبر أحسن زيت

في الإنتاج على الطريقة الباردة ، نظراً لسهولة تصبنه في درجات الحرارة العادية . كما أن الصابون الناتج منه يرغي في الماء المالح . ولذا يصنع منه الصابون البحري . وإذا عقدنا المقارنة بينه وبين زيت القطن،لوجدناهما يشتركان في أغلب المميزات، ولكنه يتفوّق عليه . ولذا يحسن خلط زيت القطن به لتحسين رغوته . وهو ضروري لصناعة صابون الزينة .

زيت الزيتون — أو الزيت الطيب . وثماره تجود في بعض الأراضي المصرية ، لا سيما الواحات ، والزيتون يكبس غير مرة ، والكبسة الثانية تعطي أجود زيت . ولكن المستخدم في صناعة الصابون هو ما لا يصلح للأكل . والصابون المصنوع منه يعرف بالنابلسي . وزيت الزيتون صعب الرغوة . ونسبة الربع من زيت جوز الهند إلى زيت الزيتون تحسن رغوته .

زيت الفول السوداني — يصح استعماله بدلاً من زيت الزيتون . ويصنع منه صابون مرسيليا المشهور . ويكثر استخدامه على الساخن كزيت الزيتون .

زيت الخروع — وله أثقل وزن ذري بين الزيوت . وينتج الصابون الشفاف . ويشاركه الجلسرين في هذه الميزة .

زيت بذر الكتان — أو الزيت الحار وهو مثل بارز للزيوت غير المشبعة ولا يعطي سوى الصابون الرخو — غير المتجمد — ويتصبن بالبوتاسة .

دهن الضأن — وله صلابة ولون أبيض ورائحة مقبولة . ويستبدل حالياً باستخدام الزيوت المجمدة .

الشحوم — وتطلق عادةً على المواد الدهنية المختلطة أو الرديئة النوع وإن كانت من أصل واحد . وتميز عادةً بترك مصدرها كشحوم المنازل والمطابخ والقمامة ... الخ وتدخل عادةً في أصناف الصابون الواطية .

القلفونية — أو الروجينة وهي مادّة ليست بالزيت وليست بالحمض الدهني ولكنها تجمع بين خواصهما . ويمكن إدخالها في الصابون المنزلي حتى ١٠ ٪ من وزن الزيوت . ويجب أن تكون مسحوقة وأن تسخن مع الزيوت وكأنها واحدة منها . والقلفونية تلين من صلابة الزيوت المجمدة .

﴿القلويات﴾ وأهمها الصودا الكاوية والبوتاسة الكاوية .

الصودا الكاوية — وتعرف كيميائيًّا بأيدروكسيد الصديوم . وتظهر على شكلين — سائل وصلب — ونسبة الصودا الكاوية في النوع السائل ٤٠ ٪ تقريباً . وفي الصلب ٨٠ ٪ تقريباً . والنسب المئوية المذكورة أساس تقديرها وجود كمية أوكسيد الصديوم بالمادة . وجرى الاتفاق بأن يطلق على الصودا الكاوية أنها عيار ١٠٠ ٪ إذا احتوت على ٧٧٫٥ جزء من أكسيد الصوديوم . ولكن عينات الصودا التجارية تتراوح نقاوتها بين ٨٠ — ٩٠ ٪ . وملاحظة هذا الفرق اثناء العمل واجبة . وعند إذابة الصودا الصلبة في الماء تنتج حرارة شديدة ، ويجب إستعمال أوعية من الحديد عند إذابة الصودا . والحذر من استعمال أوعية المنيوم ، نظراً لتفاعل الصودا مع هـذا المعدن . وتقاس محاليل الصودا بوساطة هيدرومتر يعرف باسم ميزان بومي . وهو بوجه التقريب يشبه ميزان الحرارة في شكله . ومدرَّج بطريقة خاصة أرقامها الأكبر من أعلى الى أسفل .

ولقد دلت التجارب على أن تركيز محلول الصودا بنسبة ١٥ ٪ بالوزن أو عيار ٢٠ بومي هي أحسن نسبة تستخدم بنجاح في الطريقة الساخنة . ونسبة ٢٥ ٪ بالوزن التي توازي درجة ٣٠ بومي هي أحسن نسبة على البارد . ويلاحظ دائماً أن تكون نسبة محاليل الصودا على البارد أكثر منها على الساخن .

البوتاسة الكاوية — عديمة الأهمية في انتاج الصابون العادي الصلب ولكنها أساس صناعة الصابون الرخو مع زيت بذر الكتان أو القطن .

(٣) المواد الاضافية — وتشمل المساحيق العضوية كأنواع الدقيق وغير العضوية كأحجار التلك والكوالين والخفان .

وكقاعدة عامة يمكن جعل المواد الاضافية حتى ٢٥ ٪ من كل تركيب الصابون . أما الأصناف الجيدة أو صابون الزينة فلا يدخلها إضافيات .

﴿التعطير والتلوين﴾ : يتفنن صانع الصابون في تعطير وتلوين إنتاجه لزيادة الاقبال عليه . بل إن التعطير شرط أساسي في صابون الزينة . وينبغي أن يكون بين اللون والرائحة إنسجام ، فلون صابون الفنيك أحمر مثلاً .

﴿ التعطير ﴾ : أول شروط العطر أن يقاوم المواد القلوية في الصابون ، كي تثبت رائحته . ولا تزيد نسبة العطور عادة على ٢ ٪ من وزن الزيوت المتصبنة . ويكثر استخدام زيت الترنج (السترونل) لرخصه .

﴿ التلوين ﴾ — وفيه تستخدم الألوان الترابية وتخلط مع المواد الاضافية . أما التلوين المبقع ، فتوضع خراطة صابون ملون سبق صنعه ، على سطح الصابون وهو طري فتثبت به . كما توجد فنون أخرى للتلوين .

أنواع الصابون : أهم أنواعه هي :

﴿ صابون الزينة ﴾ — ويجب أن يكون متعادلاً . نقياً ، خالياً من المواد الاضافية . له رائحة ورغوة جيدة . ويدخله زيت جوز الهند والزيتون .

﴿ صابون النابلسي ﴾ — ويكثر استخدامه في الحمام وأساسه زيت الزيتون . ولذا فهو قليل الرغوة . ويحسن أن يكون خالياً من الاضافات .

﴿ صابون الملابس ﴾ — يدخله زيت بذرة القطن السائل والجمد وكذا سلفات الصودا لقدرتها على التنظيف والدقيق أو الطلق .

﴿ صابون المطبخ ﴾ — ويستعمل له زيت القطن نمرة ٣ والشحوم . كما يدخله مواد إضافية حتى ٢٥ ٪ أهمها حجر الخفان ، لقوة إحتكاكه .

﴿ صابون الفنيك ﴾ — ويضاف اليه ٤ ٪ أحماض مطهرة من وزن الزيوت المصبنة ، التي أهمها زيت القطن . والحقيقة أنه ليس لهذا الصابون قيمة مطهرة سوى قدرته على التنظيف .

﴿ صناعة الصابون ﴾ : الطرق الشائعة في صناعة الصابون هي : (١) الطريقة الباردة أو النصف الساخنة . (٢) الطريقة الساخنة .

وتمتاز الطريقة الباردة بسهولتها وقلة تكاليفها . كما يسهل إصلاح الناتج بالتسخين . وفيها تستخدم كل الزيوت سهلة التصبن في درجات الحرارة العادية مثل زيت جوز الهند وزيت القطن وشحم الضأن . ويجب أن تكون الزيوت المستخدمة طازجة . وإنتاجها ناعم الملمس يحوي كل جلسرين الزيوت . ولذا تصلح لصناعة صابون الزينة . ومعرفة إحتساب التصبن

هو أول شروط صحة الانتاج بهذه الطريقة . ويصح فيها الاستعانة بالحرارة قليلاً لاتمام نضج الصابون فتعرف بالطريقة نصف الساخنة . أما الطريقة الساخنة فتمارسها كل المصانع المتوسّطة والكبيرة ، وفيها يمكن إستخلاص الجلسرين أثناء التصبن .

﴿ حساب التصبن ﴾ . أهم ما يجب ملاحظته في صناعة الصابون هو أن لا يكون هناك مواد قلوية زائدة فتضر الجلد أو الملابس ، كما يجب أن لا يكون هناك زيت غير متصبن فيكون تبذيراً . وتوجد عدة طرق وجداول لحساب كمية القلوي اللازمة لكمية معينة من الزيوت . والجدول الآتي يوضح كميات الصودا الكاوية ومحاليلها بالبومي وبالكيلو جرام الكافية لتصبن ١٠٠ ك من الدهون والزيوت . مع ملاحظة أن هذا الجدول محسوب بالنسبة للصودا الكاوية عيار ١٠٠ ٪ ولذا يجب إضافة النقص في العينات التجارية .

الزيت	الصودا حجر	محلول صودا كاوية بالبومي						بومي
		١٠°	٢٠°	٢٥°	٣٠°	٣٥°	٣°	
جوز الهند	١٧ ر ٧	٢٨١	١٢٨	٩٩	٧٧	٦٤	٦٢	ك ج
القطن — الزيتون السوداني — السمسم	١٣ ر ٦	٢١٠	٩٤	٧٣	٥٧	٤٧	٤٥	»
دهن الضأن ـ الخنزير	١٤	٢١٠	٩٦	٧٤	٥٧	٤٨	٤٦	»
زيت النخيل	١٦	٢١٥	٩٨	٧٦	٥٩	٤٩	٤٧	»

وهناك قاعدة عامة تجعل المحلول القلوي نصف وزن الزيوت والدهون وأن يكون تركيز محلول الصودا ٢٥ ٪ .

الطريقة الباردة أو نصف الساخنة — وتستعمل للانتاج في المنزل أو المصنع على حد سواء ونظامها العام أن تضع الزيوت في برميل خشب أو حديد بعد رفع درجة حرارتها قليلاً نحو ٣٥° م وتوضع الصودا في وعاء حديد بأسفله صنبور يمكن سحب المحلول منه ببطء . ويلاحظ أن المحلول في هذه الحالة يكون ساخناً من جراء إذابة حجر الصودا في الماء . والمهم أن يكون الزيت والصودا في درجة حرارة واحدة عند خلطهما . ثم تضاف المواد المالئة كالدقيق أو الطلق أو الألوان الى الزيت ثم يفتح صنبور الصودا

قليلاً على الخليط وتبدأ في التقليب ببطء . ومن المهم أن يكون التقليب في اتجاه واحد بوساطة محرك خشبي .

يستمر التقليب عند ما تنتهي كل كمية القلوي ، ويوقف لما يصير قوام الصابون كالمرهم. ثم ينقل الى أحواض أو طاولات خشبية سبق فرشها بالورق أو رشها بمسحوق الطلق ، لعدم التصاق الصابون بالقوالب . وأخيراً يغطى سطح الصابون بقماش أو عدة صفحات من الجرائد، الى أن يبرد الصابون ويجمد بعد ٤٨ ساعة أو أكثر وبعدها يقطع بالسكين ثم يختم ويرص في أمكنة مهواة لتجف جوانبه ويعبأ للسوق .

• عينة عملية على البارد : —

٥٠	جزء زيت قطن	يحسن أن يكون ربع هذه الكمية زيت مجمد . ويستبدل ١٠ ٪ منها زيت جوز الهند
١٥	جزء مواد إضافية (دقيق أو طلق أو مسحوق حجري أو خليط منها)	
١٠	أجزاء صودا صلبة (عيار ٨٠ ٪)	
٢٥	جزء ماء	
٠٠٠٠	لون ورائحة حسب الطلب	
١٠٠		

وأول مايلاحظ على هذا التركيب أنه لكل مائة جزء من المواد، السهولة في ضبط النسب وحسابها وانا جعلنا نسبة الزيت أو الزيوت المستعملة ٥٠ ٪ (أي صابون نمرة٢٠) وحسبنا لتصبنها قدر نصف وزنها محلول صودا بتركيز ٣٠ ٪ واخترنا من المواد الاضافية دقيق الأرز لبياضه . وعملنا على تحسين خواص زيت القطن بالزيت المجمد لزيادة صلابة الناتج ، مع قليل من زيت جوز الهند لجودة الرغوة . كما رفعنا تركيز الصودا قليلاً لجودة الصنع على البارد . فكانت النتيجة هذا التركيب الذي يمكن السير على منواله أو رسم ما يفوقه . واعلم أن التجربة هي روح الصناعة وأن الوسيلة الوحيدة لتعليمك في البداية هي طريق التركيب .

﴿ الطريقة الساخنة المبسطة ﴾ — تستخدم المصانع هذه الطريقة وفيها يمر الصابون

على عدة عمليات أولها الغليان ثم التعادل والتمليح والغسيل والتجهيز النائي . وفيما يلي شرح طريقة العمل المبسطة : —

تسخن الزيوت على النار ويضاف إليها محلول الصودا الساخن قوة ٥ ٪ أى ٢٠ بومي ، ببطء مع التقليب حتى يتم التصبن ثم يضاف قليل من الملح الناعم مع إستمرار التقليب لمدة ٣٠ دقيقة . وزيت جوز الهند فقط لا يحتاج إلى التمليح .

أبعد الصفيحة عن النار ، واتركها هادئة لمدة ٣٦ ساعات حتى يطفو الصابون ، ثم يسحب محلول الجلسرين والشوائب من أسفل ، إلى أن تصل إلى طبقة الصابون التي ستعرفها ، بأنك لو أخذت قليلاً منها في راحة اليد ونفخته ، تكونت الرغاوي فيقفل الصنبور . ويقلب الصابون جيداً حتى يتجانس الناتج ويصير كالبلوظة . ثم يسخن ويضاف إليه كمية قليلة من الصودا للتسوية ، حتى يصير الصابون محبباً أو قطعاً متكورة فيسحب محلول الصودا من أسفل. ويضاف الى الصابون ماء نقي مع الاستمرار في التقليب والتسخين ثم يترك الصابون هادئاً ، وبعدها تسحب المياه وتكرر عملية الغسل لازالة كل القلويات الحرة . وهنا يمكن ملء الصابون وتلوينه وتعطيره حسب الطلب . وأخيراً يقلب الناتج بشدة ثم يصب في الحوض الخشبي بعد فرشه بالورق ويترك ليجمد ، ثم يقطع ويختم ويرص لتجف جوانبه ويعبأ.

ولسهولة إحتساب التصبن على الساخن ، نقدر نسبة الصودا الصلبة الى وزن الزيوت بنسبة الخمس وزناً . ثم يذاب هذا المقدار في الماء حتى يصير مركزاً بنسبة ١٥ ٪ أي ٢٠ بومي . وفيما يلي عينة على الساخن للتجربة .

٣٠ جزء زيت بذرة قطن
١٥ « « مجمد
١٥ « « زيتون
١٥ « « جوز هند
١٥ « صودا حجر عيار (٨٥ ٪) تذاب بنسبة ٢٠ ٪
١٠ « مسحوق طلق ولون ورائحة .
———
١٠٠



التقويم الزراعي

لشهر نوفمبر

تجري في هذا الشهر العمليات الزراعية التالية : —

١ — ﴿ الحاصلات ﴾

البرسيم — تزرع المساحات المتأخرة . يروى المزروع

الفول والكتان — تتم الزراعة في أوائل الشهر

القمح والشعير — يستمر في الزراعة . تروى الزراعات المبكرة رية المحاياة

القصب — تقطع الخلفة استعداداً للكسر . يروي الغرس .

الذرة — يستمر في قطع المحصول . ويخزن وتنقل أحطابه .

٢ — ﴿ البساتين ﴾

الحلويات — تروى . تستأصل الحشائش . يبدأ في تغطية أشجار المانجو الصغيرة بالشاتل . يستمر في جمع ثمار الموز وأصناف العنب المتأخرة . توقف عمليات التطعيم . تزرع بذور المشمش والخوخ على خطوط بالمشاتل .

الموالح — تروى كل ١٥ — ٢٠ يوماً . تستأصل الحشائش تقلم الأفرع الجافة . يبدأ في جمع ثمار البرتقال السكري واليوسفي وفي أعالي الصعيد تجمع ثمار البذرة .

الخضر — تزرع عروة جديدة للبسلة ، والكوسة ، والجزر ، والبنجر ، واللفت ، والجرجير ، والفلفل ، والسبانخ

تزرع عروة شتوية من المقات .

يشتل الكرنب الأفرنجي ، والخس ، والطماطم .

الأزهار — يستمر في زراعة أبصال الباسنت ، والتوليب ، والفرزيا والانيمون

والرانكولس ، والجلاديولس ، والدافوريل .

يمنع الري تدريجيًا عن الداليا استعداداً لخزنها

يستمر في زراعة بذور الجازون. ✡✡

أخبار زراعية .

* علاج التفحم في القمح — ثبت من تجارب قسم أمراض النباتات بوزارة الزراعة أنه يمكن تقليل الاصابة بمرض التفحم الاواني في القمح بالزراعة المفير وكذلك بغمر الأرض بالماء ،ولذا فان أراضي الأرز وأراضي الحياض التي يغمرها ماء الفيضان تقل بها الاصابة كثيراً.

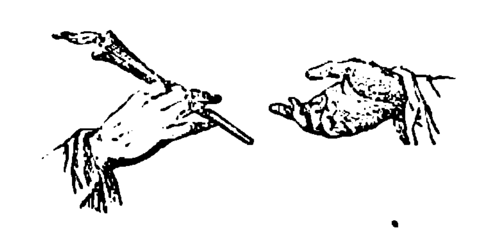
وفي حالة تعذر اتباع إحدى الطرق السابقة يمكن زراعة أصناف مقاومة للمرض مثل البلدي ١١٦ أو جيزة ١٢٩ فقد ثبت أن الأول منيع ضد هذا المرض والثاني شديد المقاومة.

* علاج لفحة الشعير — اتضح من تجارب قسم أمراض النباتات على مدى قابلية أصناف الشعير المختلفة للاصابة بمرض التخطيط الشبكي أو اللفحة في الشعير ان الصنف بلدي ١٦ هو أشدها اصابة ويليه جيزة ٦٨ ثم جيزة ٧٣ كما وجد أيضاً أن ميعاد الزراعة وطريقتها لم يؤثرا في درجة الاصابة .

* البرسيم والدريس — يؤخذ من نتائج بحوث قسم الكيمياء ان البرسيم وبالتالي الدريس من المصادر الغنية جداً عن الجير وكلاهما يسد نقص هذا العنصر الغذائي الهام في تغذية الحيوان كما يحتويان على نسبة متوسطة من الفسفور ونسبة عالية من عنصر الكلور الهام في التغذية .

* وقاية البرسيم من دودة القطن — يساعد الجو الحار على ظهور دودة القطن في البرسيم فقد ثبت انه يمكن وقاية الزراعة من الاصابة بوساطة تعفير دابر الحقل بعرض قصبة، وكذلك الحشائش على حافة الدابر لأن الفراشة تضع بيضها عليها فتفقس وتنتقل الى البرسيم في أول نموه . ويستعمل للتعفير مخلوط الجير والكبريت الزرنيخي الموجود للبيع بتفاتيش وزارة الزراعة بالمديريات، وإذا ظهرت الاصابة داخل الحقل فيعفر جميعه فوراً، وإذا أهمل الزراع ذلك ضاع عليهم برسيمهم كما يتضاعف الضرر مستقبلاً بتكاثر تلك الآفة ✡✡

مكتبة الكونجرس
بالولايات المتحدة الأمريكية



للأستاذ أمين عبده

هي من أقدم المكاتب العامة تأسست في عام ١٨٠٠ ميلادية بمدينة واشنطن فكل من وطئت قدمه هذه المدينة وأقام بها ولو فترة قصيرة لا تفوته زيارة هذه المكتبة .

وكانت في بدء إنشائها وقفاً على خدمة أعضاء « الكونجرس » قبل أن تفتح أبوابها للجمهور وبها الآن مائة وستون موظفاً لا عمل لهم إلاّ تقديم ما يحتاج إليه أعضاء كل من مجلسي الشيوخ والنواب من بيانات .

وتشغل المكتبة أكبر مبنيين في العالم . وتضم ما يقرب من ثلاثين مليوناً من الكتب وغيرها وهي أكبر مجموعة وسع الانسان تكوينها وتنسيقها ، وأعظم ما تفتقت عنها الفكرة البشرية . وما زالت منذ إنشائها في نموّ متواصل إذ يتدفق عليها في كل عام سيل من الكتب والمجلات والنشرات والخرائط والصور وغيرها يقرب من ستة ملايين مادّة جديدة .

وأول هبة موقوفة عليها كانت في عام ١٨٩٨ من أرملة المستر جارنر هابارد أول رئيس للجمعية الجغرافية الأهلية . من مجموعة زوجها المتوفي وكانت من النقوش المحفورة ومنذ ذلك الحين أخذت المكتبة في النموّ المطرد والازدياد المتواصل سنة بعد أخرى . فكان ذلك أشبه شيء بتكوين المرجان على صخور البحار .

والمكتبة على اتصال مستمر بالعالم الخارجي بالبريد وبالبرق وبالتليفون بحيث يتسنى لكل راغب الاتصال بها متى شاء فيجاب بغير ابطاء .

وتقوم المكتبة بشراء الكتب بوساطة وكلائها في سائر أنحاء العالم من متعهدي

بيع الكتب أو بتكليف قنصل الولايات المتحدة في منطقته . أو أي موظف رسمي أو غير هؤلاء بشرائها . حتى من قبرص وشرق أفريقيا والكونجو البلجيكي ، ونيروبي ، وداكار ، والهند الصينية ، وبانجوك ، ورانجون ، وسيلان ، والباكستان . وهذا قليل من كثير . ومع ذلك فإن ما يأتي من طريق الشراء لا يتجاوز ١٥٪ فقط ، أما الباقي فمن الهبات والتبادل ومن الناشرين .

وباتفاق المكتبة مع الجمعية الجغرافية الأهلية قد أنفذت الأخيرة بعثتين في سنتي ١٩٢٣ و١٩٢٧ الى أقاصي الصين والتبت بزعامة المستر روك لشراء نسخة من كتب التبت المقدسة فتم له ذلك وأودعها إثنين وتسعين صندوقاً استغرق إخراجها من الصين والإتيان بها الى المكتبة أكثر من عام . وعلى ما يظن أن هذه هي المجموعة الوحيدة في الغرب عامة . وتشمل هذه المجلدات صحفاً مفردة مستقلة محفوظة بين ألواح خشبية .

واتفق لأحد مندوبي المكتبة أن صرح لأحد أصدقائه في مدينة بُرما برغبته في الحصول على نسخة من كتاب (تريبيتاكا) وهو الكتاب المقدس عند بوذيي هينايانا . فقام الأهالي باهداء نسخة منه للولايات المتحدة مع كثير من الكتب الادبية . وتم ذلك في حَفْل ديني في مدينة رانجون بأن أخذت قطراتُ الماء تسقط قطرة أثر قطرةٍ في وعاء إيذاناً للأرواح بأن العمل العظيم هو في طور الانجاز . وفي ختام الاحتفال نُفخ في بوق من المحار . ودُقت الأجراس وصدحت النواقيس ثم حُملت الكتب على أيدي مائة راهبة من هيكل الأوثان إلى أن وُضعتْ في العربة المذهبة ذات الشرفات المقدسة . وطيف بها في شوارع مدينة رانجون — واعترافاً بهذا الجميل أهدت الولايات المتحدة مدينةَ رانجونْ بضعة مئات من الكتب عن الحياة في أميركا .

ومن خير الوسائل لتبادل المعارف وانتشارها نقل محتويات الكتب وغيرها بالتصوير الشمسي . وقد أباحت المكتبة ذلك لكل راغب . وما على طالب صورة ما إلاّ الذهاب بنفسه إلى المكتبة أو مراسلتها إن كان بعيداً عنها . لتصوير جانب من كتاب معيَّن أو مستند قديم أو غير ذلك . وقد بدأت المكتبة في هذا النوع من العمل عام ١٩٣٨ بثلاثة من الموظفين. أما الآن فيقوم بالعمل في قسم التصوير ثمانون موظفاً . ويرجع الفضل

في هذا المشروع الى مؤسسة روكفلر التي أمدته بالمال اللازم . ويجري التصوير به على عدة طرق . منها الطريقة الفوتغرافية المعلومة ،وطريقة الفوتوستات، والتصوير المصغر (نقل صفحات كبيرة على أفلام صغيرة الحجم) ، والنقل على الورق الأزرق وغير ذلك .

وللمكتبة أعوان يضربون في الأرض ابتغاء العثور على الكنوز العلمية لنقلها بطريقة التصوير المصغر . وقد عثروا في دار المحفوظات الأهلية في المكسيك على كتب قيمة . وفي مكتبة الكنيسة اليونانية بأورشليم ، ومكتبة الفاتيكان ، والمكتبة الأهلية بسويسرا ، ومكتبة جامعة امستردام . وقد يستغرق انجاز عمل واحد منها عاماً كاملا .

وهنالك مشروع تحت التنفيذ وهو نقل كتب مكتبة دير سانت كاترين بجبل سينا بالتصوير المصغر . فإن هنالك ذخائر لا تقدر بمال . فمعظم ما يحويه هذا الدير من كتب ونفائس هي غير معروفة لأهل الغرب .

ومكتبة الكونجرس مفتوحة الأبواب لكل قاصد من كل فج عميق لا فرق بين درجات الناس وألوانهم . كما إنها طليقة من قيود الروتين الحكومي أو غيره مما يتعارض مع غايتها العظمى ورسالتها النبيلة، أو يعرقلها .

وفي المكتبة ثلاث وعشرون قاعة للمطالعة فضلا عن مائتين وخمس وعشرين غرفة يختلف إليها الطلبة للدرس . وهو ما يزيد على كثير من الجامعات الكبرى . ولكل طالب بلغ السادسة عشرة أو جاوزها حق الانتفاع بما يشاء من كتب . ويؤم المكتبة في كل عام ألوف من الطلبة وخريجي الجامعات والكليات الكثيرة العدد للدرس ومتابعة البحوث العلمية .

والمكتبة مفتحة الابواب في كل أيام الأسبوع من الساعة التاسعة صباحاً الى العاشرة مساء . وبها عشرة موظفين لتوجيه الوافدين نحو الوجهة المرغوبة .

ويرد على المكتبة مئات الألوف من مختلف الأسئلة بطريق البريد والتليفون فيقوم الموظفون المختصون بالاجابة على نحو ١٥٠ الى ٢٠٠ منها يومياً .

ويرد الى المكتبة ما يقدر بنحو ١٤٠٠ صحيفة و ٢٦٠٠٠ نشرة دورية وغيرها .

وكان مقر مكتبة الكونجرس في نفس مبنى الكابيتول إلى أن نقلت في عام ١٨٩٧ الى

المبنى الجديد الذي كان معتبراً من نفائس فن العمارة في ذلك الوقت لمبانيه ولما اشتمل عليه من روائع التماثيل والنقوش حيث غشيت جدرانه بالوزرات الفنية وفرشت ارضه بطبقة من الموازييك المزخرف الى غير ذلك من الصور ذات الرموز التاريخية والعلمية والأدبية والفنية مما يقف دونها الزائر مندهشاً لبضعة أسابيع .

وللمكتبة أربعة فهارس كبيرة ما عدا فهارس أخرى صغيرة لبعض الأقسام الخاصة . وأحد هذه الفهارس الكبيرة خاص باستعمال الموظفين فقط . وفهرس « الاتحاد الاهلي » يشمل بيانات الكتب المودعة في سبعمائة مكتبة أخرى أمريكية وكندية يبلغ عددها عدة ملايين . وهي كتب غير موجودة بمكتبة الكونجرس . وهذا الفهرس به أسماء المؤلفين . إذ لو اتبع في وضعه نظام أدراج المواد للزم أن يقسم لنحو ٤٠٠٠٠٠٠ الى ٥٠٠٠٠٠٠ مادة

وتحيل المكتبة ما يقرب من ثلاثين الى مائة طلب أسبوعيًّا الى ستين مكتبة أخرى لتلبيتها ومعظمها وارد من الجامعات . وهي لكتب غير مدرجة بفهرس « الاتحاد الأهلي »

وإعادة الكتب من مكتبة الكونجرس للجمهور ممنوعة إلاّ أنّ بعض الكتب النادرة الوجود مباحة إعادتها لنحو ١٥٠٠ مكتبة للاطلاع والاعادة .

وبالمكتبة نحو من أحد عشر مليوناً من المخطوطات والوثائق المكتوبة على الآلة الكاتبة . ومنها سجلات رسمية للحكومة . وهي اكبر مجموعة من نوعها . وتعتبر مرجعاً هامًّا لتاريخ البلاد . وجميعها محفوظة في قاعات حصينة مخفورة بحرس ويقظة .

وكنوز مكتبة الكونجرس معروضة في قاعات كبيرة في الطابق الثاني . بجانب قسم المخطوطات . فمنها الوثائق الأصلية لاعلان استقلال الولايات المتحدة ودستورها وغيرها من المستندات الهامة الخاصة برؤساء الولايات المتحدة السابقين والتي لا تقدّر بثمن في نظر أهل البلاد . والقاعات المذكورة مخفورة بالجند يتولون حراستها ليل نهار .

وبالمكتبة من الخرائط الجغرافية مالا يستطيع ادراك ضخامتها الاّ من عاينها . ففيها مجموعتان تحويان ٢٠٠٠٠٠٠ خريطة ما عدا ١٣٠٠٠ اطلس وقاموس جغرافي . وعدداً كبيراً جدًّا من الصور الفوتغرافية والمطبوعة .

والكتب المعروضة في قاعات العرض منقولة عن (قسم الكتب النادرة) فهي في الحقيقة مكتبة داخل مكتبة وتبلغ في مجموعها نحواً من ٢٠٠٠٠٠ مجلدٍ تمثل تدرّج المعارف الانسانية منذ أن عرف التدوين الى وقتنا هذا .

وتضم المكتبة كتب الرئيس توماس جيفرسون والرئيس ويلسون وكلاهما من رؤساء الولايات المتحدة السابقين .

وقد احترقت المكتبة في عام ١٨١٤ ثم أعيد تجديدها بعد عام من هذا التاريخ واحترق جانب كبير منها في عام ١٨٥١ أيضاً .

ولا تخلو مكتبة الكونجرس من الطرائف إذ يوجد بها نحو ٢٥٠٠ عنواناً لمجموعات في المظاهر النفسية والروحانيات والشعوذة والسحر والجان والأرواح الشريرة .

وفي المكتبة قسم كبير للكتب الشرقية . فهنالك مجموعات من الكتب الصينية واليابانية وأخرى من جنوب آسيا ومن الشرق الأدنى . وكتب عبرية كثيرة لها قسم خاص . وتشتمل بعض الكتب الصينية على خرائط جغرافية . ومعظمها مطبوع لأن الصينيين عرفوا فن الطباعة منذ أجيال . فبالرغم من الحروب وأعمال التخريب التي توالت على الصين فان تقاليدها الثقافية ظلت مصونة وسجلاتها التاريخية سليمة وكان العامل على صيانتها عبادتهم لأسلافهم

وقد أهدى امبراطور الصين أول مجموعة من الكتب لدار المكتبة في عام ١٨٦٩ فكانت النواة لهذا القسم الكبير .

وهنالك قاعة تعرف باسم « القاعة السلافية » فيها مجموعة من الكتب الروسية اشتريت في عام ١٩٠٧ بما يوازي ثلث ثمنها . ولا يفوت محبي الكتب زيارتها لما اشتملت عليه من كتب أنيقة محلاة بالصور ومجلدة أحسن تجليد .

وقد آلت مكتبة الكونجرس على نفسها خدمة مكفوفي البصر فأخرجت لهم كتباً ذات حروف بارزة . كذا اسطوانات فونوغراف وأشرطة ناطقة مع ما يلزمها من آلات ترديد الصوت وخلافها (وهي بمثابة كتب ناطقة) بعثت بها اليهم عن طريق ست وعشرين مكتبة من مكاتب الاقاليم فانتفع بها قرابة ٢٠٠٠٠ مكفوف . كما انها منحت نحواً من ١٠٠٠٠ آخرين كل ما احتاجوا اليه من هذه الأدوات على نفقتها حتى أجرة البريد .

وبالمكتبة قسم خاص بالموسيقى حافل بكل ما يتطلبه هذا الفن من آلات ومقطوعات موسيقية وغيرها بلغ مجموعها ٢٠٠٠٠٠٠ قطعة . وقد تكون هذه أكبر مجموعة من نوعها في العالم . ولهذا القسم صلة بكثير من الدوائر الموسيقية في أوربا . وقد عمل هذا القسم على تمكين طلبة الجامعات والكليات من دراسة فن الموسيقى دراسة عملية في أماكن معدة لذلك . ويعتبر هذا القسم مركزاً مرموقاً الى حدٍ بعيد .

ومؤسسة لها ما لهذه المؤسسة من المكانة والاتساع مع تشعب مناحي النشاط العلمي والفني فيها . تتطلب فضلاً عن المجهود الشاق لادارتها ورعايتها دقة وعناية وحنكة وحصافة قد لا تتوفر في كثيرين من ذوي المواهب . (من الانجليزية بتصرف)

باب الأخبار العلمية

فصل العناصر

من أهم المسائل التي تواجه علماء الكيمياء والتي تحتاج إلى عناية دقيقة وزمن طويل ومجهود كبير . مسألة فصل العناصر.

وخلال الحرب العالمية الأخيرة تعقدت المسألة لأن مئات من النظائر الاشعاعية كان يراد فصلها من النتاج الثانوي للمصنع الذري أثناء صنع القنبلة الذرية .

وبعد عدة بحوث قامت بها طائفة كبيرة من العلماء في أوك ريدج . وفي أمكنة أخرى بالولايات المتحدة توصلوا الى الجواب ووجدوا الحل لمشكلاتهم .

أما هذا الحل فهو « العمود الأيوني القابض » وهو جهاز أنقص المدى الذي تحتاجه عملية الفصل من سنتين إلى يومين على الأكثر .. !

فما هي قصة هذا العمود ؟؟ هذا ما سأسرده على القارىء فيما يلي : —

الجهاز عبارة عن اسطوانة من الزجاج تحوي عموداً من مسحوق شائب لمادة من مواد اللدائن (البلاستيك) ويصب على هذا محلول من المواد الكيميائية التي يراد فصلها ، فتلتصق الذرات المشحونة بالكهرباء لكل عنصر ، بالمسحوق ثم تفصل بعد ذلك بمحلول حامضي مرات متتابعة .

وأساس عملية الفصل أن للذرات المختلفة درجات متباينة من قوة الالتصاق. فالعنصر الذي لديه أقل قدرة على الالتصاق يمكن فصله أولاً . وبعمليات الغسيل المتتابعة يمكن الحصول على العناصر المختلفة من درجة تامة من النقاء .

وبهذا العمود الأيوني أمكن لأول مرة فصل العنصر ٦١ الذي تحدث العلماء عنه كثيراً والذي لم يتح لهم رؤيته إلا بعد هذا الكشف .

فما أعظمه وما أروعه من كشف .. !

* * *

التدخين والطعام

يوافق جميع الأطباء على أن التدخين يقلل من شهية الإنسان لتناول الطعام . وليست لدينا معرفة تامة بالطريقة التي يتم بها ذلك . ولكن علماء الفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) يتفقون جميعاً على أن التدخين يؤثر في براعم التذوق التي توجد على اللسان وفي الأغشية المبطنة للفم ، كما أنها توقف الإفراز المعوي الذي تفرزه المعدة من حالات عدم التدخين عندما تثار الشهية للطعام بالشم أو التذوق أو الرؤية.

ويمكن لأي مدخن أن يفهم أثر السجاير في خمول براعم التذوق .. فهو في أثناء تدخينه الدائم لا يدري تماماً طعم السيجارة ولكنه لو امتنع مدة طويلة عن التدخين ثم عاد اليه مرة أخرى فسيكون لأول سيجارة طعم لذيذ لم يألفه من قبل.

* * *

البكتيريا وحياة الجنس

إن الإنقسام البسيط ، وهو العملية التي تنقسم فيها الخلية الحية من المنتصف إلى خليتين جديدتين ، هو أبسط أنواع التكاثر . والبكتيريا مشغوفة كل الشغف بهذا النوع من التكاثر.

وحديثاً اكتشف عالمان من علماء البكتريولوجيا بجامعة ييل بالولايات المتحدة وهما ناتام وجوشو ليدربرج ،أن البكتيريا إذا تعرضت للخطر ، تحولت إلى التكاثر الجنسي لتحافظ على نوعها .

وقد أجرى الباحثان تجاربهما على نوع وحيد الخلية يدعى «إيشيريشيا كولاي»[1] يوجد في فضلات الإنسان . فاستخدما « أشعة إكس » والأشعة فوق البنفسجية لتعطيل الوظائف الحيوية لمجموعتين من هذا النوع من البكتيريا .فإحدى المجموعتين لم يعد في إمكانها أن تصنع الفيتامينات والأخرى لم يعد في مقدورها إنتاج الأحماض الأميلية . وحين وضعت المجموعتان في مزرعة معدة إعداداً خاصاً لم تلبث أن نتجت مستعمرة صحية من الإيشيريشيا لكل عضو ،فيها القدرة على إنتاج كل من الفيتامينات والأحماض الأمينية .

فالنتيجة إذن أن البكتيريا من المجموعتين تزاوجت وأصلحت الضرر الذي ألحق بها.!!

الأمريكي البدائي

إن أول ساكن لنصف الكرة الغربية الذي أخرج الجيولوجيون عظامه من الثرى في تيبكسيان بمكسيكو يشابه لدرجة كبيرة الأهالي الذين يعيشون اليوم في تلك المنطقة ، فهو عريض الأنف مستدير الرأس . وقد وجد إلى جوار عظامه عظام خمسة من الماموث (وهو نوع من الحيوانات المنقرضة) وسلاح حجري يؤرخ لزمنه .

واعتماداً على كل ما توفر لديهم من المعلومات، يقول المكتشفون وهم الدكتور هلمنت دي تيرا من علماء الأنثروبولوجيا[2] والدكتور أريلانو من الجيولوجيين ، والدكتور هانز لندبرج وهو عالم جيولوجي طبيعي ، إن رجل تيبكسيان عاش منذ عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألفاً من السنين قرب انتهاء العصر الجليدي

جمال الدين محمد موسى

---

(١) Escherichia coli

(٢) Anthropology علم الانثروبولوجيا هو علم دراسة التاريخ الطبيعي للاجناس البشرية

فضل الطيور على الانسان

قال المستر ولهام من أساتذة علم الحيوان الانجليز: « لو قدر للطيور أن تنقرض من العالم لاستحالت بقاع الارض الخصبة الى صحارى جرداء في مدى سبع سنوات » وفسر ذلك بأنه لما كانت الطيور - حتى التي نظنها مؤذية - تعتمد في غذائها بصفة خاصة على الحشرات والديدان، فانها بذلك تؤدي لزراعاتنا أجل الخدمات وتنقذها من شر الآفات. وليست هجرة الطيور رحلات عابثة كما يظن البعض أو مظهراً غامضاً كما يزعم آخرون، بل هي تقوم بها لتنتقل من مكان الى آخر أوفر حشرات وديداناً.

* * *

حماية الصلب بالمطاط

أصبح في الوسع حماية الصلب المستهدف للتآكل المستمر بفعل تدفق الماء الشديد أو ضغطه. وذلك بمعالجة الأدوات الصلبية (كمراوح البواخر أي رفاصاتها. ودفاتها. وآلات المضخات. والانابيب الخ..) بنوع من مسحوق المطاط الاصطناعي يذر فوقها تحت لهب شديد فيكتسي الصلب بطبقة من المطاط المنصهر التي لا يلبث أن يتألف منها طبقة واقية تحمي الصلب من غائلة الماء وقوة اندفاعه. وقد قال المستر م. فيت مبتكر هذه الطريقة في اجتماع للجمعية الكيميائية الأمريكية « إن الماء ينخر في الصلب كما ينخر في صخور المساقط المائية فيحدث فيه بؤراً قد تصل الى عمق نصف بوصة. ولكن هذه الطبقة المطاطية تكفل للصلب حماية دائمة مضمونة لأنها لا تزول أبداً.

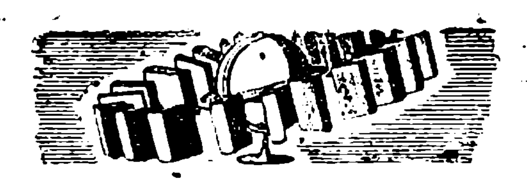
* * *

لصيانة أقدام الرياضيين

تصاب أقدام الرياضيين غالباً بحكاك وتطبلات مائية (فقاعات مائية) تظهر على الاكثر بين الاصابع وبالأخص بين الاصبعين الرابع والأخير. ولعلاج هذه الاصابات تغسل الأقدام جيداً وتجفف ثم تدهن بصبغة اليود المخففة أو تدلك بمرهم يودي يومياً مدة عشرة أيام متتالية

فان لم ينجح هذا العلاج فرد ذلك غالباً الى تجدد العدوى من أحذيتك وجواربك الملوثة بالجراثيم. وإليك طريقة سهلة للتخلص من هذه الجراثيم:

اغمس جواربك في محلول كريوزول « ١٥ ٪ » مدة أربع ساعات قبل غسلها. أما الغلي فلا يجدي فتيلاً في قتل الجراثيم. ثم امسح أحذيتك من الداخل بمحلول الكريوزول واتركها مبتلة طوال الليل. إن عملية التطهير هذه كفيلة بجعل علاج اليود مجدياً فعالاً



مكتبة المقتطف

الثورة في الصحراء

للكولونيل لورنس — ترجمة الدكتور رشيد كرم — ٤٩٢ صفحة من القطع الكبير — ١٩٥٠م

أنعدّ هذا الكتاب أدباً أم تاريخاً أم سياسة ؟

لعلك لا تعدو الصواب حين تقول إنه كتاب يجمع بين الأدب والتاريخ والسياسة فهو أدب لأن صاحبه ، وهو الكولونيل لورنس ، يروي قصة حياته منذ نزل بلاد العرب ؛ واتصل برؤساء القبائل والأمراء ، بل والعامة من الأعراب ، يصف أخلاقهم وطباعهم ويحلل نفسياتهم ، ويدخل إلى أغوار قلوبهم . وحين يصف دروب الصحراء ومسالكها ، والجبال الشاهقة ، والسهول المنبسطة ، والوديان التي تتجمع فيها المياه ، ويعيش على زرعها النابت الجمل ، وهو بحق سفينة الصحراء . وهو كتاب أدب في أسلوبه وطريقة عرضه ، وترتيب فصوله ، حتى لكأنك تقرأ قصة لا بحثاً في التاريخ أو الحرب أو السياسة . ولو أن قلماً غير قلم الدكتور رشيد كرم نقل هذا الكتاب ، لأخرجه عن روحه الأدبية ، ونزع عنه ذلك الثوب الرشيق ، ولكن جمال الأسلوب في العربية ورصانته ورشاقته ، أكسبت الترجمة هذا الجوّ الأدبي العبق ، الذي يتلاءم حقاً مع طبيعة جوّ الكتاب .

وهذه أول حسنة نسجلها بيد الشكر للدكتور رشيد كرم .

والكتاب تاريخ ، لأنه يسجل أحداث فترة خطيرة في حياة القرن العشرين ، تغير فيها وجه الأرض فانتقل أهلها من حال الى حال ، وتغيرت خريطة العالم ، فظهرت دول لم تكن موجودة ، ونزلت دول عن عروشها التي ظلت متربعة فوقها مئات من السنين . تلك هي فترة الحرب العظمى الأولى التي وقفت فيها ألمانيا وتركيا وجهاً لوجه أمام الحلفاء ، والانجليز على رأسهم ، وانتهت الحرب بالقضاء على الامبراطورية العثمانية التي حكمت معظم العالم الإسلامي ردحاً كبيراً من الزمان . ولا ريب في أن نتائج هذه الحرب كانت بالغة الأثر بالنسبة للعالم العربي بأسره ، فقد تحرّرت بلاد العرب ، وفلسطين ، والشام ، ومصر ،

وغيرها من البلاد التي كانت خاضعة للحكم التركي ، فكان ذلك التحرير بدء النهضة الحقيقية للشعوب العربية الإسلامية .

والكتاب سياسة ، بل هو سياسة عملية تبين كيف يستطيع فرد واحد ، أعزل من القوة والسلاح ، أن يؤلب القبائل العربية على حكامها الأتراك ، وذلك بالحكمة ، والمعرفة الصحيحة للطبائع الأساسية للأفراد والشعوب ، وما ركبت عليه من طبائع ، ودوافع ، ونوازع ، وتقاليد ، وعادات .

وهذا درس نحب أن يعيه أهل الشرق ، ليعرفوا كيف يخدم الأبطال أممهم ، فلا ريب أن لورنس يعد من بناة الامبراطورية البريطانية ونحن في حاجة إلى أمثال لورنس في الشرق ، ممن يتسمون بالشجاعة والإقدام ، والعلم الصحيح والتضحية بالنفس في سبيل أحياء الشرق

لقد سمي لورنس « ملك الشعوب الثلاثة غير المتوج » ، وقد نزل حلبة الصحراء وهو في السادسة والعشرين من عمره ، مع أنه تعلم في أكسفورد أرقى تعليم يبلغه أحد في انجلترا . ولكنه فضل المغامرة في رمال الصحراء المحرقة ليخدم بلاده مضحياً بذاته .

وأحب أن أنقل لك بعض فقرات كيفما اتفق من هذا الكتاب لترى أنه بحق كتاب في الأدب ، قال « في الفصل الرابع عشر » وتابعنا السير حتى المساء . وقصدنا إلى أشجار الحمر ، وهو مكان ظليل جميل ، ووراءنا جبل من الصخور يعلو أربعمائة قدم فوق رؤوسنا تلقي عليه أشعة الشمس الغاربة كدة فوق حمرته القاتمة . وتحت أقدامنا أرض صلبة صهباء ملساء كالخشب المصقول ... » . فانظر إلى هذا الوصف كيف يدل على اندماج صاحب الكتاب في الطبيعة التي كان يعيش فيها .

وتدل خاتمة الكتاب على هذه الروح الأدبية والفنية . فهو في دمشق ، قاعدة الأمويين وعاصمة الدولة الاسلامية ، فلا يمكن أن يغيب هذا المعنى عن المقيم بها . قال ...

« وفي المساء كنت جالساً وحدي إلى نافذة غرفتي أصغي إلى طنين في رأسي يعيد ذكريات النهار ، فأقول : أية الطرق يا ترى هي الأصلح لهذا الشعب السوري ! وكان المؤذنون من على مآذنهم يرسلون الدعوة إلى صلاة المساء في الليل الساجي المشع بأنوار المدينة المعيدة . وكان أحد الأصوات يصل إلى أذني من المئذنة المجاورة . ففهمت هذا النداء : الله أكبر أشهد أن لا إلـه إلا الله . أشهد أن محمداً رسول الله . حي على الصلاة حي على الفلاح ، الله أكبر لا إلـه إلا الله » . وانتهى المؤذن خافضاً صوته كأنه يتحدث . ثم أضاف بعذوبة « وكان يومنا طيباً يا شعب دمشق » وانتهى الضجيج ، وأذعن المؤمنون للدعوة إلى الصلاة في تلك الليلة ، ليلة الحرية » .

دكتور أحمد فؤاد الاهواني

صناعة المعجمات

بمناسبة صدور القاموس العصري عربي - انكليزي للاستاذ الياس انطون الياس

يقضي الباحث منا في تحقيق كلمة من الكلمات ومعرفة أصولها ومشتقاتها واستخراج معانيها وظلال معانيها وتقصي استعمالاتها المختلفة ساعات بل أياماً لأن للبحث تكاليفه وللباحثين جلدهم ولا يسع أحداً أن يتصدّى لمثل هذا العمل الضخم — عمل المعاجم، وتحقيق الكلمات - إلاّ إذا أوتي موهبة وخلق مفطوراً على الجهاد الفكري قادراً على احتمال كل نصب في سبيله، وإلاّ إذا أتيح له من العلم والمعرفة ما تستوعبه الحياة كلها، وإلاّ إذا أخذ نفسه بالتدقيق الدقيق وهيأ حياته لكفاح لا ينتهي وحرم نفسه من كثير من متع الدنيا في سبيل أن يصنع المعجم صناعة تستطيبها النفوس المحلقة وترضى عنها أذواق الباحثين المختلفة

فمهمة صناع المعاجم ليست مجرد تأليف ولا هي مجرد تكديس للمفردات والعبارات ولا هي نحت للكلمات والجمل ولا هي ترجمة حرفية يمارسها المرء عجلان عابراً ولا هي محاكاة لأعمال سبق لآخرين أن أدوها . كلاّ فان على صناع المعاجم تبعات شتى أهونها لا يقوى عليه الاّ الأصيلون في علمهم المتفانون في بحثهم القادرون على التضحية ببصر العينين واستقامة الظهر، وانتظام دقات القلب واعتدال المعدة والامعاء . وما من رجل عكف على المعاجم أو ما يمت اليها بسبب إلاّ عرض نفسه لألوان من العذاب البدني والفكري وضحى في سبيل انجاز عمله بكثير مما يحرص عليه صناع المال ومكدسو الثروات .

فصانع المعجم لا بدّ أن يكون قادراً على ما يلي :

أولاً — يجب أن يكون مجيداً اجادة تامة للغتين اللتين يؤلف بينهما ويوفق بين تنافرهما ويجمع شتاتهما . يجب أن يكون مستوثقاً ثقة لا مطعن فيها ولا مثلب عليها من انه يجيد النحو والصرف والقواعد والشواذ والمفردات والاستعمالات لهاتين اللغتين فضلاً عن الهجاء بصنوفه المختلفة . وإن قصر الباحث في شيء من هذا كان خيراً له أن يترك هذا العمل لمن يجيده لأن صنع المعاجم لا يعرف « اجتهاداً » ولا بد لمن يتصدى له من استعداد خاص

ثانياً — يتعين على الباحث أن يبدأ عملية من أشق العمليات الفكرية وأعني بها الجمع والتبويب فعليه أن يجمع المفردات ويكدسها ويبوبها وينسقها على بطاقات خاصة ترتب وفقاً للترتيب الأبجدي أو وفقاً للمصادر التي منها اشتقت، وعليه كذلك أن يسير كالتائه في بيداء لا يعرف لها أول ولا منتهى منقباً عن الألفاظ والكلمات حتى يهتدي الى أكبر مجموعة ممكنة، بل حتى يهتدي الى مجموعة كاملة لا تنقص منها كلمة واحدة. وإذا عرفنا أن اللغات

تتداخل وتترابط وانها تنقل عن بعضها البعض وأن الغريب والأعجمي منها يقتحم دنيا الصحيح والعربي وإذا عرفنا أن السوقة يبتذلون الكلمات ويبتدعون عبارات أخرى ليس لها في الحقيقة وجود وإذا عرفنا أن في اللغة العربية مثلاً آلافاً من الكلمات المهجورة التي دخلت زمرة « الحفريات » وان من العسير تنقيتها من شوائب الزمن وتنظيفها من غبار الأيام وركام الأحداث . . . إذا عرفنا هذا كله أمكننا أن ندرك شيئاً من الضنى الذي يتجشمه الباحث في سبيل الجمع والتبويب والاستخلاص .

ثالثاً — وعلى الباحث بعد ذلك أن يتلمس المعاني وظلال المعاني لكل كلمة سواء ظلت بمفردها أو أدخلت في جملة من الجمل أو تقدمها حرف جر أو تأخر عنها حرف آخر . فان استخراج المعنى الدقيق ليس مهمة تتم ارتجالاً ، وان استخراج ظلال المعاني ليس عملاً يأتيه المرء وهو نائم أو متثاقل أو متثائب

فاذا كان هذا هو الشأن في المعاني المألوفة المأثورة فكيف يكون الحال في المعاني والعبارات التي لا تزال جديدة على الفكر لم يسبق استخدامها أو تداولها . ومن يتابع أنباء الحروب في الصحف وأنباء الأزمات الاقتصادية وأنباء التطور الفكري الحديث يتبين كيف يتعين على المشتغلين بالمعاجم ان يركضوا ويلهثوا ليقفوا على حقائق المعاني الجديدة ويضعوا العبارات التي تؤدي المعنى المنشود في غير فضفضة أو اقتضاب

رابعاً — يتعين على الباحث كذلك أن يشتق وينحت ويصوغ لأن دنيا اللغة واسعة وآفاقها غير ذات نهاية . ولأن صوغ الألفاظ واشتقاقها ضرورة لازمة لمسايرة ركب الارتقاء العلمي والفكري في العالم . ولا ريب أن الباحث مقيد في الاشتقاق باعتبارات كثيرة . منها أن يتخير الألفاظ السهلة التي يسهل التداول بها وفيها . ومنها أن يرعى قواعد الاشتقاق التي وضعها العرب الأقدمون . ومنها أن يحرص على المعاني بحيث لا تزول أو تختفي في أثناء الاشتقاق ومنها أن يكون ذا زاد وفير من الاطلاع العلمي والفني في العالم

خامساً — ويتعين على الباحث أن يكون غنياً في تعبيراته المترادفة . بحيث يستطيع أن يقدم للقارىء عشرات من الكلمات والعبارات المؤدية للمعنى المطلوب . فالتقتير في صناعة المعجمات ليس عملاً ممكناً وقواميس الجيب وإن أدت غرضاً مع الطلاب أو قليلي الثقافة إلا أنها لا تصلح للذين وقفوا حياتهم على العلم والبحث العلمي والفقه والبحث الفقهي والأدب والبحث الأدبي فالمترادفات ضرورية لتقدم للقارىء بستاناً من الألفاظ يختار منه أجملها

سادساً — وعلى صانع المعجم أن يبدأ عملية التوفيق بين اللغتين اللتين تصدى لربط بينهما برباط رحم . فعليه أن يمسك بأطراف تلك اللغة ويصلها بأطراف اللغة الأخرى .

ومتى فرغ من مهمة التوفيق أصبح المعجم في دور النشوء والارتقاء والتقدم صوب مراتب الكمال. وإذا أخفق الباحث في التوفيق ضاع جهده سدى وإذا خالفه التوفيق مرة كان ذلك مما يشكك القارىء في سلامة الاعتماد على هذا المعجم.

سابقاً — وتأتي المرتبة الأخيرة من مراتب اعداد المعاجم وهي الاشراف على الطبع حتى يكون بالغاً الكمال المطلق فلا خطأ في الترتيب أو الهجاء أو في استخدام الهمزات والوصلات والحركات ولا تعثر في المعاني ولا قصور عن الاشارة الى المذكر والمؤنث والمثنى والجمع والأسماء والأفعال. وقد يستعين الباحث بالصور والرسوم ليؤدي القصد المطلوب وقد يستعين ببعض الشارات الخاصة والأحرف المختصرة ليدلل على ما يقصده وقد يستخدم الشكل ليضبط نطق الكلمات وقد يذكر الخطأ الشائع ثم يصححه وما إلى ذلك من فنون الطباعة الكثيرة.

هذه جميعاً أعمال وتبعات لا يحسنها أفراد وإنما تحسنها المجامع والحكومات والهيئات العلمية. ومعظم المعاجم ودائرات المعارف والكتب السنوية والتقويمات. نعدها هيئات خاصة عندها من الموارد المالية ومن الموظفين والعلماء المجندين ومن الطاقة ما يمكنها من النهوض بهذا العمل.

ولكن مصر سعيدة بأنها وجدت فيها من يحسن صناعة المعاجم من الأفراد. فقد نهض الأستاذ الكبير العلامة الياس أنطون الياس بما عجز عن النهوض به أكابر العلماء والباحثين وأعدَّ معجمات تعرف باسمه لعلها من أكمل وأضبط وأوفى المعجمات المعروفة.

وقد أعيد طبع جميع معجماته طبعات مختلفة كل واحدة تتميز على السابقة لها من حيث الاضافات والزيادات والمستحدثات وكل واحدة تزهو على قرينتها ضبطاً وإحكاماً ودقة تحر. وقد صدر للأستاذ إلياس أخيراً طبعة خامسة لمعجمه « القاموس العصري — عربي — إنجليزي » وكذلك ترجمة له باللغتين العربية والفرنسية وضعها شقيقه الضليع الأستاذ متري إلياس كما صدرت باللغتين الصينية والعربية ترجمة أخرى لمعجم الأستاذ إلياس أشرف على اعدادها الحاج سعيد إلياس الصيني فجاءت جميعاً عملاً ضخماً بنائياً أرسى دعائم نهضة فكرية في الشرق وكان باعث تجديد للغة العربية يجب أن يذكر للاستاذ إلياس ويشاد. وان الرجل الذي يضطلع وحده بمثل هذا العبء لجدير بكل تجلة وتقدير واطراء من رجال الفكر أولاً ومن رجال الحكم ثانياً ومن الأقطار العربية جمعاء ومن الصحافة بغير استثناء

وديع فلسطين

ديوان الوأواء الدمشقي

٣٦٠ صفحة من قطع المقتطف — مطبوعات المجمع العلمي العربي في دمشق
المطبعة الهاشمية : دمشق ١٩٥٠

هذا جهد آخر من تلك الجهود المضنية التي أخذ بها نفسه صديقنا العالم المحقق الدكتور سامي الدهّان في سبيل إحياء آثار عصر مشرق من عصور الأدب العربي ، هو عصر سيف الدولة الحمداني . فهو بعد أن أخرج للناس في أشقّ مجهود ديوان أبي فراس الذي قدّمه منذ سنوات أساساً لما يجب أن يكون عليه نشر الكتب ، توفر على ديوان أبي الفرج محمد بن أبي احمد الغسّاني المشهور بالوأواء الدمشقي فيسّر للناس الحصول على ديوانه بعد أن تعذر عليهم الحصول على الطبعة التي نشرها لهذا الديوان سنة ١٩١٣ المستشرق الروسي الأستاذ اغناطيوس كراتشقوفسكي ، ولم يوفق فيها — يومذاك — هذا المستشرق الى الاطلاع على مخطوطات أخَر لهذا الديوان وفق إليها — فيما بعد — الدكتور سامي الدّهان لحقق الديوان عليها تحقيقاً علميًّا صحيحاً ورجع الى الكتب المطبوعة والمخطوطة مما لم يُتحْ للمستشرق الروسي الاطلاع عليها .

ولقد جدَّ الدكتور الدهان في البحث عن المخطوطة التي ذكر المرحوم جرجي زيدان في الجزء الرابع من كتابه تاريخ آداب اللغة العربية أن في خزانة كتب الشيخ محمد السماوي في السماوة بالعراق مخطوطة لديوان الوأواء الدمشقي حتى إذا ظفر بها الدكتور الدّهان جعلها عمدته في التحقيق ثم أسعده الحظ في الحصول على نسخة أخرى في النجف هي أمٌّ لطائفتها كذلك . ثم قصد الى القاهرة فوجد نسخة جديدة لم يتيسر للأستاذ كراتشقوفسكي معرفتها حين كان في القاهرة وهي أمٌّ لطائفتها أيضاً . وبدأ يعارض روايات هذه الأمّات الثلاث على النسخ الأخرى ويتبع في المتن ما رجح من رواية ، وفي الحاشية ما يستبعده ، ورسم كل اختلاف إلاّ ما وضح زيفه وظهر تصحيفه . وسعى في تحقيق الديوان الى التحقق — أولاً — من نسبة النص إلى الوأواء فكان يستعرض النسخ التي روته له ويثبت الكتب التي نسبته إليه أو إلى غيره ويعلق في الحاشية عن الترجيح . ثم التحقق — ثانياً — من موافقة المفردات للغة العرب .

وذيّل الديوان بما ورد في كتب الأدب أو التاريخ منسوباً للشاعر ولم ترْوِه مخطوطات ديوانه وأتبع ذلك كله بالفهارس المتعددة . فواحد لموقع القصائد من النسخ الخطية يعرّف أوضاع النسخ وترتيبها للشعر ، وثانٍ لشعره كما روته الكتب يبين شهرة الرجل على العصور ، وثالث للكلمات جمع فيه الناشر مفردات الشاعر التي جاءت في شعره

ليكون صورة صادقة للغة الشاعر وليكون منه صورة للعصر كله . وهي خطوة حميدة في سبيل تكوين القاموس العربي المقبل الذي يعتمد على المفردات الحية المتسعملة في مواضعها من النصوص والعصور . ذلك الى جانب فهرس آخر للأغراض وفهارس للأعلام والكتب والأماكن .

والوأواء الدمشقي الذي حقق لنا الدكتور سامي الدهّان ديوانه هو الذي يقول عنه الثعالبي في اليتيمة إنه من « حسنات الشام ، وصاغة الكلام » ... وإنه « ما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه ، ووقع فيه ما يروق ويشوق ويفوق حتى يعلو العيّوق » .
ويحدثنا الدكتور الدهّان عنه في الدراسة النفيسة التي قدّم بها الديوان فيجلو لنا حياة هذا الرجل وعصره أدقّ جلاء ، ثمّ يتناول بالبحث شعره وديوانه، ويحلل لنا أغراض هذا الشاعر ومعانيه فيرينا كيف كان الغزل أكثر ديوانه لأنه كان حياته كلها . ثم الخمر وقد أكثر الشاعر من وصفها لأنه لا يتسلى في هجره ووصاله إلا بها ويراها تجري مجاري الروح في الأعضاء وتدقّ عن التشبيه. ثم الطبيعة التي أكثر من وصفها أيضاً ورسمها رسماً حسياً . ثم المديح وهو قليل عنده . وانتهى الاستاذ الدهّان الى أن الشاعر في كل أوصافه كان رسّاماً لا محللاً « استعمل عينه وأنفه ، كما يقولون » وإنه في لغته وأسلوبه « رقيق عذب ، تأخذه الحضارة ولينها ، فيسهل حتى لا غرابة في مفرداته ولا تعقيد في لفظه . وطوراً يسرف في اللين حتى يسقط إعياء ، فيستمد مفرداته من وسطه الذي يعيش فيه ، ويختار ألفاظه من حيّه الذي يصبح عليه ويمسي فيمثل لنا لغة الشام التي لم تتبدل على العصور » ... وهذا ما دعا المستشرق الروسي البارون فيكتور فون روزن الى أن يقول عنه : « إنه شاعر حقّاً بالوحي، لا برأي النحاة واللغويين الذين يجدون الشاعر عند الرجل الصعب الغامض فحسب » .

هذا هو الشاعر الذي ظفر ديوانه بعناية صديقنا الدكتور سامي الدهان وجهده فكان تحفة غالية الى جانب ما حققه الدكتور من قبل كديوان أبي فراس وكتاب في السياسة للوزير الكامل أبي القاسم الحسن بن علي المغربي الذي أخرجه منذ أكثر من عام .

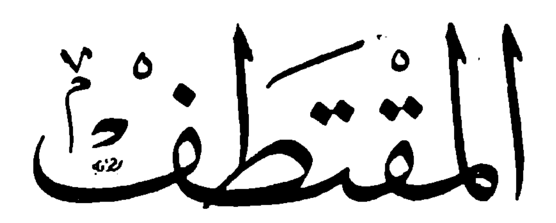
ونحن إذ نهنىء الدكتور الدهان على هذا التوفيق نرجو أن تظفر المكتبة العربية قريباً بتحقيقاته للعصر الحمداني جميعاً وفي المقدمة ديوان المتنبي الذي يزمع تحقيقه .

كما يجب أن نوجه الثناء الى المجمع العلمي العربي على الجهود القيمة التي يبذلها القائمون عليه وفي طليعتهم العالمان الجليلان محمد كرد علي بك وخليل مردم بك في خدمة التراث العربي بما ينشر المجمع في أكمل صور النشر والتحقيق .

حسن كامل الصيرفي

الفهرست

للجزء الرابع من المجلد السابع عشر بعد المئة



الجزء الخامس من المجلد السابع عشر بعد المئة

٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٠ — ١٠ ربيع اول سنة ١٣٧٠

هذا العالم المضطرب

للدكتور محمد محمود غالي

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون ، ليسانس العلوم التعليمية ،
ليسانس العلوم الحرة ، دبلوم المهندسخانة

رجعة للعهود الاولى — هذه الحرب في كوريا — الذرة عالم شمسي —
اينشتاين والطاقة الذرية — أعظم حدث في العلوم — هل يفنى كوكبنا الارضي؟

كانت الحروب للشجعان يخرجون إليها مترجلين أو على صهوات الجياد ، يلبسون لها الدروع ويقارعون السيوف بالسيوف ، ومرت السنون نرى في المتاحف صور هؤلاء الأبطال من ملأت الدنيا شهرتهم ، ونطالع في الأسفار أخبار هؤلاء الفرسان من رددت الأقاصيص أسماءهم ، وفي مطلع القرن الثامن عشر [1] اخترع الرصاص والقنابل ، وسمع الناس للمرة الأولى طلقاتها وروّعوا بدويّها ، ثم استخدم « نوبل » النيتروجلسرين لصناعة الديناميت ، وكأننا به يأسف على ما اخترع فيهب حصيلة أملاكه جوائز مالية هي جوائز نوبل الخمسة المعروفة والتي تمنح كل عام في الفيزياء والكيمياء والطب والأدب والسلام ، وقد أضحى بين من يحملها أعلام خالدون ، منهم من يحفظ التاريخ ذكرهم أمثال مدام كيري البولندية وطاغور الهندي ، ومنهم من لا يزال حياً يضيف إلى العلم والمعرفة ثروات جديدة أمثال أينشتاين الألماني ودي بروي الفرنسي .

وكان أهل المدن خلال الحروب الأولى بمأمن من ويلاتها ومعزل من عدوانها ، ثم

(١) نرى وصفاً مسهباً لاختراع البندقية والرصاص في دائرة معارف لاروس الكبير تحت كلمة Fusil

تقدمت وسائل القتال وتأثر أهل المدن من غير المحاربين، وجاء عهد نواة الذرة وهي التي لن يقتصر أثرها على أهل المدن وحدهم بل يشمل كثرة سكان الأرض.

أما هذا الكوكب الذي نعيش عليه فظلّ سائراً في أزل لا نعرف له بداية ولا ندرك له نهاية، لا ينظر إلينا ولا يشعر بوجودنا، نتطاحن عليه وهو يسخر من هذا التطاحن وتتنافس فوقه وهو غافل عن هذا التنافس، وتعظم خلافاتنا آونة وتتضاءل أخرى، ونحن في كل هذا موضع السخرية من العقلاء منا ومحل الدهشة من الحكماء فينا، وكأني بأهله وقد دخلوا ساحة للكرة يشهدون دورة للعب بين فريقين فلم تمض دقائق ممدودة حتى تغلب أحد الفريقين على الثاني، ثم لم تمض دقائق أخرى حتى تغلب الثاني على الأول وهكذا دواليك، والناس دون فهم أو إدراك يتحمسون لهذا الفريق أو ذاك، وها هو ذا مسرح التطاحن في وقتنا الحاضر في ذلك الجزء البعيد عنا من الأرض، ألا نرى أهل الشمال من كوريا في جولة أولى يكتسحون أهل الجنوب فيصفق لهم فريق من البشر، ثم نرى كيف يغزو في الجولة الثانية أهل الجنوب سكان الشمال ويحاولون أن يقذفوا بهم في البحر فيهلل لهم فريق آخر من الناس، ثم نشاهد كيف يتغلب في جولة ثالثة أهل الشمال من جديد على الجنوب ويدفعونهم الى البحر، ومع ذلك فالعقلاء منا يخشون أن تمتد الشرارة الى سكان الأرض جميعاً، وتندلع حرب تقضي على أعز ما ادخره الانسان من مدنية هي تراث الماضي وأعظم ما وصل اليه من معرفة هي ثمرة الاجيال.

كل هذا حادث والكوكب الذي يحتوينا سائر في فلكه يدور حول محوره بمن عليه من محاربين ومسالمين، ثم هو يدور حول الشمس التي تجلب لنا الحياة وتمدنا بالخير، وهذه الشمس تسير ومعها الأرض الملازمة لها بسرعة كبيرة نحو نقطة من كوكبة «هركليس» ويسمونها الجاثي وهي كوكبة من المجرة، بل أن المجرة ذاتها تحوي مائة ألف مليون من الشموس تدور حول نفسها، وهي خلال دورانها تبتعد في الفضاء ومعها الشمس والأرض بسرعة فائقة عن غيرها من المجرات والسدم التي يبلغ عددها حوالي المائة الف مليون أيضاً، وهذه الأرض وغيرها غارقة في بحرين عظيمين: الحيز الذي يحوي كل هذه العوالم والزمن الداخلة في نطاقه جميع الكائنات.

وخلال ذلك وعلى هذا الكوكب الارضي تجري العلوم دون رابط لها يهيمن عليها الانسان تارة، وتمهدها المصادفة تارة أخرى، وتتوالى الكشوف العلمية دون أن ندرك إلى أية غاية نسير أو نعرف من مستقبلنا القليل أو الكثير، ترى هل نقضي على أنفسنا أم نقضي على هذا الكوكب؟ هذا ما سنحاول أن نتعرض له في هذه السطور، وإنه

لذلك يجب أن نعرض أهم نواحي الكشوف العلمية في العلوم الذرية ، ما يتصل بمستقبلنا وما يقرر بقاءنا أو فناءنا ، هذه الكشوف الرائعة التي جعلتني أكتب عن عقيدة على غلاف كتابي [١] الذي أصدرته هذا العام : « إما مدنية فوق التصور نصبح فيها كالملائكة نستطيع ما لا نستطيعه اليوم ، وإما مفاجأة محزنة قد ينمحي معها الكوكب الوديع الذي نعيش عليه » . ولنبدأ إذن هذا العرض لنتفهم معاً لماذا هناك خطورة على حياتنا ، ولماذا نخشى فناء هذا الكوكب الذي نحيا عليه .

لفت النظر هنري بكارل الفرنسي سنة ١٨٩٦ إلى أن أحد عناصر هذا الكوكب وهو اليورانيوم عالم مضطرب ، وأنه في حالة فناء أبدي فهو يتحول من تلقاء ذاته من مادة إلى إشعاع ، وهذا التحول من الضعف بحيث أن قطعة معينة منه يلزمها ملايين السنين ليتحول نصفها إلى إشعاع ، لهذا السبب ظلت أجسامنا وأجهزتنا الطبيعية طوال القرون لا تحس بهذا الاشعاع حتى ساقت المصادفة العمياء « بكارل » أن يلاحظ على اللوح الفوتغرافي أثر صورة قطعة من اليورانيوم مرتسمة من تلقاء ذاتها عليه ، فأدرك أن اليورانيوم مادة تفنى وتتحول إلى اشعاع ، وهكذا طالعنا بأول رسالة أتت لنا من داخل عالم الذرة .

ولقد بحثت مدام كيري في باريس عن إمكان وجود عناصر أخرى مشعة فكشفت عنصراً مشعاً جديداً أسمته البولونيوم نسبة إلى بلادها بولونيا ، ثم كشفت الراديوم ونشرت عنه نشرتها الخالدة في محاضر المجمع العلمي الفرنسي في ١٢ ابريل سنة ١٨٩٨ ، وهكذا تأسس في السوربون علم جديد للمادة والاشعاع ، ذلك العلم الذي وصل في أيامنا إلى انقسام نواة ذرة اليورانيوم وغيرها بوسائل يستحدثها الانسان ويستطيع بها أن يرد المادة إلى طاقة ، وإني أورد للقارىء فكرة عن الذرة وأقدارها وشكلها .

تتكون العناصر وعددها اليوم ٩٦ عنصراً أخفها الهيدروجين وأثقلها الكيريوم (نسبة الى مدام كيري) من ذرات مختلفة ، وهذه الذرة التي ظنها العلماء جزءاً لا يتجزأ أصبحت في نظرهم وبعد الكشوف المتقدمة لبكارل ومدام كيري عالماً شمسياً كاملاً ، فهي تتكون في جميع العناصر من شمس وسطى يسمونها نواة الذرة ومن سيارات تدور حول نفسها وحول هذه الشمس يسمونها إلكترونات ، ولهذه الالكترونات شحنة كهربائية سالبة — هذا العالم الشمسي صغير جداً بالنسبة إلى ما اعتدناه من أقدار ، ويكفي أن نتصور أنه يلزم وضع عشرة مليون ذرة الواحدة بجوار الأخرى ليبلغ طول هذه

(١) كتاب ماذا تخبئه نواة الذرة للانسان — للدكتور محمد محمود غالي — مكتبة النهضة — بمصر

المجموعة ملليمتراً واحداً ، أما نواتها الوسطى فهي ضئيلة إلى الحد الذي لو أمكننا أن نضع مائة ألف منها الواحدة بجوار الأخرى لبلغ طولها طول ذرّة واحـدة ، بمعنى أنه يبلغ طول مليون المليون من هذه الشموس ملليمتراً واحداً ، ولا يتسع المجال الآن لاذكر كيف كشف العلماء هذا الهيكل الشمسي الصغير ، وقد ذكرت ذلك في مقالاتي في الرسالة[1] والكاتب المصري [2] كذلك في كتابي الأخير . وهكذا تقدمت العلوم ووثق العلماء من أن الذّرة عالم شمسي ، فذرة الهيدروجين تتكوّن من جسيم واحد في النواة يسمونه « بروتون » يدور حوله إلكترون واحد وذرة النيون يدور حولها عشرة وهكذا .

على أننا إذا نظرنا إلى الذرة كعالم كامل وتأملنا الفراغ العظيم بين النواة وسياراتها ، وجدنا أن الجزء الهام من مادتها متركز في النواة ، وتبلغ كثافة المادة فيها حوالي ٥٠٠ مليون ضعف الكثافة للمواد العادية ، ولهذه النواة على ضآلتها تركيب معقد ، ومع ذلك فهي مكوّنة في كل العناصر من نوعين اثنين من الجسيمات هما البروتون والنيترون .

أما البروتون فشحنته تساوي شحنة الالكترون إلاّ أنها موجبة ، وكتلته تساوي كتلة الالكترون ألفي مرة ، وأما النيترون فهو جسيم لا شحنة له ، وتساوي كتلته كتلة البروتون تقريباً ، ولقد بات معروفاً أن عدد بروتونات النواة مماثل لعدد ما يدور حولها من إلكترونات ، وهناك عدا هـذه البروتونات عدد من النيترونات يزداد في النواة بازدياد البروتونات فيها ، فنواة اليورانيوم يدور حولها ٩٢ إلكتروناً ، وهي تحوي بذلك ٩٢ بروتوناً في النواة ويسمون هذا « العدد الذري » ، ولكنه يوجد بنواتها ١٤٦ نيتروناً ، وعلى ذلك يبلغ عدد ما بها من الجسيمات : — ٩٢ + ١٤٦ = ٢٣٨

ويسمون هذا العدد الوزن الذري

وإذا تصورنا ضآلة النواة أدركنا ونحن نتأمل أخذ الجسيمات المكوّنة لها أن قوانينها تختلف عما اعتدناه من قوانين ، مثال ذلك يختلف مجموع كتل هذه الجسيمات داخل النواة عن مجموع كتلها إذا تفرّقت، بمعنى أنه إذا خرجت هذه الجسيمات من النواة نقص وزنها على حساب طاقة كبيرة تخرج منها،ويبدو كأن قد صرفت طاقة كبيرة في جمعها على هذه الصورة طاقة ادخرتها لنفسها لبقائها مجتمعة ، وهذه الطاقة تعادل النقص المادي في كتلة المجموعة بعد تشتيتها ، ويلمس العلماء في ذلك إحدى صور انعدام المادة وتحولها إلى طاقة ، وكأن المادة صورة متبلورة من الأزل من صور الطاقة يمكن بعملية معينة أن تعود سيرتها الأولى ، وفي

(١) الرسالة سنة ١٩٣٩ و ١٩٤٠ (٢) الكاتب المصري فبراير سنة ١٩٤٦ ويوليو سنة ١٩٤٦

كل هذا وغيره سبيل الارجاع جزء من المادة إلى طاقة أو تحويل الطاقة إلى مادة وقد توصل أينشتاين وكنتيجة لنظريته إلى تبين علاقة بين الطاقة والمادة ، واليوم يستطيع أي طالب في كلية الهندسة أو العلوم أن يحسب في سهولة أن الطاقة التي نحصل عليها من كيلوجرام واحد من الماء مثلاً أو أية مادة أخرى تعادل ٢٣٥٠٠ مليون حصان في الساعة ، بحيث أن جراماً واحداً من المادة إذا تحول إلى طاقة يعادل طاقة ألف رجل يشتغلون طول الحياة .

* * *

ولم تكن غاية العلماء الحصول على تلك الطاقة العظيمة ، إنما أخذت هذه العلوم تتدرج لا لغاية عملية بل لأغراض علمية ، وعلى أساس تحويل العناصر بعضها إلى بعض بدأ المعاصرون يستخدمون البروتونات كقذائف لضرب نواة العناصر ، وقد تبين أن هناك سببين جعلا ضرب النواة عسيراً : الأول عظم الفراغ بين كل نواة وأخرى ، والثاني تنافر البروتونات المقذوفة مع النواة لتشابه شحنتها الكهربائية ، ومع ذلك فقد أمكن بهذه الوسيلة تحويل مقادير ضئيلة جداً من العناصر بعضها الى بعض ، وتحقق بذلك حلم كيميائيي القرون الوسطى ، وقد لاحظ العلماء أنه يلزمنا أكثر من مليون قذيفة بروتونية لكي تصيب قذيفة واحدة منها إحدى النوى ، وهكذا أدركوا أن الطاقة التي يصرفونها أعظم من الطاقة التي يحصلون عليها .

هذه الحالة جعلت الباحثين يقنطون من استخلاص هذه الطاقة المدخرة في المادة حتى أن أينشتاين قال إننا بهذه الوسيلة من قذف النواة كمن يريد أن يصيد طيوراً في الليالي المظلمة ، أما العالم رذرفورد الانجليزي فقد استخدم قذائف « ألفا » وهي نواة الهيليوم ، وتخرج من الراديوم من تلقاء ذاتها ، ولقد تمكن بها سنة ١٩١٩ من تحويل النيتروجين إلى أوكسجين ، وعُدَّ هذا أول تحول حدث في العناصر .

* * *

على أن للنيترون المكوِّن الثاني للنواة أهمية خاصة كقذيفة موفقة ، وذلك لأنه لا يحمل شحنة كهربائية تمنعه من دخول النواة ، وقد أضحى له في الجامعات متخصصون يكوّنون مدارس أو حلقات ولعل أهمها تلك التي كان يتزعمها في جامعة روما العالم الايطالي المعروف « أنريكو فرمي » الذي وإن كنا سمعناه سنة ١٩٣٤ يعرض أمام علماء السوربون بحوثه عندما وجد لأول مرة أن للنيترون البطيء أثراً في النواة أبلغ من السريع ، فأننا لم نحظ برؤيته هذه المرة في مؤتمر النواة (الكولوك الدولي) الذي عقد في باريس في الأسبوع الأخير من ابريل سنة ١٩٥٠ ، والذي تشرفت أن أكون أحد أعضائه ، هذا المؤتمر الذي

تناول الكثير من أعضائه ، ومن بينهم ثمانية من حملة جائزة نوبل ، موضوع فرمي المتقدم وغيره من مواضيع الذرة ، ومهما يكن من الأمر فقد مهد « فرمي » بدراساته للنيترون البطيء ، ذلك الكائن الذي لا يتجاوز قطره واحد على مليون المليون المليمتر ، لأعظم كشف في هذا الزمان ، وهو كشف للعالم الألماني « أتوهان » وخاص بانفلاق خطير في نواة الذرة ، ذلك الانفلاق المتسلسل الذي جعل من الميسور الحصول على تلك الطاقة الدفينة في المادة منذ الأزل ، والتي تذكرنا بقصص خاتم سليمان ، وهو ما أتناوله بالشرح الآن .

***

يحوي جدول العناصر ٩٦ عنصراً ، وقد لوحظ خلال عمليات تحويل العناصر أننا نحصل على عنصر يقرب وزنه الذري من العنصر الذي هو موضع التحويل ، ووقف العلم منذ أول تحويل لرذرفورد سنة ١٩١٩ على هذا الحال ، ولم يقع الحادث الهام إلا بعد عشرين سنة أي سنة ١٩٣٩ . وكان حدوثه دون قصد من العالم الألماني « أوتوهان » .

كان أمام أوتوهان عنصر البليتونيوم ووزنه الذري ٢٣٩ مشبه للكوكب بليتون آخر الكواكب التي تدور حول الشمس ، باعتبار أن هذا العنصر آخر العناصر التي أمكن للعلماء الحصول عليها في ذلك الحين ، قذف أوتوهان البليتونيوم بنيترون بطيء ليحصل بهذه القذيفة على عنصر يكون وزنه الذري ٢٠٠ مثلاً ، ولكنه حصل على عنصرين بعيدين جداً عنه في جدول العناصر وهما الكريبتون ووزنه الذري ٨٤ والباريوم ووزنه الذري ١٣٧ كما حصل على هيليوم ، ونشر أوتوهان نتائج تجربته الخالدة في ٧ يناير ١٩٣٩

ولم يمض شهران حتى بيّن فرسان ثلاثة من علماء هذا الزمان أن هذه المفاجأة تطوي في طياتها مفاجأة أكبر منها ، وهؤلاء العلماء [1] هم « جوليو كيري » الفرنسي الحائز على جائزة نوبل وزميلاه «هالبان» و «كوارسكي» فقد بينوا في نشرة خالدة في المجمع العلمي الفرنسي في مارس سنة ١٩٣٩ وفي خطاب الى مجلة « نايتشر » الانجليزية أنه حدث من دخول هذا النيترون الواحد نواة البليتونيوم خروج نيترونين أو ثلاثة متطوعة تضرب بدورها ثلاثة نويات أخرى مجاورة تصاب في الحال، وتُخرج كل واحدة من الثلاثة نويات ثلاثة نيترونات جديدة وهكذا دواليك ، بحيث يصبح العمال المتطوعون ثلاثة ثم

---

(١) كنت ذكرت في كتابي ان ايرين كيري استاذة السوربون والحائزة على جائزة نوبل من بين هؤلاء الفرسان الذين كشفوا هذه السلسلة مع زوجها جوليو فحدثتها في هذا يوم افتتاح الكولوك الدولي في باريس في ٢٤ ابريل ١٩٥٠ ولكنها ذكرت لي اسم كوارسكي كما ذكرت لي انها لم تكن بين هؤلاء المكتشفين

تسعة ثم ٢٧ ثم ٨١ وهكذا بضرب كل عدد من المتطوعين الجدد في ٣ ، وفق متوالية هندسية ، بحيث يصل عدد المتطوعين وعدد النويات المنفلقة في كسر ضئيل من الثانية بلايين البلايين . وإذا لاحظنا أنه قد حدث من جراء قسمة كل نواة نقص محسوس في كتلتها يساوي في الحالة المتقدمة ١/٥ من هذه الكتلة ، وأن هذا النقص المادي تحول كله إلى طاقة إشعاعية وفقاً لعلاقة أينشتاين المتقدمة ، وإذا لاحظنا أن هذا الاشعاع صادر من كل النوى المصابة التي تعد ببلايين البلايين ، وإننا لم نصرف من الطاقة إلا عند القيام بأول إصابة أدركنا أن الطاقة النهائية من قطعة صغيرة من المادة عظيمة ، وهكذا بيّن هؤلاء الفرسان الثلاثة حدوث هذه السلسلة من الانفلاقات المتتابعة والتي هي من أحداث الطبيعة التي ظهرت لأول مرة للانسان وهكذا وضع العلماء أيديهم على الطاقة الذرية ، وعرفوا إحدى الوسائل لفك عقالها ، وعاش أينشتاين ليشهد بنفسه نتيجة نظريته الخطيرة .

وتوصل العلماء والمهندسون في أمريكا سنة ١٩٤٥ إلى عمل القنابل النووية ، وتوصل غيرهم في الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٤٨ وربما قبل ذلك التاريخ لعمل القنابل ذاتها ولاستخدام الطاقة الذرية في أغراض أخرى ، ومهما يكن من الأمر فاني أعتقد أن القنابل النووية لم تعد سراً خافياً ، فتقدماتها العلمية معروفة بين فريق كبير من العلماء ، ويوجد في معظم دول العالم أخصائيون يستطيعون الحصول بوسيلة أو بغيرها على هذه القنابل أو على قنابل أشد فتكاً منها كالقنابل الهيدروجنية ، وقد ألقيت عن هذه القنابل الأخيرة محاضرتين في سنة ١٩٤٩ إحداها في المجمع الثقافي والأخرى في جمعية الصيدلة ، وإني لأرجو أن أنشرها قريباً ، ومع ذلك فثمة فريق من العلماء يقوم اليوم بمجهود رائع لاستخدام الطاقة النووية لصالح الانسان ، وأخص بالذكر ما بذله جهابذة الذرة من العلماء الفرنسيين ، ولقد شاهدت في شهر إبريل الماضي في قلعة « شاتيون » بباريس ذلك الفرن الذري الدائم ، الذي يستخدم الطاقة النووية لصالح البشرية ، وشاهدت الكيفية التي تنبعث بها هذه الطاقة ، بل إنهم يشيدون فرناً أكبر من هذا في « ساكلي » على بعد ١٥ كيلو متراً من باريس ستبلغ طاقته الدائمة ١٥٠٠ كيلووات ساعة ، ولقد شيد الانجليز في « هارفل » بمقاطعة بوركشير فرناً ذرياً كما شيد الأمريكيون فرناً بلغت الطاقة فيه مائة ألف كيلووات ساعة .

هذه هي دنيا النواة وتلك هي حوادثها ، ولعلنا أدركنا أن المادة قوة عظيمة مدخرة من الأزل ، وكنز خطير لا يفنى مع الزمن — هذه المادة بدأنا نعبث بها ونتعلم كيف نعيد بعض عناصرها سيرتها الأولى ، ولقد عبث الانسان باليورانيوم ، وكانت نتائج هذا

العبث وقائع هيروشيما ، وهو يعبث الآن بالتوريوم فهل ستتم نتائج هـذا العبث الجديد بباريس وموسكو ونيويورك ؟ وعلى أي حال فسلسلة « أوتوهان » خطيرة ونيترونات « جوليو وهالبان » أخطر ، وإذا كانت الأرض جزءاً من الشمس في غابر الأيام فليس ببعيد أن تعود كما كانت في مستقبل الزمان ، وكأني بهذا الكوكب قد تقادم عهده وضاق ذرعه ، وكأني به قد يسخر مما عليه من كائنات ، من ذلك الفيل الذي يسعى إلى عشبه ، الى ذلك النمل الصغير يسعى إلى مسكنه ، إلى الانسان المفكر يخاطر بمستقبله . أفقد اعتزم هذا الكوكب الرحيل الى غير عودة ؟ ، أفقد اعتزم التحول من عالم المادة الى دنيا الاشعاع ، فلا فيل يسعى ولا نملة تأوي ولا إنسان يفكر ؟ أنهاية كل ذلك العودة الى عالم غير الذي عهدناه .

وعلى أية حال فلا يجوز أن نعتقد خطأ أن حياتنا كجنس محتوم لها الدوام ، أو أن هذا الكوكب محتوم له البقاء ، فقد تكون زيارتنا له قاربت الانتهاء ، وقد تدوم هذه الزيارة أطول مما نعتقد . هذه خواطر تجول بنفسي وتتبلور في ذهني ، أذكرها دون أن يشاطرنا الكثير من العلماء ما نذهب اليه أو يوافقنا غالبية الذريين على ما نفكر فيه ، وها هو « فرانسيس بيران » عالم الذرة المعروف ، وقد زار القاهرة منذ أيام في طريقه إلى بمباي لحضور مؤتمر للذرة ، يستبعد حدوث سلسلة خطيرة في الأكسجين أو الماء ، ومع تقديري للاسباب التي أدت بهذا العالم أن يدلي بهذا الرأي فاني أؤمن أن كل هذه العلوم ما زالت في بدايتها ، وأن أحداً لا يجزم بما يخبئه القدر من مفاجآت ، وحسبي هذه الأزمة الجديدة التي لمسناها هذا العام في أروقة الكولوك الدولي لنواة الذرة في باريس عن ظهور لانهائيات جديدة للحيز والكتلة والزمن ، فقد ظهرت هذه اللانهائيات في المتساويات الرياضية لفريق من العلماء المحدثين — وهي اللانهائيات التي أبعدنا عنها أينشتاين وغيره منذ أوائل هذا القرن — وهكذا تتعدل المعارف وتتطور العلوم ، وهذا وغيره يجعلني أخشى على حياتنا العجيبة وأخاف على الكوكب الوديع

* * *

هذه خواطر سانحة ولمحات خاطفة عن عالم يدخل الاضطراب في مادته ويسود القلق بين أهله ، وعلى العلماء أن يتبينوا مواضع هذا الاضطراب المادي ويتربثوا في بناء العلم التجريبي ، وعلى الأدباء أن يسلكوا بنا طريق المحبة والوئام ، وعلى أهل الرأي أن يرسموا لنا سبيل البقاء والسلام ، ولعلنا نظفر من المشتغلين بالآداب في مصر والشرق باستعراض خواطرهم في ناحية تقلق الآن مضاجع العقلاء وبيان آرائهم في موضع يشغل اليوم بال الحكماء .

اهم المعارك

التاريخية التي جرت حول القدس او من أجلها

للأستاذ عارف العارف باشا

ما كانت القدس ، في عصر من عصور التاريخ المنصرمة ، من المدن التجارية الهامة رغم وقوعها بين البادية من الشرق والبحر من الغرب . . . لا ، ولا كانت من المدن الزراعية أو الصناعية التي يشار اليها بالبنان . ذلك لأنها مدينة جبلية ، صخورها أكثر من سهولها . ماؤها قليل ، لا نهر فيها ، ولا ينبوع ، ولكنها بالرغم من ذلك لاقت ، ما لم تلاقه غيرها من المدن في الشرق والغرب من جراء ظلم الطبيعة وظلم البشر . ولم تلعب مدينة من المدن القائمة على وجه البسيطة الدور الذي لعبته القدس في التاريخ . فقد كانت على مرّ الدهور ، مطمح أنظار الغزاة والفاتحين . فحوصرت مراراً ، وهدمت تكراراً ، وهجرت وأعيد بناؤها ثماني عشرة مرة في التاريخ . وظلت رغم هذا كله ، قائمة في هذا الوجود . وظلّ اسمها مذكوراً في طليعة المدن والبلدان . ذلك لأنها مدينة الأديان . مدينة المتناقضات . مدينة التعصب والتصنع ... أجل ، إنها مقدسة في نظر جميع الأديان . وانّا لا نعدو الحق إذا قلنا إن قدسية القدس كانت السبب في شقائها ، وفيما انتابها من رزايا ومحن على كرّ العصور .

إنك إذا أضفتَ الى الصفات التي أضفتها عليها الطبيعة من يُبْس وجدب وقلة مياه واختلاف أديان . أجل ، إذا أضفتَ الى ذلك كله المصائب التي رمتها بها جيوش الغزو والاحتلال من هدم وتخريب وقتل وتدمير ، أدركت السبب ، بل الأسباب التي تجعل ابن القدس أميل الى العبوس والتشاؤم في حياته ، منه الى الفرح والسرور وتوقع الخير . وسأقص فيما يلي بوجه الايجاز ، أهم المعارك التاريخية التي جرت حول القدس ومن أجلها

عند ما احتلّ بنو اسرائيل أريحا في طريقهم الى (يبوس) — وهو اسم القدس

قديماً .. «أبسلوا جميع ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ... وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار الا الذهب والفضة وآنية النحاس والحديد فإنهم جعلوها في خزانة الرب . وراحاب البغي وبيت أبيها وجميع ما هو لها استبقاهم يشوع وأقامت بين بني اسرائيل الى هذا اليوم لأنها أخفت الرسولين اللذين أرسلهما يشوع بن نون لجس اريحا[1]» (سنة ١١٨٩ ق . م)

وكذلك فعلوا عندما احتلوا عار والجلجال وشيلوه وشكيم ويبوس نفسها . فقد حدثتنا التوراة . إن كل مدينة احتلوها ، جعلوها طعمة للنار . فقتلوا سكانها ، ونهبوا كل ما وجدوه فيها من مال وماشية . وفي ذلك قال يشوع بن نون : —

قد أجرم اسرائيل وتعدوا عهدي الذي أمرتهم به وأخذوا من المبسل بل سرقوا وجحدوا وجعلوا في آنيتهم . فلم يقدر بنو اسرائيل أن يثبتوا أمام أعدائهم بل ولوا مدبرين من وجه أعدائهم لأنهم قد صاروا مبسلين فلا أعود أكون معكم ما لم تزيلوا المبسل من بينكم[2]

وفي سنة ٧١٣ ق . م احتلها الآشوريون بقيادة (سنحاريب) وبعد أن قتل هذا من سكانها من قتل ، ونهب من خزائنها ما نهب ، غادرها ثم عاد اليها في سنة ٧١٠ ق . م ولكنه في هذه المرة كان هو الخاسر ، إذ هلك من جيشه ما يقرب من ١٨٥ الفاً بسبب الطاعون .

ولما تقلص عن البلاد ظل الاشوريين خضعت اورشليم لسلطان الفراعنة ، فراحت تدفع الجزية لهم . ثم جاء البابليون واحتلوها بقيادة (نبوخذ نصر) . ويذكر التاريخ ان هذا القائد هاجمها مرتين . مرة سنة ٥٩٧ ق . م وأخرى سنة ٥٨٦ ق . م . ففي المرة الأولى لم يؤذها كثيراً غير انه أسر أشرافها وقادة الرأي فيها ونفاهم الى بابل . ولما رجع الى عاصمة ملكه انتقض عليه اليهود ، عندئذٍ ثارت براكين غضبه فساق عليهم جيشاً لجباً وبعد أن حاصرها قرابة سنتين احتلها عنوة ، فهدم أسوارها ، وحرق هيكلها ، ونهب خزائنها ، ودك بنيانها فجعلها قاعاً صفصفاً . ولقد حاول ملكها (حزقيا) ان يهرب من المدينة ، فتعقبه وأسره ، ثم قيده بالسلاسل ، وأرسله هو وقومه الى بابل .

إن الفاتح المقدوني الكبير اسكندر وان لم يؤذها — اذ سلمته نفسها فسلمت

(١) سفر يشوع الفصل السادس العدد ٢١ و ٢٤ و ٢٥ (٢) سفر يشوع الفصل السابع العدد ١١و١٢

٣٣٢ ق . م — فانها لم تسلم من الشر على عهد خلفائه ، فقد حدثنـا التاريخ ان (انتيوخس ابيفانوس) عند ما احتلها عام ١٦٨ ق . م دكّ حصونها وخرّب هيكلها وقتل من سكانها خلقاً كثيراً ، فكانت نتيجة ذلك إن ثار المكابيون وراحت القدس حيناً من الدهر نهباً مقسماً بين هؤلاء وأولئك !

ولم تكن القدس على عهد الرومان أسعد حظـاً من العهود السابقة من حيث القتل والهدم والتخريب، فان صفحات التاريخ طافحة بأنباء القتال وأعمـال الهدم والتدمير التي قامت على عهدهم ، ولئن ضربنا صفحاً عن الكثير من أنباء ذلك العهد لعدم اتساع هذه العجالة له ، فانه لا بدّ لنا من الاشارة بشيء من الايجاز الى الحوادث التالية :

حاصر (بومبي) القدس وظلّ يضربها بالمنجنيق ثلاثة شهور الى أن تمكن من فتحها عام ٦٥ ق . م . ولما فتحها أعمل السيف في رقاب أهلها دون شفقة ولا رحمة .

وسُفكت دماء كثيرة في القدس على عهد الوالي الروماني (بيلاطس البنطي) الذي حكمها من ٢٦ الى عام ٣٦ ب . م ذلك الوالي الذي حوكم السيد المسيح على عهده وحُكم عليه بالصلب . ومن الحوادث التي جرت على عهده أن اليهود ثاروا عليه يوم أراد أن يعمر القناة التي أسال فيهـا مياه العروب الى القدس ، إذ دعاهم للتعاون معه فرفضوا دعوته . لا بل راحوا يهددونه بتدمير القناة ، فساق عليهم جيشه ، وأعمل فيهم سيفه ، وبعد أن قتل منهم خلقاً كثيراً راح الى هيكلهم فوضع يده على أمواله وأنفقها في سبيل اتمام مشروعه .

وأما عن حصار (تيطس) للقدس وأعمال القتل والهدم والتدمير التي حدثت خلال ذلك الحصار فحدّث ولا حرج . فقد حاصرها هذا عام ٧٠ م . حصاراً لم تذق القدس أمرّ منه على مرّ الدهور ، فانه فضلاً عن الآلاف من السكان [1] الذين راحوا ضحية الجوع والمرض ، قتل عشرة آلاف إنسان في مكان الهيكل بينهم عدد كبير من الأطفال والشيوخ والعجزة ، ويقول المؤرخ (يوسيفوس) الذي كان بين المحاصرين إن الدماء كانت تسيل في شوارع المدينة كالسيل المنهمر ، وإن عدد المذبوحين كان أكثر من الذابحين ، وأن

(١) يقدر بعض المؤرخين عدد ضحايا هذا الفتح من الجانبين بما لا يقل عن نصف مليون نسمة

الجند عندما اقتحموا المدينة كانوا يسيرون على جثث القتلى، وأن النار ظلت أياماً تشتعل لا في منازل المدينة فحسب، بل وفي هيكلها وأماكنها المقدسة. وبعد أن دك أسوارها دكاً غادرها مصطحباً معه عدداً لا يحصى من الأسرى، باعهم في أسواق رومة بيع العبيد، ومن لم يبع منهم ألقي طعمة للوحوش الضارية.

هُجرت القدس بعد ذلك هجراً طويلاً إلى أن جاء (ادريانوس) ١٣٥ م فاعتزم هذا أن يأتي على البقية الباقية من المدينة لأنها – في نظره – منبع الثورات والقلاقل والفتن التي كان يقوم بها اليهود، ولم يمض زمن طويل حتى قرن القول بالعمل فحكّم سيفه في رقاب سكانها وسالت الدماء من جديد، وكانت نتيجة ذلك أن دمّرت المدينة تدميراً تاماً حتى لم يبق فيها حجر على حجر. وبذلك انتهى أجلها كمدينة يهودية وقامت مكانها مستعمرة رومانية سميت (إيليا كابيتولينا).

ولم ينحصر اضطهاد (ادريانوس) في اليهود بل شمل المسيحيين. إذ يحدثنا التاريخ أنه أمر بإجلائهم عن الكنيسة وأمر بردمها وبنى فوق الجلجلة والقبر هيكلين وثنيين ونصب فوقهما تمثالي المشتري والزهرة ثم حرث الأرض المجاورة لها فجعلها بستاناً.

وعندما احتلّ الفرس (إيليا) في ٤ مايو عام ٦١٤ للميلاد دكّوا أسوارها وبتحريض من اليهود الذين كانوا معهم قتلوا المسيحيين وراح الفريقان الفرس من ناحية وأنصارهم اليهود من الأخرى يقومان بأعمال تقشعر لها الأبدان، فأحرقوا كنيسة القيامة وكنائس هيلانة والجسمانية وقسطنطين والأكرانيون والقبر المقدس، ويقدّر المؤرخون عدد القتلى من المسيحيين يومئذ بتسعين ألفاً. وعندما رجع الفرس الى بلادهم أخذوا معهم عدداً كبيراً من السبايا والأسرى بينهم البطريرك زخريا، فمات هناك. كما أخذوا عود الصليب الذي كانت الملكة هيلانة قد اكتشفته في الموقع الذي تقوم عليه كنيسة القيامة.

وكذلك قل عن الحروب الصليبية وعن الفظائع التي اقترفت خلالها. إذ ما كاد الصليبيون يحتلون المدينة حتى عقدوا ديوان مشورة عسكرية لاستتباب الأمن، ومع ذلك فقد جرت حوادث من الصليبيين وأعدائهم يؤسف لها. وقد كتب الصليبيون الى قداسة البابا يهنئونه بالفتح.

ولم تُصب أية مدينة من المدن الفلسطينية بمثل ما أصيبت به مدينة القدس خلال الحرب العربية – اليهودية التي شبت نارها بعد قرار التقسيم الذي صدر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، الأمر الذي فصّلناه تفصيلاً في كتابنا : (تاريخ القدس) . وقد نعود إليه في فرصة أخرى .

الآن وقد أعطيناك لمحة خاطفة عن حوادث القتل والهدم والتدمير التي جرت على مر الدهور في القدس ومن أجلها والتي لا بدّ أن تكون قد حملتك على الاعتقاد كما حملتنا من قبلك بأن قدسيتها كانت – ويا للأسف السبب في شقائها . نرى لزاماً علينا أن نثبت فيما يلي الأمر الذي أعطاه الخليفة أبو بكر الصديق لقواده يوم اعتزم فتح بيت المقدس :

« لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تقصروا نخلاً وتحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلاّ لله وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » .

واليك عهد (الأمان) الذي أعطاه الخليفة عمر بن الخطاب للروم يوم الفتح : —

« بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايليا من الأمان :—

« أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقض منها ولا من حيزها ولا من حليهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بايليا معهم أحد من اليهود . وعلى أهل ايليا أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن قام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل ايليا من الجزية ومن أحب من أهل ايليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم . ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى أهله ، فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم » .

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين ..

كتب سنة ١٥ للهجرة » فهل نستغرب بعد هذا إذا ما سمعنا مؤرخي الفرنجة أنفسهم يقولون : « ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب » ؟

(القدس)

نظرات في النفس والحياة

— ٢٦ —

تكملة نظرات بلزاك

للأستاذ ع . بيشي

(١) إن المقياس الذي به يقاس ما يستطيع أن يتحمله المرء من الآلام هو مقياس من نفسه ، ومن أجل ذلك لا يستطيع المرء تحمل آلام غيره مهما شاركه وعطف عليه وادّعى حمل آلامه وعاونه.

(٢) إن نظرة واحدة من نظرات الغضب أو كلمة واحدة من كلمات العداء والنفور قد تمحو سعادة سنين طويلة من سني الألفة والمحبة ، ولكن بريقاً زائلاً مثلها من السرور ووميضاً قصيراً مثل وميض البرق منه، لايستطيع أن يمحو تعاسة السنين الطويلة من سني الشقاء ، وذلك لأننا نتأثر في سعادتنا بالألم ، أكثر من تأثرنا في تعاستنا بالسرور الوامض القصير .

(٣) إن السبب في أن احساساتنا لها حياة مستقلة بما لا نستطيع أن نغيرها إن تلك الاحساسات تتشكل وتنمو بما يناسبها من الظروف والأحوال التي أوجدتها ، والأماكن التي قويت فيها واشتدت ، كما أنها تنمو من نفسها بالأفكار المتصلة بها والتي كانت تشغل فكرنا عندما خلقت ، وتعظم بالخواطر والهواجس التي تناسبها في النفس .

(٤) ربما نزداد قوة وقدرة برعاية من هو أضعف منا وبحمل أثقاله ومعاونته على متاعب الحياة، ولعلّ بعض من يفعل ذلك يدرك هذه الحقيقة ويلتمس الزيادة في القدرة بهذه الوسيلة .

(٥) قد يحسب بعض الأقوياء أو من يدّعي القوة ويطمح الى مراتبها أن فضيلة القوي وفضله في حب السيطرة ،ولكن الذين يرون القوة أمراً طبيعياً فيهم ولا يباهون بها يعرفون

أن فضل الأقوياء في ألاّ يشغف القوي بالسيطرة التي هي دليل على فقدان الحنان والعظمة .

(٦) انك لا تستطيع أن تحكم على انسان بدراسة حوادث حياته فحسب ، كما لا تستطيع أن تدرس التاريخ بمعرفة قوائم الحوادث . بل لا بدّ من دراسة أشجان ذلك الانسان وأحزانه وعواطفه وأفكاره الخفية ونزعات نفسه وعواملها . أما دراسة الحوادث فهي وسيلة الحمقى .

(٧) إذا تحركت الحياة في المرء واشتعلت نارها بقوة لم يستطع الاقتصاد من ذلك الاشتعال بل يدعه يشتعل بإسراف فلا يستطيع أن يقيس الغاية التي يسعى اليها، ولا الوسائل التي يتخذها لها .

(٨) إذا كان الحب لا يغتفر كل شيء فهو لا يغتفر شيئاً ، واغتفار الحب قد يُحسَبُ جهلاً وغفلة وهو ليس بجهل ولا غفلة .

(٩) إن صفات المكر والاحتيال والائتمار صفات كثيرة الفرص والوسائل والموارد، وقد تعرف النفس الصافية المهذبة ذلك، ولكنها لا تستطيع أن تتخلق بها حتى ولو حاولت، ولا تستطيع أن تنتفع بها وإنما جل اعتمادها على ما قد يسعفها عفواً من الوسائل ، وما يكون باتفاق المصادفة، وليس اعتمادها على ابتكار الوسائل وصنع الحيل الناشئة من الاحتيال .

(١٠) إن أهل الخير قد يساء بهم الظن ، ويحسبون من أهل الشر والكيد إذا كان ينقصهم الذوق السليم ، فيعملون ما هو حسن طيب في نظرهم من غير اهتمام بمعرفة أثره في غيرهم .

(١١) إن الشباب يقيس المستقبل بفرجار من عنده ، فاذا كانت قوة إرادة الشباب وعزيمته توافق الزاوية الكبيرة، التي انفرج عنها الفرجار في قياسهم المستقبل كانت الدنيا لهم

(١٢) كما أن فضائل الانسان تظهر بمظهر أعظم في البيئة الصالحة لها التي تناسبها ويكون مظهرها مظهراً منطفئاً أو شبه منطفىء في البيئة غير الصالحة لها ، كذلك المصائب قد ترخي على فضائل الانسان حجاباً وستاراً فتخفيها .

(١٣) إن أعظم العظمة وأفخم الفخامة ليست في المرئيات والظواهر الفخمة العظيمة من

أمور الدنيا ، بل أعظم العظمة والفخامة في أمور النفس .

(١٤) اكثر الناس في الحياة إذا سقطوا كان سقوطهم الى مستقر قريب وهم في سقطاتهم كالأطفال الذين يتألمون ويصرخون ثم ينسون

(١٥) انما تحيا النفوس بأن تعطي غيرها من نفائسها وأن تأخذ من نفائس النفوس الأخرى وهي قد تعطي غيرها ثم تستعيد بعض ما أعطته بعد أن تحوّله النفوس الأخرى الى ذخائر ونفائس من عندها . وهذا التبادل ضروري للنفس كما أن التنفس ضروري للجسم

(١٦) إن المرأة تشعر انها تكون على أتم جمالها عند ما تكون على أعظم سلطة وقدرة، وقد تنال السلطة بفتنة جمالها — ومن أجل حب المرأة لما يجلو جمالها من السلطة والنفوذ تحب الرجل القوي القادر حتى ولو أدت قدرته الى ضررها .

(١٧) الحب كالبحر فذوو السذاجة لا يرون في الحب كمن لا يرى في البحر غير شكل ومنظر واحد لا يتعداه. اما صاحب الميزة في الحب فانه كالذي يرى ان البحر لا يكاد يستقر على شكل واحد من أشكال الجمال . بل يراه أشكالاً وألواناً متعددة من الجمال .

(١٨) إن الحب يخلق للمحب ربحاً ويوهمه كسباً من كل شيء حتى من الألم والخسارة وما هو أشد منهما وينسيه مصائب المستقبل .

(١٩) الايمان زهرة اليقين والأمل زهرة الرغبة . والأمل خير من الذكرى فاننا نعوم في بحر من الذكريات ، ولكن حبنا لا بدّ أن يغرق فيه ، اما الأمل فانه يجدد الحب كما يجدد كل نسم الحياة .

(٢٠) دوام رؤية الوجه ألفةً قد تمحو صفات النقص فيه لأنه يطلع الرائي على صفات نفس صاحبه .

(٢١) كل اختراع فيه شيء من عفو المصادفة حتى ولو كان متوقعاً

(٢٢) ليس الحب احساساً فحسب، بل هو أيضاً فن به يؤثر المحب في قلب من يحب من غير أن يذويه وهو يحدث أثره بكلمة أو بسكوت أو بتردد بين الكلام والسكوت أو ما شابه ذلك، ويلهم المحب متى يحسن أن يفعل أي شيء من ذلك .

(٢٣) كلما عظم نبل النفس ازدادت نفوراً من الخيانة والغدر حتى ولو كان فيها ربح لها

(٢٤) إن المحبة الممزوجة بالانانية والاثرة لا تنال عطفاً من الناقد البصير بها ، إذ أن القلب يكره الحب الأناني الذي يعدّ ويحسب ما ربح ، وهذا بالرغم من ان الحب الذي لا يحسب ما ربحه قد يكون ناشئاً في قلب لا يعرف الحياة ولا يقدر الأمور .

(٢٥) إن معرفة الأوقات التي يحسن فيها الصمت تحتاج الى خبرة ولباقة كالخبرة واللباقة التي تعرف الأوقات التي يحسن فيها الكلام .

(٢٦) إن العاطفة النبيلة تنمو بما يغذيها من تشجيع وعطف وحنان ومودة ، كما أن العاطفة الذميمة تنمو أيضاً بما يغذيها من حقد وعداوة وشر .

(٢٧) الزمن يعطي الصبر والعزيمة قدرة على عمل أي شيء .

(٢٨) لم تبتكر طريقة ولا وسيلة لرأم جرح اللفظ على صلاح وصفاء تام ، وجرح اللفظ قد يكون أشد من جرح السلاح .

(٢٩) لا يستطيع أن يعرف الأعاصير التي تثور عند قمم الجبال الا من عاش بينها ، وكذلك لا يستطيع ان يعرف النفوس العظيمة الا من كان من النفوس العظيمة

(٣٠) بالرغم من الأهواء العديدة التي قد تبعث الحمقى والجهلة والأغبياء الى التغير والتقلب فانهم قد يظهرون استمساكاً بمذهب أو حزب أو رأي واحد ، وسبب ذلك أن هذا التغير من حزب أو رأي أو مذهب الى حزب آخر أو رأي أو مذهب قد يقتضي منهم تفكيراً ، والتفكير في عقولهم عملية مؤلمة صعبة مرهقة معقدة مكروهة .

(٣١) إن الرجل الذي في نفسه جانب نقص لا يستطيع التخلي عنه ، انما يعطي اعداءه سلاحاً يستعملونه ضده إذا استطاعوا .

(٣٢) إن الصفة أو الفكرة الفنية توقظ النفوس سواء أكانت في صنع فني جليل أم في جسم انسان حي .

(٣٣) إن الشجاعة لباس يلبسه المرء كي يخفي به نقص نفسه وعورتها .

النبات الطبي

عند العرب



للأستاذ محمود مصطفى الدمياطي بك

١١ — * (البَلِيلَج) * ويراد به (الأهليلج البَلِيلَج) : Terminalia Bellerica Roxb . من الفصيلة وبالانجليزية Belleric myrobalan وبالفرنساوية Myrobalan Belleric . من الفصيلة الكومبريتية Combretaceae . ينبت بجزائر الهند الشرقية والملايو وينفع من استرخاء المعدة ورطوبتها .

١٢ — * (التُّرْبَد) * : Ipomoea Turpethum R. Br. وبالانجليزية Turbeth وبالفرنساوية Turbith وبالألمانية Turbith . من الفصيلة المحمودية او اللافة Convolvolaceae ينبت بمنطقتي آسيا وأستراليا الحارتين وجذره مسهل شديد المفعول.

١٣ — * (ناقِبُ الحَجَر) * وهو (البَسْفايَج) فارسي معرب : Polypodium Vulgare. L. وبالانجليزية Common Polypody وبالفرنساوية Polypode de Chêne ou Polypode Commun وبالألمانية Echtes Engelsüss . من الفصيلة البوليبودية Polypodiaceae ينبت بأوربة وجزائر المحيط الأطلنطي والصين واليابان وافريقية الجنوبية وأمريكا الشمالية الخ ... وجذره مليّن ومشهي.

١٤ — * (الشُّفَّاء) * وهو (الرَّشاد) : Nasturtium officinale R. Br. وبالانجليزية Water Cress وبالفرنساوية Cresson de Fontaine وبالألمانية Brunnenwasserkresse . من الفصيلة الصليبية . ينبت بالمنطقة الشمالية المعتدلة ومصر ، بذوره مفيدة لأمراض الغشاء المخاطي ولانتفاخ البطن وتضخم الطحال والكبد .

١٥ — * (الجُمُسْفَرَم) * فارسي معرب : وهو (رَيْحَان سُلَيْمان) أو

(الرَّيحان الفارسي) : Ocimum-gratissimum. L. وبالانجـليزية East Indian Basil وبالفرنساوية Basilic en Arbre وبالألمانية Wohlriechendes Basilikum .من الفصيلة الشفوية Labiatae . ينبت بجزائر الهند الشرقية وهو طارد للريح (أي ريح البطن)

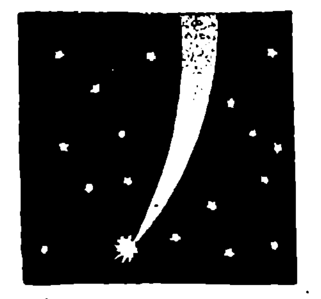
١٦ — ﴿ الجَـنَـاح الشامي ﴾ وهو (الراسِن) فارسي معرب : Inula Helenium. L. وبالانجليزية Elecampane وبالفرنساوية Aunée وبالألمانية Echter Alant .من الفصيلة المركبة Compositeae .ينبت بأوروبة وآسيا الشمالية وجذره مقوٍّ ومدرٌّ الخ.

١٧ — ﴿ جوز الجَـنْـدُم ﴾ وهو (شحْمُ الأرض) أو (خُـرْء الحـام) : Garcinia Mangostana. L. وبالانجليزية Mangosteen وبالفرنسوية Mangoustan وبالألمانية Mangostanbaum .من الفصيلة النقطية Guttiferae .ينبت بجزائر ملقا في المحيط الهادي ، وثمرته من ألذ الفاكهة طعماً وغذاءً وهي ملينة للبطن قليلاً ومضادة للاسقربوط اما قلف الشجر فقابض ودواء طارد للديدان .

١٨ — ﴿ الحارَّة ﴾ أو (الحُـرْف) أو (حَبّ الرَّشاد) : Lepidium Sativum. L. وبالانجليزية Garden Cress وبالفرنساوية Cresson Alénois وبالالمانية Gartenkresse .من الفصيلة الصليبية Cruciferae . ينبت في مصر وينفع في حالات الصداع وعسر التنفس ويجلي بلغم الصدر والرئة ويحلل الرياح من المعدة .

١٩ — ﴿ الحامُـول ﴾ وهو (الـكَـشُـوت) : Cuscuta. L. وبالانجليزية Dodder وبالفرنساوية Cuscute وبالالمانية Filzkraut .جنس نبات طفيلي من الفصيلة المحمودية أو اللافة Convolvulaceae .تنبت منه أنواع في مصر وهو ملطف ومشهي .

٢٠ — ﴿ حَبّ الزَّلَم ﴾ وهو(حَبّ العزيز) أو(فُـلْـفُـل السودان) أو السقيط : Cyperus esculentus. L. وبالانجـليزية Earth Almond or Ruch Nut. وبالفرنساوية Amande de terre ou Souchet Comestible. والالمانية Erdmandel من الفصيلة السعدية Cyperaceae .ينبت في مصر وهو يدر البول.



برنارد شو

١٨٥٦ — ١٩٥٠

للأستاذ سلامة موسى

أحسن ما اقتنيت في حياتي هو ذكرى برنارد شو . فقد لقيته حين كانت لحيته لا تزال صهباء ، وتحدثت إليه وسمعت وقرأت مؤلفاته . وإني لاحس احساس أولئك الذين تغبطهم ممن عاصروا أفلاطون أو ارسطوطاليس واستمتعوا بحديثهما ، وقرأوا ونافشوا مؤلفاتهما ، ورأوا ضمائرهما الذهنية تتفشى في حياتهم .

ولقد عرفته في ١٩٠٩ ورافقته الى سنيه الأخيرة الى أن مات في الرابعة والتسعين ، وهي أربع وتسعون سنة من الخلود . ولقد درست فلسفته فكان لي منها توجيه وإرشاد ولكني لم أنتفع بمؤلفاته قدر ما انتفعت بحياته وفلسفته الى مدى بعيد ، تنبع من حياته أكثر مما تتألف من أفكاره . أو أن حياته قد اندغمت في أفكاره فعاش عيشاً فلسفياً . ولست أنكر النشوة الذهنية التي كنت أجدها عند ما أقرأ له مؤلفاً جديداً ، ولكن الإيحاء الدائم والتنبيه المزعج لأسلوب عيشي واختيار أهدافي ، إنما كانا ينبعان من حياته أكثر من مؤلفاته .

فقد تناول برنارد شو حياته كما لو كانت مادة خامة ، وجعل يعتملها ويصوغها حتى أخرجها تمثالاً جميلاً .

وقد ألف نحو أربعين كتاباً ودرامة ، ولكن أعظم مؤلفاته هو حياته ، وإني ألتفت كثيراً الى المؤلفين من هذه الناحية أي كيف ألفوا حياتهم وصاغوها وجعلوا منها فناً جميلاً كما لو كانوا يرسمون صورة أو ينحتون تمثالاً أو يصفون بطلاً في قصة أو درامة

وإني لأذكر هنا طه حسين ، وجيته ، وغاندي ، وفولتير ، فان كلاً من هؤلاء قد ألفوا الكتب العظيمة ، ولكن أعظم ما ألفوه هو حياتهم .



جورج برنارد شو
١٨٥٦ — ١٩٥٠

ولو أنه طلب إليّ أن أؤلف في ترجمة برنارد شو وفلسفته كتاباً يحتوي عشرة مجلدات لوجدت هـذا الواجب سهلاً أنهض به راضياً في شهور . ولكني أجد صعوبة كبرى في كتابة هذا المقال عنه وهي صعوبة الإيجاز والضغط والاختيار .

ويجب أن أبدأ بكتابه الأكبر وهو حياته . فانه اتبع أسلوباً من العيش يتفق وكلمته : « وإنما يكون الإنسان فاضلاً إذا أعطى المجتمع الذي عاش فيه أكثر مما أخذ منه » ومعنى هذا أن المجتمع قد كسب بحياته فضائل وأخلاقاً وعلماً وأدباً وحكمة .

وقد نظر الى جسمه كأنه تحفة غالية ، وفهم من الطهارة أكثر مما نفهم . فجملها في ايمانه ، إذ رفض أن يجعل جسمه جبانة لجثث الحيوانات . والتزم الطعام النباتي وعاش ٩٤ سنة سليماً ، فبرهن على أنه كان بصيراً بالغذاء الملائم للتعمير .

وقد كان التعمير بعض أهدافه كما كان بعض فلسفته . فانه كان يقول إن أعمارنا قصيرة لا تتسع للدرس والعمل والاستمتاع ، ويجب أن نعيش نحو ثلاثمائة سنة على سبيل العلاج الوقتي لمشكلاتنا الاجتماعية .

أما الهدف الأخير فيجب ألاّ تقل أعمارنا فيه عن ألوف السنين ، لأنه إذا طالت أعمارنا اهتممنا بالدنيا وأصلحناها . أما ما دامت أعمارنا قصيرة فإننا نخطف اللذة والمتعة ، ولا نبالي إصلاح هذه الدنيا ، لأننا زائلون منها قريباً .

وقد أحبّ واشتعل في نفسه لهب العشق . فلم يطفئه ولكنه أيضاً لم يؤججه حتى لا يحترق به . فقد عرف الممثلة الين تري وكانت الروعة في الجمال والحكمة في العيش . وكانت تجمع الى ذكاء العقل ذكاء الاحساس . فكان يذهب إليها كل مساء ويراها وهي تمثل ، فإذا كان الصباح الثاني كتب إليها خطاباً يتسامى فيه بحبه ويبسط لها أعاجيب من إحساسه وذكائه في تفطن وحماسة .

ولم يقابل أحدهما الآخر . وقد طبعت مراسلاتهما بعد ذلك وهي جديرة بأن تكون دليلاً للمحبين الذين يرتفعون بالحب الى الثلث الأعلى من الجسم البشري

ولم يحظ بتعليم جامعي . بل ولا مدرسي . ولكن أوربا الفهيمة عرفت فيه بعد ذلك أسمى نفس بشرية تعيش في عصرنا . ذلك أنه جعل سني عمره الطويل جميعها سني

دراسة ، ومؤلفاته هي مشكلات اجتماعية قد سلط عليها جهده وذكاءه ، فدرسها وأخرجها في درامة كوميدية فنية ، نقرأها أو نراها على المسرح فنحس بالضمير الواخز والعامل الحافز حتى حين نضحك من أشخاصها ووقائعها .

وقد كان المسرح قبله ميداناً للشخصيات فأحاله إلى ميدان للافكار . وكان ميداناً للتبذخ بوصف الحياة في القصور أو صلصلة السيوف أو الخيانة الزوجية الرخيصة ، بايجاد الشخص الثالث بين الزوجين . فجعله مكاناً للتفطن في معاني الحب والبطولة ، ومعايش الفقراء والمبئوسين ، ومعالجة الطموح الديني وتطور الانسان بعد مليون سنة .

وكل هذه المشكلات كانت مشكلاته الخاصة التي درسها لأنها بعض تربيته .

عرف برنارد شو الفقر والثراء ، وعرف الكفاح في السياسة والفلسفة والعلم والأدب ، وصرخ صرخة ڤولتير في مأساة دنشواي ، وكشف عن لؤم السياسة الامبراطورية البريطانية في الحرب الكبرى الأولى . ونال جائزة نوبل فسلمها لجمعية تنمية العلاقات بين نروج وبريطانيا . ودفع ثلاثين الف جنيه لبناء منازل للعمال . ولم يعرف قط التدخين ، وكان يقاطع الخمر الى ما قبل وفاته بنحو عشر سنوات . وطاف حول الدنيا . وصادق المظيمين سدني ويب وزوجته . وكانا يرتفعان الى مستواه في روح البر بالدنيا . وكانا يمتازان بالدراسة الاقتصادية .

* * *

قبل أن ألقى برنارد شو وجهاً لوجه كنت قد قرأت بعض مؤلفاته . فوجدت القوة التحريرية فيها تعادل أو تزيد ما لقيته في فولتير ونيتشه .

ولما التقيت به في الجمعية الفابية في لندن أحسست كأني أزاء أجل رجل في العالم ، فقد كان مديد القامة أحمر الشعر للحية والرأس . وكان في نغمات صوته بحة خفيفة محببة ، وكانت كلماته القاسية للساسة الانجليز بشأن دنشواي قد جعلتني أحس كأنه واحد منا نحن المظلومين المضروبين المشنوقين . لأنه بكى كما بكينا ولم أترك له كلمة بعد ذلك لم أقرأها الى يوم وفاته .

بل أن حبي له قد حملني الى أن اقتدي به في التزام الطعام النباتي . وبقيت على ذلك

سنة كدت أموت في نهايتها من الهزال. ولم يكن هزالي بسبب المذهب النباتي وانما كان لجهلي قيمة البيض واللبن عند النباتيين.

كان برنارد شو يعد نفسه صحفياً قبل كل شيء. وقد رأينا نحن فيه الفيلسوف العميق والمؤلف المسرحي المبدع والأديب الرصين، بل أحياناً العالم الذي يستطيع أن يجادل العلميين في أخص نظرياتهم. ولكنه هو كان يجمل كل هذه الكفاءات بأنها «صحفية» من حيث أنها جميعاً تتصل بالمشكلات العصرية. والصحفي العالي يجب أن يرتفع في تفسير هذه المشكلات ومعالجتها الى المستوى الفلسفي. وأن يكون العلم والأدب بعض شئونه الدراسية

ولد برنارد شو في ١٨٥٦ أي قبل افتتاح قناة السويس بثلاث عشرة سنة. وكانت سنه ٢٦ سنة حين وطئت أقدام الانجليز أرض وطننا. ولست أذكر هذين التاريخين اعتباطاً ذلك أن الحادث الأول قد أبرز مصر في وجدان الاوربيين.

وأما الحادث الثاني فقد أبرز للمفكرين من الانجليز حزب الأحرار ودناءتهم ورياءهم بشأن الحرية التي داسوها في مصر ونفوا زعيمها العظيم الى سيلان.

وكان من هذا أن فكر بعض الأحرار في ترك حزب الأحرار وانشاء الجمعية الفابية لنشر الدعوة الاشتراكية. وكانت هذه الجمعية التي التحقت أنا بها، والتي أحالتني من شرقي متوحش الى أوربي متمدن، كانت السبب الأول لايجاد حزب العمال الذي يتولى رياسة الحكومة البريطانية الآن. وكان برنارد شو أحد مؤسسيها وأكبر داعية لنشر الاشتراكية الفابية أي التدريجية، التي تتسلل وتعالج دون أن تثور وتهدم.

وعاش برنارد شو طوال عمره وهو يدعو الى الاشتراكية وقد اتخذ الطرف اليساري منها هذه السنين الأخيرة من عمره. ولكننا على الرغم من أننا نجد أن نظرياته ثورية، فإن خططه عملية. وهو لذلك يعني أكبر العناية بالبحث في مسائل المجالس البلدية التي يجد فيها بؤرة العمل الاشتراكي.

وهو أفلاطوني الذهن حين يتحدث عن العمال إذ يستصغر شأنهم ويقول بايجاد صفوة معينة لمعالجة السياسة. وكأنه هنا فاشي يتحدث كما كان يتحدث موسوليني، ولكن فترات اليأس هذه قليلة عنده. وسرعان ما كان يفيق منها الى الاعتماد على الشعب.

وهو بالطبع عدوّ الاستعمار وعدوّ الاستغلال ويقول بالتأميم ومؤلفاته، رسائل وكتباً عن الاشتراكية، عديدة وهي تتسم جميعها بأنها شعبية ايضاحية .

واختصاص برنارد شو الأدبي هو التأليف المسرحي . وهو يضع لكل درامة أو كوميدية مقدمة قد تزيد أحياناً على مائة صفحة يوضح فيها وجهته الفلسفية التي حملته على تأليف هذه المسرحية . بل هو أحياناً يزيد على المقدمة بملحق يبرر أو يشرح فيه بعض ما احتاج الى إيجازه على لسان أحد الممثلين . ومن هنا تقرأ الدرامة أو الكوميدية كأنها كتاب مستقل زيادة على قيمتها المسرحية .

وأسلوب برنارد شو هو الأسلوب العصري أي الأسلوب الديمقراطي . فهو يكتب للشعب بلغة الشعب . وهو لا يعرف التبذخ أو التظرف فضلاً عن التبهرج . ونحن نقرأه كما لو كنا نقرأ مؤلفاً في الدين أو الفلسفة أو التاريخ . ومرجعه أي مرد جذوره في المسرح هو هنريك ابسن الذي جعل الدرامة الأوربية اجتماعية . وقد ألّف برنارد شو في بداية حياته الأدبية كتباً في الدفاع عن ابسن ولكن ابسن كان فناناً مسرحيًّا قبل أن يكون باحثاً اجتماعيًّا .

أما برنارد شو فعكس ذلك إذ هو باحث اجتماعي قبل كل شيء وهو يستعمل المسرح وسيلة لتشريح المشكلات الاجتماعية وليس هو مع ذلك الوسيلة الوحيدة .

وقد بحث الدين ومستقبل الانسان والحب والحكومة والبغاء والفلسفة في نحو ثلاثين أو أربعين مسرحية . ومعظم مسرحياته كوميديات قد طعم فيها التفكير الاجتماعي بالفكاهة .

وقد تجدّدت المسارح الأوربية بهذا الاتجاه الجديد الذي ابتدعه هنريك ابسن، ودعمه برنارد شو . فالدرامة الأوربية واقعية تجابه الحقائق وتعالج المشكلات وليست رومانتية خيالية تعيش في الأحلام والأماني .

***

الكلام عن فلسفة برنارد شو يحتوي أيضاً بحث ديانته وأدبه وفنه . لأنه يعالجها جميعها بالروح الديني . وقد ولد قبل أن يظهر كتاب دارون « أصل الأنواع » بثلاث سنوات ورأى واشتبك في المعارك الثقافية حول هذا الموضوع ورأى الصدمة التي أحدثتها العقيدة الجديدة وهي أن الإنسان والحيوان من أصل واحد .

وعندما نقرأ درامته الكبرى « الانسان والسوبرمان » نحس أن هذا الكتاب هو الامتداد لكتاب أصل الأنواع كما هو ايمان ديني جديد يدعو إليه برنارد شو خلاصته ان ارتقاء الحضارة في المسكن والملبس والتنقل ليس ارتقاء للانسان . وإنما الارتقاء الصحيح هو أن يطول عمره إلى ألف سنة، ويزيد مخه إلى كيلو غرامين . . وأن يكون حصيناً من الأمراض منذ ولادته الى يوم وفاته . وهذا هو السوبرمان الذي يجب أن يستولد من الإنسان بالانتخاب الحكومي بحيث يكون منا كما نحن من القردة أعلى في سلم التطوّر وأذكى ذهناً وأسلم غرائز .

وقد اصطدم برنارد شو مع الداروينيين من حيث إيمانه بأن الصفات المكتسبة تورث، وأن الوراثة ليست جامدة كما اعتقد فيسمان . وفي السنة الماضية عندما احتدم النقاش بشأن هذا الموضوع بين ليسنكو الذى دافع عن وراثة الصفات المكتسبة وبين القائلين بأنها لا تورث وان الوسط لا يؤثر في تغيير العناصر الوراثية . وقف برنارد شو الى صف ليسنكو ،أو قل الى صف لامارك قبيل مائتي سنة . وديانة شو كما نفهمها من مؤلفاته ومن حياته أيضاً هي الديانة البشرية التي تنأى عن الغيبيات ، فان درامته عن المسيحية « اندروكليس والأسد » تحملنا على الاعتقاد بأنه لا يختلف عن رينان في بشرية المسيح وإن الله كائن في الانسان . ولكن إله برنارد شو هو قوّة الحياة التي تقف خلف التطوّر وتعمل للارتقاء وتسير مكافحة نحو النور والحب . وإلى هنا تقف « غيبياته » وهي غيبيات لا ترضي المؤمن ولا تقنع الملحد. وهي أقرب الأشياء إلى برجسون . وعندي أنها بعض رواسب القرن التاسع عشر التي علقت به هو وبرجسون كما تعلق أساليب الطفولة بالرجل الناضج . وهو يقول : « إنسان بلا دين هو إنسان بلا شرف » وهذه عبارة سامية قد استنتجها من حياته . إذ هو لم يؤلف قط كتاباً أو رسالة إلا بروح الدين أي بروح المسئولية أمام المجتمع . بل ماذا أقول ؟ أمام البشر والأحياء جميعها . ومن هذه العبارة أيضاً نفهم أن نظرته للدين اجتماعية اخلاقية .

ومهمة الفلسفة هي في النهاية ايجاد النظريات ، والجاهل يحتقر النظريات ، ويزعم أنه عملي ولكن ليس هناك من الأشياء العملية ما هو أفضل من النظرية الحسنة لأننا نقتصد بها، ونستغنى عن كثير من الجهود العابث .

وكلاهما برنارد شو ، وبول سارتر . يقول بحرية الفرد من حيث حقه في أن يعمل كما يشاء ولكن الهدف يختلف بينهما . فإن برنارد شو يبغي من هذه الحرية خير المجتمع من حيث أن حرية الانسان تسير به نحو الخير إذا أدّى الخير ونحو الهلاك إذا قدّم الشر .

فالمجتمع كاسب من هـذه الحرية . دعوا السكير والنهم والمستهتر والمجرم يمارس كلٌ منهم حريته لأنها في النهاية ستقضي عليه بالهلاك. فينتفع المجتمع . ولـكن بول سارتر يقول في خسة فلسفية ليس لها نظير « أنا وحدي » وعلى المجتمع السلام .

وبرنارد شو مثل ولز ، ينظر النظرة البيولوجيـة للانسان فيقول بضرورة التطوُّر . أجل إن التطوُّر هو الديانة الأصلية عند شو .

مات برنارد شو وكان أجل الأساطير في حياتي . ولقد رافقته وتعلمت منه وحاولت أن أقتدي به فـكنت أصل أحياناً وأقصر أحياناً . ولقـد حرضنا بالقدوة والعمل على أن نمارس الأدب لخدمـة الجمهور وبعض هذه الخدمة أن نجعل ساستنا وقادتنا متمدنين مستنيرين . وهذا هو ما حاولت ولـكني للأسف لم أنجح .

ولقد أوصى بأن يحرق جثمانه في المرمدة . وقد أحرقت زوجته فيهـا من قبل ، كما أحرق جثمانا صديقه ولز وزوجته . وهذا الاحراق هو طهارة أخرى مارسها شو في موته كما مارس النباتية في حياته .

***

مما يستحق الملاحظة أن الأمم العربية جيعها فهمت النهضة على أنها التحرر من الأجنبي المستعمر ومن الوطني المستبد . فطـالبت بالاستقلال والدستور . واعتقدت ان كل شيء من أمانيها قد تمَّ . ولـكن الأمم الأوربية فهمت النهضة أو النهضات المتوالية فيها على انها قبل كل شيء تحرير الضمير البشري ، ففصلت الدين من الدولة ، وكافحت التقاليد ، وتمردت على سلطة البابا وألغتها، واعتنقت العلوم، ومارست الفنون التي تعمل للتنوير الذهني والسعادة البشرية . وهذا ما لم تفكر فيه الأمم العربية الى الآن مع انها تحمل من أعبـاء الظلام ما يرهق الضمائر ويسود العقول .

والناهضون في أوربا هم علماؤها وأدباؤها وليسوا ساستها : هم غاليليو الذي خالف الـكنيسة وأثبت أن الأرض تدور حول الشمس . هم لوثر الذي انفصـل من البابا وترجم الـكتاب المقـدس . هم دافنشي الذي قال بأن الجبال كانت البحار تغمرها . هم داروين الذي رجع الانسان والحيوان الى أصل واحد . هم رينان الذي قال ببشرية المسيـح . هم ابسن الذي رفع المرأة من الانثوية الى الانسانية .

هؤلاء هم الناهضون الذين غيروا أوربا ، وبرنارد شو واحد منهم

فانه بأسلوب عيشه ومؤلفاته المسرحية دعانا الى حياة الطهر ومكافحة النفاق الاجتماعي . وكانت مهمته تحرير الضمير البشري من الخرافات والتقاليد والجبن الفكري . وبعث الآمال في مستقبل البشر على هذه الأرض . وصحيح انه كافح قوات الظلام التي يمثلها الاستعمار والاستبداد ، ولكنه كافح أيضاً وبقوة أكبر قوات الظلام التي تمثلها التقاليد وموروث العقائد الغيبية .

ولو فهمنا نحن المصريين دلالة النهضات الأوربية وعملنا لتحرير ضميرنا لكان لنا الى جنب الحرية السياسية حرية أخرى أكفل للسعادة وأعمل لتكوين الشخصية ، ولكان لنا منها موقف آخر حيال المشكلات الاقتصادية والأخلاقية والثقافية . وفي هذه الحال ما كان يمكن لمستبد أن يحبس عقولنا بقوانين تحدّ من حرية الصحافة ، أو يسلط علينا بوليس الأفكار كي يعين لنا ما يجوز وما لا يجوز أن نفكر فيه ونكتب عنه .

أجل : إننا ما زلنا بعيدين عن دلالة النهضات الأوربية

* * *

ليس من الصدق أن أزعم اني اقتديت ببرنارد شو . فانه رفع نفسه إلى مستوى عال من « العيش الساذج مع التفكير السامي » . وعاونه على ذلك وسط متمدن لم أجد أنا مثله في مصر حيث يكافأ الرذل على رذيلته ويعاقب الفاضل على فضله . والأصل في هذه الحال المعكوسة هو الانجليز من ناحية والتقاليد الشرقية من أخرى

ولكني حاولت . وكررت المحاولات ولم أتعب ولم أسأم . وخير ما أخذت عن برنارد شو هو هذا الروح العلمي الذي يسود مؤلفاتي . فاني مثله علمي الذهن أدبي الوسيلة فلسفي الهدف ، أمتاز بالتفكير العلمي والتعبير الأدبي . وهذا الى انه حبب اليّ الاشتراكية ونقلها عندي من منطق العقل الى عاطفة القلب . أجل : انه جعلها دیانتي العملية . فليس البر عندي إحساناً وصدقة وإنما هو البرنامج الاشتراكي الذي يوفر لكافة الشعب طعام الجسم وغذاء الذهن وحرية الضمير والاقدام على المستقبل

وهو ، بعد دارون ، الذي جعلني أستمسك بالتطور وأجعل منه الديانة المذهبية لحياتي وفكري وموقفي البشري . وقد كان هو يقول بالحاجة الى « وزارة للتطور » تعمل لترقية السلالة البشرية . وهذا تفكير يعلو علوًّا عظيماً على الصغائر التي يشتبك فيها صغار الأدباء .

وحين أعود الى الأفكار التي بثها في نفسي برنارد شو، وحين أنظر الى الدنيا من عدسته أحس السرور والغضب والاقدام والشجاعة والجهد والارادة . أجل : أحس أن حياتي ترتفع الى مقام التاريخ وان لوجودي دلالة فلسفية

***

مات برنارد شو بعد أن ملأ الدنيا بفكاهاته ، وهي فقاقيع الحكمة ، فكنا نضحك ونتعلم . ونحن الآن أقل ثراء في النفس وذكاء في العقل مما كنا في أيامه

وقبل أن يموت بأيام قال زعيم الفكاهة هذا يصف عالمنا في ١٩٥٠ : إن بين كل أمة وأمة حرباً باردة . وبين كل فرد وفرد من أبناء الأمة الواحدة حرباً باردة . وبين كل إنسان ونفسه حرباً باردة

هذا ما قاله زعيم الفكاهة . وهي كلمات موجعة تصف عالمنا التعس الحاضر ...

***

لما مات برنارد شو أطفئت الانوار في نيويورك خمس دقائق . وكذلك أغلقت المدارس في الهند يوماً كاملاً . وجرى مثل ذلك أو قريب منه في أقطار أخرى . ولكن مصر لم تفعل شيئاً من هذا كأنها تعيش في ذهول لا تقدر القيم الأدبية والاجتماعية في العالم . والواقع أنها كذلك

ولو كانت هناك أمة مدينة لبرنارد شو لكانت مصر . فان الصفحات القليلة التي كتبها عن دنشواي تحمل من غلواء الذهن والعاطفة ما ينظمها في عداد الأدب العالمي والبلاغة السامية . وستعيش هذه الصفحات وسيقرأها ، كما قرأها ، الملايين الذين سيغضبون من الاستعمار وسيعرفون منها حق مصر وباطل بريطانيا

ولو كنا أمة عصرية لنقلنا الى لغتنا جميع مؤلفات برنارد شو . ولكانت هذه المؤلفات جديرة بأن تحدث نهضة اجتماعية وأدبية . فان تفكيرنا السياسي جامد ، ونشاطنا الأدبي ، إما رجعي يتعمق ظلام القرون الماضية ، وإما سطحي يتبهرج بالألوان على صفحات الجرائد والمجلات كأنه عبث الصبيان .

ولذلك ما كان أحوجنا الى التوجيه البيولوجي الاجتماعي الذي يتسم به أدب برنارد شو . بل ما أحوج الأديب والسياسي معاً الى هذا التوجيه .

الفن

للدكتور أحمد موسى

Que proficit in litteris et deficit in moribus plus deficit quam proficit
Aristoteles ?

قدرة الانسان ذي التأمل والعاطفة على التعبير مما يجول بنفسه الدقيقة الاحساس تعبيراً عملياً مستلهماً من الطبيعة يسمى فناً — والبؤس والشقاء اللذان كثيراً ما يدفعان إلى التفلسف هما الباعث الحقيقي على الفن ؛ ذلك لأن الفنان ناقد الطبيعة دارسها، يتأملها فلا يقنع بما فيها فيشقى ، ثم يجد في الوصول الى غايته راغباً التعبير عما يتغلغل في نفسه من جمال كمالي يعتقد وجرب ظهوره فاذا به يعجز ، فيقنع بتقليدها الى حد ما ، متوخياً الوصول الى ذلك المثل الأعلى الذي لا يخرج عن كونه العطش نحو الخلود والهيام نحو الله — كمال الخلق

Die Quelle des Ideals ist der heisse Durst nach Ewigkeit, die Sehnsucht nach Gott, also das Edelsti unserer Natur. (Schlegel)

إلا أن هذا المثل الأعلى لا يمكن وجوده أو رؤيته بين الموجودات ، لذا فالفنان يراه في خياله السامي ويعبر عنه جهد طاقته فيما نسميه الفن .

يعبر عن مثله الأعلى مستمداً من الطبيعة مادة التعبير ، ليستطيع اظهار ما يجول بخاطره ، ولهذا فهو من هذه الناحية عبد للطبيعة — إلا انه إن فاز بدرجة (الوصول) كان سيدها ، إذ انه استطاع استخدام مادتها للوصول الى ما لم تصل هي اليه من تمام ، إن قدر لنا أن نتأمله ونفهمه ونتأثر به وصلنا نحن أيضاً الى درجة الكمال الانساني المنشود

الفن ليس ما يمكن تعلمه وليس ما يكتسب بالمرانة وإلا فهو صناعة -- لذا فهو روح خفي تسكن نفس الفنان فتبعث فيه عينين قادرتين على النظر ، ليس كما يرى الجميع بل على ذلك النظر التقديري الذي به دون غيره يستطيع أن يتعرف الجمال أينما كان — الجمال الذي قد يكون مخلوقاً له وحده لا يراه ولا يتفهمه سواه .

Beauty is bought by Judgment of the eye, Not utter'd by base sale of chapman's tongues. (Shakespeare.)

والفنان ، هذا الذي ليس له الا الانتقاد والتأمل تراه في حال من البؤس شبيه بحال

الفيلسوف لا يقنع بما يراه ولا يرى شيئاً يعده كاملاً — لذا فهو يعمل مكملاً قدر استطاعته، ولكنه يفنى دون أن يصل الى ما تصبو اليه نفسه — تلك النفس التي تميزت عن نفوس المجموع بدقة التأمل، بالعناية الحقة، بالدرس، بالملاحظة، بالشوق والجوى، بالتغلغل في كنه المرئيات، بالهيام، وأخيراً بالقدرة اللانهائية على تفهم الجمال الكامل، كل هذا متجمعاً يكوّن تلك النفسية البريئة الهادئة الوديعة، نفسية هذا الشقي السعيد، نفسية الفنان.

شجار عنيف هذا الذي بين الطبيعة والفنان، حرب ضروس تلك التي بين مشاعر الفنان وبين مظاهر الطبيعة. هو يود لو أُتيح له خلقها خلقاً آخر وهي تقتله في غير رحمة ولا اشفاق، يعش غير سعيد بالحياة، ولكنه سعيد بتفهم جمال هذه الحياة، تعيس في وحدته لأنه لا يرى من يفهمه — ولكنه هانىء بأن يهزأ ويسخر من أولئك الذين لا يمتاز هو عليهم في أي مظهر إلاّ بحسه الدقيق، وبعاطفته، وباعتقاده أنه هو وحده الانسان؛ وأما المجموع فهو غير الانسان.

وللفنان باعث الفن تاريخ هو تاريخ تقدم العقلية الإنسانية. هو تاريخ الحضارة، هو تاريخ الوجود المعتبر وجوداً حقّاً — أقول ان للفنان وفنه تاريخاً يسير مع مبادىء التاريخ العام. جنباً لجنب، هذا يعتمد على قواعده ومصادره في الوثائق والنصوص مما كتبه المؤرخون المعاصرون وغير المعاصرين، على حين يعتمد تاريخ الفن ذاته على تلك الآثار المتروكة، على ما عمله هؤلاء الفنانون دون علمهم بما سيكون من أمر مُثلهم. والآثار هنا ليست الخرائب والمقابر وليست المباني الأثرية والنقوش وليست التماثيل والحلى الخ، إنما بكل هذا نستعين على قياس مدى حضارة الشعوب، وعلى تحديد هذه الحضارة الزمنية بالقياس الى غيرها مما سبقها أو عاصرها أو كان لاحقاً لها.

وهل لي أن أعود بك الى العصر الحجري، والبرونزي، والحديدي؟ إن هذا مكتوب في كتب التاريخ ولكنه أمرٌ لازم: أن تعلم أن العصر الحجري هو أول خطوة نستطيع تسجيلها للفن. نحت الإنسان وقتذاك أحجاراً استخدمها للدفاع عن نفسه وأقام حوائط للوقاية من الحر والبرد، فقطع الأولى قطعاً خاصّاً ونقش الثانية نقوشاً هي خير معبر عن حاله الغابر. ثمّ تدرّج الى استعمال النحاس ومنه الى استخدام البرونز (لخلط النحاس بالقصدير) وهكذا الى أن وصل الى استخدام الحديد وهو آخر مرحلة لما نسميه عصر ما قبل التاريخ.

أكان من الضروري أن تخطوا كل الشعوب تلك الخطوات المنتظمة؟ أكان حتماً عليها استخدام الحجر ثمّ النحاس ثم البرونز ثم الحديد؟ كلا بل كان ذلك غير ما حدث،

لأن سرعة تقدم الشعوب وان اتفقت حيناً فهي تختلف باختلاف المكان والجو وباختلاف الجنس واللون . وأخيراً باختلاف الاستعداد تبعاً لذلك .

لقد كانت حياة الانسان في عصره السابق للتاريخ حياة مليئة بالمخاوف والهلع الأمر الذي أرغمه على التفكير في المحافظة على كيانه (لأنه الأصلح) بتشكيل الأحجار وفق الحاجة إليها . وهذا فيه صناعة لا فنّ ، فيه ابتكار صناعي لا خلق فني ، ولكنه مع هذا أدى في هذه البساطة الى الفن الذي نريد الآن أن نعرف كيف ابتدأ .

عرف رجل ما قبل التاريخ الزراعة ، وعرف كيف يستخدم الحيوان وصنع الآلات ثمّ الأواني الفخارية وأخذ يدخل على مصنوعاته شيئاً من النقش والتحلية ثمّ تكاثر فأصبح في حاجة الى النظام وفي حاجة الى الدين .

كان الانسان قبل التاريخ قبائل تسكن مختلف الجهات التي تجري فيها الأنهار ، فسكن وادي النيل ، وسكن منطقة الدجلة والفرات ، ثمّ أخذ بعد ذلك يزحف على سواحل البحر الأبيض المتوسط وعلى غير البحر المتوسط ومنه أخذت الحضارة ومعها الفنّ تنتقل الى مختلف الجهات . ولقد كانت الحضارة هذه نتيجة ملازمة للدين ، فلولاه لما تحضرت الانسانية ولما أحجم الانسان عن الفتك بأخيه ، ولكنه خشية الدين أخذ يساعد غيره . ودفعه الاخلاص في الدين الى الفنّ ،

ابتدأ يحاكي الطبيعة في عصره الأول — عصر ما قبل الفنّ — ان صحّ التعبير — حاكاها بتصويره على الأحجار حيناً وعلى عظام الحيوان حيناً آخر .

تقدّم الانسان المصري (أقدم الشعوب حضارة) وارتقى فاذا به يخترع لغة يعبّر بها عما يريد فرسم مستطيلاً تتوسط قاعدته السفلى فتحة صغيرة رامزاً بذلك الى البيت ! ورسم دائرة صغيرة في ثلثها الأعلى خطان صغيران في اتجاه واحد وثلثها الأسفل خطّاً موازياً للاثنين الأولين وقصد بذلك وجه الانسان — ورسم خطّاً مائلاً متصلاً بدائرة صغيرة في أعلاه وذا ذنب صغير يكوّن مع الخط المائل زاوية ضيقة ويدين صغيرتين مثبتتين على القرب من نهايته السفلى ، وعلى الجانب المقابل للزاوية وقصد بذلك المحراث . أفلا ترى معي أن هذه اللغة التعبيرية هي أصدق صورة لقوة ملاحظته ومداها في ذلك الوقت ؟

بدأ بعدئذٍ يخترع اللغة المعنوية فرمز لحرف الواو مثلاً (بكتكوت) وللقاف بمثلث قائم الزاوية ، وللتاء بنصف دائرة وبالخط المنكسر انكساراً متماثلاً (كأسنان المنشار) لحرف النون (وللماء أيضاً) وغير ذلك مما ليس له هنا مجال . على انك ان تأملت هذه اللغة المعنوية وجدت انها لم تكن لغة وكفى ، بل هي فن دقيق يمثل القدرة الحقة على محاكاة

ما في الحياة ! وهل بعدما رسموا مجموعة شجيرات للتعبير عن الحديقة لا يكون ذلك مع ما تقدّم دليلاً على سموّ الذوق الى حدٍّ ما ؟ نعم لقد كانت لغة المصريين الأولين فقيرة الى حدّ اضطروا معه الى استعمال الجناس اللفظي أعني التعبير عن شيئين مختلفين برمز واحد كما استعملوا رسم الأوزة رمزاً لها ورمزاً للأنثى أيضاً .

وهنا نستطيع أن نبتدئ بتاريخ مصر ومعها الأقطار المشابهة لها موقعاً على الأنهار، فكلها أخذت تتقدّم نحو مبادئ الفن بخطى تختلف اختلافاً يرجع الى موقعها وجوّها واستعدادها كما ذكرت .

أخذت كل من فنون الشعوب المختلفة روحاً خاصاً بها ميزتها عن غيرها ، فالفن الصيني والهندي مع تقاربهما مختلفان، والفن المصري والاشوري البابلي يختلفان اختلافاً بيناً — ومن الخير أن أبدأ بوصف الفن المصري بعد ما أذكر شيئاً عن جغرافية مصر التاريخية ، فهي كما تعلم تنقسم إلى قسمين مختلفين : مصر العليا (الصعيد) ومصر السفلى (الدلتا). وقد تكوّنت هذه الدلتا على البحر المتوسط منذ آلاف السنين ، بها كثرت المستنقعات وكثرت فيها الأسماك والطيور المائية . وغرب هذه الدلتا تقع صحراء ليبيا التي غزا مصر منها في مختلف العصور أقوام اختلفوا لغة وعقيدة . وشرقي الدلتا صحراء توصل لآسيا كانت طريقاً لغزو مصر أيضاً .

أما مصر العليا فهي محددة من الجانبين بحافتي الهضبة حتى اسوان وحلفا حيث تعترض نهر النيل احجار صلبة هي الشلالات . ولمصر العليا هذه شأن كبير في تاريخ مصر وتاريخ الفن فيها وخصوصاً المنطقة التي فيها يقترب النيل من ساحل البحر الأحمر كما سيتضح فيما بعد .

ومصر كما قال هيرودوت (مؤرخ اغريقي عاش في القرن الخامس ق . م) كانت ولا تزال هبة النيل ؛ فرخاؤها وسعادتها رهينة مياهه ورهينة فيضانه . ونظراً لطول وادي النيل كان لا بد من الاتصال التجاري بين سكانه ؛ وفي هذا معنى تبادل الأفكار ، اذ بذلك علم الناس بعضهم بعضاً ، كما أنه من المحقق ان سكان وادي النيل اتصلوا بغيرهم من البلاد المجاورة. وهنا نرى ان أرض مصر توافرت فيها أسباب الحياة ومسببات الحضارة — الحضارة المصرية البحتة . دع عنك أن بعض المؤرخين يقول بوجوب انتقال الحضارة لمصر مع اولئك الناس الذين أغاروا عليها ، ودع عنك ان اللغة المصرية القديمة تشمل بعض التراكيب السامية ، وأن التغير الذي طرأ على عبادات المصريين وعلى طقوسهم دليل على تأثرهم بغيرهم ، ولكن لأن الصحيح هو أن مصر كانت منبع حضارتها ومنبع فنها الخاص بها ، ذلك لأني

أستطيع أن أصل بك الى عناصر الحضارة المصرية موجودة في هذا القطر .

أتذكر أن سكان الدلتا في ذلك الوقت كانوا ليبيين شابهوا سكان شرق الدلتا ؟ وأتذكر أنه أصبح من المحقق ان هؤلاء الليبيين تغلبوا على سكان الدلتا الأصليين وطاردوهم الى الصعيد ؟ هنا نرى أن الليبيين ذوي اللغة السامية كانوا ذوي تأثير في سكان الصعيد، أثروا في دينهم ولغتهم وصبغوها بصبغة اسيوية الى أن تغلب الصعيد على سكان الدلتا ، وجعل من مجرى النيل (مصر العليا والسفلى معاً) مملكة واحدة فيها الحضارة الصعيدية تبدأ في الظهور .

والآن أفلا ترى ان الحضارة المصرية حضارة أصيلة وليست دخيلة ؟ وكيف يتيسر أن تكون دخيلة وقد طارد سكان مصر العليا سكان الدلتا موحدين بلادهم !

على ان ذلك لا يتنافى مع كون سكان الصعيد كانوا من جزيرة العرب أو من بلاد الصومال كما قال بذلك المصريون انفسهم في قصتهم المنقوشة على جدار معبد اوتو (بني في عهد البطالسة)

وتتلخص هذه القصة في ان المعبود حورس Horus نجل حاكم نوبيا ركب مع أتباعه سفناً سافر بها في النيل الى ان تلاقى مع المعبود Set وأتباعه ثم تقاتل المعبودان حتى انتهى الأمر بانتصار حورس ! ونرى هنا ان هذه القصة انما هي وصف دقيق لموقعة حربية ليس للخيال فيها أثر ، تناقلها المصريون حتى تدوينها في زمن البطالسة (٣٢٢ ق م — ٣٠ ب . م)

وفضلاً عن كون هذه القصة صورة صادقة لحوادثها المدونة ، فأنها تعطينا حجة قوية لشيئين متباينين نوعاً وزمناً ، تفيدنا ان اجداد أهل الصعيد قدموا من الجنوب الشرقي لمصر — وانهم انشأوا حكماً قوياً في جنوبي الصعيد طاردوا بعده سكان الدلتا بعد أن تركوا وراءهم صناعة المعادن .

انبنى على هذا الاتحاد القوي ان اصبحت مصر تحت حكم ملك واحد هو - مينا - وسواء قام هو وحده بهذا التوحيد، وهذا بعيد الاحتمال ، أو اجتهد كثيرون في ذلك قبله ، وهو الغالب ، فأنه يعنينا ان عظمة مصر انما ابتدأت منذ تولى هذا الملك الحكم .

ونرى ان ملوك الاسرتين الثانية والثالثة وما بعدها الذين مهدوا بتشييدهم مبانيهم وشاهق عمارتهم لرقي مصر أيام بناء الاهرامات وعمل التماثيل والصور والصناعات المختلفة — كذلك الوصول بالكتابة الى حدٍّ بعيد من الاتقان ، تلك الكتابة الزخرفية التي استعانوا بها في تزيين المعابد والمقابر فضلاً عما انطوت عليه من تسجيل الأحداث الكبرى .

وهنا نرى أن مصر كانت المهد الأول للفن ، وان عن مصر اخذت بقية شعوب العصر القديم .

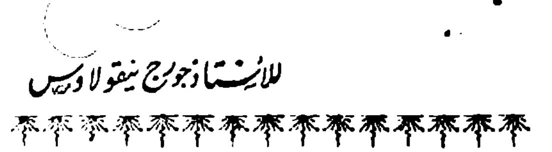


اللغة الفرنسية وأدبها

كيف نشأا وتطورا

ووصلا الى حالتهما الحاضرة

— ٢ —



للأستاذ جورج نيقولاوس

إن الأدب يعبّر بأجلى بيان عن سير حضارة الأمة ، ويرسم خطة هذا السير بتاريخه ، فما من أمةٍ نالت قسطاً من الرقيّ الاجتماعي ، إلاّ ازدهر أدبها بما يتناسب وهذا القسط ، كما انها إذا أُصيبت بالجمود أو التقهقر ، كان حظ أدبها مماثلاً لحظها من هذا الجمود وذاك التقهقر ، فأدب الشعب ترجمان حياته ، واللسان الناطق بأخلاقه ونزعاته ، وإذا ما تبيّن لنا ذلك ، عدنا الى بحثنا في الأدب الفرنسي فنقول : —

بعد ما ظهرت الى عالم الوجود ، القصيدة الضئيلة المعنى ، النحيلة المبنى ، التي تسرد حياة القديس ليجيه وموته ، اعترى الأدب الفرنسي جمود ، ظلّ مدّة مديدة مخيّماً على العقول والقلوب والمشاعر ، ونعني بهذه العقول والقلوب والمشاعر ، ما كان منها خاصّاً بعامة الشعب دون الاكليروس ، فهذا مع عدم مساهمته بالشيء الكثير في الميدان الأدبي ، كان أرقى حالاً من سواد الأمة ، ومن نبلائها وأشرافها وقادتها وذوي الأمر والنهي فيها ، على الرغم من أنّ كبار اللاهوتيين فيه ، لم يكونوا قد بدوا بعد ، ليعالجوا الهرطقة والبدع والعقائد الفاسدة ، ويستوعبوا في بحوثهم المشاكل العويصة ، ويخوضوا المسائل الفلسفية . لأنّ الاكليروس كان في ذلك الزمن مغموراً بشقاء الجيل ، وبجهل الشعب وخشونته وفظاظته ، ووساوسه وخرافاته ومعتقداته الباطلة بالجن والسحر وما شاكلهما ، ولكن كانت له — أي الاكليروس — مدارس زاهية زاهرة ، تغلبت من عهد شارلمان — أو قارله الكبير كما يسميه العرب — على جميع المصاعب التي اعترضت سبيلها ،

الدين أقوى وازع، وأشد رادع

' لم يكن في خارج المحيط الاكليركي في ذلك العهد، سوى جهل مُطبق، وضعف في العواطف والأخلاق، يتساوى في ذلك، الأمير والحقير، والغني والفقير، فكان رب القصر، وسيد المقاطعة، لا يمتازان البتة عن الفلاح المُعدَم، والقروي الجاهل الخامل، فالمساواة في الجهل والتقهقر كانت عامة شاملة. فمعرفة اللغة اللاتينية، التي كانت سائدة وقتئذٍ، والالمام بالقراءة، واتقان الكتابة، أمور نادرة، والمتضلعون بها لا بدّ من أن يمتّوا بصلة الى الكنيسة والاكليروس.

وكانت الأمة الفرنسية، على الرغم من دياجير الجهل الغارقة فيها، طيّعة للكنيسة، محترمة للاكليروس، شديدة التعلق بالدين، تعتقد بالله عزّ وجلّ وبرسله وملائكته، وتثق تمام الثقة بخلود الروح، وبوجود ثواب وعقاب بعد الموت، وجنة يقيم فيها الملائكة والأبرار، ونار معدة للفجار والأشرار، يُضرم أوارها زبانية الجحيم، ويغادرونها لإغواء الانسان، وإزاغته عن محجّة الصواب، وأن المرءَ حرٌ في اختيار الطريق الذي يحلو له، فاذا سلك سبيل الغواية اشتدّ عقابه، وان سار في الصراط المستقيم عظُم ثوابه، وإنّ اللهَ جلّ شأنه، يهدي من يلجأ الى رحمته، ويلتمس معونته، فيجعله في قوة ومَنَعة، متحدياً الشيطان، ومتغلباً على كل ما يبديه له من زخرف الغواية.

ويظهر مما تقدم، ان ثمّ نضالاً عنيفاً بين الخير والشر، يتحمله الانسان طيلة حياته وهو ما تعلمه الكنيسة، غير ان تعاليمها الروحية السامية، كانت بعيدة عن متناول عقول الأمة الجامدة، التي لا تعي سوى الظواهر، ولا تفهم إلاّ الحسّيات، والمطالب المفروضة على الجسد، فالصوم والحج والدفاع عن الدين وتقديم المال وإقامة القداديس وتشييد الكنائس وبناء الأديرة، وكل ما يستطيع الجسم القيام به، واليد عمله وتقديمه، كان الشعب الخشن الأخلاق، الجاف الطباع يؤديه بطيبة خاطر، وأما فلسفة الدين المسيحي العميقة، والثقافة العقلية الخالصة، فلم يكن يُدرك لها كُنهاً. غير أن الدين المسيحي كان يؤتي ثمره، لأنه بمثابة لجام لهذه الخلائق الغليظة الأكباد، الفظة القلوب، لأن الخوف من العليّ القدير الذي يثيب ويعاقب، والخشية من الشيطان الواقف للإنسان بالمرصاد، وتخيّل الجحيم الفاتحة فاهها لابتلاع الأشرار، كل هذه الأمور من شأنها أن تكسر حدّة

العواطف المتأججة ، وان تضع شيئاً من الطيبة في الفعال والأعمال ، ان لم نقل ترقق الأفئدة ، وتسمو بالمشاعر والأحاسيس علاوة على أن المجتمع حينئذ ، بسياسته الاستقلالية وبمنحه الفرد حقه الذي لا نزاع فيه ، كان يلهب العزائم ، مما يجعل الوازع الديني واجباً محتماً ، لا غُنية عنه ، ولا مندوحة منه ، إذ بدون الكنيسة لم يكن هناك حق إلا للقوة دون سواها .

وكان العالم في ذلك الزمن ضيقاً ، متكلفاً ، قريب الآفاق ، والحياة فيه حزينة كئيبة محدودة الجوانب ، حتى ليصح أن يقال إنه محاط بجدران وأسوار ، وعلى الرغم من عظم الشقاء المخيِّم على المقاطعات ، من جراء الأوبئة التي كانت توالي اجتياحها ، ولا سيما وباء الطاعون الجارف ، ومن جراء الحروب المستديمة التي كانت تجري فيها ، ظلت نفوس أهلها جامدة ، خدرة ، ملتوية على ذاتها ، تقنع رغباتها جملة : « العقاب الإلهي لخطايا البشر » هذا إن لم نقل إنها تواسيها في مصائبها ، وتخفف عنها آلامها .

ومع شدة وطأة القوانين الاجتماعية ، فان فرنسوي ذلك العهد لم يكونوا يحلمون في سواها ، أو يفكرون في إبدالها وتغييرها ، لاعتقادهم بأن الحياة ، كانت فيما مضى ، ولم تزل في الحاضر ، وستكون في المستقبل على هذا النسق ، وفي مثل هذه الوتيرة ، لا يعتريها تغيير ، ولا يدركها تبديل .

وكان الاعتقاد بثبات الأحوال ، وبعدم تحول الأمور ، وتبدل الشؤون ، يجور على الفكر ، ويقص أجنحة الأمل ، والشعور بالشر الجاثم فوق الصدور ، يقود الى الخمود والبلادة والغباوة

وهذا الاقتناع المتأصل في النفوس ، يزيل من شعر العصور الوسطى ، الكثير من سحره وبهائه وعمقه ، على غير ما نعهده في شعر العصور الأخرى ، لأن هذا الاقتناع من شأنه ، أن يصيب ينابيع هذا السحر بالنضوب والجفاف .

العصور الوسطى تبني أسس المستقبل

هذا هو الوجه الذى بدت فيه القرون الثلاثة للعصور الوسطى ، التي تبدأ من سنة الف وتنتهي في الربع الأول من القرن الرابع عشر .

ومما لا ريب فيه ان العالم في تلك الحقبة من الزمن ، لم يكن جامداً ، ولا واقفاً دون حراك بل كان ينبض بالحياة ، ويعيش عيشته المألوفة ، كما ان الفكر لم يعتره الأفول ، ولم

بحت البتة ، بل كان يتحرك في محيط مجرّد ، وبما أنه ينحصر في المعاهد ، فلم يكن يقدم على الخوض في شؤون الحياة العملية ، ولا يحمل الحوادث على التكيف به ، والتطبع بطابعه .

وفي الوقت الذي يعبّر فيه العالميون باللغة الفرنسية ، عما يتناقض به الاكليروس في صوامعهم ومعاهدهم باللغة اللاتينية . وعند ما يبدأون بالتساؤل عن السبب الذي من أجله ، لا يرون الواقع مطابقاً للفكر .. عندئذٍ فقط ينتهي عهد القرون الوسطى .

وعلى الرغم من خشونة القرون الوسطى وفقرها الأدبي ، فقد كانت خصبة الاستعداد ، لأنها تضع الأسس لمستقبل . وتعد الروح الجديدة في الداخل ، ليتسنى لها قبول ما يأتيها من الخارج ، دون أن يسيها الانحلال أو التلاشي ، وما ظهر بعدئذٍ من نتائج طيبة ، يدل بوضوح على ما كان يهيأ حينذاك ، فعظمة العصور الوسطى تقوم على مبدأ مزدوج ، وهي الحرية الأقطاعية المؤكدة للصلات ، والمحتفظة بالاستقلال الفردي ، مع ايجادها الصفة الجديدة ، صفة الشرف التي هي صرح نظام المجتمع ، كما ان الايمان الكامل الشامل ، الذي لا يداخله الشك ولا الريبة مهما قلا وتفها ، يمنح ذلك المبدأ صفته الأخرى .

ويتبين من ذلك ان المحرك الذي يسيّر كل شيء ، هو الشرف والايمان ، وهما المبدءآن اللذان يقوم عليهما الاخلاص والتضحية ، ويحتمان على الارادة ، الجهد الذي لا ينى ، ضد المصلحة الخاصة ، وحب الذات ، وذلك باسم الصالح الفكري .

الشعر الحماسي اس الأدب الفرنسي

يبدو مما ذكرناه أن أول أثر من آثار الأدب الفرنسي كان من وحي اكليركي ، ولا نعجبنّ من ذلك ، لأن القساوسة ، هم دون سواهم ، الذين كانوا يحسنون الكتابة في ذلك الزمن ، ومع كلٍّ فقد كان للطبقة الاقطاعية ولطبقة العامة أشعارها وأغانيها التي تلذ لها وتسحرها ، لا سيما وقائع البطولة التي تثير الحماسة ، وتهز العواطف والمشاعر ، لكنها لم تكن مدوّنة ، بل كان الرواة يسردونها عن ظهر قلوبهم ، والمنشدون يتغنون بها في القصور وعلى قوارع الطرق ، حتى إذا ما انتشرت القراءة والكتابة . دُوِّنت هذه الأشعار الحماسية ، التي أصبحت الحجر الأول في صَرْح الأدب الفرنسي ، ولم يأتِ الشعر الغنائي إلاّ بعدها بزمن .

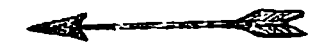
أغنية رولان

إن أغنية رولان ، التي نشرت قبيل عام ١٠٨٠ للسيد المسيح ، والتي أجمعت الآراء على كونها أقدم قصيدة حماسية تصف أعمال البطولة، ووقائع الطعن والضرب، نراها نحن لاحقة لقصيدة « حج شارلمان الى بيت المقدس » لأن هذه أقدم منها ، فقد ظهرت إلى عالم الوجود في سنة ١٠٦٠ مسيحية ، غير أن أغنية رولان أشد بهاء منها ، وأكثر رواء فهي تعد من الوجهة الأدبية تحفة رائعة السحر ، سامية الخيال ، ملهبة للعواطف ، مؤججة للمشاعر .

وإذا ألقينا عليها نظرة عابرة ، دون تطلع الى بواطن الأمور ، لحكمنا بأن الأدب الفرنسي استهل وجوده بملحة [1] خالدة لا تكد لها بهجة . لكننا لو أمعنا النظر في حقيقة الحال ، لبدا لنا أن هذه الأغنية ليست استهلالاً للأدب الفرنسي ، بل هي تتمة له ، لأنه بدأ كما أسلفنا منذ قرون ، غير أنه لم يدوّن بل ظلّ متناقلاً على الألسنة ، حتى اذا بدئ بتدوين الأدب ، استهله الكتاب بأغنية رولان [2]

* * *

ويطول بنا الشرح لو تتبعنا كل الأطوار التي تقلب فيها الشعر الحماسي ، سواء كان في تاريخ الملك كلوفيس وأسلافه وخلفائه ، أو الملك كلوتير الثاني وداجوبير وشارل مارتل قاهر العرب في موقعة بواتييه ، ولويس الثالث داحر النورمنديين ، الى أن وصل الى الحالة التي بدا فيها في أغنية رولان ، ويكفي أن نقول ان هذا الشعر ، وُلد عقب اضمحلال المدنية الرومانية في بلاد الجول ، واستيلاء قبائل الفرنك على هاتيك الديار وتوحيدهم لها ، وذلك في أوائل القرن السادس للميلاد المسيحي .



للبحث بقية

(١) ترجمنا كلمة Chef-d'œuvre الفرنسية بكلمة ملحة وجمعها ملح

(٢) كان رولان وهو ابن اخت شارلمان فارساً مغواراً هو واحد عشر بطلا معه في خدمة شارلمان ملك الفرنك وامبراطور للغرب الذي غزا العرب في اسبانية لكنه ارتد خاسراً وتعقبه العرب حتى جبال البيرينيه الفاصلة بين اسبانية وفرنسة فصمد لهم رولان في وادي رونسيفو ليحمي مؤخرة الجيش واستطاع ببسالته وقوة جسمه الخارقة صدهم لكنه قتل وهو يحارب ، فخلدت اسمه الاغنية المشار اليها ، كما خلدته القصيدة التي صاغ لآليها الشاعر الايطالي الكبير لودوفيكو اريوستو المسمى بالفرنسية آريوست • وقد ولد شارلمان في سنة ٧٤٢ وتوفي سنة ٨١٤ ميلادية .

ريبة

للأستاذ عدنان الذهبي

لست أدري ، أي سر :

في عذابي .. وشجوني ...

في حياتي ، ومماتي !! .

***

سوف أمضي !..

بارتيابي ، وظنوني !! .

سوف أمضي ! ..

***

ويعودُ ، ذا الوجودُ ،

يتجددْ ، للعيونِ

قرب قبري ، عند غيري !! .

الطب الغذائي

في خواص الفاكهة ومنافعها

— ٢ —

للأستاذ سبيرو جسري

عرف قدماء المصريين ما للفاكهة من فائدة غذائية فأكثروا من غرس أشجارها في الحدائق والمعابد والحقول وجعلوها في مقدمة وجباتهم الغذائية فازدادت بها موائد الأغنياء والفقراء كما يتضح من محتويات موائد المصريين والرسوم المنقوشة على جدران معابدهم ومما تركوه لنا من ثمار محفوظة يرجع عهد بعضها الى حوالي خمسة آلاف سنة ولا تزال حافظة لرونقها.

وأهم أنواع هذه الفاكهة العنب والتين والبلح والجميز والرمان .

* (العنب) * من أقدم الفواكه ويقال إنه لم يكن معروفاً في مصر إلا بعد دخول الرعاة الذين أدخلوه معهم وصنعوا منه الخمر ، وهو من الثمار اللذيذة النافعة وتختلف منافعه باختلاف أنواعه وتفاوت العناصر المعدنية والمواد العضوية فيها . فالجلوكوز من أهم عناصره الحيوية ويعتبر من مستلزمات البنية ومجدد القوى والهمة والنشاط في الجسم وتتراوح كمية الجلوكوز في العنب من ١٥ـ٢٥٪ و ٠,٨٪ من البروتين وفيه حامض الليمونيك المطهر والطرطير الذي يساعد على عملية الهضم . وأملاح البوتاسيوم والألومنيوم والسليولوز والحديد والكلسيوم والفوسفور والنحاس وسكر الفاكهة الذي هو أسهل هضماً من سكر القصب

والعنب فقير في الفيتامينات غير أن فيه مقداراً ضئيلاً من فيتامين (ا) و (ب١) الذي يقي من مرض التهاب الأعصاب وفيتامين (ح) الذي يقي من مرض الأسقربوط ويقوي العظام والأسنان — غير أنه في مقدمة الفواكه التي تمد الجسم بالحرارة إذ أن الكيلوجرام منه يمد الجسم بحرارة قدرها ٦١٥ سعراً .

وعصير العنب من المقويات لأنه ينقي الدم ويقويه ، وله خواص المدرّات وصفة المواد المضادة للسموم التي تتراكم في الجسم، وينفع جدًّا لداء المفاصل المسبب من تراكم الأملاح والروماتزم وقبض الامعاء والحميات على اختلاف أنواعها .

ويستحسن ألاّ يؤخذ قبل الأكل مباشرة أو عقبه ، بل يؤخذ عندما تكون المعدة غير مثقلة بالمآكل ليتم مفعوله ، وعلى المصابين بفقر الدم الاكثار منه لأنه أفيد لهم من كل الأدوية التي يتعاطونها ، لكننا نحذر منه المصابين بداء السكر لأن أكله يعود عليهم بالضرر . ويفضل أكل العنب بقشرته وبزره لأن فيهما مواداً مفيدة للجسم

﴿ المعالجة بالعنب ﴾ ومدة المعالجة بالعنب ٣٩ يوماً ؛ فيبدأ المعالَج في اليوم الأول بأكل ٥٠ جراماً قبل الافطار و٥٠ جراماً قبل الغداء و ٥٠ جراماً حوالي الساعة الرابعة مساءً و٥٠ جراماً بعد العشاء . ويزيد هذه الكمية يوميًّا ، وفي كل مرة ٥٠ جراماً حتى اليوم العشرين إذ يبلغ ما يأكله أربعة كيلو جرامات أي كيلو جراماً في كل وجبة . ثم يتدرج بانقاص هذه الكمية الأخيرة ٥٠ جراماً في كل مرة ابتداء من اليوم الحادي والعشرين حتى تصير في اليوم التاسع والثلاثين ٥٠ جراماً في كل وجبة أي مثل الكمية التي بدأ بها .

والعنب الجاف أي الزبيب أقوى من العنب الطازج في علاج الأنيميا والضعف العام، كما انه يقوي الكبد ويضاعف نشاطه.

﴿ نبيذ العنب ﴾ واستخرج قدماء المصريين من العنب والبلح أنواعاً من الخمر وخاصة نبيذ العنب [1] وقد عمّت شهرتها بلاد اليونان وجزائر البحر المتوسط . وفي متحف فؤاد

(١) أنواع النبيذ عند العرب : النبيذ كل مادة أو عصير منبوذ متروك حتى يفور ، وتسمى أنواعه بحسب المواد المصنوعة منها ، « فالمزر » نبيذ الارز ، و « السوبية » نبيذ الحنطة وتتخذ في مصر من الارز ، وقد ذكرها ابن الاثير في حديث ابن عمر فقال إنها نبيذ يشربه أهل مصر ، و « الغبيرا » نبيذ السلت أو الشعير أو الذرة ، ولعل منها الاسم « بيرة » . والجعة نبيذ الشعير ، و « البوزة » نبيذ الدخن ، و « البتع » نبيذ العسل ، وقد سئل النبي الكريم عنه فقال كل مسكر حرام ، وقال هو نبيذ العسل وهو خمر أهل اليمن ، و « السكر » نبيذ التمر ، « والخمر » نبيذ العنب ، و « السكركة » خمر الحبش ، و « المصفق » ما كان من إحدى الفواكه ، و « النضوح » نبيذ الرمان . و « النبيذ » من الزبيب و « السكركة » و « المزرة » من الذرة و « الفضيخ » من البسر ولا تمسه النار .

الأول الزراعي[1] لوحات في طريقة صناعة النبيذ موضحة بصور تبين أدوار العملية مبتدئة من قطف الثمار الى تعبئة العصير في القدور وختمها بخاتم من الطين باسم المنطقة التي صنعت فيها وتاريخ صنعها .

﴿ الزيت من العنب ﴾ يتخلف بعد عصر العنب[2] في صناعة النبيذ والمشروبات الروحية الأخرى مقادير عظيمة من بذور العنب . وفي الماضي كانت هذه البذور ترمى خارج المصانع أو توضع في القمامة على اعتبار أنها نفاية غير صالحة للاستعمال . غير أن علماء الألمان استنبطوا طريقة يمكن بها الحصول على نوع من الزيت من هذه البذور ، وقد نجحت طريقتهم نجاحاً كبيراً ، إذ توصلوا الى استخلاص ما يزيد على نصف مليون لتر من الزيت في أول عام جربت فيه هذه العملية على نطاق واسع ، ويمكن استخدام الزيت الناتج في عمل الصابون والمفرقعات وفي كثير من الاستعمالات التي تستخدم فيها الزيوت النباتية المتنوعة.

* * *

﴿ التين ﴾ عرف التين منذ أقدم العصور فقبل أن يعرف البشر أكل الحبوب كانوا يأكلون التين في أوانه ويجففونه لكي يقتاتوا به في الشتاء ، وهو على أنواع عديدة منها ما لا يصلح للأكل فيعلفون به الخنازير تسميناً لها ، ومنها ما يصلح للأكل وهذا النوع الأخير طعمه لذيذ ومن أجود الأغذية وأفيدها للجسم لأنه يزيد قدرته على العمل ، كما انه من أسهل الفواكه قابلية للهضم ، وهو على ١٢ نوعاً ذات أحجام وألوان وأسماء متعددة : منها الأبيض الفرنسي والأصفر الدسم والبنفسجي الطبي والبنفسجي الخالص والأسود والأخضر وغيرها . ويحتوي التين على العناصر الآتية : —

٧٩ر١ ٪ من الماء + ١٨ر٧ ٪ من السكر + ١ر٥ ٪ من البروتين + ٠ر٧ ٪ من الدهن . وعلى نسبة عالية من الأملاح المعدنية وأخصها أملاح البوتاسيوم والمانيزيا والفوسفور والحديد والنحاس والكلسيوم، وهي الأملاح الضرورية التي تدخل في تكوين الجسم وتعين خلاياه على إداء عملها فضلاً عن انها عامل مهم في تكوين مادة هيموجلوبين الدم .

(١) الاستاذ عبد الرءوف طنطاوي في الصحيفة الزراعية الشهرية المجلد ٢ عدد ٥ سنة ١٩٤٧
(٢) كتاب العلم في فنجان الجزء الثاني للاستاذ حسن عبد السلام

والتين فقير في الفيتامينات ، فالتين الطازج يحوي فيتامين ب' المفيد في حالات التهاب الأعصاب وضعف الامعاء وشهوة الطعام والصداع والآلام العصبية،وعلى فيتامين حـ لوقاية الجسم من الأمراض المعدية ومرض اللثة والأسنان والاسقربوط والروماتزم وسهولة نزف الأوعية الدموية . ويستحسن أن يؤكل طازجاً لأنه سريع التخمير والفساد .

أما التين المجفف فهو من أحسن المصادر لفيتامين ا المفيد في حالات جفاف الجلد وضعف نمو الجسم والنحافة وحصوات الكلى ، والمائة جرام منه تولد في الجسم حرارة قدرها ٢٦٨ سعراً غذائياً .

والمعروف عن التين انه غذاء مرطب ومنشط وملين يساعد على النمو لأنه من الثمار الحلوة المغذية للجسم . ومطبوخه في الماء أو اللبن يعطى شراباً ملطفاً للمصابين بالجدري والحصبة والحمى القرمزية والنزلات الصدرية والتهابات المسالك البولية والهوائية كما تصنع منه غرغرة لازالة التهابات الحلق وتقرحات الفم وخراجات اللثة ، ويقول ابن سينا في كتابه « إن التين مفيد جداً للحوامل والمراضع »

وكان الرومانيون يستخرجون منه نبيذاً وخلاً ، ويسيل من أشجاره سائل لبني يحتوي على المطاط يستعمل مسهلاً من الباطن وكاوياً للثآليل من الخارج.

***

﴿ المشمش ﴾ يعتقد دي كاندول ان موطن المشمش بلاد الصين إذ عرفه الصينيون قبل السيد المسيح بألفين أو ثلاثة آلاف سنة . وتنمو أشجار المشمش برية في بلاد ارمينية وعلى سفوح جبال القوقاز ومنها نقلت الى اليونان وايطالية وشمال افريقية وشرقاً الى شمال الهند وادخلت شجرته الى انجلترة وايطالية سنة ١٥٢٤ ميلادية في حكم الملك هنري الثامن

ودخل امريكا مع المهاجرين القدماء في وادي المسيسبي ثم نقل الى الغرب مع الرهبان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حيث زرع في كاليفورنيا فنجح أعظم نجاح

ويمضغ أهالي « التبت » ثمار المشمش ويستعملونها لبخة على العين الرمداء ويصنعون أكواب الشرب من خشب أشجاره . ويعده أهل افغانستان مليناً ومخففاً للحمى ، ويستعمل سكان الهند الشمالية عصير ثماره لصقل الأواني النحاسية كما نستعمل نحن عصير الليمون

في ذلك . ويستخرج من عجم المشمش زيت من أحسن الزيوت للطهي وخاصة في عمل المايونيز وصنع الحلوى . وكان عجمه يصدَّر قبل الحرب بكميات كبيرة الى المانيا حيث يستخرج زيته الذي كانت تصدره إلى الولايات المتحدة باسم « زيت اللوز » . ويستعمل الهنود زيت المشمش للإضاءة والطهي ودهان الشعر ، وهو كثير الاستعمال في كشمير .

وثمرة المشمش تمتاز بنعومة الملمس عند النضج ، كما انها تكون صفراء محمرّة اللون ، ولبها « لحمها » عطري سكري لذيذ الطعم . وتحتوي الثمرة على نجمة ملساء غير ملتصقة من داخلها بذرة عذبة في النوع المعروف بالحموي ، ومرّة في النوع المعروف بالكلابي والبلدي .

ويحتوي المشمش على ١٣ ٪ من المواد السكرية وعلى آثار من المواد البروتينية والدهنية ، ولكنه غني بالحديد وبه مقادير متوسطة من الكلسيوم والفوسفور .

ويعد المشمش أغنى فواكه الصيف جميعاً بفيتامين ا ، إذ تحتوي المائة جرام منه على ٢٧٩٠ وحدة دولية من هذا الفيتامين كما يحوي مقادير من فيتامين ب[١] و حـ

وقمر الدين المعروف يحضَّر من عجينة ثمار المشمش العذب وهو يصنع في سورية وتركية واليونان .

ويبلغ محصول المشمش في مصر نحو ١١ مليون رطل في السنة ويخص كل أسرة مكونة من خمسة أفراد ثلاثة أرطال في السنة .

للبحث بقية .



أدوارد جنر

Edward Jenner

مكتشف لقاح الجدري

للأستاذ عوض جندي

(١) — الجدري ، أول بحث كتبته في حياتي الصحفية (٢) — متى تشرفت بمراسلة المقتطف ثم تفرغت للصحافة — (٣) ذكرى انقضاء مائتي عام على ميلاد جنر (٤) الحوافز التي حفزته على اكتشافه (٥) كيف اكتشف اللقاح (٦) الطريقة المصرية لاستخراج اللقاح (٧) المقبلات التي صادفته (٨) نجاح جنر وتقدير حكومته والعالم له (٩) متى اكتشف الجدري بمصر . (١٠) وفاة جنر قرير العين .

الجدري — بثور حمر ، بيض الرؤوس ، تنتشر في البدن وتتقيح سريعاً . وصاحبها مجدور ومجدَّر . ويقال إن أول من عُذِّب به قوم فرعون . وتطيب لي الآن ، وأنا على عتبة السادسة والستين من العمر ، ذكرى شغفي بالصحافة منذ شبابي . ثم عظم تقديري لهذا الطبيب الانكليزيّ العبقريّ . فأقول إن أول بحث كتبته في فجر حياتي الصحفية منذ سبعة وأربعين عاماً ، كان في وصف الجدري وتاريخه وأسبابه وأعراضه وعلاجه الخ وقد نشرته هذا البحث في أول مارس سنة ١٩٠٤ وذلك في مجلة المحيط ، لصاحبها المأسوف عليه ، صديقي المرحوم الاستاذ عوض واصف . وبلغ من اعجابي بجنر ومآثره الغر على الانسانية جمعاء ، أن سميت نجلي الأكبر باسمه « إدورد » . أما تشرفي بمراسلة المقتطف بالمباحث العلمية المختلفة فيرجع الى اغسطس سنة ١٩١٤ .

﴿ ذكرى انقضاء مائتي عام على ميلاد جنر ﴾ ولاحتفال أهل بلاده بذكرى عيد ميلاده المئويّ الثاني ، وذلك في شهر مايو من السنة الحالية ، آثرت إيراد تاريخه والتنويه

بذكراه في المقال التالي . وضمنته ما كابده من المشاق حتى ظفر بأمنيته وطار صيته في جميع الآفاق .

وُلد ادوارد جنر ١٧٤٩ وتوفي سنة ١٨٢٣ ، اكتشف لقاح الجدري ، فوقى به ملايين الناس . ولا غرو فقد كان هذا اللقاح وما زال ، يعدّ من أعظم المكتشفات الطبية في عصره ، بل في سائر العصور ، إذ ثبتت صلاحية لقاح الجدري البقري لعلاج داء الجدري البشري . ولم يكن اكتشافه هذا مقصوراً على الوقاية من الجدري البشري فحسب ، بل كان اكتشافاً طبيّـاً أساسيّـا ، هو قوام علم الطب الوقائي . وما برح هذا الأساس يحسب سلاحاً ماضياً لقمع الأمراض البشرية . وذلك على ما بلغه علم الطب من الارتقاء العصري .

﴿ الحوافز الثلاثة التي حفزته على اكتشافه ﴾ وإن قيـل « وماذا حدا ذاك الطبيب البريطاني القروي ، على اكتشافه هذا ؟ ومن ذا الذي أرشده اليه ؟ كان جوابنا عن هذا التساؤل ما يأتي : -- ما من شك أن أول حافز حفز جنر على اكتشافه العظيم « البيئة » التي نشأ وعاش فيها . لأنه قضى معظم سني حياته في الوسط الريفي ، حيث ينتشر الجدري البقري ، وهو المرض المشهور عند أبناء وطنه بكونه ذا تأثير قوي خفي في وقاية الانسان من الجدري البشري ، ذلك الداء الرهيب الذي كان يقضي سنويّـا على ستين مليوناً من الأوربيين في القرن الثامن عشر .

وكان الحافز الثاني لتشجيع جنر على عمله الخطير ، العصر الذي نبغ فيه ، إذ نشطت النهضة العلمية في القرن الثامن عشر ، نشاطاً رائعاً . أما الحافز الثالث ، فكانت الثقافة التي تلقاها جنر وهو في الحادية والعشرين من العمر ، من أستاذه جون هنتر الذي كان حينئذٍ في لندن ، من أشهر أطباء ذلك العصر ومن أكبر علمائه .

واشتهر جون هنتر في زمنه بتمسكه الوثيق بمذهب أبقراط تمسكاً قلبيّـا ، وبشغفه بتلقين تلاميذه ذلك المذهب القويم . ونعني به ، سرعة الخاطر والتأني في الاستقصاء . ثم القيام بالتجارب اللازمة لنجـاح العمل . وكان هنتر نفسه هو الذي أوعز لجنر بألا يقتصر على التفكير دون سواه ، في استعمال التطعيم لوقف انتشار الجدري . وفي سنة ١٧٨٠ بدأ جنر يكافح داء الجدري طبقاً لنصيحة الدكتور هنتر . وواصل تجاربه بانتظام حتى ظفر في سنة ١٧٩٦ بنجاح التلقيح نجاحاً علميّـا .

ولد جنّـر في بلدة بركيلى من أعمال إقليم جلوسترشير بانكلترا في ١٧ مايو سنة ١٧٤٩

كما سلف القول وكان والده كاهناً للابرشية التي تقع بلدته في دائرتها . ثم توفى أبوه بعد ميلاده بثلاثة أعوام تاركاً اياه تحت رعاية أخيه الأكبر وتلقى دروسه في مدرستي وطـون أندرايدج وسيسيتر بولاية جلوستر . وكان أخوه ، وليّ أمره ، يتمنى الحاقه بخدمة الـكنيسة فلم يذعن لمشيئته . إذ اختار لنفسه تعلم الطب . فألحق بمعهد الدكتور الجرّاح دانيل لدّلو ليدرس تحت ارشاده في مدينة صودبري القريبة من ثغر بريستول ، وهناك حدثت له الحادثة الصغيرة التي كانت سبب اكتشافه لقاح الجدري .

﴿ كيف اكتشف التطعيم بلقاح الجدري ﴾ في عصر يوم من صيف ١٧٦٨ قصدت شابة من حلابات الحليب مستشفى صغيراً في بلدة بركيلي بمقاطعة جلوسترشير بانكلترا . وحينما أبصرها الطبيب المختص ظنها أول وهلة تشكو مرض الجدري الذي كان حينئذ من أفظع الأمراض الرهيبة . فقالت الفتاة « ويحك أيها الطبيب لا يمكن أن أصاب بهذا الداء لأني قد أصبت من قبل بجدري البقر »

فكانت هذه الملاحظة التي أبدتها تلك الحلاّبة القروية الساذجة معبرة عن الاعتقاد الذي كان سائداً بين جيرانها من أهل الريف البريطاني . وهو الاعتقاد الذي طالما أغفله الأطباء أجمعون ما عدا ذلك الطالب الشاب اليقظ الذي كان يدرس الطب وقتئذ . ونعني به إدوارد جنر إذ رسخت هذه الفكرة الصائبة في ذهنه . بل غدت شغله الشاغل على الدوام في خلال اتمام دراسته الطبية في لندن . وما إن أتمّ علومه حتى عاد سنة ١٧٧٣ الى قريته ليزاول مهنته ، حيث عكف الأعوام العشرين التالية على تحقيق هذه المعضلة في أوقات فراغه من أعماله فأسفرت مباحثه عن صواب مذهب الحلابة المشار اليها . إذ تبين أن الذين اعتراهم الجدري الحيواني الذي هو داء خفيف الوطأة في البشر ، قلما يتتابهم الجدري البشري ، ومن ثمة أخذ الدكتور جنر منذ سنة ١٧٧٥ يناجي نفسه قائلاً : « لِمَ لا اخترع طريقة تتيح اصابة الانسان إصابة خفيفـة بالجدري الحيواني فأنقذه من هول استهدافه للجدري البشري الفظيع . ولذلك شرع في ١٧٩٦ في القيام بتجاربه الأولى في هذا الموضوع . إذ أخذ مقادير ضئيلة من القيح الذي كان في جلد المجدورين بجدري البقر . ثم طعّم بهما بعض الأطفال . وكان أولهم صبيًّا اسمه جيمز فيبس ، بلقاح تناوله من قرحة جدري بقري كانت في يد فتاة اسمها سارة نلمس وكان ذلك في ١٧٩٦/٥/١٤ فظهر له أن مرض الجدري قد انتقل فعلاً الى ذلك الصبي بوساطة الميكروب الدقيق الذي كان في اللقاح . ولما شفي ذراع الصبي ، طعّمه جنر بجراثيم الجـدري البشري فلم يلحقه أي ضرر كان ، كما توقع ذلك الدكتور جنر . ومن

البثور التي تولدت في أولئك المجدورين الأوائل طعّم غيرهم . وفي سنة ١٧٩٨ باشر جنر الاختبار الأول المظيم لاكتشافه إذ طعم بجدري البشر أربعة أطفال ممن سبق أن طعموا بجدري البقر فلم يصب أحد منهم قط بالجدري البشري. وحينئذٍ تمّ لجنر اكتشافه العظيم. وهو الاكتشاف الذي تيسر به استئصال شأفة مرض من أبشع الأمراض البشرية .

﴿ الطريقة المصرية لاستخراج اللقاح ﴾ والطعم المستعمل الآن للتطعيم الواقي من الجدري لا يستخرج من المخلوقات البشرية بل من المجول البقرية تحت رقابة الخبراء بالطريقة الآتي بيانها : —

ينتقى بكل عناية عجل بقري تتفاوت سنه بين خمسة وسبعة أشهر ، خالٍ من العدوى أو المرض . ويجز شعره ويعزل في معزل مدة أسبوع . ثم ينقل الى أحد المعامل الكيمائية حيث يحلق الشعر النامي على بطنه وفخذيه . ويقوم بعدئذٍ الفنيون بتشريط المنطقة المحلوقة الشعر ، بآلة ثلماء ، تشريطاً منتظماً في خطوط متوازية ، يبعد كل منها عن الآخر بمقدار « نصف بوصة » ثم تلقح تلك المنطقة بلقاح الجدري . ويحجز العجل المطعم الأسبوع التالي كله في حجرة خاصة ، تكيف درجة حرارتها لتظل رطبة حيث تنمو جراثيم الجدري في جسمه نمواً ذريعاً . وبعد مضي مدة الحضانة [١] هذه يجمع الفنيون الجراثيم من بدن العجل ، ويرسلونها كما هي ، غير نقية ، الى المعامل الكيمائية حيث تنقّى من شوائبها . ثم توضع في القوارير المحكمة السدّ لكي تستعمل عندما تمس الحاجة اليها في أماكن التلقيح .

﴿ العقبات التي صادفت اللقاح ﴾ وقد لقي لقاح الجدري في بدء أمره كثيراً من العقبات الكأداء التي كان مناوئوه يقيمونها في سبيل نجاحه (كما سنفصله في موضع آخر من هذا البحث) .أما في هذا العصر فقد ثبت نفعه ثباتاً حمل معظم الدول المتمدينة على جعله اجبارياً لكل مولود ولاعجب فهذا اللقاح يصير الملقح به ، طفلاً كان أو شاباً ،محصناً من الجدري عدة سنوات . غير أن هذا العلاج لا بدّ من إعادته من وقت الى آخر ، قصد إكساب الملقح به ،مناعة دائمة وبلغ من نتائج هذا الاكتشاف أن أي امرىءٍ يلقح به ، يلتاث هذا المرض فعلاً ، ولكن اصابته تكون خفيفة عادةً .هذا وقد انتشرت طريقة اللقاحات والعلاجات بها ، منذ عهد جنّر الى الآن . وذلك للوقاية من شتى الأمراض كحمى التيفود

(١) الحضانة — الفترة بين زمن الاصابة وظهور أعراض المرض.



جنر

من مؤسسي الطب الحديث

وهو أول من وضع نظرية التلقيح

وطبقها في الوقاية من الجدري

والانفلونزا والالتهاب الرئوي كما يستعمل التلقيح أيضاً في هذا العصر لوقاية الحيوانات من الجرة الخبيثة وغيرها من العلل .

ومما ينبغي ذكره أن جنّر ثابر على بحوثه بحماسة أشد « كما قال هو عن نفسه » مما كان أولاً على رغم أنوف شانئيه . وقد اعترضه كثير من الفشل . وشنّع عليه كثيرون من خصومه . فصبر على هاتيك المكاره صبر الكرام حتى ثبتت منافع اكتشافه الجليل . وعاش حتى صار من أعظم رجال أوربا . ورأى بعينيه زوال الجدري البشري حيث يستعمل التلقيح استعمالاً عامًّا . ثم قضى نحبه في بلدة بركيلي وذلك بالسكتة القلبية وهو في الرابعة والسبعين من عمره في ٢٥ من يناير سنة ١٨٢٣ .

وكان جنر قبل ثبوت نجاح التلقيح سنة ١٧٩٦ قد اقتنع جدّ الاقتناع بأن ١ — مرض الخيول الذي ينتاب أعقابها فتلتهب أوظفتها (١) ومفاصلها التي تعلو حوافرها فتغشاها قشور خشنة وتفرز مفرزات زيتية كريهة الرائحة . وأخيراً تتولد في مواضعه مواد تشبه القطر . وإن ٢ — آفة الجدري البقري ومرض الجدري ٣ — البشري، ثلاثة أنواع من فصيلة واحدة وانما يختلف أحدها عن الآخر بدرجة التسمم الذي يحدثه كل منها في المجدور . ويصاب المرء بعدوى الجراثيم الدقيقة لكل منها في طور معين من أدوار المرض نفسه .

﴿ تقدير نابليون للمكتشف ﴾ وسرعان ما شعر الملأ بالنتائج الباهرة التي نتجت عن التلقيح بهذا اللقاح وذلك بهبوط عدد الموتى بداء الجدري . وكانت تقدّر في ذلك القرن بعُشر الوفيات . والدليل على ذلك أن نابليون بونابرت ، أمر بتلقيح جنود جيوشه أجمعين . فلم يصابوا بالجدري . وبلغ من تقديره لجنّر أنه اعترف بحسن نتائج اكتشافه . ومع أن ذينك البطلين لم يقابل أحدهما الآخر قط ، ورغم الحرب التي كانت دائرة بين انكلترا وفرنسا حينئذٍ فان بونابرت ، ذلك العاهل الحاكم بأمره في عصره ، كان إذا ذكر أمامه اسم جنّر ، احترمْ هذا الاسم الكريم كل الاحترام ، وحسب هذه الذكرى ، أفضل توصية لاسداء أي جميل لصاحبها العظيم .

وبلغ من نجاح لقاح جنّر أن انتشر في كل مكان حتى صحاري أمريكا الشمالية حيث يعيش هنود أمريكا . واعترافاً بمنافع هذا اللقاح بين ظهرانيهم ، أهدوا الى مكتشفه كثيراً من هداياهم الوطنية وأوسمتهم الطريفة . وكانوا يصلون من أجله في معابدهم . كما جاءته رسائل التحبيذ والتكريم ، والتحيات ، تترى من أنحاء اسبانيا وإيطاليا وغيرها، ثم جاءته الهبات المالية من بلاد الهند .

(١) الوظيف — مستدق الذراع والساق من الخيل .

ولكن مما يؤسف عليه من جهة أخرى ، أنه قد ثارت حوله آنئذٍ في انكلترا ، عاصفة من المعارضة للتلقيح . إذ قام ضده القسوس (مع أن والده كان قسيساً لأبرشيته) وأخذوا يذمون هذا الاكتشاف وينتقدونه من فوق منابرهم زاعمين أنه عمل مخالف لتعاليم الله تعالى وليت مساعيهم ومناوأتهم له وقفت عند ذلك الحدّ ، بل أُلفت هناك لمقاومته جمعيات (لا يزال بعضها قائماً الى الآن) ثم نظم الشعراء قصائد يهجون بها جنّر ولقاحه ، قصد ارهاب الناس ومنعهم من الاقبال على التلقيح لكيلا تصبح آذانهم مثل آذان الحيوان الفرائية ، وخشية أن تتولد لهم أذناب كأذناب البقر العادية . ومع ذلك دأب ألوف من الأهالي لحسن الحظ في التمسك بالتلقيح بهذا اللقاح النافع الواقي . وقد قام جنر نفسه بتلقيح مئات منهم وهذا مما جعل الجمهور لا يفك أي شك في نفع التلقيح الجنري للخلاص من الجدري .

﴿ مكافأة جنر على اكتشافه ﴾ وفي نهاية الأمر اعترفت بلاده بفضله بلا نزاع . إذ أعلن البرلمان البريطاني رسمياً اعترافه بمنافع هذا الاكتشاف الطبي لذلك الجرّاح الريفي الانكليزي لوطنه أولاً وللدنيا بأسرها ثانياً ، وقرر سنة ١٨٠١ منحه ١٠٠٠٠ جنيه انكليزي مكافأة له على اكتشافه هذا الجليل . ثم عاد البرلمان نفسه فمنحه في سنة ١٨٠٦ عشرين الف جنيه انكليزي أخرى . وهذا مما جعل أحد مؤرخي بريطانيا يقول «لقد وهبت انكلترا جنر ثلاثين الفاً من الجنيهات الانكليزية لأنه صان حياة ثلاثين الف شخص بريطاني كل سنة . ولا عجب فقد كان يموت بالجدري كل سنة ما لا يقل عن مليون نفس . وقد استمرت هذه الحال مدة طويلة .

﴿ اكتشاف مرض الجدري يرجع الى أكثر من ٣٠٠٠ عام ﴾ وما من شك أن المجتمع الانساني ، قد اكتسب بهذا الاكتشاف ، سلاحاً فتاكاً للقضاء على ذلك الداء الوبيل الذي اكتشف في الجثث المصرية المحنطة التي يرجع تاريخها الى أكثر من ٣٠٠٠ عام . (وهذا يؤيد ما ذكرناه في صدر هذا المقال) . ويقال إن الجدري انتقل الى أوربا بوساطة العرب .

﴿ انتشار الجدري في القرن الثامن عشر ﴾ ومما ينبغي ذكره أنه في آخر القرن الثامن عشر ، كان يتوفى بداء الجدري ٣٣ طفلاً من كل مائة طفل يولدون ويموتون قبل بلوغهم العاشرة من العمر . وكانت نسبة الوفيات العامة بهذا المرض تبلغ ١٠ ٪ من المجموع وبعد سنة ١٨٠٠ انقطعت هاتيك الوفيات بفضل طعم جنر ، رحمه الله تعالى وجعل الجنة مثواه .

العلاقات

بين المسلمين والمسيحيين في الحبشة في العصور الوسطى

للأستاذ زاهر رياض



تواجه الحبشة الجزيرة العربية ولا يفصلهما إلا البحر الأحمر الهادىء الضيق ، فقيام علاقات بينهما أمر طبيعي جداً ، فلا غرابة إذن إذا سكن الحبشة كثير من العرب أو سكن الجزيرة العربية كثير من الأحباش .

فالحبشة مهجر طبيعي لسكان الجزيرة العربية خصوصاً حينما كانت الحياة تقسو هناك ، وكثيراً ما كانت تقسو إذا ما عزّ المطر فعزّ الكلأ ، أو نزل السيل لحطم السدود، أو اشتدّ الحر والبرد فنفقت الماشية .

ولما كان العرب يشتغلون بالتجارة بين الأسواق المختلفة، كانت الحبشة أحد الأسواق التي تزخر بمواد التجارة التي تتطلبها الدول القوية الغنية التي تتاخمهم ، خصوصاً دولتا الفرس والروم اللتان أسرفتا في طلب الأفاويه وسن الفيل والأخشاب والبن، فكانت الحبشة سوقاً لهذا كله .

ولعلّ أهم موارد التجارة وأروجها وأدرّها ربحاً هي تجارة الرقيق التي كانت مطلباً من أهم مطالب هاتين الدولتين ، فقد ازدحمت كل من دولتي الفرس والروم برقيق الحبشة

وتجارة الرقيق وما تدره من أرباح تفوق حدّ التصوّر وتغري كثيرين باحترافها ، ولهذا اشتغل بها عدد كبير من العرب ، فيمكننا إذن أن نتصوّر العدد الهائل من العرب الذي اشتغل بالتجارة وكوّن المراكز التجارية الكبيرة والصغيرة . واستقرّ في هذه المراكز المنتشرة بين قرى شرق أفريقية .

حتى إذا ظهر الإسلام وأنزل العرب الأذى والاضطهاد بمن اعتنقوه خاف النبي (ص) على أنصاره أن يُفتنوا فنصحهم بالهجرة الى الحبشة . إلى حيث كانت تسير أقدام العرب من المهاجرين منذ مئات السنين .

ولم يمنع الإسلام من اعتنقوه عن مزاولة أعمالهم الأولى ، فسارت قوافلهم التجارية إلى حيث كانت تسير من قبل، ومن ثمَّ ابتدأ الإسلام يظهر في الحبشة ويتغلغل فيها بمقدار ما يتغلغل هؤلاء التجار، ويستقر فيها بمقدار ما يستقرون .

وقد منع الإسلام استرقاق مسلم لمسلم وبذلك نقص مورد من موارد الرق كان قائماً قبل الإسلام في بلاد العرب ، فلن يسد هذا النقص سوى الساحل الافريقي وما فيه من مورد لا ينقطع من شعوب سُودٍ ، فنشطت تجارة الرقيق في الحبشة بعد الإسلام عما كانت قبله، وإذا كانت قد نشطت بمقدار أيام الخلفاء الراشدين، فنشاطها لا يقاس بنشاطها بعد ذلك حينما ألحت الدولتان الأموية والعباسية في طلب الرقيق

ولم يكن هناك من مخرج أمام السكان الذين تعرَّضوا لغزوات تجار الرقيق ،إلاّ الارتماء في أحضان الإسلام الذي يمنع عنهم ذل الأسر ويقيهم مهانة الرِّق والعبودية . فأخذ الإسلام يظهر بينهم وينتشر بتزاوج العرب بعضهم من بعض وتزاوجهم من الحبش . ولم تلبث أحداث شبه الجزيرة والدول الإسلامية أن شجعت على زيادة عدد المسلمين المهاجرين الى الحبشة . فحركة الردَّة وما تبعها من الثورات المتعاقبة التي قام بها منازعو الدولتين الأموية والعباسية ، سرعان ما شجعت الناقمين على الهجرة الى الحبشة ليكونوا بعيدين عن أيدي الخلفاء . ولكن هذه الهجرة لا يمكن أن تدوم ما لم تقابلها من الناحية الأخرى ظروف تشجع عليها .

فمنذ القرن السادس الميلادي أخذت سلطة الحكومة الحبشية تتراجع عن الشواطىء الشرقية منذ أن هزمت جيوشها أمام مكة عام الفيل، كما أن خروج مصر والشام من يد الدولة الرومانية الشرقية حرم الحبشة من هذا الحليف الذي كانت تتصل به عن طريق البحر الأحمر. فأخذت طوائف المهاجرين من العرب في الهجرة الى الحبشة والتوغل فيها باجتيازهم الطرق الطبيعية التي تخترق الحبشة من الشرق الى الغرب كمجاري الأنهار والوديان . فلا غرو

أن شهد القرن التاسع الميلادي والثالث الهجري قيام مملكة إسلامية في وسط الحبشة هي مملكة شوا . ولقد قامت هذه الدولة سنة ٢٨٦ هـ وعاشت حتى سقطت سنة ٦٩٠ هـ حين غزتها جيوش إيفات . وايفات هـذه إحدى سبع ولايات تسكنها أغلبية مسلمة تكونت في الشرق والجنوب الشرقي من الحبشة وتخضع لامبراطور الحبشة الذي يولي عليها حكاماً من قبله . وهـذه الولايات هي ايفات ، ودوارو ، وبالي ، وهدية ، ودارا ، وارابيني ، وشرخا .

وفي القرن الثالث عشر الميلادي عقد يوكونو أملاك ملك شوا المسيحية اتفاقاً مع أحد المسلمين الكبار في إيفات وكان يسمى عمرولسمع يقضي بمساعدة هذا الأخير له في حروبه ضد الأسرة الحاكمة في اكسوم ليتولى بدلها منصب الامبراطورية لقاء توليته سلطنة ايفات وتركه له حرية العمل في الولايات الاسلامية كلها حتى إذا تم الأمر تولت الأسرة السليمانية الحكم في اكسوم ، كما تولى عرش سلطنة ايفات عمرولسمع تابعاً للامبراطور ، فكان أول والٍ مسلم يتولى حكم ولاية إسلامية في الحبشة .

ولقد كانت تجارة الرقيق تمثل الجزء الأكبر من نشاط سكان هذه الولايات الاسلامية الشرقية . فكانوا لا يتوانون عن الهجوم على المدن الآمنة واختطاف النساء والرجال وبيعهم في أسواق الشرق من مصر الى الهند، فكان الامبراطور يعاونه السلاطين المسلمون جادين في محاربة هؤلاء التجار والضرب على أيديهم ، ولقد كان هؤلاء التجار في بعض الأحيان على شيء من القوة ليس باليسير ، فقد استطاع واحد منهم هو حق الدين بن احمد حرب أرعد أن يكون في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي جيشاً قوياً يقاوم به الدولة هو وأولاد أخيه من بعده زهاء خمسين سنة تعاون في إثنائها الرعايا المسلمون والسلاطين المسلمون مع المسيحيين والامبراطور المسيحي على مقاومة هؤلاء الطغاة رغم ما كان يربطهم بهم من وحدة الدين .

ولم تكن هذه الحروب التي دارت بين أولاد حق الدين والحكومة المسيحية آخر الحروب التي قامت في الحبشة بين المسلمين والمسيحيين ، ولكننا نلاحظ أنها لم تكن حروباً دينية لسبب ديني ولا أوحت بها عداوة دينية، بل هي حروب عادية في تاريخ تلك البلاد .

فعلاقة المسلمين بالمسيحيين إذن قبل قيام مملكة شوا الأسلامية تنحصر في خضوع هؤلاء لحكامهم المسيحيين الذين يحكمونهم دون تمييز بينهم وبين غيرهم في المعاملة أو الضرائب أو غير ذلك من أنواع التمييز. ولما قامت مملكة شوا الاسلامية . ربطها بجيرانها المسيحيين علاقات من الود والصداقة بدليل ما كان يحدث من لجوء الملك المسلم الى أخيه المسيحي ليحتمي به من بطش المسلمين الثائرين. ولما قامت سلطنة ايفات كانت تربطها دائماً بالحكومة الحبشية المسيحية وبمسيحيي الحبشة روابط من الود والصداقة أيضاً، حتى إذا ثار حق الدين على جده وعمه تعاون الامبراطور المسيحي والجد والعم على سحق الثورة وأرسل لهذا الغرض قواداً من المسلمين أعادوا الهدوء الى تلك الأنحاء . ولعلَّ أبرز هؤلاء القواد هو القائد محمد حاكم هدية الذي تزوج الأمبراطور رزق يعقوب ابنته هيلانة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر وظلّ هو اليد اليمنى للأمبراطور زهاء عشرين سنة . كما ظلت هي من بعده المسيطرة الوحيدة والقابضة الوحيدة على أعنة السياسة الحبشية زهاء حكم أربعة أباطرة تعاقبوا على العرش الحبشي .

ولما غضب الأمبراطور على السلاطين المسلمين وعزلهم لم يجد الأمبراطور ما يمنعه من تولية أحد أبناء عمومتهم مكانهم . حتى إذا كانت نهاية الربع الأول من القرن السادس عشر ثار الامام احمد بن ابراهيم ثورته الكبرى .

ولقد كان هذا الامام قائداً مخلصاً للأمبراطور لبنادنجل (١٥٠٦ — ١٥٤٠) وجهه لمحاربة ابي بكر بن محمد حينما جمع حوله جموعاً من الصومال وقطاع الطريق وعاث في الأرض فساداً . ولكن بين عشية وضحاها انقلب الثائر مخلصاً لا حدَّ لاخلاصه ، والامام احمد بن ابراهيم ثائراً على السلطان والامبراطور محارباً لهما مشتطًّا في محاربتهما . وظلَّ زهاء أربعة عشر عاماً يقود الثائرين . فبدأ بالولايات الاسلامية فوحدها تحت لوائه — الأمر الذي لم يحدث قبل ذلك قط — ثم وجهها لمحاربة الأمبراطور فنجح في انزال الهزيمة تلو الهزيمة بالجيوش المسيحية وكان انتصاره ساحقاً سريعاً حتى لقد اضطرَّ الأمبراطور الى الهرب أمامه من بلد الى بلد وهو يقاسي الجوع والمرض، وسيطر الامام احمد على الحبشة كلها وأقام عليها حكاماً مسلمين وانهارت المسيحية امام انتصاراته المتلاحقة، وأخذ المسيحيون يدخلون في

الاسلام أفواجاً اثر أفواج فرأت الملكة هيلانة — المسلمة أصلاً — ان لا قبل للدولة بمقاومة هذا الخطر الا بالمساعدة الأجنبية فأوفدت وفداً يطلب المساعدة من ملك البرتغال عمانويل الأول (١٤٩٥ — ١٥٢١) الذي كانت أساطيله قد انتصرت على الأسطول المصري في موقعة ديو سنة ١٥٠٩ وآخر الى البابا كلمنت السابع (١٥٢٣ — ١٥٣٤) تعترف له بتبعية الكنيسة الحبشية للكنيسة الغربية . فأرسل ملك البرتغال الى نائبه في الهند يكلفه ارسال أسطول برتغالي مزوّد بأربعمائة وخمسين جندياً لمساعدة ملك الحبشة ولمقاتلة المسلمين . فلما وصل الوفد الى الهند كان دون جراسيا نائب الملك قد مات وخلفه دي جاما الذي كان معنيّاً بنشر النفوذ البرتغالي في الهند اكثر من أي أمر آخر . فظلّ مهملاً الأمر الى سنة ١٥٤٠ حينما ارسل الى الحبشة اربعمائة جندي برتغالي يقودهم كرستوفر دي جاما انضموا الى جنود الأمبراطور واستطاعوا أن يحطموا قوة الثائر ويقتلوه ويشتتوا أنصاره ويقضوا على الثورة نهائيّاً سنة ١٥٤٣

فما الذي بدل علاقة المسلمين بالمسيحيين في الحبشة سوءاً بعد حسن . وما الذي أعطى المسلمين هذه القوة الجارفة الجبارة التي استطاعت ان تحطم الحبشة المسيحية في هذه المدة اليسيرة ، وما الذي قسّم الحبشة الى معسكرين يمعن كل منهما في الآخر تخريباً وتقتيلاً

كان الأتراك قد استقروا في آسيا الصغرى منذ القرن الثالث عشر وأخذوا في بناء امبراطوريتهم ، ففتحوا القسطنطينية عام ١٤٥٣ بعد أن استولوا على أوربا الشرقية واستولوا معها على جميع المراكز التجارية التي كانت تملكها البندقية في شرق البحر المتوسط. فانتقلت السيادة التجارية في هذا الجزء من العالم الى يد الأتراك الذين لم يلبثوا ان استولوا على العراق وأطلوا على الخليج الفارسي، وبذلك كوّنوا فكي كماشة استطاعت ان تطبق على مصر سنة ١٥١٧ فأطلوا على البحر الأحمر وأصبحوا وفي امكانهم السيطرة على طريق التجارة الهندية

وفي نفس الوقت كان البرتغال قد اكتشفوا طريق رأس الرجاء الصالح وأفلحوا في الوصول الى الهند وحطموا الأسطول المصري في موقعة ديو ودانت لهم المياه الهندية

فمن الطبيعي ان ينشأ بين هاتين القوتين الناشئتين تنافس لأجل السيادة على الطرق التجارية، فخيل الى تركيا أنها إذا استطاعت أن تقيم دولة إسلامية في الحبشة تسيطر بها على الشاطىء الغربي للبحر الأحمر بعد أن سيطرت على شاطئه الشرقي باستيلائها على الحجاز واليمن

قبل ذلك، فقد كملت سيادتها على طريق التجارة الهندية كله وأمكنها أن تقبض بيدها على السيادة التجارية في العالم أجمع . فاتصلت بمسلمي الولايات الشرقية في الحبشة ووجدت في الامام أحمد بن ابراهيم امير هرر سنة ١٥٢٩ القوة المحركة التي تستطيع أن تدفع بها في هذا السبيل فدفعت اليه بالمال والرجال والذخيرة وخصوصاً المدافع والبنادق ، كما اتخذت من تدينه وتقواه وسيلة لاظهاره أمام مسلمي تلك الجهات قائداً دينيّاً يجمع كلمة المسلمين ويوجهها نحو المسيحيين .

ولم يكن البرتغال أقل من الأتراك ادراكاً لهذه الحقائق فبعد أن استقروا في الهند أخذوا في نشر نفوذهم وتوطيد أمبراطوريتهم فجدّوا في البحث عن هذا المنافس الجديد ليحطموه ويسودوا البحار ويحتكروا التجارة الهندية فكانت الحبشة المسرح الذي التقت فيه هاتان القوتان المتنافستان لأجل السيادة التجارية والبحرية واستطاعت المعونة البرتغالية التي وصلت الى الحبشة دره الخطر التركي بما كانت تحمله من أسلحة حديثة .

فكأن العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في الحبشة ظلت منذ أن ظهر الاسلام وأخذ طريقه الى هذه البلاد حتى أواخر القرون الوسطى على أحسن ما تكون من الصفاء والود خضع في أثنائها المسلمون لسلاطينهم الذين يخضعون بدورهم للامبراطور ويدفعون ماعليهم من ضرائب في مواعيدها ووفق تقاليدهم . ويشغلون الوظائف العامة كغيرهم ويشتغلون فيما يشتغل به غيرهم من مهن وحرف ويتمتعون بما يتمتع به غيرهم من حياة هادئة مستقرة وعدل شامل . ولم تتحول هذه العلاقات عن سيرها الطبيعي الا عندما أرادت دولة أجنبية أن تحولها لتصل بها الى غاية خاصة لا تفيد إلاّ مصالحها الخاصة . فلم يكن هناك إذن حروب بين مسلمين ومسيحيين في الحبشة انما كان هناك صراع بين قوتين أجنبيتين وكانت الحبشة مسرح هذا الصراع وكان الامام أحمد بن ابراهيم أداته .

وهذه الحروب وإن أضرت البلاد ضرراً بليغاً فحطمت حياتها الاقتصادية تحطيماً قاسياً إلاّ انها وحدتها تحت سلطة الامبراطور ، فأصبحت الحبشة حقيقة سياسية بعد أن كانت لا تعدو وحدة جغرافية، كما أدت الى ظهور القومية الحبشية بشكل ظاهر وأدّت الى اتصال الحبشة بالأجانب واستقرارهم فيها، أي اننا نستطيع أن نقول إن هذه الحروب وإن أضرت بالبلاد هذا الضرر البليغ ، أخرجتها من القرون الوسطى الى العصر الحديث من تاريخها .

خواطر الصيف

على شاطيء البحر

للأستاذ عبد السلام رستم

عدتُ للبحر صائفاً رفقتي صحبةٌ غُررْ
ضمَّها الليل والنها رُ وما عنهما صدرْ
فأرى البحر باسطاً ساعديه لمن حضرْ
من ضيوفٍ طوارقٍ فوق أشباحه الغُمُرْ
قد نضوا عن جسومهم كلَّ ثوبٍ ومؤتزرْ

***

قال لي الفجر هامساً « ها كمو النور ينتشرْ
يبعث الصحو والحيا ة الى أعين البشرْ
كلَّ فردٍ تسوقُهُ لهفة العيش والعُمُرْ
فإذا ما انقضى وطرْ شبَّ من بعده وطرْ
فاستطالت نسائمٌ تتصدّى لما ذكرْ
تجحد الفجر فضله وتباهي بما تُسِرْ »
قلنَ « يا فجرُ ، إننا ننفخ الروح في الحجر ! !
نحمل السرَّ دائماً بين قلبين بالفِكَرْ
وغراماً يشوبُهُ خجلةُ الخدّ والنظر »
قلتُ « يا نسمة الصَّبا أنتِ للخير والضررْ
إن تهيِّجي خواطراً نافحاتٍ من الزهر

بأريجٍ مضوّعٍ عبِقٍ خالد الأثر
فلكَ الريحُ صرصرٌ ليس تبقي ولا تذرْ
للشياطين زفرة كالشآبيب تستعر
أو من القُرّ ترتمي بين سيلٍ ومنهمر
فإذا أنجمُ الدّجى تتلألأ وتنتثرْ
كالعذارى رواقصاً في حياءٍ وفي خفَر
تتعالى على الذُّرى وهي هادٍ لمن سهر
زادها الأفق فتنةً بالخيالات والصور
بينما الليلُ ساهمٌ مطرق الرأس، مسبطر[1] »
قلنَ « ياليلُ » من ترى للأقاصيص والسِّير؟
طالع الكون قبل أن يُعرف الحيّ والشّجَر؟
نحن أضواؤك الألى للمناجاةِ تُدّخرْ
هل لمسراك سائلٌ أينا الصادق الأبرّ؟ »
قال : « ما بال خطبكم كلُّكُم راح يفتخر؟!
إنما هذه الدُّنى بالنقيضين تختمر
كم لها من صنائعٍ في ارتفاعٍ ومنحدر
لا تَرعكم شرورُها أنها دورةُ العُمر
ربّ شرٍ كأنما جاء من رحمةِ القدر
لن ترى الخير كاملا لا ، ولا الشرّ مستقرّ

(١) مسبطر — امتد واضطجع

فاجعلوا من وجودكم واعياً يلحظ الغير
وانظروا البحر ساكناً وادع الشط منحسر
مستنيماً لجمعكم إذ تبارون بالحذَر
لو رأيتم عرَامَتهُ وهو في غضبة الكدر
ثائر الموج ضارباً ليس يثنيه مزدجر
فاغراً فاه طاغياً يغرق السهلَ والوعر
فطوى لجُّهُ دُرَر ونثا جوفهُ دُرَر
لعلمتم بأنكم زُمرٌ تقتفي زمر
خرجوا في مجالهم ثم عادوا الى الحفر
واستظلوا جدُودَهم في احتدام ومشتجر
لا تهموا وتحذروا ليس يُغنيكمو الحذَر!!»
قلت، «يا ليل، قِفْ بنا فيم ترديدُك النّذر؟
إنما نحن عصبةٌ طلبت روحة السمر
فأبحنا صفاءها في العشيّات والبكر
حسبنا الصيف ساحراً يخلب اللبّ والبصر
ولنا من شموسه حاجبٌ يكشف السُّتُر
وجلالٌ متى بدت طلعة البحر والقمر
وسناً منمق زانه الحسن وابتكر
فيه للقلب بهجة تسعدُ اليائس الضَّجر»

(القاهرة)

قصة حقيقية أغرب من الخيال

تاريخ العالمة البيولوجية الحسناء جان باور[1]

١٧٩٤ — ١٨٧١

للأستاذ نصيف المنقبادي المحامي

في تاريخ العلم الحديث قصة بديعة واقعية حقيقية، ولكنها أغرب من الخيال، قصة راعية غنم قروية ساذجة أصبحت أميرة من أمراء العلم والأدب ووصلت الى قمة المجد والجاه، وكان العلماء والملوك يخطبون وُدّها، وانتخبت عضواً في كثير من المجتمعات (الأكاديمي) العلمية، ولها بحوث واكتشافات. ومؤلفات في العلوم البيولوجية وخاصة في علم الحيوانات المائيــة. هي جان باور Jeanne Power باسم زوجها أو جان ڤلبريه Jeanne Villepreux باسم أسرتها الأصلية.

ولدت في ٢٨ من شهر سبتمبر سنة ١٧٩٤ في قرية صغيرة بمقاطعة كوزيز بفرنسا، وكان والدها عاملاً فقيراً يشتغل في صناعة البارود، وسميت جان أو جانيت، وكانوا يطلقون عليها وهي صغيرة اسم ليلي. واشتغلت راعية غنم في مزرعة لأحد أصحاب الأراضي في تلك المنطقة. وكانت على جانب كبير من الجمال الطبيعي والذكاء الخارق مع البساطة والحياء ورقة الخُلق ووداعة النفس. ومما امتازت به صوت عذب يسحر جميع من تتحدّث معهم الى حد أن تعلق بحبها ابن صاحب المزرعة وهي في السادسة عشرة من عمرها، فما إن شعر والده بذلك حتى طردها من خدمته شر طردة.

سعى أبوها بعــد ذلك لإلحاقها كخادمة في أحد المنازل، واتفق أن طلبت أسرة باريسية خادمةً قروية فقبل والدها أن يرسلها إليها. وكان أحد أقاربها ذاهباً إلى باريس

---

(١) راجع كتاب « عالم الاحياء Le Monde vivant » للعالم الكبير ادمون بيريه

فعهد إليه أن يصحبها في اثناء تلك الرحلة الطويلة ، لأن السفر كان في ذلك العهد في مركبات عمومية إذ لم تكن السكك الحديدية قد عُرفت بعد . غير أن قريبها هذا ضايقها كثيراً في اثناء السفر في المركبة وفي الفنادق الصغيرة التي ينام فيها الركاب ليلاً ليواصلوا السفر في النهار فالتجأت الى عمدة أورليان التي في طريق باريس ليعمل على توصيلها الى حيث تقصد ، فراعه جمال الفتاة وتلكأ في إجابة طلبها وأبقاها شبه محجوزة حتى تكتب إلى والدها بالتصريح لها بالسفر لحداثة سنها ، وفعلاً جاء الرد بالموافقة . وقد عثر أخيراً أحد مؤرخي حياتها ضمن محفوظات بلدية أورليان على كتاب والدها ومعه مسودة خطابها إليه مكتوباً بلغةٍ بسيطةٍ ساذجة بأسلوب الأطفال .

واصلت جان سفرها الى باريس بأمر البوليس وتحت رعايته باستمارة حكومية بالمجان . ولكن كان تخلفها في أورليان سبباً في ضياع العمل المتواضع الذي جاءت إليه لأن تلك الأسرة استبطأتها واستخدمت فتاة غيرها . فتشردت المسكينة في شوارع العاصمة الكبيرة تتردد على مكاتب المخدمين ومخازن الملابس ومحلات الأزياء باحثة عن عمل عائشة على الدريهمات القليلة التي قدمها لها والدها عند السفر . وقد روت فيما بعد أن ما أتعبها في تلك الفترة من حياتها أكثر من الجوع إنما هو مضايقة الرجال لها وملاحقتهم إياها أينما سارت وهي لا تجرؤ على زجرهم لما طبعت عليه من الحياء والخجل ووداعة الخلق.

وأخيراً رقت لحالها صاحبة محل من محال الأزياء الكبيرة واستخدمتها كعاملة صغيرة تحت التمرين . وهنا تجلت مواهب جان الطبيعية حتى بهرت صاحبة المحل وعميلاته بمهارتها وحسن ذوقها ودقة شغلها وتقدمت شيئاً فشيئاً الى أن أصبحت على حداثة سنها العاملة الأولى دون أن تحسدها زميلاتها لرقتها ولطفها وتواضعها حتى اكتسبت محبة الجميع وصداقتهن .

وحدث أن عُهد الى هذا المحل الباريسي باعداد حلة زفاف الأميرة ماري كارولين كريمة فرديناند الأول ملك نابولي [1] فكلفت صاحبة المحل عاملتها الأولى جان بتطريز

---

(١) لم تكن إيطالية قد توحدت بعد في ذلك التاريخ بل كان كل اقليم منها مملكة مستقلة ، ومنها مملكة نابولي هذه .

الحلة وزخرفتها . فأبدعت أيما إبداع وأخرجتها تحفة فنيّة رائعة الجمال بهجةً للناظرين. ولما عُرضت في وجهة المحل استوقفت أنظار الباريسيين والأجانب وأثارت اعجابهم .

وكان من الذين راعهم جمالُ هـذا الثوب مهندس كبير من أثرياء ارلنـدا يدعى جيمس باور فطلب أن يري ويُهنّيء الفنانة البارعة التي ابتدعت هـذه التحفة البديعة . وما أن رأى جان وتحدّث معها قليلاً حتى سحرته بجمالها الملائكي وصوتها الموسيقي ورقتها وتواضعها وما توسمه فيها من عواطف سامية وعقل كبير ، وبعد أشهر قليلة صارت زوجته وأصبحت جان أو ايلي فيلبريه راعية الغنم القروية مدام جان باور أو مسز باور على الطريقـة الانكليزية . وقد أكرمت زميلاتها العاملات وأغدقت عليهنّ الهدايا ، ولم يكن لها عمل في أوقات فراغها إلاّ زيارة الأسر الفقيرة وتقديم المساعدات لها والبر بالفقراء في الملاجيء والشوارع .

ولم يشأ زوجها الكريم أن تبقى مواهبها العظيمة على حالتها اليسيرة التي كانت عليها فبادر الى تعليمها تعليماً كاملاً شاملاً . فأتقنت بسرعة لغتها الفرنسوية [1] والانكليزية لغة زوجها ، والإيطالية ودرست العلوم الحديثة الرياضية والطبيعية والفلسفية . على ان الذي افتتنت به ونبغت فيه بنوع خاص هو العلوم البيولوجية (علوم الحياة) وعلى الأخص علم الحيوان الذي كان قد أخذ أهمية كبيرة في ذلك العهد لانه أساس النظريات العلمية الجديدة التي قامت وقتئذٍ وشغلت أذهان جمهور المتعلمين وأحدثت ثورة كبيرة في أفكار النـاس ، وأهم تلك النظريات نظرية التطور والتحول والتسلسل التي نشرها أولاً في فرنسا لامارك سنة ١٨٠٩ في كتـابه المشهور « فلسفة علم الحيوان » ثم أذاعها ودعمها في المانيا الشاعر والعالم البيولوجي الكبير جوتيـه . وحذا حذوه عدد كبير من العلماء في مختلف بلاد أوربا . وقامت بشأن هـذه النظرية في اكاديمي العلوم في باريس في ذلك العهد المناظرة الشهيرة في تاريخ العلم بين جيوفروا سانت هيلير نصير هذه النظرية وكوفييه الرجعي الذي حاربها بكل قواه ليكسب عواطف الجماهير الجاهلة لأسباب سياسية .

---

(١) أصح نسبة الى فرنسا وأبسطها وأقربها الى المألوف هو « فرنسوي » و « فرنسوية » كقولهم ، نشوي نسبة الى النشا ونحوي نسبة الى النحا .

أما داروِن الذي ينسب إليه جمهور الناس في عصرنا نظرية التطور فانه لم يظهر بمذهبه الخاص في هذه النظرية إلاَّ بعد خمسين سنه عند ما نشر كتابه المشهور « أصل الانواع » سنة ١٨٥٩ (وقد ترجمه الى العربية الأستاذ اسماعيل مظهر) . ومن غرائب المصادفات أن داروِن وُلد في السنة التي ظهرت فيها نظرية لِامارك سنة ١٨٠٩ .

وقامت بعد ذلك مذاهب أخرىٰ لتفسير التطور وتعليله ، أهمها مذهب ديفريس العالم النباتي الهولاندي .

والتطور أمر واقعي وناموس طبيعي لا يختلف فيه أحد من العلماء البيولوجيين في عصرنا الحالي وان كانوا يختلفون فقط في تعليله وفي أسبابه وكيفية حدوثه ، أي في العوامل الطبيعية التي تؤثر في الحيوانات والنباتات وتؤدي الى تغيير شكلها تدريجيًّا وتحولها وتسلسلها ، الحديث منها من القديم . على أن نظريات التطور الثلاث سالفة الذكر (نظرية لامارك ونظرية داروِن ونظرية ديفريس) لا تتعارض ولا تتناقض بل أنها يكمل بعضها بعضاً . فالكائنات الحية لا تتغير وتتحول فقط للأسباب التي بيّنها لامارك بمفردها ، ولا للاسباب التي شرحها داروِن أو ديفريس بل لجميع هذه الأسباب مجتمعة وبفعل تلك العوامل

نعود إلى جان الجميلة بطلة قصتنا هذه فنقول إنها شغفت بهذه النظريات وأخذت تتعمق في دراسة مختلف العلوم البيولوجية المؤدية إليها . وفي أثناء ذلك تنصّبَ زوجها مديراً للتلغرافات الانكليزية الايطالية التي تمر أسلاكها تحت مياه البحار وأقام في مدينة ميسينا بجزيرة سيسيليا (١) فاتسع المجال أمام جان لتطبيق دراساتها البيولوجية على الطبيعة وقامت ببحوث شخصية هامة أدّت بها الى اكتشافات جديدة في مختلف نواحي علم الحيوان والتشريح التقابلي (أو المقارن) وعلم الأحافير (علم الحيوانات والنباتات المتحجرة مما يعثرون عليها في مختلف طبقات الأرض المتكوّنة في الأعصر الجيولوجية القديمة ، وهي التي تسلسلت منها النباتات والحيوانات الحالية) . واتجهت على الأخص إلى دراسة الحيوانات المائية ، وابتكرت وسائل جديدة للبحث والتنقيب وأنشأت محطات ومعامل علمية على سواحل البحر الأبيض المتوسط ، وقد شجعها على ذلك زوجها المهندس العالم الثري ، وأقامت

(١) وهي التي كان العرب يسمونها صقلية

أحواضاً عائمة من الشباك المعدنية تضع فيها الحيوانات المائية تحت المشاهدة والاختبار وهي في بيئتها الطبيعية لا تفصلها عن باقي مياه البحار إلاّ تلك الشباك المعدنية. وإلى جان پارو يرجع الفضل الاول في ابتكار وانشاء هذه الأحواض والمعامل البحرية التي قلدتها فيما بعد الجامعات والحكومات وأقامت محطات مماثلة لها ومنها المحطات التي انشأتها جامعة فؤاد الأول على البحر الأحمر

وقد وُفقت جان لحقائق جديدة وكشفت عن مسائل هامة كانت تعرضها على المجامع العلمية (اكاديمي العلوم) في مختلف بلاد أوروبة . وانتخبت عضواً في خمسة عشر مجمعاً منها وتهافت على التعرف بها أكبر علماء عصرها . وقرّبتها إليها ملكة نابولي . وسعت الى صداقتها الكثيرات من الأميرات وسيدات المجتمع العالي، فكانت زينة منتدياتهن تسحرهنّ بجمالها ورقتها وبساطتها وعذوبة حديثها . وكانت على الدوام على رأس الأعمال الخيرية . ومن المناظر المألوفة في ذلك العهد في الشوارع منظر جان پاور تبر بالفقراء وتوزع الحلوى على الأطفال المعدومين المحرومين

ولا يتسع المقام هنا لشرح بحوث جان پاور واكتشافاتها في العلوم البيولوجية فنكتفي بكلمة يسيرة موجزة عن البحث الذي اشتهرت به بين الجمهور في ذلك الحين ، وهو الخاص بحيوان الارجونوت Argaunote الغامض الغريب الذي بنى عليه الاقدمون الأساطير الخيالية الجميلة وذكره ارسطو في أحد مؤلفاته .

ينتمي الأرجونوت الى فرع الحيوانات الرخوة وإلى مرتبة ذوات الأقدام الثمانية (اوكتوبود) . متوسط الحجم فضي اللون وعليه بعض العقد ذات الألوان الزاهية كحلية من الفضة المرصعة بالأحجار الملوّنة . وهو يبدو كأنه على جانب كبير من الحياء والحذر من الناس كالعذراء الخجلة التي تبتعد عن الرجال وتستحي من رؤيتهم إياها ، ومن أجل هذا كانت حياته محاطة بالأسرار والألغاز التي لم يجلها العلم كلها الى الآن ،فهو يعيش بعيداً عن الشواطئ ويختفي في النهار تحت الماء ولا يظهر على سطح اليم الاّ في الليل، ولهذا كان من المتعذر دراسة حياته وطبائعه الى أن جاءت جان پاور فكشفت عن الكثير من خفاياه .

يعوم الأرجونوت على ظهره رافعاً أقدامه في الهواء . ولما كانت قدماه الأماميتان عريضتين بيضيتين اعتقد المتقدمون انهما كقلاع المراكب يستعين بهما الحيوان على العوم ، ومن هنا نشأت الأسطورة القديمة القائلة بأن الأرجونوت هو الذي علّم بني الانسان الملاحة الشراعية . ولكن اتضح أن الأرجونوت يعوم الى الخلف على عكس المراكب الشراعية — ذلك لأن به كيساً متصلاً بالخارج يملؤه بالماء في أثناء عومه ويقذفه (أي يقذف الماء منه) بشدة فيندفع الحيوان الى الوراء طبقاً لنواميس الميكانيكا الطبيعية، ويستمر يملأ الكيس بالماء ويفرغه فيسير دائماً الى الوراء . وهكذا الحال بالنسبة لكثير من الحيوانات المائية .

وقد وقفت جان على وظيفة القدمين الأماميتين ، فاذا هما أداة لحماية بيضات الانثى وأجنتها في أثناء نموها ، وللمحافظة على قوقع الأرجونوت واصلاحه كلما أصابه عطب أو تهشيم ، ذلك لأن الأرجونوت لا يعرف أزمة المساكن فهو يعيش في قوقع جميل رقيق هو الذي يكسبه ذلك المنظر البديع ؛ ولكن الغريب في هذا القوقع أنه — خلافاً لقواقع الحيوانات الرخوة الأخرى غير مثبت في جسم الحيوان فلم يكن العلماء يدرون فيما مضى إن كان هذا القوقع ملكاً للارجونوت شيده بنفسه أم انه امتلكه بوضع اليد بأن استولى عليه وأقام فيه كما يفعل الحيوان المسمى « برنار الناسك » . غير أن جان باور أثبتت من مشاهداتها للأرجونوت في أحواضها أن قوقعه ملك حلال له يكوّنه من مادة يفرزها من جسمه . وقد كسرت جان جانباً من القوقع فرأت الأرجونوت يصلحه و « يرممه » على حد تعبير البنائين المعماريين مستعيناً بقدميه الأماميتين .

على أن فضل جان باور الأكبر في هذا المجال إنما هو اكتشافها ذكر الأرجونوت وكشفها عن سر تناسل هذا الحيوان الغامض العجيب . فقد كان جميع ما يصيدونه منه الى ذلك العهد من الاناث ، ولم يعثر أحد على ذكر واحد رغم الجهود الكبيرة والبحوث المتواصلة التي بذلت في مختلف البحار . وكم حار البيولوجيون في تفسير طرق تناسله ، وذهب بعضهم الى أن الأرجونوت من الحيوانات التي تتناسل بطريق التولد البكري مثل بعض الحشرات وعدد من أنواع الحيوانات غير الفقرية السفلى . ولكن جان باور أثبتت

من تشريحه عدم صحة هذا الرأي ، وظلت تراقب مجموعة الأرجونوت في أحواضها الشبكية العائمة المتصلة بمياه البحار فلحظت أن حيواناً صغيراً كان يظن بعضهم أنه من الديدان وقال آخرون إنه من الحيوانات المفصلية السفلى — لحظت جان أن هذا الحيوان الصغير ، الذي ينفذ الى الأحواض من منافذ الشباك ، يقترب أحياناً من الأرجونوت وينفصل أحد قدميه (أي أحد قدمي الحيوان الصغير) . ومن المدهش أن هذه القدم المفصولة تظل حية تتحرك ذاتياً وتسبح قليلاً الى أن يتصل الى جسم الأرجونوت فتلتصق به . وكانوا يعتقدون فيما مضى أنها حيوان طفيلي تلصق بالأرجونوت وتعيش عليه . ومما استوقف نظر جان أن الأرجونوت لا يعارض في ذلك ولا يتضرر منه بل يساعد عليه بأن يقترب من العضو المفصول وينتظر الى أن يتم الالتصاق . وعند ذلك يبتعد الحيوان الصغير ولا يلبث أن تنمو له قدم جديدة بدلاً من القدم التي انفصلت عنه يستعملها فيما بعد مع ارجونوت آخر على النحو المتقدم . ويعقب كل عمل من هذا القبيل بعد فترة من الزمن نموّ أجنة الأرجونوت وتولدها . فكأنما هذا العضو الذي ينفصل عن ذلك الحيوان الصغير ثمرة مثل ثمر النباتات تبقى بذورها حيَّةً تولد نسلاً جديداً بعد انفصالها عن أصلها . وعلى هذا أدركت جان أن الحيوان الصغير الذي يختلف عن الأرجونوت كل الاختلاف في الحجم والشكل والطبائع إنما هو الذكر المنشود الذي عجز جميع من تقدمها عن الكشف عنه.

وليست هذه الظاهرة — ظاهرة اختلاف الذكر عن الأنثى — هي الوحيدة في عالم الحيوان ، فإن كثيراً من الطيور مثل الطاووس وغيره وكثيراً من الحيوانات الفقرية الأخرى وأنواعاً عديدة من الحشرات وعلى الأخص الفراش وغيرها يختلف فيها الذكر عن الأنثى اختلافاً كبيراً الى حد أن كانوا يحسبون الذكر والأنثى قبل ذلك من نوعين متغايرين مستقلين . وفي أغلب الأحوال يكون الذكر أجمل من الأنثى (في نظرنا نحن بني الانسان) وأكثر شعراً أو ريشاً ، وأزهى ألواناً ، وأحسن تغريداً في بعض الطيور ، وأعلى صوتاً كما في الديوك ، وأقوى قروناً الخ . وقد بنى داروِن على هذه الظواهر نظريته المعروفة عن « الانتخاب الجنسي » نتيجة تنازع الذكور في سبيل الحصول على الإناث . على ان هذه النظرية لا تكفي بمفردها لتفسير هذه الظواهر بل تكملها نظرية لامارك السابقة لها بخمسين عاماً على ما تقدم بيانه . ولا أدل على عدم كفاية نظرية دارون منفردة ، من أن ذكور أنواع عديدة من الأسماك تكتسب في موسم التناسل ألواناً زاهية جميلة (في نظرنا نحن) يسمونها « حلة الزفاف » ومع ذلك فإنها لا تقترب من الاناث ولا تلقحها بل ان هذه الأخيرة تلفظ بيضاتها في الماء رأساً وتفرز الذكور جراثيمها المنوية على هذا النحو

أيضاً ويتم التلقيح في الماء كلما التقت هـذه وتلك مصادفة بفعل الأمواج . ومن هذا يتضح ان تلك الالوان الزاهية وتلك الزخارف الجميلة (الجميلة في نظرنا نحن) لا تنشأ في الذكور قصداً لـكي تحوز اعجاب الإناث وتفوز بها . وأغلب الظن أنه ليس للسمك ولا لغيرها من الحيوانات والطيور ذوق فني يحبب الى أناثها المناظر البهجة أو الريش الزاهي أو التغريد الجميل وغير ذلك من الصفات التي تمتاز بها ذكور كثير من الأنواع .

وقد ثبت أخيراً أن الذي يفسر تلك الظواهر العجيبة ويعللها التعليل العلمي الصحيح انما هو فعل الهرمونات التي تفرزها الغدد الصم ذات الافرازات الداخلية وخاصة في موسم التناسل تحت تأثير العوامل الطبيعيـة وعلى الأخص في فصل الربيع ، حتى ان بعض البيولوجيين يعرّف الحب بأنه « ظاهرة كيميائيـة » ويخصص آخرون فيقولون إنه (أي الحب) « تسمم خصيّ » في الذكور « وتسمم بيضي » في الاناث Intoxication testiculaire ou ovulaire مثل تسمم المخدرات والمسكرات وما تحدثه في الجسم والعقل من النشوة اللذيذة . فالحب يرجع في النهاية الى فعل الهرمونات التي تفرزها افرازاً داخلياً الخصيتان والمبيضان وتصب في الدم رأساً — هذا غير افرازاتهما الخارجية المعروفة .

هـذا قليل من كثير من بحوث واكتشافات جان باور المديدة في مختلف العلوم البيولوجية . وحتى علم ما قبل التاريخ ، وعلم الآثار ، وعلم الاجتماع ، وتاريخ الفنون الجميلة . فان جان طرقتها ولها في كل منهـا أثر يذكر . ويكفي أن نشير هنا الى مؤلفها النفيس عن وصف جزيرة سيصيليا ودراسة حيواناتها ونباتاتها وآثارها وفنونها القديمة وأصل سكانها وعاداتهم وطبائعهم .

* * *

وجاءت النهاية . فقـد فاجأت حرب السبعين زوجها مستر جيمس باور في باريس في اثناء حصار الألمان لها ، وكانت جان خارج منطقة القتال فلجأت الى جوريك مسقط رأسها ولم تلبث أن توفيت في ٢٥ من شهر يناير سـنة ١٨٧١ وهي في سن السادسة والسبعين ودُفنت في مقبرة القرية المتواضعة — تواضع جان في الحياة — وأوصى زوجها بعد ذلك أن يدفن بجوارها . وهما يرقدان الآن هناك جنباً الى جنب بعد حياة باهرة ، حافلة بخدمة العلم وعمل الخير .

وكان قبرها قد تهدَّم وكادت معالمه أن تزول الى أن اكتشـفه أخيراً لوي دي نوساك أحد مؤرخي حياة جان وأصلحه على نفقته الخاصة .

التقويم الزراعي

لشهر ديسمبر

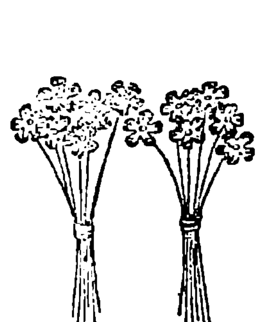
تجري في هذا الشهر العمليات الزراعية التالية : —

١ — ﴿ المحصولات الزراعية ﴾

البرسيم . القمح . الشعير . الكتان — تسميد وري
الفول — ري . عزق المزروع على خطوط
القطن — خدمة الأرض
القصب — جنسية الأرض (للغرس)
الذرة — قطع . تقشير . نشر . نقل الاحطاب

ب — ﴿ البساتين ﴾

ا — الفاكهة — تسميد الأشجار بالأسمدة العضوية . ري الأشجار ذات الخضرة الدائمة . تجهيز أرض الحدائق الجديدة . جني ثمار الموالح والموز والباباز والزيتون الأسود



ب — الخضر — زراعة البسلة القصيرة . والفجل . واللفت . والجرجير . والسبانخ . والبنجر . والجزر . شتل الكرنب الافرنجي . والخس . والهندبا

حـ — الأزهار — يستمر في تسميد الحوليات بأنواعها تقرط نباتات الأراولا بعد انتهاء تزهيرها . خدمة الأبصال الشتوية . زرع أصول (كورمات) الجلاديولس

✡✡

أخبار زراعية

﴿ استخدام النباتات كعلاج مباشر ﴾ ظهر أن أهالي جزائر الباسفيك تستعمل أوراق العشب المسمى Cassia alata وهو المعروف بخيار شنبر في علاج الأمراض الجلدية وبخاصة القوبة والاكزيما وفي الحالة الأخيرة يغمس الجزء المصاب من الجلد في مغلي أجزاء النبات كما تعتبر ثمار النبات نفسه C. fistula مسهلة .

﴿ الاستفادة من متخلفات القمح كغذاء للدواجن ﴾ ثبت من التجارب الغذائية للماشية والدواجن أنه يمكن الاستفادة من متخلفات القمح كغذاء للدواجن . وكذلك بإضافة كمية قليلة من النخالة . ويفضل استعمال القمح المجروش كمصدر للنشاط وهي تعتبر مصدراً لفيتامينات « ب » ١ و٢ و٦ و٧ والمنجنيز .

﴿ متخلفات الموالح في تغذية الحيوان ﴾ أسفرت التجارب في أميركا عن امكان استعمال متخلفات الموالح في تغذية الماشية لاحتوائها على مواد غذائية هامة وذلك بعملية كيمائية خاصة . كما إنه يمكن عمل سيرج (علف أخضر بخلط لب الثمار الطازج بالتبن والتفل المضغوط المجفف مضافاً اليه مادة خضراء لمد الماشية بفيتامين (١) الذي يفتقر اليه هذا النوع من الغذاء . وقد ثبت بالتجربة أن المواشي تقبل على تناول هذا النوع من العلف

﴿ الهرمونات النباتية ﴾ من تقرير الملحق الزراعي بالسفارة الملكية بلندن أن علماء الزراعة تمكنوا من الكشف عن خصائص الهرمونات النباتية وهي الهرمونات التي يصنعها النبات نفسه بمادة في انسجته وهي تشابه الهرمونات الحيوانية التي تفرزها الغدد الصم في الجسم وتدفعها في تيار الدم .

وقد أدت هذه النتائج الى تطورات هامة سوف يكون لها أثر بعيد في تنشيط النباتات وحل كثير من المشاكل التي تعترض الزراعة وذلك بخلق عناصر كيمائية مختلفة لتكوين وتغذية أجزاء النباتات بها تماماً كما تحدثه الهرمونات الطبية في الأجسام الحيوانية .

ومن النتائج التي استطاع العلماء الحصول عليها من الهرمونات الصناعية ايجاد ثمار خالية من البذرة فقد نجحت هذه التجربة بصفة خاصة في الطماطم حيث أمكن رش الأزهار بهذه الهرمونات بدون تلقيح .

﴿ مقاومة دودة القطن بطائرة الهليوكوبتر ﴾ تتكلف الدولة في مقاومة دودة القطن بالنقاوة بالأيدى العاملة مبالغ طائلة وقد أجريت تجارب في السنة الأخيرة على مقاومتها بالتعفير بوساطة طائرة الهليوكوبتر والطائرة مجهزة بخزانات للتعفير تشبه الاقماع تسع

٢٥٠ ك ج من مادة التعفير وأنابيب خاصة لقذف المسحوق والتحكم في كميته تبعاً لحالة الاصابة إذ ثبت أنه يمكن تعفير المساحات الكبيرة والمساحات الصغيرة على حد سواء وتعفر الطائرة حوالي مائة فدان في الساعة وذلك في الاصابات الشديدة .

ومن المنتظر أن يعم استخدام طائرة الهليوكوبتر في مقاومة الآفات الزراعية وبذلك يمكن توفير نفقات باهظة تصرف في هذا السبيل .

☆☆

الاصلاح الزراعي

ألقى حضرة صاحب العزة محمد خطاب بك عضو مجلس الشيوخ ورئيس جمعية خريجي المعاهد الزراعية محاضرة عن الاصلاح الزراعي في دار النادي الزراعي في مستهل الشهر الماضي نلخصها فيما يأتي :—

استهلَّ المحاضر كلامه بنبذة عن سنة التطور وما لابس العالم في السنوات الأخيرة من أخطار وما وصل اليه العلم والعلماء من نظريات قلبت أوضاع الماضي وأحدثت عالماً جديداً يتأهب لآثار تحطيم الذرة من عنصر اليورانيوم وما به من قوى ، ثم انتقل الى تعداد السكان في القطر المصري ومساحة الأراضي الزراعية منذ ٥٠ سنة مقارناً بتعدادهم في الوقت الحاضر . وقد أربى عدد السكان على العشرين مليوناً مع زيادة طفيفة في المساحة مما لا يتفق مع حاجة السكان في قطر زراعي مثل القطر المصري

وذكر بعد ذلك حالة الفلاح وما يعانيه من فقر مدقع وضعف وما يكتنفه من رداءة المسكن وتفاهة الملبس ، ثم أشار الى حالة الريف المصري وما شاهده في الريف الانجليزي حيث لا يجد الناظر مسكناً بغير حديقة منسقة فضلاً عن نظافة المسكن والملبس.

وانتقل المحاضر الى الخطوط الرئيسية التي يراها نواة للاصلاح الزراعي في مصر نذكر منها اصلاح الأراضي البور ، وتخزين ماء النيل ، وتمليك الأراضي واصلاح القرية ورفع مستوى الانتاج الزراعي . ولم يفت المحاضر الاشارة الى موضوع الاستعانة بالخبراء الاجانب في مصر لاصلاح الأراضي البور ، وضرب مثلاً بما تمَّ في أمريكا من اصلاح اراضي « وادي التنسي » ذلك المشروع الضخم الذي أحال نحو خمسة ملايين فدان من الأراضي الوعرة الجدباء الى جنات واسعة فيحاء .

وأعقب المحاضر محاضرته بشريط سينمائي عن عملية اصلاح « وادي التنسي » وكيف كان الكفاح المرير لتحويل التلال والمستنقعات الى وادٍ خصب مريع ، وكيف اقيمت خزانات على نهر التنسي في مناطق متعددة لحجز مياه الأمطار وتنظيم انسيابها الى أنهر وجداول تخترق الوادي من كل جانب فهيأت للسكان حياة رغدة سعيدة .

☆ ☆



مكتبة المقتطف

كتاب الارشاد

الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد

لامام الحرمين أبي المعالي الجويني (٤١٩ — ٤٧٨ ﻫ)

٤٥٨ صفحة بالقطع الكبير . مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٥٠

الجويني نسبة الى جوين احدى نواحي نيسابور . وقيل له امام الحرمين لأنه جاور بمكة والمدينة أربع سنين يدرّس ويفتي . ولعلنا ندل دلالة كافية على خطر شأنه اذا قلنا ، كما جاء في مقدمة هذه الطبعة التي نقدمها الى القراء ، إنه أعلم المتأخرين من أصحاب الامام الشافعي على الاطلاق ، وإنه أستاذ الغزالي .

وكتاب الارشاد يرمي إلى « بيان العقائد الدينية ، والاستدلال لها ، ثم الدفاع عنها ، ومناهضة أصحاب المقالات والمذاهب المخالفة للدين » . فهو كتاب جامع في علم الكلام ، كما صار إليه هذا العلم بترتيب العقائد ترتيباً منطقيـاً ، والاحتجاج لها بحجج عقلية إلى جانب الحجج النقلية ، وتقويم تفسيرها عند الفرق المختلفة ، والرد على المشككين فيها من الفلاسفة أو الآخذين من الفلسفة بنصيب . فيبدو الكتاب كأنه خلاصة المذاهب الاسلامية ، مذهب السنة والمذاهب المنحرفة عنه ، وبخاصة مذهب المعتزلة ، فقد تعقبه المصنف في جميع المسائل حتى ملأت المعتزلة صفحتين ونصف صفحة من « الفهرس التحليلي للأعلام والآراء » المرفق بهذه الطبعة والذي يتيح للباحث أن يجمع أقوال كل فرقة على حدة وآراء المصنف فيها .

اما جدل الفلاسفة فتقول مقدمة هذه الطبعة إن الجويني سبق الغزالي إليه ، كما يتبين بالرجوع الى هذا الكتاب والى غيره من آثاره ، وان الغزالي أفاد من أستاذه في هذا الباب ، وإنه إذن لايكون أول من عرض لبيان « تهافت الفلاسفة » ولايكون صحيحاً ما يقول في كتابه « المنقذ من الضلال » من أنه لم يرَ « أحداً من علماء الاسلام صرف عنايته وهمته إلى دراسة الفلسفة ليعرف ما فيها من فساد وغائلة » . ولكن ألا نجد لدعوى الغزالي عذراً قويـاً في أن جدله للفلاسفة جاء أوسع وأدق بكثير مما نراه عند الجويني ؟

ظلّ هذا الكتاب مخطوطاً الى أن نشره المستشرق الفرنسي لوسياني Luciani في عام ١٩٣٠ معتمداً على نسخة بباريس وأخرى بالجزائر وثالثة بتونس . غير أن حضرة الدكتور محمد يوسف موسى الأستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر لاحظ أن الناشر « يختار أحياناً نص نسخة ويترك نص نسخة أخرى هو أحق بالاختيار » وعثر على ثلاث نسخ أخرى إثنتان منها بدار الكتب المصرية والثالثة بالمكتبة الاحمدية بحلب فعقد العزم على نشره نشراً جديداً مثبتاً مختلف الروايات ، ومترجماً للأعلام ، ومقدماً للكتاب بما يعرّف القارىء به وبمصنفه . ولقد جاءت المقدمة فصلاً نفيساً يبدأ بوصف روح العصر أي القرن الخامس الهجري ، ثم يُلم بترجمة المؤلف ويذكر أهم كتبه ، ثمّ يصف كتاب الارشاد ، وأخيراً يبدي رأيه الخاص في دراسة علم الكلام . وقد عاونه في هذا العمل الشاق الشيخ الأستاذ علي عبد المنعم عبد الحميد المدرس في الأزهر (معهد القاهرة) . فخرج الكتاب تحفة للدارسين .

والرأي الخاص في دراسة علم الكلام هو « أنّ الأدلة التي كان يحصل بها تسليم أو اقتناع فيما مضى من الأزمان ، قد لا يحصل بها هذا في الزمن الحاضر بعد تقدم العلم ... ومن العجب والغرابة بمكان أن نعكف على جدل قوم لا نكاد نحس لهم ركزاً ، ونترك أمثال القاديانية والبهائية ولهم من النشاط الديني ما هو معروف . إن على علماء الكلام أو التوحيد، على الأزهر وكلية أصول الدين ، أن يطبوا لداء الالحاد الذي يقوم كما يرى أصحابه على أساس من علم العصر ... [ونحن نريد] أن ندلل على وجوب تطوّر هذا العلم بوجه عام وذلك بأن نجدد في كتبه وأدلته ومشاكله » .

وهذا قولٌ جدير بالاعتبار يدل على واجب أضحى محتوم الأداء . وقد تعدّدت صور الانكار ، ليس فقط من قِبَل شيع دينية ، بل أيضاً من قِبَل مذاهب فلسفية تذهب الى انكار الدين من أصوله ، أو تشكك في بعض قضاياه ، مثل المذهب الحسي أو التجريبي الذي لا يؤمن إلا بادراك الحسّ ، ومثل المذهب التصوري الذي يزعم أن العقل لا يدرك سوى تصوراته وأن لا سبيل لنا الى الاعتقاد بوجودٍ ما ، والمذهبان يمنعان من التدليل على وجود النفس الروحانية الخالدة ، وعلى وجود الله وسائر أركان الدين . ولا مناص من اللجوء الى العقل لعرض العقائد والدفاع عنها . هذا أمرٌ قد أيدته التجربة في المسيحية بالرغم من اعتراض أنصار الايمان الساذج ، وأيدته التجربة في الاسلام كذلك من صدره الى وقت الجويني والغزالي، لضرورة ملاقاة المنكرين في صعيدهم وتفهم أقاويلهم ودفعها بأقاويل من نوعها ، مما يستلزم أن نصطنع الفلسفة نحن أيضاً فتكون لنا فلسفة متماسكة

تعتبر تفسيراً عقلياً للوجود وللمعرفة وتمهيداً صالحاً للدين وأداة ملائمة لبنيانه وصيانته. ولعلَّ المحقق الناشر يدلنا في كتاب قادم على الفلسفة التي يرى اصطناعها ومكانها من الفلسفات ، ويرسم صورة جديدة لعلم الكلام مبنية عليها في الاصول والفروع وكفيلة باقناع المثقفين المصريين ، فهذا عمل حقيق بالمحاولة لشدة الحاجة إليه وعظم نفعه .

الاسكندرية يوسف كرم

فلسفة الموسيقى الشرقية

تأليف الاستاذ ميخائيل خليل الله ويردي — صفحاته ٦٧٢ صفحة من قطع المقتطف
طبع بمطبعة ابن زيدون بدمشق

دفع اليَّ الأستاذ رئيس تحرير المقتطف كتاب فلسفة الموسيقى الشرقية لمؤلفه الأستاذ ميخائيل خليل الله ويردي لأقول كلمة فيه فلما صحبت الكتاب وجدت فيه العلم الوفير إلى جانب الفن الغزير ووجدت فيه أيضاً الترتيب المنطقي للأفكار والتنظيم والتنميق البديعين للعبارة والألفاظ حتى كدت أنسى نفسي بين صفحاته وحتى كادت أذني وحواسي ومشاعري تتلوّن بطابع هذا الكتاب وما جاء فيه من أفكار ومعانٍ .

والواقع إنه سدَّ نقصاً كبيراً في فن الموسيقى فقد تعرض لبحثها من زاوية خاصة لم يسبقه إليها أحد تلك هي الناحية الفلسفية . ومعنى ذلك أنه بحثها بحثاً دقيقاً متقناً . والعجيب في الأمر أن هذا الكتاب يشتمل على موضوعات كثيرة متباينة هي : إصالة الأصوات والنسبة المتصلة الموسيقية وعلاقتها بالانغام ، والسلم العربي وغيره من سائر السلالم الموسيقية ، موضحة ذلك بالرسوم والجداول الفنية والاتفاقات الصوتية واستعمالها عند العرب مع مقابلتها بالاتفاقات المعدلة والأنغام والأوزان والايقاع في الشعر والموسيقى ومقارنة الموسيقى الشرقية بالموسيقى الغربية إلى غير ذلك من الموضوعات التي كنا نود من قديم أن تتضمنها مكتبة بأسرها لا كتاب واحد كهذا . وعلى الرغم من كثرة موضوعات هذا الكتاب وتشعبها فقد أجاد المؤلف البحث فيها جميعاً إجادة تامة يستحق عليها الشكر والتقدير . وينفرد الكتاب فوق ما ذكرنا بدعوته إلى توحيد لغة الموسيقى لتقريب الأذواق وتدعيم السلام وهي دعوة فريدة في بابها جديدة في أهدافها . لذلك فكرت جماعة

اليونسكو في ترجمة هذا الكتاب النفيس الى اللغات الأجنبية حتى يعم نفعه الأقطار الغربية الى جانب الأقطار الشرقية . وهذا تقدير عظيم لمؤلف شرقي نفخر بعمله وإنتاجه .

وبعد فالكتاب دائرة معارف موسيقية بأسرها يجد فيه القارىء الموسيقى بقواعدها واصولها وأنغامها عذبة شاجية سلسة هادئة .

* * *

بيد أني أحب أن أضيف الى ما كتبه حضرة المؤلف الجليل في موسوعته النفيسة بخصوص توحيد لغة العالم الموسيقية وجهة نظري في هذا البحث الطريف فأقول : —

إن الموسيقى تقوم في أساسها على ثلاثة أمور لا غنى عن إحداها هي : —

١ — الاستعداد الموسيقي عند الأفراد : — وذلك لأن الناس ليسوا سواء من حيث استعدادهم الموسيقي فهذا ميّال بطبعه وسليقته لأن يسمع الموسيقى ويتعلمها لذلك فهو مكبٌّ على تعلمها آخذ في أسباب دراستها ، وذاك راغب عنها لا يود سماعها لذلك فهو نافر منها خارج عليها لا يود بحال ان يسمع شيئاً منها وإن سمع فلا يأبه لما يسمع . ومثل هذا الشخص لا يرجى منه انتاج موسيقي . اما الأول فهو محب للموسيقى عارف بها مطلع على أسرارها منتج فيها .

٢ — تعلم قواعد الموسيقى وأصولها وأنغامها وكل ما يتعلق بها : — وهذه مسألة هينة ما دام الفرد ميّال بطبعه للموسيقى محب لها معد لتقبلها والاستماع اليها والاستزادة منها

٣ — الذوق العام : — وهو أهم الأمور جميعاً لأنه يعبّر عن جملة معاني فهو من ناحية يعبر عن ذكاء الشخص وقدرته على التعبير عن احساساته بأسلوب صريح يفهمه الخاصة والعامة وبطريقة تثير في نفوس الناس الاحاسيس المختلفة مثل الحنو والشفقة أحياناً والحزن والبكاء أحياناً أخرى الخ .. ولأنه من ناحية أخرى يترجم ما بنفس صاحبه من أحاسيس ووجدانات مختلفة، فهذا حزين وذاك مسرور وهذا نخور وذاك مغبون الخ ... ولأنه من ناحية ثالثة يعبر عن ثقافة الشخص وقدرته العلمية وتجاربه ومشاهداته في الحياة. والموسيقي الحق هو الذي يستخلص من كل هذه المعاني روحاً جديدة الى جانب روحه وشخصاً غير مرئي الى جانب شخصه يمده بالفكرة والأسلوب بل وبالنغمة الموسيقية المناسبة . هذه الأمور الثلاثة هي حقائق لا بد من توفرها في كل فنان ينشد الكمال في

فنه فاذا انعدمت فيه هذه الامور كلها أو تخلف احداها أثر ذلك على انتاجه الفني ولنضرب بذلك مثلاً : — الملحن العامي فانه إذا لحن قولاً لم يحكم ربط الصلة بين معنى هذا القول والموسيقى فتراه يصوّر الاحاسيس بغير صورها ويخلق للمعاني أجواء لا تناسبها في حين ان الملحن الأديب إذا لحن وزن النغمة في ميزان عقله واحساسات نفسه المهذبة المثقفة فيخرج اللحن للناس آية في الاتقان والابداع مناسباً كل المناسبة للعقول والاذهان . كذلك يختلف موسيقى الملحن الذي يعيش بين الكأس والراح عن موسيقى الملحن التقي الورع، فالأول يرى الحرام حلماً جميلاً وجهنم بهجة ونعيماً والشيطان أنساً وسميراً . لذلك تخرج موسيقاه على شاكلته معبّرة عن نفسه وروحه وشيطانه . أما الذي عرف الله ولمس أسرار جماله وبديع صنعه في الكون فانه يصور للناس حلاوة الفضيلة نعيماً حقاً تكاد تلمسه وتراه بعيني حسك وروحك ، بل ويصور الله ورسله في الصورة التي تكاد تنطق نوراً ومهابة وجلالاً . وقصارى القول إن للموسيقى مرآة صاحبها تُري ما بباطنه بخارجه . ولما كان الناس صوراً مختلفة من الاحاسيس والرغبات والتقاليد والعادات فقد اختلفت موسيقاهم تبعاً لذلك . وربما يعترض البعض علينا بحجة انه من السهل أن نضع للكافة نظماً عامة تكون أسمى النظم وقواعد عامة تكون أفضل القواعد في الموسيقى ليتبعها الناس ويسيرون على دربها ، وبذلك تتحد موسيقاهم ولكن يُرد على ذلك بأن الموسيقى في أصل نشأتها صدى النفس بما فيها من أحاسيس ووجدانات ، فكيف يلزم أحدنا الآخر بشعور لم يشعر به، واحساس لم يختلج في نفسه، وبفكرة أو رغبة لم تخطر له على بال . بل كيف يلزم شعب له اقليمه وجوه وتقاليده وعاداته الخاصة بنهج موسيقي خاص بشعب آخر لا يتفق معه حتى في اللغة وسيلة التعبير عن مشاعر النفس وأحاسيسها . إذن فلندع الموسيقى حرة طليقة تعزف حيث شاءت ومتى شاءت وكيف شاءت فهي الأمل المنشود حين تسوء الحياة، والرحمة الكبرى حين يشتد البلاء .

***

وبعد فقد أجاد وأبدع الأستاذ ميخائيل خليل الله وردي في كتابه أيما ابداع واستحق منا الشكر والثناء. ونرجو لكتابه النفيس «فلسفة الموسيقى الشرقية» الذي سدّ فراغاً كبيراً في المكتبة العربية الرواج والانتشار الذي يستحقه والتقدير على جهود مؤلفه الكبير .

السيد كمال الشوري

مأمور الشهر العقاري



مقبرة أثرية من ٥٠٠٠ سنة

في منطقة القطا

تمكن الاستاذ عبد الهادي حمادة السكرتير العام لمصلحة الآثار المصرية ، والاستاذ شفيق فريد الاثري بالمصلحة من الكشف عن مقبرة شاسعة الارجاء تقع في منطقة القطا بالقرب من ملتقى فرعي النيل عند قناطر محمد علي في بقعة صخرية مغطاة بالرمال يرجع تاريخها الى حوالي ٣٢٠٠ ق م . وتأخذ عصورها في التدرج ، فيها آثار من الدولة القديمة ، ثم الدولة الوسطى ، فالدولة الحديثة ، وأخيراً العصر الروماني حتى القرن الثالث بعد الميلاد

وليس أدل على ضخامة هذه المقبرة الأثرية من ان دفنات العصور المختلفة تختلط بعضها ببعض حتى انه يعثر يومياً على حوالي عشر دفنات بعضها في الرمال المتماسكة أو في مقابر مبنية بالطوب والبعض الآخر مصاطب بالطوب اللبن ذات أبواب وهمية تقع خلفها آبار منحوتة في الصخر الى عمق كبير تنتهي الى حجرات للدفن منحوتة أيضاً كما هي الحال في مقابر الجبل القبلي بمنطقة اهرامات الجيزة

وقد وفق الاستاذان عبد الهادي حمادة وشفيق فريد الى الكشف عن بعض المقابر المنقوشة بالنقوش والرسوم الملونة لانواع القرابين التي كانت تقدم للموتى من طيور وحيوانات وصخور وفاكهة وخبز وخضر ، فضلاً عن المشروبات التي كان يفضلها المتوفي . ومن أهم هذه المقابر مقبرة « دواو بتاح » حامل ختم ملك الوجه البحري ، والسمير الوحيد للملك كما هو مكتوب باللغة الهيروغليفية وهي من الدولة القديمة

جثث مقرفصة

والجثث المكتشفة حديثاً في كثير من الحالات في وضع مقرفص تماماً ، كحالة نزول الجنين ، ولعل ذلك يرمز الى ولادته من جديد عند بعثه في الآخرة وهذه الحالات لموتى من العصر القديم أي حوالي سنة ٣٢٠٠ ق . م كما عثر على كثير من الجثث في داخل توابيت من الخشب المغطى بطبقة بيضاء ، أو في توابيت من سيقان البردي

تمائم وحلى من الذهب

وقد تزين كثير من الموتى بالتمائم والحلى الذهبية ، وبأحجار من العقيق

والبلور الصخري ، والاماتيست والقيشاني ، كما وجدت بجوارهم أدواتهم مصنوعة من آنية مرمرية رقيقة الصنع ، وأخرى من الفخار مملوءة بحبوب القمح والشعير، وكذلك مساند للرأس ، وموائد للقرابين من الالباستر ، ومرايا وأطباق مختلفة .

بخور منذ ٥٠٠٠ سنة

ومن أهم ما عثر عليه بهذه المقابر الكثيرة أدوات للكتابة من عصر الملك بيبي ، من الأسرة السادسة ، وأنواع من الخرز المستدير والمخروطي ، وأقراص من البخور ، وقد أحرق الأستاذ حمادة بعضاً منها ، فكانت لها رائحة قوية نفاذة على الرغم من مرور ٥٠٠٠ عام عليها .

موتى في اسطوانات من الفخار

أما في الجزء العلوي للجبل ، من الجهة البحرية ، فعثر على جبانة من العصر الروماني دفناتها مختلطة بمدافن الدولة القديمة وبين جدرانها ، ومعظم هؤلاء الموتى موضوع داخل اسطوانات فخارية كبيرة الحجم مكونة من أناء أو أنائين فتحة احداهما تقابل الأخرى .

رشوة في الآخرة

والملاحظ في هذه الجثث الرومانية انها محفوظة في لفائف من الكتان ، وشدت على أعواد من سعف النخل لتبقى الارجل والأيدي مستقيمة ، على ما هو ملاحظ في بعض مقابر الفيوم ، أما الحواجب والعيون والفم والأظافر والأنف وشعور النساء ، فقد غطت برقائق ذهبية ذات أشكال جميلة ، كما وجدت في أيدي الموتى قطع من العملة الفضية اعتقدوا انها ضرورية للميت لدفعها كرشوة لصاحب القارب الذي سينقله للشاطىء الثاني الى العالم الآخر .

* * *

نصائح في الصحة

١ — إذا جاء موعد طعامك وأنت مهتاج أو مغتم أو كنت عجلان فلا تتناول طعامك المعتاد لأن الانفعالات النفسية كثيراً ما تصيب أعصاب الجهاز الهضمي بنوع من الشلل المؤقت قد يستمر ساعات طويلة . فخير لك في مثل هذه الأحوال أن تكتفي بشرب قدح من عصير الفاكهة .

٢ — حين تأكل مواد نشوية (كالخبز والأرز والمكرونة وما اليها) فأمعن في مضغها وأطل حتى تمتزج باللعاب امتزاجاً جيداً . ذلك لأن جانباً لا يستهان به من عملية هضم المواد النشوية يتم في الفم بفعل العصارات التي يحتوي عليها اللعاب . واعلم أنك تستطيع أن تتقي معظم اضطرابات الهضم الناشئة عن التخمر إن عنيت بمضغ مأكلك النشوية وأجدت مزجها بلعابك .

كلى من البلاستيك

وفق بعض الأطباء الأميركيين الى اختراع كلية صناعية تشبه الرئة الصناعية وهي تستخدم في تنقية دم المرضى الذين تتوقف كلاهم الطبيعية عن أداء وظائفها على نحو ناجع . وهي تتألف من أنابيب رفيعة طولها ١٦٥ قدماً ملفوفة حول برميل يدور حول نفسه .

وتغرس إبرة في أحد أوردة المريض ويدفع الدم داخل الأنابيب فينقله البرميل الى حمام كيميائي تتم فيه عملية التنقية .

وتمر المواد غير النقية في الأنابيب الى خزان كبير ثم يدفع الدم المنقى بتؤدة الى الوريد مرة أخرى ليجري في الدورة الدموية

عقار التيرامبسين

وأذيعت أيضاً أنباء عن تجارب أجريت للتأكد من أثر « العقار المدهش » الذي أطلق عليه اسم « تيرامبسين » أثبتت أنه يشفي من الأمراض التي لا يفيد فيها العلاج بالبنسلين والعقاقير المشابهة له .

فقد شفي اثنا عشر من خمسة عشر مريضاً — لم ينجح في اكثرهم العلاج بالبنسلين — من أمراض خطيرة بعد استعمال الترامبسين وكان من بين هذه الأمراض الالتهاب الرئوي وأمراض الجلد والتهاب الغلاف الداخلي للقلب وهو مرض خطير كان يتطلب علاجه مقادير كبيرة من البنسلين . ولعل المرض الوحيد الذي لم يفد فيه العلاج في هذه التجارب هو الانفلونزا

***

التعقيم لا يؤثر في القدرة الجنسية

بلغ عدد من عقموا ضد الحمل في الولايات المتحدة الأميركية ١٥٠٠ رجل وامرأة في عام ١٩٤٩ وهذا التعقيم يتبع لمنع انجاب أطفال يرثون الخلل العقلي عن آبائهم وبطريقة التعقيم يقدر عدد ضعاف العقلية الذين أنقذت البلاد من انجابهم بنحو ١٩١٣٠ طفلاً كان مفروضاً أن يولدوا من سنة ١٩٢٧ حتى الآن حين صدرت قوانين تعقيم الآباء الذين يخشى من توريثهم لأمراضهم .

ودلت دراسات حالة انجاب الأطفال الناقصي العقلية على أن تعقيم ١٠٠ أنثى و ٢٠٠ ذكر تمنع انجاب ٩٠ طفلاً ضعيفي العقلية ويقول الدكتور كلارنس جامبل إن المرضى يخشون أن يؤدي التعقيم الى اضعاف قواهم الجنسية ولكن الاحصاءات أثبتت خطأ هذا الزعم فلأسباب مختلفة عقم ٥٠ شخصاً من السليمي العقل بقطع قنوات الحيوانات المنوية وربطها ، فظهر أن ٣٦ منهم لم يلاحظوا أي تغيير في قدرتهم .

وقال تسعة أفراد إنها زادت

وكانت النتيجة العامة أن ٤٧ من الخمسين كانوا راضين عن حياتهم الجنسية ويشعرون بأنها عادلة .

دم البهائم يشفي من السرطان

أكد الدكتور سيمونيان الجراح بمعهد البحوث العلمية « سكليفو زوفسكي » في مقال نشره أن الطبيبين الروسيين الدكتور بلنيكي والدكتور أرابوف اهتديا الى وسيلة لنقل دم بعض الحيوانات إلى البشر لعلاج طائفة من الأمراض ولا سيما السرطان وأمراض المعدة وقال إن تلقيح المرضى بدم البقر المركب على هيئة لقاح قد أغناهم عن التغذية لمدة شهر لم يكن في الامكان أن يتناولوا شيئاً من الأطعمة والأشربة في خلاله بالطرق العادية .

علاج ناجع للطاعون

أذاع الدكتور فرنون لينك من سان فرنسسكو أن عقاري ستربتوميسين وسلفاديازين من أفيد العقاقير في علاج حالة الطاعون فاذا ما ارتاب الطبيب في حالة أحد المرضى فعليه أن يسرع بعلاجه بأحدهما وألا يعمد الى استخدام عقار البنسلين

وقال إنه جرب هذه العقاقير فكان استخدام العقارين الأولين ناجعاً في حالة ميئوس منها . أما العلاج بالبنسلين فلم يؤد الى أية نتيجة بل توفي مريضان بسبب استخدامه . وقد بنى تجاربه على بعض الحالات التي ظهرت في سنتي ١٩٤٩ و١٩٥٠ في بعض ولايات كاليفورنيا .

زيوت جوز الهند لتغذية المرضى

أكد الدكتور روبرت جرابر من قسم الصحة العامة بجامعة هارفارد أن زيوت جوز الهند النقية اذا حقنت في مجاري الدم فانها تصبح مصدر طاقة حرارية مفيدة للجسم ويمكن استخدامها في المستشفيات لتغذية المرضى الذين يتعذر عليهم تناول مقدار كاف من الطعام مما يعينهم على النشاط ويعوض طاقتهم الحرارية

وذكر حالات مرضى بالسرطان وبأمراض الكبد ممن تعذر عليهم بلع الطعام أو لم يجدوا الشهية لتناوله فأمكن تعويض حاجتهم الحرارية بحقنهم بزيت جوز الهند .

سرطان المعدة

اخترع فريق من أطباء جامعة كورنيل بأميركا طريقة يمكن الكشف بها عن سرطان المعدة في أول مرحلة وتقوم هذه الطريقة على اعداد كرة مصنوعة من المطاط مفرغة في الهواء يحيط بها قطع من الحرير المجدول ومتصلة بأنبوبة طويلة فيبتلع المريض الكرة المفرغة ثم تنتفخ بعد أن تستقر في المعدة

وينتج من تقلصات المعدة أن يلصق بعض الخلايا على الجزء الداخلي من المعدة بالكرة التي تفرغ الهواء بعد ذلك وتستخرج ثم تفصل الخلايا بوساطة الغسل في محلول خاص وتفحص بالمجهر .

* *

الفهرس

للجزء الخامس من المجلد السابع عشر بعد المئة

« المشكلات الريفية في العالم العربي »